الجزء التاسع والعشرون من الثالث

لنهر الجنة لاتصال اشجارها ولعدم وقوع القيعان الخربة فيها • واذا علمت هذا فالانسان اذا كان في دار تلك الدار في محلة تلك المحلة
في مدينة يقال انه في بلدة كذا • واما القرب فاذا كان الانسان في الدنيا جالسا بين نهرين بحيث يكون قربه منهما على السوا يقال جالس
عند نهرين فان كان اقرب من احدهما يقال هو عند احد النهرين ولا اخر لكن في دار الدنيا لا يمكن ان يكون عند ثلاثة انهار وانما يمكن ان يكون
عند نهرين • والثالث منه ابعد من النهرين فهو في الحقيقة ليس يكون في زمان واحد عند انهار والله تعالى يذكر امور الاخرة على ما يفهم
في الدنيا فقال عند نهر لما بينا ان قوله ونهر وان كان يقتضي في نهر لكن ذلك للمجاورة كما في تقلدت سيفا ورمحا • واما قوله تجري من
تحتها الانهار فحقيقته مفهومة عندنا لان الجنة الواحدة قد تجري فيها انهار كثيرة اكثر من ثلاثة واربعة • فهذا ما فيه مع ان في اخر الاية
يقتضي ذلك لتحسن التوحيد بدون الجمع ويحتمل ان يقال المراد نهر التنكير للتعظيم • وفي الجنة نهر وهو اعظم الانهر واحسنها وهو الذي من الكوثر
ومن عين الرضوان فان الحصول عنده شرف وعظمة وكل احد يكون له مقعد عنده وساير الانهار يجري في الجنة ... اهلها ولا يتوقفون
القاعد عندها فقال في جنات ونهر اي ذلك النهر الذي عنده مقاعد المؤمنين • وفي قوله تعالى ان الله مبتليكم بنهر انه غير معلوم لهم
وهذا وجه حسن ايضا ولا يحتاج ان نقول نهر في معنى الجمع لكونه اسم جنس المسئلة الثالثة قال هاهنا في جنات ونهر وقال في الذاريات
وعيون فما الفرق بينهما • نقول اما ان قلنا في نهر معناه في خلال فالانسان يمكن ان يكون في الدنيا في خلال عيون كثيرة محيطة به اذا كان على
موضع مرتفع من الارض والعيون تتفجر منه • ويجري فيصير انهارا عند الامتداد ولا يمكن ان يكون خلال انهار وانما هو خلال نهرين فحسب واما
ان قلنا ان المراد عند نهر فكذلك • وان قلنا نهر اي عظيم عليه مقاعد • فنقول يكون ذلك النهر ممتليا واصلا الى كل واحد وله عنده مقعد
وفيه عيون كثيرة تابعة • فالنهر للتشريف والعيون للتفرج والتنزه مع ان النهر العظيم يجتمع من العيون الكثيرة فكان النهر مع وحدته
يقوم مقام العيون مع كثرتها • وهذا كله مع ان النظر الى اواخر الايات هاهنا وهناك يحسن ذكر لفظ الواحد هاهنا والجمع هناك

المسئلة الرابعة قرئ في جنات ونهر على انها جمع انهار اذ لا دليل هناك وعلى هذا فكلمة في حقيقة فيه • فقوله في جنات
ظرف مكان • وقوله ونهر اشارة الى ظرف زمان • وقرئ ونهر بسكون الهاء وضم النون على انه جمع نهر كاسد في جمع اسد نقله الزمخشري
ويحتمل ان يقال نهر بضم الهاء جمع نهر كثير في جمع نموم ثم قال تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر • وفيه مسائل المسئلة الاولى
في مقعد صدق كيف نخرجه • نقول يحتمل وجهين • احدهما ان يكون على صورة بدل كما يقول القايل فلان في بلد كذا في دار كذا • وعلى
هذا يكون مقعد من جملة الجنات مختار الله مرتبة علما في الجنات من المواضع وعلى هذا فقوله عند مليك لا نابينا في احد الوجوه ان المراد
من قوله في جنات ونهر في جنات عند نهر فقال في مقعد صدق وعند مليك • ويحتمل ان يقال ... صفة مقعد صدق تقول
درهم في ذمة مليء خير من دينار في ذمة معسر • وقليل عند امين خير من كثير عند خائن فيكون ... والا لما حسن جعله مبتدا
ثانيهما ان يكون في مقعد صدق كالصفة لجنات ونهر اي في جنات ونهر موصوفين بانهما في مقعد صدق • نقول وقفه في سبيل الله
افضل من كذا • وعند مليك صفة بعد صفة المسئلة الثانية قوله في مقعد بدل اي على لبث لا يدل عليه المجلس وذلك
لان قعد وجلس ليس على ما يظن انهما على معنى واحد لا فرق بينهما بل بينهما فرق ولكن لا يظهر الا للبارع • والفرق هو ان المقصود
جلوس فيه مكث حقيقة واقتضاء • ويدل عليه وجوه • الاول هو ان الزمن يسمى مقعدا ولا يسمى ... الطول المكث حقيقة
وسمي قواعد البيت • والقواعد من النساء قواعد ولا يقال لهن جوالس لعدم دلالة الجلوس ... المكث الطويل فذكر ان القواعد
في الموضعين لكونه مستقرا بين الدوام والثبات على حالة واحدة • ويقال للمركوب مركوب ... ضا وان لم يكن حقيقة
فقولهم صونه عن الحمل واتخاذه للركوب كانه وجد فيه نوع قعود دائم • الثاني النظر الى تقاليب ... نك اذا نظرت الى ق ع د
وقلبتها تجد معنى المكث في الكل فاذا قدمت القاف رايت قعد وقدع بمعنى ومنه تقاعد الفراش حين تهافت • واذا قدمت
العين رايت عقد وعدق ومعنى المكث في غاية الظهور في عدق حتى يقال الاعدق سدك الدلو في البير اذا امر يطلبه بعد وقوعه
فيها والعدو قد خشبة عليها كلاب يخرج به الدلو الواقع في البير • واذا قدمت الدال رايت دقع ... المكث في الدقع ظاهر
اذ الدقعا هي التراب الملصق بالارض • والفقر المدقع هو الذي يلصق صاحبه بالتراب • وفي دعق ايضا اذ الدعق مكان تطاه
الدواب بحوافرها فيكون صلبا اجزاؤه يتداخل بعضها في بعض لا يتحرك شيء منها عن موضعه • الوجه الثالث ... تعمال اللفظ في القعود
اذا اعتبرت ظهر ما ذكرنا قال تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر • والمراد الذي لا يكون بعده اتباع وقال
تعالى مقاعد للقتال مع انه قال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص فاشار الى البنيان العظيم
وقال تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا • فالمقاعد اذا هي المواضع التي فيها المقاتل ثبات ومكث • واطلاق مقعد على العضو الذي
عليه القعود ايضا يدل على ذلك اذا عرفت هذا الفرق بين القعود والجلوس حصل لها فوايد منها هاهنا فانه يدل على دوام المكث
او طول اللبث • ومنها في قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد • فان القعيد بمعنى الجليس والنديم ثم اذا عرف قول المفسرين الظاهر
فما الفايدة في اختيار لفظ القعيد بدل لفظ الجليس مع ان الجليس اشهر يكون جوابه ان اخر الايات من حبل الوريد ولدي عتيد
وقوله جبار عنيد يناسب القعيد ولا يناسب الجليس • واعجاز القران ليس في السجع • واذا نظرت الى ما ذكر يتبين لك فايدة جليلة معنوية

وقليل عند امين خير من كثير عند خائن

حكمية ويقع اللفظ المناسب لان الفصيح قد لا يعلم انهما لا ينافر تحرفانه ويبدو وما ان الجلوس معه وهذا هو المعجز وذلك لان الشاعر
يختار اللفظ الفاسد لضرورة الشعر في السجع ويجعل المعنى تبعا للفظ والله تعالى بين الحكمة على ما ينبغي وجاء باللفظ على احسن ما ينبغي
وفائدة اخرى في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم فان قوله فافسحوا اشارة الى الحركة
وقوله فانشزوا الاشارة الى ترك الجلوس فذكر المجلس اشارة الى ان ذلك موضع جلوس فلا يجب ملازمته وليس مقعد حتى لا يفارقونه

**المسئلة الثالثة** في صدق وجهان • احدهما مقعد صدق اي صالح يقال رجل صدق للصالح وسوء للفاسد • وقد ذكرناه
في سورة انا فتحنا في قوله تعالى وظننتم ظن السوء • ثانيهما الصدق المراد منه ضد الكذب • وعلى هذا ففيه وجهان • الاول
مقعد صدق • صدق من اخبر عنه وهو الله ورسوله • الثاني مقعد نال له من صدق فقال بان الله واحد وان محمدا رسوله ويحتمل
ان يقال المراد مقعد لا يوجد فيه كذب لان الله تعالى صادق فيستحيل عليه الكذب • ومن وصل اليه امتنع عليه الكذب لان مظنة
الكذب الجهل • والواصل اليه يعلم الاشياء كما هي • ويستغني بفضل الله عن ان يكون يستفيد بكذبه شيئا فهو مقعد صدق
وكلمة عند قد عرفت معناها • والمراد منه قرب المنزلة والشان • لا قرب المعنى والمكان • وقوله تعالى مليك مقتدر لان القربة
من الملوك لذيذة كلما كان الملك اشد اقتدارا كان المتقرب منه اشد التذاذا • وفيه اشارة الى مخالفة معنى القرب منه من معنى القرب
من الملوك فان الملوك يقربون من يكون ممن يحبونه • وناس يرهبونه مخافة ان يعصوا عليه ويتجاوزون الى عدوه فيغلبونه
والله تعالى مقتدر لا يتقرب اليه احد الا بفضله • والحمد لله • وصلى الله على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

## سورة الرحمن عز وجل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** الرحمن علم القرآن خلق الانسان
علمه البيان • اولا في نسبة هذه السورة الى ما قبلها من وجوه • احدها ان الله تعالى افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة
والجبروت والهيبة وهو انشقاق القمر فان من يقدر على شق القمر يقدر على هد الجبال • وقد الرجال • وافتتح هذه السورة بذكر معجزة
تدل على الرحمة والرحموت وهو القرآن الكريم فانه شفاء القلوب • بالصفاء عن الذنوب • ومنها انه تعالى ذكر في السورة المتقدمة
فكيف كان عذابي ونذر غير مرة • وذكر في هذه السورة فباي آلاء ربكما تكذبان مرة بعد مرة • لما بينا ان تلك السورة سورة اظهار
الهيبة • وهذه السورة سورة اظهار الرحمة • ومنها ان اول هذه السورة مناسب لاخر ما قبلها حيث قال في اخر تلك السورة
مليك مقتدر والاقتدار اشارة الى الهيبة والعظمة • وقال في اول هذه السورة الرحمن اشارة الى الرحمة والمغفرة • ثم في التفسير
مباحث • الاول في لفظ الرحمن وجوه • احدها ان من الناس من يقول الله مع الالف واللام اسم للحضرة والرحمن كذلك واستدلوا
بقوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية • اي ايا منهما ما تدعوا والكلام في ان هذا الاسم وهو الله اسم علم ام لا قد مر في
اول الكتاب • واما قولهم الرحمن اسم علم فذلك ضعيف • وقول من قال يصح ان يقال يا الرحمن كما يصح ان يقال يا الله لقوله تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اضعف من ذلك • ومن جملة ما يدل على الضعف قول جمهور اهل اللغة على خلاف هذا • ثانيها الله
والرحمن في حق الله تعالى [illegible] الاول • والوصف الغالب الذي يصير الاسم بعد الاسم الاول كما في قولنا عمر الفاروق وعلي المرتضى وعلي
ابن موسى الرضا وغير ذلك [illegible] في اسماء الخلفاء • واوصافهم المعروفة هم التي كانت من الاوصاف وخرجت بكثرة الاستعمال عن
الوصفية حتى ان الشخص وان لم يتصف به • يقال له ذلك بالعلم فاذن للرحمن اختصاص بالله تعالى كما ان لتلك الاوصاف اختصاصا
باولئك • فان قيل ان من الناس من اطلق لفظ الرحمن على اليمامي نقول كما ان من الناس من اطلق لفظ الاله على غير الله تعديا وكفرا
ثالثها لله تعالى رحمتان • سابقة ولاحقة • فالسابقة هي التي بها خلق الخلق • واللاحقة هي التي بها اعطى الخلق بعد ايجادهم
من الرزق والفهم وغير ذلك • فهو تعالى بالنظر الى الرحمة السابقة رحمان • وبالنظر الى الرحمة اللاحقة رحيم • ولهذا يقال يا رحمان
الدنيا ورحيم الآخرة • وقد تقدم الكلام فيهما في الفاتحة • البحث الثاني الرحمن مبتدأ خبره الجملة الفعلية التي هي قوله علم القرآن
وقيل الرحمن خبر اي هو الرحمن • ثم اتى بجملة بعد جملة فقال علم القرآن • والاول اصح • وعلى القول الضعيف الرحمن آية • الثالث
قوله تعالى علم القرآن لا بد له من مفعول ثان فما ذلك • نقول الجواب من وجهين • احدهما قيل علم بمعنى جعله علامة اي علامة
النبوة ومعجزة • وهذا يناسب قوله تعالى وانشق القمر على ما بينا انه ذكر في اول تلك السورة معجزة من باب الهيبة وشق ما
لا يشقه غيره • وذكر في هذه السورة معجزة من باب الرحمة ونشر من العلوم ما لا ينشره غيره وهو ما في القرآن • وثانيهما ان
المفعول الثاني لا بد منه وهو جبريل وغيره من الملائكة علمهم القرآن ثم انزله على عبده كما قال تعالى نزل به الروح الامين
على قلبك • ويحتمل ان يقال المفعول الثاني هو محمد صلى الله عليه وسلم • وفيه اشارة الى ان القرآن كلام الله تعالى لا كلام محمد
وفيه وجه ثالث وهو انه تعالى علم القرآن الانسان • وهذا اقرب ليكون الانعام اعم • والسورة مفتتحة لبيان الاعم من النعم





الشاملة • الرابع لم حذف المفعول الثاني نقول لاشارة الى عموم النعمة في التعليم لا الى خصوص التعليم بشخص دون شخص يقال
فلان يطعم الطعام اشارة الى كرمه ولا يبين من يطعمه • الخامس ما معنى التعليم • نقول على قولنا الله مفعول ثان • افاده العلم
به • فان قيل كيف يختص علم القرآن مع قوله وما يعلم تاويله الا الله • نقول من لا يقف عند قوله الا الله ويعطف الراسخون
على الله عطف المفرد لا يرد عليه هذا • ومن يقف ويعطف الراسخون على قوله وما يعلم تاويله عطف جملة على جملة نقول
انه تعالى يعلم انه يعلم القرآن لان من علم كتابا عظيما وقع على ما فيه • وفيه مواضع مشكلة نعلم ما في تلك المواضع بقدر
الامكان • يقال فلان يعلم الكتاب الفلاني بحيث يدرس شيئه وان كان لم يعلم مراد صاحب الكتاب بيقين وكذلك القول في تعليم القرآن
او نقول لا يعلم تاويله الا الله • واما غيره فلا يعلم من تلقاء نفسه ما لم يعلم فيكون اشارة الى كتاب الله تعالى ليس كغيره
من الكتب التي يستخرج ما فيها بقوة الذكاء ثم قال تعالى خلق الانسان علمه البيان • وفيه مباحث • الاول في وجه الترتيب وهو
على وجهين • احدهما ما ذكرنا ان المراد من علم علم الملائكة وتعلم الملائكة قبل خلق الانسان فعلم تعالى ملائكته المقربين القرآن حين
وبدل عليه قوله تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون • ثم قال تعالى تنزيل من رب العالمين اشارة الى
تنزيله بعد تعليمه • وعلى هذا ففي النظم حسن زائد وذلك من حيث انه تعالى ذكر امورا علوية وامورا سفلية في المقابلة وقدم
العلويات على السفليات الى اخر الايات فقال علم القرآن اشارة الى تعليم العلويين • وقال علمه البيان اشارة الى السفليين وقال
والشمس والقمر في العلويات ثم قال والنجم والشجر يسجدان • من السفليات ثم قال والسماء رفعها • وفي المقابلة الارض وضعها
وثانيهما ان تقدير تعليم القرآن اشارة الى كونه اتم نعمة واعم انعاما • ثم بين كيفية تعليم القرآن فقال خلق الانسان علمه البيان
الثاني ما الفرق بين هذه السورة وسورة العلق حيث قال هناك اقرأ باسم ربك الذي خلق • ثم قال وربك الاكرم الذي علم بالقلم
فقدم الخلق على العلم • نقول في تلك السورة لم يصرح بتعليم القرآن فهو كالتعليم الذي ذكره في هذه السورة بقوله علمه البيان
بعد قوله خلق الانسان • الثالث ما المراد من الانسان نقول هو الجنس • وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
آدم عليه السلام • والاول اصح نظرا الى اللفظ في خلق • الرابع ما البيان وكيف تعليمه • نقول من المفسرين من قال البيان
المنطق فعلمه ما ينطق ويفهم غيره ما عنده • فان فيه امتياز الانسان عن غيره من الحيوانات • وقوله الانسان اشارة الى تقدير
خلق جسمه الخاص • وعلمه البيان اشارة الى تميزه بالعلم • وقد خرج مما ذكرنا اولا الى ان البيان هو القرآن واعاده تفصيلا لما ذكرنا
اجمالا بقوله تعالى علم القرآن كما يقال علمته الادب حمله الى الاديب • وعلى هذا فالبيان مصدر اريد به ما فيه المصدر واطلق
البيان بمعنى القرآن قال تعالى هذا بيان للناس • وقال تعالى هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان • سمى الله تعالى القرآن فرقانا
وبيانا والبيان فرقانا بين الحق والباطل • الخامس كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح به في علم القرآن • نقول
ان قلنا المراد من قوله علم القرآن هو انه علم الانسان القرآن • فنقول عظمه بنعمة التعليم • وان قلنا علم القرآن الملائكة فان المقصود
تعديد النعم على الانسان ومطالبته بالشكر ومنعه عن التكذيب **ثم قال تعالى** الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان
وفي الترتيب وجوه • احدها ان الله تعالى لما بين عند كونه رحمانا انه اشار الى ما هو شفاء ورحمة وهو القرآن وذكر نعمه وبدأ بخلق
الانسان لانه نعمة تتم جميع النعم به ولولا وجوده لما انتفع به • ثم بين نعمة الادراك • فقوله علمه البيان وهو كالوجود اذ
لولاه لما حصل النفع والانتفاع • ثم ذكر من المعلومات نعمتين ظاهرتين هما اظهر انواع النعم السماوية وهما الشمس والقمر
ثم بين كمال نفعهما في حركتهما بحساب لا يتغير ولو كانت الشمس ثابتة في موضع لما انتفع بها احد • ولو كان سيرها غير معلوم
للخلق لما انتفعوا بالزراعات في اوقاتها وبناء الامر على الفصول • ثم بين في مقابلتهما نعمتين ظاهرتين من الارض وهو النبات
الذي لا ساق له والذي له ساق فان الرزق اصله منه • ولولا النبات لما كان للآدمي رزق الا ما شاء الله • واما كون النبات هو اصل
الرزق فلانه اما نباتي واما حيواني • ولولا النبات لما عاش الحيوان • والنبات هو الاصل وهو قسمان قائم على الساق كالحنطة
والشعير والاشجار الكبار وغيرها ولم كالبقول المنبسطة على الارض • ثانيها هو انه تعالى لما ذكر القرآن وكان هو كافيا لا يحتاج معه
الى دليل آخر قال بعده الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر وغيرهما من الايات اشارة الى بعض الناس ان لم يكن له النفس الزكية يرجع
الى الدلائل فله في الآفاق آيات منها الشمس والقمر • واما اختيارهما للذكر لان حركتهما بحسبان تدل على فاعل مختار سخرها على وجه مخصوص
ولو اجتمع في العالم من الطبيعيين والفلاسفة وغيرهم ان يثبتوا حركتهما على الامر المعين على الصوب المعين لما بلغ احد مراده الا ان يرجع
الى الحق ويقول حركهما الله تعالى كما اراد • وذكر الارض والسماء وغيرهما اشارة الى ما ذكرنا من الدلائل العقلية المؤكدة لما في القرآن
من الدلائل السمعية • وثالثها هو ما ذكرنا ان هذه السورة مفتتحة بمعجزة دالة عليها من باب الهيبة فذكر معجزة القرآن ما يكون جوابا
لمنكري النبوة على الوجه الذي نبهنا عليه • وذلك هو انه تعالى انزل على نبيه الكتاب • وارسله الى الناس باشرف خطاب فقال
بعض المنكرين كيف يمكن نزول الجرم من السماء الى الارض وكيف يصعد ما حصل في الارض الى السماء فقال تعالى والشمس والقمر
بحسبان اشارة الى حركتهما اشارة لا شك ان حركتهما بمحرك مختار اذ الحركة الدورية لا يمكن ان تكون طبيعية بل اختيارية فنقول

كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان ولم يصرح في علم القرآن

من حركة الشمس والقمر على الاستدارة اترك الحكمة على الاستقامة ثم النجم والشجر يتحركان الى فوق على الاستقامة وذلك
بقدرة الله تعالى وارادته فكذلك حركة الفلك المخلوق اما قوله بحسبان ففيه اشارة الى الجواب عن قولهم ان الرك عليه الذكر
من بيننا وذلك لانه تعالى كما اختار لحركتهما ممرا معينا وصوبا معلوما وطريقا مخصوصا كذلك اختار للملك وقتا معلوما
وممرا معينا وفي التفسير مباحث الاول ما الحكمة في تعديته على ما يرجع الى الله تعالى حيث قال بحسبان ولم يقل حركهما الله بحسبان
او سخرهما او اجراهما كما قال خلق الانسان علمه البيان نقول فيه انواع من الحكمة منها ان يكون اشارة الى ان خلق الانسان وتعليمه
البيان اتم واعظم من خلق المنافع له من الرزق وغيره حيث صرح هناك بانه فاعله وصانعه ولم يصرح هنا ومنها انه لما بينا ان قوله
والشمس اشارة الى دليل عقلي وكذا السمعي ولم نقل تعلمت صريحا اشارة الى انه معقول اذا نظرت اليه عرفت انه مني واعترفت به واما
السمعي فصرح بما يوحى اليه من العقل الثاني على اي وجه تعلق الباء بحسبان هو بين من تفسيره والتفسير ايضا من بيانه
وخرج ايضا من وجه اخر فنقول في الحسبان وجهان المشهور المراد منه الحساب يقال حسب حسابا وحسبانا والباء
للمصاحبة نقول قدمت بخير او مع خير فكذلك الشمس والقمر يجريان ومعهما حسابهما وتكون للاستعانة كقولك بعون الله
غلبت وبتوفيق الله حججت والوجه الثاني ان الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو ما يدور فيدير الحجر
وعلى هذا فهو للاستعانة كما يقال كتبت بالقلم الثالث وهو المشهور ان كل واحد يجري بحساب او كلاهما بحساب واحد
وكلاهما محتمل ان نظرنا اليهما فلكل واحد منهما حساب على حدة وان نظرنا الى الله تعالى فالكل حساب واحد اما قوله
تعالى والنجم والشجر يسجدان ففيه ايضا مباحث الاول ما الحكمة في ذكر الجمل السابقة من غير واو ومن هنا ذكرها بالواو
ونقول قسم الكلام نوعين وذلك لان من يعد النعم على الغير تارة يكون من غير حرف فيقول فلان انعم عليك من بعد كثيرا اغنا
بعد فقر اعزك بعد ذل قواك بعد ضعف واخرى يذكرها بحرف عاطف وذلك قد يكون بواو وقد يكون فا وقد يكون ثم
فتقول فلان اكرمك وانعم عليك وتقول علمك فاغناك واعطاك ثم اغناك فكذلك هنا ذكر التعديد بالنوعين
جميعا فان قيل ما الفرق بين النوعين قلنا الذي يقول بغير حرف كانه يقصد بيان النعم الكثيرة بترك الحرف ليستوعب
الكل من غير تطويل والذي يقول بحرف كانه يريد التنبيه على استقلال كل نعمة بنفسها واذهاب توهم البدل والتفسير
فان قيل ان كان الامر على ما ذكرت فلو ذكر النعم الاول بالواو عند تطويل الكلام في الاخر سردها سردا هل كان اقرب
الى البلاغة وورود كلام الله تعالى لعادة دليل على ان ما ذكره الله تعالى ابلغ نقول كلام الله تعالى له فوايد لعباده لا له
ففي هذه السورة ابتدا الامر اشارة الى بيان تمام النعمة وهو المقصود فاتى بما يختص بالكثرة ثم ان الانسان ليس بكامل
العلم ففي مرادا لمتكلم عند ما يكون المتكلم من ابنا جنسه فكيف اذا كان الكلام كلام الله تعالى فبدا الله تعالى على الغاية
الاخرى واذهاب توهم البدل والتفسير والنص على ان كل واحد منهما نعمة كاملة فان قيل اذا كان كذلك فما الحكمة
في تخصيص العطف بهذا الكلام والابتداء منه فنقول ليكون النوعان على السواء ذكر الثمانية من النعم كتعليم القران
وخلق الانسان وغير ذلك اربعا منها بغير واو واربعا بواو واما قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وقوله والحب
ذو العصف والريحان فلبيان نعمة الارض على التفصيل وفي اختيار الثمانية لطيفة وهي ان السبعة عدد كامل
والثمانية هي السبعة مع الزيادة ليكون فيه اشارة الى ان نعم الله خارجة عن حد التعديد لما ان الزيادة على الكامل
لا يكون معينا مبينا فذكر الثمانية منها اشارة الى بيان الزيادة على حد العدد لا لبيان الانحصار فيه الثاني النجم نقول
فيه وجهان احدهما النبات الذي لا ساق له والثاني نجم السما والاول اظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس
والقمر ذكر ارضيين في مقابلة سماويين اما قوله يسجدان ففيه وجوه احدها يسجدان بمعنى ظلالهما وثانيها
خضوعهما لله تعالى على الارض ودوامهما وثباتهما عليها ثالثها حقيقة السجود يوجد منهما وان لم يكن مرئية ورابعها
السجود وضع الجبهة على الارض والنجم والشجر رؤوسهما في الحقيقة على الارض لان الراس ما به الشرب والاغتذاء والشرب
والاغتذاء للنجم والشجر من جانب الارض ولان القطع من جانب الاصل يبطله بخلاف القطع من جانب الفرع وانما نقول للفروع
روس الاشجار بالنسبة الى الانسان والتشبيه به لا بطريق الحقيقة الثالث في تقديم النجم على الشجر موازنة لفظية للشمس
والقمر وامر معنوي وهو ان النجم في معنى السجود ادخل لما انه ينبسط على الارض كالساجد كما ان النجم في معنى السجود ادخل
لما انه ينبسط على الارض كالساجد كما ان الشمس في الحسبان ادخل لان حسبان سيرها ايسر عند القوم من حساب سير
القمر اذ ليس عند المقومين اصعب من تقويم القمر حسابا في الزيج ثم قال الله تعالى والسما رفعها ووضع الميزان
ورفع مقدار السما معلوم المعنى ونصبها معلوم لفظا كانه تعالى قال رفع السما فالسما بالرفع على الابتدا والعطف
على الجملة الابتدائية التي هي قوله الشمس والقمر واما وضع الميزان اشارة الى العدل وفيه لطيفة وهي انه تعالى بدا اولا
بالعلم ثم ذكر ما فيه اشرف العلوم وهو القران ثم ذكر العدل وذكر اخص الامور له وهو الميزان وهو كقوله وانزلنا

الكتاب



الكتاب والميزان فان قيل العلم نعم عظيمة واما الميزان فليس فيه من النعم العظيمة التي تستحق ان تعد في الالا نقول النفوس
تنفر من الغبن ولو في الشيء اليسير وترى ذلك استهانة به فكان العقل والعلم سبب بقا عمارة العالم فكذا العدل في الحكم واخص
الاشيا الميزان فهو نعمة كاملة ثم قال تعالى الا تطغوا في الميزان وعلى هذا قيل المراد من الميزان العدل ووضعه شرعه
كانه قال شرع الله العدل لئلا تطغوا في الميزان الذي هو آلة العدل هذا هو المنقول والاولى ان يقال الميزان الاول هو الآلة
والثاني بمعنى المصدر اي وضع الميزان لئلا تطغوا في الوزن وبمعنى العدل وهو اعطا كل مستحق حقه وكانه قال وضع الآلة
لئلا تطغوا في اعطا المستحقين حقوقهم والاطلاق لوضع الشرع والميزان للعدل جائز وقوله تعالى في الميزان واعادة
الميزان في اللفظ يدل على ان المراد منه في الموضعين شيان والا لقال الا تطغوا فيه واما الاقامة بالقسط فانه يحتمل
وجهين احدهما اقيموا بمعنى قوموا كقوله اقيموا الصلاة وثانيهما ان يكون اقيموا بمعنى قوموا والفعل قد يتعدى بحرف
الجر وقد يتعدى بزيادة الهمزة والقسط هو العدل فان قيل كيف جا قسط بمعنى جار لا بمعنى عدل نقول القسط اسم
ليس بمصدر والاسما التي لا تكون مصادر اذا اتي بها ات بمعنى اثبته يقال اعلم الثوب بمعنى جعل له علامة وعلما بمعنى اثبت
العلامة وكذلك الجم الفرس واسرج فاذا امر بالقسط فقد اقسط وهو بمعنى عدل واما قسط فهو فعل في اسم ليس بمصدر
والاسم اذا لم يكن مصدرا في الاصل فيورد عليه فعل فربما يغير عما عليه في اصله ويمكن ان يقال قسط بمعنى ازال القسط كما يقال
اعجم بمعنى ازال العجمة ونقول اظلم واعدل من ظالم وعادل فكذلك قسط ينبغي ان يكون من قاسط ثم قال تعالى ولا تخسروا الميزان
اي لا تنقصوا الموزون والميزان ذكره الله تعالى ثلاث مرات كل مرة بمعنى اخر والاول هو الآلة بمعنى وضع الميزان والثاني
بمعنى المصدر ولا تطغوا في الوزن والثالث للمفعول ولا تخسروا الموزون وذكر الكل بلفظ الميزان لما بينا ان الميزان يشمل الفائدة
والقران ذكره الله تعالى بمعنى المصدر في قوله تعالى فاتبع قرآنه وبمعنى المقروء في قوله ان علينا جمعه وقرآنه وبمعنى الكتاب
الذي فيه المقروء في قوله ان علينا جمعه وقرآنه وبمعنى الكتاب الذي فيه المقروء وفي قوله ولو ان قرآنا سيرت به وكانه اليه اشار
لذا في قوله تعالى اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وفي كثير من المواضع ذكر القران لهذا الكتاب الكريم وبين القران
والميزان مناسبة فان القران فيه من العلم ما لا يوجد في غيره من الكتب والميزان فيه من العدل ما لا يوجد في الغير من الالات
فان قيل ما الفائدة في تقديم السما على الفعل حيث قال والسما رفعها وتقديم الفعل على الميزان حيث قال ووضع الميزان نقول
انه تعالى لما عد النعم الثمانية كما بينا وكان بعضها اشد اختصاصا بالانسان من بعض فما كان شديد الاختصاص بالانسان
قدم فيه الفعل لكنه كما بينا ان الانسان يقول اعطيتك الالوف وحصلت لك العشرات فلا تصرح في التعليب باسناد الفعل الى نفسه
كذلك تقول في النعم المختصة اعطيتك كذا ووصل اليك كذا انما اقتسموه بينكم كذلك يصرح بالاعطا عند الاختصاص ولا يسند
الفعل الى نفسه عند التشريك فكذلك هاهنا ذكر امورا اربعة بتقديم اسم الفعل ثم قال تعالى علم القران خلق الانسان علمه البيان
وذكر امورا اربعة بتقديم الاسم فقال الشمس والقمر والنجم والشجر والسما رفعها والارض وضعها فالاربعة المتقدمة نفعها
الى الانسان اعود واختصاصها به اظهر والاربعة المتاخرة ليست كذلك بل نفعها عائد الى سائر الحيوانات ثم قال تعالى والارض
وضعها للانام وفيه مباحث الاول قد ذكرنا ان تقديم الاسم على الفعل كان في مواضع عدم الاختصاص وقوله للانام يدل
على الاختصاص والجواب من وجهين احدهما ما قيل ان الانام يجمع الانسان وغيره من الحيوان فلا يوجب الاختصاص
بالانسان وثانيها ان الارض موضوعة لكل ما عليها وانما خص الانسان بالذكر لان انتفاعه بها اكثر فانه ينتفع بها
وبما فيها وبما عليها ثم قوله تعالى فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام اشارة الى الاشجار والحب ذو العصف اشارة الى النبات
الذي ليس بشجر والفاكهة ما يطيب النفس ثم صار اسما لبعض الثمار والتنكير فيها للتكثير اي كثيرة وكان القائل
يشير الى انه عظيم لا يحيط به كل احد وقوله تعالى والنخل ذات الاكمام اشارة الى النوع الاخر من الاشجار لان الاشجار المثمرة
افضل الاشجار وهي منقسمة الى اشجار ثمارها فواكه لا اقوات فيها والى اشجار ثمارها فواكه وقوت بها وفيه مباحث الاول
ما الحكمة في تقديم الفاكهة على القوت نقول هو من الابتدا بالادنى والارتقا الى الاعلى والفاكهة دون النخل الذي منه القوت
والتفكه وهو دون الحب الذي عليه المدار في سائر المواضع الثاني ما الحكمة في تنكير الفاكهة وتعريف النخل والجواب من وجوه
منها ان القوت محتاج اليه في كل زمان معتاد اولا في كل حين وان لم يعرف والفاكهة تكون في بعض الازمان وعند بعض
الاشخاص وبه يتغذا الانام في سائر البلاد فبدا بالفاكهة ثم ذكر النخل ثم ذكر الحب الذي هو اتم نعمة لموافقته مزاج الانسان ولهذا
خلقه الله في سائر البلاد وخص النخل بالبلاد الحارة ومنها هو ان الفاكهة على ما بينا ما يتفكه به وتطيب به النفوس وذلك
عند كل احد شي في وقت فمن غلب عليه حرارة وعطش يريد التفكه بالحامض وامثاله ومن الناس من يريد التفكه بالحلو واما
فالفاكهة غير مستغنى عنها والنخل والحب معتادان معلومان وثالثها النخل ومنها ان النخل وحده نعمة عظيمة تتعلق بها
منافع كثيرة واما الفاكهة فنوع منها كالخوخ والاجاص مثلا ليس فيه عظم النعمة كما في النخل فقال فاكهة بالتنكير ليدل على

واقيموا الوزن بالقسط

اعطيتك الالوف وحصلت لك العشرات

موخر

مقدم

الكثرة وقد صرح بالكثرة في مواضع اخر فقال يدعون فيها بفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة فالفاكهة ذكرها الله
تعالى ووصفها بالكثرة صريحا وذكرها منكرة لتحمل على غير موصوفة بالكثرة لا بقصور النعمة في النوع الواحد منها بخلاف النخل والله اعلم
الثالث ما الحكمة في ذكر الفاكهة باسمها لا باسم اشجارها وذكر النخل باسمها لا باسم ثمارها نقول قد تقدم بيانه في سورة يس حيث
قال تعالى من نخيل واعناب وهي ان شجرة العنب بالنسبة الى ثمرها حقيرة وشجرة النخل بالنسبة الى ثمرها عظيمة
وفيها الفوائد الكثيرة وفيها الفوائد الكثيرة على ما عرف من اتخاذ الظروف منها والانتفاع بجمارها وبالطلع والبسر والرطب
وغير ذلك فثمرتها في اوقات مختلفة بانواع مختلفة فهي اتم نعمة بالنسبة الى الغير من الاشجار الرابع ما معنى ذات الاكمام نقول
فيه وجهان احدهما الاكمام كل ما يغطي جمع كم بضم الكاف ويدخل فيه لحاها وليفها وامراها والكل منتفع به كما ان النخل منتفع
بها ثانيهما الاكمام جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الطلع فانه في وعاء فينشق ويخرج منه الطلع ثم قال تعالى والحب ذو العصف
والريحان فاخص من الاشجار على النخل لانها اعظمها ودخل في الحب القمح والشعير وكل حب يقتات بخبزه او يؤدم به وقد بينا
انه اخر في الذكر على سبيل الارتقاء درجة فدرجة فالحبوب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن وقوله تعالى ذو العصف
فيه وجوه احدها التبن الذي ينتفع به دوابنا التي خلقت لنا ثانيها اوراق النبات التي لها ساق كاوراق السنبلة ثالثها
العصف ورق ما يؤكل فحسب والريحان فيه وجوه احدها قيل ما يشم وقيل الورق وقيل الريحان المعروف نوره يقع في
الادوية والاظهر ان راسها كالزهر وهو اصل المقصود فان لذلك يكون الحب ينعقد الى ان يدرك والعصف اشارة
الى ذلك الورق والريحان الى ذلك الزهر وقرئ الريحان بالجر معطوفا على العصف وبالرفع عطفا على الحب ويحتمل وجهين
احدهما ان يكون المراد من الريحان المشموم فيكون امرا مغايرا للحب فيعطف عليه والثاني ذو الريحان بحذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه وهذا مناسب للمعنى الذي ذكرنا ليكون الريحان الذي ختم انواع النعم الارضية اعز واشرف ثم قال تعالى فباي
آلاء ربكما تكذبان وفيه مباحث الاول الخطاب مع من فيه وجوه الاول الانس والجن وفيه ثلاثة اوجه منها الانام اسم للجن والانس
وقد سبق فعاد الضمير الى ما في الانام من الجنس ومنها الانام اسم الانسان والجان مضمر من بعد بدليل قوله والجان خلقناه
من قبل من نار السموم وقد جاء عود الضمير اليه ومنها ان يكون المخاطب في النية لا في اللفظ كانه قال فباي آلاء ربكما تكذبان ايها
الثقلان الثاني الذكر والانثى فعاد الضمير اليهما والخطاب معهما الثالث المراد فباي آلاء ربك تكذب للتاكيد فذكر بلفظ
واحد والمراد التكرار للتاكيد والرابع المراد العموم لكن العام يدخل فيه قسمان كما اذا قلت انه تعالى خلق من يعقل ومن لا يعقل
مثلا فكانه قال يا ايها القسمان فباي واعلم ان العام ينقسم اولا الى قسمين مثلا فاشار الى القسمين تنبيها على انه ليس لاحد ان
يكفر نعم الله الخامس التكذيب قد يكون بالقلب دون اللسان كما في المنافقين وقد يكون باللسان دون القلب كما في المعاندين
وقد يكون بهما جميعا فالمكذب لا يخرج عن ان يكون باللسان او بالقلب فكانه تعالى قال يا ايها القلب واللسان فباي
آلاء ربكما تكذبان السادس المكذب كذب بالرسول والدلائل السمعية التي في القرآن ومكذب بالعقل والبراهين التي في
الآفاق والانفس كانه قال يا ايها المكذبان فباي آلاء ربكما تكذبان وقد ظهر آيات الرسالة فان الرحمن علم القرآن وآيات التوحيد
فانه تعالى خلق الانسان وعلمه البيان السابع المكذب قد يكون مكذبا بالعقل والتكذيب منه واقع لكنه متوقع فان الله
تعالى قال يا ايها المكذب تكذب وهذه الوجوه قريبة بعضها من بعض والظاهر منها الثقلان لذكرهما في الآيات من هذه
السورة الثاني ما الحكمة في الخطاب ولم يسبق ذكر مخاطب نقول هو من باب الالتفات ومبنى افتتاح السورة على الخطاب
مع كل من يسمع فكانه لما قال الرحمن علم القرآن قال اسمعوا ايها السامعون فالخطاب للتقريع والزجر كانه تعالى نبه
الغافل المكذب كانه يفرض نفسه كالواقف بين يدي ربه يقول ربه انعمت عليك بكذا وكذا ثم يقول فباي آلاء ربك تكذب
فلا شك انه عند هذا يستحيي استحياء لا يكون عند الغيبة الثالث ما الفائدة في اختيار لفظة الرب ولو قال فباي آلاء
ربكما تكذبان لكان يكفي نقول في السورة المتقدمة قال كذبت ثمود بالنذر وكذبت قوم لوط بالنذر فذوقوا لكذبوا باياتنا وقال
فاخذناهم وقال كيف كان عذابي ونذر وكلها بالاسناد الى ضمير المتكلم حيث كان ذلك التخويف ولما كان الاسناد الى النفس
في تلك السورة عند الاهلاك ذكر في هذه السورة عند بيان الرحمة لفظا يزيل الهيبة وهو لفظ الرب الرابع ما الحكمة
في تكرير هذه الآية احدى وثلاثين مرة نقول الجواب عنه من وجوه الاول ان فائدة التكرير التقرير واما في هذا
العدد فالاعداد توقيفية لا نطلع على تقدير المقدرات باذهان الناس وسياتي في آية كلامه تعالى في تفسير السورة
الثاني انه تعالى ذكر في السورة المتقدمة فكيف كان عذابي ونذر اربع مرات مرة لبيان ما في الكلام من المعنى وثلاث
مرات للتقرير والتكرير والثلاث والسبع من بين الاعداد فوائد ذكرناها في قوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
فلما ذكر العذاب ثلاث مرات ذكر الآلاء احدى وثلاثين مرة مرة لبيان ما فيه من المعنى وثلاثين مرة للتقرير لتكون الآلاء مذكورة
اضعاف عشر مرات ذكر العذاب اشارة الى معنى قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها الثالث ان ثلاثين مرة تكرر بعد البيان



في المرة الاولى لان الخطاب مع الجن والانس والنعم منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود لكن اعظم المكروهات عذاب جهنم ولها
سبعة ابواب واتم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية ابواب فغلق الابواب السبعة وفتح الابواب الثمانية جميعه من نعمة فاذا
عد تلك النعم بالنسبة الى جنسي الجن والانس يبلغ ثلاثين مرة وهي مرات التكرير للتقرير والمرة الاولى لبيان فائدة الكلام ومنهم
من قال هذا ضعيف لان الله تعالى ذكر نعم الدنيا والآخرة وما ذكره اقتصار على بيان نعم الآخرة الرابع هو ان ابواب
النار سبعة والله تعالى ذكر سبع آيات تتعلق بالتخويف من النار من قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان الى قوله يطوفون
بينها وبين حميم آن ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك الجنة حيث قال ولمن خاف مقام ربه جنتان ولكل جنة ثمانية ابواب تفتح
كلها للمتقين وذكر من اول السورة الى ما ذكرنا من التخويف ثمان مرات فباي آلاء ربكما تكذبان سبع مرات للتقرير بالتكرير والمرة
الواحدة لبيان المعنى ثم قال تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار وفي الصلصال وجهان احدهما هو بمعنى المسنون
من صل اللحم اذا نتن ويكون الصلصال حينئذ من الصلول وثانيهما من التصليل يقال صل الحديد صليلا اذا حدث منه
صوت وعلى هذا فهو الطين اليابس الذي يقع بعضه على بعض فيحدث فيما بينهما صوت او هو الطين اللازب الحر
الذي اذا التصق بالشيء ثم انفصل عنه دفعة سمع منه عند الانفصال صوت فان قيل الانسان اذا خلق من الصلصال
كيف ورد في القرآن انه خلق من التراب وقد ورد انه خلق من الطين ومن حمإ ومن ماء مهين الى غير ذلك نقول اما
قوله من تراب مادة ومن ماء مهين اخرى فذلك باعتبار شخصين آدم خلق من صلصال ومن حمإ واولاده خلقوا من ماء ولولا
خلق آدم لما خلق اولاده فيصح ان يقال زيد خلق من تراب لان اصله الذي هو جده خلق منه واما قوله من طين لازب ومن حمإ
وغير ذلك اشارة الى ان آدم عليه السلام خلق اولا من التراب ثم صار طينا ثم حمأ مسنونا ثم لازبا فكانه خلق من هذا
ومن هذا ومن ذاك ومن ذلك ثم قال تعالى وخلق الجان من مارج وفي الجان وجهان احدهما هو ابو الجان كما ان الانسان المذكور
هو ابو الانس وهو آدم والثاني هو الجن نفسه فالجان والجن وصفان من باب واحد ونقول الجن اسم الجنس والجان مثل الصفة
وفيه بحث وهو ان العرب تقول جن الرجل ولا يعلم له فعل ولعل ذلك من الجان فهو مجنون فلا يذكر الفاعل لعدم العلم به والمراد
من الجان ابوهم كما ان المراد من الانسان ابونا آدم من صلصال ومن بعده خلق من صلبه كذلك الجن خلق من نار ومن بعده خلق من مارج والمارج
المختلط ثم فيه وجهان احدهما المارج هو النار المشوبة بالدخان والثاني النار الصافية فان قيل المقصود تعديد النعم
على الانسان فما وجه بيان خلق الجان الجواب من وجوه احدها ما بينا ان قوله ربكما خطاب مع الانس والجن وثانيها
بيان فضل الله تعالى مع الانسان حيث بين انه خلق من اصل كثيف كدر وخلق الجان من اصل لطيف فانه اذا نظر الى اصله علم
انه ما نال الشرف الا بفضل الله وثالثها ان الآية مذكورة لبيان القدرة لا لبيان النعمة ثم قال تعالى رب المشرقين ورب المغربين
وفيه وجوه اولها مشرق الشمس والقمر لانه تعالى لما قال والشمس والقمر بحسبان ذكر ان لهما مشرقين ومغربين الثاني
مشرق الشتاء ومشرق الصيف الثالث اشارة الى النوعين الحاضرين كما بينا ان كل شيء فانه ينحصر في قسمين فكانه قال رب المشرق
للشمس ومشرق غيرها فهما مشرقان ثم قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وفيه مباحث الاول في تعلق
الآية بما قبلها فنقول لما ذكر الله تعالى المشرق والمغرب وهما حركات في الفلك يناسب ذلك ذكر البحرين لان الشمس والقمر
في فلك يسبحون فذكر البحرين عقيب المشرقين والمغربين ولان المشرقين والمغربين فيهما اشارة الى البحر لانحصار البر والبحر
بين المشرق والمغرب الثاني مرج اذا كان متعديا بمعنى خلط وما يقرب منه الثالث في البحرين وجوه احدها بحر السماء
وبحر الارض الثاني البحر الحلو والبحر المالح قال الله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وثالثها ما ذكرنا في
المشرقين في تكذبان انه اشارة الى النوعين الحاضرين يدخل فيه بحر السماء وبحر الارض والبحر العذب والبحر المالح ورابعها ان الله تعالى
خلق في الارض بحارا يحيط بها الارض وبعض جزائرها تحيط الارض وخلق بحرا محيطا بالارض وعليه الارض واحاط به الهواء
كما قاله اصحاب الهيئة وهذه البحار التي في الارض لها اتصال بالبحر المحيط ثم انهما لا يبغيان على الارض لانهما لا يعطيانها
لتكون الارض بارزة يتخذها الانسان مكانا وعند النظر الى امر الارض يحار الطبيعي ويتلجلج في الكلام فان عنده موضع الارض
بطبعه ان يكون في المركز ويكون الماء محيطا بجميع جوانبه ثم اذا قيل له كيف ظهر الارض من الماء ولم لم ترسب يقولون بانجذاب
انجذابات الى بعض جوانبها فاذا قيل لهم لماذا انجذب فالذي يكون عنده قليل من الحق يرجع الى الحق ويجعله بارادة الله تعالى
والذي يكون عديم العقل يجعله بالكواكب واجتماعها واختلاف مقابلاتها وينقطع في كل مقام مرة بعد اخرى الى ان يرجع الى الحق
واعلم ان الماءين في طبعهما السيلان والالتقاء والبرزخ قدرة الله تعالى التي منعتهما وفيه اشارة الى مسئلة حكمية وهي ان الحكماء
اتفقوا على ان الماء له حيز واحد ينجذب بعضه الى بعض كاجزاء الزئبق غير ان عند الحكماء المحققين ذلك باجراء الله تعالى ذلك
عليه وعند المدعي له ذلك بطبعه فقوله يلتقيان اي من شانهما ان يكون مكانهما واحدا ثم انهما بقيا في مكانين متميزين
فذلك برهان القدرة والاختيار ثم قال تعالى بينهما برزخ لا يبغيان اشارة الى ما ذكرنا من منعهما اياهما من الجريان على

عادتهما والبرزخ الحاجز وهو قدرة الله تعالى وفيه وجهان احدهما هو من البغى اى لا يظلم احدهما على الاخر والثانى
لا يبغيان شيئا اصلا ثم قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وفيه مباحث الاول قرئ يخرج من خرج ويخرج من اخرج بفتح
الراء على الوجهين فاللؤلؤ والمرجان مرفوعين ويخرج بكسر الراء يخرج الله ويخرج بالنون المضمومة وعلى القراءتين بنصب
اللؤلؤ والمرجان واللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره وقيل المرجان هو الحجر الاحمر الثانى اللؤلؤ لا يخرج الا من المالح
فكيف قال منهما والجواب عنه من وجوه احدها ان ظاهر كلام الله تعالى اولى بالاعتبار من كلام بعض الناس الذى
لا يوثق بقوله ومن علم ان اللؤلؤ لا يخرج من الماء العذب وهب ان الغواصين ما اخرجوه الا من المالح ولكن لم قلتم ان الصدف
لا يخرج بامر الله الا من الماء العذب والماء المالح وكيف يمكن الجزم به والامور الارضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا
المفاوز وداروا البلاد فكيف لا يخفى امر ما فى قعر البحر عليهم الثانى ان نقول ان صح قولهم لا يلزمه من هذا ان لا يوجد فى الغير
وثانيها ان صح قوله انه لا يخرج الا من البحر المالح فنقول فيه وجوه احدها ان الصدف لا يتولد فيه اللؤلؤ الا من المطر
وهو بحر السماء وثانيها انه يتولد فى ملتقاهما ثم يدخل الصدف فى المالح عند انعقاد الدر فيه طلبا للملوحة كالحامل التى تتوحم فى
اوايل الحمل وثالثها ان ما ذكرتم انما كان يرد ان لو قال يخرج من كل واحد منهما فاما على قوله يخرج منهما لا يرد الخارج من احدهما
مع ان احدهما منهما خارج كما قال تعالى وجعل القمر فيهن نورا الثالث اى نعمة عظيمة فى اللؤلؤ والمرجان حتى يذكرهما الله
تعالى فى القران نقول النعم منها خلق الضرورى كالارض ولولا الارض لما امكن وجود التمكن وكذلك الرزق الذى به
[illegible]

عليه بقوله وهى موج كالجبال الخامس فى جمع الجوارى وتوحيد البحر وجمع الاعلام فائدة عظيمة وهى انه لما اشارة الى عظمة الجوارى
ولو قال فى البحار لكانت كل جارية فى بحر فيكون البحر دون بحر يكون فيه الجوارى التى هى كالجبال واما اذا كان البحر واحدا وفيه
الجوارى التى هى كالجبال يكون ذلك البحر عظيما وساحله بعيدا فيكون الانجا بقدرة كاملة ثم قال تعالى كل من عليها فان
وفيه وجهان احدهما وهو الصحيح ان الضمير عايد الى الارض لانها معلومة وان لم تكن مذكورة قال الله تعالى ولو
يؤاخذ الله الناس بما كسبوا الاية وعلى هذا فله ترتيب فى غاية الحسن وذلك لانه تعالى لما قال الجوارى المنشآت اشارة
الى ان كل احد يعرف ويجزم بانه اذا كان فى البحر فروحه وجسمه وماله فى قبضة قدرة الله فاذا خرج الى البر ونظر الى الثبات
الذى للارض والتمكين الذى له فيها ينسى امره فذكره وقال لا فرق بين الحالتين بالنسبة الى قدرة الله تعالى ولو امعن العاقل
النظر لكان رسوب الارض الثقيلة فى الماء الذى غلبة الى العقل من رسوب الفلك الخفيفة فيه الثانى ان الضمير عايد الى
الجارية كانه تعالى قال الجوارى ولا شك فيه اذ كل من فيها الى الفنا اقرب فكيف يمكنه انكار كونه فى ملك الله تعالى وهو لا
يملك لنفسه فى تلك الحالة نفعا ولا ضرا وقوله تعالى ويبقى وجه ربك والجلال يدل على ان الصحيح الاول وفيه مباحث
الاول من للعقلاء وكل ما على وجه الارض مع الارض فان قلتم الاختصاص بالعقلاء فنقول المنتفع بالتخويف هو العاقل
فخصه الله تعالى بالذكر الثانى هو الذى فنى وكل من عليها سيفنى فهو بعد ليس بفان فهو باق نقول هو كقوله انك ميت
والثانى ان وجود الانسان عرض وهو غير باق اما البقا فلا بقا له لان البقا استمرار ولا يقال بالمذهب الباطل الذى هو
القول بان الجسم لا يبقى زمانين كما قيل فى العرض والاعراض غير باقية فالمجموع لم يبق كما كان وانما الباقى احد جزئيه وهو الجسم
وليس يطلق عليه بطريق الحقيقة لفظة من والفانى ليس لمن عليها ومن عليها ليس بباق الثالث ما الفايدة فى بيان انه
تعالى فان نقول بيان فيه معنى الحث على العبادة وصرف الزمان اليسير الى الطاعة ومنها المنع من الوقوف بما يكون
الماقل لا يقول اذا كان فى نعمة انها لن تذهب ومنها انه كان فى ضر فلا يكفر بالله معتمدا على ان الاجر ذاهب والضرر زايد
ومنها ترك اتخاذ الغير معبودا والزجر عن الاغترار بالقرب من الملوك وترك التقرب الى الله تعالى فان امرهم الى الزوال
قريب ومنها حسن التوحيد وترك الشرك الظاهر والخفى لان الفانى لا يصلح لان يعبد ثم قال تعالى ويبقى وجه ربك وفيه
مباحث الاول الوجه يطلق على الذات والمجسم يحمل الوجه على العضو وهو خلاف العقل والنقل اعنى القران لان قوله
تعالى كل شيء هالك الا وجهه يدل على انه لا يبقى الا وجه الله وعلى القول الحق لا اشكال فيه لان المعنى لا يبقى غير حقيقة الله
اى غير ذات الله شيء وهو كذلك وعلى قول المجسمة يلزم ان لا تبقى يده التى اثبتها ورجله التى قال بها لا يقال فعلى قولكم يلزم
ان لا يبقى شيء من الصفات لان الذات غير الصفات نقول الجواب عنه بالعقل والنقل اما العقل فذلك بذكره فى غير
هذا الموضع واما النقل فهو ان القايل يقول لم يبق لفلان الا ثوب يتناول الثوب وما قام به من اللون والطول
والعرض واذا قال لم يبق الا كمه لا يدل على بقا جيبه وذيله فكذلك يبقى ذات الله تتناول صفاته واذا قال لا يبقى غير
وجهه بمعنى العضو ويلزمه ان لا يبقى يده الثانى ما السبب فى حسن اطلاق الوجه على الذات نقول انه ماخوذ من
عرف الناس فان الوجه يستعمل فى العرف لحقيقة الانسان الا ترى ان الانسان اذا راى وجه غيره يقول رايته وانا
راى غيره وجهه من البيوت الرجل مثلا لا يقول رايته ثم نقل الى غيره من الاجسام ثم نقل الى ما ليس بجسم تعالى فى الكلام
هذا وجه حسن هذا وجه ضعيف وقول من قال ان الوجه من المواجهة كالمسطور فى البعض من الكتب الفقهية
فذلك فاسد لان الامر على العكس الثالث لو قال ويبقى ربك او الله او غيره لحصلت الفايدة من غير توهم ما هو ابتداع
نقول لو كان يقوم مقام الوجه لفظ اخر ولا وجه فيه الا ما قاله الله تعالى فعلهم المثل لان ساير الاسما المعروفة لله تعالى اسما الفاعل
كالرب والله وعند البعض بمعنى المفعول فلو قال ويبقى ربك ولقولنا ربك معنيان عند الاستعمال احدهما
ان يقول شيء من ربك وثانيهما ان يقال يبقى ربك مع انه خالد البقاء ربك فيكون المربوب فى ذلك الوقت وكذلك لو قال
يبقى الخالق والرازق وغيرهما الرابع ما الحكمة فى لفظ الرب واضافة الوجه اليه وقال فى مواضع اخر فاينما تولوا
فثم وجه الله وقال تريدون وجه الله نقول فى الموضعين المذكور هو العبادة فى الاول هو الصلاة وفى الثانى
هو الزكاة قال الله تعالى فات ذا القربى حقه والمذكور فى هذا الموضع النعم فقال وجه ربك الخامس الخطاب بقوله ربك
مع من نقول الظاهر انه مع كل سامع كانه يقول وجه ربك ايها السامع ويحتمل ان الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم
فان قيل فكيف قوله فباى الاء ربكما تكذبان خطاب مع الاثنين وقال وجه ربك خطاب مع الواحد نقول عند قوله
ويبقى وجه ربك وقعت الاشارة الى كل احد وبقاء الله فقال ويبقى وجه ربك ايها السامع لا تسقطت لاحد غير الله
فان من عداه فان فان قلت ويبقى وجه الرب من غير خطاب كان ادل على فنا الكل نقول كاف الخطاب فى الرب
اشارة الى اللطف والافنا اشارة الى القهر والموضع بيان اللطف وتعديد النعم فلهذا قال بلفظ الرب فلم يترك

والمجسم يحمل الوجه على العضو وهو خلاف العقل والنقل

الخطاب • وفي لفظ الرب عادة جارية وهي انك لا تترك استعماله مع الاضافة • فالعبد يقول ربنا اغفر لنا ربنا اغفر
لي • والله تعالى يقول ربكم ورب آبائكم الاولين ورب العالمين • وحيث ترك الاضافة ذكر مع صفة اخرى حيث قال تعالى
بلدة طيبة ورب غفور • ولفظ الرب يحتمل ان يكون مصدرا • يقال ربه الرب يربه ربا وان كان نعوا صفا من الرب
الذي هو مصدر بمعنى الراب كالطب للطبيب • السادس الجلال اشارة الى كل صفة هي من باب النفي كقولنا ليس بجسم ولا
جوهر ولا عرض • ولهذا يقال جل ان يكون محتاجا • وجل ان يكون عاجزا • فالجلال معناه العظمة في الحقيقة لكن بحسب
العلو والفوقية في الاصل • والاكرام اشارة الى كل صفة من باب الاثبات • كقولنا حي عالم قادر • واما السميع البصير
فانهما من باب الاثبات عند اهل السنة • وعند المعتزلة من باب النفي • والجلال والاكرام وصفان مرتبان على امرين
سابقين • فالجلال مرتب على فنا الغير والاكرام على ابقائه • وقرئ ذو الجلال وذي الجلال • ثم قال تعالى يسأله من
في السموات والارض كل يوم هو في شان • وفيه وجهان • احدهما انه حال تقديره يبقى وجه ربك • والثاني
ابتدا كلام • وفيه مباحث • الاول فاذا سأله السائلون يجوز ان يكون سؤال الاستعطاء فيسأله كل احد ما يحتاج اليه
في دينه ودنياه • ويحتمل ان يكون سؤال الاستعلام اي عنده علم الغيب لا يعلمه الا هو فكل احد يسأل عن عاقبة امره
وعما فيه صلاحه وفساده • ويحتمل ان يكون سؤال استخراج امر • وقوله تعالى من في السموات ومن في الارض من الملئكة
يسألونه كل يوم • ويقولون يا الهنا ما نفعل وماذا تأمرنا • الثاني هو عايد الى من نقول الظاهر المشهور انه عايد
الى الله تعالى وعليه اتفاق المفسرين • ويدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن ذلك الشان فقال
يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع من يشا ويضع من يشا • ويحتمل ان يكون عايدا الى يوم القيمة اي يقع سؤالهم في كل يوم وهو
بيان ان يكون جملة وصف بها يوم القيمة وهو نكرة كما يقال يسألني فلان كل يوم وهو يوم راحتي يسألني ايام الراحة وهو
في شان يكون صفة مميزة للايام التي فيها شان عن اليوم الذي قال الله تعالى فيه لمن الملك اليوم فانه في ذلك اليوم يكون هو
السايل وهو المجيب ولا يسأله في ذلك اليوم لانه ليس يوما هو في شان يتعلق بالسائلين من الناس وغيرهم فالله تعالى
جعل بعض الايام موسومة بسوم يتعلق بالخلق من مغفرة الذنب والتفريج عن المكروب فقال الله تعالى من في السموات
والارض في تلك الايام التي في ذلك الشان • وجعل بعضها موسومة بان لا داعي فيها ولا سايل • وكيف لا نقول بهذا
ولو تركنا كل يوم على عمومه لكان كل يوم فيه فعل وامر وشان فيفضي الى القول بالقدم والدوام اللهم الا ان يقال عام دخله
التخصيص كقوله تعالى واوتيت من كل شي وقدر على كل شي • الثالث يعلق المشهور كون الله تعالى في شان • وقد جف القلم
بما هو كائن • نقول فيه اجوبة منقولة في غاية الحسن واجوبة معقولة • اما المنقولة فقيل المراد سوق المقادير الى المواقيت
ومعناه ان القلم جف بما يكون في كل يوم وقد فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيه فيوجد • وقيل يولج الليل
في النهار الاية وهو ماخوذ من قوله عليه السلام يغفر ذنبا ويفرج كربا • والمعقولة فهي ان نقول هذا بالنسبة الى الخلق
ومن ناله من السموات والارض لانه تعالى حكم بما اراد وقضى وابرم في حكمه وامضى غير ان حكمه يظهر كل يوم ولا يمكن
ان يحيط علم خلقه بما احاط به علمه فيسأله الملئكة كل يوم كما مر • الثاني هو ان الفعل يتحقق بامرين من جانب الفاعل بامر
خاص من جانب المفعول في بعض الامور ولا يمكن غيره • وعلى وجه يختاره الفاعل من وجوه متعددة • مثال الاول تحريك
الساكن لا يمكن الا بازالة السكون • والاتيان بالحركة عقيبه • ومثال الثاني تسكين الساكن فانه يمكن مع ابقاء السكون
فيه ومع ازالة عقيبه من غير فصل اذا عرفت هذا فالله تعالى خلق الاجسام الكثيرة في زمان واحد • وخلق فيها صفات
مختلفة في غير ذلك الزمان • فمن خلقه فقيرا في زمان لم يكن خلقه غنيا في غير ذلك الزمان • وهذا ظاهر ولا يظن انه
يلزم منها العجز فان عدم القدرة على اجتماع الضدين لا يكون عجزا على من يريد ان يفعل ذلك فهو معنى قوله تعالى كل يوم
هو في شان وهو المراد من قول المفسرين اغنى فقيرا او افقر غنيا • واعز ذليلا واذل عزيزا الى غير ذلك • واعلم
ان الله تعالى يوصف بكونه لا يشغله شان عن شان معناه ان الشان الواحد لا يصير مانعا له تعالى عن شان آخر
كما ان يكون مانعا لنا ونوجد منه تعالى من الافعال ما لا يحصل ولا يحصى في آن واحد اذا عرفت هذا فقد فات
التحقيق في قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان • ولنذكر اولا ما قيل فيه تبركا باقوال السلف • ثم نحققه بالبيان فنقول
اختلف المفسرون فيه واكثرهم على المراد سنقصدكم بالفعل وقال بعضهم خرج مخرج التهديد على ما هي عادة الناس فان
السيد يقول لعبده سافرغ لك ويكون فارغا جالسا لا يمنعه شغل • والتحقيق فيه هو ان عدم الفراغ عبارة عن ان
يكون الفاعل في فعل لا يمكن معه فعل آخر كالذي يحرك جسما لا يمكن تسكينه في ذلك الزمان فهو ليس بفارغ للتسكين ولكن
لا يقال في مثل هذا الزمان انا مشغول بالتحريك عن التسكين • ثم الفراغ في الاصل بمعنى الخلو لكنه ان كان في المكان يتسع
لمكان آخر • وان كان في الزمان يتسع لفراغ يطلق على خلو المكان ولكون المكان محسوسا على خلاف الزمان • ويقال فلان في

مرتبان

فيفضى

زمان كذا



زمان كذا لانه هو المحسوس لا الزمان • وقوله تعالى سنفرغ لكم استعمال لا بملاحظة الاصل فقوله لكم على ملاحظة الاصل وهو يقوي
ما ذكرنا ان المانع ليس بالنسبة الى الفاعل بل الى الفعل • واما ان نقول الحكمة في نداء المبهم والاتيان بالوسيط بعد ان الحكمة ان المنادي
يريد صون كلامه عن الضياع فيقول اولا يا ايها اي نداء المبهم ليقبل عليه كل احد يسمع ثم عند الاقبال يخصص المقصود فيقول
الرجل فالتزم فيه امرين احدهما الوصف المعرف بالالف واللام او باسم الاشارة يخصص يا ايها الرجل ويا هذا الان لا اعرف منه
هو العلم وبين العلم الواقع على كل جنس والعلم للتمييز عن كل شخص متباعد • وثانيهما توسط التنبيه بينه وبين الوصف
لان الاصل في اي الاضافة لما انه في غاية الابهام فيحتاج الى التمييز وقوله الثقلان المشهور ان المراد الجن والانس • وفيه وجوه
احدها انهما سميا بذلك لكونهما مثقلين بالذنوب • الثاني لكونهما ثقيلين على وجه الارض فان التراب وان لطف في الخلق فلم يخرج
عن كونه ثقيلا • والنار وان تلطفت في الاصل فقد تكيفت في الخلق في الجن تكثيرا • ثالثها الثقيل احدهما لا غير وسمي الآخر به
للمجاورة كما يقال العمران والقمران ويحتمل ان المراد العموم بالنوعين الحاضرين فنقول يا ايها الثقيل الذي هو كذا والثقيل الذي ليس
كذا • والثقل الآخر العظيم قال عليه الصلاة والسلام اني تارك فيكم الثقلين ثم قال تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا • وفيه مباحث • الاول في وجه الترتيب وحسنه وذلك لانه تعالى لما قال
سنفرغ لكم ايها الثقلان بين انه لم يكن له شغل فكان قايلا قال فلم كان التاخر اذا لم يكن شغل مانع فقال المستعجل يستعجل لما يخاف
فوات الامر بالتاخير • واما للحاجة في الحال • واما لمجرد الاختيار والارادة على وجه التاخير فقوله كل من عليها فان ويبقى وجه
ربك لانه يبقى بعد فنا الكل لا يحتاج الى شي فبين عدم الخوف من الفوات • وقال لا يفوتون ولا يقدرون على الخروج من السموات
والارض ولو امكن خروجهم لما خرجوا عن ملك الله تعالى فاخذهم اين كانوا • وكيف كانوا • الثاني المعشر الجماعة العظيمة وتحقيقه
هو ان العشرة العدد الكامل الكبير الذي لا عدد بعده الا بتركيب يبتدأ ما قبلها حيث تعيد الآحاد • ونقول احد عشر واثنا عشر
وعشرون وثلاثون الى ثلاث عشرات فالمعشر كانه محل العشر الذي هو الكثرة الكبيرة الكاملة • الثالث هذا الخطاب في
الدنيا او في الآخرة • نقول انه في الآخرة فان الجن والانس يريدون الفرار من العذاب فيجدون سبعة صفوف من الملئكة
محيطين باقطار السموات والارض • والاول لما ذكرنا انه عام بمعنى لا مهرب ولا مخرج لكم غير الله تعالى • الرابع ما الحكمة
في تقديم الجن على الانس هنا • وتقديم الانس على الجن في قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن • نقول النفوذ من اقطار السموات
والارض بالجن اليق ان امكن والاتيان بمثل القرآن بالانس اليق ان امكن فقدم في كل موضع ما يليق به • الخامس ما معنى لا
تنفذون الا بسلطان نقول انه يحتمل وجوها • احدها ان يكون بيانا بخلاف ما تقدم اي ما تنفذون ولا تنفذون الا بقوة
وليس لكم قوة ذلك • وثانيها ان يكون على ما تقدم وقوع الامر الاول • وبيانه ان ذلك لا ينفعكم وتقديره ما تنفذون وان
[illegible] ولا تنفذون الا ومعكم سلطان الله • وثالثها [illegible]
[illegible]
[illegible] • ورابعها ان هذا اشارة الى تقرير التوحيد • ووجهه انه تعالى [illegible]
[illegible] اقطار السموات
والارض [illegible] والسلطان هو القوة الكاملة • ثم قال تعالى يرسل عليكما شواظ
من نار ونحاس فلا تنتصران • وفيه مباحث • الاول [illegible]
[illegible]
[illegible]

بالوصف

فقد تكيفت

المعشر

الفرار

المعنى الجماعة العظيمة وتحقيقه

لا تكون مرئية كما في التنور يرى فيه نور وهو نار • واما النحاس ففيه وجهان • احدهما الدخان • والثاني القطر
وهو النحاس المشهور • ثم ان ذكر النوعين يحتمل ان يكون لاختصاص كل واحد وحينئذ فالنار للانس لانه يخالف
جوهره • والنحاس للجن لانه يخالف جوهره ايضا ويحتمل ان يكون لورودهما على حد واحد منهما وهو الظاهر الاصح • الرابع
من قرا نحاس بالجر كيف يعربه ولو زعم انه عطف على النار يكون شواظ من نحاس والشواظ لا يكون من نحاس والجواب
عنه من وجهين • احدهما اي شيء من نحاس كقولهم تقلدت سيفا ورمحا • والثاني ان الشواظ لم يكن الا عند ما يكون
من النار مركبا اجزا هوائية وارضية وهو الدخان فالشواظ مركب من نار ونحاس وهو الدخان • وقوله تعالى
فلا تنتصران • نفى جميع انواع الانتصار فلا ينتصر احدهما بالاخر ولا هما بغيرهما وان كان الكفار يقولون في الدنيا
نحن جميع منتصر والانتصار التلبس بالنصرة • ومن هذا الباب الانتقام والانتصار بمعنى الامتناع اي لا يمتنعان
راجع الى ما ذكرنا لانه يكون متلبسا بالنصرة فيمتنع لذلك • ثم قال تعالى فاذا انشقت السما فكانت وردة كالدهان
اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن فكانه تعالى ذكر اولا ما يخاف منه الجنسان ثم ذكر ما يخاف
كل واحد من الجن والانس والملك • ويحتمل ان يقال انه تعالى لما قال كل من عليها فان اشارة الى سكان الارض قال بعد
ذلك فاذا انشقت السما بيانا لحال السما • وفيه مباحث • الاول • الفا للتعقيب في الاصل • منها للتعقيب الزماني الذي
لا يتعلق احدهما بالاخر كقولك قعد زيد فقام عمرو • ومنها للتعقيب الذهني الذي يتعلق احدهما بالاخر كقولك
جا زيد فقام عمرو اكراما له • ومنها للتعقيب في القول كقولك لا اخاف الامير فالملك فالسلطان كامل فالفا هنا
يحتمل الوجوه الثلاثة • اما الاول فما يكون عند سوق المجرمين الى المحشر ورد في التفسير ان الشواظ يسوقهم الى المحشر
فيهربون منها الى ان يجتمعوا في موضع واحد • واما الثانية فوجهها ان يقال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فيكون ذلك
سببا لكون السما حمرا اشارة الى ان لهيبها يصل الى السما ويجعلها كالحديد المذاب الاحمر • واما الثالثة فوجهها ان يقال
لما قال فلا تنتصران في وقت ارسال الشواظ عليهما فاذا انشقت السما وصارت كالمهل وهو كالطين الذايب كيف تنتصران اشارة
الى ان الشواظ المرسل لهب واحد • واذا انشقت السما وذابت صارت كالارض في الجو والسما كلها نار فكيف تنتصران • الثاني
كلمة اذا قد تستعمل لمجرد الظرف • وقد تستعمل للشرط وقد تستعمل للمفاجاة وان كان في وجهها ظرفا لكن بينهما فرق • فالاول
مثل قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى • والثاني مثل قوله واذا عزمت فتوكل على الله • وفي الاول يلزم ان يكون
الفعل متصلا به • وفي الثاني لا يلزم • والثالث مثل ما يقال خرجت فاذا الراكب في جواب من يقول متى خرجت فاذا عرفت
هذا فنقول على اي وجه استعملها هنا نقول يحتمل وجهين • احدهما الظرفية المجردة على ان الفا للتعقيب الزماني لان
قوله فاذا انشقت السما بيان لوقت العذاب • وثانيهما الشرطية على الوجه الثالث وهو قولنا فلا تنتصران عند ارسال
الشواظ فكيف تنتصران اذا انشقت السما كانه قال اذا انشقت السما فلا تتوقعوا الانتصار اصلا • واما الحمل على المفاجاة
على ان يقال يرسل عليكما شواظ فاذا انشقت السما فما انشقت بعيد لا يحمل ذلك الا على الوجه الثاني في ان الفا للتعقيب
الذهني • الثالث ما المختار من الاوجه نقول الشرطية وحينئذ له وجهان • احدهما ان يكون الجزا محذوفا لتعرض السامع
بجده كل قايل • وثانيهما ما بينا من بيان عدم الانتصار فكانه تعالى قال اذا ارسل عليهما شواظ من نار لا ينتصران • فاذا
انشقت السما كيف ينتصران • الرابع ما معنى الانشقاق نقول حقيقته ذوبانها وخرابها كما قال تعالى يوم نطوي السما اشارة
الى خرابها • ويحتمل ان يقال انشقت بالغمام اي مع الغمام • الخامس ما معنى فكانت وردة كالدهان نقول المشهور انها
في الحال تكون حمرا يقال فرس ورد اذا اثبت للفرس الحمرة • وقيل وردة للمرة من الورود كالسجدة والركعة من الركوع
والسجود • وحينئذ الضمير في كانت كما في قوله ان كانت الا صيحة واحدة فانث الضمير لتانيث الظاهر • وقوله تعالى كالدهان
فيه وجهان • احدهما جمع دهن • والثاني هو الاديم الاحمر مناسب للوردة اي كانت السما كالاديم الاحمر ولكن ما المناسبة
بين الوردة والدهان والجواب من وجوه • احدها المراد من الدهان ما هو المراد من قوله تعالى يوم تكون السما كالمهل
وهو عكر الزيت • وبينهما مناسبة فان الورد يطلق على الاسد فليس الورد هو الاحمر القاني • وثانيها ان التشبيه
بالدهن ليس باللون بل في الذوبان • ثالثها هو ان الدهن المذاب ينصب انصبابة واحدة ويذوب دفعة والحديد
والرصاص لا يذوب غاية الذوبان فيكون حركة الذوبان اسرع من حركة غيره • ثم قال تعالى فيومئذ لا يسال عن
ذنبه انس ولا جان • وفيه وجهان • احدهما لا يسال عن ذنبه ولا يقال له انت المذنب ولا يقال من المذنب منكم بل يعرفونه
بسواد وجوههم وغيره • وثانيهما معناه قريب من معنى قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا يسال عن ذنب المذنب انس
ولا جان • وفيه مباحث لفظية ومعنوية • اما اللفظية فالفا للتعقيب وانه يحتمل ان يكون زمانيا كانه يقول فاذا
انشقت السما يقع العذاب • فيوم وقوعه لا يسال • ويحتمل ان يكون عقليا كانه يقول يقع العذاب فلا يتاخر تعلقه بهم

مقدار ما يسالون عن ذنبهم • الثاني ما المراد من السؤال • نقول المشهور انه سؤال استعلام اي لا يقال من المذنب منكم وعلى الوجه
الثاني سؤال توبيخ اي لا يقال لم اذنب المذنب • ويحتمل ان يكون سؤال موهبة وشفاعة كما يقول القايل اسالك ذلك اي اطلب
منك عفوه • اما المعنوية • فالاول كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤولون • نقول على الوجه
المشهور مقامان • احدهما ان الاخرة مواطن فلا يسال في موطن ويسال في موطن • وثانيهما وهو احسن لا يسال عن فعل
احد منكم ولكن يسال بقوله لم فعل الفاعل فلا يسال سؤال استعلام بل سؤال توبيخ • واما على الوجه الثاني فلا يرد السؤال
ولا حاجة الى سؤال الجمع • الثالث ما الفايدة في بيان عدم السؤال • نقول فايدته توبيخا لهم كقوله وجوه يومئذ عليها غبرة
ترهقها قترة • وعلى الثاني بيان ان لا يؤخذ منه فدية فيكون ترتيب الايات احسن لان فيه بيان ان لا مفر لهم بقوله ان
استطعتم ان تنفذوا ثم بيان ان لا مانع يمنعهم بقوله فلا تنتصران ثم بيان ان لا فدا لهم بقوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس
ولا جان • وعلى الوجه الاخير بيان ان لا شفيع لهم ولا راحم • وفايدة اخرى وهو انه تعالى بين ان العذاب في الدنيا موخر بقوله
سنفرغ لكم بين ان في الاخرة لا يوخر بقدر ما يسال • ثم قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيوخذ بالنواصي والاقدام •
اتصال الايات بما قبلها على الوجه المشهور ظاهر اذ قوله يعرف المجرمون كالتفسير • وعلى الوجه الثاني لا يسال عن ذنبه اذا كان
بمعنى لا يسال غيره كيف قال يعرف هو ويوخذ هو • واذا كان بمعنى العفو فكذلك • وفيه مباحث • الاول السيما كالعبيري
اصله سومى من السومة ويحتمل وجوها • احدها كي على جباههم قال تعالى يوم تكوى بها جباههم • وثانيها سواد كما قال
تعالى واما الذين اسودت وجوههم • وثالثها غبرة وقترة • الثاني ما وجه افراد يوخذ مع ان المجرمين جمع وهم الماخوذون
نقول فيه وجهان • احدهما ان يوخذ متعلق بقوله تعالى بالنواصي كما يقال ذهب بزيد • وثانيهما ان يتعلق بما يدل عليه
يوخذ فكانه تعالى قال فيوخذ الماخوذون بالنواصي • فان قيل كيف يتعدى الاخذ بالبا وهو يتعدى بنفسه قال تعالى
خذها ولا تخف • نقول يتعدى بنفسه كما مر وبالبا ايضا لقوله • ولا تاخذ بلحيتي ولا براسي • فان قيل فما فايدة توجيه
الفعل الى غير ما وجه اليه الفعل الاول • نقول فيه بيان نكالهم • وسو حالهم كانه قال يعرف المجرمون عارف فياخذ
ذلك العارف لكن المجرم يعرفه بسيماه كل احد • ولا ياخذ كل من عرفه بسيماه بل يمكن ان يقال يعرف المجرمون بسيماهم المراد يعرف
الناس والملايكة الذين يحتاجون في معرفتهم الى علامة اما كتبة الاعمال والملايكة الغلاظ الشداد فيعرفون بانفسهم
من غير احتياج الى علامة • اما بيان النكال فلانه لما قال فيوخذ بالنواصي بين كيفية الاخذ وجعلها مقصود الكلام ولو قال
فيوخذون لكان الكلام تم عنده ويكون قوله بالنواصي فايدة جاءت بعد تمام الكلام فلا يكون هذا المقصود • واما اذا
قال فيوخذ ولا بد من امر يتعلق به فينتظر السامع وجود ذلك • فاذا قال بالنواصي نقول هذا هو المقصود في كيفية
[illegible]

لانه يعرف ربه بالعظمة فيخشاه • وفي مقام ربه قولان • احدهما اي المقام الذي هو فيه بين يدي ربه وهو مقام عبادته • والثاني
مقام ربه الذي فيه الله قايم على عباده من قوله تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت اي حافظ ومطلع الرابعة في قوله جنتان
منهم من قال المراد منه واحدة وهو بعيد فان فيه الانتقال من ظاهر اللفظ الى غيره من غير حاجة • وكيف وقد قال بعده ذواتا
افنان • وقال فيهما وفيه وجوه • احدها ان جنة للجن وجنة للانس • وثانيها جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي
لان التكليف بهذين النوعين • وثالثها جنة جزاء وجنة زيادة على الجزاء • ويحتمل ان يقال جنة جسمية وجنة روحية فالجسمية
في نعيم • والروحية في روح فكان كما قال تعالى فروح وريحان وجنة نعيم • واما اللفظية فنقول لما قال الله تعالى في
حق المجرم انه يطوف بين نار وبين حميم آن وهما نوعان ذكر لغير المجرم وهو الخايف جنتين في مقابلة ما ذكر في حق المجرم لكنه ذكر
هناك انهم يطوفون فيفارقون عذابا ويقعون في آخر ولم يقل هنا يطوفون بين الجنتين بل جعلهم فيها ملوكا وهم فيها يطاف
عليهم ولا يطافون بهم احتراما واكراما في حقهم • وقد ذكرنا في قوله تعالى ان المتقين في جنات انه تعالى ذكر الجنة
والجنتين والجنات فهي لاتصال الاشجار والمساكن وعدم الفاصل كجنة واحدة ولسعتها وتنوع اشجارها وكثرة مساكنها
كانها جنات • ولاشتمالها على ما يلتذ بها الروح والجسم كانه جنتان فالكل عايد الى صفة مدح ثم قال تعالى ذواتا افنان
اي هي جمع فنن اي ذواتا اغصان او جمع فن اي فيها فنون من الاشجار وانواع من الثمار • فان قيل اي الوجهين اقوى
نقول الاول لوجهين • الاول ان الافنان في جمع فنن هو المشهور • والفنون في جمع الفن كذلك ولا يظن ان الافنان
والفنون جمع فن بل كل واحد منهما جمع معرف عرفنا التعريف • ثانيهما قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان مستقل
بما ذكر من الفايدة • فان قيل كيف يمدح بها • والجنات في الدنيا ذواتا افنان كذلك نقول فيه وجهان • احدهما
ان الجنان في الدنيا ذوات اصل والاصول ذوات اشجار • والاشجار ذوات اغصان • والاغصان ذوات ازهار وثمار
والجنة في الجملة ليست كالدنيا فلا يكون فيها الا ما فيها اللذة • واما الحاجة فلا • واصول الاشجار وسوقها امور محتاج
اليها مانعة للانسان عن التردد في البستان كيف ما شاء فالجنة فيها افنان عليها اوراق عجيبة وثمار طيبة من غير سوق
غلاظ ويدل عليه انه تعالى لم يصف الجنة الا بما فيه اللذة بقوله تعالى ذواتا افنان اي الجنة ذات فنن غير كاين على
اصل وعرق بل هي واقفة في الجو • واهلها تحتها • والثاني من الوجهين هو ان التنكير في الافنان للكثرة او للعجب
ثم قال تعالى فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان • اي في كل واحدة منهما عين جارية كما قال الله تعالى
فيها عين جارية • وفي كل واحدة من الفواكه نوعان • وفيها مباحث الاول قوله تعالى ذواتا افنان وفيهما عينان تجريان
وفيهما من كل فاكهة زوجان كلها اوصاف للجنتين المذكورتين فهو كالكلام الواحد تقديره جنتان ذواتا افنان ثابت فيهما
عينان كاين فيهما من كل فاكهة زوجان • فما الفايدة في فصل بعضها عن بعض بقوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان ثلاث مرات
مع انه في ذكر العذاب وصل بين كلامين حيث قال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران مع ان ارسال النحاس
غير ارسال شواظ • وقال يطوفون بينها وبين حميم آن مع ان الحميم غير الجحيم • نقول فيه تغليب جانب الرحمة فان انواع
العذاب سردها سردا وذكرها جملة ليقصر ذكرها • والثواب ذكره شيئا فشيئا لان ذكره يطيب للسامع فقال بالفصل
وتكرار عود الضمير الى الجنس بقوله فيهما عينان فيهما من كل فاكهة لان اعادة ذكر المحبوب وتطويل الكلام بذكر اللذات مستحسن
الثاني قوله تعالى فيهما عينان تجريان اي في كل واحدة عين واحدة كما مر • وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان بمعناه
في كل واحدة زوج او معناه في كل واحدة منهما من الفواكه زوجان • ويحتمل ان يكون المراد مثل ذلك اي كل واحدة من
الجنتين زوج من كل فاكهة اي كاين فيهما وذلك الكاين زوجان الثالث عند ذكر الافنان لو قال فيهما من كل فاكهة
زوجان كان مناسبا لان الاغصان عليها الفواكه فما الفايدة في ذكر العينين بين الامرين المتصلين احدهما بالاخر
نقول جرى ذكر الجنة على عادة المتنعمين فانهم اذا دخلوا البستان لا يتبادرون الى الكل الثمار بل يقدمون التفرج على
الاكل مع ان الانسان في الدنيا لا ياكل حتى يجوع ويشتهي فكيف في الجنة فذكر ما يتم به النزهة وهو خضرة الاشجار وجريان
الانهار • ثم ذكر ما يكون بعد النزهة وهو اكل الثمار • فسبحان من ياتي باحسن المعاني في احسن المباني ثم قال تعالى متكئين
على فرش بطاينها من استبرق وجنا الجنتين دان • وفيه مباحث نحوية ولغوية ومعنوية الاول من النحوية هو ان المشهور
ان متكئين حال وذي الحال من قوله ولمن خاف مقام ربه • تقديره لهم في الاتكاء جنتان • وقال صاحب الكشاف يحتمل ان
يكون نصبا على المدح الثاني من النحوية على فرش تقديره يتفكهون كاينين على فرش متكئين من غير بيان ما يتكئون عليه
ويحتمل ان يكون اتكاؤهم على الفرش الثالث الظاهر ان لكل واحد فرشا كثيرة وهم عليها كاينون الرابع من اللغوية الاستبرق
وهو الغليظ من الديباج الثخين وهو معرب بسبب ان العرب لم يكن عندهم ذلك الا من العجم غير انهم تصرفوا فيه تصرفا
وهو انه بالفارسية استبرك ثخين تصغير ثخين فزادوا فيه همزة متقدمة • وبدلوا الكاف بالقاف • ثم عليه سؤال



مشهور وهو ان القران انزل بلسان عربي مبين وهذا ليس بعربي • والجواب ان اللفظة في اصلها لم تكن من العرب لمعناه وليس
المراد انه انزل بلغة هي في اصل وضعها بل المراد انه منزل بلسان لا يخفى معناه على احد من العرب • ولم يستعمل فيه لغة لم
تتكلم العرب بها فيصعب عليهم مثله لعدم مطاوعة لسانهم التكلم بها فعجزهم عن مثله ليس الا بمعجز الخامس من المعنوية
الاتكاء من الهيئات الدالة على صحة الجسم • وفراغة القلب • لان العليل يضطجع او يستلقي او يستند الى شيء على حسب
ما يقدر عليه للاستراحة السادس قال اهل التفسير بطاينها من استبرق يدل على نهاية شرفها لان ظاهرها يكون خيرا
منها وكانه شيء لا يدركه البصر من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم • وفيه وجه آخر معنوي وهو ان اهل الدنيا يظهرون
الزينة ولا يتمكنون ان يجعلوا البطاين كالظهاير السابع قوله تعالى وجنا الجنتين دان • اشارة الى مخالفة الجنة
في الدنيا من ثلاثة اوجه • احدها ان الثمرة في الدنيا على رؤوس الشجر والانسان عند الاتكاء يبعد عن رؤوسها واما
في الاخرة فالثمرة تنزل اليه • وثانيها في الدنيا من قرب من شجرة بعد عن الاخرى • وفي الاخرة كلها كان في وقت واحد
ومكان واحد • والمستقر في جنة عنده جنة • وثالثها ان العجايب كلها من خواص الجنة وكان اشجارها دايرة عليهم ساير
اليهم وهم ساكنون على خلاف ما كان في الدنيا وجنانها • فاهل الجنة ان تحركوا تحركوا الا لحاجة وان سكنوا سكنوا الا من
من التعب • ثم ان الولي تصير له الدنيا انموذجا من الجنة فانه يكون ساكنا في بيته • ويأتيه الرزق متحركا اليه دايرا
حواليه قال الله تعالى فلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا • الثامن الجنتان كانتا جسميتين فهو ابدا
يكون بينهما وهما عن يمينه وعن شماله وهو يتناول ثمارها وان كانت احداهما روحية والاخرى جسمية وكل واحدة
منهما فيها فواكه تليق بها ثم قال تعالى فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان • وفيه مباحث الاول
في الترتيب وانه في غاية الحسن لانه في اول الامر بين المكان وهو الجنة • ثم بين ما يتنزه به فقال ذواتا افنان
فيهما عينان • ثم ذكر ما يتناول فقال فيهما من كل فاكهة • ثم ذكر موضع الراحة بعد التناول وهو الفرش • ثم ذكر ما يكون
في الفراش معه • الثاني فيهن الضمير عايد الى ماذا • نقول فيه ثلاثة اوجه احدها الى الالاء والنعم • وفي الالاء قاصرات
الطرف • وثانيها الى الفرش اي في الفرش قاصرات وهما ضعيفان • اما الاول فلان اختصاص القاصرات بكونهن في الالاء
والعينان فيهما والفواكه كذلك لا يبقى له فايدة • واما الثاني فلان الفرش جعلهم ظرفهم حيث قال متكئين على فرش واعاد الضمير
اليها بقوله بطاينها ولم يقل بطاينهن فقوله فيهن يكون تفسيرا للضمير فيحتاج الى بيان فايدة • ولانه تعالى قال من بعد مرة
اخرى فيهن خيرات • ولم يكن هناك ذكر الفرش فالاصح اذن هو الوجه الثالث واعلم ان الشهوة في الدنيا كما تزداد بالحسن الذي في
الازواج تزداد بسبب العظمة واحوال الناس في اكثر الامر تدل عليه وحينئذ يكون الخطايا في الجنة تجمع فيهن حسن الصورة
والجمال والترف والشرف • والجمال والعز والشرف والكمال فتكون الواحدة لها كذا وكذا من الجواري والغلمان فتزداد اللذة
بسبب كمالها فاذن ينبغي ان يكون لكل واحد ما يليق بها من المكان الواسع فتصير الجنة التي هي واحدة من حيث الاتصال كثيرة من حيث
تفرق المساكن فيها فقال فيهن • واما السماء فليس فيها تفرق المساكن بل العظمة اللذة فقال فيهما وهذا من اللطايف الثالث
قاصرات الطرف صفة لموصوف محذوف وهو النساء والازواج كانه قال فيهن نساء قاصرات الطرف وفيه لطيفة فانه تعالى
لم يذكر النساء الا باوصافهن فقال تارة حور عين • وتارة عربا اترابا • وتارة قاصرات الطرف ولم يقل نساء كذا وكذا لوجهين
احدهما الاشارة الى تخدرهن • وثانيهما الاعظام ليزداد حسنهن في اعين الموعودين بالجنة فان بنات الملوك لا تذكر الا بالاوصاف
الرابع قاصرات من القصر وهو المنع اي المانعات اعينهن من النظر الى الغير او من القصور وهو كون اعينهن قاصرة لا طماح فيها
الى الغير • والظاهر انه من القصر لان القصر مدح والقصور ليس كذلك • ويحتمل ان يقال هو من القصر بمعنى انهن قصرن ابصارهن
مقصورة وهي قاصرات وعلى هذا ففيه لطيفة وهي انه تعالى قال من بعد حور مقصورات وهن قاصرات • وفيه وجهان
احدهما ان يقال هن قصرن ابصارهن وهن قصرن انفسهن في الخيام كما هو عادة المخدرات لانفسهن في الخيام ولابصارهن عن الطماح
وثانيهما ان يكون في ذلك بيانا لعظمتهن وعفافهن وذلك لان المرأة التي يكون لها رادع من نفسها ولا يكون لها اولياء يكون فيها
نوع هوان • واذا كان لها اولياء اعزة امتنعت عن الخروج والبروز • وذلك يدل على عظمتهن • واذا كن في انفسهن عند الخروج
لا ينظرن يمنة ويسرة فهن في انفسهن عفايف فجمع بين الاشارة الى عظمتهن بقوله تعالى مقصورات منعهن اولياؤهن • وههنا
وليهن الله تعالى وبين الاشارة الى عفتهن بقوله تعالى قاصرات الطرف • ثم تمام اللطف انه تعالى قدم ذكر ما يدل على العظمة
وذكر في اعلى الجنتين قاصرات • وفي ادناها مقصورات • والذي يدل على ان المقصورة تدل على العظمة فذلك يعرف بعد
الخامس قاصرات الطرف فيها دلايل على عفتهن وعلى حسن المؤمنين في اعينهن ويدل ايضا على الحياء لان الطرف حركة الجفن
والجنية لا تحرك جفنها ولا ترفع راسها السادس لم يطمثهن فيه وجوه • احدها لم يفترعهن • وثانيها لم يجامعهن • وثالثها
لم يمسهن • وهذا اقرب الى حالهن واليق بوصف كمالهن لكن نفس الطمث غير ظاهر فيه ولو كان المراد منه المس لم يذكر اللفظ الذي

يستحسن وكيف وقد قال الله تعالى فان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقال فاعتزلوهن ولم يصرح بلفظ موضوع للوطي فان قيل انه تعالى كنى عن الوطي في الدنيا بالمس كما في او لامستم النساء وبالمس في قوله من قبل ان تمسوهن ولم يذكر في الاخرة الكناية • نقول انما ذكر الجماع في الدنيا بالكناية لما انه يضعف البدن • ويمنع من العبادة وهو في بعض الاوقات قبيح فهذه هي وجوه القبح بخلاف ما في الاخرة فانه مجرد عن وجوه القبح فيها • فالله تعالى ذكره في الدنيا بالكناية اشارة الى قبحه • وفي الاخرة بالتصريح او بما قرب منه اشارة الى خلوه عن القبح • السابع ما الفايدة في كلمة قبلهم • قلنا لو قال لم يطمثهن انس ولا جان تكون نفيا لطمث المؤمن اياهن وليس كذلك • الثامن ما الفايدة في ذكر الجان مع ان الجان لا يجامع • نقول ليس كذلك بل الجن لهم اولاد وذريات وانما الخلاف في انهم يواقعون الانس ام لا والمشهور انهم يواقعون • ولما كان في الجنة لا حجاب ولا انساب كان نفوا فقد الانس اياهن كنفي وقاع الجن من حيث الاشارة الى نفيهما • ثم قال تعالى كانهن الياقوت والمرجان • وهذا التشبيه له وجهان • احدهما تشبيه بصفاتهن وثانيهما بحسن بياض اللؤلؤ وحمرة الياقوت والمرجان • ولا يبعد ان يقال هو مؤكد لما مضى لانه قال الله تعالى من قبل قاصرات الطرف ممتنعات عن الاجتماع بالانس والجن لم يطمثهن فهن كالياقوت الذي يكون في معدنه والمرجان الذي يكون في صدفه ان تكون قد مسته يد لامس • ثم قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان • وفيه وجوه كثيرة حتى قيل ان في القرآن ثلاث آيات في كل واحدة منها مائة قول • الاولى قوله تعالى فاذكروني اذكركم • الثاني قوله تعالى ان عدتم عدنا • الثالث قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان • ولنذكر الاشهر منها والاقرب • اما الاشهر فوجوه • احدها هل جزاء التوحيد غير الجنة اي جزاء من قال لا اله الا الله ادخال الجنة • وثانيها هل جزاء الاحسان في الدنيا الا الاحسان في الاخرة • الثالث هل جزاء من انعم عليكم في الدنيا بالنعم وفي العقبى بالنعيم الا ان تحسنوا اليه بالعبادة والتقوى • واما الاقرب • فلنذكر تحقيق القول فيه • ونرجع الى الوجوه • فنقول الاحسان يستعمل في ثلاث معان • احدها اثبات الحسن قال الله تعالى الذي احسن كل شي خلقه • وثانيها الاتيان بالحسن كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها • وثالثها فلان لا يحسن الكتابة ولا يعلمها • والظاهر ان الاصل في الاحسان هو الوجهان الاولان • اذا علمت هذا فنقول يمكن حمل الاحسان في الموضعين على معنى متحد من المعنيين ويمكن حمله فيهما على معنيين مختلفين • اما الاول فنقول هل جزاء الاحسان اي هل جزاء من اتى بالفعل الحسن الا ان ياتي في مقابلته بفعل حسن والفعل الحسن من العبد ما يستحسن شرعا • واما الثاني فنقول هل جزاء من اثبت الحسن في عمله في الدنيا الا ان يثبت الحسن في احواله في الدارين وبالعكس هل جزاء من اثبت الحسن فينا الا ان نثبت الحسن فيه لكن اثبات الحسن في الله محال فاثبات الحسن في انفسنا وافعالنا فيحسن انفسنا بعبادة حضرة الله • وافعالنا بالتوجه اليه واحوال باطننا بمعرفة الله تعالى • واما الوجه الثالث وهو الحمل على المعنيين وهو ان نقول هل جزاء من اتى بالفعل الحسن الا ان يثبت الله فيه الحسن في جميع احواله فيجعل وجهه حسنا وحاله حسنا • ثم فيه لطايف • الاولى هذه اشارة الى رفع التكليف عن العوام في الاخرة • وتوجيه التكليف على الخواص فيها • اما الاول فلانه قال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان • فالمؤمن لا شك في انه يثاب الجنة فيكون الاحسان جزاؤه • واما الثاني فنقول عبادة الله تعالى في الدنيا لنعم سبقت له علينا • فهذا الذي اعطانا الله تعالى ابتداء نعمه واحسان جديد فله علينا شكره فيقولون الحمد لله ويذكرون الله ويثنون عليه فيكون نفس الاحسان من الله تعالى في حقهم سابقا لقيامهم بشكره وتوطينهم على انفسهم عبادة الله تعالى تكون لهم لا دني عبادة شغل شاغل عن الحور والقصور والاكل والشرب فلا ياكلون ولا يشربون فيكون حالهم كحال الملائكة فلا يكون ذلك تكليفا مثل هذا التكليف [illegible] الثانية [illegible] الاحسان [illegible] وعد الله تعالى [illegible] ثم قال تعالى ومن دونهما جنتان [illegible] كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة [illegible] فاكهة ونخل ورمان [illegible] مدهامتان [illegible] اخضرت غاية الخضرة [illegible] الى السواد

سواد ارض

---



سواد ارض • كما يقال سواد البلد • والتحقيق عندهم ان ابتداء الالوان هو البياض • وانتهاؤها هو السواد • فان الابيض يقبل كل لون • والاسود لا يقبل شيئا من الالوان • ولما كانت الخالية عن الزرع متصفة بالبياض • والمزروعة متصفة بالسواد • فهذا ادل على انهما تحت الاوليين مكانا • فهم اذا نظروا الى ما فوقهم رأوا الاغصان تظلهم • واذا نظروا الى تحتهم رأوا الارض مخضرة تحتهم • وقوله تعالى فيهما عينان نضاختان اي فوارتان • ما فيهما يتحرك الى فوق • واما العينان المتقدمتان تجريان الى صوب المؤمنين فكلاهما حركتهما الى جهة مكان اهل الايمان • واما قول صاحب الكشاف وهو ان النضخ دون الجري يجوز ان يكون الجري يسيرا او النضخ قويا • واما قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فهو كقوله فيهما من كل فاكهة زوجان وذلك لان الفاكهة ارضية نحو البطيخ • وشجرية نحو النخل فقال مدهامتان بانواع الخضر التي منها الفواكه الارضية • وفيهما ايضا الفواكه الشجرية وذكر منها نوعين وهما النخل والرمان لانهما متقابلان • احدهما حلو والاخر غير حلو • وكذلك احدهما حار والاخر بارد • واحدهما يوكل منه بارزة دون كامنة • والاخر بالعكس فهما كالضدين • والاشارة الى الطرفين تتناول الى ما بينهما كما قال جل ذكره رب المشرقين ورب المغربين • ثم قال تعالى فيهن خيرات حسان اي في باطنهن الخير • وفي ظاهرهن الحسن كقوله تعالى قاصرات الطرف الى ان قال كانهن وكانهن اشارة الى كونهن حسانا • وحور مقصورات في الخيام اشارة الى عظمتهن كما مقصورات في الخيام اشارة الى معنى في غاية اللطف وهو ان المؤمن في الجنة لا يحتاج الى التحرك لحصول المطلوب بل المطلوب اي شي كان يتحرك اليه • فالحور من المطلوبات في بيوتها لا انتقال والارتحال الى المؤمن • والمؤمن لا في بيوت الارتحال • وذلك من الفضل وقوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان • ثم قال تعالى متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان • وفيه مباحث • الاول ما الحكمة في تاخير ذكر اتكائهم عن ذكر نسائهم في هذا الموضع مع انه تعالى قدم ذكر نسائهم على ذكر اتكائهم في الجنتين المتقدمتين حيث قال متكئين على فرش ثم قال فيها قاصرات الطرف • والجواب ان اهل الجنة ليس عليهم تعب وحركة فهم متنعمون دائما لكن الناس في الدنيا على اقسام • فمنهم من يجتمع مع اهله • وعند قضاء وطره يستعمل الاغتسال والانتشار في الارض للاكتساب والكسب • ومنهم من يكون مترددا في طلب الكسب وعند تحصيله يرجع الى اهله ويستريح قلبه من تعب التحصيل قبل قضاء الوطر • فيكون التعب لازما قبل قضاء الوطر او بعده • فالله تعالى قال في بيان اهل الجنة متكئون قبل الاجتماع باهاليهم وعند الاجتماع كذلك ليعلم انهم دائمون على السكون فلا تعب لهم قبل الاجتماع ولا بعد الاجتماع • وثانيهما انا بينا ان الجنتين المتقدمتين لاهل الجنة الذين جاهدوا • والمتاخرتين لذريتهم الذين لم يلحقوا بهم • فمن في الخيام منتظرات قدوم ازواجهن فاذا دخل المؤمن جنته التي هي سكناه يتكئ على الفرش وينتقل اليه ازواجه الحسان لكونهن في الجنتين المتقدمتين • وبعد اتكائهم على الفرش • واما في الجنتين المتاخرتين فذلك حاصل في يومنا واتكاء المؤمن غير حاصل في يومنا فقدم ذكر كونهن فيهن هنا • ومتكئين حال • والعامل فيهما ما دل عليه لم يطمثهن الا المؤمنون • الثاني الرفرف اما ان يكون اصله من رف الزرع اذا بلغ الغاية من نضارته فيكون مناسبا لقوله تعالى مدهامتان • ويكون التقدير انهم متكئون على الرياض والثياب العبقرية • واما ان يكون من رفرف الطاير وهي حومة الطاير حوله لما يريد النزول عليه فيكون المعنى انهم على بسط مرفوعة • قال الله تعالى وفرش مرفوعة • وهذا يدل على ان قوله تعالى ومن دونهما جنتان فيما دونهما في المكان حيث رفع فرشهم • وقوله تعالى خضر صفة جمع فالرفرف يكون جمعا لكونه اسم جنس يكون واحده رفرفة كحنظلة وحنظل والجمع في متكئين يدل عليه فانه لما قال متكئين علم انهم على رفارف • وقرئ رفارف خضر وزرابي عباقري • الرابع اذا قلنا ان الرفرف هي البسط فما الفايدة في الخضر حيث وصف تعالى ثياب الجنة بكونها خضرا قال تعالى ثيابا خضرا من سندس • فلنا ميل الناس الى اللون الاخضر في الدنيا اكثر • وقد قيل فيه ان الالوان التي يظن انها اصول الالوان سبعة وهي الشفاف كالماء الصافي مثلا • ثم الابيض • ثم الاصفر ثم الاحمر • ثم الاخضر • ثم الازرق • ثم الاسود • والاظهر ان الالوان الاصلية ثلاثة • الابيض والاسود والاحمر • فانه متوسط بين الابيض والاسود • والابيض اذا امتزج بالاحمر حصل الاصفرار • واذا امتزج بالاسود حصل الازرق • واذا امتزج الاحمر بالاسود حصل الاحمر ايضا لكنه اميل الى السواد • واما اذا امتزج الاصفر بالاسود حصل الاخضر ايضا • فالاخضر من الاصفر والازرق • وقد علم ان الاصفر من الابيض والاحمر والازرق من الابيض والاسود والاحمر • فالاخضر حصل فيه الالوان الثلاثة الاصلية • فيميل الانسان اليه لكونه مشتملا على الالوان الاصلية وهذا بعيد جدا • والاقرب ان الابيض يفرق النظر والاسود يجمعه فلا يقدر على ادامة النظر فيهما كالنظر في الاخضر • ولما كان ميل النفس في الدنيا الى الخضرة ذكر الله تعالى في الاخرة ما هو على مقتضى طبعه في الدنيا • الخامس العبقري منسوب الى عبقر • وهو عند العرب منسوب الى الموضع من مواضع الجن فالثياب المعمولة في ذلك الموضع سمي عبقريات مبالغة في حسنها كانها ليست من عمل الانس فتستعمل في غير الثياب ايضا • حتى يقال للرجل الذي يعمل عملا عجيبا هو عبقري اي من ذلك البلد • ومن قرأ عباقري فقد جعل اسم ذلك الموضع عباقر ولا يظن انه جمع فانه يشبه الجمع الى الواحد من الكلام • ثم قال تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام • وفيه مسائل الاول في الترتيب • وفيه وجوه • احدها انه تعالى لما ختم نعيم الدنيا بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام

خ فابيضتا

فاذا دخل المؤمن الجنة التي هي سكناه يتكئ على الفرش

خيم نعيم الآخرة بهذه الآية اشارة الى ان الباقي والدائم لذاته هو الله لا غير • ثانيها هو انه تعالى قال في آخر هذه السورة
كلما ذكر اسم الله تعالى اشارة الى ان تمام النعيم عند الله تعالى واكمل اللذات هو ذكره تعالى • الثاني ان اصل تبارك من البركة
وهي الدوام والثبات • ومنه برك البعير • وبركة الماء • وفيه وجوه • احدها دوام اسمه • وثانيها دوام الخير عنده • وثالثها
تبارك بمعنى علا وارتفع شأنا لا مكانا • الثالث قال بعد ذكر نعيم الدنيا ويبقى وجه ربك • وقال في نعيم الآخرة تبارك اسم
ربك لان الاشارة بعد نعيم الدنيا وقعت الى عدم كل شيء من الممكنات • وفنائها في ذواتها • واسم الله تعالى لرفع الذاكرين
وقال الباقي وجه الله تعالى • والاشارة هنا وقعت الى ان بقاء اهل الجنة بابقاء الله ذاكرين اسم الله متلذذين به فقال
تبارك اسم ربك • الرابع الاسم مقحم او هو اصل مذكور له البارك • نقول فيه وجهان • احدهما وهو المشهور انه مقحم • فالوجه
في قوله تعالى ويبقى وجه ربك يدل عليه قوله تبارك الله احسن الخالقين • وتبارك الذي بيده الملك • وثانيهما هو ان الاسم
تبارك • وفيه اشارة الى معنى بليغ • اما اذا قلنا تبارك بمعنى علا فمن علا اسمه كيف يكون مسماه وذلك لان الملك اذا عظم شانه
لا يذكر اسمه الا بنوع تعظيم • وغاية التعظيم للاسم ان السامع اذا سمعه قام كما جرت العادة • ثم اذا لقي الملك يستقبله ويضع الجبهة
على الارض بين يديه • وهذا من الدلائل الظاهرة على ان علو الاسم يدل على علو زائد في المسمى فان قلنا بمعنى دوام الخير عنده فهو اشارة
الى ان ذكر اسم الله تعالى يزيل الشر به • ويهرب الشيطان منه • ويزيد الخير • ويقرب السعادات • وان قلنا المعنى دام اسم الله فهو
اشارة الى دوام الذاكرين في الجنة على ما قلنا من قبل • الخامس القراءة المشهورة هنا ذي الجلال • وفي قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو
الجلال • لان الجلال للرب والاسم غير المسمى • واما وجه الرب هو الرب • فوصف هناك الوجه • ووصف هنا اسم الرب
دون الوجه • ولو قال يبقى الرب لتوهم ان الرب اذا بقي ربا فله في ذلك الزمان مربوب • واذا قال الوجه بنسبة الى المربوب حصل
القطع بالبقاء • فوصف الوجه يفيد هذه الفائدة • تم تفسير هذه السورة • وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم

## سورة الواقعة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة
رافعة • اما تعلق هذه السورة بما قبلها • فذلك بوجوه • احدها ان تلك السورة مشتملة على تعديد النعم على الانسان ومطالبته
بالشكر ومنعه عن التكذيب كما مر • وهذه السورة مشتملة على ذكر الجزاء بالخير لمن شكر وبالشر لمن كذب وكفر • وثانيها ان تلك
السورة متضمنة لتنبيهات بذكر الآلاء في حق العباد • وهذه السورة كذلك الجزاء في حقهم يوم التناد • وثالثها ان تلك السورة سورة
اظهار الرحمة • وهذه السورة لاظهار الهيبة على عكس تلك السورة مع ما قبلها • واما تعلق الاول بالآخر ففي آخر تلك السورة اشارة الى
الصفات • ومن باب النفي والاثبات • ومن اول هذه الى القيمة الى ما فيها من المثوبات • وكل واحدة منها يدل على علو الله وعظمة
شأنه • وكمال قدرته وعز سلطانه • ثم في الآية مباحث • الاول في تفسيرها جملة وجوه • احدها المراد اذا وقعت القيمة الواقعة
او الزلزلة الواقعة التي تعرف بها كل احد ولا يتمكن احد من انكارها ويبطل عناد المعاندين فتخفض الكافرين • وترفع المؤمنين
فهؤلاء في الجحيم • وهؤلاء في النعيم • وثانيها اذا وقعت الواقعة تزلزلت الناس تخفض المرتفع وترفع المنخفض وعلى هذا فهي كقوله تعالى
وجعلنا عاليها سافلها في الاشارة الى شدة الواقعة • اذ العذاب الذي يجعل العالي سافلا والسافل عاليا حتى تصير الارض المنخفضة
كالجبال الراسية • والجبال الراسية كالارض المنخفضة فانه اشد وابلغ • ويدل عليه قوله تعالى اذا رجت الارض رجا وبست
الجبال بسا • اذا وقعت الواقعة يظهر وقوعها لكل احد وكيفية ذلك بين ولا يوجد لها كاذبة ولا متأول فقوله خافضة
رافعة معطوف على كاذبة نسقا • فيكون كما تقول ليس في الامر شك ولا خطأ اي لا قدرة لاحد على رفع المنخفض ولا خفض
المرتفع • الثاني اذا وقعت الواقعة يحتمل ان تكون الواقعة صفة لمحذوف وهي القيمة او الزلزلة • ويحتمل ان يكون المحذوف شيئا
غير معين • ويكون التأنيث مشيرا الى شدة الامر الواقع وهو له كما يقال كانت الكائنة والمراد كان المراد الكائن
ما كان • فنقول كانت الكائنة ووقعت الواقعة حصل هذا معنى لا لفظا • اما معنى فلانهم قصدوا بقولهم كانت الكائنة
الى الكائن زائد على الاصل مما يكون • واما لفظا فلانا لو كانت للمبالغة لما جاز اثبات ضمير المؤنث في الفعل بل ينبغي ان يقول
كان الكائنة ووقع الواقعة • ولا يمكن ذلك لانا نقول المراد به المبالغة • الثالث العامل في اذا ماذا نقول فيه ثلاثة اوجه
احدها فعل تقديره يحصل اذا مفعولا به لا ظرفا وهو اذكر كانه يقول اذكر القيمة • وثانيها العامل فيها ليس لوقعتها كاذبة
كما تقول يوم الجمعة ليس لي شغل • وثالثها قوله تخفض قوم وترفع قوم • وقد دل عليه خافضة رافعة • وقيل العامل فيها قوله
واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اي في يوم وقوع الواقعة • الرابع ليس لوقعتها اشارة الى انها تقع واحدة كالواقعة
للمرة الواحدة • وقوله كاذبة يحتمل وجوها • احدها كاذبة خبر لمحذوف اقيمت مقامه تقديره فليس لها نفس تكذب • وثانيها

الثانية الحقيقة كما يقول في الواقعة • وثالثها هي مصدر كالعافية • فان قلنا الوجه الاول فاللام يحتمل وجهين • احدهما التعليل
[illegible]
ثم قال تعالى اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا
[illegible]
معتبرا ولم يكن شيء لا يلتفت اليه ويقال فيه انه ليس بشيء • والعامل في اذا رجت • ويحتمل وجوها • احدها ان يكون اذا
رجت بدلا عن اذا وقعت فيكون العامل فيهما ما ذكرنا من قبل • وثانيها ان يكون العامل هو قوله ليس لوقعتها • والعامل
تقديره تخفض الواقعة وترفع وقت رج الارض وبس الجبال • والبس التقليب فالهباء هو الهواء المختلط باجزاء ارضية
يظهر في حبال الشمس اذا وقع شعاعها في كوة • وقال الذين يقولون ان بين الحروف والمعاني مناسبة ان الهواء اذا
خالطه اجزاء ثقيلة ارضية • نقل من لفظه حرف • وابدل الواو الخفيفة بالياء التي لا ينطق بها الا باطباق الشفتين
بقوة ما • وفي الهباء ثقل ما • ثم قال تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة • اي في ذلك اليوم انتم ازواج ثلاثة اصناف
وفسرها بعدها بقوله فاصحاب الميمنة • وفيه مباحث الاول الفاء تدل على التفسير وبيان ما ورد على التقسيم
كانه قال الازواج الثلاثة اصحاب الميمنة • واصحاب المشأمة • ثم بين حال كل قوم فقال • فاما اصحاب الميمنة • فترك
تقسيمهم اولا • واكتفى بما يدل عليه • فان ذكر الاقسام الثلاثة مع احوالها • وسبق قوله تعالى كنتم ازواجا ثلاثة
يغني عن تعديد الاقسام • ثم اعاد ذلك واخذ لبيان حالها • الثاني اصحاب الميمنة اصحاب الجنة • وتسميتهم اصحاب
الميمنة • اما لكونهم اخذين كتبهم بايمانهم • واما لكون ايمانهم يتميز بانوار من الله كما قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم • واما لكون اليمين يراد به دليلا على الخير • والعرب تقول في الشانح الذي يقصد جانب اليمين من الطيور
والوحوش عند الزجر • والاصل فيه امر جلي وهو انه تعالى لما خلق الخلق كان له في كل شيء دليل على قدرته واختياره
حتى ان في نفس الانسان دلائل لا تعد ولا تحصى • والدلائل اختيار واثبات مختلفين في محلين متشابهين او اثبات متشابهين
في محلين مختلفين • ثم انه تعالى اودع جانب الايمن من الانسان قوة ليست في الجانب الايسر في الاكثر من الصور وقد تكون
على العكس في البعض وذلك لا يمكن الا بقدرة الله تعالى وارادته • ولو كانت القوة في الجانب الايمن لكون الكبد على اليمين
والكبد على اليمين في كل شخص لكانت القوة في الجانب الايمن لاكثر الاشخاص يقال لمن له مكانة هو من اصحاب اليمين • واما
الميمنة فهي مفعلة كانه الموضع الذي فيه اليمن • وكل يمين الانسان يقع في جانب من المكان فذلك الموضع اليمين فهو ميمنة
كقولنا ملعبة • الثالث جعل الله الخلق ثلاثة اقسام وذلك لان جوانب الانسان اربعة يمينه وشماله وخلفه وقدامه
واليمين في مقابلة الشمال والخلف في مقابلة القدام • ثم انه تعالى اشار باصحاب اليمين الى الذين يعطون كتبهم بايمانهم
وهو الجانب الاشرف • وباصحاب الشمال الذين حالهم على خلاف حال اصحاب اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم
وذكر السابقين الذين لا حساب عليهم ويسبقون الخلق من غير حساب والذين يكونون في المنزل الاعلى من الجانب الايمن
وهم المقربون بين يدي الله تعالى الذين يشفعون للغير وهو اعلى منزلة من اصحاب اليمين • ثم انه تعالى لم يقل في
مقابلتهم قوما من اصحاب الشمال لشدة الغضب عليهم فكانت القسمة في العادة رباعية وصارت بسبب الفضل ثلاثية
كقوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات • ولم يقل ومنهم متخلف عن الكل • الرابع
ما الحكمة في الابتداء باصحاب اليمين • والانتقال الى اصحاب الشمال ثم الى السابقين • ثم ذكر حال اصحاب الشمال والجواب
ان نقول ذكر الواقعة وما يكون عند وقوعها من الامور الهائلة والخوف انما يكون لمن لا يكون عنده محبة الله وما يكفيه
مانعا من العصمة • واما الذين هم مشغولون بربهم فلا يرهبون بالعذاب فلما ذكر الله تعالى اذا وقعت الواقعة فكان فيه

من التخويف بالذين يرغبون ويرهبون بالثواب والعقاب • واما السابقون فهم غير محتاجين الى ترغيب وترهيب
فقدم سبحانه اصحاب اليمين الذين يسمعون ويرغبون • ثم ذكر اصحاب الشمال • ثم ذكر السابقين الخامس ما معنى قوله ما
اصحاب الميمنة • نقول هو ضرب من المبالغة فان قول القائل من تعرف فلانا يكون ابلغ من ان يصفه السادس ما اعرابه ومن يعرف
معناه • نقول فاصحاب الميمنة مبتدا اراد المتكلم ان يذكر خبره فرجع عن ذكره وتركه • وقوله ما اصحاب الميمنة جملة استفهامية
على معنى التعجب اذا عرفت هذا فكان المتكلم في اول الامر مخبرا ثم لم يخبر شيئا لان في الاخبار تطويل • ثم لم يسكت وقال
ما ذلك متحيرا زاعما انك لا تعرف كنهه لان من شرع في كلام وذكر المبتدا ثم يسكت عن الخبر قد يكون ذلك السكوت لحصول
علمه بان المخاطب قد علم الخبر من غير ذكر الخبر • الا ترى ان المبتدا وحده يكفي لمن قال من جاءني فقال المجيب زيد • فالله تعالى لما قال
فاصحاب الميمنة كانه كان يريد ان ياتي بالخبر • ثم سكت عنه ثم قال في نفسه ان السكوت قد يتوهم انه لظهور حال الخبر كما يسكت
على زيد في جواب من جاء فقال ما اصحاب الميمنة متحيرا زاعما انه لا يفهم ليكون دليلا على ان سكوته على المبتدا لم يكن لظهور
الامر بل لخفائه • وفيه وجه ظاهر وهو ان يقال معناه انه جملة واحدة استفهامية كانه قال ما اصحاب الميمنة على سبيل
الاستفهام غير انه اقام المظهر مقام المضمر فقال اصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة على سبيل الاستفهام والاتيان بالمظهر
اشارة الى تعظيم امرهم حيث ذكرهم ظاهرا مرتين • وكذلك القول في قوله تعالى واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة • وكذلك
الحاقة ما الحاقة • والقارعة ما القارعة السابع ما الحكمة في اختيار لفظ المشئمة في مقابلة الميمنة مع انه قال في بيان
احوالهم واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال • نقول اليمين وضع للجانب المعروف اولا • ثم قالوا به واستعملوا منه الفاظا في مواضع
وقالوا هذا ميمون • ووضعوا الجانب المقابل له اليسار من الشيء اليسير اشارة الى ضعفه فصار اللفظ الاول في مقابلة
اليمين كيف ما تدور فيقال في مقابلة اليمنى اليسرى • وفي مقابلة الايمن الايسر • وفي مقابلة الميمنة الميسرة ولا يستعمل
الشمال كما يستعمل اليمين فلا يقال المشامنة • ولا يستعمل الميمنة فلا يقال في مقابلة اليمين لفظ من باب الشوم • اما الشام فهو في
مقابلة اليمن • وشام في مقابلة يمان اذا علم هذا فنقول بعدما قالوا باليمن لم يتركوه واقتصروا على استعمال لفظ اليمين
في الجانب المعروف من الادمي • ولفظ الشمال في مقابلته • وحدث لهم لفظان آخران • فيه احدهما الشمال وذلك لانهم اذا نظروا
الى مهب الكواكب من الشمال وجعلوا ممرها وجه الانسان • وجعلوا السماء جانبين وجعلوا احدهما اقوى كما في الانسان فسموا الاقوى
بالجنوب لقوة الجانب • ثم رأوا في مقابلة الجنوب جانبا آخر شمالا ذلك الجانب عمارة لها لم يسموه شمالا واللفظ الآخر المشامة
والاشام في مقابلة الميمنة والايمن • فالله تعالى ذكر الكفار بلفظين مختلفين فقال المشئمة واصحاب الشمال وترك لفظ الميسرة
واليسار الدال على هون الامر ولهذا قالوا في العساكر الميمنة والميسرة اجتنابا من الشوم ثم قال تعالى والسابقون السابقون
وفيه مباحث الاول في اعرابه السابقون عطف على اصحاب الميمنة • وعنده تم الكلام • والسابقون اولئك المقربون جملة
واحدة كما تقول انت انت • وكما قال الشاعر • انا ابو النجم وشعري شعري • وههنا لطيفة وهي ان في اصحاب الميمنة
قال ما اصحاب الميمنة بالاستفهام • وههنا لم يقل والسابقون ما السابقون للاعجاز • وتورد الكلام على مدعي العلم فيقال
له ان كنت تعلم فبين الكلام • والجواب في ذلك هو الجواب في والسابقون بقوله تعالى والسابقون العالم من سأل عن مسئلة
معضلة وهو يعلم انه لا يفهمها وان بالغ غاية الابانة لا يشتغل في البيان • وثانيها هو ان السابقون ثانيا تاكيد
لقوله والسابقون • والوجه الاوسط هو الاعدل الاصح وعلى الاوسط قول آخر وهو ان المراد منه ان السابقون الى الخيرات
في الدنيا السابقون الى الجنة في العقبى الثاني اولئك المقربون يقتضي الحصر فينبغي ان لا يكون غيرهم مقربا وقال في حق
الملائكة انهم مقربون بقوله اولئك المقربون من الازواج الثلاثة • فان قيل فاصحاب الميمنة ليسوا من المقربين • نقول
للتقريب درجات • والسابقون في غاية القرب ولا حد هناك الثالث بعد بيان اقسام الازواج لم يعد الى بيان حالهم
على الترتيب بل بين حال السابقين مع انه اخرهم واخر ذكر اصحاب الشمال مع انه قدمهم • نقول بينا ان عند ذكر الواقعة
قدم من ينفعه ذكر الاهوال • واخر من لا يختلف حاله بالخوف والرجا • واما عند البيان فذكر السابق لفضيلته وفضيلة
حاله • ثم بين تعالى انه في جنات النعيم • وفيه مباحث الاول عرف النعيم باللام هنا • وفي آخر السورة قال فروح وريحان وجنة
نعيم بدون اللام • والمذكور في آخر السورة هو واحد من السابقين فله جنة من هذه الجنات • وهذه معرفة بالاضافة الى المعرف
وتلك غير معرفة فما الفرق • فنقول الفرق لفظي ومعنوي • فاللفظي هو ان السابقين معرفون باللام المستغرق لجنسهم فجعل موضع
المعرفة معرفا • واما هناك فهو غير معرف فان قوله ان كان من المقربين اي ان كان فردا منهم فجعل موضعه غير معرف مع جواز ان يكون
الشخص معرفا وموضعه غير معرف • كما قال ان المتقين في جنات وعيون • وان المتقين في جنات ونهر • وبالعكس ايضا
واما المعنوي فنقول عند ذكر الجمع جمع الجنات في سائر المواضع وقال ان المتقين في جنات • واولئك المقربون في جنات لكن
السابقون نوع من المتقين وفي المتقين غير السابقين ايضا • ثم ان المتقين لهم منازل ليس فوقها منازل وهي صارت معرفة

ثمر

لكونها المقربونا



لكونها في غاية العلو • واما باقي المتقين فلكل واحد مرتبة وفوقها مرتبة فهم في جنات متباينة في المنزلة • وجنات السابقين
على حد واحد في اعلى عليين • واما الواحد منهم فان منزله بين المنازل لا يتعرف فكل احد انه لفلان السابق فلم يعرفها • واما
واما منازلهم فيعرفها كل احد ويعلم انها للسابقين ولم يعرف الذي للمتقين الثاني اضافة الجنة الى النعيم من اي الانواع • نقول
اضافة المكان • يقال دار الضيافة ودار الدعوة ودار العدل • فكذلك جنة النعيم • وفائدتها ان الجنة في الدنيا قد تكون
للنعيم وقد لا تكون بخلاف الجنة في الآخرة اذ هي للنعيم لا غير • الثالث في جنات النعيم يحتمل ان يكون خبرا بعد خبر ويحتمل ان يكون خبرا
واحدا • فالاول تقديره اولئك المقربون كائنون في جنات • والثاني هم المقربون في الجنة ثم قال تعالى ثلة من الاولين
وقليل من الآخرين • وهذا خبر بعد خبر وفيه مباحث الاول قد ذكرت ان قوله والسابقون السابقون جملة فالثلة من الاولين
من هم • نقول المشهور انهم من كان قبل نبينا صلى الله عليه وسلم والثلة القطعة العظيمة لان قبل نبينا من الرسل والانبيا من كان من كبار
اصحابهم اذا جمعوا يكونون اكثر بكثير من السابقين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا قيل ان الصحابة لما نزلت فيهم هذه الآية
صعب عليهم • فنزل بعده ثلة من الاولين وثلة من الآخرين • وهذا في غاية الضعف من وجوه • احدها ان عدد امة محمد عليه السلام
اذا كان في ذلك الزمان بل الى آخر الزمان بالنسبة الى ما مضى في غاية القلة • وثانيها ان هذا كالنسخ في الاخبار وانه في غاية البعد
وثالثها ما ورد بعدها لا يدفع هذا لان الثلة من الاولين ههنا في السابقين من الاولين هذا ظاهر لان امة محمد صلى الله عليه وسلم كثروا ورحمهم الله
تعالى فعفا عنهم في امور لم يعف عن غيرهم وجعل للنبي صلى الله عليه الشفاعة فكثر عدد الناجين وهم اصحاب اليمين واما من لم يأتوا ولم يرتكب
الكبيرة في امة محمد صلى الله عليه وسلم فهم في غاية القلة وهم السابقون • ورابعها هذا يوهم وكان ينبغي ان يعرفوا بهذا الانعام لانه
تعالى لما قال ثلة من الاولين وخلف منهم الالف من الرسل والانبيا ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم فاذا جعل قليلا من امته مع الرسل
والانبيا الذين كانوا قبله في درجة واحدة يكون انعاما في حقهم • ولعله اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم علما امتي كانبيا بني اسرائيل
الثاني المراد منه السابقون الاولون من المهاجرين فان اكثرهم لهم الدرجة العليا لقوله لا يستوي منكم من انفق الآية • وقليل
من الآخرين الذين لم يلحقوا بهم • وعلى هذا فقوله وكنتم ازواجا لانه يكون خطابا مع الموحدين • وفيه التنزيل ولا يكون فيه بيان
الاولين الذين كانوا ... السلام وعليهم • وهذا ظاهر لان الخطاب لا يتعلق الا بالموجودين من حيث اللفظ ويدخل فيه غيره
[illegible]

في الآخرين

والموضونة المنسوجة القوية اللحمة والسدى

يؤخذ منه الكبير عندهم في الشرب ويشرب به في أزمنة كثيرة. فإن قيل الطواف بالكأس على عادة أهل الدنيا وأما
الطواف بالأكواب والأباريق فغير معتاد فما الفائدة فيه. نقول عدم الطواف بها في الدنيا لدفع المشقة على الطائف
وأما في الآخرة فالآنية تدور بنفسها والولد معها إكراما لا للحمل. وفيه وجه آخر من حيث اللغة وهو أن الكأس إناء فيه
شراب فيدخل في مفهومه المشروب. والإبريق آنية لا يشترط في إطلاق اسم الإبريق عليها أن فيها شرابا ولو كان كذلك فاعتبار
الكأس بما فيه لكن فيه مشروب من جنس واحد. الثاني في تأخير الكأس ترتيب حسن وكذا في تقديم الأكواب إذا كان الكوب منه يصب
الشراب في الإبريق ومن الإبريق في الكأس. الثالث من معين بيان ما في الكأس أو بيان ما في الأكواب والأباريق نقول يحتمل أن يكون لكل
من معين والأول أظهر بالوضع. والثاني ليس كذلك. فلما قال وكأس فكأنه قال ومشروب فكان السامع محتاجا إلى معرفة المشروب
وأما الأباريق فدلالته على المشروب ليس بالوضع. وأما المعنى فلأن كون الكل ملآن هو الحق لأن الطواف بالفارغ لا يليق فكان
الظاهر بيان ما في الكل. ويؤيد الأول هو أن عند ذكر الأواني ذكر جنسها لا أنواعها فقال ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب
الآية. وعند ذكر الكأس بين ما فيها فقال بكأس من معين. الرابع ما معنى معين. فإن قلنا هو فعيل فهو من معن الماء إذا جرى
وإن قلنا مفعول فهو من عانه إذا شخصه بعينه وميزه. والأول أصح. وأما الجريان في المشروب فهو إن كان في الماء فهو صفة
مدح وإن كان في غيره فهو أمر عجيب لا يوجد في الدنيا فيكون كقوله تعالى وأنهار من خمر. ثم قال تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون
وفيه مباحث الأول لا يصدعون فيه وجهان. أحدهما لا يصيبهم منها صداع يقال صدعني أي أورثني صداعا. وثانيهما
لا يتفرقون عنها ولا يفقدونها من الصدع. والظاهر أن أصل الصداع منه وذلك لأن الألم الذي يكون في الرأس في أكثر الأمر
بمخالطة ريح في أغشية الدماغ فيؤلمه فيكون الذي به صداع كأنه يتفرق غشاء دماغه. الثاني إن كان المراد نفي الصداع فكيف
يحسن عنها مع أن المستعمل في السبب كلمة من فيقال مرض من كذا. وفي المفارقة يقال عن فيقال برئ عن المرض والجواب هو أن
الذي يشاهد في الشيء كأنه ينفصل عنه شيء ويثبت في مكان ذلك لعلة. والمراد بيان خمر الآخرة في نفسها وبيان ما عليها. والنظر
وقع عليها لا على الشاربين. ولو كان المقصود أنهم لا يصدعون عنها لوصف منهم لما كان مدحا لها. وأما إذا قال لا يصدع لأمر فيها
يكون مدحا لها. فلما وقع النظر عليها قال عنها. وأما إذا كنت تصف رجلا بكثرة الشرب وقوته عليه. فتقول في حقه هو لا يصدع من
كذا من الخمر. فإذا وصفت الخمر تقول هذه لا يصدع عنها أحد. الثالث قوله تعالى ولا ينزفون قد مر تفسيره في الصافات
والذي يجب ذكره هنا أن نقول إن كان لا ينزفون لا يسكرون فنقول إما أن نقول معنى لا يصدعون أنهم لا يصيبهم الصداع
وإما أن نقول لا يتفرقون. فإن قلنا بالقول الأول فالترتيب في غاية الحسن لأنه على طريقة الارتقاء بيان قوله تعالى لا
يصدعون أي لا يصيبهم الصداع لكن هذا لا ينفي السكر فقال بعده ولا يورثنا السكر كقول القائل ليس فيه مفسدة
كثيرة ثم تقول ولا قليلة تتميما للبيان. ولو عكست الترتيب لا يكون حسنا. وإن قلنا لا ينزفون فالترتيب أيضا كذلك
لأن قولنا لا ينزفون لا يفقدون. ثم قال لغيرهم كثرته ودوام شربه لا يسكر فإن عدم السكر لنفاد الشراب وتنقيته ليس بعجب
ولكن عدم سكرهم مع أنهم يدعون الشراب عجيب. وأما إن قلنا لا ينزفون بمعنى لا ينفد شرابهم كما بيناه هناك فنقول أيضا إن كان
لا يصدعون بمعنى لا يصيبهم صداع. فالترتيب في غاية الحسن لأن قوله لا يصدعون لا يكون بيان أمر عجيب إن كان شربهم
قليلا فقال لا يصدعون عنها مع أنهم لا يفقدون الشراب ولا ينزفون عنها لا يخرجون عما هم فيه ولا يؤخذ منهم ما أعطوا
من الشراب. ثم قال تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون. وفيه مباحث الأول ما وجه اللحم والفاكهة
لأن يطوف بهما الولدان. والعطف يقتضي ذلك الجواب من وجهين. أحدهما أن الفاكهة واللحم في الدنيا يطلبان في حالتين
إحداهما حالة الشرب والأخرى حالة عدمها. فالفاكهة من رؤوس الأشجار تؤخذ قطوفها دانية وجنى الجنتين دان
إلى غير ذلك. وأما حالة الشرب فجاز أن يطوف بهما الولدان فيناولونهم الفواكه الغريبة واللحوم العجيبة لا للأكل بل
للإكرام كما يضع المكرم للضيف. والثاني أن يكون عطفا على المعنى في جنات النعيم أي هم المقربون في جنات وفاكهة
ولحم وحوار في هذه النعم يتقلبون. والمشهور أنه عطف في اللفظ للمجاورة لا في المعنى. الثاني هل في التخصيص في الفاكهة
والاشتهاء باللحم بلاغة. قلت وكيف لا وفي كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة لا يحيط بها الذهن الكليل ولا يصل
إليها العلم القليل. وما هو الظاهر فيه أن اللحم والفاكهة إذا حضر عند الجائع يميل بنفسه إلى اللحم وإذا حضر عند الشبعان
يميل إلى الفاكهة. والجائع مشته والشبعان غير مشته. وإنما هو مختار إن أراد أكل وإلا فلا. وقوله تعالى وفاكهة
كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة يدل على أنها دائمة الحضور. وأما اللحم فالمروي أن الطائر يطير فيميل نفس المؤمن إليه
فينزل مشويا إليه ومقليا على حسب ما يشتهيه. فالفاكهة تلذ الأعين بحضورها. ولا كذلك اللحم. ثم في اللفظ لطيفة
معنوية في اللفظ اللطيفة وهي أنه تعالى قال مما يتخيرون ولم يقل مما يختارون مع تقارب أحدهما من الآخر في المعنى وهو أن
التخير من باب التكلف. وكأنهم يأخذون ما يكون في نهاية الكمال. وهذا لا يوجد إلا ممن لا يوجد له حاجة ولا

ومع

اضطرار



اضطرار. الثالث ما الحكمة في تقديم الفاكهة على اللحم الجواب من وجوه. أحدها العادة في الدنيا التقدم في الأكل وعلى
الخصوص عادة أهل الشرب. وكان المقصود بيان شرب أهل الجنة. وثانيها الحكمة في الدنيا تقتضي أكل الفاكهة أولا لأنها
ألطف وأسرع انحدارا أو لأن الفاكهة تحرك الشهوة للأكل واللحم يدفعها. وثالثها هو أنه تعالى لما بين أن الفاكهة دائمة
الحضور. واللحم يحضر عند الاشتهاء دل على عدم الجوع لأن من الفواكه ما لا يؤكل إلا بعد الطعام. ثم قال تعالى وحور عين كأمثال
اللؤلؤ المكنون. وفيه قراآت. الأولى الرفع وهو المشهور عطفا على ولدان. الثانية الجر عطفا على أكواب وأباريق فإن قيل
الحور كيف يطاف بهن عليهم نقول الجواب مضى في لحم طير أو عطفا على جنات أي أولئك المقربون في جنات النعيم وحور
والثالثة النصب أي يؤتون حورا. وقوله تعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون فيه مباحث. الأول الكاف للتشبيه
والمثل حقيقة. فلو قال أمثال اللؤلؤ المكنون لكفى فلا حاجة إلى الكاف نقول الجواب المشهور أن كلمتي التشبيه يفيدان
تأكيدا أو زيادة في الشبه لما مر من قبل أن المشابهة في الكيفية والمماثلة في النوعية فيتحقق بهما كل واحد من هذين الأمرين
ولو قال تعالى أمثال اللؤلؤ المكنون لتوهم أن كل واحد من الحور واللؤلؤ من نوع واحد وليس كذلك فلا بد من لفظ
لا يوهم هذا وهو قوله تعالى كأمثال اللؤلؤ وقد مر الكلام في التشبيه والتمثيل في ليس كمثله شيء. وأما قوله تعالى
اللؤلؤ المكنون إشارة إلى غاية صفائهن أي اللؤلؤ الذي لم يتغير بالشمس والهواء. ثم قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون. وفي
نصبه وجهان. أحدهما أنه مفعول له وهذا ظاهر وعلى هذا فيه لطيفة وهي أن نقول المعنى أن نقول هذا كله جزاء عملكم
وأما الزيادة فلا أذكرها لكم أحد منكم. وثانيهما أنها مصدر لأن الدليل دل على أن كل ما يفعل العبد فهو مجزي فكأنه قال يجزون
جزاء. وأما قوله تعالى بما تقدم ذكرنا فائدته في سورة الطور. ثم قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما
وفيه مباحث الأول في تأخير ذكر الجزاء مع أنه من النعم العظيمة. نقول فيه لطائف. الأولى أن هذا أتم النعم فجعلها من باب
الزيادة التي منها الرؤية عند البعض. ولا مقابل لها من الأعمال. وأما أنها أتم النعم فلأنه نعمة سماع كلام الله تعالى على ما
سنبين أن المراد من قوله سلاما هو ما قال في يس سلام قولا من رب رحيم. فلم يذكره مما جعله جزاء. الثانية أنه تعالى بدأ
بأتم النعم وهي نعمة الرؤية عند البعض كما مر. وختم بمثلها وهي نعمة المخاطبة. الثالثة أنه تعالى لما ذكر النعم الفعلية
وقابلها بأعمالهم حيث قال جزاء بما كانوا يعملون. ذكر النعم القولية مقابلة أذكارهم الحسنة ولم يذكر اللذات العقلية
التي في مقابلة أعمال قلوبهم من إخلاصهم واعتقادهم لأن الاعتقاد القلبي لم ير ولم يسمع فما يعطيهم الله تعالى يكون من نعمة
لم يرها عين ولا سمعها أذن. وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
قال عليه السلام ولا خطر إشارة إلى الزيادة. والذي يدل على أن هذا إشارة إلى النعمة القولية في مقابلة قولهم كما في
قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا إلى قوله نزلا من غفور رحيم. الثاني قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما
نفي المكروه لما أن اللغو كلام غير معتبر فإنه عند المعتبرين من الرجال مكروه ونفي المكروه لا يعد من النعم العظيمة التي من يذكرها في تأخير
هذه النعمة لكونها أتم. وأما التأثيم فهو النسبة إلى الإثم ولأن معناه فلا يذكر باطلا ولا ينسب إلى باطل. وأما التقديم فلأن اللغو
أعم من التأثيم إذ يحمله إثما كما يقول إنه فاسق وسارق. ونحو ذلك وبالجملة الكلام ينقسم إلى أن يلغو والذي لا يلغو لقصد الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر فهو حد الناس بتوالهم وهو لا يؤخذ عليهم بشيء فقال الله تعالى لا يلغو أحد ولا يصدر منه لغو ولا ما
يشبه اللغو. الثالث قال الله تعالى في سورة النبأ لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا فهل بينهما فرق قلنا نعم التكذيب في معناه
هناك كأنهم لا يسمعون كذبا ولا أحد يقول للآخر كذبت. وفائدته أنهم لا يعرفون كذبا من قوم من الناس ولا من واحد منهم
وقدم الكلام في الكذب. وقال هنا ولا تأثيما أبلغ من التكذيب. فإن من يقول في حق من لا يعرفه أنه كاذب فإنه يأثم. وقد
يكون صادقا وليس المذكورون هنا هم السابقون. وفي النبأ هم المتقون. وقد بينا أن السابق فوق المتقي. الرابع إلا قيلا
استثناء متصل أو منقطع فيه وجهان. أحدهما وهو الأظهر أنه منقطع لأن السلام ليس من جنس اللغو تقديره لكن يسمعون
قيلا سلاما سلاما. وثانيهما أنه متصل أي يسمعون فيها كلاما فائقا عظيم الفائدة كامل اللذة أدناها وأقربها إلى اللغو
قول بعضهم لبعض سلام عليكم فلا يسمعون كلاما يقرب إلى اللغو إلا سلاما فما ظنك في الذي يبعد عنه. وفيه من المبالغة ما فيه
وحينئذ يكون اللغو مجازا والاستثناء متصلا. الخامس في قوله تعالى قيلا قولان. أحدهما أنه مصدر كالقول. وثانيهما
أنه مصدر وهو الأظهر وما قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القيل والقال فكذلك نهى عن المشاجرة وعن الكلمات الخالية
عن الفائدة. السادس سلاما فيه ثلاثة أوجه. منها أنه صفة وصف الله تعالى بها قيلا فيما يوصف الشيء بالمصدر وحيث
يقال رجل عدل وقوم صوم ومعناه إلا قيلا سالما عن العيوب. ومنها هو مصدر تقديره إلا أن يقول سلاما. ومنها هو بدل
من قيلا تقديره لا إلا سلاما. السابع في تكرير السلام فائدة. وفيه إشارة إلى تمام النعم. وذلك لأن أمر السلام في الدنيا لا يتم
إلا بالتسليم ورد السلام فكما أن أحد المتلاقيين في الدنيا يقول السلام عليكم فيقول له الآخر وعليك السلام. فكذلك في

ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

الآخر يقولون سلاما سلاما • ثم انه تعالى لما قال سلام قولا من رب رحيم لم يكن لهم رد كما في الغير وقد كان الله تعالى منزها
عن ان يتوجه احد بالرد ان كان فهو قول المؤمن سلام الله علينا وعلى عباد الله الصالحين الثامن ما الفرق بين قوله تعالى
سلاما سلاما منصوبا وبين قوله تعالى قال سلام • فنذكرنا هنا ان قوله سلام عليكم اتم وابلغ من قولهم سلاما عليك فان ابرهيم
عليه السلام اراد ان يتفضل عليهم بالذكر وتحيتهم باحسن ما حيوا وردوا • واما هاهنا فلا يتفضل احد من اهل الجنة
على الآخر مثل التفضل في تلك السورة اذ هم من جنس واحد وهم المؤمنون التاسع اذا كان قول القائل سلام عليك اتم وابلغ
فما بال القراءة المشهورة بالنصب • نقول ذلك من حيث اللفظ فانه يستثنى من المسموع وهو مفعول منصوب • فالنصب بقوله
لا يسمعون فيها لغوا • واما المعنى فلانا بينا ان الاستثناء متصل • وتوهم الرد على اللغو من قولهم سلاما فقال الا قيلا
سلاما ليكون اقرب الى اللغو من غيره وان كان في نفسه بعيدا ثم قال تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود
وطلح منضود • لما بين حال السابقين شرع في بيان اصحاب الميمنة من الازواج الثلاثة وفيه مباحث الاول ما الفائدة في ذكرهم
بلفظ اصحاب الميمنة عند ذكر الاقسام • وبذكر اصحاب اليمين عند ذكر الانعام • نقول الميمنة مفعلة اما بمعنى موضع اليمين
كالمحكمة موضع الحكم من الارض التي فيها اليمن • واما بمعنى موضع اليمين كالمحزم موضع الحزم فكيفما كان الميمنة فيها دلالة على الموضع لكن
الازواج الثلاثة في اول الامر يتميزون بعضهم عن بعض ويتفرقون كقوله تعالى يومئذ يتفرقون وقال يصدعون فيتفرقون هم
بالمكان فاشار في الاول اليهم بلفظ يدل على المكان ثم عند الثواب لسابق حصل • واليمين ونعم يتفق بهم لا مرهم فيه هو المكان
فقال واصحاب اليمين وفيه وجوه • احدها اصحاب اليمين الذين ياخذون بايمانهم • وثانيها اصحاب القوة • وثالثها اصحاب
النور وقد تقدم بيانه الثاني ما الحكمة في قوله تعالى في سدر • والسدر من اشجار البوادي لا ثمر ولا رطب • نقول فيه حكمة
بالغة وهي انا قد بينا ان البليغ يذكر طرفي امر ويتضمن ذكرهما الاشارة الى جميع ما بينهما كما يقال فلان ملك الشرق والغرب
ويفهم منه انه ملكهما وملك ما بينهما • فنقول لا خفاء في ان من المواضع التي تتخذ فيها الاشجار تلك الاشجار تارة يطلب منها
نفس الورق في النظر اليه والاستظلال • وتارة يقصد الى ثمره • وتارة يجمع بينهما لكن الاشجار اوراقها على اقسام كبيرة وبجمعها
نوعان اوراق صغار واوراق كبار • والسدر في غاية الصغر والطلح وهو شجر الموز في غاية الكبر • فقوله تعالى في سدر مخضود
وطلح منضود اشارة الى ما يكون ورقه في غاية الصغر من الاشجار والى ما يكون ورقه في غاية الكبر منها فيكون اشارة الى الطرفين
جامعة لجميع الاشجار ولا اوراقها • ونظيره في الذكر ذكر النخل والرمان عند القصد الى ذكر الثمار الثالث ما معنى المخضود فيه
وجهان • احدهما ماخوذ الشوك فان شوك السدر شوك خشن ولولاه لكان مسيرة العرب في الظلال لانها تظل لكثرة اوراقها
ودخول بعضها في بعض • وثانيهما مخضود اي منعطف الى اسفل فان رؤس اغصان السدر في الدنيا تميل الى فوق
بخلاف اشجار الثمار فانه بخلاف اشجار سدر الدنيا فان لها ثمرا كثيرا الرابع ما الطلح الظاهر انه شجر الموز وبه يتم
ما ذكرنا من الفائدة • وروي ان عليا رضي الله عنه سمع من يقرا وطلح نضيد فقال ما شان الطلح انما هو وطلع
واستدل بقوله وطلع نضيد • فقالوا في المصاحف كذلك فقال لا تحولوا المصاحف هذا دليل معجزة القرآن وغزارة
علم علي رضي الله عنه • اما المعجزة فلان عليا كان من فصحاء العرب • فلما سمع هذا حمل الطلح على الطلع واستمر عليه
وقال في نفسه ان هذا الكلام في غاية الحسن لما انه تعالى ذكر الشجر الذي المقصود منه الورق للاستظلال به والشجر
المقصود منه الثمر للاستقلال به فذكر النوعين • ثم انه لما اطلع على حقيقة اللفظ علم ان الطلح في هذا الموضع
اولى واصح فقال المصحف لا يحول يعني ما في المصحف فهو خير مما كان في ظني ويؤيد هذا ان كونه طلعا يفضي الى التكرار
لانه داخل في قوله تعالى وفاكهة كثيرة بخلاف الطلح الخامس ما المنضود • نقول اما الورق واما الثمر • والظاهر
انه الورق لان شجر الموز من اوله الى اعلاه ورق وهو نبت كشجرة الحنطة ورقا بعد ورق وساقه يغلظ ويرتفع فموز
الدنيا انما ينبت كما ينبت القصب • وموز الآخرة تكون اوراقه متصلة بعضها ببعض فهو اكثر ورقا ثم قال تعالى
وظل ممدود • وفيه وجوه • احدها ممدود زمانا اي لا زوال له فهو كما قال تعالى اكلها دائم • وثانيها ممدود
مكانا اي يقع على اشياء كثيرة • وثالثها ممدود اي منبسط قال الله تعالى والارض مددناها • فقوله ظل ممدود
اي قائم عمودا على الارض كالظل بالليل وعلى هذا فالظل ليس ظل الاشجار بل ظل يخلقه الله تعالى وقوله تعالى
وماء مسكوب فيه وجوه • احدها مسكوب من فوق • وثانيها جار في غير اخدود لان الماء المسكوب يكون جاريا في الهواء
وثالثها مسكوب اي كثير وذلك لان الماء عند العرب عزيز لا ينسكب بل يحفظ ويشرب • والاول اصح ثم قال تعالى
وفاكهة كثيرة • لما ذكر الاشجار التي يطلب ورقها • ذكر بعدها الاشجار التي يقصد ثمرها • وفيه مباحث • الاول
في تقديم الاشجار المورقة على غيرها • نقول هذا بطريقة الارتقاء من نعمة الى نعمة فوقها • والفواكه اتم نعمة الثاني
ما الحكمة في ذكر الاشجار المورقة بانفسها • وذكر الاشجار المثمرة بثمارها • نقول اما الاوراق فحسنها عند كونها

على الشجر



على الشجر واما الثمار فحسنها بحسب نفسها على الشجر او على غير الشجر بعد القطع • الثالثة الحكمة في وصف الفاكهة بالكثرة
لا بالطيب واللذة • نقول لفظة الفاكهة تدل على الطيب واللذة • ولهذا تسمى الحكاية الطيبة اللذيذة فاكهة القوم وانما
الكثرة فقد تقدم • الرابع لا مقطوعة اي ليست الفواكه كفواكه الدنيا فانها تنقطع في اكثر الاوقات ولا ممنوعة اي لا تمنع
من الناس لطلب الاعواض • وقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة اشارة الى انها حاصلة دائما من غير عوض بخلاف الفاكهة
في الدنيا فان انقطاعها في الدنيا باختلاف الفصول الاربعة • ولطلب العوض الخامس قدم نفي كونها مقطوعة لما
ان القطع للوجود والمنع بعد الوجود ثم قال تعالى وفرش مرفوعة • قد ذكرنا معنى الفرش في المرفوعة اوجه
احدها المرفوعة القدر • يقال ثوب رفيع عزيز • وثانيها مرفوعة بعضها فوق بعض • وثالثها مرفوعة السرر وجمع
فيها بين ان تكون مرفوعة وموضونة ثم قال تعالى انا انشاناهن انشاء • وفي الانشاء مباحث الاول الضمير في انشاناهن
عائد الى من فيه ثلاثة اوجه • احدها الى حور عين • وثانيها ان المراد من الفرش النساء يقال للجارية انها صارت فراشا • واذا
صارت فراشا رفع قدرها بالنسبة الى جارية لم تصر فراشا ولا مرفوعة • ومنهم من زعم انه مبني على خلاف ذلك • وثالثها انه عائد
الى المعلوم وان لم يذكر لانه قد علم في الدنيا في مواضع الثاني قوله تعالى انا انشاناهن انشاء • المراد الحور وعلى هذا الانشاء
هو الابتداء ويحتمل ان يكون المراد هو النساء وعلى هذا يكون الانشاء بمعنى الاحياء اعادة • وقوله تعالى ابكارا يدل على الثاني لان
البكارة للحور لكونها حورا ولا تثبت للنساء لكونها نساء • ثم الابكار في الآخرة على خلاف الابكار في الدنيا اذ البكارة في الدنيا
لا زمة للابكار في الآخرة • فالبكر بكر كل مرة • وقوله اترابا يحتمل وجوها • احدها مستويات في السن • الثاني متماثلات في
النظر • الثالث اترابا لاصحاب اليمين اي على سنهم • وفيه اشارة الى الاتفاق • الثاني ما الفائدة في قوله لاصحاب اليمين • نقول
فائدته ظاهرة بالنظر الى الكلام في اصحاب اليمين ليكون ترتيبا للمسبب بالذكر ترتيب المقتضي على المقتضى ثم قال تعالى ثلة من
الاولين وثلة من الآخرين • وقد ذكرنا ما فيه لكن هاهنا لطيفة وهي انه تعالى قال في السابقين ثلة من الاولين قبل ذكر السرر
والفاكهة والحور وذكر في اصحاب اليمين ثلة من الاولين بعد ذكر هذه النعم • نقول السابقون لا يلتفتون الى الحور العين
والماكول والمشروب • واصحاب اليمين يلتفتون اليها فقدم ذكرها عليهم • وقدم السابقون المقربون في السلام من
اصحاب اليمين ثم قال تعالى واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم • وفيه مباحث الاول ما الحكمة في ذكر
السموم والحميم وترك ذكر النار واهوالها نقول فيه اشارة بالادنى الى الاعلى فقال هواهم الذي يهب عليهم سموم
وماؤهم الذي يشربون حميم والسموم والحميم من احقر الاشياء بخلاف الهواء والماء في الدنيا فانهما من انفع الاشياء • ولو قال
هم في نار لظن انها كنارنا لانا ما راينا شيئا احر من النار الثاني ما السموم • نقول المشهور هو ريح حارة تهب فتقتل
غالبا والاولى ان يقال هو هواء يتعفن يتحرك من جانب الى جانب فاذا استنشق الانسان منه يفسد قلبه بسبب فساده
ويقتل الانسان • واصل السموم من السم كسم الحية مثلا • وقيل السموم مختص بما يهب ليلا • وعلى هذا فقوله سموم اشارة
الى ظلمة مبهم غير انه بعيد جدا لان السموم قد يرى بالنهار بسبب كثافته الثالث ما الحميم نقول هو الماء الحار وهو
بمعنى فاعل من حمم الماء بكسر الميم او بمعنى مفعول من حم الماء اذا سخنته • وقد جاء بمعنيين من الزيادة في السواد والزيادة في
حرارته • وفي الامور الثلاثة اشارة الى ان كونهم في العذاب دائما لانهم ان تعرضوا لمهب الهواء اصابهم الهواء الذي هو
السموم • وان سكنوا كما يفعله الذي يدفع عن نفسه السموم بالاستكنان في الكن يكون في ظل من يحموم • وان اراد الرد
عن نفسه السموم بالاستكنان فاتاه من حميم فلا انفكاك لهم من عذاب الجحيم • فان قيل ما اليحموم • نقول فيه وجوه • احدها
انه اسم من اسماء جهنم • ثانيها انه الدخان فيها • ثالثها انه الظلمة واصله من الحمم وهو الفحم فكانه لسواده سمي بهذا الاسم
والحرف الزائد فيه لزيادة هذا المعنى ويحتمل ان يقال الحاجة فيه من الترتيب • وذلك لان السموم يمر به فيعطش ويلتهب اذن
السموم في احشائه فيشرب الماء فيقطع امعاءه فيريد الاستظلال بظل فيكون ذلك الظل ظل اليحموم الرابع في من ان قلنا
انه اسم جهنم فهي لابتداء الغاية • وان قلنا انه دخان فهي للبيان • وان قلنا انه الظل فكذلك ثم قال تعالى لا بارد ولا كريم
قال صاحب الكشاف • كرم الظل نفعه ودفعه اذى الحر عنه • ولو كان كذلك لكان البارد والكريم بمعنى واحد • والاقوى
ان يقال فائدة الظل امران • احدهما دفع الحر والآخر كون الانسان فيه مكرما وذلك لان الانسان في البرد يقصد عين الشمس
ليدفع بحرها اذاه تعليل الثياب • واذا كان من المكرمين يكون ابدا في مكان يدفع الحر والبرد عن نفسه بالظل فيكون الظل في الحر
مطلوبا للبرد فيطلب كونه باردا • واذا كان في البرد يطلب كونه ابرد شيء يقع هناك الظل فيطلب ذلك لكرامته لا لبرده • ويحتمل
ان يقال الظل يطلب لامر يرجع الى الحس او لامر يرجع الى العقل الاول هو برده الثاني ان يكون الرجوع اليه كرامة • فاليحموم
لا برد يحصل منه ولا كرامة له ولا كرم فيه • وهذا هو المراد بما نقله الواحدي عن الفراء ان العرب تتبع كل منفي بكريم اذا كان
النفي اكرم فيقال هذه الدار ليست بواسعة ولا كريمة • والتحقيق فيه ما مر فيكون لا بارد ولا كريم لا مدح فيه اصلا لا حسا

خ العفونه

وقيل السموم مختص بما يهب ليلا

ولا عقلا ثم قال تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين لا يظن ان الاتراف من حيث هو اتراف يكون قبيحا لكن ذلك من قبح ما ذكر
عنه بعده وهو قوله وكانوا يصرون على الحنث العظيم اى كانوا مترفين ولم يشكروا نعمة الله بل اصروا على الذنب والجملة
فالشكر واجب في كل حال الا انه يحتاج الى كثير من الاشيا في وجوده وبقائه غاية الكثرة فيكون شكر تلك الاشيا الكثيرة موجوه
حال كونهم باقيا اى حال كان • وقوله تعالى وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما
اينا لمبعوثون او اباؤنا الاولون • وفي الايات لطايف • الاولى ما الحكمة في بيان كونهم في العذاب مع انه تعالى لم يذكر عند
ايصال الثواب اعمال الصالحين • ويذكر عند ايصال العقاب اعمال الطالحين لان الثواب فضل والعقاب عدل • والفضل سوا
ذكر سببه او لم يذكر لا يتوهم بالمتفضل نقص وظلم • واما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلما فبين تعالى
والذي يؤيد هذه اللطيفة ويكملها ان الله قال في حق السابقين جزاء بما كانوا يعملون ولم يقل في حق اصحاب اليمين ذلك
لانا اشرنا الى ان اصحاب اليمين هم الناجون بالفضل العظيم لا بالعمل فبين ذلك في قوله تعالى فسلام لك وان كان كذلك فالفضل
في حقهم متمحض فقال هذه النعم لكم ولم يقل جزاء لان قوله جزاء في مثل هذا الموضع وهو موضع العفو عنهم بخلاف من كثرت
حسناته فيقال له نعم ما فعلت خذ هذا لك جزاء وقد مر ذلك • الثانية جعل السبب كونهم مترفين • وليس كل من هو من
ارباب الشمال مترفا • فان منهم من يكون فقيرا • نقول انهم كانوا قبل ذلك مترفين لا يشعر ان الاتراف من حيث هو
اتراف قبيحا لكن ذلك من قبح ما ذكر عقيبه بعده وهو قوله تعالى كانوا يصرون على الحنث كانوا مترفين ولم يشكروا
نعم الله بل اصروا على الذنب • الثالثة ما الاصرار على الحنث العظيم نقول الشرك كما قال ان الشرك لظلم عظيم • وفيه
لطيفة وهو انه تعالى اشار في الايات الى الاصول الثلاثة • فقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين من حيث
الاستعمال يدل على ذمهم بانكار الرسل اذ المترف متكبر بسبب الغنا فينكر الرسالة والمترفون كانوا يقولون ابشرا
منا واحدا نتبعه • وقوله يصرون اشارة الى الشرك ومخالفة التوحيد • وقوله تعالى وكانوا يقولون ايذا متنا
وكنا اشارة الى انكار الحشر والنشر وكانوا يصرون على الحنث العظيم مبالغة لان كانوا يصرون اكد من قوله كانوا اصروا
لان الاجتماع من لفظي الماضي والمستقبل يدل على الاستمرار • وثانيها لفظ الاصرار اذ الاصرار مداومة المعصية
وثالثها الحنث فانه فوق الذنب لانه لا يكاد في اللغة يقع على الصغير • ورابعها العظيم للمبالغة وقد مر • الرابعة
كيف اشتهر متنا بكسر الميم مع ان المستعمل في القران يموت • قال تعالى ويوم يموت • ولم يقرا اصلا يمات والجواب
ان مات يمات لغة في مات يموت بالنقل الخامس كيف اتى باللام المؤكدة في لمبعوثون مع ان المراد هو النفي واللام في
النفي لا تستعمل في خبر ان • وما مرادهم بالاستفهام الا الانكار بمعنى انا لا نبعث او غيره • نقول انهم ارادوا التكذيب من غير
عن البعث فاتوا بالكلام على طريقة الاستفهام بمعنى الانكار واشاروا في الانكار الى امور اعتقدوها الحجة انكارهم
فقالوا اولا ايذا متنا ولم يقتصروا عليه بل قالوا وكنا ترابا وعظاما اى فطال عهدنا بعد كوننا امواتا حتى صارت
اللحوم ترابا والعظام رفاتا • ثم زادوا وقالوا انا لمبعوثون بطريق التاكيد من ثلاثة اوجه • احدها استعمال
كلمة ان • وثانيها اثبات اللام • وثالثها الاتيان بالمفعول كانه كاين فقالوا اينا لمبعوثون • ثم زادوا وقالوا او اباونا
الاولون معناه او نقول اباونا الاولون اشارة الى انه الاشكال الاعظم • ثم انه تعالى اجابهم ورد عليهم بالمبالغة
في كل مرتبة اتوا بالمبالغة كما مر فقال قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم فقوله قل اشارة
الى ان الامر في غاية الظهور • وذلك ان للرسالة اسرارا لا تقال الا للابرار • ومن جملتها تعيين وقت القيمة لان العوام
لو علموا لاعتمدوا • والانبياء ربما اطلعوا على علاماتها اكثر مما بينوا او ربما بينوا للاكابر من الصحابة علامات على ما نبين
فقوله قل معناه ان هذا من جملة الامور التي بلغت في الظهور الى حد يشترك فيه العوام والخواص وعلى هذا في كل موضع
قال قل • وثانيها قوله تعالى قل ان الاولين والاخرين بتقديم الاولين على الاخرين في جواب قولهم او اباونا الاولون بانهم
اخروا ذكر الاباء لكون الاستبعاد فيهم اكثر • وثالثها قوله تعالى لمجموعون فانهم اكدوا قوله لمبعوثون فقال هو واقع مع امر
زايد فهو انهم يحشرون ويجمعون في عرصة الحساب • وهذا فوق البعث • فان من بقي تحت التراب مدة طويلة ثم حشر
ربما يكون له قدرة في الحركة • ثم انه تعالى بقدرته يحركه باسرع حركة ويجمع باقوى سير • وقوله تعالى لمجموعون فوق قول
القايل لمجموعين لما فيه من التاكيد • ورابعها قوله تعالى الى ميقات يوم معلوم فانه ينزل على انه تعالى يجمعهم في يوم واحد
معلوم • وهذا كقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة اى انتم تستبعدون نفس البعث والاعجب من هذا انه يبعثهم بزجرة
واحدة اى صيحة واحدة فاذا هم ينظرون اى يبعثون مع زيادة امر وهو فتح اعينهم ونظرهم بخلاف من ينبه فانه ينتبه
يتوقف زمانا ثم ينظر • وخامسها كلمة الى في على البعث من اللام • ولنذكرها في جواب انه تعالى قال يوم يجمعكم ليوم
الجمع وقال هنا لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ولم يقل لميقاتنا • وقال ولما جاء موسى لميقاتنا

بيان لزيادة العذاب ايضا

الامور الطبيعية تقتضي ان يكون زمان هذا في الحياة مثل زمان ذلك باعتبار ما يحصل من الطبيعة وافرايتم ما تمنون
اانتم ذلك وهو المني ميتا لا حياة فيه • ولو تفكرتم لعلمتم ان احيا الميت ممكن لانكم علمتم ان هذا الميت وهو المني صار
حيا حساسا متحركا بالارادة سيما اذا كان بطريق الاعادة الثاني ما الفرق بين هذا الموضع وبين سورة الملك حيث قال
هناك خلق الموت والحياة • فقدم ذكر الموت • نقول الكلام هنا على الترتيب الاصلي كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم قال بعده ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم قال بعده ثم انكم بعد ذلك لميتون • وقيل
المراد من الموت هنا الموت الذي بعد الحياة • والمراد هناك الحياة الثالث قال في سورة الملك خلق الموت والحياة بلفظ
الخلق • وهنا قال خلقناكم وقال قدرنا بينكم الموت • قلنا المشهور ان المراد هناك بيان كون الموت والحياة مخلوقين
مطلقا لا في الناس على الخصوص • وهنا لما قال الله تعالى خلقناكم خصهم بالذكر فصار كانه قال خلقنا حياتهم فلو قال
نحن خلقنا موتهم توهموا ان نوجد موتهم في الحال ولم يكن كذلك • فلهذا قال قدرنا بينكم الموت الرابع هل في قوله بدلا عن غيره
من الالفاظ فايدة • قلنا نعم فايدة جليلة وهي ان ننظر الى الالفاظ تقوم مقامها مفعول قدرنا لكم وقدرنا فيكم يقوم
مقامها لكن قوله قدرنا فيكم فيفيد معنى الخلق لان تقدير الشيء في الشيء يستدعي كونه ظرفا له اما ظرف حصوله فيه او
حلوله كما يقال البياض في الجسم واللون في العين • ولو قال قدرنا فيكم الموت لكان مخلوقا وبينا فليس كذلك • وان قلنا قدرنا
لكم الموت كان ينبئ عن تاخره عن الناس فان القائل اذا قال هذا امر معد لك وموضع قريب حللتم اليوم لقربكم وعدا لك كما قال تعالى
وتلك الايام نداولها بين الناس ثم قال تعالى وما نحن بمسبوقين المشهور المراد منه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن خلق مثلكم
واعادتكم بعد تفرق اوصالكم • يقال فاته الشيء اذا غلبه ولم يقدر عليه • وعلى هذا نعيد ما ذكرنا من الترتيب • ونقول اذا كان
قوله نحن قدرنا بينكم الموت لبيان انه خلق الحياة وقدر الموت وهما ضدان • وخالق الضدين يكون قادرا مختارا فقال وما نحن
بمسبوقين عاجزين عن شيء بخلاف الموجب الذي لا يمكنه ايقاع احد الضدين فيسبقه ويفوته • فان النار لا يمكنها التبريد لكن
هو الله تعالى فاعل مختار يمكنه ان ياتي بالشيء في اسرع الاوقات ثم يبطله ويأتي بمثله • والظاهر ان المراد من قوله وما نحن بمسبوقين
حقيقة وهي انا ما سبقنا • وفيه فايدتان اشارة الى انكم في اي وجه تسلكون طريق النظر تصلون الى حضرة الله تعالى وتقفون
عنده ولا تبدأ الدور والتسلسل • وان قلنا انه ليس بمسبوق فما فعله فمعناه انه فعل ما فعل ولم يمكن ان يكون لمفعول له
مثال فهو اهون فيكون كقوله تعالى فهو اهون عليه • ويؤيده قوله على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ثم قال تعالى
على ان نبدل امثالكم تعلق به نحن بمسبوقين على التبديل فما نحن بعاجزين منه • وقيل المتعلق به نحن قدرنا اي قدرنا بينكم على وجه
التبديل لا على وجه قطع النسل من اول الامر • وقيل ما نحن بعاجزين عن ان نجعلكم في صورة قردة وخنازير كقوله ولو نشا
لمسخناهم لانه • قيل امثالكم كقوله • واذا شئنا بدلنا امثالكم تبديلا • يعني اوصافكم فتكونون اطفالا ثم شبابا ثم كهولا
ثم شيوخا ثم يدرككم الاجل وما قدرنا بينكم الموت على ان نهلككم دفعة الا اذا جاء وقت ذلك فما تلك بنفخة واحدة اذا كان
جمع مثل • فمعناه نجعل امثالكم بدلا وبدله اي نجعله بدلا • وقوله تعالى فيما لا تعلمون من الزمان فان احدا لا يدري انه متى
يموت • ومتى ينشا كانهم قالوا ومتى الساعة والانشا فقال لا علم لكم بها • وفيه لطيفة وهي ان قوله تعالى فيما لا تعلمون
تقرير لقوله تعالى اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون كانه قال كيف يمكن ان تعلموا وانتم تنشؤن في بطون امهاتكم
على اوصاف لا تعلمون • وكيف يكون خالق الشيء غير عالم به وهو كقوله تعالى هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض الاية
وعلى ما ذكرنا فيه فايدة وهي التحريض على العمل الصالح لان التبدل والانشا وهو الموت والحشر اذا كان واقعا في زمان
لا يعلمه احد فينبغي ان لا يتكل الانسان على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة ثم قال تعالى ولقد علمتم النشاة الاولى
تقريرا لامكان النشاة الثانية • وقال فلولا تذكرون ذلك ثم قال تعالى افرايتم ما تحرثون اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون
ذكر بعده دليل الخلق دليل الرزق • فقوله تعالى افرايتم ما تمنون اشارة الى دليل الخلق وبه الابتدا • وافرايتم ما تحرثون
اشارة الى دليل الرزق وبه البقا وذكر امورا ثلاثة المأكول والمشروب وما به اصلاح المأكول ورتبه ترتيبا فذكر المأكول
اولا لانه الغذا ثم المشروب لان به الاستمرا ثم النار التي بها الاصلاح وذكر من كل نوع ما هو الاصل • فذكر من
المأكول الحب وهو الاصل • ومن المشروب الماء كذلك • ومن المصلحات النار لان بها اصلاح الشيء للاغذية واعمها ودخل
في كل واحد منها ما هو دونه • فهذا هو الترتيب • واما التفسير فنقول الفرق بين الحرث والزرع هو ان الحرث اوائل الزرع
ومقدماته على ما عرف • والزرع هو اواخر الحرث من خروج النبات واستغلاظه واستوائه على الساق • فقوله ما
تحرثون ما تبتدئون من الاعمال التي تبلغونها المقصود ام الله ولا تشكون ان ايجاد الحب في السنبلة ليس بايجاد الزارع
وعلى هذا فالزارع الله • فكيف قال صلى الله عليه وسلم الزرع للزارع • فنقول قدم من قبل ان الحرث متصل بالزرع
فالحرث اوائل الزرع والزرع اواخر الحرث فيجوز اطلاق احدهما على الاخر لكن قوله يعجب الزراع بدلا من قوله يعجب الحراث





فالحارث اذا كان هو المبتدئ فربما يتعجب بما يترتب على فعله من خروج النبات • والزارع اذا كان هو المنتهي فلا يعجب الا بشيء عظيم
فقال يعجب الزراع • وقوله صلى الله عليه وسلم الزرع للزارع فيه فايدة وهو انه اذا قال للحارث • فمن ابتدا بعمل الزرع واتى بكرب
الارض وتسويتها يصير حارثا وبعدا لم يلق البذر وهذا اظهر على مذهب الامام ابي حنيفة رحمه الله لان عنده بمجرد الالقا
يجعل الزرع للملقي سواء كان مالكا او غاصبا ثم قال تعالى لو نشا لجعلناه حطاما وهو تدرج في الاثبات وبيانه وهو انه
لما قال اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون ولا يبعد عن معاند ان يقول هو بنفسه يصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فقال تعالى
هب انا نسلم هذا الباطل لكن كيف يقولون في سلامته عن الافات قبل اشتداد الحب وقبل انعقاده • وقبل ذلك • ومن
تامل حق التامل وترك العناد علم ان دفع الافات باذن الله تعالى وحفظه عنها باذن الله وعلى هذا ذكر في القران ذكر امورا
مرتبة • فالاول للمهتدين • والثاني للظالمين • والثالث للمعاندين الضالين • ثم ذكر الامر الذي لا شك فيه في اخر الامر
اقامة للحجة على الضال المعاند • وفيه سؤال وهو انه تعالى قال هنا لجعلناه حطاما بلام الجواب • وقال في موضع
اخر جعلناه اجاجا من غير لام فما الفرق فنقول ذكر صاحب الكشاف عنه جوابين • احدهما قوله تعالى ولو نشا لجعلناه
حطاما ما كان قريب الذكر فاستغنى باللام فيه عن ذكرها ثانيا • وهذا ضعيف لان قوله تعالى ولو نشا لطمسنا على اعينهم
اقرب من قوله لجعلناه حطاما وجعلناه اجاجا اللهم الا ان يقال هناك اخذها قريب من الاخر كان معنى الطمس لا يلزمه
المسخ ولا بالعكس • والمأكول معه المشروب في الذهن • وثانيهما ان اللام تفيد نوع تاكيد فذكر اللام في المأكول ليعلم ان المأكول
اهم من امر المشروب وبعده اعظم وما مرا ايضا زد عليه لان امر الطمس اهون من امر المسخ فادخل فيهما اللام • ومنهم من
اجاب • وقال الحرف الشرط اذا دخل على الجملة يخرجها عن كونها جملة في المعنى فاحتاج الى علامة تدل على المعنى فاتوا بالجزم
في المستقبل لان الشرط يقتضي الجزا وهو فيه تطويل فالجزم الذي هو سكون الياء بالموضع • ثم الحطام كالفتات والجذاذ وهو
من الحطم • والتفعل في الكثرة لا بد يدل على مكروه او منكر اما في المعاني كالصداع والدوار والسلاق لامراض وافات في الناس واما في
الاعيان كالجذاذ والحطام والسحام • وكذا اذا الحقت الها كالبرادة والنحالة وزيادة الحرف لزيادة البيان على ما عرف وقوله تعالى
فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون هو كلام مقدر عنهم لكنه عليهم كانه يقول وحينئذ يحق انا المعذبون اي يمون في
العذاب • ولا يقولون • وعلى الثاني تقول انا المعذبون بل نحن محرومون عن ما فيه بغير الزرع كفوات المال • والوجه الثاني في الغرم
انا لمغرمون بالغرامة من غرم الرجل واصل الغرم والغرام لزوم المكروه ثم قال تعالى افرايتم الماء الذي تشربون خص بالشرب
لانه الطف وانظف او تذكر لهم نبا لانعام عليهم • والمزن السحاب الثقيل بالماء • والاجاج المر من شدة الملوحة وهو من اجج الماء
وذكر في الماء الطيب صفتين احدهما عايدة الى الطعم • والاخرى الكيفية طعمه وهي الحرارة ثم قال تعالى فلولا تشكرون
ولم يقل عند ذكر الطعام الشكر • وذلك لوجهين احدهما انه لم يذكر في المأكول انا كلكم • فلهذا لم يقل تشكرون وقال في الماء تنزلون
فقال تشكرون • وثانيهما في ان المأكول قال فيه تحرثون فاثبت لهم سعيا فلم يقل تشكرون • وقال في الماء انزلتموه وذلك من غير سعيهم
فهو محض النعمة فقال فلولا تشكرون على هذه النعمة التامة الكاملة ثم قال تعالى افرايتم النار التي تورون
انتم انشاتم شجرتها • وفي شجر النار وجوه • احدها انها الشجرة التي تورى النار منها بالزند والزندة كالمرخ والعفار • وثانيها
الشجرة التي تصلح لايقاد النار • فانه اذا لم يكن لم يسهل لايقاد النار • وثالثها اصول شعلها وقودها شجرتها • ولولا كونها
ذات وقود لما صلح لانفصال الاشيا • والثاني ظاهر وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين في قوله تذكرة وجهان
احدهما تذكرة لنار الاخرة • وثانيهما تذكرة لصحة البعث لان من يقدر على ايداع النار في الشجر الاخضر لا يعجز عن ايداع الحرارة
الغريزية في بدن الميت • وقد مر في قوله من الشجر الاخضر نارا • وفيه لطيفة وهي انه تعالى قدم كونها تذكرة على كونها متاعا ليعلم
ان الفايدة الاخروية اتم • وفي الذكر اهم ثم قال تعالى فسبح باسم ربك العظيم • وفيه مباحث الاول في وجه التعلق
لما ذكر الله تعالى حال المكذبين بالحشر والوحدانية كما تقدم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان لا تحمل في نفسك وهو علمك تركت
فسبح باسم ربك وقد مر في قوله فسبح بحمد ربك وغير ذلك الثاني التسبيح التنزيه عما لا يليق بحضرته تعالى وتقدس فما
الفايدة في ذكر الاسم الجواب من وجهين المشهور وهو ان الاسم مقحم • وعلى هذا فيه زيادة التعظيم فان من عظم ملكا
وبالغ في تعظيمه لم يذكر اسمه الا وعظمه • وهذا من جملة ما مر ذكره • يقال سبحه وسبح به وشكره وشكرت له وبولغ
اذا قلت ولم تقل فسبح بذكر اسمه بين قومك واشتغل بالتبليغ • والمعنى اذكره باللسان وبالقلب • ويحتمل ان يقال فسبح
متلبسا باسم ربك فلا تكون الباء زائدة الثالث كيف يسبح ربنا • نقول اما معنى فما يعتقد فيه انه واجب لذاته واحد
لا شريك له قادر لا يعجز عن الحشر والنشر وغيرهما • واما لفظا فان يقال سبحان الله او سبحان الله وبحمده او سبحان الله
العظيم وبحمده • وسبحان الله عما يشركون وما يقوم مقامه من الكلام المشعر بالتنزيه عن الشرك والعجز والغفلة والجهل
وغيرها فانك اذا سبحته واعترفت بوجوبه لزمه ان لا يكون جسما ولا يكون عرضا ولا يكون في مكان وجهة ولا يكون عن شيء

الجواب

والسكات

والمزن السحاب الثقيل

على اعادة الزرع مرة بعد اخرى لمعذبون بالجوع لهلاك الزرع نحن محرومون

ولا في شيء الرابع ما الفرق بين العلي العظيم وبين الأعلى وهل ذكر التعظيم بدل الأعلى وذكر الأعلى في سبح اسم ربك الأعلى
بدل العظيم نقول أما الفرق بين العلي والعظيم فهو أن العظيم يدل على القرب والعلي يدل على البعد وذلك
لأن الأعظم من الأشياء المحسوسة قريب من كل ممكن والأعلى عن كل شيء بعيد منه فالعلي المطلق بالنسبة الى كل شيء
هو الذي في غاية البعد عن كل شيء فالأعظم معناه عظيم لا أعظم مثله وفيه مفهوم ثبوتي ومفهوم سلبي والأعلى
معناه علي لا أعلى مثله والعلي ما فيه مفهوم سلبي فالأعلى أحسن استعماله الا من الأعظم ثم قال تعالى فلا أقسم بمواقع
النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وفيه مباحث الأول في الترتيب وهو أنه تعالى لما أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق آتاه كل ما ينبغي له وطهره عن كل ما لا ينبغي له فآتاه الحكمة وهي البراهين القاطعة واستعمالها على وجوهها
والموعظة الحسنة وهي الأمور المفيدة المرققة للقلوب المنورة للصدور والمجادلة التي هي أحسن الطرق فأتى بها
وعجز الكل عن معارضته بشيء ولم يؤمنوا والذي يتلى عليه كل ذلك ولا يؤمن ما يبقى له عذر إلا أنه يقول هذا البيان ليس
لظهور المدعى بل لقوة ذهن المدعي وقوته على تركيب الأدلة وهو يعلم أنه يغلب بقوة جداله لا لظهور مقاله
وربما يقول أحد المناظرين لغيره عند انقطاعه أنت تعلم أن الحق بيدي لكن لا ينصفني فلا يبقى حينئذ للخصم جواب غير
القسم بالأيمان التي لا مخلص عنها أنه منصف غير مكابر وذلك لأنه لو أتى بدليل آخر لكان له أن يقول وهذا الدليل أيضا
غلبتني فيه بقوتك وقدرتك فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما آتاه الله تعالى ما ينبغي قالوا إنه يريد التفضيل علينا
وهو يجادلنا فيما نعلم خلافه فلم يبق إلا أن يقسم فأنزل الله عليه أنواعا من القسم بعد الدلائل ولهذا كثرت الأيمان في
أوائل التنزيل وفي السبع الأخير خاصة الثاني في تعلق الفاء نقول إنه لما بين أنه خالق الخلق ورازقهم وله العظمة
بالدلائل القاطعة ولم يؤمنوا قال لم يبق إلا القسم فأقسم بالله إني لصادق الثالث ما المعنى من قوله لا أقسم مع أنه
يقول إنه قسم فنقول فيه وجوه منقولة ومعقولة أما المنقولة فأحدها أن لا زائدة مثلها في قوله تعالى لئلا
يعلم ثانيها أصلها لأقسم بلام التأكيد أشبعت فتحتها فصارت لا كما في الوقف ثالثها لا نافية وأصلها على
مقالتهم والقسم بعده كأنه قال لا والله لا صحة لقول الكفرة أقسم عليه وأما المعقولة فالأظهر هنا أن كلمة لا نافية
غير أن في الكلام مجاز تركيبي تقديره أن لا في النفي كهي في قول القائل لا تسألني عما جرى علي يشير إلى ما جرى عليه أعظم من أن
يشرح وهو أن السامع يبادر إلى قوله ماذا جرى عليك فلا أقسم على هذا الأمر يريد به الإعلام بظهور الواقعة فإذن قوله
تعالى لا أقسم بمواقع النجوم أي الأمر أظهر من أن يقسم عليه وأن يتطرق الشك إليه الرابع مواقع النجوم ما هو فيه وجوه
منها المشارق والمغارب أو المغارب وحدها فإن عندها سقوط النجوم ومنها هي مواضعها في السماء في بروجها ومنازلها
ومنها مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم ومنها مواقعها يوم القيامة حين تنتثر النجوم وأما مواقع نجوم القرآن
فهي قلوب عباده وملائكته ورسله وصالحي المؤمنين أو معانيها وأحكامها التي وردت فيها الخامس هل في اختصاص
النجوم للقسم بها فائدة قلنا نعم لأنا بينا أن القسم في مواضعها كما هي قسم كذلك من الدلائل وقد بينا في الذاريات وفي
الطور وغيرهما فهنا أيضا كذلك لأنه تعالى لما ذكر خلق الآدمي من المني وبين بإشارته إلى إيجاد الضدين في الأنفس
قدرته واختياره ذكر في الآفاق أيضا وبين قدرته واختياره فقال أفرأيتم ما تحرثون أفرأيتم الماء الذي تشربون إلى غير ذلك
وذكر قدرته على زرعه وجعله حطاما وخلق الماء فراتا وجعله أجاجا إشارة إلى أن القادر على الضدين مختار ولم يذكر
من الدلائل السماوية شيئا فذكرها في معرض القسم وقال بمواقع النجوم فإنها أيضا من الدلائل الدالة على الاختيار ليستوي
البراهين النفسية والآفاقية بالذكر كقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم الآية ثم قال تعالى وإنه لقسم
لو تعلمون عظيم والضمير عائد إلى القسم وفيه مباحث الأول نحوية ومعنوية فالنحوية جواب لو تعلمون ماذا ولم
تقول من لا يعلم جوابه ما تقدم وهو فاسد لأن جواب الشرط لا يتقدم وذلك لأن عمل الحروف في معمولاتها لا تكون
قبل وجودها فلا يقال زيدا إن قائم وأما الحروف فلها تقدم وتأخر يدرك بالحس وعمل وجهين أحدهما أن الجواب محذوف
بالكلية لا يقصد بذلك جواب وإنما يراد نفي ما دخلت عليه لو كأنه قال وإنه لقسم لو تعلمون وهو لقولهم في الفعل
المتعدي فلان يعطي ويمنع حيث لا يقصد به مفعولا وإنما يراد إثبات القدرة والثاني أن جواب لو تعلمون لعظمتموه لكنكم
ما عظمتموه فعلم أنكم لا تعلمون الثاني كيف تعلق قوله تعالى لو تعلمون بما قبله وما بعده نقول هو اعتراض في
أثناء الكلام تقديره وإنه لقسم عظيم لو تعلمون لصدقتم وإنه لقسم معناه عند التحقيق وإنه لبرهان قوي لو تعلمون وجه
لا عذر فيه لما يبرهن به وهو التوحيد والقدرة على الحشر ولأن دلالة اختصاص الكواكب بمواضعها في غاية الظهور
وأما المعنوية فالأول ما المقسم عليه نقول هو القرآن كأنوا يجعلونه تارة شعرا وأخرى سحرا وغير ذلك وثانيها
هو الحشر والتوحيد والقرآن مبتدأ كلام الثالث ما الفائدة في وصفه بالعظيم وقوله وإنه لقسم نقول

مباحث

قد ذكرنا

لما قال فلا أقسم



لما قال لا أقسم وكان معناه لا أقسم بهذا الوضوح المقسم فيه عليه وقال لست تاركا القسم بهذه الآية وليس بقسم بل هو قسم عظيم
ولا أقسم بل بأعظم منه أقسم لعلمي بحقيقته الرابع اليمين في أكثر الأمر يوصف بالمغلظة والعظيم يقال في القسم ثم قال تعالى
إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين وفيه مباحث الأول الضمير في إنه
عائد إلى ماذا نقول فيه وجهان أحدهما إلى معلوم وهو الكلام الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وكان معروفا عند الكل
وقال الكفار إنه شعر وإنه سحر فرد عليهم بقوله إنه لقرآن ثانيهما عائد إلى مذكور وهو جميع ما سبق من التوحيد والحشر والدلائل
المذكورة عليها والقسم لأنهم قالوا أخذ عن محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى إنه لقرآن كريم الثاني القرآن مصدر أو اسم
نقول فيه وجهان أحدهما مصدر أريد به المفعول وهو المقروء والثاني اسم لما يقرأ كالقربان لما يتقرب به الثالث
المشركون ما أنكروا كونه مقروءا فما الفائدة في قوله إنه لقرآن نقول فيه وجهان أحدهما الإخبار عن الكل وهو قوله قرآن كريم
وهم ما كانوا يرون به والثاني وهو أحسن أنهم قالوا اخترع من عنده فقال إنه مسموع سمعته وتلوته عليكم فما كان
القرآن عنه مقروءا وما كانوا يقولون إنه صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن وفرق بين القراءة والإنشاء فلما قال قرآن أثبت
كونه مقروءا على النبي صلى الله عليه وسلم الرابع قوله تعالى كريم فيه لطيفة وهو أن الكلام إذا قرئ كثيرا يهون في الأعين والآذان
والله تعالى لما قال كريم أي لا يهون بكثرة القراءة ويبقى أبد الدهر غضا طريا والكريم اسم جامع لصفات المدح وقيل الكريم
الظاهر الفضل والقرآن كذلك لفظه فصيح ومعناه صحيح وكما أن الكريم عند العوام هو الذي لا يطلب منه شيء إلا أعطاه
فكذلك القرآن فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد به ويحتج والأديب يستفيد منه ويتقوى به ثم إنه
تعالى وصف القرآن بكونه كريما وكونه عزيزا وبكونه حكيما فلكونه كريما كل من أقبل عليه ناله ولكونه عزيزا كل من أعرض عنه
لا يبقى معه منه شيء بخلاف سائر الكتب ولكونه حكيما كل من اشتغل به وأقبل عليه بالكلية أغناه عن سائر العلوم وأما قوله
تعالى في كتاب ففيه وجوه أحدها القرآن أي القرآن في كتاب ثانيها إنه كريم في كتاب كرجل كريم في نفسه فالقرآن كريم
في اللوح وإن لم يكن كريما عند الكفار وفي اللوح نعته مكتوب أنه قرآن كريم والكل صحيح والأول أبلغ الخامس ما المراد
من الكتاب الأصح أنه اللوح المحفوظ دل عليه قوله تعالى قرآن مجيد في لوح محفوظ الثاني الكتاب المكنون هو المصون
الثالث الكتاب المصحف الرابع كتاب من الكتب المنزلة فهو قرآن في التوراة والإنجيل السادس المكنون هو المستور قال تعالى
كاللؤلؤ المكنون وقال تعالى بيض مكنون فإن كان المراد من الكتاب اللوح فهو ليس بمستور وإنما الشيء فيه منشور وإن كان المراد
هو المصحف فعدم كونه مكنونا مستورا ظاهر فكيف الجواب نقول المصون المحفوظ إذا كان عزيز الحفظ بالعين وهو
ظاهر للناس فإن شريفا عزيزا لا يكتفي بالصون والحفظ بالعين بل يستر عن العيون ثم كلما تزداد عزته يزداد ستره فتارة
يكون محروزا ثم يجعل مدفونا بالستر صار كاللازم للصون البالغ فقال مكنونا أي محفوظا غاية الحفظ ذكر اللازم وأريد
به الملزوم وهو نوع من الكلام الفصيح واللوح مستور عن الغير والقرآن مستور عن المبدلين مصون عن أيدي المحرفين
فإن قيل ما فائدة قوله في كتاب نقول هو لتأكيد الرد على الكفار لأنهم كانوا يقولون إنه يخترع من عنده ثم إنهم قالوا إن
كان مقروءا عليه كان من كلام الجن فقال في كتاب أي لم ينزل عليه الملك إلا بعدما أخذه من كتاب فهو ليس من كلام الملائكة فضلا
عن أن يكون من كلام الجن وفائدة كونه في كتاب مكنون ردا على من قال إنه أساطير الأولين في كتب ظاهرة فلم يطلع عليه أنه مكنون
لا يمسه إلا المطهرون السابع لا يمسه المضمر عائد إلى الكتاب على الصحيح ويحتمل أن يكون عائدا إلى ما كان عاد إليه المضمر في
قوله إليه ومعناه لا يمسه أي القرآن إلا المطهرون والصيغة إخبار لكن الخلاف في أنه هل هو بمعنى النهي كما أن قوله
تعالى والمطلقات يتربصن إخبار بمعنى الأمر ثم قال المراد من الكتاب اللوح المحفوظ وهو الأصح على ما بينا قال هو إخبار معنى
كما هو إخبار لفظا فإن من قال المراد من الكتاب اللوح المحفوظ قال هو إخبار معنى كما هو إخبار لفظا إذا قلنا المضمر في
لا يمسه الكتاب ومن قال المراد هو المصحف اختلف فيه قوله الثامن إذا كان الأصح أن المراد من الكتاب هو اللوح
وأن المضمر في لا يمسه الكتاب كيف يصح قول من قال لا يجوز مس المصحف للمحدث نقول هذا قول بعض العلماء نحو الشافعي
وغيره والظاهر أنه أخذه من صريح الآية ولعل أخذه من السنة وهو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب
إلى عمرو بن حزم لا يمس المصحف على غير طهور ولا يبعد أن يقال مس المصحف للمحدث لا يخلو عن الإهانة والمصحف لا يليق به
لما أنه طاهر وقال إن نفي المس لغير طهور صفة من صفات دالة على التعظيم فالمس بغير طهور نوع إهانة وذلك لأن الأضداد
ينبغي أن يتقابل بالأضداد فالمس بالطهر في مقابلة المس على غير طهر وترك المس عن كل واحد منهما كذلك الإكرام في مقابلة الإهانة
وهناك شيء ليس بإكرام ولا إهانة فنقول إن من لا يمس المصحف لا يكون مكرما ولا مهينا فهو بترك المس خرج عن الضد
نفي المس على التعظيم فالمس على حدث إهانة وهو خفي دقيق يليق بالشافعي ومن يقرب منه في الدرجة ثم هنا لطيفة فقهية
لاحت لهذا الضعيف في حالة تفكره في تفسير هذه الآية فأراد تقييدها هنا فإنه من فضل الله وهي أن الشافعي منع المحدث

تقول الصون المحفوظ اذا كان عزيز الحفظ بالعين

والجنب عن مس المصحف وجعلها غير متطهرين ثم منع الجنب عن قراءة القرآن ولم يمنع المحدث وهو استنباط منه من كلام الله وذلك
لان الله تعالى منع المسجد بصريح قوله ولا جنبا فدل ذلك على انه ليس اهلا للذكر لانه لو كان اهلا للذكر لما منعه عن دخول
المسجد لانه تعالى اذن لاهل الذكر في الدخول بقوله في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه والماذون في الذكر في المسجد
ماذون في المسجد ضرورة فلو كان الجنب اهلا للذكر لما منع من المسجد والمكث فيه وانه ممنوع عنهما وعن احدهما واما المحدث
فعلم انه غير ممنوع عن دخول المسجد لان من الصحابة من كان يدخل المسجد جنبا وجوز النبي صلى الله عليه وسلم نوم القوم
في المسجد وليس النوم حدث والنوم الخاص يلزم منه الحكم بالحدث على اختلاف بين الائمة وما لم يكن ممنوعا من دخول المسجد
لم يثبت كونه من اهل الذكر بجاز له القراءة التاسع الا المطهرون هم الملائكة طهرهم الله في اول امرهم وابقاهم كذلك طول
عمرهم ولو كان المراد نفي الحدث لقال لا يمسه الا المتطهرون والقراءة المشهورة المطهرون من التطهير وعلى هذا ما ذكرنا هنا
ذكرنا من وجه آخر وذلك من حيث ان بعضهم كانوا يقولون هو من السماء ينزل به اي ويلقيه عليه كما كانوا يقولون في حق الكهنة
هو انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما رماه به كاهن فقال لا يمسه الجن وانما يمسه المطهرون الذين خلقوا بحيث
لا يكونون محلا للفساد والسفك ولا يفسدون ولا يسفكون وغيرهم ليس بمطهر على هذا الوجه فيكون هذا ردا على القائلين
بكونه مفتريا وكونه شاعرا او مجنونا بصفة الجن وكونه كاهنا وكل ذلك توهم والكل ردا عليهم بما ذكر الله تعالى هاهنا من اوصاف
كتاب الله العزيز العاشر قوله تعالى تنزيل من رب العالمين مصدر والقرآن الذي في كتاب ليس بتنزيل انما هو منزل كما قال
تعالى نزل به الروح الامين لان عظمة النبي بعظمة الله فاذا جعلت النبي قائما بالعظم كان اعظم فلهذا قال تعالى تنزيل ولم يقل
منزل وقوله تعالى من رب العالمين ايضا لتعظيم القرآن لان الكلام يعظم بعظمة المتكلم يقال كلام الملوك ملوك الكلام فاذا
قال من رب العالمين يبين منه عظمة لا عظمة مثلها وقوله تعالى تنزيل رد على طائفة اخرى كان قبل وجودهم وقيل انهم
وجدوا وهم الذين يقولون انه في كتاب ولا يمسه الا المطهرون وهم الملائكة لكن الملك ياخذ ويتعلم ويعلم الناس من
عنده ولا يكون من الله تعالى وذلك لان طائفة من الروافض يقولون ان جبريل عليه السلام انزل على علي عليه السلام
فنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى هو من الله ليس باختيار الملك ايضا وعند هذا تبيين الحق فعاد الى توبيخ الكفار
وقال افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه مباحث الاول هذه الاشارة الى ماذا نقول
المشهور انه اشارة الى القرآن واطلاق الحديث في القرآن على الكلام القديم كثير بمعنى كونه اسما لا وصفا فان الحديث
اسم لما يتحدث به ووصف بوصف به وما يتجدد فيقال الامر حادث ويقال اعجبني حديث فلان وكلامه وقد بينا
ان القرآن قديم له لذة الكلام الطري والحديث الذي لم يسمع والوجه الثاني انه اشارة الى ما تقدم ثوابه من قبل في قوله
تعالى وكانوا يقولون ائذا كنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون فالله تعالى رد عليهم ذلك بقوله قل ان الاولين
والآخرين وذكر عليه بقوله نحن خلقناكم وبقوله افرأيتم ما تمنون افرأيتم ما تحرثون واقسم بعد اقامة الدليل بقوله فلا
اقسم وبين ان ذلك كله اخبار من الله تعالى بقوله انه لقرآن ثم عاد الى كلامهم وقال افبهذا الحديث الذي تحدثون به انتم
مدهنون وعلى الاصرار عازمون وسنبين وجهه بتفسير المدهن وفيه وجهان احدهما ان المراد بالمدهن
المكذب قال الزجاج معناه افبالقرآن انتم تكذبون واما المداهنة بين الناس فمشهورة ثانيهما ان المدهن هو الذي
يلين الكلام ويوافق باللسان وهو مصر على الخلاف فمنهم من يقول ان النبي كاذب وان الحشر محال وذلك لما انتم عليه من الرياسة
وتخافون انكم صدقتم ومنعتم ضعفاكم من الكفر يفوت عليكم من كسبكم بالجاه بسببهم تجعلون رزقكم انكم تكذبون الرسل
والاول عليه اكثر المفسرين لكن المثال يطابق تصريح اللفظ فان الحديث كلامهم اولى في قولهم ائنا لمبعوثون كلام في السور
والمدهن يبقى على حقيقته فانهم ما كانوا يدهنون بالقرآن وقول الزجاج يكذبون جاء بعده صريحا واما قوله
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون جاء بعده صريحا واما قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون ففيه وجوه احدها تجعلون
شكر النعم انكم تقولون مطرنا بنوء كذا وهذا عليه اكثر المفسرين وثانيها تجعلون رزقكم اي معاشكم ومكسبكم تكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم والرزق في الاصل مصدر سمي به ما يرزق يقال لما كول رزق كما يقال للمخلوق خلق وعلى
هذا فالتكذيب مصدر به كانوا يخلصون مقاصدهم واما قوله تكذبون فعلى الاول تكذيبهم بما قال تعالى وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها وغير ذلك وعلى الثاني المراد جميع ما صدر عنهم من التكذيب وهو اقرب الى اللفظ
ثم قال تعالى اذا بلغت الحلقوم وفيه مباحث الاول المراد من لولا معنى هلا وهي كلمة تحضيض والتحضيض
الربع كلمات لولا ولوما وهلا والا ولا يبعد ان يقال الاصل الكلمات لم لا فقول القائل اذا كنت صادقا فلم لا تظهر
صدقك والاستفهام قد يستعمل للانكار ومنه قوله تعالى فبهذا الحديث وقوله اتدعون بعلا وقوله تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم الى لم لا تقولون مما تقولونه عند الموت وهو وقت ظهور الامور وزمان اتفاق الكلمات ولو

كانما تقولونه



كان ما تقولونه ظاهرا حقا كما تزعمون لكان الواجب ان لا تشركوه عند النزع وفيه اشارة الى ان كل احد يؤمن عند الموت لكن لا يقبل
منهم وقت النزع ولهم ان يقولوا ونحن نكذب الرسل ايضا وقت بلوغ الحلقوم ونموت عليه نقول هذه الاية بعينها اشارة الى الكفار
وبشارة للرسل اما الاشارة فهي انه تعالى ذكر للكفار حالة لا يمكنهم انكارها وهي حالة الموت فانهم وان كفروا بالحشر وهو
الحياة بعد الموت لم ينكروا الموت وهو اظهر من كل ما هو مثله فيكون ذلك حثا لهم على تحديد النظر في طلب الحق واما
البشارة فلان الرسل لما كذبوا وكذب من رسلهم صعب عليهم فبشروا بان المكذبين سيرجعون عما يقولون ان كان قبل النزع
فذاك وهو مقبول والا عند الموت وهو غير نافع واما الضمير في بلغت فللنفس او الحياة او الروح وقوله تعالى
وانتم حينئذ تنظرون تاكيد لبيان الحق اي في ذلك الوقت تصير الامور مرئية مشاهدة ينظر اليها كل من بلغ في تلك
الحالة ثم قال تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين
وفيه مباحث الاول اكثر المفسرين على ان لولا في المرة الثانية مكررة وهي بعينها هي التي قال تعالى فلولا اذا بلغت
الحلقوم والجواب ما قاله صاحب الكشاف ان التقدير فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين
وجواب لولا في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم هو ما يدل عليه ما سبق يعني تكذبون مدة حياتكم جاعلين
التكذيب رزقكم ومعاشكم فلولا تكذبون وقت الموت وانتم في ذلك الوقت تعلمون الامور وتشاهدونها واما
لولا في المرة الثانية فجوابها ترجعونها الثاني في مدينين اقوال احدها المراد مملوكين وقيل محاسبين
وقال في الكشاف من دان السلطان اذا ساس ويحتمل ان يقال المراد غير مقيمين من مدن اذا اقام وهو حينئذ فعيل
ومنه المدينة وجمعها مداين من غير اظهار الياء ولو كان مفعلة لكان مداين كمعايش باثبات الياء ومثله قوله تعالى
لن تمسنا النار الا اياما معدودة واما على قول مجزيين فالتفسير مثل هذا كانه قال ستصدقون وقت النزع رسل
الله في الحشر فان كنتم بعد ذلك غير مجزيين فلم لا ترجعون انفسكم الى دنياكم [illegible] التعويق بالجزا ولولا الجزا لكنتم مختارين
كما كنتم في دنياكم واما على مملوكين من اذا ملك ومنه المدينة المملوكة فالامر اظهر اي اذا كنتم لستم تحت قدرة احد
فلم لا ترجعون انفسكم الى الدنيا وكل هذا عند التحقيق راجع الى كلام واحد وهو انهم كانوا يقولون في البعض من الاشياء
بالطبايع ولا اختيار لله تعالى في شيء فقال تعالى ان كان الامر كما تقولون فما بال الطبيعي الذي يدعي العلم لا يقدر على ان يرجع
النفس من الحلقوم مع ان في الطبع عنده لذلك امكان فان عندهم البقا بالغذا والامراض بالدوا ممكن ولما بين ان
الحشر بعد الموت لازم بين ما يكون بعد الحشر ليكون ذلك كافيا للمكلف على العمل الصالح وزاجرا للمتمرد عن العصيان والكفر
فقال واما ان كان من المقربين هذا فله الروح والريحان وفيهما من المباحث الاول ما معنى الروح وفيه وجوه احدها
هو الرحمة قال الله تعالى ولا تيأسوا من روح الله اي من رحمة الله ثانيها الراحة ثالثها الفرح واصل الروح السعة
وقرئ فروح بضم الراء بمعنى الرحمة الثاني في الكلام اضمار اي فله روح اي فروح له والفاء لزم عنه كون الجزاء التي
الجملة بالشرط الثالث في الريحان وقد تقدم في قوله ذو العصف والريحان لكن هنا فيه كلام فقيل المراد هنا ما هو المراد
ثم اما الرزق واما النبات وقيل هو رضي الله تعالى عنهم واذا قلنا الروح هو الرحمة فالاية كقوله تعالى يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم واما جنة نعيم فقد تقدم الكلام فيها الرابع ذكرنا في حق المقربين امورا
ثلاثة وفي قوله تعالى يبشرهم ربهم كذلك لانه اتى بامور ثلاثة وهي عقيدة حقة وكلمة طيبة واعمال حسنة فالقلب
واللسان والجوارح كلها مرتبة برحمة الله على عقيدته وكل من له عقيدة حقة برحمة الله ورزق الله دائما على الكلمة الطيبة
وهي كلمة الشهادة وكل من قال لا اله الا الله فله رزق كريم والجنة له على اعماله الصالحة قال تعالى ونهى النفس عن الهوى
فان قيل يلحق هذا من اتى بالعقيدة الحقة ولا يأتي بالكلمة الطيبة ينبغي ان يكون من اهل الرحمة نقول من اتى بالعقيدة الحقة
فقد اتى بالكلمة الطيبة ومن قال لا اله الا الله دخل الجنة وان لم يعمل عملا الا على وجه الجزا بل المحض فضل الله تعالى من غير جزا
وان كان الجزا ايضا من الفضل ثم قال تعالى واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلم به صاحب اليمين
على صاحب اليمين كما قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا الاية الثاني فسلام لك اي سلامته لك من امر خاف قلبك منه الثالث
ان تقدم الجملة تفيد عظم جاههم كما يقال فلان ناهيك به وحسبك الرابع من المباحث هو ان الخطاب بقوله لك مع من
نقول قد ظهر بعد ذلك فنقول يحتمل ان يكون المراد من الكلام النبي صلى الله عليه وسلم وحينئذ فيه وجه وهو ما ذكرنا
ان ذلك تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم فانهم لا يحتاجون الى الشفاعة وغيرها فسلام لك يا محمد منهم وكونهم ممن
يسلم على محمد صلى الله عليه وسلم وذلك العظمة فان العظيم لا يسلم عليه الا العظيم وعلى هذا ففيه لطيفة وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
مكانته فوق اصحاب اليمين بالنسبة الى المقربين الذين هم في عليين كاصحاب اليمين بالنسبة الى اهل عليين فلما قال واما
ان كان من اصحاب اليمين كان فيه اشارة الى حكايتهم عن مكان المقربين فقال تعالى هؤلاء وان كانوا دون ... لكن لا ينقطع عنهم

فان عندهم البقا بالغذا والامراض بالدوا ممكن

في فرح

المخاطبة والتسليم والمقربون يلازمونك ولا يفارقونك وان كنت على مرتبة منهم ثم قال تعالى فاما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وفيه مباحث الاول قال ههنا من المكذبين الضالين وقال من قبل ثم انكم ايها الضالون المكذبون الثاني ذكر الازواج الثلاثة في اول السورة بعبارة واعادهم بعبارة اخرى فقال واصحاب الميمنة ثم قال اصحاب اليمين واصحاب المشئمة ثم قال اصحاب الشمال واعادهم هنا وفي المواضع الثلاثة ذكر اصحاب اليمين بلفظ واحد وبلفظين مرتين وذكر السابقين في اول السورة بلفظ السابقين وفي اخر السورة بلفظ المقربين وذكر اصحاب النار في الاول بلفظ اصحاب المشئمة ثم بلفظ اصحاب الشمال ثم بلفظ المكذبين فما الحكمة فيه نقول اما السابق فله حالتان احداهما الاولى والاخرى في الاخرة فذكره في المرة الاولى بماله في الحالة الاولى وفي الثانية بماله في الحالة الاخرة وليس له حالة متوسطة بين الوقوف للعرض وبين الحساب بل هو ينقل من الدنيا الى اعلى عليين ثم ذكر اصحاب اليمين بلفظين متغايرين لان حالهم قريبة من حال السابقين وذكر الكفار بالفاظ ثلاثة كانهم في الدنيا ضحكوا عليهم فوضعوا موضع الشوم فقال اصحاب الشمال لانهم في القيمة على الشمال لانهم من اهل النار ثم لما ذكر تعالى حالهم في اول الحشر كونهم من اصحاب الشمال ذكر ما يكون لهم من السموم والحميم ثم لم يقتصر عليه ثم ذكر السبب فيه فقال انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون فذكر سبب العقاب لما بينا ان العادل يذكر للعقاب سببا والمتفضل لا يذكر للانعام والتفضل سببا فذكرهم في الاخرة بما عملوا في الدنيا فقال واما ان كان من المكذبين الضالين ثبتا لعقاب على تكذيبهم الكتاب فظهر العدل وغير ذلك ظاهر ثم قال تعالى ان هذا لهو حق اليقين وفيه مباحث الاول هذا اشارة الى ماذا فيه وجوه احدها القران ثانيها ذكره في السورة ثالثها ما ذكره في حق الازواج الثلاثة الثاني كيف اضاف الحق الى اليقين وهما بمعنى وهذه الاضافة كاضافة الدار الى الاخرة كقوله تعالى ولدار الاخرة غير ان المقدر ههنا غير ظاهر وان شرط ذلك ان يكون بحيث لا يوصف باليقين ويضاف اليه الحق وما يوصف باليقين بعد اضافة الحق اليه ثانيها [illegible] هذا بمعنى من كقوله باب من ساج اي هو الحق من اليقين ثالثها انه لك نوع تاكيد اي هذا حق الحق وصواب الصواب اي غايته ونهايته التي لا وصول فوقه والذي وقع لي في تقرير هذا ان الانسان اظهر ما عنده الانوار المدركة بالحس وتلك الانوار اكثرها مستورة بغيرها فاذا وصل الطالب الى اوله يقول وجدت امر كذا ثم انه مع صحة اطلاق اللفظ عليه ليلا يمنعوا منه غيره فيتوسط الطالب وياخذ مطلوبه من وسطه مثاله من يطلب الماء ثم يصل الى بركة عظيمة فان اخذ من طرفه شيئا يقول هو ماء وربما يقول قائل اخر هذا ليس بماء وانما هو طين وانما الماء ما اخذته من وسط البركة فالذي في طرف البركة ماء بالنسبة الى المقام اخر ثم اذا نسبه الى الماء الصافي ربما يقال له شي اخر فاذا كان هذا من الماء حسنا بحيث لا يقول احد فيه شي فكذلك ههنا كانه قال هذا هو اليقين حقا اليقين الذي يقول بعض الناس فيه انه ليس بيقين وفيه وجه اخر وهو ان يقال الاضافة حقيقية ومعناه ان هذا القول حق لك يا محمد وللمؤمنين كانه قال هذا هو اليقين حقا ويحتمل ان يقال ان هذا القول لك يا محمد وللمؤمنين حق اليقين ان تقول كذا وهذا كما قيل في قوله عليه الصلاة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها اي لا بحق الكلمة ومن حقها اداء الزكاة اي حق اليقين ان تعرف ما قاله الله تعالى في الواقعة او في حق الازواج فالتصديق حق اليقين واما قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم فقد تقدم وقلنا انه تعالى لما بين الحق قال لنبيه هذا الحق فان امتنعوا فلا تعرض عنهم وسبح ربك وما عليك من قومك صدقوك او كذبوك ويحتمل ان يريد فسبح واذكر ربك باسمه الاعظم وهذا متصل بقوله بما بعده لانه تعالى قال في السورة التي تلي هذه السورة سبح لله ما في السموات كانه قال سبح لله ما في السموات فعليك ان توافقهم ولا تلتفت الى الشرذمة القليلة الضالة فان كل شي يسبح معك لله تعالى والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب تم تفسير السورة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله

## سورة الحديد عشرون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فيه مسايل المسئلة الاولى التسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد واعلم ان التسبيح عن السوء يدخل فيه تبعيد الذات عن السوء وتبعيد الصفات وتبعيد الافعال وتبعيد الاسماء وتبعيد الاحكام اما في الذات فان لا يكون محلا للامكان فان منع السوء هو العدم وامكانه ثم نفي الامكان يستلزم نفي الكثرة ونفيها يستلزم نفي الجسمية والعرضية ونفي الضد والند وحصول الوحدة المطلقة واما في الصفات فان يكون منزها عن الجهل بل يكون محيطا بكل المعلومات ويكون قادرا على كل المقدورات

ويكون صفاته

ويكون صفاته منزهة عن التغيرات واما في الافعال فان لا تكون فاعليته موقوفة على مادة ومثال لان كل مادة ومثال فهو فعله لما بينا ان كل ما عداه فهو ممكن وكل ممكن فهو فعله فلو افتقرت فاعليته الى مادة ومثال لزم التسلسل وغير موقوفة على زمان ومكان لان كل زمان ومكان فهو مركب من اجزاء منقضية فيكون ممكنا وكل مكان فهو بعد ممكن مركب من افراد الاحياز فيكون كل واحد منهما ممكنا محدثا فلو افتقرت فاعليته الى زمان والى مكان لافتقرت فاعلية الزمان والمكان الى زمان ومكان فيلزم التسلسل وغير موقوفة على جلب منفعة ولا دفع مضرة والا لكان مستكملا بغيره ناقصا في ذاته وذلك محال واما في الاسماء فكما قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها واما في الاحكام فهو ان كل ما شرعه فهو مصلحة واحسان وخير وان كونه فضلا وخيرا ليس على سبيل الوجوب عليه بل على سبيل الاحسان وبالجملة يجب ان يعلم في هذا الباب ان حكمه وتكليفه لازم لكل احد وانه ليس لاحد عليه حكم ولا تكليف ولا يجب لاحد عليه شي اصلا فهذا هو ضبط معاقد التسبيح المسئلة الثانية جاء في بعض الفواتح سبح على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وذلك اشارة الى ان كون هذه الاشياء مسبحة غير مختص بوقت دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة ابدا في المستقبل وذلك لان كونها مسبحة صفة لازمة لماهياتها فيستحيل انفكاك تلك الماهيات عن ذلك التسبيح وانما قلنا ان هذه المسبحة صفة لازمة لماهياتها لان كل ما عدا الواحد ممكن وكل ممكن فهو مفتقر الى الواجب وكون الواجب واجبا يقتضي تنزهه عن كل سوء في الذات والصفات والافعال والاحكام والاسماء على ما بيناه فظهر ان هذه المسبحة كانت حاصلة في الماضي وستكون حاصلة في المستقبل المسئلة الثالثة هذا الفعل تارة عدي باللام كما في هذه السورة واخرى بنفسه كما في قوله وتسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء فاللام اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد سبح لله احدث التسبيح لاجل الله وخالصا لوجهه المسئلة الرابعة زعم الزجاج ان المراد بهذا التسبيح التسبيح الذي هو القول واحتج عليه بوجهين الاول انه تعالى قال وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فلو كان المراد من التسبيح هو دلالة اثار الصنع على الصانع لكانوا يفقهونها الثاني انه تعالى قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن فلو كان تسبيحها عبارة عن دلالة الصنع على الصانع لما كان في ذلك تخصيص لداود عليه السلام واعلم ان هذا الكلام ضعيف اما الاول فلان دلالة هذه الاجسام على تنزيه ذات الله وصفاته وافعاله من ادق الوجوه ولذلك فان العقلاء اختلفوا فيها فقوله ولكن لا تفقهون لعله اشارة الى اقوام جهلوا هذه الدلالة وايضا فقوله لا تفقهون ان لم يكن اشارة الى جمع معين فهو خطاب مع الكل فكانه قال كل هولاء ما فقهوا ذلك وكل ذلك لا ينافي ان يفقهه البعض واما الحجة الثانية فضعيفة لان هناك من المحتمل ان الله خلق حياة في الجبل حتى نطق بالتسبيح [illegible] يستحيل ان يقال انها تسبح الله على سبيل النطق [illegible] واعلم ان التسبيح الذي هو القول [illegible] تنزيه ربه [illegible] وجهين الاول [illegible] والثاني [illegible] كيف يريد [illegible] كان المراد [illegible] المقربون [illegible] الانبياء [illegible] فقها عن الاكدار واما ان جعلنا هذا التسبيح على التسبيح المعنوي فجميع ذرات السموات وذرات الارضين والجبال والرمال والبحار والشجر والدواب والجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والنور والظلمة والذوات والاجسام والصفات والاعراض كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال الله منقادة لتصرف الله كما قال وان من شي الا يسبح بحمده وهذا التسبيح هو المراد بالسجدة في قوله ولله يسجد ما في السموات والارض اما قوله وهو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى القاهر الذي لا يعارضه شي وهو اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى انه العالم الذي لا يحتجب عن علمه شي من الجزئيات والكليات وانه يفعل افعاله على وفق الحكمة والصواب ولما كان العلم بكونه قادرا مقدما على العلم بكونه عالما لا جرم قدم العزيز على الحكيم في الذكر واعلم ان قوله وهو العزيز الحكيم [illegible] ليس الا هو [illegible] غيره ليس بعزيز ولا حكيم وما لا يكون كذلك لا يكون الها ثم قال تعالى له ملك السموات والارض [illegible]

في نسخة مسبحة

ان لم يكن اشارة الى جمع معين فهو خطاب مع الكل

ومنهم

الحق هو الذي يستغني في ذاته وفي جميع صفاته عن كل ما عداه ويحتاج كل ما عداه اليه في ذواتهم وفي صفاتهم والموصوف
بهذين الامرين ليس الا هو سبحانه • اما انه يستغني في ذاته وفي جميع صفاته عن كل ما عداه فلانه لو افتقر في ذاته الى
الغير لكان ممكنا لذاته فكان محدثا فلم يكن واجب الوجود • واما انه يستغني في جميع صفاته السلبية والاضافية عن كل ما
عداه فلان كل ما يفرض صفة له فاما ان تكون هويته سبحانه كافية في تحقق تلك الصفة سواء كانت الصفة سلبا او ايجابا
او لا تكون كافية في ذلك فان كانت هويته كافية في ذلك لزم من دوام تلك الهوية دوام تلك الصفة سلبا كانت الصفة او
ايجابا وان لم تكن تلك الهوية كافية فحينئذ تكون تلك الهوية ممتنعة الانفكاك عن ثبوت تلك الصفة وعن سلبها • ثم ثبوت
تلك الصفة وسلبها يكون متوقفا على ثبوت امر آخر او سلبه والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء فهويته
سبحانه تكون موقوفة التحقق على تحقق علة ثبوت تلك الصفة او علة سلبها والموقوف على الغير ممكن لذاته فواجب الوجود لذاته
ممكن الوجود لذاته هذا خلف فثبت انه سبحانه غير مفتقر لا في ذاته ولا في شيء من صفاته السلبية ولا الثبوتية الى الغير واما ان
كل ما عداه مفتقر اليه فلان كل ما عداه ممكن لان واجب الوجود لا يكون اكثر من واحد • والممكن لا بد له من مؤثر ولا واجب
الا هذا الواحد فاذن كل ما عداه فهو مفتقر اليه سواء كان جوهرا او عرضا وسواء كان الجوهر روحانيا او جسمانيا وذهب
جمع من العقلاء الى ان تاثير وجود واجب الوجود في اعطاء الوجود لا في الماهيات فواجب الوجود يجعل السواد [illegible]
موجودا • اما انه مستحيل ان يجعل السواد سوادا قالوا لانه لو كان كون السواد سوادا بالفاعل لكان يلزم من فرض عدم ذلك
الفاعل ان لا يبقى السواد سوادا وهذا محال • فيقال لهم يلزمكم على هذا التقدير ان لا يكون الوجود ايضا بالفاعل والا لزم من فرض
عدم ذلك الفاعل ان لا يكون الوجود وجودا • فان قالوا تاثير الفاعل ليس في الوجود بل في جعل الماهية موصوفة بالوجود
قلنا هذا مدفوع من وجهين • الاول ان موصوفية الماهية بالوجود ليس امرا ثبوتيا اذ لو كان امرا ثبوتيا لكانت له
ماهية ووجود فحينئذ تكون موصوفية تلك الماهية بالوجود زائدة عليه ولزم التسلسل وهو محال • واذا كان موصوفية
الماهية بالوجود ليس امرا ثبوتيا استحال ان يقال لا تاثير للفاعل لا في الماهية ولا في الوجود بل تاثيره في موصوفية
الماهية بالوجود • الثاني ان بتقدير ان تكون تلك الموصوفية امرا ثبوتيا استحال ايضا جعلها اثرا للفاعل والا لزم
عند فرض عدم ذلك الفاعل ان لا تبقى الموصوفية موصوفية فظهر ان الشبهة التي ذكروها لو تمت واستمرت لكان لزم
نفي التاثير • والمؤثر اصلا بل كما ان الماهيات انما صارت موجودة بتاثير واجب الوجود فكذا ايضا الماهيات انما صارت
ماهيات بتاثير واجب الوجود • واذا لاحت هذه الحقائق وظهر بالبرهان العقلي صدق قوله له ملك السموات والارض
بل ملك السموات والارض بالنسبة الى كمال ملكه اقل من الذرة بل لا نسبة له الى كمال ملكه اصلا لان ملك السموات
والارض ملك متناهي وكمال ملكه غير متناهي والمتناهي لا نسبة له البتة الى غير المتناهي لكنه سبحانه ذكر ملك السموات
والارض لانه شيء مشاهد محسوس • واكثر الخلق عقولهم ضعيفة فلما يمكنهم الترقي من المحسوس الى المعقول • ثم انه
سبحانه لما ذكر من دلايل الآفاق ملك السموات والارض ذكر بعده دلايل الانفس فقال يحيي ويميت وفيه مسلتان المسألة الاولى
ذكر المفسرون وجهين • احدهما يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا • والثاني قال الزجاج يحيي النطف فيجعلها
اشخاصا عقلاء فاهمين ناطقين ويميت الاحياء • وعندي فيه وجه ثالث وهو انه ليس المراد منه تخصيص الاحياء
والاماتة بزمان معين وباشخاص معينين بل معناه انه هو القادر على خلق الحياة والموت كما قال في سورة الملك الذي
خلق الموت والحياة • والمقصود منه كونه تعالى هو المنفرد بايجاد هاتين الماهيتين على الاطلاق لا يمنعه عنهما مانع
ولا يرده عنهما راد وحينئذ يدخل فيه الوجهان اللذان ذكرهما المفسرون • المسألة الثانية موضع يحيي ويميت
رفع على معنى هو يحيي ويميت • ويجوز ان يكون نصبا على معنى له ملك السموات والارض حال كونه محييا ومميتا
واعلم انه تعالى لما ذكر دلايل الآفاق اولا ودلايل الانفس ثانيا ذكر لفظا يتناول الكل فقال وهو على كل شيء قدير
وفوايد هذه الآية مذكورة في اول سورة الملك • قوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم
فيه مسايل • المسألة الاولى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في تفسير هذه الآية انه الاول ليس قبله
شيء والآخر ليس بعده شيء • واعلم ان هذا المقام مقام مهيب غامض عميق • والبحث فيه من وجوه • الاول ان تقدم الشيء
على الشيء يعقل على وجوه • احدها التقدم بالتاثير فانا نعلم ان حركة الاصبع متقدمة على حركة الخاتم • والمراد من هذا
التقدم كون المتقدم مؤثرا في المتاخر • وثانيها التقدم بالحاجة لا بالتاثير فانا نعقل احتياج الاثنين الى الواحد
وان كنا نعلم ان الواحد ليس علة للاثنين • وثالثها التقدم بالشرف كتقدم ابي بكر على عمر • ورابعها التقدم بالرتبة وهو
اما من مبدا محسوس كتقدم الامام على المأموم • او من مبدا معقول وذلك كما اذا جعلنا المبدا هو الجنس العالي فانه كلما
كان النوع اشد تسفلا كان اشد تاخرا ولو قلبنا انقلب الامر • وخامسها التقدم بالزمان وهو ان الموجود في الزمان



المتقدم متقدم على الوجود في الزمان المتاخر فهذا ما حصله ارباب العقول من اقسام القبلية والتقدم • وعندي ان ههنا
قسما سادسا وهو مثل تقدم بعض اجزاء الزمان على البعض [illegible]

[illegible]

فهو محدث محتاج الى ذلك الواحد يكون قبل كل ما عداه • ثم طلب العقل كيفية تلك القبلية فقلنا لا يجوز ان تكون تلك القبلية
بالتاثير لان المؤثر من حيث هو مؤثر مضاف الى الاثر من حيث هو اثر والمضافان معا والمع لا يكون قبل ولا يجوز ان يكون
لمجرد الحاجة لان المحتاج والمحتاج اليه لا يمتنع ان يوجدا معا وقد بينا ان تلك المعية ههنا ممتنعة ولا يجوز ان يكون
لمحض الشرف فانه ليس المطلوب من هذه القبلية ههنا مجرد انه تعالى اشرف من الممكنات • واما القبلية المكانية فباطلة
وبتقدير ثبوتها فتقدم المحدث على المحدث متاخر وكون احدهما فوق الآخر بالجهة • واما التقدم الزماني فباطل لان
الزمان ايضا ممكن ومحدث • اما اولا فلما بينا ان واجب الوجود لا يكون اكثر من واحد • واما ثانيا فلان امارة الامكان والحدوث
فيه اظهر مما في غيره لان جميع اجزائه متعاقبة وكل ما وجد بعد العدم وعدم بعد الوجود فلا شك انه ممكن ومحدث واذا
كان جميع اجزاء الزمان ممكنا ومحدثا والكل متقوم بالاجزاء والمفتقر الى الممكن المحدث اولى بالامكان والحدوث فاذن الزمان
بمجموعه وباجزائه ممكن ومحدث فتقدم موجده عليه لا يكون بالزمان لان التقدم على جميع الازمنة لا يكون بالزمان والا
فيلزم ذلك الزمان ان يكون داخلا في مجموع الازمنة لانه زمان وان يكون خارجا عنها لانه ظرفها والظرف مغاير للمظروف
لا محالة لكن كون الشيء الواحد داخلا في شيء وخارجا عنه محال • واما ثالثا فلان الزمان بماهيته يقتضي السيلان والتجدد
وذلك يقتضي المسبوقية بالغير • والازلية تنافي المسبوقية بالغير فالجمع بينهما محال فثبت ان تقدم الصانع على كل ما عداه
ليس بالزمان البتة فاذن الذي حصل عند العقل انه متقدم على كل ما عداه وانه ليس ذلك التقدم على احد هذه الوجوه الخمسة
فبقي انه نوع آخر من التقدم يغاير هذه الاقسام الخمسة فاما كيفية ذلك التقدم فليس عند العقل منها خبر لان كل ما يخطر
ببال العقل فانه لا بد وان يقترن به حال من احوال الزمان • وقد دل الدليل على ان ذلك محال فاذن كونه تعالى اولا معلوم
على سبيل الاجمال • فاما على سبيل التفصيل والاحاطة بحقيقة تلك الاولية فليس عند عقول الخلق منه اثر • النوع
الثاني من غوامض هذا الموضع وهو ان الازل متقدم على لايزال وليس الازل شيئا سوى الحق فتقدم الازل على لايزال
يستدعي الامتياز بين الازل وبين لايزال • فهذا يقتضي ان يكون للايزال مبدا وطرف حتى يحصل هذا الامتياز لكن
فرض هذا الطرف محال لانه مبدا وطرف حتى يحصل هذا الامتياز ~~لكن فرض هذا الطرف محال~~ لان كل مبدا فرضته فان لايزال
كان حاصلا قبله لان المبدا الذي يفرض قبل ذلك الطرف المفروض بزيادة سنة يكون من جملة لايزال لا من جملة الازل فقد
كان معنى لايزال موجودة قبل ان كانت موجودة وذلك محال • النوع الثالث من غوامض هذا الموضع ان امتياز الازل عن لايزال
يستدعي انقضاء حقيقة الازل وانقضاء حقيقة الازل محال لان ما لا اول له يمتنع انقضاؤه واذا امتنع انقضاؤه امتنع
ان يحصل عقيبه ماهية لايزال فاذن يمتنع امتياز الازل عن لايزال وامتياز لايزال عن الازل • واذا امتنع حصول
هذا الامتياز امتنع حصول التقدم والتأخر • فهذه ابحاث غامضة في حقيقة التقدم والاولية والازلية وما هي الا بسبب
حيرة العقول البشرية في نور جلال ماهية الازلية والاولية فان العقل انما يعرف الشيء اذا احاط به وكل ما استحضره العقل

وكل ما وجد بعد العدم وعدم بعد الوجود فلا شك انه ممكن

ذو وقفت عليه فذاك يصير محاطا به والمحاط به يكون متناهيا والازلية تكون خارجة عنه فهو سبحانه ظاهر باطن لان العقول
شاهدة باستناد المحدثات الى موجود متقدم عليها فكونه تعالى اولا اظهر من كل ظاهر من هذه الجهة ثم اذا اردنا ان نعرف حقيقة
تلك الاولية عجزت لان كل ما احاط به عقلك وعلمك فهو محدود عقلك ومحل علمك فيكون متناهيا فتكون الازلية
خارجة عنها فكونه تعالى اولا اذا اعتبرته من هذه الجهة كان ابطن من كل باطن فهذا هو البحث عن كونه تعالى اولا . اما البحث
الثاني عن كونه آخرا فمن الناس من قال هذا محال لانه تعالى انما يكون آخرا لكل ما عداه لو بقي هو مع عدم كل ما عداه لكن عدم ما
عداه انما يكون بعد وجوده وتلك البعدية زمانية فاذن لا يمكن فرض عدم كل ما عداه الا مع وجود الزمان الذي به يتحقق
تلك البعدية فاذن حال ما فرض عدم كل ما عداه لم ينعدم كل ما عداه هذا خلف فاذن فرض بقائه مع عدم كل ما عداه محال وهذه الشبهة
مبنية ايضا على ان التقدم والتأخر لا يتقرران الا بالزمان . وقد دللنا على فساد هذه المقدمة فبطلت هذه الشبهة . واما
الذين سلموا امكان عدم كل ما عداه مع بقائه فمنهم من اوجب ذلك حتى يتقرر كونه تعالى آخرا للكل وهذا مذهب جهم فانه
زعم ان الله سبحانه يوصل الثواب الى اهل الثواب ويوصل العقاب الى اهل العقاب ثم يفني الجنة واهلها والنار واهلها والعرش
والكرسي والملك والفلك ولا يبقى مع الله شيء اصلا فكما انه كان موجودا في الازل ولا شيء يبقى موجودا في لا يزال ابد الآباد ولا شيء
واحتج عليه بوجوه . اولها قوله هو الاول والآخر ولن يكون آخرا الا عند فناء الكل . وثانيها انه تعالى اما ان يكون عالما بعدد حركات
اهل الجنة والنار او لا يكون عالما بها . فان كان عالما بها كان عالما بكميتها وكل ما له عدد معين فهو متناه فاذن حركات اهل الجنة
متناهية فاذن لا بد ان يحصل بعدها عدم ابدي غير منقض . وان لم يكن عالما بها كان جاهلا بها والجهل على الله محال . وثالثها
ان الحوادث المستقبلة قابلة للزيادة والنقصان وكلما كان كذلك فهو متناه والجواب ان امكان استمرار هذه الاشياء حاصل الى
الابد والدليل عليه وهو ان هذه الماهيات لو زالت امكانها لزم ان ينقلب الممكن لذاته ممتنعا لذاته . ولو انقلبت قدرة الله من
صلاحية التأثير الى امتناع التأثير لانقلبت الماهية وذلك محال فوجب ان يبقى هذا الامكان ابدا فاذن ثبت انه لا يجب
انتهاء هذه المحدثات الى العدم الصرف . اما التمسك بالآية فسنذكر الجواب عنه بعد ذلك ان شاء الله تعالى . واما الشبهة الثانية
فجوابها انه يعلم انه ليس لها عدد معين وهذا لا يكون جهلا انما الجهل ان يكون له عدد معين ولا يعلمه اما اذا لم يكن له عدد معين
وانت تعلمه على هذا الوجه فهذا لا يكون جهلا بل علما . واما الشبهة الثالثة فجوابها ان الخارج منه الى الوجود ابدا يكون متناهيا
ثم ان المتكلمين لما بينوا امكان بقاء العالم ابدا عولوا في بقاء الجنة والنار ابدا على اجماع المسلمين وظواهر الآيات ولا يخفى تقريرها
واما جمهور المسلمين الذين سلموا بقاء الجنة والنار ابدا فقد اختلفوا في معنى كونه تعالى آخرا على وجوه . احدها انه تعالى يفني
جميع العالم والممكنات فيتحقق كونه آخرا ثم انه يوجدها ويبقيها ابدا . وثانيها ان الموجود الذي يصح في العقل ان يكون آخرا
لكل الاشياء ليس الا هو . فلما كانت صحة آخرية كل الاشياء مختصة به سبحانه لا جرم وصف بكونه آخرا . وثالثها ان الوجود
منه تعالى يبتدأ ولا يزال ينزل وينزل الى ان ينتهي الى الموجود الاخير الذي يكون هو مسببا لكل ما عداه ولا يكون سببا لشيء آخر
فبهذا الاعتبار يكون الحق سبحانه اولا ثم اذا اخذت تترقى من هذا الموجود الاخير درجة فدرجة حتى تنتهي في آخر الترقي
فهناك وجود الحق سبحانه فهو سبحانه اول في نزول الوجود منه الى الممكنات آخر عند الصعود من الممكنات اليه . ورابعها
انه يميت الخلق ويبقى بعدهم فهو آخر بهذا الاعتبار . وخامسها انه اول في الوجود وآخر في الاستدلال لان المقصود من جميع
الاستدلالات معرفة ذات الصانع وصفاته . واما سائر الاستدلالات التي لا يراد منها معرفة الصانع فهي حقيرة خسيسة
اما كونه تعالى ظاهرا او باطنا . فاعلم انه ظاهر بحسب الوجود فانك لا ترى شيئا من الكائنات والممكنات الا ويكون دليلا
على وجوده وثبوته وحقيته وبراءته عن جهات التغير على ما قررناه . واما كونه تعالى باطنا فمن وجوه . الاول ان
كمال كونه ظاهرا صار سببا لكونه باطنا فان هذه الشمس لو دامت على الفلك لما كنا نعرف ان هذا الضوء انما حصل بسببها
بل ربما كنا نظن ان الاشياء مضيئة لذواتها الا انها لما كانت بحيث تغرب ثم نرى انها متى غربت بطلت الانوار وزالت
الاضواء عن هذا العالم علمنا حينئذ ان هذه الاضواء فائضة من الشمس فههنا لو امكن انقطاع جود الله عن هذه الممكنات
لظهر حينئذ ان وجود هذه الممكنات من جود الله لكنه لما دام ذلك الجود ولم ينقطع صار دوامه وكماله سببا
لوقوع الشبهة حتى انه ربما يظن ان نور الوجود ليس منه بل وجود كل شيء له من ذاته وظهر ان هذا الاشتباه انما وقع من
كمال وجوده . ومن دوام جوده . فسبحان من اختفى عن العقول لشدة ظهوره . واحتجب عنها بكمال نوره . الوجه الثاني
ان ماهيته غير معقولة للبشر البتة . ويدل عليه ان الانسان لا يتصور ماهية البتة الا اذا ادركه من نفسه على سبيل
الوجدان كالالم واللذة وغيرهما او ادركه بحسه كالالوان والطعوم وسائر المحسوسات . فاما ما لا يكون كذلك فيتعذر
على الانسان ان يتصوره وهويته المخصوصة جل جلاله ليس كذلك فلا تكون معقولة للبشر ويدل عليه ايضا ان المعلوم
منه عند الخلق اما الوجود واما السلوب وهو انه ليس بجوهر ولا بجسم . واما الاضافات وهو الامر الذي من

شانه كذا وكذا



شانه كذا وكذا والحقيقة المخصوصة مغايرة لهذه الامور فهي غير معقولة ويدل عليه ان اظهر الاشياء عند العقل كونه
خالقا لهذه المخلوقات ومتقدما عليها وقد عرفت حيرة العقل ودهشته في معرفة هذه الازلية فقد ظهر بما قدمنا انه سبحانه
هو الاول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن . وسمعت والدي رحمه الله انه كان يروى انه لما نزلت هذه الآية اقبل الكفار
نحو البيت وسجدوا **المسألة الثانية** احتج كثير من العلماء في اثبات ان الاله واحد بقوله هو الاول . قالوا الاول هو
الفرد السابق . ولهذا المعنى لو قال اول مملوك اشتريه فهو حر . ثم اشترى عبدين لم يعتقا لان شرط كونه اولا حصول الفرد
وهاهنا لم يحصل . فلو اشترى بعد ذلك عبدا واحدا لم يعتق لان شرط الاولية كونه سابقا وهاهنا لم يحصل فثبت
ان الشرط في كونه اولا ان يكون فردا فكانت الآية دالة على ان صانع العالم فرد **المسألة الثالثة** اكثر المفسرين قالوا
انه اول لانه قبل كل شيء وانه آخر لانه بعد كل شيء . وانه ظاهر بحسب الدلائل . وانه باطن عن الحواس محتجب عن الابصار
وان جماعة لما عجزوا عن جواب جهم قالوا معنى هذه الالفاظ مثل قول القائل فلان هو اول هذا الامر وآخره وظاهره
وباطنه اي عليه يدور وبه يتم . واعلم انه لما امكن حمل الآية على الوجوه التي ذكرناها مع انه يسقط استدلال جهم لم يكن بنا
الى حمل الآية على هذا المجاز حاجة . وذكروا في الظاهر والباطن ان الظاهر هو الغالب العالي على كل شيء ومنه قوله تعالى
فاصبحوا ظاهرين اي غالبين عالين من قولك ظهرت على فلان اي علوته . ومنه قوله تعالى عليها يظهرون . وهذا معنى ما روي
في الحديث وانت الظاهر فليس فوقك شيء . واما الباطن فقال الزجاج انه العالم بما بطن كما يقول فلان بطن امر فلان اي يعلم
احواله الباطنة قال الليث يقال انت ابطن بهذا الامر من فلان اي اخبر بباطنه . فمعنى كونه باطنا كونه عالما ببواطن
الامور . وهذا التفسير عندي فيه نظر لان قوله بعد ذلك وهو بكل شيء عليم يكون تكرارا . اما على التفسير الاول
فانه يحسن موقعه لانه يصير التقدير كانه قيل ان احدا لا يحيط به ولا يصل الى اسراره وانه لا يخفى عليه شيء من احوال
غيره . ونظيره تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك **قوله تعالى** هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش الى قوله وهو عليم بذات الصدور اما قوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم
استوى على العرش هو مفسر في الاعراف والمقصود منه دلائل القدرة **ثم قال تعالى** يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو مفسر في سبأ والمقصود منه كمال العلم . وانما قدم وصف القدرة على وصف
العلم لان العلم بكونه تعالى قادرا قبل العلم بكونه تعالى عالما . ولذلك ذهب جمع من المحققين الى ان اول العلم بالله
العلم بكونه قادرا . وذهب آخرون الى ان اول العلم بالله هو العلم بكونه مؤثرا . وعلى التقديرين فالعلم بكونه قادرا متقدم
على العلم بكونه عالم **ثم قال تعالى** وهو معكم اينما كنتم . وفيه مسائل **المسألة الاولى** اعلم انه قد ثبت ان كل ما عدا
الواجد الحق فهو ممكن وكل ممكن فوجوده من الواجب فاذن وصول الماهية الممكنة الى وجودها بواسطة افادة الواجد
الحق ذلك الوجود لتلك الماهية . فالحق سبحانه هو المتوسط بين كل ماهية وبين وجودها فهو الى كل ماهية اقرب
من وجود تلك الماهية . وعن هذا السر قال المحققون ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله . وقال المتوسطون ما رأيت
شيئا الا ورأيت الله معه . وقال الظاهرون ما رأيت شيئا الا ورأيت الله بعده واعلم ان هذه الدقائق التي اظهرناها
في هذه المواضع لها درجتان . احداهما ان يصل الانسان اليها بمقتضى الفكرة والروية والتدبر والتأمل
والدرجة الثانية ان يتفق لنفس الانسان قوة ذوقية وحالة وجدانية لا يمكن التعبير عنها وتكون نسبة الادراك مع الذوق
الى الادراك لا مع الذوق كنسبة من يأكل السكر الى من يصف حلاوته بلسانه **المسألة الثانية** قال المتكلمون
هذه المعية اما بالعلم . واما بالحفظ والحراسة . وعلى التقديرين فقد انعقد الاجماع على انه سبحانه ليس معنا بالمكان
والجهة والحيز فاذن قوله وهو معكم لا بد فيه من التأويل . واذا جوزنا التأويل في موضع وجب تجويزه في سائر المواضع
**المسألة الثالثة** اعلم ان في هذه الآيات ترتيبا عجيبا وذلك لانه سبحانه بين بقوله هو الاول والآخر والظاهر
والباطن كونه الها لجميع الممكنات والكائنات . ثم بين كونه الها للعرش والسموات والارضين . ثم بين بقوله وهو معكم
اينما كنتم معيته معنا بسبب القدرة والايجاد والتكوين وبسبب العلم وهو كونه عالما بظواهرنا وبواطننا فتأمل
في كيفية هذا الترتيب . ثم تأمل في الفاظ هذه الآيات . فان فيها اسرارا عجيبة وتنبيهات على امور عالية **ثم قال تعالى**
له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور اي الجزاء لا مالك سواه ودل بهذا القول على اثبات المعاد **ثم قال تعالى**
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور . وهذه الآيات قد تقدم تفسيرها في سائر السور
وهي جامعة بين الدلائل على قدرته وبين اظهار نعمه . والمقصود من اعادتها البعث على النظر والتأمل ثم الاشتغال
بالشكر **قوله تعالى** آمنوا بالله ورسوله **اعلم** انه تعالى لما ذكر انواعا من الدلائل على التوحيد والعلم والقدرة
اتبعها بالتكاليف . وبدأ بالايمان بالله ورسوله . فان قيل قوله آمنوا بالله خطاب مع من عرف الله او مع من لم يعرف الله

ولكن سبحانه وتعالى هو المتوسط بين كل ماهية ووجودها

فإن كان الأول كان ذلك أمراً بأن يعرف من عرفه فيكون ذلك أمراً بتحصيل الحاصل وهو محال • وإن كان الثاني كان الخطاب متوجهاً
على من لم يكن عارفاً به ومن لم يكن عارفاً به استحال أن يكون عارفاً بأمره فيكون الأمر متوجهاً على من يستحيل أن يعرف كونه مأموراً
بذلك الأمر وهذا تكليف ما لا يطاق والجواب من الناس من قال المعرفة بوجود الصانع حاصلة للكل وإنما المقصود من هذا
الأمر معرفة الصفات ثم قال تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه • وفي هذه الآية مسائل المسألة الأولى اعلم أنه أمر
الناس أولاً بأن يشتغلوا بطاعة الله • ثم أمرهم ثانياً بترك الدنيا والإعراض عنها وإنفاقها في سبيل الله كما قال قل الله ثم ذرهم
فقوله قل الله هو المراد ههنا من قوله آمنوا بالله ورسوله • وقوله ثم ذرهم هو المراد ههنا من قوله وأنفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه المسألة الثانية في الآية وجهان • الأول أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه
لها ثم إنه تعالى جعلها تحت يد المكلف وتحت تصرفه لينتفع بها على وفق إذن الشرع فالمكلف في تصرفه في هذه الأموال بمنزلة
الوكيل والنائب والخليفة فوجب أن يسهل عليهم الإنفاق من تلك الأموال كما يسهل على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن
له فيه • الثاني أنه جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم لأنه نقل أموالهم إليكم على سبيل الإرث فاعتبروا بحالهم فإنها كما انتقلت
منهم إليكم فستنتقل منكم إلى غيركم فلا تبخلوا بها المسألة الثالثة اختلفوا في هذا الإنفاق فقال بعضهم هو الزكاة
الواجبة • وقال الآخرون بل يدخل فيه التطوع ولا يمتنع أن يكون عاماً في جميع وجوه البر • ثم إنه تعالى ضمن لمن فعل ذلك أجراً
كبيراً فقال فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير قال القاضي هذه الآية تدل على أن هذا الأجر لا يحصل بالإيمان المنفرد
حتى يضاف هذا الإنفاق إليه فمن هذا الوجه يدل على أن من أخل بالواجب من زكاة وغيرها فلا أجر له واعلم أن هذا الاستدلال
ضعيف وذلك لأن الآية تدل على أن من أخل بالزكاة الواجبة لم يحصل له ذلك الأجر الكبير أما لم قلتم إنها تدل على أنه لا أجر له أصلاً
أما قوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم فيه مسائل المسألة الأولى
اعلم أنه تعالى وبخ على ترك الإيمان بشرطين • أحدهما أن يدعو الرسول • والمراد أنه يتلو عليهم القرآن المشتمل على الدلائل الواضحة
والثاني أنه أخذ الميثاق عليهم • وذكروا في أخذ الميثاق وجهين • الأول ما نصب في العقول من الدلائل الموجبة لقبول دعوة
الرسول • واعلم أن تلك الدلائل لما اقتضت وجوب القبول فهي أوكد من الحلف واليمين فلذلك سماه ميثاقاً وحاصل الأمر أنه
تطابقت دلائل النقل والعقل • أما النقل فقوله والرسول يدعوكم • وأما العقل فقوله وأخذ ميثاقكم ومتى اجتمع هذان
النوعان فقد بلغ الأمر إلى حيث يمتنع الزيادة عليه • واحتج بهذه الآية من زعم أن معرفة الله لا تجب إلا بالسمع قال لأنه تعالى
إنما ذمهم بناء على أن الرسول يدعوهم فعلمنا أن استحقاق الذم لا يحصل إلا عند دعوة الرسول • الوجه الثاني في تفسير أخذ الميثاق
قال عطاء ومجاهد والكلبي والمقاتلان • يريد حين أخرجهم من ظهر آدم وقال ألست بربكم قالوا بلى وهذا ضعيف وذلك لأنه تعالى
إنما ذكر أخذ الميثاق ليكون ذلك سبباً في أنه لم يبق لهم عذر في ترك الإيمان بعد ذلك • وأخذ الميثاق وقت إخراجهم من ظهر آدم غير
معلوم للقوم إلا بقول الرسول فقبل معرفة صدق الرسول لا يكون ذلك سبباً في وجوب تصديق الرسول • أما نصب الدلائل والبينات
فمعلوم لكل أحد • فذلك يكون سبباً لوجوب الإيمان بالرسول • فعلمنا أن تفسير الآية بهذا المعنى غير جائز المسألة الثانية
قال القاضي قوله وما لكم يدل على قدرتهم على الإيمان إذ لا يجوز أن يقال ذلك لمن لا يتمكن من الفعل كما لا يقال ما لك لا
تطول ولا تبيض • ويدل هذا على أن الاستطاعة قبل الفعل وعلى أن القدرة صالحة للضدين وعلى أن الإيمان يحصل بالعبد
لا بخلق الله المسألة الثالثة قرئ وقد أخذ ميثاقكم على البناء للفاعل أما قوله تعالى إن كنتم مؤمنين • فالمعنى
إن كنتم تؤمنون بشيء لأجل دليل فما لكم لا تؤمنون الآن فإنه قد تطابقت الدلائل النقلية والعقلية وبلغت مبلغاً لا يمكن الزيادة عليها
قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرؤوف رحيم إلى قوله والله بما تعملون خبير
قال القاضي بين بذلك أن مراده بإنزال الآيات البينات التي هي القرآن وغيره من المعجزات أن يخرجهم من الظلمات إلى النور
وأكد ذلك بقوله إن الله بكم لرؤوف رحيم • ولو كان تعالى يريد من بعضهم الثبات على ظلمات الكفر ويخلق ذلك فيهم ويقدره لهم
تقديراً لا يقبل الزوال لم يصح هذا القول • فإن قيل الباء ظاهره يدل على أنه تعالى يخرج من الظلمات إلى النور فيجب أن يكون
الإيمان من فعله • قلنا لو أراد بهذا الإخراج خلق الإيمان فيه لم يكن لقوله تعالى هو الذي أنزل على عبده آيات بينات ليخرجكم معنى
لأنه سواء تقدم ذلك أو لم يتقدم فخلقه لما يخلق لا يتغير فالمراد أنه بين ذلك لكي يلطف لهم في إخراجهم من الظلمات إلى النور
ولولا ذلك لم يكن بأن يصف نفسه بأنه يخرجهم من الظلمات إلى النور أولى من أن يصف نفسه بأن يخرجهم من النور إلى الظلمات
واعلم أن هذا الكلام على خسته وركاكته معارض بالعلم وذلك لأنه تعالى كان عالماً بأن علمه سبحانه بعدم إيمانهم قائم وعالم
بأن هذا العلم ينافي وجود الإيمان فإذا كلفهم بتكوين أحد الضدين مع علمه بقيام الضد الآخر في الوجود بحيث لا يمكن إزالته
وإبطاله فهل يعقل مع ذلك أن يريد بهم ذلك الخير والإحسان لا شك أن هذا مما لا يقوله عاقل • وإذا توجهت المعارضة زالت
تلك القوة أما قوله وإن الله بكم لرؤوف رحيم فقد حمله بعضهم على بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فقط وهذا التخصيص لا وجه له

بل يدخل فيه ذلك



[illegible]

بل يدخل فيه ذلك مع سائر ما يتمكن به المرء من أداء التكاليف قوله تعالى وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله لما أمر أولاً بالإيمان
وبالإنفاق ثم أكد في الآية المتقدمة إيجاب الإيمان أتبعه في هذه الآية بتأكيد إيجاب الإنفاق • والمعنى أنكم ستموتون فتورثون
فهلا قدمتموه في الإنفاق في طاعة الله • وتحقيقه أن المال لا بد وأن يخرج عن اليد إما بالموت وإما بالإنفاق في سبيل الله فإن
وقع على الوجه الأول كان أثره اللعن والمقت والعقاب • وإن وقع على الوجه الثاني كان أثره المدح والثواب وإذا كان لا بد من
خروجه عن اليد فكل عاقل يعلم أن خروجه عن اليد بحيث يستعقب المدح والثواب أولى منه بحيث يستعقب اللعن والعقاب
ثم لما بين تعالى أن الإنفاق فضيلة بين أن المسابقة في الإنفاق تمام الفضيلة فقال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح
وقاتل • وفيه مسائل المسألة الأولى تقدير الآية لا يستوي من أنفق من قبل الفتح ومن أنفق من بعد الفتح كما قال تعالى
لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة إلا أنه حذف لوضوح الحال المسألة الثانية المراد بهذا الفتح فتح مكة لأن إطلاق
لفظ الفتح في التعارف ينصرف إليه قال عليه الصلاة والسلام لا هجرة بعد الفتح قال أبو مسلم ويدل القرآن على فتح آخر بقوله فجعل
من دون ذلك فتحاً قريباً • وأيهما كان فقد بين الله عظم موقع الإنفاق قبل الفتح المسألة الثالثة قال الكلبي نزلت هذه الآية
في فضل أبي بكر لأنه كان أول من أنفق المال على رسول الله في سبيل الله • قال عمر كنت قاعداً عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر
وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره فقال أنفق ماله علي قبل
الفتح واعلم أن الآية دلت على أن من صدر عنه الإنفاق في سبيل الله والقتال مع أعداء الله قبل الفتح يكون أعظم حالاً ممن صدر
عنه هذان الأمران بعد الفتح ومعلوم أن صاحب الإنفاق هو أبو بكر وصاحب القتال هو علي • ثم إنه تعالى قدم صاحب الإنفاق
في الذكر على صاحب القتال • وفيه إيماء إلى تقديم أبي بكر ولأن الإنفاق من باب الرحمة والقتال من باب الغضب • وقال تعالى سبقت
رحمتي غضبي فكان السبق لصاحب الإنفاق فإن قيل بل صاحب الإنفاق هو علي لقوله تعالى ويطعمون الطعام • قلنا إطلاق القول
بأنه أنفق لا يتحقق إلا إذا أنفق في الوقائع العظيمة أموالاً عظيمة • وذكر الواحدي رحمه الله في البسيط أن أبا بكر كان أول من قاتل
على الإسلام وذلك لأن علياً كان في أول ظهور الإسلام صبياً صغيراً ولم يكن صاحب قتال • وأما أبو بكر فإنه كان شيخاً
مقدماً فكان يذب عن الإسلام حتى ضرب بسببه ضرباً أشرف به على الموت المسألة الرابعة جعل علماء التوحيد هذه الآية
دالة على فضل من سبق إلى الإسلام وأنفق وجاهد مع الرسول عليه السلام قبل الفتح وبينوا الوجه في ذلك وهو عظم موقع نصرة
الرسول عليه السلام بالنفس وبإنفاق المال في تلك الحال وفي عدد المسلمين قلة وفي الكافرين شوكة وكثرة عدد • فكانت الحاجة
إلى النصرة والمعاونة أشد بخلاف ما بعد الفتح فإن الإسلام صار في ذلك الوقت قوياً والكفر ضعيفاً • ويدل عليه قوله والسابقون
الأولون من المهاجرين والأنصار • وقوله عليه الصلاة والسلام لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم
ولا نصيفه ثم قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى • وفيه مسائل المسألة الأولى أي كل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى
أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات المسألة الثانية القراءة المشهورة وكلا بالنصب لأنه بمنزلة زيداً وعدت
خيراً فهو مفعول وعد وقرأ ابن عامر وكل بالرفع • وحجته أن الفعل إذا تأخر عن مفعوله لم يقع عمله فيه والدليل عليه أنهم قالوا
زيد ضربت كقوله شعر • قد أصبحت أم الخيار تدعي • علي ذنباً كله لم أصنع • رووا كله بالرفع لتأخر الفعل عنه [illegible]
آخر واعلم أن للشيخ عبد القاهر في هذا الباب كلاماً حسناً قال إن المعنى في هذا البيت يتفاوت بسبب النصب والرفع
وذلك لأن النصب يفيد أنه ما فعل كل الذنوب • وهذا لا ينافي كونه فاعلاً لبعض الذنوب • فإنه إذا قال ما فعلت كل الذنوب
أفاد أنه ما فعل الكل • ويبقى احتمال أنه فعل البعض بل عند من يقول بأن دليل الخطاب حجة يكون ذلك اعترافاً بأنه فعل بعض
الذنوب • أما رواية الرفع وهي قوله كله لم أصنع فمعناه أن كل واحد واحد من الذنوب محكوم عليه بأنه غير مصنوع فيكون ذلك
معناه أنه ما أتى بشيء من الذنوب البتة • وغرض الشاعر أن يدعي البراءة عن جميع الذنوب فعلمنا أن المعنى يتفاوت بالرفع
والنصب • ومما يتفاوت فيه المعنى بسبب تفاوت الإعراب في هذا الباب • قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر فمن قرأ
كل شيء بالنصب أفاد أنه تعالى خلق الكل بقدر • ومن قرأ كل بالرفع لم يفد أنه تعالى خلق الكل بل يفيد أن كل ما كان مخلوقاً له فهو إنما خلقه
بقدر • وقد يكون تفاوت الإعراب في هذا الباب بحيث لا يوجب تفاوت المعنى كقوله • والقمر قدرناه منازل فإنك سواء
قرأت والقمر بالرفع أو بالنصب فإن المعنى واحد • وكذا في هذه الآية سواء قرأت وكلا وعد الله الحسنى أو قرأت وكل وعد الله
الحسنى فإن المعنى واحد غير متفاوت المسألة الثالثة تقدير الآية وكلا وعده الله الحسنى إلا أنه حذف الضمير
لظهوره كما في قوله أهذا الذي بعث الله رسولاً • وكذا قوله واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ثم قال تعالى والله بما
تعملون خبير • والمعنى أنه تعالى لما وعد السابقين والمحسنين بالثواب فلا بد وأن يكون عالماً بالجزئيات • وبجميع المعلومات
حتى يمكنه إيصال الثواب إلى المستحقين إذ لو لم يكن عالماً بهم وبأفعالهم على سبيل التفصيل لما أمكن الخروج عن عهدة الوعد بالتمام
فلهذا السبب أتبع ذلك الوعد بقوله والله بما تعملون خبير قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً • فيه مسائل

فإن الإسلام صار في ذلك الوقت قويا والكفر ضعيفا

إنما

المسئلة الاولى ذكروا ان رجلا من اليهود قال عند نزول هذه الاية ما استقرض الله محمد حتى افتقر فلطمه ابو بكر رضي الله عنه فشكى اليهودي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما اردت بذلك فقال ما ملكت نفسي ان لطمته فنزل قوله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا قال المحققون اليهودي انما قال ذلك على سبيل الاستهزاء لان العاقل لا يعتقد ان الاله يفتقر وكذا القول في قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء ● المسئلة الثانية انه تعالى اكد بهذه الاية ترغيب الناس في ان ينفقوا اموالهم في نصرة المسلمين وقتال الكافرين ومواساة فقراء المسلمين ● وسمى ذلك الانفاق قرضا من حيث وعد به الجنة تشبيها بالقرض ● المسئلة الثالثة اختلفوا في المراد من هذا الانفاق ● فمنهم من قال المراد الانفاقات الواجبة ● ومنهم من قال بل هو في التطوعات ● والاقرب دخول الكل فيه ● المسئلة الرابعة ذكروا في كون القرض حسنا وجوها ● احدها قال مقاتل يعني طيبة بها نفسه ● وثانيها قال الكلبي يعني ان يتصدق بها لوجه الله ● وثالثها قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة ● الاول ان يكون من الحلال قال عليه الصلاة والسلام ان الله طيب لا يقبل الا الطيب ● وقال عليه السلام لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول ● والثاني ان يكون من اكرم ما يملكه دون ان ينفق الردي قال تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ● الثالث ان يتصدق به وانت تحبه وتحتاج اليه بان ترجو الحياة وهو المراد بقوله تعالى وآتى المال على حبه ● وبقوله ويطعمون الطعام على حبه على احد التاويلات وقال عليه السلام الصدقة ان تعطي وانت صحيح شحيح تامل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا الرابع ان تصرف صدقتك الى الاحوج الاولى باخذها ولذلك خص الله تعالى قوما باخذها وهم اهل السهمان ● الخامس ان تكتم الصدقة ما امكنك لانه تعالى قال وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ● السادس ان لا تتبعها منا ولا اذى قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ● السابع ان تقصد بها وجه الله ولا ترائي كما قال الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى ولان المرائي مذموم بالاتفاق ● الثامن ان تستحقر ما تعطي وان كثر لان ذلك قليل من الدنيا والدنيا كلها قليلة وهذا هو المراد من قوله ولا تمنن تستكثر على احد التاويلات ● التاسع ان يكون من احب اموالك اليك قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ● العاشر ان لا ترى عز نفسك وذل الفقير بل يكون الامر بالعكس في نظرك فترى الفقير كان الله تعالى احال عليك رزقه الذي قبله بقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وترى نفسك تحت دين الفقير فهذه اوصاف عشرة اذا اجتمعت كانت الصدقة قرضا حسنا ● وهذه الاية مفسرة في سورة البقرة ثم انه تعالى قال فيضاعفه له وله اجر كريم ● وفيه مسئلتان

المسئلة الاولى انه تعالى ضمن على هذا القرض الحسن امرين ● احدهما المضاعفة على ما ذكرها في سورة البقرة وبين ان مع المضاعفة له اجر كريم ● وفيه قولان ● الاول وهو قول اصحابنا ان المضاعفة اشارة الى انه تعالى يضم الى قدر الثواب مثله من التفضل والاجر الكريم عبارة عن الثواب ● فان قيل مذهبكم ان الثواب ايضا تفضل فاذا لم يحصل الامتياز لم يتم هذا التفسير الجواب انه تعالى كتب في اللوح المحفوظ ان كل من صدر منه الفعل الفلاني فله قدر كذا من الثواب فاذا ضم اليه مثله فذلك المثل هو الضعف ● والقول الثاني وهو قول الجبائي من المعتزلة ان الاعواض تضم الى الثواب فذلك هو المضاعفة وانما وصف الاجر بكونه كريما لانه هو الذي جلب ذلك الضعف وبسببه حصلت تلك الزيادة فكان كريما من هذا الوجه ● المسئلة الثانية قرا ابن كثير وابن عامر فيضعفه مشددة بغير الف ● ثم ان ابن كثير قرا بضم الفاء وابن عامر بفتح الفاء ● وقرا عاصم فيضاعفه بالالف وفتح الفاء قال ابو علي الفارسي يضاعف ويضعف بمعنى انما الشان في تعليل قراءة الرفع والنصب ● اما الرفع فوجهه ظاهر لانه معطوف على يقرض او على الانقطاع من الاول كانه قيل فهو يضاعف ● واما قراءة النصب فوجهها انه لما قال من ذا الذي يقرض فكانه قال ايقرض الله احد قرضا ويكون قوله فيضاعفه جوابا عن الاستفهام فحينئذ ينصب ● اما قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ● وفيه مسائل ● المسئلة الاولى يوم ترى ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باذكر تعظيما لذلك اليوم ● المسئلة الثانية المراد من هذا اليوم هو يوم المحاسبة ● واختلفوا في هذا النور على وجوه ● احدها قال قوم المراد نفس النور على ما روي عن الرسول عليه الصلاة والسلام ان كل مثاب فانه يحصل له النور على قدر عمله وثوابه في العظم والصغر فعلى هذا مراتب الانوار مختلفة ● فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن وصنعاء ● ومنهم من نوره مثل الجبل ● ومنهم من لا يضيء له نوره الا موضع قدميه ● وادناهم نورا من يكون نوره على ابهامه ينطفئ مرة ويتقد اخرى ● وهذا القول منقول عن ابن مسعود وقتادة وغيرهما ● وقال مجاهد ما من عبد الا وينادى يوم القيمة يا فلان ها نورك ● ويا فلان لا نور لك نعوذ بالله منه ● واعلم انا بينا في سورة النور ان النور الحقيقي هو الله تعالى وان العلم الذي هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر ● واذا كان كذلك ظهر ان معرفة الله هي النور في القيمة فمقادير الانوار يوم القيمة على حسب مقادير المعارف في الدنيا ● القول الثاني ان المراد من النور ما يكون سببا للنجاة ● وانما قال بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم

القول الثالث

تعليل



القول الثالث المراد بهذا النور الهداية الى الجنة كما يقال ليس لهذا الامر نور اذا لم يكن المقصود حاصلا ويقال هذا الامر له نور ورونق [illegible]

[illegible]

النور من المؤمنين ● وقد ذهب الى كل واحد من هذه الاحتمالات قوم فان كانت هذه الحالة انما تقع عند الموقف فالمراد من قوله انظرونا انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم فقد اقبلوا عليهم ومتى اقبلوا عليهم وكانت انوارهم قدامهم استضاؤا بتلك الانوار وان كانت هذه الحالة انما تقع عند ذهاب المؤمنين الى الجنة كان المراد من قوله انظرونا يحتمل ان يكون هو الانتظار وان يكون النظر اليهم ● المسئلة الرابعة القبس الشعلة من النور والسراج فالمنافقون طمعوا في شيء من انوار المؤمنين ان يقتبسوه كقبس نيران الدنيا وهذا منهم جهل لان تلك الانوار نتائج الاعمال الصالحة في الدنيا فلما لم توجد في الدنيا تلك الاعمال امتنع حصول تلك الانوار في الآخرة قال الحسن يعطى يوم القيمة كل احد نورا على قدر عمله ثم انه يؤخذ من حر جهنم ومما فيه من الكلاليب والحسك ويلقى على الطريق فتمضي زمرة من المؤمنين وجوههم كالقمر ليلة البدر ثم تمضي زمرة اخرى كاضواء الكواكب في السماء ثم على ذلك ثم يغشاهم ظلمة فتطفئ نور المنافقين فهنالك يقول المنافقون للمؤمنين ذرونا نقتبس من نوركم كقبس النار ● المسئلة الخامسة ذكروا في المراد من قوله تعالى قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وجوها ● احدها ان المراد منه ارجعوا الى دار الدنيا والتمسوا هذه الانوار

فمن الك فان هذه الانوار انما تتولد من اكتساب المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة والتنزه عن الجهل والاخلاق الذميمة • والمراد
من ضرب السور هو امتناع العود الى الدنيا • وثانيها قال ابو امامة الناس يكونون في ظلمة شديدة • ثم المومنون يعطون
الانوار • فاذا اسرع المومن قال المنافق انظرونا نقتبس من نوركم فيقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا قال وهي خدعة
خدع بها المنافقون كما قال يخادعون الله وهو خادعهم فيرجعون الى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيا فينصرفون
اليهم فيجدون السور مضروبا بينهم وبين المومنين • وثالثها قال ابو مسلم المراد من قول المومنين ارجعوا منع المنافقين عن
الاستضاءة كقول الرجل لمن يريد القرب منه وراءك اوسع لك فعلى هذا القول المراد من قوله ارجعوا ان يقطعوا بانه لا سبيل
الى وجدان هذا المطلوب البتة لا امرهم بالرجوع قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
العذاب • فيه مسايل المسلة الاولى اختلفوا في السور • فمنهم من قال المراد منه الحجاب والحيلولة اي المنافقون
منعوا عن طلب المومنين • وقال اخرون بل المراد حايط بين الجنة والنار وهو قول قتادة • وقال مجاهد هو حجاب الاعراف
المسلة الثانية الباء في قوله بسور صلة وهو للتاكيد • والتقدير ضرب بينهم سور كذا قاله الاخفش ثم قال تعالى
له باب اي لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة اي في باطن ذلك السور الرحمة • والمراد من الرحمة الجنة التي فيها المومنون
وظاهره يعني وخارج السور من قبله العذاب اي من قبله ياتيهم العذاب • والمعنى ان ما يلي المومنين ففيه الرحمة
وما يلي الكافرين ياتيهم من قبله العذاب • والحاصل ان بين الجنة والنار حايطا وهو السور • ولذلك السور باب
فالمومنون يدخلون الجنة من ذلك السور • والكافرون يبقون في العذاب والنار قوله تعالى ينادونهم
الم نكن معكم • فيه مسيلتان المسلة الاولى في الاية قولان • الاول الم نكن معكم في الدنيا • والثاني الم
نكن معكم في العبادات والمساجد والصلوات والغزوات وهذا القول هو المتعين المسلة الثانية البعد
بين الجنة والنار كثير لان الجنة في اعلى السموات والنار في الدرك الاسفل • فهذا يدل على ان البعد الشديد لا يمنع
من الادراك ولا يمكن ان يقال ان الله عظم صوت الكفار بحيث يبلغ من اسفل سافلين الى اعلى عليين لان مثل هذا الصوت
انما يليق بالاشدا الاقويا جدا • والكفار موصوفون بالضعف وخفا الصوت فعلمنا ان البعد لا يمنع من الادراك
على ما هو مذهبنا • ثم حكى تعالى ان المومنين قالوا بلى كنتم معنا الا انكم فعلتم اشيا بسببها وقعتم في هذا العذاب • اولها
ولكنكم فتنتم انفسكم اي بالكفر والمعاصي • وكلها فتنة • وثانيها قوله وتربصتم وفيه وجوه • احدها قال ابن عباس تربصتم
بالتوبة • وثانيها قال مقاتل وتربصتم بمحمد الموت • وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه • وثالثها كنتم تتربصون دواير
السوء لتلحقوا بالكفار وتتخلصوا من النفاق • وثالثها قوله وارتبتم وفيه وجوه • الاول شككتم في وعيد الله • والثاني
شككتم في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام • والثالث شككتم في البعث والقيمة • ورابعها قوله وغرتكم الاماني قال
ابن عباس يريد الباطل وهو ما كانوا يتمنون من نزول الدواير بالمومنين حتى جا امر الله يعني الموت • والمعنى ما زالوا في
خدع الشيطان وغروره حتى اماتكم الله والقاكم في النار • وغركم بالله الغرور • وفيه مسيلتان المسلة الاولى
قرا سماك بن حرب الغرور بضم الغين • والمعنى وغركم بالله الاغترار • وتقديره على حذف المضاف اي غركم بالله سلامتكم
منه مع الاغترار المسلة الثانية واما الغرور بفتح الغين فهو الشيطان لالقايه اليكم ان لا خوف عليكم من محاسبة
ومجازاة قوله تعالى فاليوم لا يوخذ منكم فدية • الفدية ما يفتدى به • وفيه قولان • الاول لا يوخذ منكم
ايمان ولا توبة فقد زال التكليف وحصل الالجا • والثاني بل المراد لا يوخذ منكم فدية تدفعون بها العذاب عن انفسكم
كقوله لا يوخذ منها عدل ولا تنفعها شفاعة واعلم ان الفدية ما يفتدى به فهو يتناول الايمان والتوبة والمال وهذا
يدل على ان قبول التوبة غير واجب عقلا على ما يقوله المعتزلة لانه تعالى بين انه لا يقبل الفدية اصلا • والتوبة فدية
فتكون الاية دالة على ان التوبة غير مقبولة اصلا • واذا كان كذلك لم تكن التوبة واجبة القبول عقلا • اما قوله ولا
من الذين كفروا ففيه بحث • وهو ان عطف الكافر على المنافق يقتضي ان لا يكون المنافق كافرا لوجوب حصول المغايرة بين
المعطوف والمعطوف عليه • والجواب المراد الذين اظهروا الكفر والا فالمنافق كافر ثم قال تعالى ماواكم النار هي مولاكم
وفي لفظ المولى هاهنا اقوال • احدها قال ابن عباس مولاكم اي مصيركم وتحقيقه ان المولى موضع الولي وهو القرب
فالمعنى ان النار هي موضعكم الذي تقربون منه • وتصلون اليه • والثاني قال الكلبي يعني اولى بكم وهو قول الزجاج والفرا
وابي عبيدة • واعلم ان هذا الذي قالوه معنى وليس بتفسير للفظ لانه لو كان مولى واولى بمعنى واحد في اللغة لصح استعمال
كل واحد منهما في مكان الاخر • فوجب ان يصح ان يقال هذا مولى من فلان ولصح ان يقال هذا اولى فلان كما يقال هذا مولى فلان
ولما بطل ذلك علمنا ان الذي قالوه معنى وليس بتفسير • وانما نبهنا على هذه الدقيقة لان الشريف المرتضى لما تمسك في امامة
علي بقوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه • قال احد معاني مولى انه اولى • واحتج في ذلك باقوال ايمة اللغة في تفسير

هذه الاية بان مولى معناه اولى • واذا ثبت ان اللفظ محتمل وجب حمله عليه لان ما عداه اما بين الثبوت ككونه ابن العم والناصر او بين
الانتفا كالمعتق والمعتق فيكون على التقدير الاول عبثا وعلى التقدير الثاني كذبا • واما نحن فقد بينا بالدليل ان قول هولا في
هذا الموضع معنى لا تفسير وحينيذ يسقط الاستدلال به • وفي الاية وجه اخر وهو ان معنى قوله هي مولاكم اي لا مولى لكم
وذلك لان من كانت النار مولاه فلا مولى له كما يقال ناصره الخذلان ومعينه البكا وهذا الوجه متاكد بقوله تعالى وان الكافرين
لا مولى لهم • ومنه قوله تعالى ثوابا ... قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
فيه مسايل المسلة الاولى قال ابن جني قرا الحسن الم يان قال ابن جني اصل لما لم ثم زيد عليها ما • فلم نفي لقوله قد فعل
وذلك لانه لما زيد في الاثبات قد لا جرم زيد في نفيه ما الا انهم لما ركبوا لم مع ما حدث لها معنى ولفظ • اما المعنى فلانها صارت
في بعض المواضع ظرفا فقالوا لما قمت قام زيد اي وقت قيامك قام زيد • واما اللفظ فانه يجوز ان تقف عليها دون
مجزومها فيجوز ان يقول جيت ولما اي ولما تجي • ولا يجوز ان يقول جيت ولم • واما الذين قرءوا الم يان فالمشهور الم يان
من انى الامر يانى اذا جا اناه اي وقته • وقرى الم يين من ان يين بمعنى انى يانى المسلة الثانية اختلفوا في قوله الم
يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فقال بعضهم نزل في المنافقين الذين اظهروا الايمان • وفي قلوبهم النفاق
المباين للخشوع • والقايلون بهذا القول لعلهم ذهبوا الى ان المومن لا يكون مومنا في الحقيقة الا مع خشوع القلب فلا
يجوز ان يقول تعالى ذلك الا لمن ليس بمومن • وقال اخرون بل المراد من هو مومن على الحقيقة لكن المومن قد يكون له خشوع وخشية
وقد لا يكون كذلك • ثم على هذا القول تحتمل الاية وجوها • احدها لعل طايفة من المومنين ما كان فيهم مزيد خشوع ولا
رقة فحثوا عليه بهذه الاية • وثانيها لعل قوما كان فيهم خشوع كثير ثم زال عنهم شدة ذلك الخشوع فحثوا على المعاودة
اليها عن الاعمش قال ان الصحابة لما قدموا المدينة اصابوا لينا في العيش ورفاهية ففتروا عما كانوا عليه فعوتبوا بهذه
الاية • وعن ابي بكر رضي الله عنه ان هذه الاية قريت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكا شديدا فنظر اليهم
فقال هكذا كنا حتى قست القلوب • واما قوله لذكر الله ففيه قولان • الاول ان تقدير الاية اما حان للمومنين ان ترق قلوبهم
لذكر الله اي لمواعظ الله التي ذكرها في القران • وعلى هذا الذكر مصدر اضيف الى الفاعل • والقول الثاني ان الذكر مضاف
الى المفعول • والمعنى لذكرهم الله اي يجب ان يورثهم الذكر خشوعا ولا يكونون كمن يذكره بالغفلة فلا يخشع قلبه للذكر وقوله تعالى
وما نزل من الحق فيه مسايل المسلة الاولى ما في موضع جر بالعطف على الذكر وهو موصول والعايد اليه محذوف
على تقدير وما نزله من الحق • ثم قال ابن عباس في قوله وما نزل من الحق يعني القران المسلة الثانية قرا نافع وحفص
والمفضل عن عاصم وما نزل من الحق خفيفة • وقرا الباقون وابو بكر عن عاصم وما نزل مشددة • وعن ابي عمرو وما انزل من
الحق مرتفعة النون مكسورة الزاي • والتقدير في القراة الاولى ان تخشع قلوبهم لذكر الله ولما نزل من الحق • وفي القراة
الثانية ولما نزله من الحق المسلة الثالثة يحتمل ان يكون المراد بذكر الله وبما نزل من الحق هو القران لانه جامع للوصفين
الذكر والموعظة وانه حق نازل من السما • ويحتمل ان يكون المراد من الذكر هو ذكر الله مطلقا • والمراد بما نزل من الحق هو القران
وانما قدم الخشوع بالذكر على الخشوع بما نزل من القران لان الخشوع والخوف والخشية لا يحصل الا عند ذكر الله • فاما حصولها
عند سماع القران فذلك لاجل اشتمال القران على ذكر الله ثم قال تعالى ولا يكونوا قال الفرا هو في موضع نصب معناه الم يان
ان تخشع قلوبهم وان لا يكونوا قال ولو كان جزما على النهي كان صوابا ويدل على هذا قراة من قرا بالتاء على سبيل الالتفات ثم قال
كالذين اوتوا الكتاب من قبل يريد اليهود والنصارى فطال عليهم الامد • وفيه مسيلتان المسلة الاولى ذكروا في تفسير
طول الامد وجوها • احدها طالت المدة بينهم وبين انبيايهم فقست قلوبهم • وثانيها قال ابن عباس مالوا الى الدنيا
واعرضوا عن مواعظ الله • وثالثها طالت اعمارهم في الغفلة فحصلت القسوة في قلوبهم بذلك السبب • ورابعها
قال ابن حبان الامد هاهنا الامل البعيد • والمعنى على هذا طال عليهم الامد بطول الامل اي لما طالت امالهم لا جرم
قست قلوبهم • وخامسها قال مقاتل بن سليمان طال عليهم امد خروج النبي عليه الصلاة والسلام • وسادسها طال عهدهم
بسماع التوراة والانجيل فزال وقعهما عن قلوبهم فلا جرم قست قلوبهم فكانه تعالى نهى المومنين عن ان يكونوا كذلك قاله
القرظي المسلة الثانية قرئ الامد بالتشديد اي الوقت الاطول ثم قال تعالى وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن دينهم
رافضون لما في الكتابين • وكانه اشارة الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى الفسق في اخر الامر ثم قال تعالى
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون • فيه وجهان • الاول انه تمثيل والمعنى ان
القلوب التي ماتت بسبب القساوة • فالمواظبة على الذكر سبب لعود الخشوع اليها كما يحيي الله الارض بالغيث • والثاني
ان المراد من قوله يحيي الارض بعد موتها بعث الاموات فذكر ذلك ترغيبا في الخشوع والخضوع وزجرا عن القساوة وقوله
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا • فيه مسايل المسلة الاولى قال ابو علي الفارسي قرا

ابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر ان المصدقين والمصدقات بالتخفيف • وقرا الباقون وحفص عن عاصم ان المصدقين والمصدقات مشددة الصاد فيهما • فعلى القراءة الاولى يكون معنى المصدق المؤمن فيكون المعنى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لان اقراض الله من الاعمال الصالحة • ثم قالوا وهذه القراءة اولى لوجهين • الاول ان من تصدق لله واقرض الله اذا لم يكن مؤمنا لم يدخل تحت الوعد فيصير ظاهر الاية متروكا على قراءة التشديد ولا يصير متروكا على قراءة التخفيف والثاني ان المصدق هو الذي يقرض الله فيصير قوله ان المصدقين والمصدقات وقوله واقرضوا الله شيئا واحدا وهو تكرار • اما على قراءة التخفيف فانه لا يلزم التكرار • وحجة من ثقل وجهان • احدهما ان في قراءة ابي ان المتصدقين والمتصدقات • والثاني ان قوله واقرضوا الله قرضا حسنا اعتراض بين الخبر والمخبر عنه • والاعتراض بمنزلة الصفة فهو للصدقة اشد ملائمة منه للتصديق • واجاب الاولون بانا لا نجعل قوله واقرضوا على الاعتراض لكنا نعطفه على المعنى الا ترى ان المصدقين والمصدقات معناه ان الذين صدقوا فصار تقدير الاية ان الذين صدقوا واقرضوا المسئلة الثانية في الاية اشكال وهو ان عطف الفعل على الاسم قبيح • فما الفائدة في التزامه هاهنا قال صاحب الكشاف قوله واقرضوا معطوف على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا واعلم ان هذا لا يزيل الاشكال فانه ليس فيه بيان انه لم عدل عن ذلك اللفظ الى هذا اللفظ • والذي عندي فيه ان الالف واللام في المصدقين والمصدقات للمعهود فكانه ذكر جماعة معينين بهذا الوصف ثم قبل الخبر اخبر عنهم بانهم اتوا باحسن انواع الصدقة وهو الاتيان بالقرض الحسن • ثم ذكر الخبر بعد ذلك وهو قوله يضاعف لهم • فقوله واقرضوا الله هو المسمى بحشو اللوزينج كما في قوله • ان الثمانين وبلغتها المسئلة الثالثة من قرا المصدقين بالتشديد اختلفوا في ان المراد هو الواجب او التطوع او هما جميعا او المراد بالتصدق الواجب وبالاقراض التطوع لان تسميته بالقرض كالدلالة على ذلك وكل هذه الاحتمالات مذكور اما قوله يضاعف لهم ولهم اجر كريم فقد تقدم القول فيه • قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون واعلم انه تعالى قبل هذه الاية ذكر حال المؤمنين والمنافقين • وذكر الان حال المؤمنين والكافرين • ثم في الاية مسئلتان المسئلة الاولى الصديق نعت لمن كثر منه الصدق وجمع صدقا الى صدق في الايمان بالله تعالى ورسوله المسئلة الثانية في هذه الاية قولان • احدهما ان الاية عامة في كل من امن بالله ورسوله وهو مذهب مجاهد قال كل من امن بالله ورسوله فهو صديق • ثم قرا هذه الاية • ويدل على هذا ما روي عن ابن عباس في قوله هم الصديقون اي الموحدون • الثاني ان الاية خاصة وهو قول المقاتلين ان الصديقين هم الذين امنوا بالرسل حين اتوهم ولم يكذبوهم قط مثل ال ياسين ومؤمن ال فرعون • واما في ديننا فهم ثمانية سبقوا اهل الارض الى الاسلام • ابو بكر • وعلي • وزيد • وعثمان • وطلحة • والزبير • وسعد • وحمزة • وتاسعهم عمر الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته قوله والشهداء فيه قولان • الاول انه عطف على الاية الاولى • والتقدير ان الذين امنوا بالله ورسوله هم الصديقون وهم الشهداء قال مجاهد كل مؤمن فهو صديق وشهيد وتلا هذه الاية وعلى هذا القول اختلفوا في انه لم سمي كل مؤمن شهيدا فقال بعضهم لان المؤمنين هم الشهداء عند ربهم على العباد في اعمالهم والمراد انهم عدول الاخرة الذين تقبل شهادتهم وقال الحسن السبب في هذا الاسم ان كل مؤمن فانه يشهد كرامة ربه وقال الاصم كل مؤمن شهيد لانه قائم لله تعالى بالشهادة بما تعبدهم به من وجوب الايمان ووجوب الطاعات وحرمة الكفر والمعاصي وقال ابو مسلم قد ذكرنا ان الصديق نعت لمن كثر منه الصدق وجمع صدقا الى صدق في الايمان بالله تعالى ورسوله وصاروا بذلك شهداء على غيرهم • القول الثاني ان قوله والشهداء عند ربهم ليس عطفا على ما تقدم بل هو مبتدا وخبره اما قوله عند ربهم او يكون ذلك صفة وخبره هو قوله لهم اجرهم • وعلى هذا القول اختلفوا في المراد من الشهداء فقال الفراء والزجاج هم الانبياء لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال مقاتل ومحمد ابن جرير الشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله • وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال ما تعدون الشهداء فيكم قالوا المقتول فقال ان شهداء امتي اذا لقليل • ثم ذكر ان المقتول شهيد والمبطون شهيد والمطعون شهيد واعلم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بذكر حال الكافرين فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ولما ذكر احوال المؤمنين والكافرين ذكر بعده ما يدل على حقارة الدنيا وكمال حال الاخرة فقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو في الاية مسائل المسئلة الاولى المقصود الاصلي من الاية تحقير حال الدنيا وتعظيم حال الاخرة فقال الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر ولا شك ان هذه الاشياء امور محقرة • واما الاخرة فهي عذاب شديد دائم ورضوان الله على سبيل الدوام ولا شك ان ذلك عظيم المسئلة الثانية اعلم ان الحياة الدنيا حكمة وصواب ولذلك

لما قال اني

لما قال اني جاعل في الارض خليفة قال اني اعلم ما لا تعلمون • ولولا انها كانت حكمة وصوابا لما قال ذلك ولان الحياة خلقه كما قال الذي خلق الموت والحياة وانه لا يفعل العبث على ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا • وقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ولان الحياة نعمة بل هي اصل لجميع النعم وحقائق الاشياء لا تختلف بان كانت في الدنيا او في الاخرة ولانه تعالى عظم المنة بخلق الحياة فقال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم • فاول ما ذكر من اصناف نعمه هو الحياة فدل مجموع ما ذكرنا ان الحياة الدنيا غير مذمومة بل المراد ان من صرف هذه الحياة لا الى طاعة الله بل الى طاعة الشيطان • ومتابعة الهوى فذاك هو المذموم • ثم انه تعالى وصفها بامور • اولها انها لعب وهو فعل الصبيان الذين يتعبون انفسهم جدا ثم ان تلك المتاعب تنقضي من غير فائدة • وثانيها انها لهو وهو فعل الشبان والغالب ان بعد انقضائه لا يبقى الا الحسرة وذلك لان العاقل بعد انقضائها يرى المال ذاهبا والعمر ذاهبا واللذة منقضية والنفس ازدادت شوقا وتعطشا اليها مع فقدانها فتكون المضار مجتمعة متوالية • وثالثها انها زينة وهذه من دأب النسوان • وكان المطلوب من الزينة تحسين القبيح وعمارة البناء المشرف على ان يصير خرابا والاجتهاد في تكميل الناقص • ومن المعلوم ان العرضي لا يقاوم الذاتي فاذا كانت الدنيا منقضية لذاتها فاسدة الذات فكيف يتمكن العاقل من ازالة هذه المفاسد عنها قال ابن عباس المعنى ان الكافر يشتغل حياته بطلب زينة الدنيا دون العمل للاخرة • وهذا كما قيل • حياتك يا مغرور سهو وغفلة • ورابعها قوله وتفاخر بينكم بالصفات الفانية الداثرة وهو اما التفاخر بالنسب او التفاخر بالقوة والقدرة والعساكر • وكلها ذاهبة • وخامسها قوله وتكاثر في الاموال والاولاد قال ابن عباس يجمع المال في سخط الله ويباهي به على اولياء الله ويصرفه في مساخط الله فهو ظلمات بعضها فوق بعض • واعلم انه لا وجه يتعذبه اهل الدنيا يخرج عن هذه الاقسام وتبين ان حال الدنيا اذا لم يخل من هذه الوجوه فيجب ان يعدل عنها الى ما يؤدي الى عمارة الاخرة • ثم ذكر تعالى لهذه الحياة مثلا فقال كمثل غيث يعني المطر • ونظيره قوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء • والكاف في قوله كمثل غيث موضعه رفع من وجهين • احدهما ان يكون صفة لقوله لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر • والاخر ان يكون خبرا بعد خبر قاله الزجاج وقوله اعجب الكفار نباته فيه قولان • القول الاول قال ابن مسعود المراد من الكفار الزراع قال الازهري • والعرب تقول للزراع كافر لانه يكفر البذر الذي يبذره بتراب الارض • واذا اعجب الزراع نباته مع علمهم به فهو غاية الحسن • الثاني ان المراد بالكفار في هذه الاية الكفار بالله وهم اشد اعجابا بزينة الدنيا وحرثها من المؤمنين لانهم لا يرون سعادة سوى سعادات الدنيا وقوله نباته اي ما ينبت من ذلك الغيث • وباقي الاية مفسر في سورة الزمر • ثم انه تعالى ذكر بعده حال الاخرة فقال وفي الاخرة عذاب شديد اي لمن كانت حياته بهذه الصفة • ومغفرة من الله ورضوان لاولياء الله واهل طاعته • وذلك لانه لما وصف الدنيا بالحقارة وسرعة الانقضاء بين ان الاخرة اما عذاب شديد دائم واما رضوان وهو اعظم درجات الثواب ثم قال تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لمن اقبل عليها واعرض بها عن طلب الاخرة • قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا الهتك عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وطلب الاخرة فنعم المتاع ونعم الوسيلة قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم • المراد كانه تعالى قال لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم في غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الاخرة • واعلم انه تعالى امر بالمسارعة في قوله سارعوا الى مغفرة من ربكم • ثم شرح هاهنا كيفية تلك المسارعة فقال سابقوا اي سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار وقوله الى مغفرة • فيه مسئلتان المسئلة الاولى لا شك ان المراد منه المسارعة الى ما يوجب المغفرة فقال قوم المراد سابقوا الى التوبة وقال اخرون المراد سابقوا الى سائر ما كلفتم به فدخل فيه التوبة وهذا اصح لان المغفرة والجنة لا ينالان الا بالانتهاء عن جميع المعاصي والاشتغال بكل الطاعات المسئلة الثانية احتج القائلون بان الامر يفيد الفور بهذه الاية فقالوا هذه الاية دلت على وجوب المسارعة فوجب ان يكون التراخي محظورا اما قوله تعالى وجنة عرضها كعرض السماء والارض وقال في ال عمران وجنة عرضها السموات والارض • وذكروا فيه وجوها • احدها ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكانت الجنة في عرضها هذا قول مقاتل • وثانيها قال عطاء عن ابن عباس يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه الصفة • وثالثها قال السدي ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات السبع والارضين السبع ولا شك ان طولها ازيد من عرضها فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك • ورابعها ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والارض وهذا قول الزجاج • وخامسها وهو اختيار ابن عباس ان الجنان اربعة قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان • ومن دونهما جنتان • فالمراد هاهنا تشبيه واحد من تلك الجنان في العرض بالسموات السبع والارضين السبع اما قوله تعالى اعدت للذين امنوا بالله ورسله ففيه مسائل المسئلة الاولى احتج جمهور الاصحاب بهذا على ان الجنة مخلوقة • قالت المعتزلة هذه الاية لا يمكن اجراؤها

واذا اعجب الزراع نباته مع علمهم به فهو غاية الحسن

على ظاهرها الوجهين • الأول أن قوله تعالى أكلها دائم يدل على أن من صفتها بعد وجودها أن لا تفنى لكنها لو كانت الآن
موجودة لفنيت بدليل قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه • الثاني أن الجنة المخلوقة الآن هي في السماء السابعة ولا يجوز
مع أنها في واحدة منها أن يكون عرضها كعرض كل السموات قالوا فثبت بهذين الوجهين أنه لا بد من التأويل • وذلك
من وجهين • الأول أنه لما كان قادرا لا يصح المنع عليه وكان حكيما لا يصح الخلف عليه في وعده • ثم إنه تعالى وعد على
الطاعة بالجنة • فكانت الجنة كالمعدة المهيأة لهم تشبيها لما سيقع قطعا بالواقع • وقد يقول المرء لصاحبه أعددت
لك المكافأة إذا عزم عليها وإن لم يوجدها • والثاني أن المراد إذا كانت الآخرة أعدها الله لهم كقوله ونادى أصحاب النار
أصحاب الجنة أي إذا كان يوم القيمة نادى والجواب أن قوله كل شيء هالك عام • وقوله أعدت للمتقين مع قوله أكلها
دائم خاص والخاص مقدم على العام • أما قوله ثانيا الجنة مخلوقة في السماء السابعة • قلنا إنها مخلوقة فوق السماء السابعة على
ما قال عليه السلام في صفة الجنة سقفها عرش الرحمن وأي استبعاد في أن يكون المخلوق فوق الشيء أعظم منه أليس أن العرش
أعظم المخلوقات مع أنه مخلوق فوق السماء السابعة **المسألة الثانية** قوله أعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه أعظم
رجاء وأقوى أمل إذ ذكر أن الجنة أعدت لمن آمن بالله ولم يذكر مع الإيمان شيئا آخر • والمعتزلة وإن زعموا أن الإيمان يفيد جملة
الطاعات بحكم تصرف الشرع ولكنهم اعترفوا بأن لفظ الإيمان إذا عدي بحرف الباء فإنه باق على مفهومه الأصلي وهو التصديق
فالآية حجة عليهم • ومما يتأكد به ما ذكرناه قوله بعد هذه الآية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني أن الجنة فضل
لا معاملة فهو يؤتيها من يشاء من عباده سواء أطاع أم عصى • فإن قيل يلزمكم أن تقطعوا بالجنة لجميع العصاة وأن تقطعوا
بأنه لا عقاب لهم • قلنا نقطع بحصول الجنة لهم ولا نقطع بنفي العقاب عنهم لأنهم إذا عذبوا مدة ثم نقلوا إلى الجنة وبقوا
فيها أبد الآباد فقد كانت الجنة معدة لهم • فإن قيل فالمرتد قد آمن بالله فوجب أن يدخل تحت الآية • قلنا خص عن العموم
فيبقى العموم حجة فيما عداه **قوله تعالى** ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء • وزعم جمهور أصحابنا أن نعيم الجنة تفضل
محض لا أنه مستحق بالعمل وهذا أيضا قول الكعبي من المعتزلة واحتجوا على صحة هذا المذهب بهذه الآية • أجاب القاضي عنه
فقال هذا إنما يلزم لو امتنع الجمع بين كون الجنة مستحقة وبين كونها فضلا من الله تعالى فأما إذا صح اجتماع الصفتين فلا يصح
هذا الاستدلال • وإنما قلنا إنه لا منافاة بين هذين الوصفين لأنه تعالى لما كان هو المتفضل بالأمور التي يمكن المكلف
معها من كسب هذا الاستحقاق كان متفضلا بما قال • ولما ثبت هذا ثبت أن قوله يؤتيه من يشاء لا بد من أن يكون مشروطا
لمن يستحقه • ولولا ذلك لم يكن لقوله من قبل سابقوا إلى مغفرة من ربكم معنى • واعلم أن هذا ضعيف لأن كونه تعالى
متفضلا بنفس الجنة فإن من وهب من إنسان كاغدا ودواة وقلما • ثم إن ذلك الإنسان كتب بذلك المداد على ذلك الكاغد
مصحفا وباعه من الواهب لا يقال إن ذلك الثمن تفضل بل يقال إنه مستحق فكذا هاهنا • وأما قوله أولا إنه لا بد من التخصيص
لم يكن لقوله من قبل سابقوا إلى مغفرة معنى فجوابه أن هذا استدلال عجيب لأن للمتفضل أن يشترط في تفضله أي شرط
شاء • ويقول لا أتفضل إلا مع هذا الشرط **ثم قال** والله ذو الفضل العظيم • والمراد منه التنبيه على عظيم حال الجنة
وذلك لأن ذا الفضل العظيم إذا أعطى عطاء مدح به نفسه وأثنى بسببه على نفسه فإنه لا بد وأن يكون ذلك العطاء عظيما
**قوله تعالى** ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب • قال الزجاج إنه تعالى لما قال سابقوا
إلى مغفرة بين أن المؤدي إلى الجنة والنار لا يكون إلا بقضاء وقدر فقال ما أصاب من مصيبة • والمعنى لا توجد مصيبة
من هذه المصائب إلا وهي مكتوبة عند الله • والمصيبة في الأرض هي قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار وغلاء الأسعار
وتتابع الجوع • والمصيبة في الأنفس فيها قولان • الأول أنها هي الأمراض والفقر وذهاب الأولاد وإقامة الحدود
عليها • والثاني أنها تتناول الخير والشر أجمع لقوله بعد ذلك لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم • ثم قال إلا في كتاب
يعني مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ • وفيه مسائل **المسألة الأولى** هذه الآية دالة على أن جميع الحوادث الأرضية
قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح المحفوظ قال المتكلمون وإنما كتب ذلك لوجوه • أحدها لتستدل الملائكة بذلك
المكتوب على كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع الأشياء قبل وقوعها • وثانيها ليعرفوا حكمة فإنه تعالى مع علمه بأنهم يقدمون
على تلك المعاصي خلقهم ورزقهم • وثالثها ليحذروا من أمثال تلك المعاصي • ورابعها ليشكروا الله تعالى على توفيقه إياهم
على الطاعات • وعصمته إياهم عن المعاصي • وقالت الحكماء إن الملائكة الذين وصفهم الله بأنهم هم المدبرات أمرا وهم
المقسمات أمرا إنها هي المبادي لحدوث الحوادث في هذا العالم السفلي بواسطة الحركات الفلكية والاتصالات
الكوكبية • فتصورها لسياق تلك الأسباب إلى المسببات هي المراد من قوله تعالى إلا في كتاب **المسألة الثانية**
استدل جمهور أهل التوحيد بهذه الآية على أنه تعالى عالم بالأشياء قبل وقوعها خلافا لهشام بن الحكم • ووجه الاستدلال
أنه تعالى لما كتبها في الكتاب قبل وقوعها وجاءت مطابقة لذلك الكتاب علمنا أنه تعالى كان عالما بها بأسرها **المسألة الثالثة**

قوله ولا في أنفسكم

قوله ولا في أنفسكم يتناول جميع مصائب الأنفس فيدخل فيها كفرهم ومعاصيهم فالآية دالة على أن جميع أعمالهم بتفاصيلها
مكتوبة في اللوح المحفوظ ومثبتة في علم الله فكان الامتناع من تلك الأعمال محالا لأن علم الله بوجودها مناف لعدمها والجمع
بين المتنافيين محال • فلما حصل العلم بوجودها وهذا العلم ممتنع الزوال كان الجمع بين عدمها وبين علم الله بوجودها محالا
**المسألة الرابعة** أنه تعالى لم يقل إن جميع الحوادث مكتوبة في الكتاب لأن حركات أهل الجنة والنار غير متناهية فإثباتها في الكتاب
محال • وأيضا خصص ذلك بالأرض والأنفس وما أدخل فيها أحوال السموات • وأيضا خصص ذلك بمصائب الأرض والأنفس
لا بسعادات الأرض والأنفس • وفي كل هذه الرموز إشارات وأسرار **أما قوله** من قبل أن نبرأها فقد اختلفوا فيه فقال
بعضهم من قبل أن نخلق هذه المصائب • وقال بعضهم بل المراد الأنفس • وقال آخرون بل المراد نفس الأرض والكل محتمل لأن
ذكر الكل قد تقدم وإن كان الأقرب نفس المصيبة لأنها هي المقصودة • وقال آخرون المراد من قبل أن نبرأها المخلوقات
والمخلوقات وإن لم يتقدم ذكرها إلا أنها لظهورها يجوز عود الضمير إليها كما في قوله إنا أنزلناه **ثم قال** إن ذلك على الله يسير
وفيه قولان • أحدهما أن حفظ ذلك على الله هين • والثاني أن إثبات ذلك على كثرته في الكتاب يسير على الله وإن كان عسيرا
على العباد • ونظير هذه الآية قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير **ثم قال** لكيلا تأسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم • وفيه مسائل **المسألة الأولى** هذه اللام تفيد جعل أول الكلام سببا لآخره كما تقول قمت
لأضربك فإنه يفيد أن القيام سبب للضرب • وهاهنا كذلك لأنه تعالى بين أن إخبار الله عن كون هذه الأشياء واقعة
بالقضاء والقدر ومثبتة في الكتاب الذي لا يتغير يوجب أن لا يشتد فرح الإنسان بما وقع وأن لا يشتد حزنه بما لم يقع وهذا
هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب • وتحقيق
الكلام فيه أن على مذهب أهل السنة أن وقوع كل ما وقع واجب وعدم ما لم يقع واجب أيضا لأسباب أربعة • أحدها
أن الله تعالى علم وقوعه فلو لم يقع انقلب العلم جهلا • وثانيها أن الله أراد وقوعه فلو لم يقع انقلبت تلك الإرادة تمنيا
وثالثها أنه تعلقت قدرة الله تعالى بإيقاعه • فلو لم يقع لانقلبت تلك القدرة عجزا • ورابعها أن الله حكم بوقوعه بكلامه
الذي هو صدق فلو لم يقع لانقلب ذلك الخبر الصدق كذبا • فإذن هذا الذي وقع لو لم يقع لتغيرت هذه الصفات
الأربعة من كمالها إلى النقص ومن قدمها إلى الحدوث • ولما كان ذلك ممتنعا علمنا أنه لا دافع لذلك الوقوع وحينئذ
يزول الغم والحزن عند ظهور هذه الخواطر وهانت عليه المحن والمصائب • وأما المعتزلة فهم وإن نازعوا في القدرة والإرادة
ولكنهم يوافقون في العلم والخبر وإذا كان الجبر لازما في هاتين الصفتين فأي فرق بين أن يلزم الجبر بهاتين الصفتين وبين
أن يلزم بسبب الصفات الأربعة • وأما الفلاسفة فالجبر مذهبهم وذلك لأنهم ربطوا حدوث الأفعال الإنسانية بالتصورات
الذهنية والتخيلات الحيوانية ثم ربطوا تلك التصورات والتخيلات بالأدوار الفلكية التي لها مناهج مقدرة ويمتنع وقوع
ما يخالفها • وأما الدهرية الذين لا يثبتون شيئا من المؤثرات فهم لا بد وأن يقولوا بحدوث الحوادث اتفاقية • [illegible]
[illegible]

لأنهم ربطوا حدوث الأفعال الإنسانية بالتصورات

أجعلوا المصيبة جبرا . والخير شكرا . واحتج القاضي بهذه الآية على أنه تعالى لا يريد أفعال العباد والجواب
عنه أن كثيرا من أصحابنا فرق بين المحبة والإرادة فقال المحبة إرادة مخصوصة وهي إرادة الثواب فلا يلزم من نفي هذه
الإرادة نفي مطلق الإرادة قوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل . فيه مسائل المسئلة الأولى
في الآية قولان . الأول أن هذا بدل من قوله كل مختال فخور كأنه قال لا يحب المختال والذين يبخلون ويأمرون
بالبخل يريد الذين يفرحون الفرح المطغي إذا رزقوا مالا وحظا في الدنيا فلحبه له وعزته عندهم يبخلون به ولا يكفيهم
أنهم بخلوا به بل يأمرون الناس بالبخل به وكل ذلك نتيجة فرحهم به وبطرهم عند إصابته ثم قال بعد ذلك ومن يتول
عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الأسى على الفائت . والفرح بالآتي فإن الله غني عنه . القول الثاني
قوله الذين يبخلون كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله وهو في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد وبخلوا ببيان نعته وهو
مبتدأ وخبره محذوف دل عليه قوله . ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد . وحذف الخبر كثير في القرآن كقوله ولو
أن قرآنا سيرت به الجبال المسئلة الثانية قال أبو علي الفارسي قرأ نافع وابن عامر فإن الله الغني الحميد وحذفوا
لفظة هو وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام . وقرأ الباقون هو الغني الحميد قال أبو علي ينبغي أن يكون
هو في هذه الآية فصلا لا مبتدأ لأن الفصل حذفه أسهل ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الإعراب . وقد يحذف فلا
يخل بالمعنى كقوله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا المسئلة الثالثة قوله فإن الله هو الغني الحميد معناه أن الله غني
فلا يعود عليه ضرر بخل ذلك البخيل . وقوله الحميد كأنه جواب عن سؤال يذكر هاهنا فإنه يقال لما كان تعالى
عالما بأنه يبخل بذلك المال ولا يصرفه إلى وجوه الطاعات فلم أعطاه ذلك المال فأجاب بأنه تعالى حميد في ذلك الإعطاء
مستحق للحمد حيث فتح عليه أبواب رحمته ونعمته فإن قصر العبد في الطاعة فإن وباله عائد إليه قوله تعالى
لقد أرسلنا رسلنا بالبينات . في تفسير البينات قولان . الأول وهو قول مقاتل بن سليمان أنها المعجزات الظاهرة
والدلائل القاهرة . والثاني وهو قول مقاتل بن حيان أي أرسلناهم بالأعمال التي تدعوهم إلى الطاعة لله وإلى
الإعراض عن غير الله . والأول هو الوجه لأن نبوتهم إنما ثبتت بتلك المعجزات ثم قال تعالى وأنزلنا معهم الكتاب
والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد اعلم أن نظير هذه الآية قوله الله الذي نزل
الكتاب بالحق والميزان . وقال والسماء رفعها ووضع الميزان . وهاهنا مسائل المسئلة الأولى
في وجه المناسبة بين الكتاب والميزان والحديد وجوه . أحدها وهو الذي أقوله أن مدار وجوه التكليف
على أمرين . أحدهما فعل ما ينبغي فعله . والثاني ترك ما ينبغي تركه . والأول هو المقصود بالذات لأن المقصود
بالذات لو كان هو الترك لوجب أن لا يخلق أحدا لأن الترك كان حاصلا في الأزل . وأما فعل ما ينبغي فعله فإما
أن يكون متعلقا بالنفس وهو المعارف أو بالبدن وهو أعمال الجوارح فالكتاب هو الذي يتوسل به إلى فعل ما ينبغي
من الأفعال النفسانية لأن به يتميز الحق من الباطل والحجة من الشبهة . والميزان هو الذي يتوسل به إلى فعل ما ينبغي
من الأفعال البدنية فإن معظم التكاليف الشاقة في الأعمال هو ما يرجع إلى معاملة الخلق . والميزان هو الذي
به يتميز العدل عن الظلم . والزائد عن الناقص وأما الحديد ففيه بأس شديد وهو زاجر للخلق عما لا ينبغي . والحاصل
أن الكتاب إشارة إلى القوة النظرية . والميزان إلى القوة العملية . والحديد إشارة إلى دفع ما لا ينبغي . ولما كان
أشرف الأقسام رعاية المصالح الروحانية . ثم رعاية المصالح الجسمانية . ثم الزجر عما لا ينبغي لا جرم روعي هذا
الترتيب في هذه الآية . وثانيها المعاملة إما مع الخالق وطريقها الكتاب . أو مع الخلق وهم إما الأحباب والمعاملة
معهم بالسوية وهي بالميزان . أو مع الأعداء والمعاملة معهم بالسيف والحديد . وثالثها الأقوام ثلاثة . أما
السابقون وهم يعاملون الخلق بمقتضى الكتاب ينصفون ولا ينتصفون ويحترزون عن مواقع الشبهات
وأما مقتصدون وهم الذين ينصفون وينتصفون فلا بد لهم من الميزان . وأما ظالمون وهم الذين ينتصفون
ولا ينصفون . ولا بد لهم من الحديد والزجر . ورابعها الإنسان إما أن يكون في مقام الحقيقة وهو مقام
النفس المطمئنة ومقام المقربين . فهاهنا لا يسكن إلا إلى الله ولا يعمل إلا بكتاب الله كما قال ألا بذكر الله تطمئن القلوب
وإما أن يكون في مقام الطريقة وهو مقام النفس اللوامة ومقام أصحاب اليمين فلا بد له من الميزان في معرفة
الأخلاق حتى يحترز عن طرفي الإفراط والتفريط ويبقى على الصراط المستقيم . وإما أن يكون في مقام الشريعة
وهو مقام النفس الأمارة وهاهنا لا بد له من حديد المجاهدة والرياضات الشاقة . وخامسها الإنسان إما أن
يكون صاحب المكاشفة والوصول فلا أنس له إلا بالكتاب أو صاحب الطلب والاستدلال فلا بد له من ميزان الدليل
والحجة . أو صاحب العناد واللجاج فلا بد وأن ينفى من الأرض بالحديد . وسادسها أن الدين إما الأصول وإما الفروع

وبعبارة أخرى

وبعبارة أخرى أما المعارف وأما الأعمال فالأصول من الكتاب وأما الفروع فالمقصود الأفعال التي فيها عدلهم وصلاحهم
وذلك بالميزان فإنه إشارة إلى رعاية العدل . والحديد لتأديب من ترك ذينك الطريقين . وثانيها الكتاب إشارة
إلى ما ذكره الله في كتابه من الأحكام المقتضية للعدل والإنصاف . والميزان إشارة إلى حمل الناس على تلك الأحكام المبنية
على العدل والإنصاف وهو شأن الملوك . والحديد إشارة إلى أنهم لو تمردوا لوجب أن يحملوا عليها بالسيف . وهذا يدل على
أن مرتبة العلماء وهم أرباب الكتاب مقدمة على مرتبة الملوك الذين هم أرباب السيف . ووجوه المناسبات كثيرة وفيما
ذكرناه تنبيه على الباقي المسئلة الثانية ذكروا في إنزال الميزان وإنزال الحديد قولين . الأول أن الله تعالى أنزلهما
من السماء . روي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال مر قومك يزنوا به . وعن ابن عباس نزل
آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من الحديد . السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة . والميقعة ما يحدد
به . ويدل على صحة هذا ما روى ابن عمر أنه عليه السلام قال إن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل
الله الحديد والنار والماء والملح . والقول الثاني أن معنى هذا الإنزال الإنشاء والتهيئة كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام
ثمانية أزواج قال قطرب أنزلناها أي هيأناها من النزل يقال أنزل الأمير على فلان نزلا حسنا . ومنهم من قال
هذا من جنس قوله . أعلفتها تبنا وماء باردا . وأكلت خبزا ولبنا . المسئلة الثالثة ذكر في منافع الميزان
أن يقوم الناس بالقسط . والقسط والإقساط هو الإنصاف . وهو أن تعطي قسط غيرك كما تأخذ قسط نفسك
والعادل مقسط قال تعالى إن الله يحب المقسطين . والقاسط الجائر قال تعالى وأما القاسطون . وأما الحديد
ففيه البأس الشديد فإن آلات الحروب متخذة منه . وفيه أيضا منافع كثيرة منها قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس
لكم . ومنها أن مصالح العالم إما أصول وإما فروع . أما الأصول فأربعة . الزراعة والحياكة وبناء البيوت والسلطنة
وذلك لأن الإنسان مضطر إلى طعام يأكله وثوب يلبسه . وبناء يجلس فيه . والإنسان مدني بالطبع فإنه لا تتم
مصلحته إلا عند اجتماع جمع من أبناء جنسه يشتغل كل واحد منهم بمهم خاص فحينئذ ينتظم من الكل مصالح الكل وذلك
الانتظام لا بد وأن يفضي إلى المزاحمة . ولا بد من شخص يدفع ضرر البعض عن البعض وذلك هو السلطان . فثبت أنه لا تنتظم
مصالح العالم إلا بهذه الحرف الأربعة . أما الزراعة فمحتاجة إلى الحديد وذلك في كرب الأراضي وحفرها . ثم عند تكون
هذه الحبوب وتولدها فلا بد من حصدها وتنقيتها وذلك لا يتم إلا بالحديد . ثم الحبوب لا بد من طحنها وذلك لا يتم إلا بالحديد
ثم لا بد من خبزها ولا يتم إلا بالنار ولا بد فيها من المقدحة الحديدية . وأما الفواكه فلا بد من تنظيفها عن قشورها
وقطعها على الوجوه الموافقة للأكل ولا يتم ذلك إلا بالحديد . وأما الحياكة فمعلوم أنه يحتاج في توليد القطن وغيره
إلى آلات الحراثة وهي محتاجة إلى الحديد . ثم يحتاج في آلات الغزل إلى الحديد . ثم يحتاج في آلات الحياكة إلى الحديد . ثم
يحتاج في قطع الثياب وخياطتها إلى الحديد . وأما البناء فمعلوم أن كمال الحال فيه لا يحصل إلا بالحديد . وأما أسباب
السلطنة فمعلوم أنها لا تتم ولا تكمل إلا بالحديد . وعند هذا يظهر أن أكثر مصالح العالم لا تتم إلا بالحديد . ويظهر
أيضا أن الذهب لا يقوم مقام الحديد في شيء من هذه المصالح فلو لم يوجد الذهب في الدنيا ما كان يختل شيء من مصالح الدنيا
ولو لم يوجد الحديد لاختل جميع مصالح الدنيا . ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير الوجود والذهب
لما قلت الحاجة إليه جعله عزيز الوجود وعند هذا يظهر أثر جود الله ورحمته على عبيده فإن كل ما كانت حاجتهم إليه أكثر
جعل وجدانه أسهل . ولهذا قال بعض الحكماء إن أعظم الأمور حاجة إليه هو الهواء فإنه لو انقطع وصوله إلى القلب
لحظة لمات الإنسان في الحال فلا جرم جعله الله أسهل الأشياء وجدانا وهيأ أسباب التنفس والآلة حتى إن الإنسان يتنفس دائما
بمقتضى طبعه من غير حاجة فيه إلى تكلف عمل . وبعد الهواء الماء إلا أنه لما كانت الحاجة إلى الماء أقل من الحاجة إلى الهواء جعل
تحصيل الماء أشق قليلا من تحصيل الهواء . وبعد الماء الطعام . ولما كانت الحاجة إلى الطعام أقل من الحاجة إلى الماء جعل
تحصيل الطعام أشق من تحصيل الماء . ثم تتفاوت الأطعمة في درجات الحاجة والعزة فكلما كانت الحاجة إليه أشد كان
وجدانه أسهل وكلما كانت الحاجة إليه أقل . والجواهر لما كانت الحاجة إليها قليلة جدا لا جرم كانت عزيزة جدا . فعلمنا
أن كل شيء كانت الحاجة إليه أكثر كان وجدانه أسهل . ولما كانت الحاجة إلى رحمة الله أشد من كل شيء فنرجو من رحمته أن يجعلها
أسهل الأشياء وجدانا وقال الشاعر شعر . سبحان من خص الفلز بعزة . والناس مستغنون عن أجناسه
وأذل أنفاس الهواء وكل ذي . نفس فمحتاج إلى أنفاسه . ثم قال تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب . وفيه مسائل
المسئلة الأولى وليعلم الله من ينصره أي ينصر دينه وينصر رسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح
في مجاهدة أعداء الدين بالغيب أي غائبا عنهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ويقرب منه قوله تعالى إن تنصروا
الله ينصركم المسئلة الثانية احتج من قال بحدوث علم الله بقوله وليعلم الله والجواب عنه أنه تعالى أراد

بالعلم المعلوم لكانه تعالى قال وليقع نصرة الرسول عليه السلام ممن ينصره المسئلة الثالثة قال الجبائي قوله تعالى
ليقوم الناس بالقسط دلالة على انه تعالى انزل الميزان والحديد ومراده من العباد ان يقوموا بالقسط وان ينصروا الرسول
فاذا كان هذا مراده من الكل فقد بطل قول المجبرة انه اراد من بعضهم خلاف ذلك • وجوابه انه كيف يمكن ان يريد من الكل
ذلك مع علمه بان ضده موجود وان الجمع بين الضدين محال وان المحال غير مراد المسئلة الرابعة لما كانت النصرة قد تكون
ظاهرة كما يقع ممن منافق وممن مراده المنافع في الدنيا بين تعالى ان الذي اراده النصرة بالغيب ومعناه ان يقع عن اخلاص
القلب • ثم بين تعالى انه قوي على الامور عزيز لا يمانع قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة
والكتاب اعلم انه تعالى لما ذكر انه نصر الرسل بالبينات والمعجزات وانه انزل الميزان والحديد وامر الخلق بان يقوموا بنصرهم
اتبع ذلك ببيان سائر الاشيا التي انعم بها عليهم فبين تعالى انه شرف نوحا وابرهيم عليهما السلام بالرسالة ثم جعل في ذريتهما
النبوة والكتاب • فما جاء بعدهما احد بالنبوة الا وكان من اولادهما • وانما قدم النبوة على الكتاب لان كمال حال النبي ان يصير
صاحب الكتاب والشرع ثم قال تعالى فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون • وفيه مسائل المسئلة الاولى فمنهم اي من الذرية
او من المرسل اليهم • وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين • والمعنى ان منهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق
وفي الفاسق هاهنا قولان • الاول انه الذي ارتكب الكبيرة سوا كان كافرا او لم يكن لان هذا الاسم يطلق على الكافر وعلى
من لا يكون كذلك اذا كان مرتكبا للكبيرة • والثاني ان المراد بالفاسق هاهنا الكافر لان الاية دلت على انه تعالى جعل
الفساق بالضد من المهتدين فكان المراد فيهم من قبل الدين واهتدى ومنهم من لم يقبل ولم يهتد • ومعلوم ان من
كان كذلك كان كافرا وهذا ضعيف لان المسلم الذي عصى قد يقال فيه انه لم يهتد الى وجه رشده ودينه قوله تعالى
ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم واتيناه الانجيل وفيه مسئلتان المسئلة الاولى معنى قفينا
اتبعنا بعد ان مضى والمراد انه تعالى ارسل بعضهم بعد بعض الى ان انتهى الى ايام عيسى عليه السلام فارسله الله تعالى
بعدهم واتاه الانجيل المسئلة الثانية قال ابن جني قرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة ثم قال هذا مثال لا نظير له
لانه افعيل وهو عندهم من نجلت الشي اذا استخرجته لانه يستخرج الاحكام • والتوراة فوعلة من ورى الزند يري اذا
اخرج النار • ومثله الفرقان وهو فعلان من فرقت بين الشيئين فعلى هذا لا يجوز فتح الهمزة لانه لا نظير له • وغالب
الظن انهم ما قرءوه الا عن سماع • وله وجهان • احدهما انه شاذ كما حكي عن بعضهم في البرطيل البرطيل • والثاني
انه ظن الانجيل عجميا فحرف مثاله تنبيها على كونه اعجميا قوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة
ورحمة ورهبانية ابتدعوها • فيه مسائل المسئلة الاولى احتج اصحابنا بهذه الاية على ان فعل العبد خلق لله
تعالى وكسب للعبد قالوا لانه تعالى حكم بان هذه الاشيا مجعولة لله تعالى وحكم بانهم ابتدعوا تلك الرهبانية •
قال القاضي المراد بذلك انه تعالى لطف بهم حتى قويت دواعيهم الى الرهبانية التي هي تحمل الكلفة الزائدة على
ما يجب من الخلوة واللباس الخشن والجواب ان هذا ترك للظاهر من غير دليل على انا وان سلمنا ذلك فهو تحصيل
مقصودنا ايضا وذلك لان حال الاستوا يمتنع حصول الرجحان والا فقد حصل الرجحان عند الاستوا ممتنعا
كان عند المرجوحية اولى ان يصير ممتنعا • واذا امتنع المرجوح وجب الراجح ضرورة انه لا خروج عن طرفي النقيض
المسئلة الثانية قال مقاتل المراد من الرأفة والرحمة هو انهم كانوا متوادين بعضهم مع بعض كما وصف
الله تعالى اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بذلك في قوله رحما بينهم المسئلة الثالثة قال صاحب الكشاف
قرئ رآفة على فعالة المسئلة الرابعة الرهبانية معناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف
فعلان من رهب كخشيان من خشي • وقرئ ورهبانية بالضم كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة متحملين كلفا زائدة
على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النسا والتعبد في الغيران والكهوف
عن ابن عباس ان في ايام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام غير الملوك التوراة والانجيل فساح قوم في الارض
ولبسوا الصوف • وروى ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام قال يا ابن مسعود اما علمت ان بني اسرائيل تفرقوا
سبعين فرقة كلها في النار الا ثلاث فرق • فرقة امنت بعيسى عليه السلام وقاتلوا مع اعدا الله في نصرته حتى قتلوا • وفرقة
لم يكن لها طاقة بالقتال فامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر • وفرقة لم يكن لهم طاقة بالامرين فلبسوا العبا وخرجوا
الى القفار والفيافي وهو قوله وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه الى اخر الاية المسئلة الخامسة لم يعن تعالى
بابتدعوها طريقة الذم بل المراد انهم احدثوها من عند انفسهم ونذروها ولذلك قال تعالى بعده ما كتبناها عليهم
المسئلة السادسة رهبانية منصوبة بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره ابتدعوا رهبانية

ابتدعوها

ابتدعوها وقال ابو علي الفارسي الرهبانية لا يستقيم حملها على جعلنا لان ما يبتدعونه هم لا يجوز ان يكون مجعولا لله واقول هذا الكلام انما يتم لو ثبت امتناع مقدور بين قادرين • ومن اين يليق بابي علي ان يخوض في امثال هذه الاشيا ثم قال تعالى ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله ففيه قولان الاول انه استثناء منقطع • والثاني انه استثناء متصل • والمعنى انا ما تعبدناهم بها الا على وجه ابتغاء رضوان الله تعالى • والمراد انها ليست واجبة فان المقصود من فعل الواجب دفع العقاب وتحصيل رضا الله • اما المندوب فليس المقصود من فعله دفع العقاب بل المقصود منه ليس الا تحصيل مرضاة الله • ثم قال تعالى فما رعوها حق رعايتها وفيه اقوال • احدها ان هؤلاء الذين ابتدعوا هذه الرهبانية ما رعوها حق رعايتها بل ضموا اليها التثليث والاتحاد واقام اناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا عليه السلام فامنوا به فهو قوله فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون • وثانيها انا ما كتبنا عليهم تلك الرهبانية الا ليتوسلوا بها الى مرضاة الله ثم انهم اتوا بها لا لهذا الوجه بل لوجه اخر وهو طلب الدنيا والريا والسمعة • وثالثها انا لما كتبناها عليهم تركوها فيكون ذلك ذما لهم من حيث انهم تركوا الواجب • ورابعها ان الذين لم يرعوها حق رعايتها هم الذين ادركوا محمدا عليه الصلاة والسلام ولم يؤمنوا به وقوله فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم اي الذين امنوا بمحمد وكثير منهم فاسقون يعني الذين لم يؤمنوا به • ويدل على هذا ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال من امن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون • وخامسها ان الصالحين من قوم عيسى عليه السلام ابتدعوا الرهبانية وانقرضوا عليها ثم جاء بعدهم قوم اقتدوا بهم في اللسان وما كانوا مقتدين بهم في العمل فهم الذين ما رعوها حق رعايتها • قال عطا لم يرعوها كما رعاها الحواريون ثم قال وكثير منهم فاسقون والمعنى ان بعضهم قام برعايتها وكثير منهم اظهر الفسق وترك تلك الطريقة ظاهرا وباطنا قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله الى اخره اعلم انه لما قال في الاية الاولى فاتينا الذين امنوا اي من قوم عيسى
اجرهم قال في هذه الاية يا ايها الذين امنوا والمراد به اولئك فامرهم ان يتقوا الله ويؤمنوا بمحمد عليه السلام ثم قال تعالى
يؤتكم كفلين اي نصيبين من رحمته لايمانكم اولا بعيسى عليه السلام وثانيا بمحمد صلى الله عليه وسلم • ونظيره قوله تعالى
اولئك الذين يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا • عن ابن عباس انه نزل في قوم جاءوا من اليمن من اهل الكتاب الى الرسول واسلموا
فجعل لهم اجرين • وهاهنا سؤالات • السؤال الاول ما الكفل في اللغة الجواب قال المؤرج الكفل النصيب بلغة
هذيل وقال غيره بل هذا لغة الحبشة • وقال المفضل بن سلمة الكفل كسا يديره الراكب حول السنام حتى يتمكن من
القعود على البعير • السؤال الثاني انه تعالى لما اتاهم كفلين واعطى المؤمنين كفلا واحدا كان حالهم اعظم
والجواب روي ان اهل الكتاب افتخروا بهذا السبب على المسلمين وهو ضعيف لانه لا يبعد ان يكون النصيب
الواحد ازيد قدرا من النصيبين • فان المال اذا قسم بنصفين كان الكفل الواحد نصفا • واذا قسم بماية اقسام
كان الكفل الواحد جزوا من ماية جزء • فالنصيب الواحد من القسمة الاولى ازيد من عشرين نصيبا من
القسمة الثانية فكذا هاهنا ثم قال تعالى ويجعل لكم نورا تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم
ويغفر لكم ما اسلفتم من المعاصي قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شي من فضل الله
فيه مسئلتان المسئلة الاولى قال الواحدي رحمه الله هذه اية مشكلة وليس للمفسرين فيها كلام واضح
في كيفية ايصال هذه الاية بما قبلها • واعلم ان اكثر المفسرين على ان لا هاهنا صلة زائدة • والتقدير ليعلم
اهل الكتاب وقال ابو مسلم الاصفهاني وجمع اخرون هذه الكلمة ليست زائدة • ونحن نفسر الاية على القولين
بعون الله وتوفيقه • اما القول المشهور وهو ان هذه اللفظة زائدة فاعلم انه هاهنا لا بد من تقديم مقدمة
وهي ان اهل الكتاب وهم بنو اسرائيل كانوا يقولون الوحي والرسالة فينا والكتاب والشرع ليس الا لنا والله تعالى
خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى لما امر اهل الكتاب بالايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم ووعدهم بالاجر العظيم في ذلك الايمان اتبعه بهذه الاية • والغرض منها ان يزيل
عن قلبهم اعتقادهم بان النبوة مختصة بهم وغير حاصلة الا في قومهم فقال انما بالغنا في هذا البيان واطنبنا في
الوعد والوعيد ليعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على تخصيص فضل الله بقوم معينين ولا يمكنهم حصر الرسالة
والنبوة في قوم مخصوصين وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشا ولا اعتراض عليه في ذلك اصلا • اما القول
الثاني وهو ان لفظة لا غير زائدة فاعلم ان الضمير في قوله الا يقدرون عائد الى الرسول واصحابه والتقدير
لئلا يعلم اهل الكتاب ان النبي والمؤمنين لا يقدرون على شي من فضل الله وانهم اذا لم يعلموا انهم لا يقدرون عليه

فان المال اذا قسم بنصفين كان الكفل الواحد نصفا

فقد علموا انهم يقدرون عليه ثم قال تعالى وان الفضل بيد الله فيصير التقدير انا فعلنا كذا وكذا لئلا يعتقد
اهل الكتاب انهم يقدرون على حصر فضل الله واحسانه في اقوام معينين وليعتقدوا ان الفضل بيد الله واعلم ان
هذا القول ليس فيه الا انا اضمرنا فيه زيادة فقلنا في قوله وان الفضل بيد الله تقديره وليعتقدوا ان الفضل بيد الله
واما القول الاول فقد افتقرنا فيه الى حذف شيء موجود ومن المعلوم ان الاضمار اولى من الحذف لان الكلام اذا افتقر
الى الحذف كان ظاهره موهما للباطل فعلمنا ان هذا القول اولى والله اعلم المسألة الثانية قال صاحب الكشاف
قرئ لكي يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وحكى ابن جني في المحتسب عن قطرب انه روي
عن الحسن ليلا بكسر اللام وسكون الياء وحكى ابن مجاهد عنه ليلا بفتح اللام وجزم الياء بغير همز قال ابن جني
وما ذكره قطرب اقرب وذلك لان الهمزة اذا حذفت بقي لنلا فيجب ادغام النون في اللام فيصير للا فتجتمع
اللامات فتجعل الوسطى لسكونها وانكسار ما قبلها ياء فيصير ليلا واما رواية ابن مجاهد عنه فالوجه
فيه ان لام الجر اذا اضفته الى المضمر فتحته تقول له فمنهم من قاس المظهر عليه حكى ابو عبيدة ان بعضهم
قرا وان كان مكرهم لتزول منه الجبال واما قوله تعالى وان الفضل بيد الله اي في ملكه وتصرفه
واليد مثل يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار يفعل بحسب الاختيار والله ذو الفضل العظيم والعظيم
لا بد وان يكون احسانه عظيما والمراد منه تعظيم حال محمد عليه الصلاة والسلام في نبوته
وشرعه وكتابه والله اعلم تم تفسير هذه السورة بحمد الله وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله

## سورة المجادلة عشرون وآيتان مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قد سمع الله قول التي
تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير روي ان خولة بنت
ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخي عبادة بن الصامت رآها زوجها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم وكان
بالرجل لمم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب فيّ فلما خلا سني وكثر ولدي جعلني كامه وان لي صبية صغارا
ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا ثم هاهنا روايتان يروى انه عليه السلام قال لها ما عندي
في امرك شيء ويروى انه عليه السلام قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي
واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي وكلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فبينما هي كذلك اذ تربد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية
ثم انه عليه الصلاة والسلام ارسل الى زوجها وقال ما حملك على ما صنعت فقال الشيطان فهل من رخصة
فقال نعم وقرا عليه الاربع الايات وقال له هل تستطيع العتق فقال لا فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله لولا اني اكل في
اليوم مرة او مرتين لكل بصري ولظننت اني اموت فقال هل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا فقال لا والله يا رسول الله
الا ان تعينني منك بصدقة فاعانه بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده مثله فتصدق به على ستين مسكينا واعلم
ان في هذا الخبر مباحث الاول قال ابو سليمان الخطابي ليس المراد من قوله في هذا الخبر وكان به لمم الخبل والجنون اذ لو كان
به ذلك ثم ظاهر في تلك الحال لم يكن يلزمه شيء بل معنى اللمم هاهنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والتوقان اليهن البحث الثاني
ان الظهار كان من اشد طلاق الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الاية ناسخة
له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل في الشرائع لا في عادة الجاهلية لكن الذي روي انه صلى الله عليه وسلم قال لها حرمت
او قال ما اراك الا قد حرمت كالدلالة على انه كان شرعا فاما ما روي انه كان توقف في الحكم فلا يدل على ذلك البحث
الثالث ان هذه الواقعة تدل على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه احد سوى الخالق كفاه الله ذلك المهم
ولنرجع الى التفسير اما قوله تعالى قد سمع الله ففيه مسألتان المسألة الاولى قوله تعالى قد سمع معناه
التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك
ما يفرج عنها المسألة الثانية كان حمزة يدغم الدال في السين من قد سمع الله وكذلك في نظائره واعلم
انه تعالى حكى عن هذه المرأة امرين اولهما المجادلة وهي قوله تجادلك في زوجها وتلك المجادلة هي انه عليه السلام
كلما قال لها حرمت عليه قالت والله ما ذكر طلاقا وثانيهما شكواها الى الله وهو قولها اشكو الى الله فاقتي ووجدي

وقولها

وقولها ان لي صبية صغارا ثم قال سبحانه والله يسمع تحاوركما والمحاورة المراجعة في الكلام حار الشيء يحور حورا
اي رجع يرجع رجوعا ومنه نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومنه فما احار بكلمة اي فما اجاب ثم قال تعالى ان الله
سميع بصير اي يسمع كلام من يناجيه ويبصر من يتضرع اليه قوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم اعلم
ان قوله الذين يظاهرون فيه مباحث [illegible]
البحث الاول وهو ان الظهار ما هو وفيه مقامان المقام الاول البحث عن هذه اللفظة بحسب اللغة وفيه قولان احدهما
انه عبارة عن قول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي فهو مشتق من الظهر والثاني وهو قول صاحب النظم انه ليس مأخوذا
من الظهر الذي هو عضو من الجسد لانه ليس الظهر اولى بالذكر في هذا الموضع من سائر الاعضاء التي هي مواضع المباضعة
والتلذذ بل الظهر هاهنا مأخوذ من العلو ومنه قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه وكل من علا شيئا
فقد ظهره ومنه سمي المركوب ظهرا لان راكبه يعلوه وكذلك امرأة الرجل ظهره لانه يعلوها بملك البضع وان لم يكن من ناحية
الظهر فكان امرأة الرجل مركب للرجل وظهر له ويدل على صحة هذا المعنى ان العرب تقول في الطلاق نزلت عن امرأتي اي طلقتها
وفي قولهم انت علي كظهر امي حذف واضمار لان تأويله ظهرك علي اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما ان علوي على امي وملكها حرام
علي المقام الثاني في الالفاظ المستعملة بهذا المعنى في عرف الشرع الاصل في هذا الباب ان يقول الرجل لامرأته انت علي
كظهر امي واما ان يكون لفظ الظهر ولفظ الام مذكورين واما ان يكون لفظ الام مذكورا دون لفظ الظهر واما ان يكون
لفظ الظهر مذكورا دون لفظ الام واما ان لا يكون واحد منهما مذكورا فهذه اقسام اربعة القسم الاول ان
كانا مذكورين وهو معتبر بالاتفاق ثم لا مناقشة في الصلات اذا انتظم الكلام فلو قال انت علي كظهر امي او قال
انت علي كظهر امي او انت مني كظهر امي فهذه الصلات كلها جائزة ولو لم يستعمل صلة وقال انت كظهر
امي فقيل انه صريح وقيل يحتمل ان يريد انها كظهر امي في حق غيره ولكن غيره بهذا الاحتمال كما لو قال لامرأته انت طالق
ثم قال اردت بذلك الاخبار عن كونها طالقا من جهة فلان القسم الثاني ان تكون الام مذكورة ولا يكون الظهر مذكورا
وتفصيل مذهب الشافعي فيه ان الاعضاء قسمان منها ما يكون التشبيه بها غير مشعر بالاكرام ومنها ما يكون التشبيه
بها مشعرا بالاكرام اما الاول فهو كقوله انت علي كرجل امي او كيد امي او كبطن امي وللشافعي فيه قولان الجديد ان
الظهار يثبت والقديم انه لا يثبت اما الاعضاء التي يكون التشبيه بها سببا للاكرام فهو كقوله انت علي كعين امي
او روح امي فان اراد الظهار كان ظهارا وان اراد الكرامة فليس بظهار فان لفظه يحتمل لذلك وان اطلق ففيه
تردد هذا تفصيل مذهب الشافعي واما مذهب ابي حنيفة فقال ابو بكر الرازي في احكام القرآن اذا شبه زوجته
بعضو من الام يحل له النظر اليه لم يكن ظهارا وهو كقوله انت علي كيد امي او كرأسها اما اذا شبهها بعضو من الام
يحرم النظر اليه كان ظهارا كما اذا قال انت علي كبطن امي او كفخذها والاقرب عندي هو القول القديم للشافعي رحمه الله
وهو انه لا يصح الظهار بشيء من هذه الالفاظ والدليل عليه ان حل الزوجة كان ثابتا وبراءة الذمة عن وجوب الكفارة
كانت ثابتة والاصل في الثابت البقاء على ما كان ترك العمل به فيما اذا قال انت علي كظهر امي لمعنى مفقود في سائر الصور
وذلك ان اللفظ المعهود في الجاهلية هو قوله انت علي كظهر امي ولذلك يسمى ظهارا فكان هذا اللفظ بسبب العرف
مشعرا بالتحريم ولم يوجد هذا المعنى في سائر الالفاظ فوجب البقاء على حكم الاصل القسم الثالث اذا كان الظهر
مذكورا ولم يكن الام مذكورا فهذا على ثلاث مراتب المرتبة الاولى ان يجري التشبيه بالمحرمات من النسب
والرضاع وفيه قولان القديم انه لا يكون ظهارا والقول الجديد انه يكون ظهارا وهو قول ابي حنيفة
المرتبة الثانية تشبيهها بالمرأة المحرمة تحريما موقتا مثل ان يقول لامرأته انت علي كظهر فلانة وكان طلقها ثلاثا
فهذا لا يكون ظهارا بالاتفاق المرتبة الثالثة ان يقول انت علي كظهر ابي فهذا ايضا لا يكون ظهارا بالاتفاق والمختار
عندي ان شيئا من هذا لا يكون ظهارا ودليله ما ذكرناه في المسألة السالفة وحجة ابي حنيفة انه تعالى قال والذين
يظاهرون ظاهر هذه الاية يقتضي حصول الظهار بكل محرم ثم قصره على الام فقد خص والجواب انه تعالى لما قال
بعده ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم دل على ان المراد هو الظهار بذكر الام ولان حرمة الام اشد من حرمة
سائر المحارم فنقول المقتضي لبقاء الحل قائم على ما بيناه وهذا الفارق موجود فوجب ان لا يجوز القياس القسم الرابع
ما اذا لم يذكر لا الظهر ولا الام كما لو قال انت علي كبطن اختي فعلى قياس ما تقدم يجب ان لا يكون ظهارا البحث الثاني في
المظاهر وفيه مسألتان المسألة الاولى قال الشافعي رحمه الله والضابط ان كل من صح طلاقه صح ظهاره فعلى
هذا ظهار الذمي عنده صحيح وقال ابو حنيفة لا يصح واحتج الشافعي بعموم قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم

واما مذهب ابو حنيفة فقال ابو بكر الرازي في احكام القرآن

واما القياس فمن وجهين ٭ الاول ان تاثير الظهار في التحريم ٭ والذمي اهل لذلك بدليل صحة طلاقه ٭ واذا ثبت هذا
وجب ان يصح هذا التصرف منه قياسا على ساير التصرفات ٭ الثاني ان الكفارة انما وجبت على المسلم زجرا له عن هذا الفعل
الذي هو منكر من القول وزور ٭ وهذا المعنى قايم في حق الذمي فوجب ان يصح ٭ واحتج لقول ابي حنيفة بهذه الاية من
وجهين ٭ الاول احتج ابو بكر الرازي بقوله تعالى والذين يظاهرون منكم من نسايهم وذلك خطاب للمومنين فدل على
ان الظهار مخصوص بالمومنين ٭ الثاني ان من لوازم الظهار الصحيح وجوب الصوم على العايد العاجز عن الاعتاق بدليل
قوله ٭ والذين يظاهرون من نسايهم ٭ ثم يعودون لما قالوا الى قوله فمن لم يستطع فصيام شهرين ٭ وايجاب الصوم على
الذمي ممتنع لانه لو وجب لوجب اما مع الكفر وهو باطل بالاجماع او بعد الايمان وهو باطل لقوله عليه الصلاة والسلام
الاسلام يجب ما قبله ٭ والجواب عن الاول من وجوه ٭ احدها ان قوله منكم خطاب مشافهة فيتناول جميع الحاضرين
فلم قلتم انه مختص بالمومنين ٭ سلمنا انه مختص بالمومنين فلم قلتم ان تخصيصه بالمومنين في الذكر يدل على ان حال غيرهم
بخلافه في ذلك لا سيما ٭ ومن مذهب هذا القايل ان التخصيص بالذكر لا يدل على ان حال ما عداه بخلافه سلمنا بانه يدل عليه لكن المفهوم
اضعف من دلالة المنطوق فكان التمسك بعموم قوله والذين يظاهرون اولى ٭ سلمنا الاستوا في القوة لكن مذهب ابي حنيفة
ان العام اذا ورد بعد الخاص كان ناسخا للخاص والذي تمسكنا به وهو قوله والذين يظاهرون من نسايهم متاخر في الذكر عن قوله
والذين يظاهرون منكم والظاهر انه كان متاخرا في النزول ايضا لان قوله والذين يظاهرون منكم ليس فيه بيان حكم الظهار وقوله
والذين يظاهرون من نسايهم فيه بيان حكم الظهار وكون المبين متاخرا في النزول عن المجمل اولى والجواب عن الثاني من وجوه
الاول ان من لوازمه ايضا انه متى عجز عن الصوم اكتفى منه بالاطعام ٭ فههنا ان تحقق العجز وجب ان يكتفى منه بالاطعام
وان لم يتحقق العجز فقد زال السوال ٭ والثاني ان الصوم بدل عن الاعتاق ٭ والبدل اضعف من المبدل
ثم ان العبد عاجز عن الاعتاق مع انه يصح ظهاره فاذا كان فوات الاقوى لا يمنع من القول بصحة الظهار ٭ الثالث
قال القاضي حسين من اصحابنا انه يقال له ان اردت الخلاص من التحريم فاسلم وصم ٭ اما قوله عليه الصلاة والسلام الاسلام يجب
ما قبله ٭ قلنا انه عام والتكليف بالتكفير خاص والخاص مقدم على العام ٭ وايضا فنحن لا نكلفه الصوم بل نقول ان اردت
ازالة التحريم فصم والا فلا تصم **المسئلة الثانية** قال الشافعي وابو حنيفة ومالك لا يصح ظهار المراة عن زوجها
وهو ان تقول المراة لزوجها انت علي كظهر امي ٭ وقال الاوزاعي هو يمين تكفرها ٭ وهذا خطا لان الرجل لا يلزمه بذلك كفارة
يمين وهو الاصل فكيف يلزم المراة ذلك ٭ ولان الظهار يوجب تحريما بالقول والمراة لا تملك ذلك بدليل انها لا تملك الطلاق
**المسئلة الثالثة** قال الشافعي وابو حنيفة اذا قال انت اليوم علي كظهر امي بطل الظهار بمضي اليوم ٭ وقال مالك
وابن ابي ليلى هو مظاهر ابدا ٭ لنا ان التحريم الحاصل بالظهار قابل للتوقيت ٭ والا لما انحل بالتكفير واذا كان قابلا للتوقيت
فاذا وقته وجب ان يتقدر بحسب التوقيت قياسا على اليمين فهذا ما يتعلق من المسايل بقوله تعالى والذين يظاهرون
اما قوله تعالى من نسايهم فيتعلق به احكام المظاهر عنه ٭ واختلفوا في انه هل يصح الظهار عن الامة فقال ابو حنيفة
والشافعي لا يصح ٭ وقال مالك والاوزاعي يصح ٭ حجة الشافعي ان الحل كان ثابتا والتكفير لم يكن واجبا والاصل في الثابت
البقا ٭ والاية لا تتناول هذه الصورة لان قوله والذين يظاهرون من نسايهم يتناول الحراير دون الاما والدليل عليه
قوله او نسايهن والمفهوم منه الحراير ٭ ولولا ذلك لما صح عطف قوله او ما ملكت ايمانهن لان الشي لا يعطف على نفسه
وقال تعالى وامهات نسايكم فكان ذلك على الزوجات دون ملك اليمين **المسئلة الرابعة** فيما يتعلق بهذه الاية من
القراات قال ابو علي قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو والذين يظهرون بغير الف ٭ وقرا عاصم يظاهرون بضم اليا وتخفيف
الظا والالف ٭ وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون بفتح اليا وبالالف مشددة الظا قال ابو علي ظاهر من امراته
وظهر مثل ضاعف وضعف ٭ وتدخل التا على كل واحد منهما فيصير تظاهر وتظهر ويدخل حرف المضارعة فيصير
يتظاهر ويتظهر ثم تدغم التا في الظا لمقاربتها لها فيصير يظاهر ويظهر ويفتح اليا التي هي حرف المضارعة لانها
للمطاوعة كما يفتحها في يتدحرج الذي هو مطاوع دحرجته فتدحرج وانما فتحت اليا في يظاهر ويظهر لانه المطاوع
كما ان يتدحرج كذلك ولانه على وزنهما وان لم يكونا للالحاق ٭ واما قراة عاصم يظاهرون فهو مشتق من ظاهر يظاهر
اذا اتى مثل هذا التصرف **المسئلة الخامسة** لفظة منكم في قوله والذين يظاهرون منكم توبيخ للعرب وتهجين
لعادتهم في الظهار لانه كان من ايمان اهل الجاهلية خاصة دون ساير الامم **قوله تعالى ما هن امهاتهم** فيه مسايل
**المسئلة الاولى** قرا عاصم في رواية المفضل امهاتهم بالرفع ٭ والباقون بالنصب على لفظ الخفض وجه الرفع انه
لغة تميم قال سيبويه وهو اقيس الوجهين ٭ وذلك لان النفي كالاستفهام فكما لا يغير الاستفهام الكلام عما كان
عليه فكذا ينبغي ان لا يغير النفي الكلام عما كان عليه ٭ ووجه النصب انه لغة اهل الحجاز والاخذ في التنزيل بلغتهم اولى

وعليها جاء قوله

وعليها جاء قوله ما هذا بشرا ووجه من القياس ان ما يشبه ليس في امرين ٭ احدهما ان ما يدخل على المبتدا والخبر كما ان ليس يدخل
عليهما ٭ والثاني ان ما ينفي ما في الحال كما ان ليس تنفي ما في الحال ٭ واذا حصلت المشابهة من وجهين وجب حصول المساواة
في ساير الاحكام الا ما خص بالدليل قياسا على باب ما لا ينصرف **المسئلة الثانية** في الاية اشكال وهو ان من قال
لامراته انت علي كظهر امي فهو شبه الزوجة بالام ولم يقل انها ام فكيف يليق ان يقال على سبيل الابطال قوله ما
هن امهاتهم وكيف يليق ان يقال بهم ليقولون منكرا من القول وزورا ٭ والجواب ان الكذب انما لزم لان قوله انت علي كظهر
امي اما ان يجعله اخبارا او انشاء ٭ وعلى التقدير الاول انه كذب لان الزوجة محللة والام محرمة وتشبيه المحللة بالمحرمة
في وصف الحل والحرمة كذب ٭ وان جعلناه انشا كان ذلك ايضا كذبا لان كونه انشا معناه ان الشرع جعله سببا في حصول
الحرمة ٭ فلما لم يرد الشرع بهذه التشبيهة كان جعله انشا في وقوع هذا الحكم يكون كذبا وزورا وقال بعضهم انه تعالى انما
وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم
كان ذلك منكرا من القول وزورا وهذا الوجه ضعيف عندي لان تشبيه الشي بالشي لا يقتضي وقوع المشابهة بينهما من كل الوجوه
فلا يلزم من تشبيه الزوجة بالام في الحرمة تشبيهها بها في كون الحرمة مؤبدة لان مسمى الحرمة اعم من الحرمة المؤبدة او المؤقتة
**قوله تعالى ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم** ٭ اما الكلام في تفسير لفظة اللائي فقد تقدم في سورة الاحزاب عند قوله
وما جعل ازواجكم اللائي ٭ ثم في الاية سؤال وهو ان ظاهرها يقتضي انه لا ام الا الوالدة وهذا مشكل لانه قال في اية
اخرى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة ٭ وفي اية اخرى وازواجه امهاتهم ولا يمكن ان يدفع هذا السؤال بان المعنى من كون المرضعة اما وزوجة
الرسول اما حرمة النكاح وذلك لانا نقول ان بهذا الطريق ظهر انه لا يلزم من عدم الامومة الحقيقية عدم الحرمة فاذن
لا يلزم من عدم كون الزوجة اما عدم الحرمة ٭ وظاهر الاية يوهم انه تعالى استدل بعدم الامومة على عدم الحرمة وحينئذ
يتوجه السؤال الجواب انه ليس المراد من ظاهر الاية ما ذكره السايل بل تقدير الاية كانه قيل الزوجة ليست بام
حتى تحصل الحرمة بسبب الامومة وان لم يرد الشرع بجعل هذه اللفظة سببا لوقوع الحرمة حتى تحصل الحرمة به فاذن
لا تحصل الحرمة هناك البتة فكان وصفهم لها بالحرمة كذبا وزورا ثم **قال تعالى** وان الله لعفو غفور ٭ اما في غير
التوبة لمن يشا كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ٭ او بعد التوبة **قوله تعالى** يظاهرون من نسايهم ٭ قال الزجاج
الذين رفع بالابتدا وخبره فعليهم تحرير رقبة ولم يذكر عليهم لان في الكلام دليلا عليه ٭ وان شئت اضمرت فكفارتهم
تحرير رقبة **قوله تعالى** ثم يعودون لما قالوا اعلم انه كثر اختلاف الناس في تفسير هذه الكلمة ولا بد من بيان اقوال
اهل العربية في هذه الكلمة اولا ثم من بيان اقوال اهل الشريعة **المسئلة الاولى** قال الفرا لا فرق في اللغة بين
ان يقال يعودون لما قالوا والى ما قالوا وفيما قالوا قال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله الحمد لله الذي هدانا
لهذا وقال فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال تعالى واوحي الى نوح وقال بان ربك اوحى لها **المسئلة الثانية** لفظ ما قالوا
في قوله ثم يعودون لما قالوا فيه وجهان ٭ احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ ٭ والثاني
ان يكون المراد بقوله لما قالوا المقول فيه وهو الذي حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه
ونظيره قوله تعالى ونرثه ما يقول اي نرثه المقول ٭ وقال عليه الصلاة والسلام العايد في هبته كالكلب يعود في
قيه وانما هو عايد في الموهوب ٭ وتقول الرجل اللهم انت رجاونا اي مرجونا ٭ وقال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين اي الموقن به وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اي يعودون الى الشي الذي قالوا فيه ذلك القول ٭ ثم اذا
فسرنا هذا اللفظ بالوجه الاول ففيه قال اهل اللغة يجوز ان يقال عاد لما فعل اي فعله مرة اخرى ٭ ويجوز ان
يقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل ٭ وهذا الكلام معقول لان من فعل شيئا ثم اراد ان يفعل مثله فقد عاد الى تلك الماهية
لا محالة ٭ وايضا من فعل شيئا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه لان التصرف في الشي بالاعدام لا يمكن الا بالعود اليه والله اعلم
ظهر بما قدمنا ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة ويحتمل ان يكون المراد
منه ثم يعودون الى تكوين مثله مرة اخرى ٭ اما الاحتمال الاول فهو الذي ذهب اليه اكثر المجتهدين واختلفوا فيه
على وجوه ٭ الاول وهو قول الشافعي رحمه الله ان معنى العود لما قالوا السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا
يمكنه ان يطلقها فيه ٭ وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصل ذلك بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع
التحريم ولا كفارة عليه ٭ فاذا سكت عن الطلاق فذاك يدل على انه ندم على ما ابتدا به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة
واحتج ابو بكر الرازي في احكام القران على فساد هذا القول من وجهين ٭ الاول انه تعالى قال ثم يعودون لما قالوا
وثم تقتضي التراخي وعلى هذا القول يكون المظاهر عايدا عقيب القول بلا تراخ وذلك خلاف مقتضى الاية ٭ الثاني انه
شبهها بالام والام لا يحرم امساكها فتشبيه الزوجة بالام لا يقتضي حرمة امساك الزوجة فلا يكون امساك الزوجة

قال النبي عليه السلام العايد في هبته كالكلب يعود في قيه

المسئلة الثالثة

نقضا لقوله انت علي كظهر امي فوجب ان لا يفسر العود بهذا الامساك • والجواب عن الاول ان هذا ايضا وارد على قول
ابي حنيفة فانه جعل تفسير العود استباحة الوطئ فوجب ان لا يتمكن المظاهر من العود اليها بهذا التفسير عقيب
فراغه عن التلفظ بلفظ الظهار حتى يحصل التراخي مع ان الامة مجمعة على ان له ذلك فثبت ان هذا الاشكال وارد
عليه ايضا • ثم نقول انه ما لم ينقض زمان يمكنه ان يطلقها فيه لا يحكم عليه بكونه عائدا فقد تاخر كونه عائدا عن كونه
مظاهرا بذلك القدر من الزمان وذلك يكفي في العمل بمقتضى كلمة ثم • والجواب عن الثاني ان الام يحرم امساكها
على سبيل الزوجية ويحرم الاستمتاع بها فقوله انت علي كظهر امي ليس فيه بيان ان التشبيه وقع في امساكها على سبيل
الزوجية او في الاستمتاع بها فوجب حمله على الكل فقوله انت علي كظهر امي يقتضي تشبيهها بالام في حرمة امساكها
على سبيل الزوجية فاذا لم يطلقها فقد امسكها على سبيل الزوجية فكان هذا الامساك مناقضا لمقتضى قوله انت
علي كظهر امي فوجب الحكم بكونه عائدا • وهذا كلام ملخص في تقرير مذهب الشافعي رحمه الله • الوجه الثاني في
تفسير العود وهو قول ابي حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطئ والملامسة والنظر اليها بالشهوة قالوا وذلك
انه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء • ثم قصد استباحة هذه الاشياء كان ذلك مناقضا لقوله انت علي كظهر
امي • واعلم ان هذا الكلام ضعيف لانه لما شبهها لم يبين انه في اي الاشياء شبهها بالام فليس صرف هذا التشبيه
الى حرمة الاستمتاع وحرمة النظر اولى من صرفه الى حرمة امساكها على سبيل الزوجية • فوجب ان يحمل هذا التشبيه
على الكل واذا كان كذلك فاذا امسكها على سبيل الزوجية لحظة فقد نقض حكم قوله انت علي كظهر امي فوجب ان يتحقق
العود • الوجه الثالث في تفسير العود وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم على جماعها • وهذا ضعيف
لان القصد الى جماعها لا يناقض كونها محرمة انما المناقض لكونها محرمة القصد الى استحلال جماعها وحينئذ يرجع
الى قول ابي حنيفة رحمه الله • الوجه الرابع في تفسير العود وهو قول طاوس والحسن البصري ان العود اليها عبارة عن
جماعها وهذا خطأ لان قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فالتعقيب في قوله فتحرير رقبة
يقتضي كون التكفير بعد العود ويقتضي قوله من قبل ان يتماسا ان يكون التكفير قبل الجماع • واذا ثبت انه لا بد وان
يكون التكفير بعد العود وقبل الجماع وجب ان يكون العود غير الجماع • واعلم ان اصحابنا قالوا العود المذكور هاهنا
هب انه صالح للجماع او للعزم على الجماع او لاستباحة الجماع الا ان الذي قاله الشافعي رحمه الله هو اقل ما ينطلق عليه
الاسم فيجب تعلق الحكم عليه لانه هو الذي به يتحقق مسمى العود • واما الباقي فزيادة لا دليل عليها البتة • الاحتمال
الثاني في قوله ثم يعودون اي يفعلون مثل ما فعلوه • وعلى هذا الاحتمال في الاية ايضا وجوه • الاول العود هو
الاتيان بالظهار في الاسلام • وتقريره ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار في الاسلام
خلاف حكمه عندهم في الجاهلية فقال والذين يظاهرون من نسائهم يريد في الجاهلية ثم يعودون لما قالوا اي في الاسلام
والمعنى انهم يقولون في الاسلام مثل ما كانوا يقولونه في الجاهلية فكفارته كذا وكذا قال اصحابنا هذا القول
ضعيف لانه تعالى ذكر الظهار وذكر العود بعده بكلمة • ثم وهذا يقتضي ان يكون المراد من العود شيئا غير الظهار
فان قيل المراد والذين كانوا يظاهرون من نسائهم قبل الاسلام • والعرب تضمر لفظ كان كما في قوله واتبعوا ما تتلو
الشياطين اي ما كانت تتلو الشياطين • قلنا الاضمار خلاف الاصل • القول الثاني قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار
فقد عاد وان لم يكرر لم يكن عودا وهذا قول اهل الظاهر • واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل
على اعادة ما فعلوه • وهذا لا يكون الا بالتكرير • وهذا ايضا ضعيف من وجهين الاول انه لو كان المراد هذا لكان يقول
ثم يعيدون ما قالوا • الثاني حديث اوس فانه لم يكن الظهار [illegible] وقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالكفارة • وكذلك حديث سلمة بن صخر البياضي فانه قال كنت لا اصبر على الجماع فلما دخل شهر رمضان ظاهرت من امراتي
مخافة ان اصيبها بعد طلوع الفجر فظاهرت منها شهر رمضان كله ثم اصبتها فاخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اعتق رقبة ولم يذكر تكرار الظهار • القول الثالث قال ابو مسلم الاصفهاني معنى العود ان يحلف على ما قاله اولا من لفظ الظهار
فانه اذا لم يحلف لم تلزمه الكفارة قياسا على ما لو قال في بعض الاطعمة انه حرام علي فانه لا يلزمه الكفارة
اما اذا حلف عليه لزمته كفارة اليمين وهذا ايضا ضعيف لان الكفارة قد تجب بالاجماع في المناسك ولا يمين هناك
وفي قتل الخطأ ولا يمين هناك • قوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فيه مسائل • المسلة الاولى
اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعي قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط • والقول الثاني وهو الاظهر
انه يحرم جميع الاستمتاعات وهو قول ابي حنيفة • ودليله وجوه • الاول قوله تعالى فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا

وكان ذلك



وكان ذلك عاما في جميع ضروب المسيس من لمس بيد او غيرها • والثاني قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم الزمه حكم
التحريم بسبب انه شبهها بظهر الام فكما ان مباشرة ظهر الام ومسه يحرم عليه فوجب ان يكون الحال في المراة كذلك • الثالث روى
عكرمة ان رجلا ظاهر من امراته ثم واقعها قبل ان يكفر فاتى النبي عليه الصلاة والسلام فاخبره بذلك فقال اعتزلها حتى تكفر • المسلة
الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعي وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكون في مجلس واحد واراد التكرار
للتاكيد فانه يكون عليه كفارة واحدة • وقال مالك من ظاهر من امراته في مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة • دليلنا
قوله تعالى • والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة يقتضي كون الظهار علة لايجاب الكفارة فاذا وجد الظهار الثاني
فقد وجدت علة وجوب الكفارة فالظهار الثاني اما ان يكون علة للكفارة الاولى او لكفارة ثانية • والاول باطل لان
الكفارة الاولى وجبت بالظهار الاول وتكوين الكائن محال • ولان تاخر العلة عن الحكم محال فعلمنا ان الظهار الثاني
يوجب كفارة ثانية • واحتج مالك بان قوله والذين يظاهرون يتناول من ظاهر مرة واحدة ومن ظاهر مرارا كثيرة • ثم
انه تعالى اوجب عليه تحرير رقبة فعلمنا ان التكفير الواحد كاف في الظهار سواء كان مرة واحدة او مرارا
كثيرة والجواب انه تعالى قال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة
مساكين • فهذا يقتضي ان لا يجب في الايمان الكثيرة الا كفارة واحدة • ولما كان ذلك باطلا فكذا ما قلتموه • المسلة
الثالثة رجل تحته اربع نسوة فظاهر عنهن بكلمة واحدة • وقال انتن علي كظهر امي للشافعي قولان اظهرهما انه يلزمه
اربع كفارات نظرا الى عدد اللواتي ظاهر عنهن • ودليله ما ذكرنا انه ظاهر عن هذه فلزمته كفارة بسبب هذا الظهار
وظاهر ايضا عن تلك فالظهار الثاني لا بد ان يوجب كفارة اخرى • المسلة الرابعة الاية تدل على ايجاب الكفارة
قبل المماسة فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابي حنيفة والشافعي
وسفين واحمد واسحق • وقال بعضهم اذا واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان • وهو قول عبد الرحمن بن مهدي • دليلنا
ان الاية دلت على انه يجب على المظاهر العائد كفارة قبل العود فهاهنا فاتت صفة القبلية فبقي اصل وجوب الكفارة
وليس في الاية دلالة على ان ترك التقديم يوجب كفارة اخرى • المسلة الخامسة الاظهر انه لا ينبغي للمراة
ان تدعه يقربها حتى يكفر فان تهاون بالتكفير حال الامام بينه وبينها ويجبره على التكفير وان كان بالضرب حتى يوفيها حقها
من الجماع قال الفقهاء ولا شيء من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لان ترك التكفير اضرار بالمراة
ومنع من ايفاء حقها • المسلة السادسة قال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزي سواء كانت مؤمنة او كافرة لقوله
تعالى فتحرير رقبة • فهذا اللفظ يفيد العموم في جميع الرقاب • وقال الشافعي رحمه الله لا بد وان تكون مؤمنة
ودليله وجهان • الاول ان المشرك نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس وكل نجس خبيث باجماع الامة • وقال تعالى
ولا تيمموا الخبيث • الثاني اجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هاهنا والجامع ان الاعتاق
انعام فتقييده بالايمان يقتضي صرف هذا الانعام الى اولياء الله وحرمان اعداء الله عنه وعدم التقييد بالايمان قد
يفضي الى حرمان اولياء الله فوجب ان يتقيد بالايمان تحصيلا لهذه المصلحة • المسلة السابعة اعتاق المكاتب
لا يجزي عند الشافعي • وقال ابو حنيفة ان اعتقه قبل ان يؤدي شيئا جاز عن الكفارة • وان اعتقه بعد ما ادى شيئا
فظاهر الرواية انه لا يجزي • وروى الحسن عن ابي حنيفة انه يجزي • حجة ابي حنيفة ان المكاتب رقبة لقوله تعالى
وفي الرقاب والرقبة مجزية لقوله تعالى فتحرير رقبة • حجة الشافعي ان المقتضي لبقاء التكليف باعتاق الرقبة قائم
بعد اعتاق المكاتب وما لاجله ترك العمل به في محل الوفاق غير موجود هاهنا فوجب ان يبقى على الاصل • بيان المقتضي
ان الاصل في الثابت البقاء على ما كان • بيان الفارق ان المكاتب كالزائل عن ملك المولى وان لم يزل عن ملكه لكنه يمكن نقصان
في رقه بدليل انه صار احق بمكاسبه • ويمتنع على المولى التصرفات فيه • ولو اتلفه المولى ضمن قيمته • ولو وطئ
مكاتبته يغرم العقر • ومن المعلوم ان ازالة الملك الخالص عن شوائب الضعف اشق على المالك من ازالة الملك
الضعيف فلا يلزم من خروج الرجل عن العهدة باعتاق العبد القن خروجه عن العهدة باعتاق المكاتب • والوجه
الثاني اجمعنا على انه لو اعتقه الوارث بعد موته لا يجزي عن الكفارة • فكذا اذا اعتقه المورث والجامع كون الملك
ضعيفا • المسلة الثامنة لو اشترى قريبه الذي يعتق عليه بنية الكفارة عتق عليه لكنه لا يقع عن الكفارة
عند الشافعي وعند ابي حنيفة يقع • وحجة ابي حنيفة التمسك بظاهر الاية • وحجة الشافعي ما تقدم • المسلة
التاسعة قال ابو حنيفة الاطعام في الكفارات يتادى بالتمكين من الاطعام وعند الشافعي لا يتادى الا
بالتمليك من الفقير • حجة ابي حنيفة ظاهر القران وهو ان الواجب هو الاطعام وحقيقة الاطعام هو التمكين
بدليل قوله تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم وذلك يتادى بالتمكين وبالتمليك فكذا هاهنا • وحجة الشافعي

اجمعنا على ان الرقبة في كفارة القتل مقيدة بالايمان

بلغ

القياس على الزكاة وصدقة الفطر **المسئلة العاشرة** قال الشافعي لكل مسكين مدّ من طعام بلد الذي يقتات منه حنطة او شعيرا او ارزا او تمرا او اقطا وذلك بمد النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعتبر مدا احدث بعده وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير لا يجزيه دون ذلك حجة الشافعي ان ظاهر الاية يقتضي الاطعام ومراتب الاطعام مختلفة بالكمية والكيفية فليس حمل اللفظ على البعض اولى من حمله على الباقي فلا بد من حمله على اقل ما لا بد منه ظاهرا وذلك هو المد . حجة ابي حنيفة ما روي في حديث اوس بن الصامت لكل مسكين نصف صاع من بر . وعن علي وعايشة قالا لكل مسكين مدان من بر ولان المعتبر حاجة اليوم لكل مسكين فيكون نظير صدقة الفطر لا يتادى ذلك بالمد بل بما قلنا . فكذلك هذا **المسئلة الحادية عشر** لو اطعم مسكينا واحدا ستين مدا لا يجزي عند الشافعي وعند ابي حنيفة يجزي . حجة الشافعي ظاهر الاية وهو انه تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الاية . وحجة ابي حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل . ثم وللشافعي ان يقول التحكمات غالبة على هذه التقديرات فوجب الامتناع فيها من القياس وايضا فلعل ادخال السرور في قلب ستين انسانا اقرب الى رضى الله تعالى من ادخال السرور في قلب انسان واحد **المسئلة الثانية عشر** قال اصحاب الشافعي انه تعالى قال في الرقبة فمن لم يجد فصيام شهرين وقال في الصوم فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا فذكر في الاول فمن لم يجد . وفي الثاني فمن لم يستطع فقالوا من ماله غايب لم ينتقل الى الصوم بسبب عجزه عن الاعتاق في الحال . اما من كان مريضا في الحال فانه ينتقل الى الاطعام وان كان مرضه بحيث يرجى زواله فالوا والفرق انه قال في الانتقال الى الاطعام فمن لم يستطع وهو بسبب المرض الناجز والعجز العاجل غير مستطيع . وقال في الرقبة فمن لم يجد رقبة او ما لا يشتري به رقبة . ومن ماله غايب لا يسمى فاقد المال . وايضا يمكن ان يقال في الفرق احضار المال يتعلق باختياره . اما ازالة المرض فليس باختياره **المسئلة الثالثة عشر** قال بعض اصحابنا الشبق المفرط والغلمة الهايجة عذر في الانتقال الى الاطعام . والدليل عليه انه عليه الصلاة والسلام لما امر الاعرابي بالصوم قال وهل اتيت الا من قبل الصوم فقال عليه السلام اطعم . دل الحديث على ان الشبق الشديد عذر في الانتقال من الصوم الى الاطعام . وايضا فالاستطاعة فوق الوسع والوسع فوق الطاقة . فالاستطاعة هو ان يتمكن الانسان من الفعل على سبيل السهولة ومعلوم ان هذا المعنى لا يتم مع شدة الشبق فهذه جملة مختصرة مما يتعلق بفقه القران في هذه الاية والله اعلم **قوله تعالى** ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . قال الزجاج ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به اي ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه . وقال غيره ذلك توعظون به اي تؤمرون به من الكفارة والله بما تعملون من التكفير وتركه خبير ثم ذكر تعالى حكم العاجز عن الرقبة فقال فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا . فدلت الاية على ان التتابع شرط وذكر في موضع تحرير الرقبة والصوم انه لا بد وان يوجدا من قبل ان يتماسا . ثم ذكر تعالى ان لم يستطع ذلك فاطعام ستين مسكينا ولم يذكر انه لا بد من وقوعه قبل المماسة الا انه كالاولين بدلالة الاجماع والمسايل الفقهية المفرعة على هذه الاية كثيرة مذكورة في كتب الفقه . ثم قال تعالى ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله . وفي قوله ذلك وجهان . الاول قال الزجاج انه في محل الرفع . والمعنى الفرض ذلك الذي وصفناه . الثاني فعلنا ذلك البيان والتعليم للاحكام لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرايعه ولا تستمروا على احكام الجاهلية من جعل الظهار اقوى انواع الطلاق . وفي الاية مسايل **المسئلة الاولى** استدلت المعتزلة باللام في قوله لتؤمنوا على ان فعل الله معلل بالغرض وعلى ان غرضه ان تؤمنوا بالله ولا تستمروا على ما كانوا عليه في الكفر . وهذا يدل على انه تعالى اراد منهم الايمان وعدم الكفر **المسئلة الثانية** من ادخل العمل في مسمى الايمان تمسك بهذه الاية فقال امرهم بهذه الاعمال وبين انه انما امرهم بها ليصيروا بعملها مؤمنين فدلت هذه الاية على ان العمل من الايمان ومن انكر ذلك قال انه تعالى لم يقل ذلك لتؤمنوا بالله بعمل هذه الاشياء . ونحن نقول المعنى ذلك لتؤمنوا بالله بالاقرار بهذه الاحكام . ثم انه تعالى اكد في بيان انه لا بد لهم من الطاعة فقال تلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم . اي لمن جحد هذا وكذب به **قوله تعالى** ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم الى قوله والله على كل شيء شهيد . فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** في المحادة قولان . الاول قال المبرد اصل المحادة الممانعة . ومنه يقال للبواب حداد وللممنوع الرزق محدود . وقال ابو مسلم الاصفهاني المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقاتلة بالحديد سواء كان ذلك في الحقيقة او كان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد . اما المفسرون فقالوا يحادون اي يعادون . ويشاقون وذلك تارة بالمحاربة مع اولياء الله . وتارة بالتكذيب والصد عن دين الله **المسئلة الثانية** الضمير في قوله يحادون يمكن ان يكون راجعا الى المنافقين فانهم كانوا يوادون الكافرين ويظاهرون على الرسول فاذلهم الله تعالى ويحتمل سائر الكفار فاعلم الله تعالى رسوله انهم كبتوا اي خذلوا قال المبرد يقال كبت الله فلانا

اذا الاذلة والمردود

---



[illegible]

اذا انفردوا في التناجي **المسئلة السابعة** قرئ ولا ادنى من ذلك ولا اكثر بالنصب على ان لا لنفي الجنس ويجوز ان يكون ولا
اكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة • الثالث يجوز ان يكونا مرفوعين
على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله • والرابع ان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كانه قيل ما يكون ادنى ولا اكثر
الا هو معهم • والخامس يجوز ان يكونا مجرورين عطفا على نجوى كانه قيل ما يكون من ادنى ولا اكثر الا هو معهم **المسئلة الثامنة**
قرئ ولا اكبر بالباء المنقوطة من تحت **المسئلة التاسعة** المراد من كونه تعالى رابعا لهم والمراد من كونه تعالى معهم
كونه تعالى عالما بكلامهم وضميرهم وسرهم وعلنهم كانه تعالى حاضر معهم ومشاهد لهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة
**المسئلة العاشرة** قرا بعضهم ثم ننبئهم بسكون النون انبا ونبا واحد في المعنى • فقوله ثم ننبئهم بما عملوا يوم
القيمة اي يحاسب على ذلك ويجازي على قدر الاستحقاق **ثم قال تعالى** ان الله بكل شي عليم وهو تحذير من المعاصي وترغيب
في الطاعات • ثم انه تعالى بين حال اولئك الذين نهوا عن النجوى **فقال تعالى** الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون
لما نهوا عنه • واختلفوا في انهم من هم فقال الاكثرون هم اليهود • ومنهم من قال هم المنافقون • ومنهم من قال
فريق من الكفار • والاول اقرب لانه تعالى حكى فقال واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله وهذا الجنس فيما روي وقع
من اليهود فقد كانوا اذا سلموا على الرسول عليه الصلاة والسلام قالوا السام عليك يعنون الموت والاخبار في ذلك
متظاهرة • وقصة عائشة فيها مشهورة **ثم قال تعالى** ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول • وفيه مسئلتان
**المسئلة الاولى** قال المفسرون ان اولئك الاقوام كانوا يتناجون فيما بينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما
يسوءهم فيحزنون لذلك • فلما كثر ذلك شكى المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون
المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم • فانزل الله هذه الاية • وقوله ويتناجون بالاثم والعدوان يحتمل
وجهين • احدهما ان الاثم والعدوان هو مخالفتهم للرسول في النهي عن النجوى لان الاقدام على المنهي يوجب الاثم
والعدوان لا سيما اذا كان ذلك الاقدام لاجل المناصبة واظهار التمرد • والثاني ان الاثم والعدوان هو ذلك السر الذي
كان يجري بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شي يسوءهم **المسئلة الثانية** قرا حمزة وحده وينتجون بغير الف
والباقون يتناجون قال ابو علي ينتجون يفتعلون من النجوى والنجوى مصدر كالدعوى والعدوى فينتجون ويتناجون
واحد فان يفتعلون ويتفاعلون قد يجريان مجرى واحدا كما يقال ازدجروا واعتوروا وتزاوجوا وتعاوروا • وقوله
حتى اذا اداركوا فادركوا افتعلوا • واداركوا تفاعلوا • ومن حجة من قرا يتناجون قوله اذا ناجيتم الرسول وتناجوا
بالبر والتقوى • فهذا مطاوع ناجيتم وليس في هذا رد لقراءة حمزة ينتجون لان هذا مثله في الجواز **قوله تعالى**
ومعصية الرسول قال صاحب الكشاف قرئ ومعصيات الرسول • والقول فيها هنا كما ذكرناه في الاثم والعدوان
**قوله تعالى** واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله • يعني انهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت
والله يقول وسلام على عباده الذين اصطفى • ويا ايها الرسول ويا ايها النبي • ثم ذكر تعالى انهم يقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بهذا الاستخفاف **ثم قال تعالى** حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير • والمعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب
المشيئة او بحسب المصلحة • فاذا لم تقتض المشيئة تقديم العذاب ولم يقتض الصلاح ايضا ذلك فالعذاب في القيمة
كافيهم في الردع عما هم عليه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول وتناجوا بالبر والتقوى **اعلم** ان في المخاطبين بقوله يا ايها الذين امنوا قولين وذلك لانا ان حملنا قوله فيما
تقدم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى على اليهود حملنا في هذه الاية قوله يا ايها الذين امنوا على المنافقين اي يا ايها الذين
امنوا بالسنتهم وان حملنا ذلك على جميع الكفار من اليهود والمنافقين حملنا هذا على المؤمنين وذلك لانه تعالى لما ذم اليهود
والمنافقين على التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان نهى اصحابه المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقهم
فقال فلا تتناجوا بالاثم وهو ما يقبح مما يخصهم والعدوان وهو ما يؤدي الى ظلم الغير ومعصية الرسول وهو ما يكون
خلافا عليه وامرهم ان يتناجوا بالبر الذي يضاد العدوان وبالتقوى وهو ما يتقى به من النار من فعل الطاعات
وترك المعاصي واتقوا الله الذي اليه تحشرون **ثم قال تعالى** انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله
وعلى الله فليتوكل المؤمنون الالف واللام في لفظ النجوى لا يمكن ان يكون للاستغراق لان في النجوى ما يكون من الله ولله بل المراد
منه المعهود السابق وهو النجوى بالاثم والعدوان والمعنى ان الشيطان يحملهم على ان يقدموا على تلك النجوى التي هي سبب لحزن المؤمنين

وذلك لان



وذلك لان المؤمنين اذا راوهم متناجين قالوا ما نراهم الا وقد بلغهم عن اقربائنا واخواننا الذين خرجوا الى الغزوات انهم قتلوا
او هزموا ويقع ذلك في قلوبهم ويحزنون له **ثم قال تعالى** وليس بضارهم شيئا • وفيه وجهان • احدهما ليس يضر التناجي
المؤمنين شيئا • والثاني الشيطان ليس بضارهم شيئا الا باذن الله **وقوله** الا باذن الله فيه قولان • قيل بخلقه وتقديره
للامراض واحوال القلب من الحزن والفرح • وقيل بان يبين كيفية مناجاة الكفار حتى يزول الغم **ثم قال** وعلى الله فليتوكل
المؤمنون • فان من توكل عليه لا يخيب امله ولا يبطل سعيه **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا
في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم • فيه مسائل **المسئلة الاولى** اعلم انه تعالى لما نهى عباده المؤمنين عما يكون سببا
للتباغض والتنافر امرهم الان بما يصير سببا لزيادة المحبة والمودة • تفسحوا في المجلس توسعوا فيه وليفسح بعضكم
عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا يقال بلدة فسيحة ومفازة فسيحة ولك فيه فسحة اي سعة **المسئلة الثانية**
قرا الحسن وداود بن ابي هند تفاسحوا قال ابن جني هذا لائق بالغرض لانه اذا قيل تفسحوا فمعناه ليكن هناك تفسح • واما
التفاسح فتفاعل • والمراد ههنا المفاعلة • وبابها ان تكون لما فوق الواحد • كالمقاسمة والمكايلة • وقرئ في المجالس
قال الواحدي والوجه التوحيد لان المراد مجلس النبي عليه الصلاة والسلام وهو واحد • ووجه الجمع ان يجعل لكل جالس مجلس
على حدة اي موضع جلوس **المسئلة الثالثة** ذكروا في الاية اقوالا • الاول ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه • وعلى هذا القول ذكروا في سبب النزول وجوها
الاول قال مقاتل بن حيان كان عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين
والانصار • فجاء اناس من اهل بدر وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي عليه الصلاة والسلام ينتظرون ان يوسع لهم
فعرف رسول الله عليه الصلاة والسلام ما يحملهم على القيام وشق ذلك على الرسول فقال لمن حوله من اهل بدر قم يا فلان وانت
يا فلان فلم يزل يقيم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه وشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرفت الكراهية في وجوههم وطعن
المنافقون في ذلك وقالوا والله ما عدل على هؤلاء ان قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب منه فاقامهم واجلس من ابطا عنه
فنزلت هذه الاية يوم الجمعة • الثاني روي عن ابن عباس انه قال نزلت الاية في ثابت بن قيس بن الشماس وذلك انه دخل المسجد
وقد اخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من الرسول عليه الصلاة والسلام للوقر الذي كان في اذنيه فوسعوا له حتى قرب
ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينه كلام ووصف للرسول عليه الصلاة والسلام محبته القرب منه ليسمع كلامه وان فلانا لم يفسح
له فنزلت هذه الاية وامر القوم بان يوسعوا ولا يقوم احد لاحد • الثالث انهم كانوا يحبون القرب من رسول الله عليه الصلاة
والسلام وكان الرجل منهم يكره ان يضيق عليه فربما ساله اخوه ان يفسح له فيابى فامرهم الله تعالى ان يتعاطفوا ويتحملوا
المكروه وكان فيهم من يكره ان يمسه الفقراء وكان اهل الصفة يلبسون الصوف ولهم روائح • القول الثاني وهو اختيار
الحسن ان المراد تفسحوا في مجالس القتال وهو كقوله مقاعد للقتال وكان الرجل ياتي الصف فيقول تفسحوا فيابون لحرصهم
على الشهادة • والقول الثالث ان المراد جميع المجالس والمجامع قال القاضي والاقرب ان المراد منه مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام
لانه تعالى ذكر المجلس على وجه يقتضي كونه معهودا • والمعهود في زمان نزول الاية ليس الا مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام
الذي يعظم التنافس عليه • ومعلوم ان للقرب منه مرتبة عظيمة لما فيه من سماع حديثه ولما فيه من المنزلة • ولذلك قال عليه
الصلاة والسلام ليليني منكم اولو الاحلام والنهى • ولذلك كان يقدم الافاضل من اصحابه وكانوا لكثرتهم يتضايقون فامروا
بالتفسح اذا امكن لان ذلك ادخل في التحبب وفي الاشتراك في سماع ما لا بد منه في الدين • واذا صح ذلك في مجلسه
فحال الجهاد ينبغي ان يكون مثله • بل ربما كانت اولى لان الشديد الباس قد يكون متاخرا عن الصف الاول • والحاجة الى تقدمه
ماسة فلا بد من التفسح • ثم يقاس على هذا سائر مجالس العلم والذكر **اما قوله تعالى** يفسح الله لكم فهو مطلق في كل ما يطلب
الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر والجنة **واعلم** ان هذه الاية دلت على ان كل من وسع على عباد الله
ابواب الخير والراحة وسع الله عليه خيرات الدنيا والاخرة • ولا ينبغي للعاقل ان يقيد الاية بالتفسح في المجلس بل المراد
منه ايصال الخير الى المسلم وادخال السرور في قلبه • ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يزال الله في عون العبد ما دام
العبد في عون اخيه المسلم **ثم قال تعالى** واذا قيل لكم انشزوا فانشزوا فيه مسائل **المسئلة الاولى** قال ابن
عباس اذا قيل لكم ارتفعوا فارتفعوا • واللفظ يحتمل وجوها • احدها اذا قيل لكم قوموا للتوسعة على الداخل
فقوموا • وثانيها اذا قيل لكم قوموا من عند رسول الله ولا تطولوا في الكلام فقوموا ولا تركزوا معه كما قال ولا
مستانسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي وهو قول الزجاج • وثالثها اذا قيل لكم قوموا الى الصلاة والجهاد واعمال
الخير وتاهبوا له فاشتغلوا به ولا تثاقلوا فيه قال الضحاك وابن زيد ان قوما تثاقلوا عن الصلاة
فامروا بالقيام لها اذا نودي **المسئلة الثانية** قرئ انشزوا بكسر الشين وبضمها وهما لغتان مثل يعكفون

وكان اهل الصفة يلبسون الصوف ولهم روائح

ويتكلمون ويعرشون ويترشون واعلم انه تعالى لما نهاهم اولا عن بعض الاشيا ثم امرهم ثانيا ببعض الاشيا وعدهم على الطاعة فقال يرفع المؤمنين بامتثال اوامره واوامر رسوله والعالمين منهم خاصة درجات ثم المراد من هذه الرفعة قولان الاول وهو القول النادر ان المراد بهذه الرفعة الرفعة في مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام والثاني وهو القول المشهور ان المراد منه الرفعة في درجات الثواب ومراتب الرضوان واعلم انا اطنبنا في تفسير قوله تعالى وعلم ادم الاسما في فضيلة العلم وقال القاضي لا شبهة ان علم العالم يقتضي لطاعاته من المنزلة ما لا يحصل للمومن ولذلك فانه يقتدى بالعالم في كل افعاله ولا يقتدى بغير العالم والعالم يعلم من كيفية الاحتراز عن الحرام والشبهات ومحاسبة النفس ما لا يعرفه الغير ويعلم من كيفية الخشوع والتذلل في العبادة ما لا يعرفه غيره ويعلم من كيفية التوبة واوقاتها وصفاتها ما لا يعرفه غيره ويتحفظ فيما يلزمه من الحقوق ما لا يتحفظ منه غيره وفي الوجوه كثيرة لكنه كما يعظم منزلة افعاله من الطاعات في درجة الثواب فكذلك يعظم عقابه فيما ياتيه من الذنوب لمكان علمه حتى لا يمتنع في كثير من صغاير غيره ان يكون كبيرا منه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فيه مسائل المسلة الاولى هذا التكليف يشتمل على انواع من الفوايد اولها اعظام الرسول عليه الصلاة والسلام واعظام مناجاته فان الانسان اذا وجد الشي مع المشقة استعظمه وان وجده بالسهولة استحقره وثانيها نفع كثير من الفقرا بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة وثالثها قال ابن عباس ان المسلمين اكثروا المسايل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه واراد الله ان يخفف عن نبيه فلما نزلت هذه الاية شح كثير من الناس فكفوا عن المسلة ورابعها قال مقاتل بن حيان ان الاغنيا غلبوا الفقرا على مجلس النبي صلى الله عليه وسلم واكثروا مناجاته حتى كره النبي عليه الصلاة والسلام طول جلوسهم فامر الله بالصدقة عند المناجاة فاما الاغنيا فامتنعوا واما الفقرا فلم يجدوا شيا واشتاقوا الى مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وتمنوا ان لو كانوا يملكون شيا فينفقونه ويصلون الى مجلس الرسول فعند هذا التكليف ازدادت درجة الفقرا عند الله وانحطت درجة الاغنيا وخامسها يحتمل ان يكون المراد منه التخفيف عليه لان ارباب الحاجات كانوا يلحون على الرسول ويشغلون اوقاته التي هي مقسومة على الابلاغ الى الامة وعلى العبادة ويحتمل انه كان في ذلك ما يشغل قلب بعض المومنين لظنه ان فلانا انما ناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر يقتضي شغل القلب فيما يرجع الى الدين وسادسها انه يتميز به محب الاخرة عن محب الدنيا وان المال محك الدواعي المسلة الثانية ظاهر الاية يدل على ان تقديم الصدقة كان واجبا لان الامر للوجوب ويتاكد ذلك بقوله في اخر الاية فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم فان ذلك لا يقال الا فيما بتعذره يزيل وجوبه ومنهم من قال ان ذلك ما كان مندوبا بل كان واجبا واحتج عليه بوجهين الاول انه تعالى قال ذلكم خير لكم واطهر وهذا انما يستعمل في التطوع لا في الفرض والثاني انه لو كان ذلك واجبا لما ازيل وجوبه بكلام متصل به وهو قوله أأشفقتم ان تقدموا الى اخر الاية والجواب عن الاول ان المندوب كما يوصف بانه خير واطهر فالواجب ايضا يوصف بذلك والجواب عن الثاني انه لا يلزم من كون الايتين متصلتين في التلاوة كونهما متصلتين في النزول وهذا كما قلنا في الاية الدالة على وجوب الاعتداد اربعة اشهر وعشرا انها ناسخة للاعتداد بحول وان كان الناسخ متقدما في التلاوة على المنسوخ ثم اختلفوا في مقدار تاخر الناسخ عن المنسوخ فقال الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من النهار ثم نسخ وقال مقاتل بن حيان بقي ذلك التكليف عشرة ايام ثم نسخ والله اعلم المسلة الثالثة روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان في كتاب الله لاية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي كان لي دينار فاشتريت به عشرة دراهم فكلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي صدقة درهما ثم نسخت فلم يعمل بها احد وروي عن ابن جريج والكلبي وعطا عن ابن عباس انهم نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه احد الا علي تصدق بدينار ثم نزلت الرخصة قال القاضي والاكثر من الروايات انه عليه الصلاة والسلام تفرد بالتصدق قبل مناجاته ثم ورد النسخ وان كان قد روي ايضا ان افاضل الصحابة فعلوا ذلك وان ثبت انه اختص بذلك فلان الوقت لم يتسع لهذا الفرض والا فلا شبهة ان اكابر الصحابة لا يقعدون عن مثله واقول على تقدير ان افاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك فهذا لا يجر اليهم طعنا وذلك لان الاقدام على مثل هذا العمل مما يضيق قلب الفقير فانه لا يقدر على مثله فيضيق قلبه ويوحش قلب الغني فانه لما لم يفعل الغني ذلك وفعله غيره صار ذلك الفعل سببا للطعن فيمن لم يفعل فهذا الفعل لما كان سببا لحزن الفقرا ووحشة الاغنيا لم يكن في تركه كبير مضرة لان الذي يكون سببا للالفة اولى مما يكون سببا للوحشة وايضا فهذه المناجاة ليست من الواجبات ولا من الطاعات المندوبة بل ثبت انهم انما كلفوا

(في الهامش: واجبا بل كان مندوبا)

بهذه الصدقة

بهذه الصدقة ليتركوا هذه المناجات ولما كان الاولى بهذه المناجات ان تكون متروكة لم يكن تركها سببا للطعن المسلة الرابعة روي عن علي رضي الله عنه انه قال لما نزلت هذه الاية دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة قال انك لزهيد والمعنى انك قليل المال فقدرت على حسب حالك اما قوله تعالى ذلكم خير لكم واطهر اي ذلك التقديم خير لكم في دينكم واطهر لان الصدقة طهرة اما قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم فالمراد منه الفقرا وهذا يدل على ان من لم يجد ما يتصدق به كان معفوا عنه المسلة الخامسة انكر ابو مسلم وقوع النسخ وقال ان المنافقين كانوا يمتنعون عن بذل الصدقات وان قوما من المنافقين تركوا النفاق وامنوا ظاهرا وباطنا ايمانا حقيقيا فاراد الله ان يميزهم عن المنافقين فامر بتقديم الصدقة على النجوى ليتميز هولا الذين امنوا عمن بقي على نفاقه الاصلي واذا كان هذا التكليف لاجل هذه المصلحة المقدرة بذلك الوقت لاجرم تقدر هذا التكليف بذلك الوقت وحاصل قول ابي مسلم ان ذلك التكليف كان مقدرا بغاية مخصوصة فوجب انتهاؤه عند الانتها الى الغاية المخصوصة فلا يكون نسخا وهذا كلام حسن ما به باس والمشهور عند الجمهور انه منسوخ بوجوب الزكاة قوله تعالى أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات والمعنى اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من انفاق المال فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم ورخص لكم في ان لا تفعلوه فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وساير الطاعات فان قيل ظاهر الاية يدل على تقصير المومنين في ذلك التكليف وبيانه من وجوه اولها قوله أأشفقتم ان تقدموا يدل على تقصيرهم وثانيها قوله واذ لم تفعلوا وثالثها قوله وتاب الله عليكم قلنا ليس الامر كما قلتم وذلك لان القوم لما كلفوا ان يقدموا الصدقة ويشتغلوا بالمناجاة بل امروا بانهم لو ارادوا المناجاة فلا بد من تقديم الصدقة فمن ترك المناجاة لا يمكن الا اذا مكن الرسول من المناجاة فاذا لم يمكنهم من ذلك لم يقدروا على المناجاة فعلمنا ان الاية لا تدل على صدور التقصير منهم فاما قوله أأشفقتم فلا يمتنع انه تعالى علم ضيق صدر كثير منهم عن اعطا الصدقة في المستقبل لو دام الوجوب فقال هذا القول واما قوله فتاب الله عليكم ليس في الاية انه تاب عليكم من هذا التقصير بل يحتمل انكم اذا كنتم تائبين راجعين الى الله واقمتم الصلاة واتيتم الزكاة فقد كفاكم هذا التكليف اما قوله والله خبير بما تعملون يعني محيط باعمالكم ونياتكم قوله تعالى الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم اسرار المومنين ما هم منكم ايها المسلمون ولا من اليهود ويحلفون على الكذب والمراد من هذا الكذب اما ادعاؤهم كونهم مسلمين واما انهم كانوا يشتمون الله ورسوله ويكيدون المسلمين فاذا قيل لهم انكم فعلتم ذلك خافوا على انفسهم من القتل فيحلفون انا ما قلنا ذلك وما فعلناه فهذا هو الكذب الذي يحلفون عليه واعلم ان هذه الاية تدل على فساد قول الجاحظ ان الخبر الذي يكون المخبر عنه وذلك لانه لو كان الامر على ما ذهب اليه لكان قوله وهم يعلمون تكرارا غير مفيد يروى انه كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرته اذ قال يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان او بعيني شيطان فدخل رجل عيناه زرقاوان فقال له لم تسبني فجعل يحلف فنزل ويحلفون على الكذب وهم يعلمون قوله تعالى اعد الله لهم عذابا شديدا انهم سا ما كانوا يعملون والمراد منه عند بعض المحققين عذاب القبر ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة فيه مسلتان المسلة الاولى قرا الحسن اتخذوا ايمانهم بكسر الهمزة وقال ابن جني هذا على حذف المضاف اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة عن ظهور نفاقهم وكيدهم للمسلمين او جنة عن ان يقتلهم المسلمون فلما امنوا من القتل اشتغلوا بصد الناس عن الدخول في الاسلام بالقا الشبهات في القلوب وتقبيح حال الاسلام فلهم عذاب مهين اي عذاب الاخرة وانما حملنا قوله اعد الله لهم عذابا شديدا على عذاب القبر وقوله ها هنا فلهم عذاب مهين على عذاب الاخرة ليلا يلزم التكرار ومن الناس من قال المراد من الكل عذاب الاخرة وهو كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا روي ان واحدا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واولادنا فنزلت هذه الاية قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم قال ابن عباس يحلفون لله يوم القيمة كذبا كما يحلفون لاوليايه في الدنيا كذبا اما الاول فكقولهم والله ربنا ما كنا مشركين واما الثاني فهو قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم والمعنى انهم لشدة توغلهم في النفاق ظنوا يوم القيمة انه يمكنهم ترويج كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب فكان هذا الخلق الذميم يبقى معهم ابدا واليه الاشارة بقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قال الجبائي والقاضي ان اهل الاخرة لا يكذبون فالمراد من الاية انهم يحلفون في الاخرة

(في الهامش: اذ قال يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان)

انا ما كنا كافرين عند انفسنا وعلى هذا الوجه لا يكون هذا الحلف كذبا. وقوله الا انهم هم الكاذبون اي في الدنيا
واعلم ان تفسير الاية بهذا الوجه لا شك انه يفضي الى كلام عظيم في النظم وقد استقصينا في هذه المسئلة
في تفسير سورة الانعام في تفسير قوله والله ربنا ما كنا مشركين. قوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان. قال
الزجاج استحوذ في اللغة استولى. يقال حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها وجمعتها. وقال المبرد استحوذ
على الشيء حواه واحاط به. وقالت عائشة في حق عمر كان احوذيا اي سائسا ضابطا للامور وهو احد ما جاء على الاصل
نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان واستولى عليهم فانساهم ذكر الله الا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون. واحتج القاضي به على خلق الاعمال من وجهين الاول ان ذلك النسيان لو حصل بخلق الله لكان اضافتها
الى الشيطان كذبا. والثاني لو حصل ذلك بخلق الله لكانوا كالمؤمنين في كونهم حزب الله لا حزب الشيطان. ثم قال تعالى
ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين. اي في جملة من هو اذل خلق الله لان ذل احد الخصمين على حسب
عز الخصم الثاني فلما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية ايضا. ولما شرح ذلهم
بين عز المؤمنين فقال. كتب الله لاغلبن انا ورسلي فيه مسئلتان المسئلة الاولى قرا نافع وابن عامر انا ورسلي
بفتح الياء. والباقون لا يحركون. قال ابو علي التحريك والاسكان جميعا حسنان المسئلة الثانية غلبة جميع
الرسل بالحجة حاصلة الا ان منهم من ضم للغلبة بالحجة الغلبة بالسيف. ومنهم من لم يكن كذلك ثم قال تعالى ان الله
لقوي على نصرة انبيائه. عزيز غالب لا يدفعه احد عن مراده لان كل ما سواه ممكن الوجود لذاته. والواجب لذاته يكون
غالبا للممكن لذاته قال المقاتل ان المسلمين قالوا انا لنرجوا ان يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي اتظنون
ان فارس والروم كبعض القرى التي غلبتموهم كلا والله انهم اكثر جمعا وعدة. فانزل الله هذه الاية. قوله تعالى
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله. المعنى انه لا يجتمع الايمان مع وداد اعداء
الله وذلك لان من احب احدا امتنع ان يحب مع ذلك عدوه. وهذا من وجهين. احدهما انهما لا يجتمعان في القلب فاذا
حصل في القلب وداد اعداء الله لم يحصل فيه الايمان فيكون صاحبه منافقا. والثاني انهما يجتمعان ولكنه معصية
وكبيرة وعلى هذا الوجه لا يكون صاحب هذا الوداد كافرا بسبب هذا الوداد بل كان عاصيا في الله. فان قيل اجمعت
الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاشرتهم فما هذه الموادة المحرمة المحظورة. قلنا الموادة المحظورة
هي ارادة منافعه دنيا ودينا مع كونه كافرا. فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه. ثم انه تعالى بالغ في المنع من هذه الموادة
من وجوه. اولها ما ذكر ان هذه الموادة مع الايمان لا يجتمعان. وثانيها قوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم
او عشيرتهم. والمراد ان الميل الى هؤلاء اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يكون هذا الميل مغلوبا مطرحا بسبب
الدين قال ابن عباس نزلت هذه الاية في ابي عبيدة بن الجراح قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد. وعمر بن الخطاب قتل
خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر. وابي بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز فقال عليه الصلاة والسلام متعنا بنفسك
ومصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير. وعلي بن ابي طالب وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر
اخبر ان هؤلاء لم يوادوا اقاربهم وعشائرهم غضبا لله ودينه. وثالثها انه تعالى عدد نعمه على المؤمنين فبدا بقوله اولئك
كتب في قلوبهم الايمان. وفيه مسئلتان المسئلة الاولى المعنى ان من انعم الله عليه بهذه النعمة العظيمة كيف يمكن
ان يحصل في قلبه مودة اعداء الله. واختلفوا في المراد من قوله كتب. اما القاضي فذكر ثلاثة اوجه على وفق قول
المعتزلة. احدها جعل في قلوبهم علامة يعرف بها الملئكة ما هم عليه من الاخلاص. وثانيها المراد شرح صدورهم للايمان
بالالطاف والتوفيق. وثالثها اخبر من قبل وكتب وقضى ان قلوبهم بهذا الوصف. واعلم ان هذه الوجوه الثلاثة نسلمها
للقاضي ونفرع عليها صحة قولنا فان الذي قضى الله به واخبر عنه وكتبه في اللوح المحفوظ لو لم يقع لانقلب خبر الله الصدق
كذبا وهو محال. والمؤدي الى المحال محال وقال ابو علي الفارسي معناه جمع والكتيبة الجمع من الجيش. والتقدير اولئك
الذين جمع الله في قلوبهم الايمان اي استكملوا فلم يكونوا ممن يقولوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومتى كانوا كذلك امتنع ان
يحصل في قلوبهم مودة الكفار وقال جمهور اصحابنا كتب معناه اثبت وخلق وذلك لان الايمان لا يمكن كتابته فلا بد من حمله
على الايجاد المسئلة الثانية روى المفضل عن عاصم كتب على فعل ما لم يسم فاعله. والباقون من كتب على اسناد الفعل
الى الفاعل في التكوين والنعمة الثانية قوله وايدهم بروح منه. وفيه قولان الاول قال ابن عباس نصرهم على عدوهم
وسمى تلك النصرة روحا لان بها يحيى امرهم. والثاني قال السدي الضمير في قوله منه عائد الى الايمان. والمعنى ايدهم
بروح من الايمان يدل عليه قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا. النعمة الثالثة قوله ويدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها وهو اشارة الى نعمة الجنة. النعمة الرابعة قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وهي نعمة الرضوان وهي



اعظم النعم واجل المراتب. ثم لما عدد هذه النعم ذكر الامر الرابع من الامور التي توجب ترك الموادة مع اعداء الله فقال
اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وهو في مقابلة قوله فيهم اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
واعلم ان الاكثرين اتفقوا على ان قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله نزلت في حاطب
ابن ابي بلتعة واخباره اهل مكة بمسير النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد فتح مكة. وتلك القصة معروفة. وبالجملة فالاية زجر عن التودد
الى الكفار والفساق. عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة فاني وجدت فيما
اوحيت لا تجد قوما الخ والله اعلم. تم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد واله الطاهرين

## سورة الحشر عشرون واربع ايات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض
وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من ديارهم لاول الحشر صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان
لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي المنعوت في التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا
فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان عند الكعبة. فامر رسول الله محمد بن مسلمة الانصاري فقتل
كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة. ثم صبحهم رسول الله بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت
احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب. وقيل استمهلوا رسول الله عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فبعث اليهم عبد الله بن ابي وقال لا تخرجوا
من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فحصنوا الازقة فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب
في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاءوا من متاعهم. فجلوا الى الشام
الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم ال ابي الحقيق وال حيي بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة. وههنا سؤالات
السؤال الاول ما معنى هذه اللام في قوله لاول الحشر الجواب انها هي اللام في قولك جئت لوقت كذا. والمعنى اخرج الذين كفروا
عند اول الحشر السؤال الثاني ما معنى اول الحشر الجواب ان الحشر هو اخراج الجمع من مكان الى مكان. واما انه لم سمي هذا الحشر
باول الحشر فبيانه من وجوه. احدها وهو قول ابن عباس والاكثرين ان هذا اول حشر اهل الكتاب واول مرة حشروا واخرجوا
من جزيرة العرب لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك لانهم كانوا اهل منعة وعزة. وثانيها انه تعالى جعل اخراجهم من المدينة
حشرا وجعله اول الحشر من حيث يحشر الناس للساعة الى ناحية الشام. ثم تدركهم الساعة هناك. وثالثها ان هذا اول حشرهم
واما اخر حشرهم فهو اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام. ورابعها معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشرهم لقتالهم لانه اول قتال
قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وخامسها قال قتادة هذا اول الحشر. والحشر الثاني من المشرق الى المغرب تبيت معهم
حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا. وذكروا ان تلك نار ترى بالليل ولا ترى بالنهار. قوله تعالى ما ظننتم ان يخرجوا قال ابن
عباس ان المسلمين ظنوا انهم لعزهم وقوتهم لا يحتاجون ان يخرجوا من ديارهم وانما ذكر الله تعالى ذلك تعظيما لهذه النعمة فان النعمة
اذا وردت على العبد والظن بخلافه يكون اعظم. فالمسلمون ما ظنوا انهم يصلون الى مرادهم في خروج هؤلاء اليهود فيتخلصوا من
ضرر مكايدهم فلما تيسر لهم ذلك كان موقع هذه النعمة اعظم قوله تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله. قالوا
كانت حصونهم منيعة فظنوا انها تمنعهم من رسول الله. وفي هذه الاية تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها
تدل على ان معاملتهم مع رسول الله هي بعينها نفس المعاملة مع الله. فان قيل ما الفرق بين قولك ظنوا ان حصونهم تمنعهم او
مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه. قلنا في تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم. وفي تصيير
ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى باحد يطمع في منازعتهم وهذه
المعاني لا تحصل في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم قوله تعالى فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا. في الاية مسائل
المسئلة الاولى في الاية وجهان. الاول ان يكون الضمير في قوله فاتاهم عائدا الى اليهود اي فاتاهم عذاب الله واخذه
من حيث لم يحتسبوا. والثاني ان يكون عائدا الى المؤمنين اي فاتاهم نصر الله وتقويته من حيث لم يحتسبوا. ومعنى لم يحتسبوا
اي لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وذلك بسببين. احدهما قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غيلة على يد اخيه وذلك مما اضعف قوتهم
وفت في عضدهم وقل من شوكتهم. والثاني بما قذف في قلوبهم من الرعب المسئلة الثانية قوله فاتاهم لا يمكن اجراؤه
على ظاهره باتفاق جمهور العقلاء فدل على ان باب التاويل مفتوح وان صرف الايات عن ظواهرها بمقتضى الدلائل العقلية جائز
المسئلة الثالثة قال صاحب الكشاف قرئ فاتاهم الله اي فاتاهم الهلاك. واعلم ان هذه القراءة لا تدفع ما بيناه
من وجوب التاويل لان هذه القراءة لا تدفع القراءة الاولى فانها ثابتة بالتواتر ومتى كانت ثابتة بالتواتر لا يمكن دفعها بل لا بد

فيها من التاويل قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب قال اهل اللغة الرعب الخوف الذي يرعب الصدر اي يملاه وقذفه اثباته فيه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه واعلم ان هذه الاية تدل على قولنا ان الامور كلها من الله وذلك لان الاية دلت على ان وقوع ذلك الرعب في قلوبهم كان من الله ودلت على ان ذلك الرعب صار سببا في اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متاكدة في القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله فكانت الافعال باسرها مستندة الى الله بهذا الطريق قوله تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين فيه مسايل المسلة الاولى قال ابو علي قرا ابو عمرو وحده يخربون مشددة وقرا الباقون يخربون مخففة وكان ابو عمرو يقول الاخراب ان تترك الشي خرابا والتخريب الهدم وبنو النضير خربوا وما اخربوا قال المبرد ولا اعلم لهذا وجها ويخربون هو الاصل على خرب المنزل واخربه صاحبه واعلمه وقام واقامه واذا قلت يخربون من التخريب فانما هو لتكثير لانه ذكر بيوتا تصلح للقليل والكثير وزعم سيبويه انهما يتعاقبان في بعض الكلام فيجري كل واحد مجرى الاخر نحو فرحته وافرحته وحسنه الله واحسنه وقال الاعشى ؏ واخربت من ارض قوم ديارا وقال الفرا يخربون بالتشديد يهدمون وبالتخفيف يخرجون منها ويتركونها المسلة الثانية ذكر المفسرون في بيان انهم كيف كانوا يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين وجوها احدها انهم لما تيقنوا بالجلا حسدوا المومنين ان يسكنوا منازلهم فجعلوا يخربونها من داخل والمسلمون من خارج وثانيها قال مقاتل ان المنافقين دسوا اليهم ان لا يخرجوا ودربوا على الازقة وحصنوها فنقضوا بيوتهم وجعلوها كالحصون على ابواب الازقة وكان المسلمون يخربون ساير الجوانب وثالثها ان المسلمين اذا ظهروا على درب من دروبهم خربوه وكان اليهود يتاخرون الى ما وراء بيوتهم وينقبونها من ادبارهم ورابعها ان المسلمين كانوا يخربون ظواهر البلد واليهود لما ايقنوا بالجلا فكانوا ينظرون الى الخشبة في منازلهم مما يستحسنونها والباب فيهدمون بيوتهم وينزعونها ويحملونها على الابل فان قيل ما معنى تخريبهم لها بايدي المومنين قلنا قال الزجاج لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار اعلم انا تمسكنا بهذه الاية في كتاب المحصول من اصول الفقه على ان القياس حجة فلا نذكره ههنا الا انه لا بد ههنا من بيان الوجه الذي امر الله فيه بالاعتبار وفيه احتمالان احدهما انهم اعتمدوا على حصونهم وعلى قوتهم وشوكتهم فاباد الله شوكتهم وازال قوتهم ثم قال فاعتبروا يا اولي الابصار ولا تعتمدوا على شي غير الله فليس للزاهد ان يعتمد على زهده فان زهده لا يكون اكثر من زهد بلعام وليس للعالم ان يعتمد على علمه انظر الى ابن الراوندي مع كثرة ممارسته كيف صار بل لا اعتماد لاحد في شي الا على فضل الله ورحمته وثانيها قال القاضي المراد ان يعرف الانسان عاقبة الغدر والكفر والطعن في النبوة فان اولئك اليهود وقعوا بشوم الغدر والكفر في البلا والجلا والمومنون ايضا يعتبرون به فيعدلون عن المعاصي فان قيل هذا الاعتبار انما يصح لو قلنا انهم غدروا وكفروا فعذبوا وكان السبب في ذلك العذاب هو الكفر والغدر الا ان هذا القول فاسد طردا وعكسا اما الطرد فلانه رب شخص غدر وكفر وما عذب في الدنيا واما العكس فلان امثال هذه المحن بل اشد منها وقعت للرسول عليه السلام ولاصحابه ولم يدل ذلك على سوء اديانهم واعمالهم واذا فسدت هذه العلة فقد بطل هذا الاعتبار وايضا فالحكم الثابت في الاصل هو انهم يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين فاذا عللنا ذلك بالكفر والغدر يلزم في كل من كفر وغدر ان يخرب بيته بيده وبايدي المسلمين ومعلوم ان هذا لا يصح فعلمنا ان هذا الاعتبار غير صحيح والجواب ان الحكم الثابت في الاصل له ثلاث مراتب اولها كونه تخريبا للبيت بايديهم وايدي المومنين وثانيها وهو اعم من الاول كونه عذابا في الدنيا وثالثها وهو اعم من الثاني كونه مطلق العذاب والغدر والكفر انما يناسبان العذاب من حيث هو عذاب فاما خصوص كونه تخريبا او قتلا او في الدنيا او في الاخرة فذاك عديم الاثر فيرجع حاصل القياس الى ان الذين غدروا وكفروا وعذبوا من غير اعتبار ان ذلك العذاب كان في الدنيا او الاخرة والغدر والكفر يناسبان العذاب فعلمنا ان الغدر والكفر هما السببان في العذاب فاينما حصلا حصل العذاب من غير بيان ان ذلك العذاب في الدنيا او الاخرة ومتى قررنا القياس والاعتبار على هذا الوجه زالت المطاعن والنقوض وتم القياس على الوجه الصحيح المسلة الثالثة الاعتبار ماخوذ من العبور والمجاوزة من شي الى شي ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمي المعبر معبرا لان به تحصل المجاوزة وسمي العلم المخصوص بالتعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعاني من لسان القايل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال ذلك الغير الى حال نفسه

عبارات

ولهذا قال



ولهذا قال المفسرون الاعتبار هو النظر في حقايق الاشيا وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شي اخر من جنسها وفي قوله يا اولي الابصار وجهان الاول قال ابن عباس يريد يا اهل اللب والعقل والبصاير والثاني قال الفرا يا اولي الابصار يا من عاين تلك الوقايع المذكورة قوله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلا لعذبهم في الدنيا معنى الجلا في اللغة الخروج عن الوطن والتحول عنه فان قيل ان لولا تفيد انتفا الشي لثبوت غيره فيلزم من ثبوت الجلا عدم التعذيب في الدنيا لكن الجلا نوع من انواع التعذيب فاذن يلزم من ثبوت الجلا عدمه وهو محال قلنا معناه ولولا ان كتب الله عليهم الجلا لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم بني قريظة واما قوله ولهم عذاب النار فهو كلام مبتدا وغير معطوف على ما قبله اذ لو كان معطوفا على ما قبله لزم ان لا يوجد لما بينا ان لولا تقتضي انتفا الجزا لحصول الشرط اما قوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله فهو يقتضي ان علة ذلك التخريب هو مشاقة الله ورسوله فان قيل لو كانت المشاقة علة لهذا التخريب لوجب ان يقال اينما حصلت هذه المشاقة حصل التخريب ومعلوم انه ليس كذلك قلنا هذا احد ما يدل على ان تخصيص العلة المنصوصة لا يقدح في صحتها ثم قال ومن يشاق الله ورسوله فان الله شديد العقاب والمقصود منه الزجر قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها قايمة على اصولها فباذن الله فيه مسايل المسلة الاولى من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كانه قال اي شي قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة المسلة الثانية قال ابو عبيدة اللينة النخلة ما لم تكن عجوة او برنية واصل لينة لونة فذهبت الواو لكسرة اللام وجمعها الالوان وهو النخل كله سوى البرني والعجوة وقال بعضهم اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين وجمعها لين فان قيل لم خصصت اللينة بالقطع قلنا ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود اشد المسلة الثالثة قال صاحب الكشاف قري قوما على اصلها وفيه وجهان احدهما انه جمع اصل كرهن ورهن واكتفي فيه بالضمة عن الواو وقري قايما على اصوله ذهابا الى لفظ ما قوله فباذن الله اي فقطعها باذن الله وامره وليخزي الفاسقين اي ولاجل اخزا الفاسقين اي اليهود اذن الله في قطعها المسلة الرابعة روي انه عليه الصلاة والسلام حين امر ان يقطع نخلهم ويحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في انفس المومنين من ذلك شي فنزلت هذه الاية والمعنى ان الله انما اذن في ذلك حتى يزداد غيظ الكفار وتتضاعف حسرتهم بسبب نفاذ حكم اعدايهم في اعز اموالهم المسلة الخامسة احتج العلما بهذه الاية على ان حصون الكفرة وديارهم لا باس ان تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا باس بقلعها مثمرة كانت او غير مثمرة وعن ابن مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال المسلة السادسة روي ان رجلين كانا يقطعان احدهما يقطع العجوة والاخر اللون فسالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار فاستدلوا به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول قوله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء قال المبرد يقال فاء يفي اذا رجع وافاءه الله اذا رده وقال الازهري الفي ما رده الله على اهل دينه من اموال من خالف اهل دينه بلا قتال اما بان يجلوا عن اوطانهم ويخلوها للمسلمين او يصالحوا على جزية يودونها عن رووسهم او مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمايهم كما فعله بنو النضير حين صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لكل ثلاثة منهم حمل بعير مما شاوا سوى السلاح ويتركوا الباقي فهذا المال هو الفي وهو ما افاء الله على المسلمين اي رده من الكفار الى المسلمين وقوله منهم اي من يهود بني النضير فما اوجفتم يقال وجف الفرس والبعير يجف وجفا ووجيفا وهو سرعة السير واوجفه صاحبه اذا حمله على السير السريع وقوله عليه اي على ما افاء الله وقوله ولا ركاب الركاب ما يركب من الابل واحدتها راحلة ولا واحد لها من لفظها والعرب لا يطلقون لفظ الراكب الا على راكب البعير ويسمون راكب الفرس فارسا ومعنى الاية ان الصحابة طلبوا من الرسول عليه الصلاة والسلام ان يقسم الفي بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله الفرق بين الامرين وهو ان الغنيمة ما اتعبتم انفسكم في تحصيلها واوجفتم عليها الخيل والركاب بخلاف الفي فانكم ما تحملتم في تحصيله تعبا فكان الامر فيه مفوضا الى الرسول يضعه حيث يشاء ثم ههنا سوال وهو ان اموال بني النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلا فوجب ان تكون تلك الاموال من جملة الغنيمة لا من جملة الفي ولاجل هذا السوال ذكر المفسرون ههنا وجهين الاول ان هذه الاية ما نزلت في قرى بني النضير لانهم اوجفوا عليهم بالخيل والركاب وحاصرهم رسول الله والمسلمون بل هو في فدك وذلك لان اهل فدك انجلوا عنه فصارت تلك القرى والاموال في يد الرسول عليه الصلاة والسلام من غير حرب فكان عليه الصلاة والسلام ياخذ من غلة فدك نفقته ونفقة من يعوله ويجعل الباقي في السلاح والكراع فلما مات ادعت فاطمة عليها السلام انه كان نحلها فدك

قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها

فقال أبو بكر أنت أعز الناس علي فقرا وأحبهم إلي غنى لكني لا أعرف صحة قولك فشهد لها أم أيمن ومولى لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم يكن فأجرى أبو بكر ذلك على ما كان يجريه
الرسول عليه الصلاة والسلام ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول ويجعل ما يبقى في السلاح والكراع وكذلك
عمر جعله في يد علي ليجريه على هذا المجرى ورد ذلك في آخر عهد عمر إلى عمر وقال إن بنا غنى وبالمسلمين إليه حاجة وكان
عثمان يجريه كذلك ثم صار إلى علي فكان يجريه هذا المجرى فالأئمة الأربعة اتفقوا على ذلك والقول الثاني أن هذه
الآية نزلت في بني النضير وقراهم وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب ولم يقطعوا إليها مسافة كثيرة وإنما كانوا
على ميلين من المدينة فمشوا إليه مشيا ولم يركب إلا رسول الله وكان راكب جمل فلما كانت المقاتلة قليلة والخيل
والركاب غير حاصل أجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة أصلا فخص رسول الله بتلك الأموال ثم روي
أنه قسمها بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف
والحارث بن الصمة ثم إنه تعالى ذكر حكم الفيء فقال ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى قال صاحب الكشاف لم
يدخل العاطف على هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهي منها غير أجنبية عنها واعلم أنهم أجمعوا على أن المراد من قوله
ولذي القربى بنو هاشم وبنو المطلب قال الواحدي كان الفيء في زمان رسول الله مقسوما على خمسة أسهم أربعة منها
لرسول الله خاصة وكان الخمس الباقي يقسم على خمسة أسهم سهم منها لرسول الله أيضا والأسهم الأربعة لذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام فللشافعي فيما كان من الفيء لرسول الله
قولان أحدهما أنه للمجاهدين المترصدين للقتال في الثغور لأنهم قاموا مقام رسول الله في رباط الثغور والقول
الثاني أنه يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر يبدأ بالأهم فالأهم هذا في الأربعة
الأخماس التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما السهم الذي كان له من خمس الفيء فإنه لمصالح المسلمين بلا خلاف
قوله تعالى كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم فيه مسائل المسألة الأولى قال المبرد الدولة اسم للشيء الذي
يتداوله القوم بينهم لذا مرة ولذا مرة والدولة بالفتح انتقال حال السارة إلى قوم عن قوم فالدولة بالضم اسم
لما يتداول وبالفتح مصدر من هذا ويستعمل في الحالة السارة التي تحدث للإنسان فيقال هذه دولة فلان أي قد
أديل فالدولة اسم لما يتداول من المال والدولة اسم لما ينتقل من الحال ومعنى الآية كيلا يكون الفيء الذي حقه
أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها واقعا في يد الأغنياء ودولة لهم المسألة الثانية قرئ دولة ودولة
بفتح الدال وضمها وقرأ أبو جعفر يزيد دولة مرفوعة الدال والهاء قال أبو الفتح يكون ها هنا هي التامة كقوله
وإن كان ذو عسرة يعني كيلا يقع دولة جاهلية ثم قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا يعني
ما أعطاكم الرسول من الفيء فخذوه فهو لكم حلال وما نهاكم عن أخذه فانتهوا واتقوا الله في أمر الفيء إن الله شديد
العقاب على ما نهاكم عنه الرسول والأجود أن تكون هذه الآية عامة في كل ما أتى رسول الله ونهى عنه وأمر الفيء
داخل في عمومه قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا
من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون هذا بدل من قوله لذي القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل كأنه قيل أعني بأولئك الأربعة هؤلاء الفقراء المهاجرين الذين من صفتهم كذا وكذا ثم إنه
تعالى وصفهم بأمور أولها أنهم فقراء وثانيها أنهم مهاجرون وثالثها أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم
يعني أن كفار مكة أحوجوهم إلى الخروج فهم الذين أخرجوهم ورابعها أنهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
والمراد بالفضل ثواب الجنة وبالرضوان قوله ورضوان من الله أكبر وخامسها قوله وينصرون الله ورسوله
بأنفسهم وأموالهم وسادسها قوله أولئك هم الصادقون يعني أنهم لما هجروا لذات الدنيا وتحملوا شدائدها
لأجل الدين ظهر صدقهم في دينهم وتمسك بعض العلماء بهذه الآية على إمامة أبي بكر فقال هؤلاء الفقراء من المهاجرين
والأنصار كانوا يقولون لأبي بكر خليفة رسول الله والله تعالى شهد على كونهم صادقين فوجب أن يكونوا صادقين
في قولهم يا خليفة رسول الله ومتى كان الأمر كذلك وجب الحكم بصحة إمامته قال المقاتل ثم ذكر الأنصار
فأثنى عليهم حين طابت أنفسهم عن الفيء إذ جعله للمهاجرين دونهم فقال والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم
فإن قيل في الآية سؤالان أحدهما أنه لا يقال تبوءوا الإيمان والثاني بتقدير أن يقال ذلك لكن الأنصار ما
تبوءوا الإيمان قبل المهاجرين والجواب عن الأول من وجوه أحدها تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان
كقوله شعر ولقد رأيتك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا وثانيها جعلوا الإيمان مستقرا ووطنا
لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما أنهم لما سألوا سلمان عن نسبه قال أنا ابن الإسلام وثالثها أنه سمى

المدينة بالإسلام لأن فيها ظهر الإيمان وقوي والجواب عن السؤال الثاني من وجهين الأول أن الكلام على التقديم
والتأخير والتقدير والذين تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان والثاني على تقدير حذف المضاف والتقدير تبوءوا الدار
والإيمان من قبل هجرتهم ثم قال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا قال الحسن أي حسدا وحرارة وغيظا
مما أوتي المهاجرون دونهم وأطلق لفظ الحاجة على الحسد والغيظ والحرارة لأن هذه الأشياء لا تنفك عن الحاجة
فأطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية ثم قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة يقال
آثره بكذا إذا خصه به ومفعول الإيثار محذوف والتقدير ويؤثرونهم بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم عن ابن
عباس عن ابن عباس أن النبي عليه الصلاة والسلام قال للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم وقسمت
لكم من الفيء كما قسمت لهم وإن شئتم كان لهم القسم ولكم دياركم وأموالكم فقالوا لا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ولا
نشاركهم في القسم فأنزل الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فبين أن هذا الإيثار ليس عن غنى عن المال
ولكنه عن حاجة وخصاصة وهي الفقر وأصلها من الخصاص وهي الفرج وكل خرق في منخل أو باب أو سحاب أو برقع
فهي خصاص الواحد خصاصة وذكر المفسرون أنواعا من إيثار الأنصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع
الضيف ثم ذكروا أن الآية نزلت في ذلك الإيثار والصحيح أنها نزلت بسبب إيثارهم المهاجرين بالفيء ثم لا يمتنع أن
يدخل فيها سائر الإيثارات ثم قال ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما واعلم
أن الفرق بين الشح والبخل هو أن البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع فلما كان الشح من
صفات النفس لا جرم قال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون الظافرون بما أرادوا قال ابن زيد من لم
يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمره الله بإعطائه فقد وقي شح نفسه قوله والذين جاءوا من بعدهم
عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون بإحسان وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين
والأنصار إلى يوم القيامة وذكر تعالى أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان وهو قوله يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا
الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا أي غشا وحسدا وبغضا واعلم أن هذه الآيات قد استوعبت
جميع المؤمنين لأنهم إما المهاجرون أو الأنصار أو الذين جاءوا من بعدهم وبين أن من شأن من جاء بعد المهاجرين والأنصار
أن يذكر السابقين وهم المهاجرون والأنصار بالدعاء والرحمة فمن لم يكن كذلك بل ذكرهم بسوء كان خارجا عن جملة أقسام
المؤمنين بحسب هذه الآيات قوله تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا من أهل الكتاب إلى قوله وذلك جزاء الظالمين
قال المقاتلان يعني عبد الله بن أبي وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد كانوا من الأنصار ولكنهم نافقوا يقولون لإخوانهم
[illegible]

باسهم بينهم شديد فيه ثلاثة اوجه احدها يعني ان الباس الشديد الذي يوصفون به انما يكون اذا كان بعضهم
مع بعض فاما اذا قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله
وثانيها قال مجاهد المعنى انهم اذا اجتمعوا يقولون لنفعلن كذا وكذا فهم يهددون المؤمنين بباس شديد من وراء الحيطان
ثم يحترزون عن الخروج للقتال فباسهم فيما بينهم شديد لا فيما بينهم وبين المؤمنين وثالثها قال ابن عباس معناه بعضهم
عدو للبعض والدليل على صحة هذا التاويل قوله تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني تحسبهم في صورتهم مجتمعين
على الالفة والمحبة اما قلوبهم فشتى لان كل احد منهم على مذهب اخر وبينهم عداوات شديدة وهذا تشجيع
للمؤمنين على قتالهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون فيه وجهان احدهما ان ذلك التشتيت بانهم قوم لا يعقلون ما فيه
الحظ لهم والثاني لا يعقلون ان تشتيت القلوب مما يوهن قواهم **قوله تعالى** كمثل الذين من قبلهم قريبا
اي كمثل اهل بدر في زمان قريب فان قيل بم انتصب قريبا قلنا بمثل والتقدير كوجود مثل اهل بدر قريبا
ذاقوا وبال امرهم اي سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله من قولهم كلاء وبيل اي وخيم سيئ العاقبة يعني
ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار ثم ضرب لليهود والمنافقين مثلا فقال
كمثل الشيطان اي مثل المنافقين الذين غروا بني النضير بقولهم لئن اخرجتم لنخرجن معكم ثم خذلوهم وما وفوا بعهدهم
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر ثم تبرا منه في العاقبة والمراد اما عموم دعوة الشيطان الى الكفر واما
اغواء الشيطان قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله اني بري منكم **ثم قال تعالى**
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين فيه مسايل **المسئلة الاولى** قال مقاتل فكانت
عاقبة المنافقين واليهود مثل عاقبة الشيطان والانسان حين صارا الى النار **المسئلة الثانية** قال صاحب
الكشاف قرا ابن مسعود خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وعلى القراة المشهورة الخبر هو الظرف وخالدين
فيها حال وقرئ عاقبتهما بالرفع ثم قال وذلك جزاء الظالمين اي المشركين لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم
ثم انه تعالى رجع الى موعظة المؤمنين **فقال** يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا
الله ان الله خبير بما تعملون الغد يوم القيمة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له ثم ذكر النفس والغد على سبيل
التنكير اما الفائدة في تنكير النفس فاستقلال الانفس التي تنظر فيما قدمت للاخرة كانه قال فلتنظر نفس
واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل الغد لا يعرف كنهه لعظمه **ثم قال** واتقوا
الله ان الله خبير بما تعملون كرر الامر بالتقوى تاكيدا او يحمل الاول على اداء الواجبات والثاني على ترك المعاصي
**ثم قال** ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم فيه وجهان الاول قال المقاتلان نسوا حق الله فجعلهم ناسين
حق انفسهم حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده الثاني فانساهم انفسهم اي اراهم يوم القيمة من الاهوال ما نسوا
فيه انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم وترى الناس سكارى **ثم قال** اولئك هم الفاسقون والمقصود
منه الذم **واعلم** انه تعالى لما ارشد المؤمنين الى ما هو مصلحتهم يوم القيمة بقوله ولتنظر نفس ما قدمت
لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين **فقال** لا يستوي اصحاب
النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون **واعلم** ان التفاوت بين هذين الفريقين معلوم بالضرورة فذكر
هذا الفرق في مثل هذا الموضع يكون الغرض منه التنبيه على عظم ذلك الفرق وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى**
المعتزلة احتجوا على ان صاحب الكبيرة لا يدخل الجنة لان الاية دلت على ان اصحاب النار واصحاب الجنة لا يستويان
فلو دخل صاحب الكبيرة الجنة لكان اصحاب النار واصحاب الجنة يستويان وهو غير جائز والجواب معلوم
**المسئلة الثانية** احتج اصحابنا بهذه الاية على ان المسلم لا يقتل بالذمي وقد بينا وجهه في الخلافيات
ثم انه تعالى لما شرح هذه البيانات عظم امر القران **فقال** لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله والمعنى انه لو جعل في الجبل عقل كما جعل فيكم ثم انزل عليه القران لخشع
وخضع وتشقق من خشية الله **ثم قال** وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اي الغرض من
ذكر هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب هؤلاء الكفار وغلظ طباعهم ونظيره قوله ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة **واعلم** انه تعالى لما وصف القران بالعظم ومعلوم ان عظم
الصفة تابع لعظم الموصوف اتبع ذلك بشرح عظمة الله فقال **قوله تعالى** هو الله الذي لا اله الا هو
عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم الى اخرها انه تعالى قدم الغيب على الشهادة في اللفظ وفيه سر
عقلي اما المفسرون فذكروا اقوالا في الغيب والشهادة فقيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود وقيل

ما غاب



ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والاخرة **ثم قال** هو الله الذي لا اله
الا هو الملك القدوس وكل ذلك قد تقدم تفسيره **ثم قال** القدوس قرئ بالضم والفتح وهو البليغ في النزاهة في
الذات والصفات والافعال والاحكام والاسماء وقد شرحناه في اول سورة الحديد ومضى شيء منه في تفسير
قوله ونقدس لك وقال الحسن انه الذي كثرت بركاته **وقوله** السلام فيه وجهان الاول انه بمعنى السلامة
ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص كما يقال رجاء وغياث وعدل
فان قيل فعلى هذا التفسير لا يبقى بين القدوس وبين السلام فرق والتكرار خلاف الاصل قلنا كونه قدوسا
اشارة الى براءته عن جميع العيوب في الزمان المستقبل فان الذي يطرا عليه شيء من العيوب فانه تزول سلامته
ولا يبقى سليما الثاني انه سلام بمعنى كونه موجبا للسلامة **وقوله** المؤمن فيه وجهان الاول انه الذي امن اولياءه
يقال امنه يؤمنه فهو مؤمن والثاني انه المصدق اما على معنى انه يصدق انبياءه باظهار المعجز لهم او لاجل ان امة محمد صلى
الله عليه وسلم يشهدون لساير الانبياء كما قال لتكونوا شهداء على الناس ثم ان الله يصدقهم في تلك الشهادة وقرئ بفتح
الميم يعني المؤمن به على حذف الجار كما حذف في قوله واختار موسى قومه **وقوله** المهيمن قالوا معناه الشاهد الذي
لا يغيب عنه شيء ثم في اصله قولان قال الخليل وابو عبيدة هيمن يهيمن فهو مهيمن اذا كان رقيبا على الشيء وقال اخرون مهيمن
اصله مؤتمن وهو من امن يؤمن فيكون بمعنى المؤمن وقد مر استقصاؤه في قوله ومهيمنا عليه وقال ابن الانباري المهيمن
هو القائم على خلقه برزقه وانشد **شعر** الا ان خير الناس بعد نبيه مهيمنه التاليه في العرف والنكر
قال معناه القائم على الناس بعده **واما** العزيز فهو اما الذي لا يوجد له نظير واما الغالب القاهر **واما** الجبار ففيه
وجوه احدها انه تعالى فعال من جبر اذا اغنى الفقير واصلح الكسير قال الازهري وهو لعمري جابر كل كسير وفقير
وهو جابر دينه الذي ارتضاه قال العجاج قد جبر الدين الاله فجبر والثاني ان يكون الجبار من جبره على كذا اذا اكرهه
على ما اراده قال السدي انه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما اراد قال الازهري هي لغة تميم وكثير من الحجازيين يقولونها
وكان الشافعي رحمه الله يقول جبره السلطان على كذا بغير الف وجعل الفراء الجبار بهذا المعنى من اجبره وهي اللغة المعروفة في الاكراه
فقال لم اسمع فعالا من افعل الا في حرفين وهما جبار من اجبر ودراك من ادرك وعلى هذا الجبار هو القهار الثالث قال
ابن الانباري الجبار في صفة الله الذي لا ينال ومنه قيل للنخلة التي فاتت يد المتناول جبارة الرابع قال ابن عباس الجبار
هو الملك العظيم قال الواحدي رحمه الله هذا الذي ذكرنا معاني الجبار في صفة الله وللجبار معان في صفة الخلق
احدها المسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وثانيها العظيم الجسيم كقوله ان فيها قوما جبارين وثالثها المتمرد
عن عبادة الله كقوله ولم يجعلني جبارا ورابعها القتال كقوله بطشتم جبارين وقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض
**اما قوله** المتكبر ففيه وجوه احدها قال ابن عباس الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وثانيها قال قتادة المتعظم
عن كل سوء وثالثها قال الزجاج الذي تعظم عن ظلم عباده ورابعها قال ابن الانباري المتكبر ذو الكبرياء والكبرياء عند
العرب الملك ومنه قوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض **واعلم** ان المتكبر في حق الخلق اسم ذم لان المتكبر هو الذي
يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حق الخلق لانه ليس له كبر ولا علو بل ليس معه الا الحقارة والذلة والمسكنة
فاذا اظهر العلو كان كاذبا فكان ذلك مذموما في حقه **اما الحق** سبحانه فله جميع انواع العلو والكبرياء فاذا اظهره
فقد ارشد العباد الى تعريف جلاله وعلوه فكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه ولهذا السبب لما ذكر هذا
الاسم قال سبحان الله عما يشركون كانه قيل ان المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله في هذا الوصف لكنه
سبحانه منزه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق لانهم ناقصون بحسب ذواتهم فادعاؤهم الكبر يكون ضم نقصان الكذب
الى النقصان الذاتي اما الحق سبحانه فله العلو والعزة فاذا اظهره كان ذلك ضم كمال الى كمال سبحان الله عما يشركون
في اثبات صفة المتكبر للخلق **ثم قال** هو الله الخالق البارئ المصور الخالق هو المقدر ومعناه انه يقدر افعاله على
وجوه مخصوصة فالخالقية راجعة الى صفة الارادة **ثم قال** البارئ وهو بمنزلة قولنا صانع وموجد الا انه
يفيد اختراع الاجسام ولذلك يقال في حق البارئ البرية ولا يقال البرية في الاعراض كاللون والطعم **واما** المصور
فمعناه انه يخلق صور الخلق على ما يريده وقدم ذكر الخالق على البارئ لان ترجيح الارادة مقدم على تاثير القدرة وقدم البارئ
على المصور لان ايجاد الذوات مقدم على ايجاد الصفات **ثم قال** له الاسماء الحسنى وقد فسرناه في قوله ولله الاسماء الحسنى **ثم قوله** يسبح
له ما في السموات والارض وقد مر تفسيره في اول سورة الحديد والله اعلم تم تفسير السورة والحمد لله رب العالمين

## سورة الممتحنة ثلث عشرة اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا تلقون اليهم بالمودة • من جملة ما يتحقق به تعلق هذه السورة بما قبلها هو انهما يشتركان في بيان حال الرسول صلى الله عليه وسلم من الحاضرين في زمانه من اليهود والنصارى وغيرهم فان بعضهم اقدموا على الصلح واعترفوا بصدقه ومن جملتهم بنو النضير فانهم قالوا انه النبي الذي وجدنا نعته وصفته في التوراة • وبعضهم انكروا ذلك واقدموا على القتال • اما على التصريح • واما على الاخفا بانهم مع اهل الاسلام في الظاهر ومع اهل الكفر في الباطن • واما تعلق الاول بالاخر فظاهر لما ان اخر تلك السورة مشتمل على الصفات الحميدة لحضرة الله تعالى من الوحدانية وغيرها • واول هذه السورة مشتمل على حرمة الاختلاط مع من لم يعترف بتلك الصفات • واما سبب النزول فقد روي انها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة لما كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز للفتح ويريد ان يغزوكم فخذوا حذركم • ثم ارسل ذلك الكتاب مع امراة مولاة لبني هاشم يقال لها سارة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة فقال لها عليه الصلاة والسلام امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت ذهب الموالي يوم بدر اي قتلوا في ذلك اليوم فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بنو عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها • فاتاها حاطب واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها ذلك الكتاب الى اهل مكة فخرجت سارة فاطلع الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فبعث عمر وعليا وعمارا وطلحة والزبير خلفها وهم فرسان فادركوها وسالوا عن ذلك فانكرت وحلفت • فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه فاخرجته من عقاص شعرها • فجاؤوا بالكتاب الى رسول الله فعرضه على حاطب فاعترف فقال ان لي بمكة اهلا ومالا فاردت ان اتقرب منهم • وقد علمت ان الله ينزل باسه عليهم فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر فقال الله ورسوله اعلم • واما تفسير الاية فالكلام في يا ايها الذين امنوا قد تقدم • وكذلك في الايمان في نفسه شي واحد وهو التصديق بالقلب واشيا كثيرة وهي الطاعات كما ذهب اليه المعتزلة • واما قوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا • فاتخذ يتعدى الى مفعولين وهما عدوي واوليا • والعدو من عدا كالعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد • والعداوة ضد الصداقة لا يجتمعان في محل واحد في زمان واحد من جهة واحدة لكنهما يرتفعان في مادة الامكان • وعند الزجاج والكواشي عدوي اي عدو ديني **وقوله تعالى** تلقون اليهم بالمودة قال في النظم هو وصف للنكرة التي هي اوليا وقال الفرا وقال في الكشاف يجوز ان يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره واوليا صفة له ولا يجوز ان يكون استينافا فلا يكون صلة لاوليا • والبا في المودة كقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم • والمعنى يلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة ثم في الاية مباحث الاول اتخاذ العدو وليا كيف يمكن وقد كانت العداوة منافية للمحبة والمودة والمحبة من لوازم ذلك الاتخاذ نقول لا يبعد ان تكون العداوة بالنسبة الى امر والمحبة والمودة بالنسبة الى امر اخر الى قوله تعالى انما اموالكم واولادكم عدو لكم • والنبي صلى الله عليه وسلم قال • اولادنا اكبادنا • الثاني لم قال عدوي وعدوكم ولم يقل بالعكس فنقول العداوة بين المؤمن والكافر بسبب محبة الله ومحبة رسوله فتكون محبة العبد من اهل الايمان لحضرة الله تعالى لعلة ومحبة حضرة الله تعالى للعبد لا لعلة لما انه غني على الاطلاق فلا حاجة له الى الغير اصلا • والذي لا لعلة اقدم من الذي لعلة ولان الشي اذا كان له نسبة الى الطرفين • فالطرف الاعلى مقدم على الادنى • الثالث قال اوليا ولم يقل وليا والعدو والولي بلفظ فنقول • كما ان المعرف بحرف التعريف يتناول كل فرد • وكذلك المعرف بالاضافة • الرابع من قال بالمودة الباء زائدة وقد مر ان الزيادة في القران لا تمكن • والبا مشتملة على الفايدة فلا تكون زائدة في الحقيقة قال الله تعالى وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول • واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل • وقد كفروا الواو للحال اي وحالهم انهم كفروا بما جاءكم من الدين الحق • وقيل من القران يخرجون الرسول يعني من مكة الى المدينة ان تؤمنوا [illegible]

وعن ابن عباس انه



[illegible]

لن تنفعكم ارحامكم لما عوتب حاطب على ما فعل اعتذر بان له ارحاما وهي القرابات والاولاد فيما بينهم وليس له هنا من يمنع عشيرته فاراد ان يتخذ عندهم يدا ليحسنوا الى من خلفهم بمكة من عشيرته فقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اعلم انهم لا ينفعونهم شيا والله يفصل بينكم • فيدخل اهل الايمان الجنة واهل الكفر النار • والله بما تعملون بصير اي بما عمل حاطب • ثم في الاية مباحث **الاول** لما قال في الكشاف ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء كيف ورد جواب الشرط مضارعا مثله • ثم قال وودوا بلفظ الماضي نقول الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب فان فيه نكتة كانه قيل وودوا قبل كل شي كفركم وارتدادكم • **الثاني** يوم القيمة ظرف اي شي • قلنا لقوله لن تنفعكم ويكون ظرفا ليفصل اي الله • وقرا ابن كثير يفصل بضم اليا وفتح الصاد • ويفصل على البنا للفاعل وهو الله ونفصل بالنون ونفصل **الثالث** قال الله تعالى والله بما تعملون بصير ولم يقل خبير مع انه ابلغ في العلم بالشي والجواب ان الخبير ابلغ في العلم والبصير اظهر منه فيه لما انه يجعل عالما كالمحسوس بحس البصر والله اعلم **ثم قال الله تعالى** قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شي ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير • قد كانت لكم اسوة • الاسوة ما يؤتسى به مثل القدوة • والقدوة لما يقتدى به • يقال هو اسوتك اي انت مثله وهو مثلك وجمع الاسوة والاسوة اسى فالاسوة اسم لكل ما يقتدى به قال المفسرون اخبر الله تعالى ان ابرهيم واصحابه تبرؤوا من قومهم وعادوهم وقالوا لهم انا برآء منكم وامر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتاسوا بهم وبقولهم قال الفرا كانه يقول افلا تاسيت يا حاطب بابرهيم في التبرية من اهله • وقوله تعالى اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم • وقوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وهو مشرك • وقال مجاهد نهوا ان يتاسوا باستغفار ابرهيم لابيه فيستغفروا للمشركين وقال مجاهد وقتادة ايتسوا بامر ابرهيم كله الا في استغفاره لابيه • وقيل تبرؤوا من كفار قومكم فان لكم اسوة حسنة في ابرهيم ومن معه من المؤمنين في البراة من قومهم لا في الاستغفار لابيه • وقال ابن قتيبة يريد ان ابرهيم عاداهم وهجرهم في كل شي الا في قوله لابيه لاستغفرن لك • وقال ابن الانباري ليس الامر على ما ذكره بل المعنى قد كانت لكم اسوة في كل شي الا في قوله لابيه **وقوله** وما املك لك من الله من شي هذا من قول ابرهيم لابيه يقول ما اغني عنك شيا ولا ادفع عنك عذاب الله ان اشركت به فوعده الاستغفار رجا وقال ابن عباس كان من دعا ابرهيم واصحابه ربنا عليك توكلنا الاية اي في جميع امورنا • واليك انبنا رجعنا بالتوبة عن المعصية • واليك المصير اذ المصير ليس الا الى حضرتك • وفي الاية مباحث • الاول لقايل ان يقول حتى تؤمنوا بالله وحده ما الفايدة في قوله وحده والايمان به وبغيره من اللوازم كما قال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله • فنقول الايمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر من لوازم الايمان بالله وحده اذ المراد من قوله وحده اي هو وحده في الالوهية ولا شك في ان الايمان بالوهيته وبالوهية غيره لا يكون ايمانا بالله اذ هو الاشراك بالحقيقة • والمشرك لا يكون مومنا • الثاني قوله تعالى الا قول ابرهيم استثنا

والله بما تعملون بصير ولم يقل خبير مع انه ابلغ في العلم

بيقتدى

من أي شيء هو تقول من قوله أسوة حسنة لأنه أراد بالأسوة الحسنة قوله الذي حق عليهم أن يأتسوا به
ويتخذونه سنة يستنون بها • الثالث أن قوله لأستغفرن لك مستثنى من القول الذي هو أسوة فما بال
قوله وما أملك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء ألا ترى إلى قوله قل فمن يملك من الله من شيء نقول
أراد الله تعالى استثناء جملة قوله لأبيه والمقصد إلى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كأنه
قال أنا أستغفر لك وما في وسعي إلا الاستغفار • فإن قيل بم اتصل قوله ربنا عليك توكلنا نقول بما قبل
الاستثناء أو نقول هو من جملة الأسوة • ويجوز من الحسنة • ويجوز أن يكون هو الأمر بهذا القول تعليما
للمؤمنين تتميما لما وصاهم من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة • والايتساء بإبرهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها
للإنابة إلى حضرة الله تعالى والاستعاذة به • الرابع إذا قيل ما الفائدة في هذا الترتيب • نقول فيه من الفوائد
ما لا يحيط به إلا هو • والظاهر من تلك الجملة أن يقال التوكل لأجل الإفادة وإفادة التوكل مفتقرة إلى التقوى
قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا • والتقوى إلى الإنابة إذ التقوى هو الاحتراز عما لا ينبغي من الأمور
والإنابة إلى الإقرار أن المرجع والمصير إلى الحضرة القدسية ليس إلا ذلك فكأنه ذكر الشيء وذكر عقيبه ما يكون من
اللوازم لإفادة ذلك كما ينبغي • والقراءة في براء أربعة أوجه • براء كشركاء • وبرآء كظراف • وبراء على إبدال الضم
من الكسر كرجال • وبراء على الوصف بالمصدر • والبراء والبراءة مثل الظماء والظماءة • وقال تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر
ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم
قوله ربنا لا تجعلنا فتنة من دعاء إبرهيم قال ابن عباس لا تسلط علينا أعداءنا فيظنوا أنهم على الحق وقال مجاهد لا
تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك • وقيل لا تبسط عليهم الرزق
دوننا فإن ذلك فتنة لهم • وقيل لا تجعلنا فتنة أي عذابا أي سببا يعذب به الكفرة وعلى هذا ليس الآية من قول
إبرهيم • وقوله واغفر لنا ربنا من جملة ما مر من الآية فكأنه قيل لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قولوا ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا ثم أعاد ذكر الأسوة تأكيدا للكلام فقال لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة أي في إبراهيم والذين معه
وهذا حث على الايتساء بإبرهيم وقومه قال ابن عباس كانوا يبغضون من خالف الله ويحبون من أحب الله • وقوله
لمن كان يرجوا الله بدل من قوله لكم • وبيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ومن يتول يعرض عن
الايتساء بهم إلى موادة الكفار • فالله هو الغني عن مخالفة أعدائه الحميد إلى أوليائه • قال مقاتل فلما أمر الله المؤمنين
بعداوة الكفار وأن يتبرؤا إلى عداوة آبائهم والبراءة منهم وجميع أقربائهم فأنزل الله تعالى قوله عسى الله أن يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة أي من كفار مكة مودة وذلك بميلهم إلى الإسلام ومخالطتهم مع أهل الإسلام ومناكحتهم
وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان فاسترخت شكيمته في العداوة
وكانت أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت
على دينها ومات زوجها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه إليها أربعمائة دينار وبلغ ذلك
أباها فقال ذلك الفحل لا يقدع أنفه • وعسى وعد من الله تعالى • وعاديتم منهم مودة يريد نفرا من قريش آمنوا بعد فتح مكة
منهم أبو سفيان بن حرب • وأبو سفيان بن الحرث • والحرث بن هشام • وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام • والله قادر على تقليب القلوب
وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة والله غفور رحيم بهم إذا تابوا وأسلموا ورجعوا إلى حضرة الله • ومن المباحث
في هذه الكلمة هو أن قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة إذا كان بمعنى لا تسلط علينا أعداءنا مثلا فلم ترك هذا وأتى
بذلك • فنقول إذا كان ذلك بحيث يحتمل أن يكون عبارة عن هذا وذلك فإذا أتى به فكأنه أتى بهذا وذلك وفيه
من الفوائد ما ليس في الاقتصار على واحد من تلك التأويلات • الثاني لقائل أن يقول ما الفائدة في قوله تعالى
واغفر لنا ربنا • وقد كان الكلام مرتبا إذا قيل لا تجعلنا فتنة للذين كفروا إنك أنت العزيز الحكيم • فنقول إنهم طلبوا
البراءة عن الفتنة والبراءة عن الفتنة لا يمكن وجودها بدون المغفرة لأن العاصي إذا لم يكن مغفورا كان مقهورا
بقهر العذاب وذلك فتنة إذ الفتنة عبارة عن كونه مقهورا • والحميد قد يكون بمعنى الحامد وبمعنى المحمود والمحمود هو
الذي يستحق الحمد من خلقه بما أنعم عليهم والحامد يحمد الخلق ويشكرهم حيث يجزيهم بالكثير من الثواب عن القليل من الأعمال
ثم قال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله
يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن
يتولهم فأولئك هم الظالمون • اختلفوا في المراد من قوله عن الذين لم يقاتلوكم فالأكثرون على أنهم أهل العهد الذين

خالف

عبد الله بن جحش

عاهدوا

عاهدوا رسول الله على ترك القتال والمظاهرة في العداوة وهم خزاعة كانوا عاهدوا الرسول على أن لا يقاتلوه ولا ينصروا
فأمر الرسول بالبر والوفاء إلى مدة أجلهم • وهذا قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وقال مجاهد الذين آمنوا بمكة ولم
يهاجروا • وقيل هم النساء والصبيان • وعن عبد الله بن الزبير أنها نزلت في أسماء بنت أبي بكر قدمت أمها قتيلة عليها
وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها في الدخول فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها
وتحسن إليها • وعن ابن عباس أنهم قوم من بني هاشم منهم العباس أخرجوه يوم بدر كرها • وعن الحسن أن المسلمين استأمروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أقربائهم من المشركين أن يصلوهم فأنزل الله هذه الآية • وقيل الآية في المشركين وقال
قتادة نسختها آية القتال • أن تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم • وكذلك أن تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم
عن بر هؤلاء وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء • وهذا رحمة لهم لشدتهم في العداوة • قال أهل التأويل هذه الآية تدل على
جواز البر بين المشركين والمسلمين • وإن كانت الموالاة منقطعة • وقوله تعالى وتقسطوا إليهم قال ابن عباس يريد بالصلة
وغيرها إن الله يحب المقسطين يريد أهل البر والتواصل • وقال مقاتل أن توفوا إليهم بعهدهم وتعدلوا ثم ذكر من الذين
نهاهم عن صلتهم فقال إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين إلى تولوهم • وفيه لطيفة وهو أنه يؤكد قوله تعالى
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم
بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم
[illegible]
تقول بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة من أرض إلى أرض بالله ما خرجت التماس
دنيا بالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله • الله أعلم بإيمانهن منكم فإن الله يتولى السرائر • فإن علمتموهن العلم الذي هو عبارة
عن الظن الغالب بالحلف وغيره فلا ترجعوهن إلى الكفار أي تردوهن إلى أزواجهن المشركين • وقوله تعالى ولا هم يحلون لهن
وآتوهم ما أنفقوا أي أعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور وذلك أن الصلح عام الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل
مكة رد إليهم ومن أتى مكة منكم لم يرد إليكم وكتبوا بذلك كتابا فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة
والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية • فأقبل زوجها مسافر المخزومي • وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي
فإنك قد شرطت لنا شرطا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا أن الشرط إنما كان للرجال دون
النساء • وعن الزهري أنه قال جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي عاتق فجاء أهلها يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يرجعها إليهم وكانت هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها أخواها عمارة والوليد فرد رسول الله أخويها وحبسها وقالوا
اردد علينا فقال صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال دون النساء • وعن الضحاك أن العهد كان أن لا يأتيك منا امرأة
ليست على دينك إلا رددتها إلينا • فإن دخلت في دينك ولها زوج رددت على زوجها الذي أنفق عليها وللنبي صلى الله عليه وسلم
من الشرط مثل ذلك ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد واستحلفها الرسول فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق ثم تزوجها عمر رضي الله عنه
قوله تعالى لا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن أي مهورهن إذ المهر أجر البضع ولا تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة
ما يعتصم به من عقد وغيره ولا عصمة بينكم وبينهن ولا علقة للنكاح بينكم • وعن ابن عباس أن اختلاف الدارين يقطع العصمة
وقيل لا تقعدوا للكوافر وتمسكوا قرئ بالتخفيف • والتشديد وتمسكوا ولا تمسكوا • وقوله تعالى واسألوا ما أنفقتم
وهو إذا لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ولم يدفعوها إليكم فعليهم
أن يغرموا صداقها كما يغرم لهم وهو قوله تعالى وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم من المسلمين والكفار
وقوله فامتحنوهن أمر بمعنى الوجوب أو بمعنى الندب أو بغير هذا وذاك • قال الواحدي هو بمعنى الاستحباب • الثاني
ما الفائدة في قوله تعالى الله أعلم بإيمانهن وذلك معلوم من غير شك • نقول فائدته بيان أن لا سبيل إلى ما تطمئن به النفس
من الإحاطة بحقيقة إيمانهن وأن ذلك مما استأثر به علام الغيوب • الثالث ما الفائدة في قوله ولا هم يحلون لهن ويمكن أن يكون
في أحد الجانبين دون الآخر • نقول هذا باعتبار الإيمان من جانبهن ومن جانبهم إذ الإيمان من الجانبين شرط للحل ولأن الذكر من الجانبين
مؤكد لارتفاع الحل • وفيه من الإفادة ما لا يكون في غيره • الرابع هب أنه كذلك لكن يكفي قوله فلا ترجعوهن إلى الكفار
وأنه لا يحل أحدهما للآخر فلا حاجة إلى الزيادة عليه والمقصود • نقول لا يلفظ بهذا اللفظ لا يفيد ارتفاع الحل من الجانبين
بخلاف اللفظ بذلك اللفظ قال الله تعالى وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم
مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون • روي عن الزهري ومسروق أن من حكم الله تعالى أن يسأل المسلمون

فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب

من الكفار مهر المرأة المسلمة اذا صارت اليهم ويسال الكفار من المسلمين مهر من صارت اليهم من نسائهم مسلمة فاقر
المسلمون بحكم الله تعالى وابى المشركون فنزلت وان فاتكم اى سبقكم وانفلت منكم قال الحسن ومقاتل نزلت
في ام الحكم بنت ابى سفيان ارتدت وتركت زوجها عياش بن غنم القرشى ولم ترتد امراة من قريش غيرها ثم عادت
الى الاسلام قوله فعاقبتم فغنمتم على قول ابن عباس ومسروق ومقاتل وقال ابو عبيدة اصبتم منهم عقبا وقال
المبرد تعاقبتم اى فعلتم ما فعل بكم يعنى ظفرتم وهو من قولك العقبى لفلان اى العاقبة وتاويل العاقبة الكرة الاخيرة
ومعنى عاقبتم غزوتم معاقبين غزوا بعد غزو وقيل كانت العقبى لكم اى الغلبة فاعطوا الازواج من راس الغنيمة
ما انفقوا عليهن من المهر وهو قوله فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا وقرئ فاعقبتم مخففا ومشددا
بفتح القاف وكسرها قوله تعالى يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن
واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم روى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال
اخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر اسفل منه فنزلت الاية وشرط فى مبايعة النساء ان ياخذ عليهن هذه
الشروط المذكورة فى الاية وقوله ولا يسرقن تتضمن النهى عن الخيانة فى الاموال والنقصان من العبادة فانه
يقال اسرق السارق من سرق من صلاته ولا يزنين يحتمل حقيقة الزنا ودواعيه على ما قال صلى الله عليه وسلم
اليدان تزنيان والعينان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك ويكذبه قوله ولا يقتلن اولادهن
اى ما كان يفعله اهل الجاهلية وهو عام فى كل نوع من قتل الولد وغيره ولا ياتين ببهتان نهيا عن النميمة اى لا تنم
احداهن على صاحبتها فتورثها القطيعة ويحتمل ان يكون نهيا عن الحاق الولد بازواجهن قوله ولا يعصينك
فى معروف اى فيما تامرهن به او تنهاهن عنه كالنوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب قاله كثير من اهل التفسير
ومنهم من خص هذا المعروف بالنوح والمعنى لا يعصينك فى شى من امرك فبايعهن جواب اذا بايعنك على هذه الشرائط
فبايعهن واختلفوا فى كيفية المبايعة فقالوا كان يبايعهن وبين يديه وايديهن ثوب وقيل كان يشترط عليهن
البيعة وعمر يصافحهن قاله الكلبى وقيل بايعهن بالكلام وقيل دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم غمسن ايديهن فيه
وما مست يد رسول الله يد قط وفى الاية مباحث الاول قال الله تعالى اذا جاءك المؤمنات ولم يقل فامتحنوهن
كما قال فى المهاجرات والجواب ان الامتحان حاصل بقوله تعالى على ان لا يشركن الى اخره وايضا ان المهاجرات ياتين
من دار الحرب فلا اطلاع لهن على الشرايع فلا بد من الامتحان واما المؤمنات فهن فى دار الاسلام وعلمن الشرايع فلا
حاجة الى الامتحان الثانى ما الفايدة فى قوله تعالى بين ايديهن وارجلهن وما وجهه نقول المراة اذا التقطت
ولدا فانما التقطته بيدها ومشت برجليها الى الحاضن فاذا اضافته الى زوجها فقد اتت ببهتان تفتريه بين يديها
ورجليها وقيل يفترينه على انفسهن حيث يقلن هذا ولدنا وليس كذلك اذ الولد ولد الزنا وقيل الولد اذا وضعته
امه سقط بين يديها ورجليها الثالث ما وجه الترتيب فى الاشيا المذكورة وتقديم البعض فى الاية نقول قدم
الاقبح على ما هو الادنى فى القبح منه ثم كذلك الى اخره وقيل قدم من الاشيا المذكورة ما هو الاظهر فيما بينهم
ثم قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار
من اصحاب القبور قال ابن عباس يريد حاطب بن ابى بلتعة يقول لا تتولوا اليهود والمشركين وكذلك غيره لان جمعا
من فقرا المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين لحاجتهم اليهم فنهوا عن ذلك ويئسوا من الاخرة يعنى
ان اليهود كذبت محمدا وهم يعرفون انه رسول الله وانهم افسدوا آخرتهم بتكذيبهم اياه فهم ايسون من الاخرة
كما يئس الكفار من اصحاب القبور والتقييد بهذا القيد ظاهر لانهم اذا ماتوا على كفرهم كان العلم بخذلانهم وعدم
حظهم فى الاخرة قطعيا هذا قول الكلبى وجماعة يعنى الكفار الذين ماتوا فيئسوا من الجنة ومن ان يكون لهم خير
فى الاخرة وقال الحسن يعنى الاحيا من الكفار يئسوا من الاموات وقال ابو اسحق يئس اليهود الذين عاندوا
النبى صلى الله عليه وسلم كما يئس الكفار الذين لا يؤمنون بالبعث من موتاهم والله اعلم تم تفسير هذه السورة

## سورة الصف اربع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما فى السموات
وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وجه التعلق بما قبلها هو ان





تلك السورة بيان الخروج جهادا فى سبيل الله ابتغاء مرضاته كما قال ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى وفى
هذه السورة بيان ما يحمل اهل الايمان ويحثهم على الجهاد بقوله ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
اما الاول بالاخر فكانه قال الكفار الكفرة بجملتهم يصفون حضرتنا المقدسة بما لا يليق بالحضرة فقد كانت الملائكة وغيرهم
من الجن والانس يسبحون لحضرتنا كما قال سبح لله ما فى السموات وما فى الارض اى يشهد له بالربوبية والوحدانية وغيرهما
من الصفات الحميدة جميع ما فى السموات والارض والعزيز من عز اذا غلب وهو الذى يغلب على غيره اى شى كان ذلك الغير
ولا يمكن ان يغلب عليه غيره والحكيم من حكم على شى اذا قضى عليه وهو الذى يحكم على غيره اى شى كان ذلك الغير ولا يمكن ان يحكم
عليه غيره فقوله سبح لله ما فى السموات وما فى الارض يدل على الربوبية والوحدانية ثم انه تعالى قال فى البعض من السور
سبح لله وفى البعض منها يسبح لله وفى البعض سبح بصيغة الامر ليعلم ان تسبيح حضرة الله دايم غير منقطع لما ان الماضى
يدل عليه فى الماضى من الزمان والمستقبل يدل عليه فى المستقبل من الزمان والامر يدل عليه فى الحال وقوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون منهم من قال هذه الاية فى حق جماعة من المؤمنين وهم الذين احبوا ان
يعلموا احب الاعمال الى الله فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وان الله يحب الذين
يقاتلون فاحبوا الحياة وتولوا يوم احد فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل هى فى حق من يقول قاتلت
ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وفعلت ولم يفعل وقيل انها فى حق اهل النفاق فى القتال لانهم تمنوا القتال فلما
امر الله تعالى به قالوا لم كتبت علينا وقيل انها نزلت فى حق كل مؤمن لانهم اعتقدوا الوفا بما وعدهم الله تعالى على
الطاعة والاستسلام والخضوع والخشوع فاذا لم يوجد الوفا بما وعدهم الله خيف عليهم فى كل زلة ان يدخلوها
فى هذه الاية ثم فى هذه الاية مباحث الاول قال الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض فى اول سورة ثم قال
ذلك فى اول سورة اخرى وهذا هو التكرار والتكرار عيب فكيف هو فنقول يمكن ان يكون تكرره ليعلم انه فى نفس
الامر مكرر لان ما وجد منه التسبيح عند وجود العالم بايجاد الله تعالى فهو غير ما وجد منه التسبيح بعد وجود العالم
وكذا عند وجود العالم وكذا عند وجود آدم وبعد وجوده الثانى قال سبح لله ما فى السموات وما فى الارض ولم
يقل سبح لله السموات والارض وما فيهما مع ان فى هذا من المبالغة ما ليس فى ذلك فنقول انما يكون كذلك لو كان المراد
[illegible]

لما

يقال

والاستفهام من الله تعالى محال وهو عالم بجميع الاشياء

علما قطعيا انى رسول الله وقضيته علمكم بذلك وموجبه التعظيم والتوقير • فلما زاغوا اى مالوا الى غير الحق ازاغ الله قلوبهم اى امالها عن الحق وهو قول ابن عباس وقال مقاتل زاغوا اى لما عدلوا عن الحق بابدانهم ازاغ الله اى امال قلوبهم عن الحق واضلهم جزاء بما عملوا • ويدل عليه قوله تعالى والله لا يهدى القوم الفاسقين قالوا يحتمل معناه والله لا يهدى من سبق فى علمه انه فاسق • وفى هذا تنبيه على عظم ايذاء الرسول حتى انه يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى • وقيل معناه التوكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه ثم قال تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين • قوله انى رسول الله اى اذكروا انى رسول الله ارسلت اليكم بالوصف الذى وصفت به فى التوراة ومصدقا بالتوراة وبكتب الله وبانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر • ومبشرا اى برسول يصدق بالتوراة على مثل تصديقى • فكانه قيل له ما اسمه • فقال اسمه احمد ياتى من بعدى جملتان فى موضع الجر لانهما صفتان للنكرة التى هى برسول • وفى بعدى اسمه قراءتان تحريك الياء بالفتح على الاصل وهو الاختيار عند الخليل وسيبويه فى كل موضع تذهب فيه الياء لالتقاء الساكنين واسكانها كما فى قوله ومن دخل بيتى فمن اسكن فى قوله من بعدى اسمه حذف الياء من اللفظ لالتقاء الساكنين الياء والسين من اسمه قاله المبرد وابو على قوله تعالى احمد يحتمل معنيين • احدهما المبالغة فى الفاعل يعنى اكثر حمدا لله من غيره • وثانيهما المبالغة من المفعول يعنى انه يحمد بما فيه من الاخلاص والاخلاق الحسنة اكثر مما يحمد غيره وقوله تعالى فلما جاءهم بالبينات قيل هو عيسى وقيل هو محمد عليه الصلاة والسلام • ويدل على ان الذى جاءهم بالبينات محمد وانه جاءهم بالمعجزات والبينات وان الذى جاء به انما جاء به من عند الله وقوله هذا سحر مبين ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب • اى من اقبح ظلما ممن بلغ افتراؤه المبلغ الذى يفترى على الله الكذب انهم قد علموا ان ما نالوه من نعمة وكرامة فانما نالوه من الله تعالى ثم كفروا به وكذبوا على الله وعلى رسوله والله لا يهدى القوم الظالمين اى لا يوفقهم الله للطاعة عقوبة لهم • وفيه مباحث الاول ثم انتصب مصدقا ومبشرا بما فى الرسول من معنى الارسال ام باليكم نقول بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول ثم قال تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون • ليطفئوا اى ان يطفئوا وكان هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تاكيدا له لما فى معنى الارادة فى قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام فى لا اباك تاكيدا لمعنى الاضافة فى لا اباك واطفاء نور الله بافواههم تهكم بهم فى ارادتهم ابطال الاسلام • بقولهم فى القرآن هذا سحر • مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه كذا ذكره فى الكشاف قوله تعالى والله متم نوره بكسر الراء على الاضافة • والاصل هذا التنوين قال ابن عباس يظهر دينه وقال صاحب الكشاف متم الحق ومبلغه غايته • وقيل دين الله وكتاب الله ورسول الله كل واحد من هذه الثلاثة بهذه الصفة لانه يظهر عليه من الاشارة • وثانيها انه نور الله ساطع ابدا • وطالع من مطلع لا يمكن زواله اصلا وهو الحضرة القدسية وكل واحد من الثلاثة كذلك • وثالثها ان النور نحو العلم والظلمة نحو الجهل • والنور الايمان يخرجهم من الظلمات الى النور • والاسلام هو النور • او يقال الدين وضع الهى سائق لاولى الالباب الى الخير باختيارهم المحمودة وذلك هو النور والكتاب هو المبين قال الله تعالى تلك آيات الكتاب المبين والابانة فى الكتاب هو النور او يقال الكتاب حجة لكونه معجزة والحجة نور النور فالكتاب كذلك • والذى يقال فى الرسول انه النور والما وصف بكونه رحمة للعالمين اذ الرحمة باظهار ما يكون من الاسرار وذلك بالنور او نقول انه هو النور لان بواسطته اهتدى الخلق او هو النور لكونه مبينا للناس ما نزل اليهم والمبين هو النور ثم الفوائد فى كونه نورا بوجوه • منها انه يدل على شان نور وعظمة برهانه وذلك بوجهين • احدهما الوصف بالنور • وثانيهما الاضافة الى الحضرة • ومنها اذا كان نورا من انوار الله كان مشرقا فى جميع اقطار العالم لانه لا يكون مخصوصا ببعض الجوانب فكان رسولا الى جميع الخلائق لما روى عنه صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود فلا يوجد شخص من الجن والانس الا ويكون من امته ان كان مؤمنا فهو من امة المتابعة • وان كان كافرا فهو من امة الدعوة وقوله تعالى ولو كره الكافرون • اى اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين • وقيل بالهدى لمن اتبعه ودين الحق قيل الحق هو الله تعالى اى دين الله • وقيل نعت للدين اى والدين الذى هو الحق • وقيل الذى يحق اى تبعه كل احد وليظهره على الدين كله يريد الاسلام • وقيل ليظهره اى الرسول بالغلبة وذلك بالحجة • وفيه مباحث الاول والله متم نوره • والتمام لا يكون الا عند النقصان • فكيف نقصان هذا النور • فنقول اتمامه بحسب النقصان فى الاثر وهو الظهور فى سائر البلاد من المشارق الى المغارب اذ الظهور لا يظهر الا بالاظهار وهو الاتمام يؤيده

قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم • وعن ابى هريرة ان ذلك عند نزول عيسى من السماء قاله مجاهد • الثانى قال ههنا متم نوره وقال فى موضع آخر متم نوره • وهذا عين ذلك او غيره • نقول هو غيره لان نور الله فى ذلك الموضع هو الله تعالى عند اهل التحقيق • وههنا هو الدين او الكتاب او الرسول • الثالث قال فى الاية المتقدمة ولو كره الكافرون وقال فى المتاخرة ولو كره المشركون فما الحكمة • نقول انهم انكروا الرسول وما انزل اليه وهو الكتاب وذلك من نعم الله والكافرون كلهم مشتركون فى كفران النعم فلهذا قال ولو كره الكافرون • ولان لفظ الكافر اعم من لفظ المشرك والمراد من الكافرين ههنا اليهود والنصارى والمشركون فاللائق به ولو كره الكافرون ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه • والنبى صلى الله عليه وسلم دعاهم فى ابتداء الدعوة الى التوحيد بلا اله الا الله ولم يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله • فلهذا قال ولو كره المشركون ثم قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • قوله هل ادلكم فى معنى الامر عند الفراء يقال هل انت ساكت اى اسكت وبيانه ان هل بمعنى الاستفهام ثم تتدرج الى ان يصير عرضا وحثا والحث كالاغراء والاغراء امر وقوله تعالى على تجارة وهى التجارة بين اهل الايمان وحضرة الله تعالى كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم دل عليه تؤمنون بالله ورسوله • والتجارة عبارة عن معاوضة الشىء بالشىء كما ان التاجر ينجى التاجر من محنة الفقر ورحمة الصبر على ما هو من لوازمه • فكذلك هذه التجارة وهى التصديق بالجنان • والاقرار باللسان كما قيل فى تعريف الايمان فلهذا قال بلفظ التجارة كما ان فى التجارة الربح والخسران فكذلك فى هذا فان من آمن وعمل صالحا فله من الاجر والربح الوافر واليسار المبين • ومن اعرض عن العمل فله من الغبن والخسران المبين قوله تعالى تنجيكم من عذاب اليم • قرئ مخففا ومثقلا • وتؤمنون بالله ورسوله هو خبر فى معنى الامر • ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم قوله تعالى وتجاهدون فى سبيل الله والجهاد بعد هذين الوجهين ثلاثة جهاد فيما بينه وبين نفسه وهو قهر النفس ومنعها عن اللذات والشهوات • وجهاد فيما بينه وبين الخلق وهو ان يدع الطمع منهم وان يشفق عليهم ويرحمهم وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو ان يتخذها زاد المعاد فيكون على خمسة اوجه قوله تعالى ذلكم خير لكم يعنى الذى امركم به من الايمان والجهاد فى سبيله خير لكم من ان تتبعوا اهواءكم ان كنتم تعلمون اى ان كنتم تنتفعون بما علمتم فهو خير لكم • وفى الاية مباحث الاول تؤمنون بلفظ الخبر • نقول للايذان بوجوب الامتثال عن ابن عباس رضى الله عنهما قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لعملنا فنزلت هذه الاية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هى فدلهم الله تعالى عليها بقوله تؤمنون بالله الرابع ما معنى ان كنتم تعلمون • نقول ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم • وهذه الوجوه للكشاف • واما الغير فقال الخوف من نفس العذاب لا من العذاب الاليم • والعذاب الاليم هو نفس العذاب مع غيره والخوف من اللوازم كقوله وخافون ان كنتم مؤمنين • ومنها ان الامر بالايمان كيف هو بعد قوله يا ايها الذين آمنوا • فنقول يمكن ان يكون المراد من هذه الاية المنافقين وهم الذين آمنوا فى الظاهر ويمكن ان يكون اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم آمنوا بالكتب المتقدمة فكانه قال يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة آمنوا بالله ومحمد رسول الله • ويمكن ان يكون اهل الايمان كقوله فزادتهم ايمانا ليزدادوا ايمانا او هو الامر بالثبات كقوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت • والامر بالتجدد كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من جدد وضوءه فكانما جدد ايمانه • ومنها ان رجاء النجاة كيف هو اذا آمن بالله ورسوله ولم يجاهد فى سبيل الله وقد علق بالمجموع • ومنها ان هذا المجموع هو الايمان بالله ورسوله والجهاد بالنفس والمال فى سبيل الله خير فى نفس الامر ثم قال الله تعالى يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين قوله تعالى يغفر لكم ذنوبكم جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله لما انه فى معنى الامر كانه قال آمنوا بالله وجاهدوا فى سبيل الله يغفر لكم • وقيل جوابه ذلكم خير لكم • وجزم يغفر لكم لما انه ترجمة ذلكم خير لكم ومحله جزم كقوله تعالى لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق جزم على قوله لولا اخرتنى • وقيل جزم يغفر بهل لانه فى معنى الامر قوله ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار الى آخر الاية من جملة ما تقدم بيانه فى التوراة • ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى دعاهم فى هذه الاية الى مفارقة مساكنهم وانفاق اموالهم والجهاد وهو قوله يغفر لكم • وقوله تعالى ذلك الفوز العظيم يعنى ذلك الجزاء الدائم هو الفوز العظيم • وقد مر قوله تعالى واخرى تحبونها اى تجارة اخرى فى العاجل مع ثواب الآجل • او خصلة اخرى تحبونها فى الدنيا مع ثواب الآخرة وقوله تعالى نصر من الله هو مفسر للاخرى لانه يحسن ان يكون نصر من الله مبشر التجارة اذ النصر لا يكون تجارة لنا بل هو رابح للتجارة قوله تعالى فتح قريب اى عاجل وهو فتح مكة • وقال الحسن فارس والروم • وفى تحبونها شىء من التوبيخ على محبة العاجل ثم فى الاية مباحث الاول قوله وبشر المؤمنين عطف على تؤمنون لانه فى معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا

والعذاب الاليم هو نفس العذاب مع غيره والخوف من اللوازم

يثبتكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك ، ويقال ايضا ثم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا ، فيقال على الاختصاص
او على ينصرون نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم ويؤتكم خيرا ، واخرى نصرا وفتحا هكذا ذكر في الكشاف ثم قال تعالى
يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله
قوله تعالى كونوا انصار الله ، امر بادامة النصرة والثبات عليه اي كونوا على ما انتم عليه من النصرة ويدل عليه قراءة ابن
مسعود كونوا انتم انصار الله فاخبر عنهم بذلك اي انصار دين الله ، وقوله كما قال عيسى بن مريم للحواريين اي انصروا دين
الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم من انصاري الى الله قال مقاتل يعني من يمنعني من الله وقال عطا من ينصرني وينصر دين الله
ومنهم من قال امر الله المؤمنين ان ينصروا محمدا كما نصر الحواريون عيسى ، وفيه اشارة الى ان النصرة بالجهاد لا يكون مخصوصا
بهذه الامة ، والحواريون اصفياؤه ، واول من آمن به ، وكانوا اثني عشر رجلا ، وحواري الرجل صفيه وخليصه من
الحور وهو البياض ، ومنه الحوارى البيضاء الخالصة البياض ، وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها ، وا
لانصار نحن قتادة ان الانصار كلهم من قريش ابو بكر وعمر وعلي وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد
الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابي وقاص وعثمان عوف ، وطلحة بن عوف والزبير بن العوام ، ثم في الآية مباحث الاول
التشبيه محمول على المعنى والمراد كونوا كما كان الحواريون ، الثاني ما معنى قوله من انصاري الى الله ، نقول يجب ان يكون
معناه مطابقا لجواب الحواريين الذي يطابقه ان يكون المعنى من عسكري متوجها الى نصرة الله ، واضافة انصاري خلاف اضافة
انصار الله لما ان المعنى في الاول الذين ينصرون الله ، وفي الثاني يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ، الثالث اصحاب
عيسى قالوا نحن انصار الله واصحاب محمد لم يقولوا هكذا ، نقول خطاب عيسى بطريق السؤال فالجواب لازم ، وخطاب
محمد بطريق الاكرام فالجواب غير لازم بل اللازم امتثال هذا الامر وهو قوله كونوا انصار الله ثم قال الله تعالى فآمنت
طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين قال ابن عباس يعني الذين آمنوا في
زمن عيسى والذين كفروا كذلك لان عيسى لما رفع الى السماء تفرقوا ثلاث فرق ، فرقة قالوا كان الله فارتفع ، وفرقة قالوا كان
ابن الله فرفعه اليه ، وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المسلمون ، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس
اجتمع الطائفتان الكافرتان على الطائفة المسلمة فقتلوهم وطردوهم من الارض فكانت الحالة هذه حيث
بعث الله محمدا فظهرت المؤمنة على الكافرة ، فكذلك قوله تعالى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم ، وقال مجاهد
فاصبحوا ظاهرين اي من اتبع عيسى وهو قول المقاتلين ، وعلى هذا القول معنى الآية ان من آمن بعيسى ظهروا على
من كفروا به واصبحوا غالبين على اهل الاديان ، وقال ابرهيم اصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد
صلى الله عليه وسلم ان عيسى كلمة الله وروحه قال الكلبي ظاهرين بالحجة وهو قول زيد بن علي رضي الله عنهما والله اعلم بالصواب

## سورة الجمعة [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض
الملك القدوس العزيز الحكيم ، وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو انه تعالى قال في اول تلك السورة سبح لله بلفظ
الماضي وذلك لا يدل على التسبيح في المستقبل فقال في اول هذه السورة بلفظ المستقبل ليدل على التسبيح في الزمان
الحاضر والمستقبل ، اما تعلق الاول بالآخر فلانه تعالى ذكر في آخر تلك السورة انه كان يؤيد اهل الايمان حتى صاروا
غالبين على الكفار وذلك على وفق الحكمة لحاجتهم اليه اذ هو غني على الاطلاق ومنزه عما يخطر ببال الجهلة في الآفاق ، وفي
اول هذه السورة ما يدل على كونه مقدسا ومنزها عما لا يليق بحضرته العالية بالاتفاق ثم اذا كان خلق السموات
والارض اجمعهم في تسبيح حضرة الله تعالى فله الملك كما قال يسبح لله ما في السموات وما في الارض ولا ملك اعظم
من هذا وهو انه خالقهم ومالكهم ، وكلهم في قبضة قدرته وتحت تصرفه ، ويسبحون له آناء الليل واطراف النهار
بل في سائر الازمان كما مر في اول تلك السورة ، ولما كان الملك كله له فهو الملك على الاطلاق ، ولما كان الكل
بخلقه فهو المالك ، والمالك اشرف من المملوك ، فيكون متصفا بصفات يحصل منها الشرف فلا يحل ما ينافيه
من الصفات فيكون قدوسا ، فلفظ الملك اشارة الى ما يكون من الصفات العالية ، ولفظ القدوس اشارة
الى نفي ما لا يكون منها ، وعن الغزالي قدس الله روحه ، القدوس هو المنزه عما يخطر ببال اوليائه وقد مر تفسيره
وكذلك الحكيم ، ثم الصفات المذكورة قرئت بالرفع على المدح اي هو الملك القدوس ، ولو قرئت بالنصب لكان
وجها كقول العرب الحمد لله كذا ذكره صاحب الكشاف ، ثم في الآية مباحث الاول قال الله تعالى يسبح لله ما في السموات

فالقادر



ما الفائدة ، نقول هذا من جملة ما يجري فيه اللفظان [illegible] الثاني القدوس من الصفات
السلبية [illegible]
[illegible] قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا
منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، الامي منسوب الى امة [illegible]
[illegible]
رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]

مثلا فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين
حملوا التوراة اي حملوا العمل بما فيها وكلفوا القيام بها ، وحملوا اقرئ بالتخفيف والتثقيل قال صاحب النظم ليس هو من الحمل
على الظهر انما هو من الحمالة بمعنى الكفالة والضمان ، ومنه قيل للكفيل الحميل ، والمعنى ضمنوا احكام التوراة ، ثم
لم يضمنوها ولم يعملوا بما فيها قال الاصمعي الحميل الكفيل ، وقال الكسائي حملت له حمالة اي كفلت به ، والاسفار جمع سفر
وهو الكتاب الكبير لانه يسفر عن المعنى اذا قرئ ، ونظيره شبر واشبار ، شبه اليهود اذ لم ينتفعوا بما في التوراة وهي دالة
على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل العلمية ولا يدري ما فيها ، وقال اهل المعاني هذا مثل من لم يفهم معاني
القرآن ولم يعمل به ، واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القرآن اتبعوا القرآن قبل

والمراد بالاميين العرب والآخرين سواهم الى يوم

أن تبعلكم ثم تلى هذه الآية • وقوله تعالى لم يحملوها لم يؤدوا حقها ولم يحملوها حق حملها على ما بينا فشبههم والتوراة
في أيديهم وهم لا يعملون بها بحمار يحمل كتبا وليس له من ذلك الا ثقل الحمل من غير انتفاع بما حمله كذلك اليهود ليس لهم من كتابهم
الا وبال الحجة عليهم • ثم ذم هذا المثل • والمراد كفهم فقال بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي بئس مثل القوم الذين كذبوا
كما قال ساء مثلا القوم الذين كذبوا • وموضع الذين رفع • ويجوز ان يكون نصبا • وبالجملة لما بلغ كذبهم مبلغا كذبوا على
الله كان في غاية الشر والفساد • فلهذا قال بئس مثل • والمراد بالآيات هنا الآيات الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو قول ابن عباس ومقاتل • وقيل الآيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو الاشبه
هنا والله لا يهدي القوم الظالمين قال عطا يريد الذين ظلموا انفسهم بتكذيب الانبيا • وهاهنا مباحث الاول
ما الحكمة في تعيين الحمار من بين سائر الحيوانات • قلنا لوجوه • منها انه تعالى خلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
والزينة في الخيل اكثر واظهر بالنسبة الى الركوب وحمل الشي عليه • وفي البغال دون الخيل • وفي الحمار دون البغال فالبغال
كالمتوسط في المعاني الثلاثة • وحينئذ يلزم ان يكون الحمار في معنى الحمل اظهر واغلب بالنسبة الى الخيل والبغال وغيرهما
من الحيوانات • ومنها ان هذا التمثيل لاظهار الجهل والبلادة • ومنها ان في الحمار من الذل والحقارة ما لا يكون في الغير والغرض
من الكلام في هذا المقام تعيير اولئك القوم وتحقيرهم فيكون تعيين الحمار اليق واولى • ومنها ان حمل الاسفار على الحمار اتم واولى
واسهل لكونه ذليلا سلس القياد هين الانقياد يتصرف فيه الصبي الغبي من غير كلفة ومشقة • وهذا من جملة ما يوجب حسن
الذكر بالنسبة الى غيره • ومنها ان رعاية الالفاظ والمناسبة بينهما من اللوازم في الكلام وبين لفظ الاسفار والحمار مناسبة
لفظية لا توجد في الغير من الحيوانات فكان ذكره اولى الثاني يحمل ما محله نقول النصب على الحال او الجر على الوصف كما قال
في الكشاف اذ الحمار كاللئيم كما في قوله • ولقد امر على اللئيم يسبني الثالث قال الله بئس مثل القوم كيف يوصف المثل بهذا
الوصف • وان كان في الظاهر في المثل فهو راجع الى القوم فكانه قال بئس القوم قوما مثلهم هكذا • ثم انه تعالى امر
النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب لهم وهو قوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين هذه الآية من جملة ما مر بيانه • وقرئ
فتمنوا الموت بكسر الواو • وهادوا اي تهودوا وكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فلو كان قولكم حقا وانتم على ثقة فتمنوا
على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي اعدها لاوليائه قال الشاعر • شعر

ليس من مات فاستراح بميت • انما الميت ميت الاحياء • فهم من طلب الموت لا محالة

اذا كانت الحالة هذه • وقوله تعالى ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما قدموا من الكفر وذكر مرة بلفظ التاكيد
ولن يتمنوه مرة بغير لفظ التاكيد ولا يتمنونه والله عليم بالظالمين اي بظلمهم من تحريف الآيات وعنادهم لها ومكابرتهم
اياها ثم قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه بما قدمت ايديكم من تحريف الآيات وغيره فانه ملاقيكم لا محالة ولا
ينفعكم الفرار ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون اما عيانا بما تقرؤونه في كتابكم يوم القيامة وبالجزاء
ان كان خيرا فخير وان شرا فشر • وقوله ان الموت الذي تفرون منه هو التنبيه على السعي فيما ينفعهم في الآخرة • وقوله فينبئكم
بما كنتم تعملون هو الوعيد البليغ والتهديد الشديد • ثم في الآية مباحث الاول ادخل الفاء لما انه في معنى الشرط والجزاء وفي
قراءة ابن مسعود ملاقيكم من غير فانه الثاني ان يقال الموت ملاقيهم على كل حال فروا او لم يفروا فما معنى الشرط والجزاء
قيل ان هذا على جهة الرد عليهم اذ ظنوا ان الفرار ينجيهم • وقد صرح بهذا المعنى وافصح بالشرط الحقيقي في قوله

ومن هاب اسباب المنايا تنلنه • ولو نال اسباب السماء بسلم • ثم قال الله تعالى

يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • فاذا
قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون • وجه التعلق بما قبلها
هو ان الذين هادوا يفرون من الموت لمتاع الدنيا وطيباتها • والذين آمنوا يبيعون ويشترون لمتاع الدنيا وطيباتها
كذلك فنبههم الله تعالى بقوله فاسعوا الى ذكر الله الى ما ينفعكم في الآخرة وهو حضور الجمعة لان الدنيا ومتاعها
فانية • والآخرة وما فيها باقية • قال الله تعالى والآخرة خير وابقى • واذا نودي يعني النداء اذا جلس الامام على المنبر
يوم الجمعة وهو قول مقاتل وانه كما قال لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس
النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال على باب المسجد • وكذا على عهد ابي بكر وعمر عليهما السلام • وقوله للصلاة
اي لوقت الصلاة يدل عليه قوله من يوم الجمعة • ولا تكون الصلاة من اليوم وانما يكون وقتها من اليوم قال الليث الجمعة
يوم خص به لاجتماع الناس في ذلك اليوم ويجمع على الجمعات والجمع • وعن سلمان قال صلى الله عليه وسلم سميت الجمعة
لان آدم جمع فيها خلقه • وقيل لما انه تعالى فرغ فيها من خلق الاشياء فاجتمعت فيها المخلوقات • قال الفراء وفيه

والحقارة

ابي بكر وعمر

ثلاث لغات

ثلاث لغات التخفيف وهي قراءة الاعمش • والتثقيل وهي قراءة العامة وهي لغة بني عقيل • وقوله تعالى فاسعوا الى
ذكر الله اي فامضوا • وقيل فامشوا وعلى هذا معنى السعي المشي لا العدو وقال الفراء المضي والسعي والذهاب في معنى
واحد • وعن عمر انه سمع رجلا يقرأ فاسعوا قال من اقرأك هذا قال ابي قال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت
حتى يسقط ردائي • وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو • والسعي التصرف في كل عمل • ومنه قوله تعالى فلما
بلغ معه السعي قال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام لكنه سعي بالقلوب • وسعي بالنية وسعي بالرغبة ونحو هذا
والسعي هنا هو العمل عند قوم وهو مذهب مالك والشافعي اذ السعي في كتاب الله العمل قال تعالى واذا تولى سعى في
الارض وان سعيكم لشتى اي العمل • وروي عنه صلى الله عليه وسلم اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها وانتم تسعون ولكن
ائتوها وعليكم السكينة • واتفق الفقهاء على ان النبي صلى الله عليه وسلم مشى الى الجمعة على هينته • والذكر هو الخطبة
عند الاكثر من اهل التفسير • وقيل هو الصلاة • واما الاحكام المتعلقة بهذه الآية فانها تعرف من الكتب الفقهية
وقوله تعالى وذروا البيع قال الحسن اذا اذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع • وقال عطا اذا زالت الشمس حرم
البيع والشرا • وقوله تعالى ذلكم خير لكم اي في الآخرة ان كنتم تعلمون ما هو خير لكم واصلح • وقوله تعالى فاذا
قضيت اذا صليتم الفريضة يوم الجمعة فانتشروا في الارض هذا صيغة الامر بمعنى الاباحة لما ان اباحة الانتشار زائلة
بفرضية اذا الصلاة فاذا زال ذلك عادت الاباحة فيباح لهم ان يتفرقوا في الارض ويبتغوا من فضل الله وهو الرزق
ونظيره قوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم قال ابن عباس اذا فرغتم من الصلاة فان شئت فاخرج وان
شئت فصل الى العصر وان شئت فاقعد • وكذلك قوله تعالى وابتغوا من فضل الله فانه صيغة امر بمعنى الاباحة ايضا
لطلب الرزق بالتجارة بعد المنع بقوله تعالى وذروا البيع • وعن مقاتل احل لهم ابتغاء الرزق بعد الصلاة • فمن شاء خرج
ومن شاء لم يخرج وقال مجاهد ان شاء فعل وان شاء لم يفعل • وقال الضحاك هو اذن من الله اذا فرغ فان شاء خرج
وان شاء قعد • والافضل في الابتغاء من فضل الله ان يطلب الرزق او الولد الصالح او العلم النافع وغير ذلك من الامور
الحسنة والظاهر هو الاول • وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال
اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين • وقوله
واذكروا الله كثيرا قال مقاتل باللسان • وقال سعيد بن جبير بالطاعة • وقال مجاهد لا تكون من الذاكرين كثيرا حتى
تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا • والمعنى اذا رجعتم الى التجارة وانصرفتم الى البيع والشرا مرة اخرى فاذكروا الله كثيرا
قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله • وعن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم السوق فقولوا لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شي قدير كتب الله له الف الف حسنة وحط عنه الف الف خطيئة
[illegible]

وعن عمر عن النبي عليه السلام اذا اتيتم السوق فقولوا

الجمعة قال جابر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخطبة الا وهو قائم • وسئل عبد الله أكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخطب قائما او قاعدا فقرأ وتركوك قائما • وقوله قل ما عند الله اي ثواب الصلاة والثبات
مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة من اللهو الذي ذكره • والتجارة التي جابها
دحية • وقوله تعالى والله خير الرازقين هو من قبيل احكم الحاكمين واحسن الخالقين • والمعنى ان امكن وجود
الرازقين فهو خير الرازقين • وقيل لفظ الرازق لا يطلق على غيره الا بطريق المجاز ولا ارتياب في ان الرازق في
الحقيقة خير من الرازق بطريق المجاز • وفي الآية مباحث • الاول ان التجارة واللهو من قبيل ما لا يرى اصلا • ولو
كان كذلك كيف يصح واذا رأوا تجارة او لهوا • نقول ليس المراد الا ما يقرب منه اللهو والتجارة • ومثله حتى يسمع كلام الله
اذ الكلام ما هو غير مسموع صوت يدل عليه • ومنها انفضوا اليها كيف قال اليها • وقد ذكر شيئين • وقد مر الكلام
فيه • ومنها قال صاحب الكشاف واذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه • ومنها
ان قوله والله خير الرازقين مناسب للتجارة التي ذكرها لا للهو • نقول بل هو مناسب للمجموع لما ان اللهو
الذي مر ذكره كان للبيع والتجارة لما انهم اظهروا ذلك فرحا بورود التجارة كما مر والله اعلم • تم تفسير السورة

## سورة المنافقون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون • وجه تعلق
هذه السورة بما قبلها هو ان تلك السورة مشتملة على ذكر بعثة الرسول وذكر من كان يكذبه قلبا ولسانا بضرب المثل
كما قال مثل الذين حملوا التوراة • وهذه السورة على ذكر من كان يكذبه قلبا دون اللسان ويصدقه لسانا دون
القلب • واما الاولى بالآخر فذلك ان في آخر تلك السورة تنبيه لاهل الايمان على تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم
ورعاية حقه بعد الرعاية لصلاة الجمعة • وتقديم متابعته في الاداء على غيره • فان ترك التعظيم والمتابعة
من شيم المنافقين • والمنافقون هم الكاذبون كما قال في اول هذه السورة اذا جاءك المنافقون يعني عبد الله بن
ابي واصحابه • قالوا نشهد انك لرسول الله تم الخبر عنهم • ثم ابتدأ فقال والله يعلم انك لرسوله اي انه
ارسلك فهو يعلم انك لرسوله • والله يشهد انهم اضمروا غير ما اظهروا وانه يدل على ان حقيقة الايمان
بالقلب وحقيقة كل كلام كذلك فان من اخبر عن شيء واعتقد بخلافه فهو كاذب كما ان الكذب باعتبار المخالفة في الوجود
اللفظي والوجود الذهني كان الجهل باعتبار المخالفة بين الوجود الذهني والوجود الخارجي • الا ترى انهم كانوا
يقولون بألسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماهم الله كاذبين لما ان قولهم يخالف اعتقادهم • وقال قوم لم يكذبهم
الله تعالى في قولهم نشهد انك لرسول الله • وانما كذبهم بغير هذا من الاكاذيب الصادرة عنهم في قوله تعالى يحلفون
بالله ما قالوا الآية • ويحلفون بالله انهم لمنكم • وجواب اذا قالوا نشهد • اي انهم اذا اتوك شهدوا لك بالرسالة
فهم كاذبون في تلك الشهادة لما مر ان قولهم يخالف اعتقادهم • وفي الآية مباحث • الاول انهم قالوا نشهد انك
لرسول الله لا فائدة فيما افاد هذا ام لا • نقول افاد لان قوله نشهد انك لرسول الله صريح في الشهادة
على اثبات الرسالة • وقولهم ليس بصريح في اثبات العلم لما ان علمهم في الغيب عند غيرهم • ثم قال تعالى اتخذوا
ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون • اتخذوا ايمانهم جنة اي سترا يستترون به عما خافوا على انفسهم من القتل • ثم قال في الكشاف اتخذوا
ايمانهم جنة يجوز ان يراد ان نشهد انك لرسول الله يمين من ايمانهم الكاذبة لان الشهادة تجري مجرى الحلف في التوكيد
يقول الرجل اشهد واشهد بالله واعزم واحرم بالله في مواضع اقسم واقسم بالله واولي وبها استشهد ابو حنيفة
رحمه الله على ان اشهد يمين • ويجوز ان يكون وصفا للمنافقين في استخفافهم بالايمان فلم قالوا نشهد ولم يقولوا
نشهد بالله كما قلتم اجاب بعضهم عن هذا بانه في معنى الحلف من المؤمن في المتعارف لما يكون بالله فكذلك اخبر
بقوله نشهد عن قوله بالله قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله
وقيل صدوا اي صرفوا ومنعوا الضعفة عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وساء اي بئس ما كانوا يعملون
حيث آثروا الكفر على الايمان واظهروا خلاف ما اضمروا مغالطة للمسلمين • وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا
ذلك اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون • قال مقاتل ذلك الكذب بانهم آمنوا في الظاهر ثم كفروا في السر وفيه تأكيد

لقوله والله يشهد



لقوله والله يشهد انهم لكاذبون فيه ولا يستدلون بالدلائل الظاهرة قال ابن عباس ختم الله على قلوبهم بالكفر فهم لا يفقهون
القرآن وصدق محمد صلى الله عليه وسلم • وقيل انهم كانوا يظنون انهم على الحق فاخبر الله انه طبع على قلوبهم • ثم في الآية
مباحث • الاول انه تعالى ذكر احوال الكفرة من قبل ولم يقل انهم ساء ما كانوا يعملون ثم قال هنا نقول ان افعالهم
مقرونة بالايمان الكاذبة التي جعلوها جنة اي سترة لاموالهم ودمائهم عن ان يستبيحها المسلمون كما مر • الثاني المنافقون
لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله تعالى آمنوا ثم كفروا • نقول قال في الكشاف ثلاثة اوجه • احدها آمنوا
نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام • ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك • وثانيها آمنوا نطقوا
بالايمان عند المؤمنين • ثم كفروا نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام لقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
وثالثها ان يراد اهل الذمة منهم • الثالث الطبع على القلوب لا يكون الا من الله • ولما طبع الله على قلوبهم لا يمكنهم
ان يتدبروا ولا ان يستدلوا بالدلائل ولو كان كذلك لكان هذا حجة لهم على الله تعالى فيقولون اعراضنا عن الحق
لغفلتنا وغفلتنا بسبب انه تعالى طبع على قلوبنا فنقول هذا الطبع من الله لسوء افعالهم وقصدهم الاعراض عن الحق
فكانه تعالى تركهم في انفسهم الجاهلية واهوائهم الباطلة ثم قال تعالى واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا
تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون
واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين • واذا رأيتهم يعني عبد الله بن ابي ومعتب
ابن قشير وجد بن قيس كانت لهم اجسام ومنظر تعجبك اجسامهم لحسنها وجمالها • وكان عبد الله بن ابي جسيما فصيحا
فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى فان يقولوا تسمع لقولهم ان يقولوا اي انك لرسول الله تسمع
لقولهم • وقرئ يسمع على البناء للمفعول • ثم شبههم بالخشب المسندة وفي الخشب التخفيف كبدنة وبدن واسد
واسد والتثقيل كذلك كثمرة وثمر وخشبة وخشب ومدرة ومدر وهي قراءة ابن عباس • والتثقيل لغة اهل الحجاز
والخشب لا يعقل ولا يبصر • وكذلك اهل النفاق فانهم في ترك التفهم والاستبصار كمثل الخشب • واما المسندة
تعال اسند الى الشيء اذا امال اليه • واسنده الى الشيء اي اماله فهو مسند والتشديد للمبالغة • وانما وصف الخشب
بها لانه لا يريد الاشجار القائمة التي تنموا وتثمر بوجه فانهم نسبهم الى الجبن وعابهم به فقال يحسبون كل صيحة عليهم
هم العدو وقال مقاتل اذا نادى مناد في العسكر او انفلتت دابة او نشدت ضالة مثلا ظنوا انهم يرادون بذلك لما
في قلوبهم من الرعب وذلك لانهم على بين ان يهتك الله استارهم ويكشف اسرارهم يتوقعون الايقاع بهم ساعة فساعة
ثم اعلم رسوله بعداوتهم فقال هم العدو فاحذرهم ان يأمنهم على السر ولا يلتفت الى ظاهرهم فانهم الكاملون في العداوة
بالنسبة الى غيرهم وهو قوله قاتلهم الله انى يؤفكون مفسر وهو دعاء عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم ويخزيهم
وتعليم للمؤمنين ان يدعوا بذلك • وانى يؤفكون اي يعدلون عن الحق وتعجبا من جهلهم وضلالتهم وظنهم
الفاسد انهم على الحق وقوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله قال الكلبي لما نزل القرآن على الرسول
صلى الله عليه وسلم بصفة المنافقين مشى اليهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا لهم ويلكم افتضحتم بالنفاق واهلكتم
انفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا اليه من النفاق واسألوه ان يستغفر لكم فابوا ذلك وزهدوا في الاستغفار
فنزلت وقال ابن عباس لما رجع عبد الله بن ابي من احد بكثير من الناس مقته المسلمون وعنفوه واسمعوه المكروه
فقال له بنو ابيه لو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستغفر لك ويرضى عنك فقال لا اذهب اليه ولا اريد
ان يستغفر لي وجعل يلوي رأسه فنزلت وعند الاكثرين انما دعي الى الاستغفار لانه قال ليخرجن الاعز منها الاذل وقال
لا تنفقوا على من عند رسول الله فقيل له تعال يستغفر لك رسول الله فقال ماذا قلت فذلك قوله تعالى لووا رؤسهم
وقرئ لووا بالتخفيف والتشديد للكثرة والكناية قد تجعل جمعا • والمقصود واحد وهو كثير في اشعار العرب
قال جرير شعر • لا بارك الله فيمن كان يحسبكم • الا على العهد حتى كان ما كانا •
وانما خاطب بهذا امرأة • قوله تعالى ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون • متكبرون عن استغفار
رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم ذكر الله تعالى ان استغفاره لا ينفعهم فقال سواء قال قتادة نزلت هذه الآية
بعد قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم • وذلك انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي
فلأزيدنهم على السبعين فانزل الله تعالى لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين قال ابن عباس المنافقين
وقال قوم فيه بيان ان الله تعالى يملك هداية وراء هداية البيان وهي خلق فعل الاهتداء فيمن علم منه ذلك
وقيل معناه لا يهديهم لفسقهم وقالت المعتزلة لا يسميهم المهتدين اذا فسقوا وضلوا • وفي الآية مباحث الاول

وقالوا لهم ويلكم افتضحتم بالنفاق واهلكتم انفسكم

انك

لو شبههم بالخشب المسندة دون غيرها من الاشيا المنتفع بها نقول لاشتمال هذا التشبيه على فوائد كثيرة لا توجد
في الغير قال في الكشاف شبهوا في استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة
بالحايط لان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا
غير منتفع به اسند الى الحايط فشبهوا به في عدم الانتفاع • ويجوز ان يراد بها الاصنام المنحوتة من الخشب
المسندة الى الحايط شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم • الثاني الخشب المسندة يكون في الاصل
غصنا طريا يصلح لان يكون من الاشيا المنتفع به ثم يصير غليظة يابسة والكافر والمنافق كذلك كان في
الاصل صالحا لكذا او كذا • ثم يخرج عن تلك الصلاحية • الثالث الكفرة من جنس الانس حطب كما قال الله تعالى
حصب جهنم انتم لها واردون • والخشب المسندة حطب ايضا • الرابع الخشب المسندة الى الحايط احد
طرفيها الى جهة والاخرى الى جهة اخرى • والمنافقون كذلك لان احد طرفيه وهو الباطن الى جهة الكفر
والطرف الاخر وهو الظاهر الى جهة اهل الاسلام • الخامس المعتمد عليه في الخشب المسندة ما يكون من
الجمادات والنبات والمعتمد عليه للمنافقين كذلك اذا كان من المشركين اذ هو الاصنام وانها من الجمادات او
النباتات الثاني من المباحث انه تعالى شبههم بالخشب المسندة ثم قال ما ينافي هذا التشبيه وهو قوله تعالى
يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو • والخشب المسندة لا يحسبون سماعا اصلا • نقول لا يلزم ان يكون المشبه
والمشبه به يشتركان في جميع الاوصاف • فهم كالخشب المسندة بالنسبة الى الانتفاع وعدم الانتفاع وليس
كالخشب المسندة بالنسبة الى الاستماع وعدم الاستماع للصيحة وغيرها الثالث قال الله تعالى ان الله لا
يهدي القوم الفاسقين والمنافقين والمستكبرين مع ان كل واحد منهم من جملة ما سبق ذكره • نقول لكل واحد
من تلك الاقوام داخل تحت قوله الفاسقين اي الذين سبق ذكرهم وهم الكافرون والمنافقون والمستكبرون
ثم قال تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض
ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون اخبر الله تعالى بشنيع مقالتهم فقال هم الذين يقولون لا تنفقوا تفرقوا • وقرئ ينفضوا من
انفض القوم اذا فنيت ازوادهم قال المفسرون اقتتل اجير عمر رضي الله عنه مع اجير عبد الله بن ابي في بعض الغزوات
فاسمع اجير عمر عبد الله المكروه وسل عليه لسانه فغضب عبد الله وعنده رهط من قومه فقال اما والله لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل الرسول ثم اقبل على قومه وقال لو امسكتم
النفقة عن هولاء يعني المهاجرين لاوشكوا ان يتحولوا عن دياركم وبلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فنزلت
وقرئ ليخرجن • وقرا الحسن وابن ابي عبلة لنخرجن الاعز بالنون والاعز بالنصب • وقوله تعالى ولله خزاين السموات
والارض قال مقاتل يعني مفاتيح الرزق المطر والنبات وخزاين الله تعالى مقدوراته لان بها كل ما يشا مما يريد اخراجه
وقال الحسن رحمه الله خزاين الله في السموات الغيوب وفي الارض القلوب • قوله تعالى ولكن المنافقين لا يفقهون
اي لا يفقهون ان امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون قوله تعالى يقولون لئن رجعنا اي من تلك الغزوة وهي غزوة
بني المصطلق الى المدينة فرد الله تعالى عليهم وقال ولله العزة اي الغلبة والقوة ولمن اعزه الله وايده من رسوله
ومن المؤمنين وعزهم بنصرهم اياهم واظهار دينهم على ساير الاديان • واعلم رسوله بذلك ولكن المنافقين لا يعلمون
ذلك ولو علموا ما قالوا مقالتهم هذه • فان قيل قال في الاية الاولى لا يفقهون • وفي الاخرى لا يعلمون فما الحكمة فنقول
ليعلم بالاول قلة كياستهم وفهمهم • وبالثاني كثرة حماقتهم وجهلهم • ولا يفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم ومن
فقه يفقه كعظم يعظم • والاول لحصول الفقه بالتكليف • والثاني لا بالتكليف • والاول انه علاجي • والثاني
مزاجي ثم قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك
هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون
من الصالحين ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون لا تلهكم لا تشغلكم كما شغلت المنافقين • واختلف
المفسرون • منهم من قال نزلت في حق المنافقين • وعن ذكر الله عن فرايض الله نحو الزكاة والصلاة والحج اي عن طاعته وقال
الضحاك الصلوات الخمس • وعند مقاتل هذه الاية وما بعدها خطاب للمنافقين الذين اقروا بالايمان ومن يفعل ذلك
اي الهاه ماله وولده عن ذكر الله فاولئك هم الخاسرون اي في تجارتهم حيث باعوا الشريف الباقي بالخسيس الفاني
وقيل هم الخاسرون في انكار ما قال به رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوحيد والبعث • وقال الكلبي الجهاد • وقيل
هو النظر في القران • والتفكر والتامل فيه • وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريد زكاة المال • ومن للتبعيض

وقيل المراد

وقيل المراد هو الانفاق الواجب • من قبل ان ياتي احدكم الموت اي دلائل الموت وعلاماته فيسال الرجعة الى الدنيا وقوله
لولا اخرتني [illegible] اي هلا امهلتني واخرتني الى اجل قريب [illegible]
في اجله حتى يتصدق ويزكي وهو قوله تعالى فاصدق واكون من الصالحين قال ابن عباس [illegible]
مؤمنين [illegible] الرجعة [illegible] الموت الا وسال الرجعة [illegible] وقوله
من الصالحين [illegible]
[illegible]

# سورة التغابن مكية احدى عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير • وجه التعلق بما قبلها [illegible]
[illegible]

يسبح لله ما له حكم فيه • قلنا فيهما مما لا نعلمها كما هي لكن نقول بالخطر وهو ان مجموع السموات والارض شي
واحد وهو عالم مولف من الاجسام الفلكية والعنصرية ثم الارض من هذا المجموع شي والباقي منه شي اخر فقوله
تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض بالنسبة الى هذا الجزء من المجموع وبالنسبة الى ذلك الجزء منه كذلك واذا
كان كذلك فلا يبعد ان يقال قال الله تعالى في بعض السور كذا • وفي البعض كذا ليعلم ان هذا العالم الجسماني من وجه
شي واحد ومن وجه شيان بل اشيا كثيرة • والخلق في المجموع غير ما في هذا الجزء • وغير ما في ذلك ايضا ولا يلزم
من وجود الشي في المجموع ان يوجد في كل جزء من اجزايه الا بدليل منفصل فقوله تعالى لله ما في السموات
وما في الارض على سبيل المبالغة من جملة ذلك الدليل لما انه يدل على تسبيح ما في السموات وعلى تسبيح ما في الارض
كذلك بخلاف قوله تعالى لله ما في السموات والارض ثم قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن
والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير يعلم ما في السموات
والارض والله عليم بذات الصدور وقال ابن عباس انه تعالى خلق بني ادم مؤمنا وكافرا • وقال عطا عنه
يريد منكم مصدق ومنكم جاحد • وقال الضحاك مؤمن في العلانية كافر في السر كالمنافق • وكافر في العلانية
مؤمن في السر كعمار بن ياسر • قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان • وقال الزجاج فمنكم كافر لانه تعالى

خلقه وهو من اهل الطبايع الدهرية • ومنكم مومن بانه تعالى خلقه كما قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه
وقال اكفرت بالذى خلقك من تراب • وقال ابو اسحق خلقكم فى بطون امهاتكم كفارا ومومنين وجا فى بعض التفاسير
ان يحيى خلق فى بطن امه مومنا • وفرعون خلق فى بطن امه كافرا دل عليه قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة
من الله • وقوله تعالى والله بما تعملون بصير اى عالم بكفركم وايمانكم الذين من اعمالكم • والمعنى انه تفضل
عليكم باصل النعم الذى هو الخلق فانظروا النظر الصحيح وكونوا باجمعكم عبادا لله شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل
تفرقتم فرقا فمنكم كافر ومنكم مومن • وقوله خلق السموات والارض بالحق اى بالارادة القديمة على وفق الحكمة
فمنهم من قال بالحق اى للحق وهو البعث • وصوركم فاحسن صوركم بجملة وجهين • احدهما احسن اى اتقن واحكم
على وجه لا يوجد بذلك الوجه فى الغير وكيف يوجد وقد وجد فى انفسهم من القوى الدالة على وحدانية الله
تعالى وربوبيته دلالة مخصوصة بحسن هذه الصور • وثانيهما ان يصرف الحسن الى حسن المنظر فان من نظر
فى قد الانسان وقامته والنسبة بين اعضائه فقد علم ان صورته احسن صورة • وقوله تعالى واليه المصير
اى البعث وانما اضاف الى نفسه لانه هو النهاية فى خلقه • والمقصود منه • ثم قال وصوركم فاحسن
صوركم لانه لا يلزم من خلق الشئ ان يكون مصورا بالصورة • ولا يلزم من الصورة ان تكون على احسن الصور والى
المصير المرجع ليس الا هو • وقوله تعالى يعلم ما فى السموات والارض ثم بعلمه ما يسر
العباد ويعلنونه • ثم بعلمه ما فى الصدور من الكليات والجزئيات ولا يخفى عليه شئ تنبيه لما انه تعالى لا يعزب
عن علمه مثقال ذرة البتة ازلا ولا ابدا • وفى الاية مباحث • الاول انه تعالى حكيم واذا سبق فى علمه انه
اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر والاصرار عليه فاى حكمة دعته الى خلقهم كانه يقول اذا علمنا انه تعالى حكيم
علمنا ان افعاله كلها على وفق الحكمة وخلق هذه الطايفة فعله فيكون على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا بذلك
ان لا يكون كذلك بل اللازم ان يكون خلقهم على وفق الحكمة • الثانى قال وصوركم فاحسن صوركم وقد كان من افراد
هذا النوع من كان مشوه الصورة سمج الخلقة • نقول لا سماجة ثم لكن الحسن من المعانى على طبقات ومراتب
فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا لا يظهر حسنه والا فهو داخل فى حيز الحسن غير خارج
عن حده • الثالث قوله تعالى واليه المصير يوهم الانتقال من جانب الى جانب • وذلك لا يمكن الا ان يكون الله فى جانب
فكيف هو • قلنا ذلك الوهم بالنسبة الينا والى زماننا لا بالنسبة الى ما يكون فى نفس الامر فانه بمعزل عن حقيقة
الانتقال من جانب الى جانب اذ كان المنتقل اليه منزها عن الجانب وعن الجهة • ثم قال تعالى الم ياتكم نبا الذين كفروا
من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا
وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك
على الله يسير • الم ياتكم نبوا الذين كفروا من قبل خطاب لكفار مكة وذلك اشارة الى الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا
والى ما اعد لهم من العذاب فى الاخرة • فقوله فذاقوا اى شدة امرهم مثل قوله ذق انك انت العزيز الكريم
وقوله ذلك بانهم اى الشان والحديث انكروا ان يكون الرسول بشرا • ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا فكفروا
وتولوا كفروا بالرسول واعرضوا عن طاعته • واستغنى الله عن طاعتهم وعبادتهم من الازل • وقوله تعالى
والله غنى حميد من جملة ما سبق • والحميد بمعنى المحمود اى المستحق للحمد بذاته ويكون بمعنى الحامد • وقوله تعالى
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قال صاحب الكشاف الزعم ادعا العلم • ومنه قوله عليه الصلاة والسلام زعموا
مطية الكذب • وعن شريح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدى العلم قال الشاعر
ولم ازعمك عن ذاك معزلا • والذين كفروا هم اهل مكة وبلى اثبات لما بعد لن وهو البعث • وقيل قوله قل بلى
وربى يحتمل ان يكون تعليما للرسول صلى الله عليه وسلم اى يعلمه القسم لما كان يخبر عن البعث • وكذلك جميع القسم
فى القران • وقوله تعالى وذلك على الله يسير اى لا يصرفه صارف • وقيل ان امر البعث على الله يسير لانهم انكروا
البعث بعد ان صاروا ترابا فاخبر ان اعادتهم اهون فى المعقول من انشائهم • وفى الاية مباحث • الاول قوله
فكفروا ثم قوله وتولوا • فالحاجة الى ذكره • نقول انهم كفروا وقالوا ابشر يهدوننا وهذا فى معنى الانكار والاعراض
بالكلية • وذلك هو التولى فكانهم كفروا وقالوا قولا يدل على التولى فلهذا قال فكفروا وتولوا • الثانى قال تعالى
تولوا واستغنى الله يوهم وجود التولى والاستغنا معا والله تعالى لم يزل غنيا قال صاحب الكشاف معناه
انه ظهر استغنا الله حيث لم يلجيهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك • الثالث كيف يفيد القسم
فى اخباره عن البعث وهم قد انكروا رسالته لكنهم يعتقدون انه يعتقد بتة اعتقاد الامر يدعيه يعلمون

انه لا يعتقد

انه لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون صدقا هذا الاخبار اظهر من الشمس عنده • وفى اعتقاده • والفايدة فى الاخبار
مع القسم ليس الا هذا • ثم انه اكد الخبر باللام والنون فكانه قسم بعد قسم • ولما بالغ فى الاخبار عن البعث والاعتراف
بالبعث من لوازم الايمان فقال فامنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك
يوم التغابن • ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير • قوله فامنوا يجوز ان يكون صلة لما تقدم
لانه تعالى ذكر ما نزل من العقوبة بالامم الماضية • وذلك لكفرهم بالله وتكذيب الرسل قال فامنوا انتم بالله ورسوله
لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة • والنور الذى انزلنا وهو القران فانه يهتدى به فى الشبهات كما يهتدى بالنور
فى الظلمات • وانما ذكر النور الذى هو القران لما انه مشتمل على الدلالات الظاهرة على البعث • ثم فى الكشاف انه عنى برسوله
والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والقران • والله بما تعملون خبير اى بما تسرون وما تعلنون فراقبوه وخافوه فى الحالين
جميعا • قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع • يريد يوم القيمة يجمع فيه اهل السموات واهل الارض وذلك يوم التغابن
والتغابن تفاعل من الغبن فى المجازاة والتجارة • يقال غبنه غبنا اذا اخذ الشئ منه بدون قيمته • قال ابن عباس ان
قوما فى النار يعذبون وقوما فى الجنة يتنعمون • وقيل هو يوم يغبن فيه اهل الحق اهل الباطل • واهل الهدى اهل الضلال
واهل الايمان اهل الكفر فلا غبن ابين من هذا • وفى الجملة كالغبن فى البيع والشرا • وقد ذكر الله فى حق الكافرين انهم اشتروا
الحياة الدنيا بالاخرة واشتروا الضلالة بالهدى • ثم ذكر انهم ما ربحت تجارتهم • وذكر المومنين على تجارة رابحة فقال
هل ادلكم على تجارة وذكر انهم باعوا انفسهم بالجنة فخسرت صفقة الكفار وربحت صفقة المومنين • قوله ومن يومن
بالله ورسوله ويعمل صالحا اى يومن بالله على ما جاءت به الرسل من الحشر والنشر والجنة والنار وغير ذلك ويعمل صالحا يعنى
يعمل فى ايمانه صالحا الى ان يموت • قرئ يجمعكم ويكفر ويدخلكم بالياء والنون • والذين كفروا اى بوحدانية الله وبقدرته
وكذبوا باياته الدالة على البعث اولئك اصحاب النار الاية • ثم فى الاية مباحث • الاول قال فامنوا بالله ورسوله بطريق
الاضافة ولم يقل ونوره الذى انزلنا بطريق الاضافة مع ان النور هنا هو القران للاية ويضاف اليه نقول الالف واللام فى
النور بمعنى الاضافة لانه قال ورسوله ونوره الذى انزلناه • الثانى ثم من يصل الظرف نقول قال الزجاج • نقوله لتبعثن
وفى الكشاف بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر • الثالث
قال الله تعالى فى حق من يومن بالله بلفظ المستقبل • وفى الكفار قال والذين كفروا بلفظ الماضى نقول تقدير الكلام
ومن يومن بالله من الذين كفروا وكذبوا باياتنا ندخله جنات • ومن لم يومن منهم اولئك اصحاب النار • الرابع قال تعالى
ومن يومن بلفظ الواحد وخالدين فيها بلفظ الجمع نقول ذلك بحسب اللفظ وهذا بحسب المعنى • الخامس ما الحكمة
فى قوله وبئس المصير بعد قوله خالدين فيها وذلك بئس المصير نقول ذلك وان كان فى معناه فلا يدل عليه بطريق
التصريح بما يوكده • ثم قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يومن بالله يهد قلبه والله بكل شئ عليم
واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون
قوله الا باذن الله اى بامر الله قاله الحسن • وقيل بتقدير الله وقضائه • وقيل بارادة الله ومشيته • وقال ابن عباس بعلمه
وقضائه • وقوله يهد قلبه عند المصيبة عند الموت او المرض او الفقر • ونحوه لنعلم ان ذلك • فاذا علم انها من الله تعالى
فيسلم لقضا الله ويسترجع فذلك قوله يهد قلبه اى للتسليم لامر الله ونظيره الذين اذا اصابتهم مصيبة الى
قوله واولئك هم المهتدون قال اهل المعانى يهد قلبه للشكر عند الرخا والصبر عند البلا وهو قول ابن عباس
يهد قلبه لما يحب ويرضى • وقرئ نهد قلبه بالنون • وعن عكرمة يهد قلبه بفتح الدال وضم اليا • وقرئ يهتدى
قال الزجاج هدى قلبه يهدى اذا سكن والقلب بالرفع او بالنصب • ووجه النصب ان يكون مثل سفه نفسه اى
يهد فى قلبه والله بكل شئ عليم يحتمل ان يكون اشارة الى اطمينان القلب عند المصيبة • وقيل عليم بتصديق من صدق
رسوله فمن صدقه فقد هدى قلبه • واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما جاء به من عند الله يعنى هونوا المصايب
والنوازل واتبعوا الاوامر الصادرة من الله تعالى ومن الرسول عليه السلام • فان توليتم عن اجابة الرسول فيما دعاكم
اليه فما على الرسول الا البلاغ الظاهر • والبيان الباهر • وقوله الله لا اله الا هو يحتمل ان يكون هذا من جملة ما تقدم
من الاوصاف الحميدة لحضرة الله تعالى من قوله له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فان من كان موصوفا بهذه الاوصاف
ونحوها كما تقدم فهو الله الذى لا اله الا هو اى لا معبود الا هو ولا مقصود الا هو عليه التوكل فى كل باب
واليه المرجع والماب • قوله وعلى الله فليتوكل المومنون بيان ان المومن لا يعتمد الا عليه ولا يتقوى به لما يعتقد
ان القادر بالحقيقة ليس الا هو وقال فى الكشاف هذا بعث لرسول الله على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى

ما الحكمة فى قوله وبئس المصير بعد قوله خالدين

عنه ثم كيف يتعلق ما اصاب من مصيبة الا باذن الله بما قبله ويتصل به • نقول تتعلق بقوله تعالى فامنوا بالله ورسوله
لما ان من يؤمن بالله فيصدقه انه لا تصيبه مصيبة الا باذن الله • ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر
عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وقال الكلبي كان الرجل اذا اراد الهجرة تعلق به بنوه وزوجته فقالوا انت تذهب وتذرنا ضايعين • فمنهم من يطيع
اهله فيقيم فحذرهم الله طاعة نسائهم واولادهم • ومنهم من لا يطيعهم ويقول اما والله لو لم تهاجروا وجمع الله
بيننا وبينكم في دار الهجرة لا انفعكم شيئا ابدا • فلما جمع الله بينهم امرهم ان ينفقوا ويحسنوا ويتفضلوا وقال
ابو مسلم الخراني نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان اهله وولده يثبطونه عن الهجرة والجهاد • وسئل ابن عباس عن
هذه الاية فقال هولاء رجال من اهل مكة اسلموا وارادوا ان ياتوا المدينة فلم تدعهم ازواجهم واولادهم فهو قوله
عدوا لكم فاحذروهم ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة • وقوله تعالى وان تعفوا وتصفحوا قال هو ان الرجل من هولاء
اذا جاء ورأى الناس قد سبقوه بالهجرة وفقهوا في الدين هم ان يعاقب زوجته وولده الذين منعوه الهجرة وان لحقوا
به في دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فانزل الله وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا الاية • ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم يثبطون عن الاسلام ويشطون عنه وهم من الكفار فاحذروهم فظهر ان هذه العداوة
انما هي للكفر والنهي عن الايمان ولا تكون بين المومنين وازواجهم واولادهم المومنين عداوة وهولاء الازواج والاولاد
الذين منعوا عن الهجرة نزل فيهم انما اموالكم واولادكم فتنة قال ابن عباس اي لا تطيعوهم في معصية وفتنة
اي بلاء وشغل عن الاخرة • وقيل اعلم الله تعالى ان الاموال والاولاد من جميع ما يقع بهم الفتنة • وهذا عام يجمع
جميع الاولاد • فان الانسان مفتون بولده فانه ربما عصى الله تعالى بسببه وباشر الفعل الحرام لاجله كغصب
مال الغير وغيره والله عنده اجر عظيم اي جزيل وهو الجنة • اخبر ان عنده اجرا عظيما ليتحمل المؤنة • والمعنى لا تباشروا
المعاصي بسبب الاولاد والازواج ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر العظيم • وقوله فاتقوا الله ما استطعتم
قال مقاتل يعني ما اطقتم يجتهد المومن في تقوى الله ما استطاع قال قتادة نسخت هذه الاية بقوله تعالى اتقوا
الله حق تقاته • ومنهم من طعن فيه فقال لا يصح لان قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته لا يراد به الا الاتقا فيما
يستطيعون لا فوق الطاقة والاستطاعة • لكنه ان كان فوجهه ان اتقوا الله حق تقاته • وقوله واسمعوا اي
لله ولرسوله ولكتابه • وقيل لما امركم الله ورسوله به • واطيعوا الله فيما يامركم وانفقوا من اموالكم في حق الله
خيرا لانفسكم والنصب لقوله وانفقوا لانه قيل وقدموا خيرا لانفسكم وهو كقوله فامنوا خيرا لكم فقوله تعالى ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون • والشح هو البخل وانه يعم المال وغيره • يقال فلان شحيح بالمال وشحيح بالمعروف
وقيل يوق ظلم نفسه اذ الشح هو الظلم • ومن كان بمعزل عن الشح فذلك من اهل الفلاح فان قيل انما اموالكم واولادكم عدو
لكم يدل على ان بعضهم من الاعداء دون البعض • فنقول هذا من جملة المنع فانه لا يلزم ان يكون البعض من المجموع
الذي مر ذكره من الاولاد • يعني من الاولاد من يمنع ومنهم من لا يمنع فيكون البعض منهم عدوا دون البعض • ثم قال الله تعالى
ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم
ان تقرضوا الله قرضا حسنا اي ان تنفقوا في طاعة الله متقربين اليه يجزكم بالضعف لما انه شكور يحب المتقربين
لحضرته • حليم لا يعاجل بالعقوبة • غفور يغفر لكم • والقرض الحسن عند بعضهم هو التصدق من الحلال
وقيل هو التصدق بطيبة نفسه • والقرض هو الذي يرجى بدله والثواب مثل الانفاق في سبيل الله • وقال في
الكشاف ذكر القرض تلطف في الاستدعا • يضاعفه لكم بالواحدة عشرا • وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة
وقرئ يضعفه مجازاة اي يفعل بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب • وكذلك يفعل بكم ما يفعل من يحلم
عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم • ثم لقائل ان يقول ان هذه الافعال مفتقرة الى العلم والقدرة
والله تعالى ذكر العلم دون القدرة فقال عالم الغيب فنقول قوله العزيز يدل على القدرة من عز
اذا غلب • الحكيم على الحكمة • وقيل العزيز الذي لا يعجزه شيء • والحكيم الذي لا يلحقه الخطا في التدبير والله تعالى
كذلك فيكون عليما قادرا حليما جل ثناؤه وعظم كبرياؤه • والله اعلم بالصواب • تم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين

## سورة الطلاق اثنتا عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة • اما التعلق بما قبلها فذلك لانه تعالى قال في اول السورة له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير • والملك يفتقر الى التصرف على وجه يحصل منه نظام الملك • والحمد يفتقر الى ان ذلك بطريق العدل
والاحسان في حق المتصرف فيه • وبالقدرة على منع ممتنعه عن التصرف • وتقرير الاحكام في هذه السورة متضمن
لهذه الامور المفتقر اليها تضمنا لا يفتقر الى العامل فيه فيكون لهذه السورة نسبة الى تلك السورة • واما الاول بالاخر
فذلك لانه تعالى اشار في تلك السورة الى كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة • وفي اول هذه السورة الى كمال علمه بمصالح
النساء والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكانه بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات • قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء • عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة فذهبت الى اهلها فنزلت • وقيل راجعها فانها صوامة قوامة • وعلى هذا
انما نزلت الاية بسبب خروجها الى اهلها لما طلقها النبي صلى الله عليه وسلم فانزل في هذه الاية ولا تخرجوهن من بيوتهن وقال
الكلبي انه عليه الصلاة والسلام غضب على حفصة لما اسر اليها حديثا • فاظهرته لعايشة فطلقها تطليقة فنزلت
وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر لما طلق امراته حايضا • والقصة في ذلك مشهورة • وقال مقاتل ان رجالا فعلوا
مثل ما فعل ابن عمر وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت فيهم • وفي قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وجهان
احدهما انه نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب امته لما انه سيدهم وقدوتهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت امته
داخلة في ذلك الخطاب • قال ابو اسحق هذا خطاب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون داخلون معه في الخطاب وثانيهما
ان المعنى يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النساء • فاضمر القول • قال الفراء خاطبه وجعل الحكم للجميع كما تقول للرجل ويحك
اما تتقون الله اما تستحيون تذهب الى ابيه والى اهل بيته • واذا طلقتم اي اذا اردتم التطليق كقوله اذا قمتم الى الصلاة اي
اذا اردتم الصلاة • وقد مر الكلام فيه • وقوله فطلقوهن لعدتهن قال عبد الله اذا اراد الرجل تطليق زوجته
فليطلقها طاهرا من غير جماع • وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل والحسن قال امر الله تعالى الزوج بتطليق امراته
اذا شاء الطلاق في طهر لم يجامعها فيه وهو قوله تعالى لعدتهن اي لزمان عدتهن • وهذا الطهر باجماع الامة • وقيل
لاظهار عدتهن • وجماعة من المفسرين قالوا الطلاق للعدة ان يطلقها طاهرا من غير جماع • وبالجملة فالطلاق في غير
الطهر لازم والا لا يكون الطلاق سنيا • والطلاق في السنة انما يتصور في البالغة المدخول بها غير الايسة والحامل
اذ لا سنة في الصغيرة وغير المدخول بها • والايسة والحامل ولا بدعة ايضا لعدم العدة بالاقراء • وليس في عدد
الطلاق سنة وبدعة على مذهب الشافعي رضي الله عنه حتى يطلقها ثلاثا في طهر صحيح لم يكن بدعة بخلاف ما ذهب اليه اهل
[illegible]

الثلاث في الاشهر وقال محمد وزفر لا تطلق الا واحدة واما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى
الوقت الثالث هل يكره ان يطلق المدخول بها واحدة بائنة نقول اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا والظاهر
الكراهة الرابع اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والايسات
والصغائر والحوامل فكيف يصح تخصيصه بذوات الاقراء والمدخول بهن نقول لا عموم ثمة ولا خصوص ايضا
لكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك
فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض كما ذكر في الكشاف ثم قال تعالى
واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله
فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا واتقوا الله قال مقاتل اخشوا الله فلا تعصوه فيما امركم
ولا تخرجوهن اي لا تخرجوا المعتدات من المساكن التي كنتم تساكنون فيها قبل الطلاق فان كانت المساكن عارية فارتجعت
كان على الازواج ان يعينوا مساكن اخرى بطريق الكراء او بغير ذلك وعلى الزوجات ان لا يخرجن حقا لله تعالى الا لضرورة
ظاهرة فان خرجن ليلا او نهارا كان ذلك الخروج حراما ولا تنقطع العدة فقوله تعالى الا ان يأتين بفاحشة مبينة
قال ابن عباس هو ان تزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن قال الضحاك والاكثرون والفاحشة على هذا القول هي الزنا
قال ابن عمر الفاحشة خروجهن قبل انقضاء العدة قاله السدي وقال الباقون الفاحشة المبينة هي العصيان
المبين وهو النشوز وعن ابن عباس الا ان يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وسوء خلقهن فيحل للازواج اخراجهن
من بيوتهن وتلك حدود الله والحدود هي الموانع عن المجاوزة نحو النواهي والحد في الحقيقة هو النهاية التي ينتهي
اليها الشيء وقال مقاتل يعني ما ذكر من طلاق السنة وما بعده من الاحكام ومن يتعد حدود الله وهذا تشديد
اي ومن يتعد طلاق السنة وما بعده من الاحكام ومن طلق لغير العدة فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه ولا يبعد
ان يكون المعنى ومن يتجاوز الحد الذي جعل الله تعالى فقد وضع نفسه موضعا لم يضعه فيه ربه والظلم هو وضع
الشيء في غير موضعه وقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا قال ابن عباس يريد الندم على طلاقها
على رجعتها وقال مقاتل بعد ذلك بعد تطليقة وتطليقتين امرا يعني المراجعة وقال الشعبي
لا تدري لعلك تندم فيكون لك سبيل الى المراجعة او لعله ان يراجعها في العدة وهذا دليل على ان المستحب في التطليق
ان يوقع متفرقا قال ابو اسحق اذا طلقها ثلاثا في وقت واحد فلا معنى في قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وفي
الاية مباحث الاول قال واتقوا الله ربكم ولم يقل واتقوا الله مقصورا عليه فنقول فيه من المبالغة ما ليس في ذلك
فان لفظ الرب ينبههم على التربية وهي الانعام والاكرام بوجوه متعددة غاية التعداد فيبالغون في التقوى
حينئذ خوفا من فوت تلك التربية الثاني ما معنى الجمع بين اخراجهن وخروجهن نقول لا اخراج ان لا يخرجهن البعولة
غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا ياذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ولا يخرجن بانفسهن
ان اردن ذلك الثالث قرئ بفاحشة مبينة ومبينة فمن قرا مبينة بالخفض فمعناه ان نفس الفاحشة اذا تفكر
فيها تبين انها فاحشة ومن قرا مبينة بالفتح فمعناه انها مبرهنة بالبراهين ومبينة بالحجج ثم قال تعالى فاذا بلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به
من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو
حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا فاذا بلغن اجلهن اي قاربن انقضاء اجل العدة لا انقضاء اجلهن
والمراد من بلوغ الاجل هنا مقاربة البلوغ وقد مر تفسيره وقال صاحب الكشاف هو اخر العدة فانتم بالخيار
ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها
في اخر العدة ثم يطلقها تطويلا للعدة وتعذيبا لها وقوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم امروا ان يشهدوا
عند الطلاق وعند الرجعة ذوي عدل وهذا الاشهاد مندوب اليه وعند ابي حنيفة رحمه الله كما في قوله
واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد
ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت احدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث
وقيل الاشهاد انما امر به للاحتياط مخافة ان تنكر المراة المراجعة فتنقضي العدة فتنكح زوجا ثم خاطب الشهداء
فقال واقيموا الشهادة لله هذا ايضا مر تفسيره الى قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال الشعبي من يطلق
للعدة يجعل الله له سبيلا الى الرجعة وقال غيره مخرجا من كل مضائق على الناس قال الكلبي ومن يصبر عند
المصيبة يجعل له مخرجا من النار الى الجنة وقراها النبي صلى الله عليه وسلم فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات

الندم

الموت



الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال اكثر اهل التفسير نزل هذا وما بعده في عوف بن مالك الاشجعي اسر العدو ابنا
له فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك وشكى اليه الفاقة فقال له اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا
قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو في بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب ابلا وجاء بها الى ابيه
وقال في الكشاف فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل فذلك قوله ويرزقه من حيث
لا يحتسب ويجوز ان يتقي في اثر الحلال والصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب
وقال في الكشاف ومن يتق الله جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من امر الطلاق على السنة كما في قوله تعالى ومن يتوكل
على الله فهو حسبه اي ومن يتق الله فيما يأتيه كفاه الله ما اهمه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب
ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله وان الله بالغ امره وبالغ امره بالرفع اي نافذ امره وقرا المفضل بالغا
امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال قال ابن عباس يريد في جميع خلقه والمعنى سيبلغ الله امره فيما
يريد منكم وقد جعل الله لكل شيء قدرا اي تقديرا اي توقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر
اليه قال الكلبي ومقاتل لكل شيء من الشدة والرخاء اجل ينتهي اليه قدر الله ذلك كله لا يتقدم ولا يتأخر وقال ابن عباس
يريد قدرت ما خلقت بمشيتي وقوله فاذا بلغن اجلهن الى قوله مخرجا اية ومنه الى قوله قدرا اية اخرى عند الاكثرين
وعند الكوفي والمدني المجموع اية واحدة ثم في هذه الاية لطيفة وهي ان التقوى في رعاية احوال النساء مفتقر
الى المال فقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقريب من هذا قوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فان قيل
ومن يتوكل على الله فهو حسبه يدل على عدم الاحتياج بالكسب في طلب الرزق وقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله يدل على الاحتياج فكيف هو نقول لا يدل على الاحتياج لان قوله انتشروا وابتغوا
من فضل الله للاباحة كما مر والاباحة مما تنافي الاحتياج الى الكسب لما كان الاحتياج للتخيير ثم قال تعالى واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله
يجعل له من امره يسرا ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قوله واللائي يئسن من المحيض
الاية ذكر الله تعالى في سورة البقرة عدة ذوات الاقراء والمتوفى عنها زوجها وذكر عدة سائر النسوة اللائي لم يذكرن هناك
في هذه السورة وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله عرفنا عدة التي تحيض فما عدة التي لا تحيض فنزل واللائي يئسن من
المحيض وقوله ان ارتبتم اي ان اشكل عليكم حكمهن في العدة فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الاياس
وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر فلما نزل قوله تعالى
فعدتهن ثلاثة اشهر قام رجل فقال يا رسول الله ما عدة الصغيرة التي لم تحض فنزل واللائي لم يحضن اي هي بمنزلة الكبيرة
التي يئست عدتها ثلاثة اشهر فقام اخر وقال ما عدة الحوامل يا رسول الله فنزل واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن
معناه اجلهن في انقطاع ما بينهن وبين الازواج وضع الحمل وهذا عام في كل عام وكان علي رضي الله عنه يعتبر ابعد الاجلين
ويقول فالذين يتوفون منكم لا يجوز ان يدخل في قوله واولات الاحمال وذلك لان اولات الاحمال انما هو في عدة الطلاق
وهي لا تنقض عدة الوفاة اذا كانت بالحيض وعند ابن عباس فعدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين واما ابن
مسعود فقال يجوز ان يكون واولات الاحمال مبتدا خطاب ليس بمعطوف على قوله تعالى واللائي يئسن ولما كان مبتدا تناول
العدد كلها ومما يدل على ذلك خبر سبيعة بنت الحارث انها وضعت حملها بعد وفاة زوجها بخمسة عشر يوما فامرها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تتزوج فدل على اباحة النكاح قبل مضي اربعة اشهر وعشر وعلى ان عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل في جميع
الاحوال اذا وضعت احد الولدين انقضت عدتها واحتج بقوله تعالى ان يضعن حملهن ولم يقل احمالهن لكن لا يصح وقرئ
احمالهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا اي ييسر الله عليه في امره ويوفقه للعمل الصالح وقال عطا يسهل عليه امر الدنيا
والاخرة ذلك امر الله انزله اليكم يعني الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله بطاعته ويعمل لاجابة محمد صلى الله عليه وسلم
يكفر عنه سيئاته من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ويعظم له في الاخرة اجرا قال ابن عباس فان قيل قال الله تعالى
اجلهن ان يضعن حملهن ولم يقل ان يلدن فنقول الحمل اسم لجميع ما في بطنهن ولو كان كما قاله لكان عدتهن بوضع بعض حملهن
وليس كذلك ثم قال الله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا
قوله اسكنوهن وما يتعلق به بيان لما شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف يعمل بالتقوى في شان المعتدات
فقيل اسكنوهن قال الكسائي من صلة والمعنى اسكنوهن حيث سكنتم قال ابو عبيدة وسعكم وسعتكم والفراء على قدر طاقتكم

الاعتراضية

قام رجل فقال يا رسول الله ما عدة الصغيرة التي لم تحض

وقال ابو اسحق وجدت في المال وجدا اي صرت ذا مال ٭ وقرئ بفتح الواو وايضا وبخفضها ٭ والوجد الطاقة ولا تضاروهن
نهى عن مضارتهن بالتضييق عليهن في السكنى والنفقة وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وهذا حكم المطلقة
البائنة لان الرجعية تستحق النفقة وان لم تكن حاملا ٭ وان كانت مطلقة ثلاثا او مختلعة فلا نفقة لها الا ان تكون حاملا
وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها ٭ وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة
بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة فان ارضعن لكم فآتوهن
اجورهن يعني حق الرضاع واجرته وقد مر وهو دليل على ان اللبن وان خلق لمكان الولد فهو ملك لها والا لم يكن لها ان تاخذ
الاجر ٭ وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد ٭ وحق الامساك والحضانة والكفالة على الزو[جات]
والا لكان لها بعض الاجر دون الكل قوله تعالى وأتمروا بينكم بمعروف قال عطا يريد بفضل منك معروفا وقال مقاتل
بتراضي الاب والام ٭ وقال المبرد ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف ٭ والخطاب للازواج من الرجال والنسا ٭ والمعروف هنا
ان لا يقصر الرجل في حق المراة ونفقتها ولا هي في حق الولد ورضاعه ٭ ومر تفسير الايتمار ٭ وقيل الايتمار التشاور في
ارضاعه اذا تعاسرا وهو قوله وان تعاسرتم في الاجرة فسترضع له اخرى غير الام ٭ ثم بين قدر الانفاق بقوله لينفق ذو
سعة من سعته امر اهل التوسعة ان يوسعوا على نسائهم المرضعات على قدر سعتهم ٭ ومن كان رزقه بمقدار القوت
فلينفق على مقدار ذلك ٭ ونظيره وعلى الموسع قدره وعلى المقتر قدره ٭ وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها
اي اعطاها من الارزاق قال السدي لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني ٭ وقوله سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق
وشدة سعة ورخا وكان الغالب في ذلك الوقت الفاقة والفقر فاعلمهم الله تعالى انه يجعل يسرا بعد عسر كالبشارة لهم
بمطلوب ٭ ثم في الاية مباحث الاول اذا قيل من في من حيث سكنتم ما هي ٭ فنقول هي من التبعيضية معناه اسكنوهن
اي بعض مكان سكناكم ان لم يكن غير بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه ٭ الثاني من وجدكم نقول عطف بيان لقوله من حيث
سكنتم وتفسير له اي مكانا من مسكنكم على قدر طاقتكم الثالث فاذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة
الشرط في قوله فان كن اولات حمل فانفقوا عليهن نقول فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى
مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الظن ثم قال الله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا
وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي
الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من الظلمات الى النور قوله تعالى وكاين من قرية ٭ الكلام في كاين قد مر عتت عن امر ربها وصف القرية بالعتو والمراد اهلها
كقوله واسأل القرية قال ابن عباس عتت عن امر الله وقال مقاتل خالفت امر ربها ٭ وخالفت رسله فحاسبناها حسابا
شديدا فحاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها العذاب وهو قوله وعذبناها عذابا نكرا منكرا عظيما فسر المحاسبة
بالتعذيب ٭ وقال الكلبي هذا على التقديم والتاخير يعني فعذبناها في الدنيا وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا
والمراد حساب الآخرة وعذابها فذاقت وبال امرها اي شدة امرها وعقوبة كفرها قال ابن عباس عاقبة كفرها وكان
عاقبة امرها خسرا اي عاقبة عتوها خسارا في الآخرة قوله تعالى اعد الله لهم عذابا شديدا يخوف كفار مكة ان لا
يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فينزل بهم ما نزل بالامم قبلهم ٭ وقوله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب خطاب لاهل الايمان
اي فاتقوه ان تكفروا به وبرسوله قد انزل اليكم ذكرا هو الرسول ٭ وانما سماه ذكرا لانه يذكر ما يرجع الى دينهم وعقباهم
وثانيها انزل اليكم ذكرا هو الرسول وانما سماه ذكرا وارسل رسولا وقال في الكشاف رسولا هو جبرئيل عليه السلام
ابدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله تعالى فكان انزاله في معنى انزال الذكر والذكر قد يراد به الشرف
كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقد يراد به القرآن كما في قوله وانزلنا اليك الذكر ٭ وقرئ الرسول على هو
رسول ويتلو عليكم آيات الله مبينات بالخفض والنصب ٭ والآيات هي الحجج ٭ فالخفض انها تبين الامر والنهي والحلال
والحرام ٭ ومن نصب يريد انه تعالى اوضح آياته وبينها انها من عنده ٭ وقوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
من الظلمات الى النور يعني من ظلمة الكفر الى نور الايمان ٭ ومن ظلمة الشبهة الى نور الحجة ٭ ومن ظلمة الجهل الى نور العلم
وفي الاية مباحث الاول قوله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب متعلق بقوله وكاين من قرية عتت عن امر ربها فنقول
قوله فاتقوا الله يؤكد قول من قال المراد من قرية اهلها لانه يدل على ان خطاب الله تعالى لا يكون الا لذوي العقول
ثم لا عقل له فلا خطاب عليه ٭ وقيل قوله تعالى وكاين من قرية مشتمل على التنبيه والترغيب الثاني الايمان هو التقوى
بالحقيقة واولو الالباب الذين آمنوا كانوا من المتقين بالضرورة فكيف يقال لهم فاتقوا الله ٭ نقول للتقوى درجات
ومراتب فالدرجة الاولى هي التقوى من الشرك ٭ والثانية هي التقوى من المعاصي التي هي غير الشرك ٭ فاهل الايمان اذا

امروا بالتقوى



امروا بالتقوى كان ذلك الامر بالنسبة الى الكبائر والصغائر لا بالنسبة الى الشرك الثالث كل من آمن بالله فقد خرج من
الظلمات الى النور وكان ذلك نحو هذا الكلام وهو قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا ان يقال ليخرج الذين كفروا يمكن ان يقال ليخرج
الذين يؤمنون على ما جاز ان يراد من الماضي المستقبل كما في قوله واذ قال الله يا عيسى اي واذ يقول الله تعالى ويمكن ان يكون
ليخرج الذين آمنوا من ظلمات تحدث لهم بعد ايمانهم ثم قال الله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ندخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها قد احسن الله له رزقا الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما ٭ ومن يؤمن بالله فيه معنى التعجب والتعظم لما رزق الله المؤ[منين]
من الثواب ٭ وقرئ يدخله بالياء والنون ٭ قد احسن الله له رزقا قال الزجاج رزقه الله الجنة التي لا ينقطع نعيمها ٭ وقيل
رزقا اي طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة ٭ ونظيره ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال الكلبي
خلق الله السموات بعضها فوق بعض مثل القبة ٭ ومن الارض مثلهن في كونها طبقات متلاصقة كما هو المشهور ان الارض
ثلاث طبقات ٭ طبقة ارضية محضة ٭ وطبقة طينية وهي غير محضة ٭ وطبقة منكشفة بعضها في البر وبعضها في البحر
وهي المعمورة ولا يبعد ان يكون قوله ومن الارض مثلهن في كونها سبعة اقاليم على سبع سموات ٭ وسبع كواكب فيها وهي
السيارة فان لكل واحد من هذه الكواكب خواص تظهر آثار تلك الخواص في كل اقليم من الارض فتصير سبعة بهذا الاعتبار
فهذه هي الوجوه التي لا يأباها العقل ٭ وما عداها من الوجوه المنقولة من اهل التفسير فذلك من جملة ما يأباه العقل
مثل ما يقال السموات السبع اولها موج مكفوف ٭ وثانيها صخر ٭ وثالثها حديد ٭ ورابعها نحاس ٭ وخامسها فضة ٭ وسادسها
ذهب ٭ وسابعها ياقوت ٭ وقول من قال بين كل واحد منها وبين الاخرى مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل واحد منها كذلك
فذلك غير معتبر عند اهل التحقيق يمكن ان يكون اكثر من ذلك والله يعلم بانه ما هو وكيف هو فقوله الله الذي خلق مبتدأ
وخبر ٭ وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سموات ٭ وبالرفع على الابتدا وخبره من الارض ٭ وقوله تعالى يتنزل الامر بينهن قال
عطا يريد الوحي الى خلقه في كل ارض وفي كل سما ٭ وقال مقاتل يعني الوحي من السما العليا الى الارض السفلى وقال مجاهد
يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك ذاك وقال قتادة في كل سما من سمائه وارض من ارضه
خلق من خلقه ٭ وامر من امره ٭ وقضا من قضائه ٭ وقرئ ينزل الامر بينهن ٭ وقوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وقرئ
ليعلموا بالياء والتاء اي لكي تعلموا اذا تفكرتم في خلق السما والارض وما جرى من التدبير فيهما ان من بلغت قدرته هذا المبلغ الذي لا
يمكن ان يكون لغيره كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شيء عما اراده ٭ وقوله ان الله على كل شيء قدير من قبل ما تقدم ذكره وقد احاط
بكل شيء يعني بكل شيء من الكليات والجزئيات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السما عالم بجميع الاشيا ٭ وقال بعضهم على
[illegible] تبارك الله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم تم تفسير السورة والحمد لله رب العالمين

## سورة التحريم اثنتا عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم [illegible]

والشعبي ومسروق وحرم النبي صلى الله عليه وسلم ام ولده وحلف ان لا يقربها فانزل الله تعالى هذه الاية فقيل له اما
الحرام فحلال واما اليمين التي حلفت عليها فقد فرض الله لكم تحلة ايمانكم وقال الشعبي كان مع الحرام يمين فعوتب في الحرام
وانما يكفر اليمين فذلك قوله تعالى قد فرض الله لكم الاية قال صاحب النظم قوله لم تحرم استفهام بمعنى الانكار والانكار
من الله تعالى نهي وتحريم الحلال مكروه والحلال لا يحرم الا بتحريم الله تعالى • وقوله تعالى تبتغي مرضات ازواجك
وتبتغي حال خرجت مخرج المضارع • والمعنى لم تحرم مبتغيا مرضات ازواجك قال في الكشاف تبتغي اما تفسير لتحرم
او حال او استيناف • وهذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله والله غفور رحيم • فقد غفر لك ما تقدم
من الزلة رحيم قد رحمك لم يؤاخذك به • ثم في الاية مباحث • الاول لم تحرم ما احل الله لك يوهم ان هذا الخطاب
بطريق العتاب • وخطاب الوصف وهو النبي ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم كيف هو • نقول الظاهر ان هذا
الخطاب ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على ان ما صدر منه لم يكن كما ينبغي • الثاني تحريم ما احل الله غير ممكن لما ان
الاحلال ترجيح جانب الحل • والتحريم ترجيح جانب الحرمة فلا مجال للاجتماع بين الترجيحين فكيف يقال لم تحرم ما احل الله نقول
المراد من هذا التحريم هو الامتناع عن الانتفاع بالازواج لا اعتقاده يكون حراما بعد ما احله الله تعالى فالنبي صلى الله
عليه وسلم امتنع عن الانتفاع معها مع اعتقاده بكونه حلالا • ومن اعتقد ان هذا التحريم هو تحريم ما احله الله تعالى
بعينه فقد كفر فكيف يضاف الى الرسول مثل هذا • الثالث اذا قيل ما حكم تحريم الحلال • نقول اختلفت الائمة فيه • فابو
حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه • فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى وطيها
او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية • وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق باين • وكذلك ان نوى ثنتين
وان نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين ربه ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال علي
حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن
وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده • واما اختلاف الصحابة فيه فكما هو في الكشاف فلا حاجة بنا الى ذكر ذلك ثم قال تعالى
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات
به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير • قد فرض الله
لكم قال مقاتل يعني قد بين الله كما في قوله تعالى سورة انزلناها وفرضناها • وقال الباقون قد اوجب قال صاحب النظم
اذا وصل بعلى لم يحتمل غير الايجاب كما في قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم • واذا وصل باللام احتمل الوجهين • قوله تعالى
تحلة ايمانكم اي تحليلها بالكفارة • وتحلة على وزن تفعلة • واصله تحللة وتحلة القسم على وجهين • احدهما تحليله
بالكفارة كالذي في هذه الاية • وثانيهما ان تستعمل بمعنى الشيء القليل • وهذا هو الاكثر كما روي في الحديث لن يلج النار الا
تحلة القسم يعني زمانا يسيرا • وقرئ كفارة ايمانكم ونقل جماعة من المفسرين ان النبي صلى الله عليه وسلم حلف ان لا يطاء
جاريته فذكر تعالى له ما اوجب من كفارة اليمين • روى ابن جبير عن ابن عباس ان الحرام يمين يعني اذا قال انت علي حرام ولم
ينو طلاقا ولا ظهارا كان هذا اللفظ موجبا للكفارة لانه يمين • والله مولاكم اي وليكم وناصركم وهو العليم بخلقه الحكيم
فيما فرض من حكمه قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا • يعني ما اسر الى حفصة من تحريم الجارية على نفسه
واستكتمها ذلك • وقيل لما راى النبي صلى الله عليه وسلم الغيرة في وجه حفصة اراد ان يترضاها فاسر اليها بشيئين تحريم
الامة على نفسه • والبشارة بان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر قاله ابن عباس فلما نبات به اخبرت به عايشة
واظهره الله عليه اطلع نبيه على قول حفصة لعايشة فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة ان ذلك ببعض ما قالت
وهو قوله تعالى عرف بعضه حفصة واعرض عن بعض لم يخبرها انك اخبرت عايشة على وجه التكرم والاغضاء والذي
اعرض عنه خلافة ابي بكر وعمر • وقرئ عرف مخففا اي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك • وقد عرفت ما صنعت
قال الله تعالى اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي يجازيهم وهو يعلم ما في قلوب الخلق اجمعين قوله تعالى فلما نباها
به قالت حفصة من انباك هذا قال نباني العليم الخبير وصفه بكونه خبيرا بعد ما وصفه بكونه عليما لما ان في الخبير
من المبالغة ما ليس في العليم • وفي الاية مباحث • الاول كيف يناسب قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم الى قوله قد فرض
الله لكم لم تحرم ما احل الله لك • نقول تناسبه لما كان تحريم المراة يمينا حتى اذا قال لامراته انت علي حرام فهو يمين
ويصير موليا اذا لم يقربها من بعد ونعرف • الثاني ظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كان منه يمين فهل كفر النبي صلى
الله عليه وسلم لذلك • نقول هل يحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وانما هو تعليم للمؤمنين
وعن مقاتل انه اعتق رقبة في تحريم مارية ثم قال تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه
فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن

مسلمات



مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا قوله تعالى ان تتوبا الى الله خطابا لعايشة
وحفصة على طريقة الالتفات ليكون ابلغ في معاتبتهما • والتوبة من التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالايذاء فقد
صغت قلوبكما اي عدلت ومالت عن الحق وهو حق الرسول وذلك حق عظيم يوجد فيه استحقاق العتاب بادنى تقصير • وجواب
الشرط محذوف للعلم به على تقدير كان خيرا لكما • والمراد بالجمع في قوله قلوبكما التثنية قال الفراء وانما اختير الجمع على التثنية لان
اكثر ما يكون عليه الجوارح اثنين اثنين في الانسان • اليدين والرجلين والعينين فلما جرى اكثره على ذلك ذهب بالواحد منه
اذا اضيف الى اثنين مذهب الاثنين وقد مر هذا • وقوله تعالى وان تظاهرا عليه اي وان تعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم
بالايذاء فان الله هو مولاه اي له نصير على ذلك التظاهر منكما ومولاه اي وليه وناصره • وجبريل راس الكروبيين قرن ذكره بذكره
مفردا له من الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته • وصالح المؤمنين قال ابن عباس يريد ابا بكر وعمر مواليين للنبي صلى الله عليه وسلم
على من عاداه الناصرين له وهو قول المقاتلين وقال الضحاك خيار المؤمنين • وقيل من صلح من المؤمنين اي كل من امن وعمل صالحا
وقيل من برئ منهم من النفاق • وقيل الانبياء كلهم • وقيل الخلفاء • وقيل الصحابة وصالح هنا ينوب عن جمع ويجوز ان
يراد به الواحد والجمع • وقوله تعالى والملائكة بعد ذلك اي بعد حضرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير اي فوج مظاهر
للنبي صلى الله عليه وسلم واعوان له • وظهير في معنى الظهراء كقوله وحسن اولئك رفيقا قال الفراء والملائكة بعد نصرة هؤلاء
ظهير وقال ابو علي وقد جاء فعيل مفردا يراد به الكثرة كقوله تعالى ولا يسال حميم حميما يبصرونهم • ثم خوف نساءه بقوله عسى ربه
ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن قال المفسرون عسى من الله واجب • والمعنى اوجبت • وقرا اهل الكوفة ان يبدله
بالتخفيف • ثم انه تعالى كان عالما انه لا يطلقهن لكن اخبر عن قدرته ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن والاكثر في قوله
طلقكن بالاظهار • وعن ابي عمرو ادغام القاف في الكاف لانهما من حروف الفم • ثم وصف الازواج التي كان يبدله فقال مسلمات
اي خاضعات لله بالطاعة مؤمنات مصدقات بتوحيد الله مخلصات • قانتات طائعات • وقيل قائمات بالليل للصلاة
وهذا اشبه لانه ذكر السائحات بعد هذا • والسائحات الصائمات • فيلزم ان يكون قيام الليل مع صيام النهار • وقرئ سيحات
وهو ابلغ • وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد من يطعمه فشبه بالصائم الذي يمسك
الى ان يجيء وقت افطاره • وقيل سائحات مهاجرات • ثم قال ثيبات وابكارا لان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا
والاخرة بعضها من الثيب وبعضها من الابكار فالذكر على حسب ما وقع • وفيه اشارة الى ان تزوج النبي صلى الله عليه وسلم
ليس على حسب الشهوة والرغبة بل على حسب ابتغاء مرضات الله • وفي الاية مباحث • الاول قوله تعالى بعد ذلك
تعظيم للملائكة ومظاهرتهم • وقرئ تظاهر وتتظاهر وتظهر • الثاني كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض
نساء خير من امهات المؤمنين • نقول اذا طلقهن الرسول لعصيانهن وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة • وكان
غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله • الثالث قوله مسلمات مؤمنات يوهم التكرار والمسلمات
والمؤمنات على السواء • نقول الاسلام هو التصديق باللسان والايمان هو التصديق بالقلب وقد لا يتوافقان • فقوله
مسلمات مؤمنات تحقيقا للتصديق بالقلب واللسان • الرابع قال ثيبات وابكارا بواو العطف • نقول قال في الكشاف
انهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهن اجتماعهن في سائر الصفات • الخامس ذكر الثيبات في مقام المدح وهي من جملة
ما يقلل رغبة الرجال فيهن • نقول يمكن ان يكون البعض من الثيب خيرا بالنسبة الى البعض من الابكار عند الرسول لاختصاصهن
بالمال او الجمال او النسب او المجموع مثلا • واذا كان كذلك فلا يقدح ذكر الثيب في المدح لجواز ان يكون المراد مثل ما ذكرناه
من الثيب ثم قال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون
قوا انفسكم اي بالانتهاء عما نهاكم الله عنه وقال مقاتل ان يؤدب المسلم نفسه واهله فيامرهم بالخير وينهاهم عن الشر
وقال في الكشاف قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات • واهليكم بان تاخذوا بما تاخذون به انفسكم • وقيل قوا انفسكم
مما تدعو اليه انفسكم اذ الانفس تامرهم بالشر • وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا • وحسن العطف للفاصل • ونارا
نوعا من النار لا تتقد الا بالناس والحجارة • وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت لانها اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها
وقرئ وقودها بالضم • عليها ملائكة هي الزبانية تسعة عشر واعوانهم غلاظ شداد في اجرامهم غلظة وشدة
اي جفاء وقوة اي في افعالهم جفاء وخشونة ولا يبعد ان يكونوا بهذه الصفات خلقتهم او في افعالهم لان يكونوا اشداء
على اعداء الله رحماء على اولياء الله كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم • وقوله تعالى ويفعلون
ما يؤمرون يدل على اشتدادهم لمكان الامر لا تاخذهم رافة في تنفيذ اوامر الله والانتقام من اعدائه • وفيه
اشارة الى ان الملائكة مكلفون في الاخرة بما امرهم الله تعالى به وبما نهاهم عنه والعصيان منهم مخالفة للامر والنهي

ذكر الثيبات في مقام المدح وهي من جملة ما يقلل رغ[بة]

وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم • لما ذكر شدة العذاب بالنار واشتداد الملائكة في انتقام الاعداء
فقال لا تعتذروا اليوم الاعتذار هو التوبة والتوبة غير مقبولة بعد الدخول في النار فلا ينفعكم الاعتذار • وقوله تعالى
انما تجزون ما كنتم تعملون يعني انما اعمالكم السيئة الزمتكم العذاب في الجملة • وفي الاية مباحث الاول انه تعالى خاطب المشركين
في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين جعلها معدة
للكافرين • فما معنى مخاطبته به المؤمنين • نقول الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع الكفار في دار
واحدة • وقيل للذين آمنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق ومجاورة الذين اعدت لهم هذه النار ولا يبعد ان يأمرهم
بالتوقي عن الارتداد • الثاني كيف تكون الملائكة غلاظا شدادا وهم من الارواح فنقول الغلظة والشدة بحسب الصفات
لما كانوا من الارواح لا بحسب الذات • وهذا اقرب بالنسبة الى الغير من الاقوال • الثالث قوله تعالى لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ما الفائدة في الذكر فنقول ليس هذا في معنى ذلك لان معنى الاول انهم يتقبلون
اوامره ويلتزمونها ولا ينكرونها • ومعنى الثاني انهم يؤدون ما يؤمرون به كذا ذكره في الكشاف ثم قال تعالى يا ايها
الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي
الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير قوله تعالى توبة نصوحا اي توبة
بالغة في النصح وقال الفراء نصوحا من صفة التوبة • والمعنى توبة تنصح صاحبها بترك العود الى ما تاب منه وهو انها
الصادقة الناصحة ينصحون بها انفسهم • وعن عاصم نصوحا بضم النون وهو مصدر نحو القعود • يقال نصحت له نصحا
ونصاحة ونصوحا قال في الكشاف هو صفة التوبة بالنصح على الاسناد المجازي وهو ان يتوبوا عن القبائح نادمين
عليها غاية الندامة لا يعودون • وقيل من نصاحة الثوب اي خياطته • وعسى ربكم اطماع من الله تعالى لعباده • وقوله تعالى
يوم لا يخزي الله النبي نصب بيدخلكم • ولا يخزي تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد للمؤمنين على انه
عصمهم من مثل حالهم • ثم المعتزلة تعلقوا بقوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا وقالوا الاخزاء يقع بالعذاب
فقد وعد بان لا يعذب الذين آمنوا • ولو كان اصحاب الكبائر من اهل الايمان لم يخف عليهم العذاب • واهل السنة اجابوا
عنه بانه تعالى وعد اهل الايمان بان لا يخزيهم • والذين آمنوا ابتداء كلام وخبره يسعى او لا يخزي الله • ثم من اهل السنة
من يقف على قوله يوم لا يخزي الله النبي اي لا يخزيه في رد الشفاعة والاخزاء الفضيحة اي لا يفضحهم بين يدي الكفار
ويجوز ان يعذبهم على وجه لا يقف عليه الكفرة • وبين ايديهم اي عند المشي وبايمانهم عند الحساب لانهم يؤتون الكتاب
بايمانهم • وفيه نور وخير او يسعى النور بين ايديهم في موضع وضع الاقدام وبايمانهم لان خلفهم وشمائلهم طريق الكفرة • وقوله
تعالى يقولون ربنا اتمم لنا نورنا • قال ابن عباس يقولون ذلك عند اطفاء نور المنافقين اشفاقا • وعن الحسن انه تعالى
متمم لهم نورهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور • قيل ادناهم منزلة من نوره بقدر
ما يبصر مواطئ قدميه لان النور على قدر الاعمال فيسألون تمامه • وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط
وبعضهم كالريح • وبعضهم حبوا وزحفا • فهم الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا قاله في الكشاف • وقوله تعالى
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين • ذكر الكفار بنفسا والمنافقين • واغلظ عليهم اي شدد عليهم والمجاهدة قد تكون
بالقتال وقد تكون بالحجة • تارة باللسان • وتارة بالسنان • وقيل جاهدهم باقامة الحدود عليهم لانهم هم المرتكبون
الكبائر لان اصحاب الرسول عصموا منها • ومأواهم جهنم قد مر بيانه • وفي الاية مباحث • الاول كيف تعلق يا ايها الذين
آمنوا بما سبق • وقوله يا ايها الذين كفروا • نقول نبههم الله تعالى على دفع العذاب في ذلك اليوم بالتوبة في هذا اليوم
اذ في ذلك اليوم لا يفيد • وفيه لطيفة وهي ان التنبيه على الدفع بعد الترهيب كما مضى • وبعد الترغيب بذكر احوالهم
والانعام في حقهم واكرامهم • الثاني انه تعالى لا يخزي النبي في ذلك اليوم ولا الذين آمنوا فما الحاجة الى قوله معه
فنقول هي افادة الاجتماع يعني لا يخزي الله المجموع الذين يسعى نورهم • وهذه فائدة عظيمة اذ الاجتماع بين الذين
آمنوا وبين نبيهم تشريف في حقهم وتعظيم • الثالث قوله واغفر لنا يوهم ان الذنب لازم لكل واحد من المؤمنين والذنب
لا يكون لازما • فنقول يمكن ان يكون طلب المغفرة لما هو كاللازم لكل ذنب وهو التقصير في الخدمة والتقصير لازم
لكل واحد من المؤمنين • الرابع قال تعالى في اول السورة يا ايها النبي لم تحرم • ومن بعده يا ايها النبي جاهد الكفار
خاطبه بوصفه وهو النبي لا باسمه كقوله يا آدم • ولموسى يا موسى ولعيسى يا عيسى نقول خاطبه بهذا الوصف ليدل
على فضله عليهم • وهذا ظاهر • الخامس قوله تعالى ومأواهم جهنم يدل على ان مصيرهم بئس المصير مطلقا اذ المطلق
يدل على الدوام وغير المطلق لا يدل لما انه يطهرهم عن الآثام ثم قال تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح

وامرأة لوط

---

وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين • وضرب
الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين
قوله تعالى ضرب الله مثلا اي بين حالا لهم بطريق التمثيل انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من
غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم من القرابة وبينهم الشبه والتشبيه وانكارهم الرسول
فيما جاء به من عند الله واصرارهم عليه وقطع العلائق وجعل الاقارب من جملة الاجانب بل ابعد منهم وان كان المؤمن الذي
يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح ولوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان • وقيل لهما في اليوم الآخر ادخلا النار ثم
بين حال المسلمين في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة اظلم
من اعداء الله تعالى • ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان
قومها كانوا كفارا • وفي ضمن هذين التمثيلين تعريض بامي المؤمنين وهما حفصة وعائشة وما فرط منهما وتحذير
لهما على اغلظ وجه واشده لما في التمثيل من ذكر الكفر • وضرب مثلا آخر في امرأة فرعون آسية بنت مزاحم • وقيل هي عمة
موسى آمنت حين سمعت قصة القاء موسى عصاه وتلقف العصي فعذبها فرعون عذابا شديدا بسبب الايمان • عن ابي هريرة
انه وتدها باربعة اوتاد واستقبل بها الشمس والقى عليها صخرة عظيمة فقالت رب نجني من فرعون فرقي بروحها الى الجنة
فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه • قال الحسن رفعها الى الجنة تأكل فيها وتشرب • وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا
رأت بيتا في الجنة منزلها يبنى لاجلها وهو من درة والله اعلم كيف هو وما هو • وفي الاية مباحث الاول ما فائدة قوله
من عبادنا • نقول تعظيما لهم كما مر • الثاني اظهار ان العبد لا يترجح عن الآخر عنده الا بالصلاح • الثالث ما كانت خيانتهما
نقول نفاقهما • نقول نفاقهما واخفاؤهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين • فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون
وامرأة لوط كانت تدل على نزول ضيفه ابرهيم ولا يجوز ان تكون خيانتهما بالفجور • وعن ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط
وقيل خانتاهما في الدين • الرابع ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة • نقول طلبت القرب من رحمة الله • ثم بينت مكان القرب
بقولها في الجنة واردت ارتفاع درجتها في جنة المأوى التي هي اقرب الى العرش • ثم قال تعالى ومريم ابنت عمران التي
احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين • احصنت اي عن الفواحش
لانها قذفت بالزنا والفرج حمل على حقيقته قال ابن عباس نفخ جبريل في جيب الدرع ومده باصبعيه ونفخ فيه وكل ما في الدرع
من الخرق ونحوه فانه يقع عليه اسم الفرج • وقيل احصنت تكلفت في عفتها • والمحصنة العفيفة • ونفخنا فيه من روحنا
اي في فرج ثوبها • وقيل خلقنا فيه ما تظهر به الحياة في الابدان • وقوله فيه اي في عيسى • ومن قرأ فيها اي في نفس
عيسى والنفس مؤنث • واما التشبيه بالنفخ فذلك ان الروح اذا خلق فيه انتشر في تمام الجسد كالريح اذا نفخت في شيء
وقيل التشبيه بالنفخ لسرعة دخوله فيه نحو الريح • وصدقت بكلمات ربها قال مقاتل يعني بعيسى • ويدل عليه قراءة الحسن
بكلمة ربها • وسمي عيسى كلمة الله في مواضع من القرآن وجمعت تلك الكلمة هنا • وقال ابو علي الفارسي الكلمات الشرائع التي
شرع لها دون القول • وكان المعنى صدقت الشرائع فاخذت بها وصدقت الكتب فلم تكذب بها والشرائع سميت بكلمات كما في
قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات • صدقت قرئ بالتخفيف والتشديد على انها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعني
وصفها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه • وقرئ كلمة وكلمات وكتبه وكتابه • والمراد بالكتاب هو الكثرة
والشياع ايضا • وكانت من القانتين الطائعين قاله ابن عباس وقال عطاء من المصلين • وفي الاية مباحث الاول ما كلمات
الله وكتبه • نقول المراد بكلمات الله الصحف المنزلة على ادريس وغيره وبكتبه الكتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله ملائكته
وما كتبه في اللوح المحفوظ • وقرئ بكلمة الله وبكتابه اي بعيسى وكتابه وهو الانجيل الثاني لم قيل من القانتين على التذكير
نقول لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره • ومن للتبعيض قال في الكشاف وقيل من القانتين
لان المراد هو القوم وانه عام كاركعي مع الراكعين اي كوني من المقيمين على طاعة الله • ولانها من اعقاب هرون اخي موسى عليه
السلام • اما ضرب المثل بامرأة نوح المسماة بواعكة • وامرأة لوط المسماة بواهلة فهو مشتمل على فوائد متعددة لا يعرفها
بتمامها الا الله • والظاهر منها التنبيه للرجال والنساء على الثواب العظيم والعذاب الاليم • ومنها العلم بان صلاح الغير
لا ينفع المفسد • وفساد الغير لا يضر المصلح • ومنها ان الرجل وان كان في غاية الصلاح فلا يأمن من المرأة ولا يأمن من نفسه
كالصادر من امرأتي نوح ولوط عليهما السلام • ومنها العلم بان احصان المرأة وعفتها مفيدة غاية الافادة كما افادت
مريم ابنت عمران اخبر الله تعالى فقال ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك • ومنها التيقن على ان التضرع بالصدق
في حضرة الله وسيلة الى الخلاص عن العقاب • والى الثواب بغير حساب • وان الرجوع الى الحضرة الازلية لازم في كل باب
واليه المرجع والمآب جلت قدرته • وعلت كلمته • لا اله الا هو اليه المصير • والحمد لله رب العالمين • وصلى الله على سيدنا محمد

خ بواعلة

## سورة تبارك ثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير
اما قوله تبارك فقد فسرناه في اول سورة الفرقان واما قوله بيده الملك فاعلم ان هذه اللفظة انما تستعمل لتاكيد كونه تعالى
ملكا ومالكا كما يقال بيد فلان الامر والنهي والحل والعقد ولا مدخل للجارحة في ذلك قال صاحب الكشاف بيده الملك على كل موجود
وهو على كل ما لم يوجد من الممكنات قدير وقوله وهو على كل شيء قدير فيه مسائل المسألة الاولى هذه الآية احتج بها من زعم
ان المعدوم شيء فقال قوله ان الله على كل شيء قدير يقتضي كون مقدوره شيئا فذلك الشيء الذي هو مقدور الله تعالى اما ان يكون
موجودا او معدوما لا جائز ان يكون موجودا لانه لو كان قادرا على الموجود لكان اما ان يكون قادرا على ايجاده وهو محال
لان ايجاد الموجود محال واما ان يكون قادرا على اعدامه وهو محال لاستحالة وقوع الاعدام بالفاعل وذلك لان القدرة
صفة مؤثرة فلا بد لها من تاثير والعدم نفي محض فيستحيل جعل العدم اثرا للقدرة فيستحيل وقوع الاعدام بالفاعل
فثبت ان الشيء الذي هو مقدور الله ليس بموجود فوجب ان يكون معدوما فلزم ان يكون ذلك المعدوم شيئا واحتج اصحابنا
النافون لكون المعدوم شيئا بهذه الآية فقالوا لا شك ان الجوهر من حيث انه جوهر شيء والسواد من حيث هو سواد شيء والله
قادر على كل شيء بمقتضى هذه الآية فيلزم ان يكون قادرا على الجوهر من حيث انه جوهر وعلى السواد من حيث هو سواد واذا كان كذلك
كان كون الجوهر جوهرا والسواد سوادا واقعا بالفاعل والفاعل المختار لا بد وان يكون متقدما على فعله فاذن وجود الله وذاته
متقدم على فعله فاذن كون الجوهر جوهرا والسواد سوادا فيلزم ان لا يكون المعدوم شيئا وهو المطلوب ثم اجابوا عن شبهة
الخصم بانا لا نسلم ان الاعدام لا يقع بالفاعل ولئن سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان يقال المقدور الذي هو معدوم سمي شيئا لانه
سيصير شيئا وهذا وان كان مجازا الا انه يجب المصير اليه لقيام سائر الادلة الدالة على ان المعدوم ليس بشيء المسألة الثانية
زعم القاضي ابو بكر في احد قوليه ان اعدام الاجسام انما يقع بالفاعل وهذا اختيار ابي الحسين الخياط من المعتزلة ومحمود
الخوارزمي وزعم الجمهور منا ومن المعتزلة انه يستحيل وقوع الاعدام بالفاعل احتج القاضي بان الموجودات اشياء والله على
كل شيء قدير فهو اذن قادر على الموجودات فاما ان يكون قادرا على ايجادها وهو محال لان ايجاد الموجود محال او على اعدامها
وذلك يقتضي امكان وقوع الاعدام بالفاعل المسألة الثالثة زعم الكعبي على انه تعالى غير قادر على مثل مقدور العبد
وزعم ابو علي وابو هاشم على انه غير قادر على عين مقدور العبد وقال اصحابنا انه تعالى قادر على مثل مقدور العبد
وعلى عين مقدوره واحتجوا على ذلك بان عين مقدور العبد ومثل مقدوره شيء والله على كل شيء قدير فثبت بهذا امتناع
وجود مقدور واحد بين قادرين المسألة الرابعة زعم اصحابنا انه لا مؤثر الا قدرة الله وابطلوا القول بالطبائع
على ما يقوله الفلاسفة وابطلوا القول بالمتولدات على ما يقوله المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجدا لافعال
نفسه واحتجوا على الكل بان الآية دالة على انه تعالى قادر على كل شيء فلو وقع شيء من الممكنات لا بقدرة الله بل بشيء
آخر لكان ذلك الآخر قد منع قدرة الله عن التاثير فيما كان مقدورا له وذلك محال لان ما سوى الله ممكن محدث فيكون اضعف
قوة من قدرة الله والاضعف لا يمكن ان يدفع الاقوى المسألة الخامسة الآية دالة على ان الاله تعالى واحد لانا لو
قدرنا الها ثانيا فاما ان يقدر على ايجاد شيء او لا يقدر فان لم يقدر البتة على ايجاد شيء اصلا لم يكن الها وان قدر كان مقدور
ذلك الاله الثاني شيئا فيلزم كونه مقدورا للاله الاول لقوله وهو على كل شيء قدير فيلزم وقوع مخلوق بين خالقين وهو
محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد يلزم ان يستغني بكل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما
وذلك محال المسألة السادسة احتج جهم بهذه الآية على انه تعالى ليس بشيء فقال لو كان شيئا لكان قادرا على نفسه
لقوله وهو على كل شيء قدير لكن كونه قادرا على نفسه محال فيمتنع كونه شيئا وقال اصحابنا لما دل قوله قل اي شيء اكبر شهادة
قل الله على انه تعالى شيء وجب تخصيص هذا العموم فاذن هذه الآية قد دلت على ان العام المخصوص وارد في كتاب الله
ودلت على ان تخصيص العام بدليل العقل جائز بل واقع المسألة السابعة زعم جمهور المعتزلة على ان الله تعالى قادر
على خلق الكذب والجهل والعبث والظلم وزعم النظام انه غير قادر عليه فاحتج الجمهور بان الجهل والكذب اشياء والله
على كل شيء قدير فوجب كونه تعالى قادرا عليه المسألة الثامنة احتج اهل التوحيد على انه تعالى منزه عن
الحيز والجهة بانه تعالى لو حصل في حيز دون حيز لكان الحيز الذي حكم بحصوله فيه متميزا عن الحيز الذي حكم بانه غير
حاصل فيه اذ لو لم يتميز احد الحيزين عن الآخر لاستحال الحكم بانه تعالى حصل فيه ولم يحصل في الآخر ثم ان امتياز
احد الحيزين عن الآخر في نفسه يقتضي كون الحيز امرا موجودا لان العدم المحض يمتنع ان يكون مشارا اليه بالحس

وان لم يكن بعضه

وان لم يكن بعضه متميزا عن البعض في الحس فان كون مقصدا للتمييز فاذن لو كان الله تعالى حاصلا في حيز لكان ذلك
الحيز موجودا وكان ذلك الحيز موجودا لكان شيئا وكان مقدورا لله لقوله وهو على كل شيء قدير ولو كان كذلك لكان تحقق ذلك الحيز
بقدرة الله وباختياره فيلزم ان لا يكون الله متقدما في الوجود على تحقق ذلك الحيز [illegible]

[illegible]

على ذكر الحياة مع ان الحياة مقدمة على الموت لوجوه احدها قال مقاتل يعني بالموت نطفة وعلقة ومضغة والحياة
نفخ الروح وثانيها روى عطاء عن ابن عباس قال يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة دار الحيوان وثالثها ذكر انه روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان مناديا ينادي يوم القيامة يا اهل الجنة فيعلمون انه من قبل الله تعالى فيقولون لبيك ربنا
فيقول هل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ثم يؤتى بالموت في صورة كبش املح ويذبح ثم ينادي يا اهل الجنة خلود بلا موت
ويا اهل النار خلود بلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح ويزداد اهل النار حزنا الى الحزن واعلم انا بينا ان الموت عرض
من الاعراض كالسكون والحركة فلا يجوز ان يصير كبشا بل المراد منه التمثيل ليعلم ان ذلك اليوم قد انقضى امر الموت
فظهر بما ذكرنا ان ايام الموت هي ايام الدنيا وهي منقضية واما ايام الآخرة فهي ايام الحياة وهي متأخرة فلما كانت ايام
الموت متقدمة على ايام الحياة لا جرم قدم الله ذكر الموت على ذكر الحياة ورابعها انما قدم الموت على الحياة لان اقوى الناس
داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية اهم واعلم ان الحياة هي الاصل
في النعم ولولاها لم يتنعم احد في الدنيا وهي الاصل ايضا في نعم الآخرة ولولاها لم يثبت الثواب الدائم والموت ايضا نعمة
على ما شرحنا الحال فيه في مواضع من هذا الكتاب وكيف لا وهو الفاصل بين حال التكليف وحال المجازاة وهو نعمة من
هذا الوجه وقال عليه الصلاة والسلام اكثروا ذكر هادم اللذات وقال القوم لو اكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما
ارى وسأل عليه الصلاة والسلام عن رجل فاثنوا عليه فقال كيف ذكره للموت قالوا قليل قال فليس كما تقولون قوله تعالى
ليبلوكم ايكم احسن عملا فيه مسائل المسألة الاولى الابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم انه هل يطيع او يعصي
وذلك في حق من وجب ان يكون عالما بجميع المعلومات ازلا وابدا الا انا قد حققنا هذه المسألة في تاويل قوله تعالى
واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات والحاصل ان الابتلاء من الله تعالى هو انه يعامل عبده معاملة تشبه معاملة المختبر
المسألة الثانية احتج القائلون بانه تعالى يفعل الفعل لغرض بقوله ليبلوكم قالوا وهذه اللام للغرض ونظيره
قوله تعالى الا ليعبدون وجوابه ان الفعل في نفسه ليس بابتلاء الا انه لما اشبه الابتلاء سمي به مجازا فكذا هاهنا انه يشبه
الغرض وان لم يكن في نفسه غرضا فذكر فيه حرف الغرض المسألة الثالثة اعلم انا ان فسرنا الموت والحياة بالموت حال كونه
نطفة وعلقة ومضغة وبالحياة بعد ذلك فوجه الابتلاء على هذا الوجه ان نعلم انه تعالى هو الذي نقله من الموت الى الحياة
وكما فعل ذلك فلا بد وان يكون قادرا على ان ينقله من الحياة الى الموت فيحذر مجيء الموت الذي به ينقطع استدراك الفائت
ويستوي فيه الفقير والغني والمولى والعبد واما ان فسرناهما بالموت في الدنيا وبالحياة في القيامة فالابتلاء فيهما اتم
لان الخوف من الموت في الدنيا حاصل واشد منهما الخوف من تبعات الحياة في القيامة والمراد من الابتلاء انه هل ينزجر
عن القبائح بسبب هذا الخوف ام لا المسألة الرابعة في تعلق قوله ليبلوكم بقوله ايكم احسن عملا وجهان الاول
وهو قول الفراء والزجاج ان المتعلق بايكم مضمر والتقدير ليبلوكم ليعلم او فينظر ايكم احسن عملا والثاني قال
صاحب الكشاف ليبلوكم في معنى ليعلمكم والتقدير ليعلمكم ايكم احسن عملا المسألة الخامسة ارتفعت اي بالابتداء

قادرا

قال النبي عليه السلام اكثروا ذكر هادم اللذات

عمل

فذكر

ولا يعمل فيها ما قبلها لانها على اصل الاستفهام فانك اذا قلت لا علم ايكم افضل كان المعنى لا علم ازيد افضل ام عمرو واعلم
لا يعمل فيما بعد الالف فكذلك لا يعمل في اي لان المعنى واحد ونظير هذه الاية قوله سلهم ايهم بذلك زعيم وقد
تقدم الكلام فيه المسئلة السادسة ذكروا في تفسير ايكم احسن عملا وجوها احدها ان يكون اخلص الاعمال
واصوبها لان العمل اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه الله
والصواب ان يكون على وجه السنة وثانيها قال ابو قتادة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يقول ايكم احسن عقلا ثم قال اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وانما جاز ان
يفسر حسن العمل بتمام العقل لانه يترتب على العقل فمن كان اتم عقلا كان احسن عملا على ما ذكر في حديث ابي قتادة
وثالثها روى عن الحسن ايكم ازهد في الدنيا واشد تركا لها واعلم انه لما ذكر حديث الابتلا قال بعده وهو العزيز الغفور
اي وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اسا العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة واعلم ان كونه عزيزا غفورا
لا يتم الا بعد كونه قادرا على كل المقدورات عالما بكل المعلومات اما انه لا بد من القدرة التامة فلاجل انه يتمكن
من ايصال جزا كل احد بتمامه اليه سوا كان عقابا او ثوابا واما انه لا بد من العلم التام فلاجل العلم ان المطيع
من هو والعاصي من هو فلا يقع الخطا في ايصال الحق الى مستحقه فثبت ان كونه عزيزا غفورا لا يمكن ثبوتهما الا بعد
ثبوت القدرة التامة والعلم التام ولهذا السبب ذكر الله الدليل على ثبوت هاتين الصفتين في هذا المقام ولما
كان العلم بكونه تعالى عالما لا جرم ذكر اولا دليل القدرة وثانيا دلائل العلم اما دليل القدرة فهو قوله
الذي خلق سبع سموات طباقا فيه مسائل المسئلة الاولى ذكر صاحب الكشاف في طباقا ثلاثة اوجه اولها
طباقا اي مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر وثانيها
ان يكون التقدير ذات طباق وثالثها ان يكون التقدير طوبقت طباقا المسئلة الثانية دلالة هذه السموات
على القدرة من وجوه احدها انها بقيت في جو الهوا معلقة بلا عماد ولا سلسلة وثانيها ان كل واحد منها
اختص بمقدار معين مع جواز ما هو ازيد منه وانقص وثالثها انه اختص كل واحد بحركة خاصة مقدرة بقدر معين
من السرعة والبطو الى جهة معينة ورابعها كونها في ذواتها محدثة وكل ذلك يدل على استنادها الى قادر تام القدرة
واما دليل العلم فهو قوله تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فيه مسائل المسئلة الاولى قرا حمزة
والكسائي من تفوت والباقون من تفاوت قال الفرا وهما بمنزلة واحدة مثل تصعر وتصاعر وتعهدته وتعاهدته
وقال الاخفش تفاوت اجود لانهم يقولون تفاوت الامر ولا يكادون يقولون تفوت واختار ابو عبيدة تفوت
وقال يقال تفوت الشي اذا فات واحتج بما روي في الحديث ان رجلا تفوت على ابيه في ماله المسئلة الثانية
حقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشي يفوت بعضا ولا يلايمه ومنه قولهم خلق متفاوت ونقيضه متناسب
واما الفاظ المفسرين فقال السدي من تفاوت اي من اختلاف وعيب يقول الناظر لو كان كذا كان احسن وقال
اخرون المراد من التفاوت الفطور بدليل قوله بعد ذلك فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله وما لها من فروج
قال القفال رحمه الله ويحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة على حكمة صانعها وانه لم يخلقها
عبثا المسئلة الثالثة الخطاب في قوله ما ترى اما للرسول واما لكل مخاطب وكذا القول في قوله فارجع
البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا المسئلة الرابعة قوله طباقا صفة للسموات
وقوله بعد ذلك ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى للسموات والتقدير خلق سبع سموات طباقا ما ترى
فيهن من تفاوت الا انه وضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت
وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذي خلق مثل ذلك الخلق المتناسب المسئلة الخامسة اعلم ان وجه
الاستدلال بهذا على كمال علم الله هو ان الحس دل على ان هذه السموات السبع اجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان
وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فانه لا بد وان يكون عالما فدلت هذه الدلالة على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة المسئلة السادسة احتج الكعبي بهذه الاية على
ان المعاصي ليست من خلق الله تعالى قال لانه تعالى نفى التفاوت عن خلقه وليس المراد نفي التفاوت في الصغر والكبر والنقص
والعيب فوجب حمله على نفي التفاوت في خلقه من حيث الحكمة فيدل من هذا الوجه على ان افعال العباد ليست من خلقه
على ما فيها من التفاوت الذي بعضه جهل وبعضه سفه والجواب بل نحن نحمله على انه لا تفاوت فيها بالنسبة
اليه من حيث ان الكل يصح منه بحسب القدرة والارادة والداعية وانه لا يقبح منه شي اصلا فلم كان حمل الاية على نفي التفاوت
من الوجه الذي ذكرتموه اولى من الوجه الذي ذكرناه ثم انه تعالى اكد بيان كونها محكمة متقنة وقال فارجع البصر هل

ترى من فطور



ترى من فطور والمعنى انه لما قال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت كانه قال بعده ولعلك لا تحكم بمقتضى ذلك النظر الواحد
ولا تعتمد عليه بسبب انه قد يقع الغلط في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظر مرة بعد اخرى حتى تتيقن
انه ليس في خلق الرحمن من تفاوت البتة والفطور جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير
كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع قال المفسرون هل من فطور اي من فروج وصدوع وشقوق وفتوق وخروق
كل هذا الفاظهم ثم قال تعالى ثم ارجع البصر كرتين امره بتكرير البصر في خلق الرحمن على سبيل التصفح والتتبع هل
تجد فيه عيبا وخللا يعني انك اذا كررت هذا النظر لم يرجع اليك بصرك بما طلبته من وجدان الخلل والعيب بل
يرجع اليك خاسيا اي مبعدا من قولك خسات الكلب اذا باعدته قال المبرد الخاسي المبعد المصغر وقال ابن عباس
الخاسي الذي لم ير ما يهوى واما الحسير فقال ابن عباس هو الكليل قال الليث الحسر والحسور الاعيا وذكر
الواحدي رحمه الله ههنا احتمالين احدهما ان يكون الحسير مفعولا من حسر العين بعد المرى قال روبة شعر
يحسر طرف عينه فضاه الثاني قال الفرا ان يكون فاعلا من الحسور الذي هو الاعيا والمعنى انه وان كرر النظر
واعاده فانه لا يجد عيبا ولا فطورا بل البصر يرجع خاسيا مع الكلال والاعيا وههنا سوالان السوال
الاول كيف ينقلب البصر خاسيا حسيرا برجعه كرتين اثنتين الجواب معنى التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك
وسعديك يريدون اجابات كثيرة متوالية السوال الثاني فما معنى ثم ارجع الجواب امره برجع البصر ثم امره
بان لا يقنع بالرجعة الاولى بل ان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود الى ان يحسر بصره من طول المعاودة
فانه لا يعثر على شي من فطور قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح اعلم ان هذا هو الدليل الثاني على
كونه تعالى قادرا عالما وذلك لان هذه الكواكب نظرا الى انها محدثة ومختصة بمقدار خاص وموضع معين وسير معين
يدل على ان صانعها قادر ونظرا الى كونها محكمة متقنة موافقة لمصالح العباد من كونها زينة لاهل الدنيا وسببا لانتفاعهم
بها تدل على ان صانعها عالم ونظير هذه الاية في سورة والصافات انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل
شيطان مارد وههنا مسايل المسئلة الاولى السما الدنيا اي السما القربى وذلك انها اقرب السموات الى الناس
ومعناها السما الدنيا من الناس والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فقيل
ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة اما قوله وجعلناها رجوما فاعلم ان الرجوم
جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به وذكروا في معنى هذه الاية وجهين الاول ان الشياطين اذا ارادوا استراق
السمع رجموا بها فان قيل جعل الكواكب زينة للسما يقتضي بقاها واستمرارها وجعلها رجوما للشياطين ورميهم
بها يقتضي زوالها والجمع بينهما متناقض قلنا ليس معنى رجم الشياطين هو انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان
ينفصل من الكواكب شعل ترمى الشياطين بها وتلك الشعل هي الشهب وما ذاك الا كقبس يوخذ من نار والنار ثابتة الوجه
الثاني في تفسير كون الكواكب رجوما للشياطين انا جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم الاحكاميون
من المنجمين المسئلة الثانية اعلم ان ظاهر هذه الاية لا يدل على ان هذه الكواكب مركوزة في السما الدنيا وذلك
لان السموات اذا كانت شفافة فالكواكب سوا كانت في السما الدنيا او كانت في سموات اخرى فوقها فهي لا بد وان تظهر في
السما الدنيا وتلوح منها فعلى التقديرين تكون السما الدنيا متزينة بهذه المصابيح واعلم ان اصحاب الهيئة اتفقوا على ان
هذه الثوابت مركوزة في الفلك الثامن فيجب ان تكون كلها هناك انما قلنا ان بعضها في الفلك الثامن وذلك لان الثوابت
التي تكون قريبة من المنطقة تنكسف بهذه السيارات فوجب ان تكون الثوابت المنكسفة فوق السيارات الكاسفة وانما
قلنا ان هذه السيارات لما كانت في الفلك الثامن وجب ان تكون كلها هناك لانها باسرها متحركة حركة واحدة بطيئة في كل ماية
سنة درجة واحدة فلا بد ان تكون مركوزة في كرة واحدة واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف فانه لا يلزم من كون بعض
الثوابت فوق السيارات كون كلها هناك لانه لا يبعد وجود كرة تحت كرة القمر وتكون في البطء مساوية لكرة الثوابت
وتكون الكواكب المركوزة فيما يقارب القطبين مركوزة في هذه الكرة السفلية اذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر
والكبر مع كونهما متشابهتين في الحركة وعلى هذا التقدير لا يمتنع ان تكون هذه المصابيح مركوزة في السما الدنيا
فثبت ان مذهب الفلاسفة في هذا الباب ضعيف والله اعلم المسئلة الثالثة اعلم ان منافع النجوم كثيرة منها
ان الله تعالى زين السما بها ومنها انه يحصل بسببها في الليل قدر من الضوء ولذلك فانه اذا تكاثف السحاب في
عظمت الظلمة وذلك بسبب ان السحاب يحجب انوارها ومنها انه يحصل بسببها تفاوت في احوال الفصول الاربعة
فانها اجسام عظيمة نورانية فاذا قاربت الشمس كوكبا مسخنا في الصيف صار الصيف اقوى حرا وهو مثل
نار تنضم الى نار اخرى فانه لا شك انه يكون الاثر الحاصل من المجموع اقوى ومنها انه تعالى جعلها علامات يهتدى بها

جعل الكواكب زينة للسما يقتضي بقاها واستمرارها

في ظلمات البر والبحر على ما قال وعلامات وبالنجم هم يهتدون • ومنها انه تعالى جعلها رجوما للشياطين الذين يخرجون الناس
من نور الايمان الى ظلمات الكفر • يروى ان السبب في ذلك ان الجن كانت تستمع خبر السما فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
حرست السما ورصدت الشياطين • فمن جا منهم مسترقا للسمع رمي بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى
الناس فيختلط على النبي امره ويرتاب الناس بخبره فهذا السبب في انقضاض الشهب وهو المراد من قوله وجعلناها
رجوما للشياطين • ومن الناس من طعن في هذا من وجوه • احدها ان انقضاض الكواكب مذكور في كتب قدما الفلاسفة
قالوا ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس • فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها فتلك
الشعلة هي الشهاب • وثانيها ان هولاء الجن كيف يجوز ان يشاهدوا واحدا والفا من جنسهم يسترقون السمع فيحرقون
ثم انهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم فان العاقل اذا راى الهلاك في شي مرة ومرارا والفا امتنع ان يعود اليه
من غير فايدة • وثالثها انه يقال في ثخن السما انه مسيرة خمسماية عام فهولا الجن ان نفذوا في جرم السما وخرقوا
اتصاله فهذا باطل لانه تعالى نفى ان يكون فيها فطور على ما قال فارجع البصر هل ترى من فطور وان كانوا لا ينفذون
في جرم السما فكيف يمكنهم ان يسمعوا اسرار الملايكة من ذلك البعد العظيم • ثم ان جاز ان يسمعوا كلامهم من ذلك
البعد العظيم فلم لا يسمعون كلام الملايكة حال كونهم في الارض • ورابعها ان الملايكة انما اطلعوا على الاحوال
المستقبلة • اما لانهم طالعوها من اللوح المحفوظ او لانهم تلقفوها من وحي الله اليهم وعلى التقديرين فلم
يسكتوا عن ذكرها حتى لا يتمكن الجني من الوقوف عليها • وخامسها ان الشياطين مخلوقون من النار والنار لا تحرق
النار بل تقويها • فكيف يعقل ان يقال ان الشياطين زجروا عن استراق السمع بهذه الشهب • وسادسها انه ان كان هذا
القذف لاجل النبوة فلم دام بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام • وسابعها ان هذه الرجوم انما تحدث بالقرب
من الارض بدليل انا نشاهد حركاتها بالعين ولو كانت قريبة من الفلك لما شاهدنا حركاتها كما لم نشاهد حركات
الكواكب • واذا ثبت ان هذه الشهب انما تحدث بالقرب من الارض فكيف يقال انها تمنع الشياطين من الوصول الى
الفلك • وثامنها ان هولا الشياطين لو كان يمكنهم ان ينقلوا اخبار الملايكة عن المغيبات الى الكهنة فلم لا ينقلوا
اسرار المومنين الى الكفار حتى يتوسل الكفار ~~بواسطة~~ بواسطة وقوفهم على اسرارهم الى الحاق الضرر بهم
وتاسعها لو لم يمنعهم الله تعالى ابتدا من الصعود الى السما حتى لا يحتاج في دفعهم عن السما الى هذه الشهب • والجواب
عن السوال الاول انا لا ننكر ان هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لاسباب اخر الا ان
ذلك لا ينافي انها بعد مبعث النبي عليه الصلاة والسلام قد يوجد بسبب اخر وهو دفع الجن وزجرهم • يروى انه قيل
للزهري اكان يرمى في الجاهلية قال نعم • قلت افرايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد
له شهابا رصدا قال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي عليه الصلاة والسلام • والجواب عن السوال الثاني
انه اذا جا القدر عمي البصر • فاذا قضى الله على طايفة منهم الحرق لطغيانها وضلالها قيض لها من الدواعي المطمعة
في درك المقصود ما عندها تقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار • والجواب عن السوال الثالث ان البعد
بين السما والارض مسيرة خمسماية عام • واما ثخن الفلك فلعله لا يكون عظيما • واما الجواب عن السوال الرابع
ما روى الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب عن ابن عباس قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من
اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم
او يموت عظيم قال عليه الصلاة والسلام انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا اذا قضى الامر في السما سبحت
حملة العرش ثم سبح اهل السما وسبح كل سما حتى ينتهي التسبيح الى هذه السما ويستخبر اهل السما حملة العرش ماذا قال ربكم
فيخبرونهم ولا يزال ينتهي الخبر من سما الى سما الى ان ينتهي الخبر الى هذه السما ويتخطف الجن فيرمون فما جاوا به
فهو حق ولكنهم يزيدون فيه • والجواب عن السوال الخامس ان النار قد تكون اقوى من نار اخرى فالاقوى
يبطل الاضعف • والجواب عن السوال السادس انه انما دام لانه عليه الصلاة والسلام اخبر ببطلان الكهانة
فلو لم يدم هذا القذف لعادت الكهانة وذلك يقدح في خبر الرسول عن بطلان الكهانة • والجواب عن السوال السابع
ان البعد على مذهبنا غير مانع من السماع فلعله تعالى اجرى عادته بانهم اذا وقفوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملايكة
والجواب عن السوال الثامن لعله تعالى اقدرهم على استماع الغيوب عن الملايكة واعجزهم عن ايصال اسرار المومنين
الى الكافرين • والجواب عن السوال التاسع انه تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فهذا ما يتعلق بهذا الباب
على سبيل الاختصار والله اعلم • واعلم انه تعالى لما ذكر منافع الكواكب وذكر من جملة تلك المنافع انها رجوم
للشياطين قال بعد ذلك واعتدنا لهم عذاب السعير اي واعتدنا للشياطين بعد الاحراق بالشهب في الدنيا





عذاب السعير في الاخرة قال المبرد سعرت النار فهي مسعورة وسعير كقولك مقتولة وقتيل • واحتج اصحابنا
على ان النار مخلوقة الان بهذه الاية لان قوله واعتدنا اخبار عن الماضي • قوله تعالى وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم
وبيس المصير • اعلم انه تعالى بين في اول السورة انه قادر على جميع الممكنات ثم ذكر بعده انه وان كان قادرا على
الكل الا انه انما خلق ما خلق لا للعبث والباطل بل لاجل الابتلا والامتحان • وبين ان المقصود من ذلك الابتلا ان
يكون عزيزا في حق المصرين على الاساة غفورا في حق التايبين عنها • ولما كان كونه عزيزا وغفورا لا يثبت الا اذا
ثبت كونه تعالى كاملا في القدرة والعلم بين ذلك بالدلايل المذكورة وحينيذ ثبت كونه قادرا على تعذيب العصاة
وعلى اثابة المطيعين فذكر بعد ذلك تفاصيل عذاب العصاة فقال • وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبيس المصير
اي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك • وقرى عذاب جهنم
بالنصب عطف بيان على قوله عذاب السعير • ثم انه تعالى وصف ذلك العذاب بصفات كثيرة • الصفة الاولى قوله
اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا • القوا طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به • ومثله قوله حصب جهنم
وفي قوله سمعوا لها شهيقا وجوه • احدها قال مقاتل سمعوا لجهنم شهيقا ولعل المراد تشبيه صوت لهب النار بالشهيق
قال الزجاج سمع الكفار للنار شهيقا وهو اقبح الاصوات وهو كصوت الحمار وقال المبرد هو تنفس كتنفس المتغيظ
وثانيها قال عطا سمعوا لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقا • وثالثها سمعوا من انفسهم شهيقا كقوله تعالى لهم
فيها زفير وشهيق • والقول هو الاول • الصفة الثانية قوله تفور قال الليث كل شي جاش فقد فار وهو فور القدر
والدخان والغضب والماء من العين قال ابن عباس تغلي بهم كغلي المرجل • وقال مجاهد تفور بهم كما يفور الما الكثير بالحب
القليل • ويجوز ان يكون هذا من باب فور الغضب قال المبرد يقال تركت فلانا يفور غضبا • ويتاكد هذا القول بالاية
الاتية • الصفة الثالثة قوله تكاد تميز من الغيظ • يقال فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا • وغضب فطارت
منه شقة في الارض وشقة في السما اذا وصفوه بالافراط فيه • واقول لعل السبب في هذا المجاز ان الغضب حالة تحصل
عند غليان دم القلب • والدم عند الغليان يصير اعظم حجما ومقدارا فتتمدد تلك الاوعية عند ازدياد مقادير الرطوبات
في البدن فكلما كان الغضب اشد كان الغليان اشد فكان الازدياد اكثر فكان تمدد الاوعية وانشقاقها وتميزها اكثر فجعل
ذكر هذه الملازمة كناية عن شدة الغضب • فان قيل النار ليست من الاحيا فكيف يمكن وصفها بالغيظ • قلنا الجواب
من وجوه • احدها ان البنية عندنا ليست شرط الحياة فلعل الله خلق فيها وهي نار حياة • وثانيها انه شبه صوت لهبها
وسرعة تبادرها بصوت الغضبان وحركته • وثالثها ان يكون المراد غيظ الزبانية • الصفة الرابعة قوله كلما القي فيها فوج
سالهم خزنتها الم ياتكم نذير • الفوج الجماعة من الناس والافواج الجماعات في تفرقة • ومنه قوله فتاتون افواجا
وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية • الم ياتكم نذير وهو سوال توبيخ قال الزجاج وهذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب
وفي الاية مسيلتان • المسلة الاولى احتجت المرجية على انه لا يدخل النار احد الا الكفار بهذه الاية • قالوا لانه
تعالى حكى عن كل من القي في النار انهم قالوا كذبنا النذير وهذا يقتضي ان من لم يكذب الله ورسوله ان لا يدخل النار • واعلم
ان ظاهر الاية يقتضي القطع بان الفاسق المصر لا يدخل النار واجاب القاضي عنه بان النذير قد يطلق على ما في العقول
من الادلة المحذرة المخوفة • ولا احد يدخل النار الا وهو مخالف للدليل غير متمسك بموجبه • احتج القايلون بان
معرفة الله وشكره لا يجبان الا بعد ورود السمع بهذه الاية • وقالوا هذه الاية دلت على انه تعالى ما عذبهم لانه
اتاهم النذير • وهذا يدل على انه لو لم ياتهم النذير لما عذبهم • ثم انه تعالى ~~ما عذبهم لانه اتاهم النذير وهذا~~
~~يدل على انه لو لم ياتهم النذير لما عذبهم • ثم انه تعالى~~ حكى عن الكفار جوابهم عن ذلك السوال من وجهين • الاول قوله
قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي • واعلم ان قوله قالوا بلى اعتراف منهم بعدل الله • واقرار بان الله ازاح
عللهم ببعثة الرسل • ولكنهم كذبوا الرسل • وقالوا ما نزل الله من شي • اما قوله ان انتم الا في ضلال كبير ففيه مسيلتان
المسلة الاولى فيه وجهان الاول وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين • الثاني يجوز ان يكون من كلام
الخزنة للكفار • والتقدير ان الكفار لما قالوا ذلك الكلام قالت الخزنة لهم ان انتم الا في ضلال كبير • المسلة الثانية
يحتمل ان يكون المراد من الضلال الكبير ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا • ويحتمل ان يكون المراد بالضلال الهلاك • ويحتمل
ان يكون قد سمى عقاب الضلال باسمه • اما قوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير هذا هو
الكلام الثاني مما حكاه الله عن الكفار جوابا للخزنة حين قالوا الم ياتكم نذير والمعنى لو كنا نسمع الانذار سماع من كان
طالبا للحق او نعقله عقل من كان متاملا متفكرا ما كنا من اصحاب السعير • وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار
التكليف على ادلة السمع والعقل • وفي الاية مسايل • المسلة الاولى احتج اصحابنا بهذه الاية في مسيلة الهدى

فكلما

الفوج الجماعة من الناس والافواج الجماعة

والضلال بان قالوا لفظة لو تفيد امتناع الشيء لامتناع غيره فدلت الاية على انه ما كان لهم سمع ولا عقل لكن لا شك
انهم كانوا ذوي اسماع وعقول صحيحة وانهم ما كانوا صم الاسماع ولا مجانين فوجب ان يكون المراد ما كان لهم سمع الهداية
ولا عقل الهداية **المسئلة الثانية** احتج بهذه الاية من قال الدين لا يتم الا بالتعليم فقال انه قدم السمع على
العقل تنبيها على انه لا بد اولا من ارشاد المرشد وهداية الهادي ثم انه تترتب عليه فهم المستجيب وتامله فيما
تلقفه من المعلم والجواب انه انما قدم السمع لان المدعو اذا لقي الرسول فاول المراتب انه يسمع كلامه ثم انه
يتفكر فيه • فلما كان السمع مقدما بهذا السبب على التعقل والتفهم لا جرم قدم عليه في الذكر **المسئلة الثالثة**
قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او مذهب اصحاب الراي كان
هذه الاية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب والمجتهدين قد انزل الله وعيدهم
**المسئلة الرابعة** احتج من فضل السمع على البصر بهذه الاية وقالوا دلت الاية على ان للسمع مدخلا في الخلاص
عن النار والفوز بالجنة • والبصر ليس كذلك فوجب ان يكون السمع افضل • واعلم انه تعالى لما حكى عن الكفار هذا
القول قال فاعترفوا بذنبهم قال مقاتل يعني بتكذيبهم الرسل وهو قولهم فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وقوله
بذنبهم فيه قولان • احدهما ان الذنب ههنا في معنى الجمع لان فيه معنى الفعل كما يقال خرج عطاء الناس اي عطياتهم
هذا قول الفراء • والثاني يجوز ان يراد بالواحد المضاف الشياع كقوله وان تعدوا نعمة الله ثم قال تعالى
فسحقا لاصحاب السعير قال المفسرون فبعدا لهم اعترفوا او جحدوا فان ذلك لا ينفعهم والسحق البعد وفيه
لغتان التخفيف والتثقيل كما تقول في العنق والطنب • قال الزجاج سحقا منصوب على المصدر والمعنى اسحقهم
الله سحقا اي ابعدهم الله من رحمته مباعدة • وقال ابو علي الفارسي كان القياس اسحاقا فجاء المصدر على الحذف
كقولهم عمرك الله • واعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المؤمنين فقال ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم
مغفرة واجر كبير • فيه وجهان • الاول ان المراد ان الذين يخشون ربهم وهم في دار التكليف والمعارف نظرية
وبهم حاجة الى مجاهدة الشيطان ودفع الشبه بطريق الاستدلال • الثاني ان هذا اشارة الى كونه متقيا عن جميع
المعاصي لان من يتقي معاصي الله في الخلوة اتقاها حيث يراها الناس لا محالة • واحتج اصحابنا بهذه الاية على انقطاع
وعيد الفساق فقالوا دلت هذه الاية على ان من كان موصوفا بهذه الخشية فله هذا الاجر العظيم فاذا جاء يوم القيمة
مع الفسق ومع هذه الخشية فقد حصل الامران • فاما ان يثاب ثم يعاقب وهو بالاجماع باطل او يعاقب ثم
ينقل الى دار الثواب وهو المطلوب • واعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار ووعد المؤمنين على سبيل المغايبة
رجع بعد ذلك الى خطاب الكفار فقال واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور • وفيه وجهان • الاول
قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد
فانزل الله هذه الاية • القول الثاني انه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الاعمال • والمراد ان قولكم وعملكم
على اي سبيل وجد فالحال واحدة في علمه تعالى بها فاحذروا من المعاصي سرا كما تحترزون عنها جهرا فانه لا يتفاوت
ذلك بالنسبة الى علم الله وكما بين تعالى انه عالم بالسر بين انه عالم بخواطر القلوب • ثم انه تعالى لما ذكر كونه
عالما بالجهر وبالسر وبما في الصدور ذكر الدليل على كونه عالما بهذه الاشياء فقال الا يعلم من خلق وفيه مسائل
**المسئلة الاولى** ان من خلق شيئا لا بد وان يكون عالما بمخلوقه • وهذه المقدمة كما انها مقررة بهذا النص
فهي ايضا مقررة بالدلايل القطعية • وذلك لان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد
الى الشيء لا بد وان يكون عالما بحقيقة ذلك الشيء فان الغافل عن الشيء يستحيل ان يكون قاصدا اليه • وكما انه ثبت ان
الخالق لا بد وان يكون عالما بماهية المخلوق لا بد وان يكون عالما بكميته لان وقوعه على ذلك المقدار دون ما هو ازيد
منه او انقص لا بد وان يكون لقصد الفاعل واختياره • والقصد مسبوق بالعلم فلا بد وان يكون قد علم
ذلك المقدار واراد ايجاد ذلك المقدار حتى يكون وقوع ذلك المقدار اولى من وقوع ما هو ازيد منه او انقص
والا يلزم ان يكون اختصاص ذلك المقدار بالوقوع دون الازيد والانقص ترجيحا لاحد طرفي الممكن على الاخر
لا لمرجح وهو محال فثبت ان من خلق شيئا فانه لا بد وان يكون عالما بحقيقة ذلك المخلوق وبكميته وكيفيته • واذا
ثبتت هذه المقدمة • فنقول تمسك اصحابنا بهذه الاية في بيان ان العبد غير موجد لافعال نفسه من وجهين
الاول انه لو كان العبد موجدا لافعال نفسه لكان عالما بتفاصيلها فهو غير موجد لها • بيان الملازمة من
وجهين • الاول التمسك بهذه الاية • والثاني ان وقوع عشرة اجزاء من الحركة مثلا ممكن ووقوع الازيد منه والانقص
منه ايضا ممكن • فاختصاص العشرة بالوقوع دون الازيد ودون الانقص لا بد وان يكون لاجل ان القادر المختار

خصه بالايقاع

خصه بالايقاع والامكان وقوعه دون الازيد والانقص وقوعا للممكن المحدث من غير مرجح لان القادر المختار اذا
خص تلك العشرة بالايقاع فلا بد وان يكون عالما بان الواقع عشرة لا ازيد ولا انقص فثبت ان العبد لو كان موجدا
لافعال نفسه لكان عالما بتفاصيلها • واما انه غير عالم بتفاصيلها فلوجوه • احدها ان المتكلمين اتفقوا
على ان التفاوت بين الحركة السريعة والبطيئة لاجل تخلل السكنات • فالفاعل للحركة البطيئة قد فعل في بعض الاحيان
حركة وفي بعضها سكونا مع انه لم يخطر البتة بباله انه فعل ههنا حركة وهناك سكونا • وثانيها ان فاعل الحركة
لا يعرف عدد اجزاء تلك الحركات الا اذا عرف عدد الاحياز التي بين مبدا المسافة ومنتهاها • وذلك يتوقف على علمه
بان الجواهر الفردة التي تتسع لها تلك المسافة من اولها الى اخرها كم هي ومعلوم ان ذلك غير معلوم • وثالثها
ان النائم والمغشي عليه قد يتحرك من جنب الى جنب مع انه لا يعلم لا ماهية تلك الحركة ولا كميتها • ورابعها ان عند
ابي علي وابي هاشم القادر انما يفعل معنى يقتضي الحصول في الحيز • ثم ان ذلك المعنى الموجب لا يخطر ببال اكثر الخلق
فظهر بهذه الوجوه ان العبد غير موجد لافعاله • الوجه الثاني في التمسك بهذه الاية على ان العبد غير موجد
ان نقول انه تعالى لما ذكر انه عالم بالسر والجهر وبكل ما في الصدور قال بعده الا يعلم من خلق • وهذا الكلام انما
يتصل بما قبله لو كان تعالى خالقا لكل ما يفعلونه في السر والجهر وفي الصدور والقلوب • فانه لو لم يكن خالقا لها لم يكن
قوله الا يعلم من خلق مقتضيا كونه تعالى عالما بتلك الاشياء واذا كان كذلك ثبت انه تعالى هو الخالق لجميع ما يفعلونه
في السر والجهر من افعال الجوارح ومن افعال القلوب • فان قيل لم لا يجوز ان يكون المراد الا يعلم من خلق الاجسام
والعالم بهذه الاشياء • قلنا انه لا يلزم من كونه خالقا لغير هذه الاشياء كونه عالما بها لان من يكون فاعلا لشيء
لا يجب ان يكون عالما بشيء اخر انما يلزم من كونه خالقا لها كونه عالما بها لان خالق الشيء يجب ان يكون عالما به • **المسئلة الثانية**
يحتمل ثلاثة اوجه • احدها ان يكون من خلق في محل الرفع والمنصوب يكون مضمرا • والتقدير الا يعلم من خلق مخلوقه
وثانيها ان يكون من خلق في محل النصب ويكون المرفوع مضمرا • ويكون التقدير الا يعلم الله من خلق والاحتمال الاول
اولى لان الاحتمال الثاني يفيد كونه تعالى عالما بذات من هو مخلوقه • والمقصود من الاية هذا لا الاول • وثالثها
ان من في تقدير ما كما يكون ما في تقدير من في قوله والسماء وما بناها وعلى هذا يكون ما اشارة الى ما يسره الخلق ويجهرونه
ويضمرونه في صدورهم • وهذا يقتضي ان تكون افعال العباد مخلوقة لله تعالى اما قوله وهو اللطيف الخبير
فاعلم انهم اختلفوا في اللطيف فقال بعضهم المراد العالم • وقال اخرون بل المراد من يكون فاعلا للاشياء اللطيفة
التي تخفى كيفية عملها على اكثر الفاعلين • ولهذا يقال ان لطف الله بعباده عجيب ويراد دقائق تدبيره لهم وفيهم • وهذا
الوجه اقرب • والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا **قوله تعالى** هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها
فيه مسائل **المسئلة الاولى** اعلم ان تعلق هذه الاية بما قبلها هو انه تعالى بين بالدليل كونه عالما بما يسرون وما
يعلنون • ثم ذكر بعده هذه الاية على سبيل التهديد • ونظيره من قال لعبده الذي اساء الى مولاه في السر يا فلان انا اعرف
سرك وعلانيتك فاجلس في هذه الدار التي وهبتها منك وكل هذا الخبز الذي هيأته لك ولا تأمن تأديبي فاني ان شئت
جعلت هذه الدار التي هي منزل امنك ومركز سلامتك منشا للآفات التي تتحير فيها ومنبعا للمحن التي تهلك بسببها • وكذا ههنا
كانه تعالى قال ايها الكفار اعلموا اني عالم بسركم وجهركم فكونوا خائفين مني محترزين من عقابي فهذه الارض التي تمشون في
مناكبها وتعتقدون انها ابعد الاشياء عن الاضرار بكم انا الذي ذللتها لكم وجعلتها سببا لمنفعتكم فامشوا في مناكبها فاني ان
شئت خسفت بكم هذه الارض وانزلت عليها من السماء انواع المحن • فهذا هو الوجه في اتصال هذه الاية بما قبلها **المسئلة الثانية**
الذلول من كل شيء المنقاد الذي يذل لك • ومصدره الذل وهو الانقياد واللين • ومنه يقال دابة ذلول • وفي وصف الارض
بالذلول اقوال • احدها انه تعالى ما جعلها صخرية خشنة بحيث يمتنع المشي عليها كما يمتنع المشي على وجوه الصخور الخشنة • وثانيها
انه تعالى جعلها لينة بحيث يمكن حفرها وبناء الابنية منها كما يراد • ولو كانت حجرية صلبة لتعذر ذلك • وثالثها انها لو كانت
حجرية او كانت مثل الذهب والحديد لكانت تسخن جدا في الصيف وكانت تبرد جدا في الشتاء ولكانت الزراعة فيها ممتنعة والغرس
فيها متعذرة ولما كانت كفاتا للاموات والاحياء • ورابعها انه تعالى سخرها لنا بان امسكها في جو الهواء • ولو كانت متحركة
على الاستقامة او على الاستدارة لم تكن منقادة لنا **المسئلة الثالثة** قوله فامشوا في مناكبها امر اباحة • وكذا القول
في قوله وكلوا من رزقه **المسئلة الرابعة** ذكروا في مناكب الارض وجوها • احدها قال صاحب الكشاف المشي في مناكبها
مثل لفرط التذليل لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وابعده من امكان المشي عليه فاذا صار البعير بحيث
يمكن المشي على منكبيه فقد صار نهاية في الانقياد والطاعة فثبت ان قوله فامشوا في مناكبها كناية عن كونها نهاية في الذلولية
وثانيها وهو قول قتادة والضحاك وابن عباس ان مناكب الارض جبالها واكامها وسميت الجبال مناكب لان مناكب الانسان

وقال اخرون بل المراد من يكون فاعلا للاشياء اللطيفة

شاخصة والجبال ايضا شاخصة والمعنى اني سهلت عليكم المشي في مناكبها وهي ابعد اجزائها عن التذليل فكيف الحال في
سائر اجزائها. وثالثها ان مناكبها هي الطرق والفجاج والاطراف والجوانب. وهو قول الحسن ومجاهد والكلبي ومقاتل
ورواية عطاء عن ابن عباس واختيار الفراء وابن قتيبة قال مناكبها جوانبها ومنكبا الرجل جانباه وهو كقوله تعالى والله جعل لكم
الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا. اما قوله وكلوا من رزقه اي مما خلقه الله رزقا لكم في الارض. واليه النشور يعني
ينبغي ان يكون مكثكم في الارض واكلكم من رزق الله مكث من يعلم ان مرجعه الى الله واكل من يتيقن ان مصيره الى الله ثم
والمراد تحذيرهم عن الكفر والمعاصي في السر والجهر. ثم انه تعالى بين ان بقاءهم مع هذه السلامة في الارض انما كان بفضل الله
ورحمته وانه لو شاء لقلب الامر عليهم ولأمطر عليهم من سحاب القهر مطر الآفات. فقال تقريرا لهذا المعنى. أأمنتم من في
السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور. واعلم ان هذه الآيات نظيرها قوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم وقال فخسفنا به وبداره الارض. واعلم ان المشبهة احتجوا على اثبات المكان لله بقوله أأمنتم
من في السماء. والجواب عنه ان هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين لان كونه في السماء يقتضي كون السماء
محيطا به من جميع الجوانب فيكون اصغر من السماء. والسماء اصغر من العرش بكثير فيلزم ان يكون الله شيئا حقيرا بالنسبة الى
العرش وذلك باتفاق اهل الاسلام محال ولانه تعالى قال قل لمن ما في السموات والارض قل لله فلو كان الله في السماء لوجب
ان يكون مالكا لنفسه. وهذا محال فعلمنا ان هذه الآية يجب صرفها عن ظاهرها الى التأويل ثم فيه وجوه. احدها
لم لا يجوز ان يكون تقدير الآية أأمنتم من في السماء عذابه وذلك لان عادة الله جارية بانه انما ينزل البلاء على من يكفر بالله
ويعصيه من السماء. فالسماء موضع عذابه تعالى كما انه موضع نزول رحمته ونعمته. وثانيها قال ابو مسلم كانت العرب
مقرين بوجود الاله لكنهم كانوا يعتقدون انه في السماء على وفق قول المشبهة فكانه تعالى قال أتأمنون من قد اقررتم
بانه في السماء واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء ان يخسف بكم الارض. وثالثها تقدير الآية من في السماء سلطانه وملكه
وقدرته والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته كما قال وهو الله في السموات وفي الارض فان الشيء الواحد
لا يكون دفعة واحدة في مكانين فوجب ان يكون المراد من كونه في السموات وفي الارض نفاذ قدرته. وجريان مشيئته
في السموات وفي الارض فكذا هاهنا. ورابعها لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله من في السماء هو الملك الموكل بالعذاب
وهو جبريل عليه السلام. والمعنى انه يخسف بهم الارض بامر الله واذنه. وقوله فاذا هي تمور قالوا معناه انه تعالى
يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها فيذهبون والارض فوقهم تمور فتلقيهم
الى اسفل السافلين. وذكرنا تفسير المور فيما تقدم. ثم زاد في التخويف فقال. أم أمنتم من في السماء ان يرسل عليكم
حاصبا. قال ابن عباس كما ارسل على قوم لوط فقال انا ارسلنا عليهم حاصبا. والحاصب ريح فيها حجارة وحصباء
كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها. وقيل هو سحاب فيه حجارة. ثم هددوا واوعد فقال فستعلمون كيف نذير. قيل
في النذير هاهنا انه المنذر يعني محمدا عليه الصلاة والسلام وهو قول عطاء عن ابن عباس والضحاك. والمعنى فستعلمون
رسولي وصدقه حين لا ينفعكم ذلك. وقيل انه بمعنى الانذار. والمعنى فستعلمون عاقبة انذاري اياكم بالكتاب والرسول
وكيف في قوله كيف نذير ينبئ عما ذكرنا من صدق الرسول وعقوبة الانذار. واعلم انه تعالى لما خوف الكفار
بهذه التخويفات اكد ذلك التخويف بالمثال والبرهان. اما المثال فهو انه بين ان الكفار الذين كانوا قبلهم شاهدوا
امثال هذه العقوبات بسبب كفرهم فقال ولقد كذب الذين من قبلهم يعني عادا وثمودا وكفار الامم فكيف كان نكير. وفيه
وجهان. احدهما قال الواحدي فكيف كان نكيري اي انكاري وتغييري اليس وجدوا العذاب حقا. الثاني قال ابو مسلم
النكير عقاب المنكر. ثم قال وانما سقط اليا من نذيري ومن نكيري حتى تكون مشابهة لرؤس الآي المتقدمة عليها
والمتاخرة عنها. واما البرهان فهو انه تعالى ذكر ما يدل على كمال قدرته. ومتى ثبت ذلك ثبت كونه تعالى قادرا على
ايصال جميع انواع العذاب اليهم وذلك البرهان من وجوه. البرهان الاول هو قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم
صافات ويقبضن. صافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
فان قيل لم قال ويقبضن ولم يقل وقابضات. قلنا لان الطيران في الهوا كالسباحة في الماء. والاصل في السباحة
مد الاطراف وبسطها. واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصلي
بلفظ الفعل على معنى انهن صافات. ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح. ثم قال ما يمسكهن
الا الرحمن وذلك لانها مع ثقلها وضخامة اجسامها لم يكن بقاؤها في جو الهوا الا بامساك الله وحفظه. وهاهنا
سؤالات. السؤال الاول هل تدل هذه الآية على ان الافعال الاختيارية للعبد مخلوقة لله تعالى. قلنا نعم وذلك لان استمساك
الطير في الهوا فعل اختياري للطير. ثم انه تعالى قال ما يمسكهن الا الرحمن فدل هذا على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى

الجواب

السؤال الثاني



السؤال الثاني انه تعالى قال في النحل ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله وقال هاهنا ما يمسكهن الا
الرحمن فما الفرق. قلنا ذكر في النحل ان الطير مسخرات في جو السماء فلا جرم كان امساكها هناك محض الالهية. وذكر هاهنا
انها صافات وقابضات. فكان الهامها الى كيفية القبض والبسط على الوجه المطابق للمنفعة تكون من رحمة الرحمن. ثم
قال انه بكل شيء بصير. وفيه وجهان. الاول المراد من البصير كونه عالما بالاشياء الدقيقة كما يقال فلان له بصر في هذا الامر
اي حذق. والوجه الثاني ان نجري اللفظ على ظاهره. فنقول انه تعالى شيء والله بكل شيء بصير فيكون رائيا لنفسه
ولجميع الموجودات. وهذا هو الذي يقوله اصحابنا انه تعالى يصح ان يكون مرئيا وان كل الموجودات كذلك. فان قيل
البصير اذا عدي بالباء يكون بمعنى العالم. يقال فلان بصير بكذا اذا كان عالما به. قلنا لا نسلم فانه يقال ان الله سميع
بالمسموعات. بصير بالمبصرات. قوله تعالى أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا
في غرور. اعلم ان الكفار كانوا يمتنعون عن الايمان ولا يلتفتون الى دعوة الرسول عليه السلام وكان تعويلهم على شيئين
احدهما القوة التي كانت حاصلة بسبب مالهم وجندهم. والثاني انهم كانوا يقولون هذه الاوثان توصل الينا جميع
الخيرات. وتدفع عنا كل الآفات. وقد ابطل الله عليهم كل واحد من هذين الوجهين. اما الاول فبقوله أمن هذا الذي
هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن وهذا نسق على قوله أأمنتم من في السماء أمن هذا الذي هو جند لكم. والمعنى أم من يشار
اليه من الجموع ويقال هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الله ان ارسل عذابه عليكم. ثم قال ان الكافرون الا في غرور
اي من الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم. واما الثاني فهو قوله أمن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه. والمعنى
من الذي يرزقكم من آلهتكم ان امسك الله الرزق عنكم. وهذا ايضا مما لا ينكره ذو عقل وهو انه تعالى لو امسك اسباب
الرزق كالمطر والنبات وغيرهما لما وجد رازق سواه. فعند وضوح هذا الامر قال تعالى بل لجوا في عتو ونفور. والمراد
اصروا وتشددوا مع وضوح الحق في عتو اي في تمرد وتكبر اي تباعد عن الحق واعراض عنه فالعتو بسبب حرصهم
على الدنيا وهو اشارة الى فساد القوة العملية. والنفور بسبب جهلهم وهو اشارة الى فساد القوة النظرية. واعلم
انه تعالى لما وصفهم بالعتو والنفور نبه على ما يدل على قبح هذين الوصفين فقال. أفمن يمشي مكبا على وجهه
أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم. وفيه مسائل. المسئلة الاولى. قال الواحدي اكب مطاوع كبه
يقال كببته فاكب. ونظيره قشعت الريح السحاب فاقشع. قال صاحب الكشاف ليس الامر كذلك ولا شيء من
بناء افعل مطاوعا بل قولك اكب معناه دخل في الكب وصار ذا كب اقشع السحاب دخل في القشع. وانفض دخل في
النفض وهو نفض الوعاء فصار عبارة عن الفقر والام دخل في اللوم. واما مطاوع كب وقشع فهو انكب وانقشع
المسئلة الثانية ذكروا في تفسير قوله أفمن يمشي مكبا على وجهه وجوها. احدها معناه ان الذي يمشي في مكان غير
مستو بل فيه ارتفاع وانخفاض فيعثر كل ساعة ويخر على وجهه مكبا فحاله نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور
والخرور. وثانيها ان المتعسف الذي يمشي هكذا وهكذا على الجهالة والتحير لا يكون كمن يمشي الى جهة معلومة مع العلم واليقين
وثالثها ان الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق فيتعسف ولا يزال ينكب على وجهه لا يكون كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي
في الطريق المعلوم. ثم اختلفوا. فمنهم من قال هذا حكاية حال الكافر في الآخرة قال قتادة الكافر اكب على معاصي
الله فيحشره الله يوم القيمة على وجهه. والمؤمن كان على الدين الواضح فيحشره الله على الطريق السوي يوم القيمة. وقال الآخرون
بل هذا حكاية حال المؤمن والكافر والعالم والجاهل في الدنيا. واختلفوا ايضا فمنهم من قال هذا عام في حق جميع المؤمنين
والكفار. ومنهم من قال المراد منه شخص معين فقال مقاتل المراد ابو جهل والنبي عليه الصلاة والسلام وقال عطاء عن ابن
عباس المراد ابو جهل وحمزة بن عبد المطلب. وقال عكرمة هو ابو جهل وعمار بن ياسر. البرهان الثاني على كمال قدرته
قوله تعالى قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون. اعلم انه تعالى لما اراد البرهان
اولا من حال سائر الحيوانات وهو وقوف الطير في الهوا اورد البرهان بعده من احوال الناس وهو هذه الآية وذكر من
عجائب ما فيه حال السمع والبصر والفؤاد. ولقد تقدم شرح احوال هذه الامور الثلاثة في هذا الكتاب مرارا فلا فائدة
في الاعادة. واعلم ان في ذكرها هاهنا تنبيها على دقيقة لطيفة كانه تعالى قال اعطيتكم هذه الاعطاء الثلاثة مع ما فيها
من القوى الشريفة لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه. ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تأملتم في عاقبة ما عقلتموه فكانكم
ضيعتم هذه النعم وافسدتم هذه المواهب. فلهذا قال قليلا ما تشكرون وذلك لان شكر نعمة الله هو ان يصرف تلك النعمة
الى وجه رضاه. وانتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل لا الى طلب مرضاته فانتم ما شكرتم نعمته البتة. البرهان الثالث
قوله تعالى قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون. اعلم انه تعالى استدل باحوال الحيوانات اولا ثم بصفات
الانسان ثانيا وهي السمع والبصر والعقل ثم بحدوث ذاته ثالثا. وهو قوله قل هو الذي ذرأكم في الارض. واحتج المتكلمون

اكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب ونظيره قشعت الريح

بهذه الاية على ان الانسان ليس هو الجوهر المجرد عن التحيز والكمية على ما يقوله الفلاسفة وجماعة من المسلمين لانه قال قل هو الذي ذرأكم في الارض فبين انه ذرأ الانسان في الارض وهذا يقتضي كون الانسان متحيزا جسما واعلم ان الشروع في هذه الدلائل انما كان لبيان صحة الحشر والنشر ليثبت ما ادعاه من الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور ثم لاجل اثبات هذا المطلوب ذكر وجوها من الدلائل على كمال قدرة الله ثم ختمها بقوله قل هو الذي ذرأكم في الارض ولما كانت القدرة على الخلق ابتداء توجب القدرة على الاعادة لاجرم قال بعده واليه تحشرون فبين بهذا ان جميع ما تقدم ذكره من الدلائل انما كان لاثبات هذا المطلوب واعلم انه تعالى لما امر محمدا عليه الصلاة والسلام بان يخوفهم بعذاب الله حكى عن الكفار شيئين احدهما انهم طالبوه بتعيين الوقت وهو قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قال ابو مسلم انه تعالى قال ويقولون بلفظ المستقبل فهذا يحتمل ما يوجد من الكفار من هذا القول في المستقبل ويحتمل الماضي والتقدير وكانوا يقولون متى هذا الوعد **المسئلة الثانية** لعلهم كانوا يقولون ذلك على سبيل السخرية ولعلهم كانوا يقولونه ايهاما للضعفة انه لما لم يتعجل فلا اصل له **المسئلة الثالثة** الوعد المسئول عنه ما هو فيه وجهان احدهما انه القيمة والثاني انه مطلق العذاب وفائدة هذا الاختلاف تظهر بعد ذلك ان شاء الله ثم اجاب الله عن هذا السوال بقوله قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين والمراد ان العلم بالوقوع غير العلم بوقت الوقوع فالعلم الاول حاصل عندي وهو كاف في الانذار والتحذير اما العلم الثاني فليس الا لله ولا حاجة في كوني نذيرا مبينا اليه ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول ذلك الوعد وقال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قوله فلما راوه الضمير للوعد والزلفة القرب والتقدير فلما راوه ذا زلفة ويحتمل انه لما اشتد قربه جعل كأنه نفس القرب وقال الحسن معاينة وهذا معنى وليس بتفسير وذلك لان ما قرب من الانسان راه معاينة **المسئلة الثانية** قوله سيئت وجوه الذين كفروا قال ابن عباس اسودت وعليها الكآبة والقترة وقال الزجاج تبين فيها السوء واصل السوء القبح والسيئة ضد الحسنة يقال ساء الشيء يسوء فهو سيء اذا قبح وسيء يساء اذا قبح وهو فعل لازم ومتعدى فمعنى سيئت وجوههم اي قبحت بان علتها الكآبة وغشيها الكسوف والغبرة وكلحوا وصارت وجوههم كوجه من يقاد الى القتل **المسئلة الثالثة** اعلم ان قوله فلما راوه زلفة اخبار عن الماضي فمن حمل الوعد في قوله ويقولون متى هذا الوعد على مطلق العذاب سهل تفسير الاية على قوله فلهذا قال ابو مسلم في قوله فلما راوه زلفة يعني انه لما اتاهم عذاب الله المهلك لهم كالذي نزل بعاد وثمود سيئت وجوههم عند قربه منهم واما من فسر ذلك الوعد بالقيمة كان قوله فلما راوه زلفة كان معناه فمتى راوه زلفة وذلك لان قوله فلما راوه زلفة اخبار عن الماضي واحوال القيمة مستقبلة لا ماضية فوجب تفسير اللفظ بما قلناه قال مقاتل فلما راوه زلفة اخبار عن الماضي اي لما راوا العذاب في الاخرة قريبا **اما قوله** وقيل هذا الذي كنتم به تدعون فيه مسايل **المسئلة الاولى** قال بعضهم القايلون هم الزبانية وقال اخرون بل يقول بعضهم لبعض ذلك **المسئلة الثانية** في قوله تدعون وجوه احدها قال الفرا يريد تدعون من الدعا اي تطلبون وتستعجلون به وتدعون وتدعون واحد في اللغة مثل تذكرون وتذكرون وتدخرون وتدخرون وثانيها انه من الدعوى معناه هذا الذي كنتم ببطلانه تدعون انه باطل لا ياتيكم وهذا الذي كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وثالثها ان يكون هذا استفهاما على سبيل الانكار والمعنى هذا الذي تدعون لا بل كنتم تدعون عدمه **المسئلة الثالثة** قرا يعقوب الحضرمي تدعون خفيفة من الدعا وقرا السبعة تدعون مثقلة من الادعا **قوله تعالى** قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم **اعلم** ان هذا هو الجواب عن النوع الثاني مما قاله الكفار لمحمد عليه الصلاة والسلام حين خوفهم بعذاب الله يروى ان كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله صلى الله وعلى المومنين بالهلاك كما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وقال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا **واعلم** انه تعالى اجاب عن ذلك من وجهين الاول هو هذه الاية والمعنى قل لهم ان الله تعالى سواء اهلكني بالاماتة او رحمني بتاخير الاجل فاي راحة لكم في ذلك واي منفعة لكم فيه ومن الذي يجيركم من عذاب الله اذا نزل بكم اتظنون ان الاصنام تجيركم او غيرها فاذا علمتم ان لا مجير لكم فهلا تمسكتم بما يخلصكم من العذاب وهو العلم بالتوحيد والنبوة والبعث الوجه الثاني في الجواب **قوله تعالى** قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين والمعنى انه الرحمن ونحن امنا به وعليه توكلنا فتعلم انه لا يقبل دعاكم وانتم اهل الكفر والعناد في حقنا مع انا امنا به وعليه توكلنا فان قيل لم قيل امنا به وتوكلنا عليه اوبه امنا

وعليه توكلنا

وعليه توكلنا . قلنا لان [illegible] امنا به ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا [illegible] **قوله تعالى** قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين . المقصود ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه ليريهم قبح ما هم عليه من الكفر [illegible] **واعلم** [illegible] وقوله غورا اي غائرا ذاهبا في الارض [illegible] والمعين الظاهر الذي تراه العيون [illegible] وقيل المعين الجاري من العيون [illegible] تم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله

## سورة ن خمسون واثنان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون فيه مسايل **المسئلة الاولى** الاقوال المذكورة في هذا وامثاله قد شرحناها في اول سورة البقرة والذي اختص بهذا الموضع اقوال احدها ان النون هو السمكة ومنه ذو النون يونس وهذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي ثم القائلون بهذا منهم من قال انه قسم بالحوت الذي على ظهره الارض وهو في بحر تحت الارض السفلى ومنهم من قال انه قسم بالحوت الذي احتبس يونس عليه السلام في بطنه ومنهم من قال انه قسم بالحوت الذي لطخ سهم نمروذ بدمه والقول الثاني وهو ايضا مروي عن ابن عباس واختيار الضحاك والحسن وقتادة ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر **شعر**

اذا ما الشوق برح بي اليهم . القت النون بالدمع السجوم

فيكون هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق واخرى بالكتابة والقول الثالث ان النون لوح من نور تكتب الملائكة ما يامرهم الله به رواه معاوية بن قرة مرفوعا والقول الرابع ان النون هو المداد الذي تكتب به الملائكة واعلم ان هذه الوجوه ضعيفة لانا اذا جعلناه مقسما به وجب ان كان جنسا ان نجره وننونه فان القسم على هذا التقدير يكون بدواة منكرة او بسمكة منكرة كانه قيل وسمكة والقلم او قيل ودواة والقلم وان كان علما ان نصرفه ونجره او لا نصرفه ونفتحه ان جعلناه غير منصرف والقول الخامس ان نون هاهنا اخر حروف الرحمن وانه يجتمع من الر وحم ون اسم الرحمن فذكر الله هذا الحرف الاخير من هذا الاسم والمقصود القسم بتمام هذا الاسم وهذا ايضا ضعيف لان تجويزه يفتح باب ترهات الباطنية بل الحق ان اما ان يكون اسما للسورة او يكون الغرض منه التحدي وساير الوجوه المذكورة في اول سورة البقرة **المسئلة الثانية** القرا مختلفون في اظهار النون واخفايه من قوله ن والقلم فمن اظهرها فلانه ينوي بها الوقف بدلالة اجتماع الساكنين فيها واذا كانت موقوفة كانت في تقدير الانفصال مما بعدها واذا انفصل مما بعدها وجب التبيين لانها انما تخفى في حروف الفم عند الاتصال ووجه الاخفا ان همزة الوصل لم تقطع مع هذه الحروف في نحو الم الله وقولهم في العدد واحد اثنان فمن حيث لم تقطع الهمزة معها علمت انها في تقدير الوصل واذا وصلتها اخفيت النون وقد ذكرنا في طسم ويس قال الفرا واظهارها اعجب الي لانها هجا والهجا كالموقوف عليه وان اتصل **اما قوله تعالى** والقلم فيه قولان احدهما ان المقسم به هو هذا الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به من في السما والارض قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فمن بتيسير الكتابة بالقلم كما من بالنطق فقال خلق الانسان علمه البيان ووجه الانتفاع به انه ينزل الغايب منزلة المخاطب فيتمكن المرء من تعريف البعيد به ما يتمكن باللسان من تعريف القريب والثاني ان المقسم به هو القلم المعهود الذي جاء في الخبر ان اول ما خلق الله القلم قال ابن عباس اول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب ما هو كاين الى ان تقوم الساعة فجرى بما هو كاين الى ان تقوم الساعة من الاجال والاعمال قال وهو قلم من نور طوله كما بين السما والارض وروى مجاهد عنه قال كان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فكتب ما هو كاين الى يوم القيمة وانما يجري الناس على امر قد فرغ منه قال القاضي هذا الخبر يجب حمله على المجاز لان القلم الذي هو الة مخصوصة في الكتابة لا يجوز ان يكون حيا عاقلا فيومر وينهى فان الجمع بين كونه حيوانا مكلفا وبين كونه الة للكتابة محال بل المراد منه انه تعالى اجراه بكل ما يكون وهو كقوله

اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانه ليس هنا امر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير ممانعة
ولا منازعة • ومن الناس من زعم ان القلم المذكور هاهنا هو العقل وانه شيء هو كالاصل لجميع المخلوقات • قالوا والدليل
عليه انه روي في الاخبار ان اول ما خلق الله القلم • وفي خبر اخر اول ما خلق الله العقل • وفي خبر اخر اول ما خلق الله جوهرة
فنظر اليها بعين الهيبة فذابت وتسخنت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات • ومن الزبد الارض • قالوا
فهذه الاخبار بمجموعها تدل على ان القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي اصل المخلوقات شيء واحد والا حصل التناقض
اما قوله تعالى وما يسطرون • اعلم ان ما مع ما بعده في تقدير المصدر فيحتمل ان يكون المراد وسطرهم فيكون القسم
واقعا بنفس الكتابة • ويحتمل ان يكون المراد به المسطور والمكتوب • وعلى التقديرين • فان حملنا القلم على كل قلم
في مخلوقات الله كان المعنى ظاهرا وكانه تعالى اقسم بكل قلم وبكل ما يكتب بكل قلم • وقيل بل المراد ما يسطره الحفظة
والكرام الكاتبون • ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه قيل واصحاب القلم وسطرهم
او ومسطوراتهم • واما ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل ان يكون المراد بقوله وما يسطرون ما يسطر فيه وهو
اللوح المحفوظ • ولفظ الجمع في قوله يسطرون ليس المراد منه الجمع بل التعظيم او يكون المراد تلك الاشياء التي سطر
فيه من الاعمال والاعمار وجميع الامور الكائنة الى يوم القيمة واعلم انه تعالى لما ذكر المقسم به اتبعه بذكر المقسم عليه فقال
ما انت بنعمة ربك بمجنون • وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى** روي عن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام غاب عن خديجة
الى حرا فطلبته فلم تجده فاذا به وجهه متغير بلا غبار فقالت له ما لك فذكر نزول جبريل عليه السلام وانه قال له
اقرا باسم ربك فهو اول ما نزل من القرآن قال ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت معه ركعتين
وقال هكذا الصلاة يا محمد • فذكر عليه الصلاة والسلام ذلك لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن
عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسالته فقال ارسلي الي محمدا فارسلته فاتاه فقال هل امرك
جبريل عليه الصلاة ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء
الرسول ووقعت تلك الواقعة في السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو
خمس ايات من اول هذه السورة • ثم قال ابن عباس واول ما نزل قوله سبح اسم ربك وهذه الاية هي الثانية **المسئلة الثانية**
انت هو اسم ما وبمجنون الخبر • وقوله بنعمة ربك كلام وقع في البين • والمعنى انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال
انت بحمد الله عاقل وانت بحمد الله لست بمجنون • وانت بنعمة الله لست بفقير • ومعناه ان تلك الصفة المحمودة
انما حصلت والصفة المذمومة انما زالت بواسطة انعام الله ولطفه واكرامه • وقال عطا وابن عباس يريد
بنعمة ربك عليك بالايمان والنبوة وهو جواب لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون واعلم انه تعالى
وصفه هاهنا بثلاثة انواع من الصفات **الصفة الاولى** نفي الجنون عنه ثم انه تعالى قرن بهذه الدعوى
ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها • وذلك لان قوله بنعمة ربك يدل على ان نعم الله تعالى كانت ظاهرة
في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة عن كل عيب والاتصاف بكل مكرمة
واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافي حصول الجنون فالله تعالى نبه على هذه الدقيقة لتكون جارية
مجرى الدلالة اليقينية على كونهم كاذبين في قولهم له انه مجنون **الصفة الثانية** قوله وان لك لاجرا غير ممنون
في الممنون قولان • احدهما وهو قول الاكثرين ان المعنى غير منقوص ولا مقطوع يقال منه السير اي اضعفه
والمنين الضعيف • ومن الشيء اذا قطعه • ومنه قول لبيد • شعر • عبس كواسب ما يمن طعامها •
يصف كلابا ضارية • ونظيره قوله عطاء غير مجذوذ • والقول الثاني وهو قول مجاهد ومقاتل والكلبي
انه غير مكدر عليك بسبب المنة قالت المعتزلة في تقرير هذا الوجه انه غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه
على عملك وليس بتفضل ابتداء • والقول الاول اشبه لان وصفه بانه اجر يفيد انه لا منة فيه • فالحمل
على هذا الوجه يكون كالتكرير • ثم اختلفوا في ان هذا الاجر على اي شيء حصل قال قوم معناه ان لك على احتمال
هذا الطعن والقول القبيح اجرا عظيما دائما • وقال اخرون المراد ان لك في اظهار النبوة والمعجزات
في دعاء الخلق الى الله وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدائم فلا يمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن
الاستغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه المنزلة العالية عند الله **الصفة الثالثة** قوله وانك
لعلى خلق عظيم • فيه مسائل **المسئلة الاولى** اعلم ان هذا كالتفسير لما تقدم من قوله بنعمة ربك وتعريف
لمن رماه بالجنون بان ذلك كذب وخطا وذلك لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة منه
ومن كان موصوفا بتلك الاخلاق والافعال لم يجز اضافة الجنون اليه لان اخلاق المجانين سيئة • ولما كانت

اخلاقه الحميدة

اخلاقه الحميدة كاملة لاجرم وصفها الله تعالى بانها عظيمة • ولهذا قال قل لا اسئلكم عليه اجرا وما انا من
المتكلفين اي لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقي لان المتكلف لا يدوم امره طويلا بل يرجع الى الطبع • وقال
اخرون انما وصف خلقه بانه عظيم وذلك لانه تعالى قال له اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده • فهذا
الهدى الذي امر الله محمدا بالاقتداء به ليس هو معرفة الله لان ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول وليس هو الشرائع
لان شريعته لشرائعهم • فتعين ان يكون المراد منه امره عليه السلام بان يقتدي بكل واحد من الانبياء المتقدمين
فيما اختص به من الخلق الكريم فان كل واحد منهم كان مختصا بنوع واحد • فلما امر محمد عليه الصلاة والسلام بان يقتدي
بالكل فكانه امر بمجموع ما كان متفرقا فيهم • ولما كان ذلك درجة عالية لم يتيسر لاحد من الانبياء قبله لاجرم وصف
الله خلقه بانه عظيم • وفيه دقيقة اخرى وهي قوله لعلى خلق عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مستعل
على هذه الاخلاق ومستول عليها وانه بالنسبة الى هذه الاخلاق الحميدة كالمولى بالنسبة الى العبد وكالامير بالنسبة
الى المامور **المسئلة الثانية** الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة واعلم ان الاتيان
بالافعال الجميلة غير وسهولة الاتيان بها غير • فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق ويدخل في حسن
الخلق التحرز من الشح والبخل والغضب والتشدد في المعاملات والتحبب الى الناس بالقول والفعل وترك التقاطع والهجر
والتساهل في العقود كالبيع وغيره والتسمح بما يلزم من حقوق من له نسب او كان صهرا له او حصل له حق اخر وروي
عن ابن عباس انه قال معناه وانك لعلى دين عظيم • وروي ان الله تعالى قال له لم اخلق دينا احب الي ولا ارضى عندي
من هذا الدين الذي اصطفيته لك ولامتك يعني الاسلام واعلم ان هذا القول ضعيف وذلك لان الانسان له قوتان
قوة نظرية • وقوة عملية • والدين يرجع الى كمال القوة النظرية • والخلق يرجع الى كمال القوة العملية فلا يمكن حمل احد
على الاخر • ويمكن ايضا ان يجاب عن هذا السؤال من وجهين • الاول ان الخلق في اللغة هو العادة سواء كان ذلك في ادراك
او في فعل • الثاني انا بينا ان الخلق هو الامر الذي عنده يكون الاتيان بالافعال الجميلة سهلا • فلما كانت الروح القدسية
التي له شديدة الاستعداد للمعارف الالهية الحقة وعديمة الاستعداد لقبول العقائد الباطلة كانت تلك السهولة
حاصلة في قبول المعارف الحقة فلا تبعد تسمية تلك السهولة بالخلق **المسئلة الثالثة** قال سعيد بن هشام
قلت لعائشة اخبريني عن خلق رسول الله قالت الست تقرا القران قلت بلى قالت فانه كان خلق النبي عليه الصلاة والسلام
وسئلت مرة فقالت كان خلقه القرآن • ثم قرات قد افلح المؤمنون الى عشر ايات • وهذا اشارة الى ان نفسه المقدسة
كانت بالطبع منجذبة الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق بها وكانت شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية
بالطبع ومقتضى الفطرة • اللهم ارزقنا شيئا من هذه الحالة • وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت ما كان احد احسن
خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا من اهل بيته الا قال لبيك فلهذا قال تعالى وانك لعلى خلق
عظيم وقال انس خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته لم فعلته ولا في شيء لم افعله هلا فعلت • واعلم
ان الله تعالى وصف ما يرجع الى قوته النظرية بانه عظيم فقال وكان فضل الله عليك عظيما ووصف
ما يرجع الى قوته العملية بانه عظيم فقال وانك لعلى خلق عظيم فلم يبق للانسان بعد هذين الامرين شيء فدل مجموع هاتين
الايتين على ان روحه فيما بين الارواح البشرية كانت عظيمة عالية الدرجة كانها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس
ارواح الملائكة [illegible]
[illegible]

قلت

اللهم ارزقنا شيئا من هذه الحالة

العقل ثم قال تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين • وفيه وجهان الاول هو ان يكون المعنى ان
ربك هو اعلم بالمجانين على الحقيقة • وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون • والثانى ان يكون المعنى
انهم رموك بالجنون ووصفوا انفسهم بالعقل وهم كذبوا فى ذلك ولكنهم موصوفون بالضلال وانت موصوف بالهداية
والامتياز الحاصل بالهداية والضلال اولى بالرعاية من الامتياز الحاصل بسبب العقل والجنون لان ذلك ثمرته السعادة
الابدية والشقاوة • وهذا ثمرته السعادة والشقاوة فى الدنيا قوله تعالى فلا تطع المكذبين اعلم انه تعالى
لما ذكر ما عليه الكفار فى امر الرسول ونسبته الى الجنون مع الذى انعم الله عليه من الكمال فى امر الدين والخلق اتبعه بما يدعوه
الى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل فقال ولا تطع المكذبين
يعنى رؤساء اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دين ابائه فنهاه الله ان يطيعهم • وهذا من الله الهاب وتهييج للتشدد فى مخالفتهم
ثم قال تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون • وفيه مسائل المسئلة الاولى قال الليث الادهان اللين والمصانعة والمقاربة
فى الكلام وقال المبرد داهن الرجل فى دينه وداهن فى امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما يضمر • والمعنى تترك بعض ما
انت عليه مما لا يرضى فتلين لهم ويلينون لك • وروى عطا عن ابن عباس لو تكفر فيكفرون المسئلة الثانية انما رفع فيدهنون
ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمنى لانه قد عدل به الى طريق اخر • وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف اى فهم يدهنون
كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ قال سيبويه وزعم هرون وكان من القراء
انها فى بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا واعلم انه تعالى لما نهاه عن طاعة المكذبين وهذا يتناول النهى عن طاعة
جميع الكفار الا انه اعاد النهى عن طاعة من كان من الكفار موصوفا بصفات مذمومة وراء الكفر • وتلك الصفات هى
الصفة الاولى كونه حلافا • والحلاف من كان كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله ولا
تجعلوا الله عرضة لايمانكم الصفة الثانية كونه مهينا قال الزجاج هو فعيل من المهانة • ثم فيه وجهان • احدهما
ان المهانة هى القلة والحقارة فى الراى والتمييز • والثانى انه انما كان مهينا لان المراد الحلاف فى الكذب والكذاب حقير
عند الناس واقول كونه حلافا يدل على انه لا يعرف عظمة الله وجلاله اذ لو عرف ذلك لما اقدم فى كل حين واوان بسبب كل باطل
على الاستشهاد باسمه وصفته • ومن لم يكن عالما بعظمة الله وكان متعلق القلب بطلب الدنيا كان مهينا • فهذا يدل على ان عزة
النفس لا تحصل الا لمن عرف نفسه بالعبودية • وان مهانتها لا تحصل الا لمن غفل عن سر الربوبية الصفة الثالثة
كونه همازا وهو العياب الطعان قال المبرد هو الذى يهمز الناس اى يذكرهم بالمكروه واثر ذلك يظهر العيب • وعن
الحسن يلوى شدقيه فى اقفية الناس وقد استقصيناه فى قوله ويل لكل همزة الصفة الرابعة كونه مشاء بنميم اى يمشى
بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم • يقال نم ينم نما ونميما ونميمة الصفة الخامسة كونه مناعا للخير • وفيه قولان
احدهما ان المراد انه بخيل • والخير المال • والثانى كان يمنع اهله من الخير وهو الاسلام • وهذه الاية نزلت فى الوليد بن
المغيرة وكان له عشرة من البنين وكان يقول لهم ولاقاربه لئن تبع دين محمد منكم احد لا انفعه بشىء ابدا فمنعهم الاسلام فهو
الخير الذى منعهم • وعن ابن عباس انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث • وعن السدى الاخنس بن شريق
الصفة السادسة كونه معتديا قال مقاتل معناه انه ظلوم يتعدى الحق ويتجاوزه فياتى بالظلم ويمكن حمله على جميع
الاخلاق الذميمة • يعنى انه نهاية فى جميع القبائح والفضائح الصفة السابعة كونه اثيما وهو مبالغة من
الاثم الصفة الثامنة كونه عتلا واقوال المفسرين فيه كثيرة وهى محصورة فى امرين • احدهما انه ذم فى الخلق
وهو ماخوذ من قولك عتله اذا قاده بعنف وغلظة • ومنه قوله تعالى فاعتلوه • اما الذين حملوه على ذم الخلق فقال
ابن عباس فى رواية عطا انه يريد قوى ضخم • وقال مقاتل واسع البطن وثيق الخلق وقال الحسن الفاحش الخلق اللئيم
النفس قال ابو عبيدة بن عمير هو الاكول الشروب القوى الشديد وقال الزجاج هو الغليظ الجافى • اما الذين حملوه
على ذم الاخلاق فقالوا انه الشديد الخصومة الفظ العنيف الصفة التاسعة كونه زنيما وفيه مسئلتان
المسئلة الاولى فى الزنيم اقوال • الاول قال الفراء الزنيم هو الدعى الملصق بالقوم وليس منهم قال حسان
وانت زنيم نيط فى ال هاشم • كما نيط خلف الراكب القدح الفرد • والزنمة من كل شىء الزيادة
وزنمة الشاة ايضا اذا شقت اذنها فاسترخت ويبست وبقيت كالشىء المعلق • فالحاصل ان الزنيم هو ولد الزنا
الملحق بالقوم فى النسب وليس منهم • وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة من مولده وقيل
بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الاية القول الثانى قال الشعبى هو الرجل يعرف بالشر واللوم كما تعرف الشاة بزنمتها
والقول الثالث روى عكرمة عن ابن عباس قال معنى كونه زنيما انه كانت له زنمة فى عنقه يعرف بها وقال مقاتل
كان فى اصل اذنه مثل زنمة الشاة المسئلة الثانية قوله بعد ذلك معناه انه بعد ما عد له من المثالب

موصوفون

والتقاعس

والتقاعس فهو عتل زنيم • وهذا يدل على ان هذين الوصفين وهو كونه عتلا زنيما من اشد معايبه لانه اذا كان جافيا
غليظ الطبع قسا قلبه واجترأ على كل معصية • ولان الغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد • ولهذا قال عليه السلام
لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده • وقوله هاهنا بعد ذلك نظير ثم فى قوله ثم كان من الذين امنوا • وقرا
الحسن عتل رفعا على الذم • ثم انه تعالى بعد تعديد هذه الصفات قال ان كان ذا مال وبنين وفيه مسئلتان المسئلة
الاولى اعلم ان قوله ان كان يجوز ان يكون متعلقا بما قبله • وان يكون متعلقا بما بعده • اما الاول فتقديره ولا تطع
كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اى لا تطعه مع هذه المثالب ليساره واولاده وكثرته • واما الثانى فتقديره
لاجل ان كان ذا مال وبنين جعل مجازاة هذه النعم التى خولها الله الكفر باياته قال ابو على الفارسى العامل
فى قوله ان كان اما ان يكون هو قوله تتلى او قوله قال او شيئا ثالثا • والاول باطل لان تتلى قد اضيفت اذا اليه والمضاف
اليه لا يعمل فيما قبله الا ترى انك لا تقول القتال زيدا حين ياتى • ولا يجوز ان يعمل فيه ايضا قال لان قال جواب
اذا وحكم الجواب ان يكون بعد ما هو جواب له • ولا يتقدم عليه • ولما بطل هذان القسمان علمنا ان العامل
فيه شىء ثالث دل ما فى الكلام عليه وذلك هو يجحد او يكفر او يمسك عن قبول الحق ونحو ذلك • وانما جاز ان يعمل المعنى
فيه وان كان متقدما عليه لشبهه بالظرف والظرف قد تعمل فيه المعانى وان تقدم عليها • ويدلك على مشابهته للظرف
تقدير اللام معه فان تقديره الان كان ذا مال واذا صار كالظرف لم يمتنع المعنى من ان يعمل فيه كما لم يمتنع من ان يعمل
فى نحو قوله ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد لما كان ظرفا والعامل فيه يبعثهم الدال عليه قوله انكم لفى خلق جديد فكذلك
قوله ان كان ذا مال وبنين تقديره انه يجحد باياتنا لان كان ذا مال وبنين • وكفر باياتنا لان كان ذا مال وبنين المسئلة الثانية
قرئ أان كان على الاستفهام والتقدير الان كان ذا مال كذب او التقدير اتطيعه لان كان ذا مال • وروى الزهرى عن نافع ان
كان بالكسر والشرط للمخاطب اى لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط فى الطاعة الغنى
ونظير صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجى اليه فى قوله لعله يتذكر واعلم انه تعالى لما حكى عنه قبائح افعاله واقواله
قال تعالى سنسمه على الخرطوم • وفيه مسائل المسئلة الاولى الوسم اثر الكية وما يشبهها يقال
وسمته فهو موسوم بسمة يعرف بها اما كية واما قطع فى اذن علامة له المسئلة الثانية قال المبرد الخرطوم
هاهنا الانف • وانما ذكر هذا اللفظ على سبيل الاستخفاف به لان التعبير عن اعضاء الناس بالاسماء الموضوعة لاشباه
تلك الاعضاء من الحيوانات يكون استخفافا كما يعبر عن شفاه الناس بالمشافر وعن ايديهم وارجلهم بالاظلاف والحوافر
المسئلة الثالثة الوجه اكرم موضع فى الجسد • والانف اكرم موضع فى الوجه لارتفاعه عليه • ولذلك جعلوه
مكان العز والحمية • واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف فى الانف وحمى انفه • وفلان شامخ العرنين • وقالوا فى الذليل
جدع انفه ورغم انفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين فكيف على اكرم موضع
من الوجه المسئلة الرابعة منهم من قال هذا الوسم يحصل فى الاخرة • ومنهم من قال يحصل فى الدنيا اما على القول
الاول ففيه وجوه • اولها وهو قول مقاتل وابى العالية واختيار الفراء ان المراد هو الوجه لان بعض الوجه يؤدى عن
بعض • وثانيها ان الله تعالى سيجعل له فى الاخرة العلم الذى يعرف به اهل القيمة انه كان غاليا فى عداوة الرسول
وفى انكار الدين الحق • وثالثها ان فى الاية احتمالا اخر عندى وهو ان ذلك الكافر انما بالغ فى عداوة الرسول وفى الطعن
فى الدين الحق بسبب الانفة والحمية • فلما كان منشأ هذا الانكار هو الانفة والحمية كان منشأ عذاب الاخرة هو هذه الانفة
والحمية • فعبر عن هذا الاختصاص بقوله سنسمه على الخرطوم • واما على القول الثانى فهو ان هذا الوسم انما يحصل
فى الدنيا ففيه وجوه • احدها قال ابن عباس سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على انفه ما عاش • وروى انه
قاتل يوم بدر فخطم بالسيف فى القتال • وثانيها ان معنى هذا الوسم انه يصير مشهورا بالذكر الردى والوصف القبيح
فى العالم والمعنى سنلحق به شيئا لا يفارقه ونبين امره بيانا واضحا حتى لا يخفى كما لا تخفى السمة على الخراطيم • تقول العرب للرجل
الذى تسبه سبة باقية قبيحة فاحشة قد وسمه ميسم سوء • والمراد انه الصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة لا تنمحى ولا تزول
البتة قال جرير • شعر • لما وضعت على الفرزدق ميسمى • وعلى البعيث جدعت انف الاخطل •
يريد انه وسم الفرزدق وجدع انف الاخطل بالهجاء • اى ابقى عليه عار الابد • ولا شك ان هذه المبالغة العظيمة فى مذمة
الوليد بن المغيرة بقيت على وجه الدهر فكان ذلك كالوسم على الخرطوم ومما يشهد لهذا الوجه قول من قال فى زنيم انه يعرف
بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها • وثالثها روى عن النضر بن شميل ان الخرطوم هو الخمر • وانشد • شعر
تظل يومك فى لهو وفى طرب • وانت بالليل شراب الخراطيم • فعلى هذا معنى الاية سنحده على شرب الخمر وهو تعسف
وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهو ما سلف من عصير العنب • او لانها تطير فى الخياشيم • قوله تعالى

الوسم اثر الكية وما يشبهها يقال وسمته

الخرطوم

انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين اعلم انه لما قال لان كان ذا مال وبنين بجحده
وكفر وعصى وتمرد وكان هذا استفهاما على سبيل الانكار بين فى هذه الاية انه تعالى انما اعطاه المال والبنين على سبيل
الابتلاء والامتحان وليصرفه الى طاعة الله وليواظب على شكر نعم الله فان لم يفعل ذلك فانه تعالى يقطع عنه تلك النعم
ويصب عليه انواع البلاء والافات فقال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اى كلفنا هولاء بان يشكروا على النعم كما كلفنا
اصحاب الجنة ذات الثمار ان يشكروا ويعطوا الفقرا حقوقهم • روى ان واحدا من ثقيف وكان مسلما كان يملك ضيعة فيها
نخل وزرع بقرب صنعا وكان يجعل من كل ما فيها عند الحصاد نصيبا وافرا للفقرا • فلما مات ورثها منه بنوه ثم قالوا
عيالنا كثير • والمال قليل ولا يمكننا ان نعطى المساكين مثل ما كان يفعل ابونا فاحرق الله جنتهم • وقيل كانوا من بنى اسرائيل
وقوله اذ اقسموا اى حلفوا ليصرمنها ليقطعن ثمر نخيلهم مصبحين اى فى وقت الصباح وكان ابوهم يخبر المساكين
فيجتمعون عند صرام جنتهم • يقال قد صرم العذق عن النخلة واصرم النخل اذا حان وقت صرامه وقوله ولا يستثنون يعنى
ولم يقولوا ان شا الله • هذا قول جماعة المفسرين • يقال حلف فلان يمينا ليس فيها ثنيا ولا ثنوى ولا مثنوية ولا
استثنا كله واحد • واصل هذا كله من الثنى وهو الكف والرد وذلك ان الحالف اذا قال والله لا افعلن كذا الا ان
يشا الله غيره فقد رد انعقاد ذلك اليمين • واختلفوا فى قوله ولا يستثنون فالاكثرون انهم انما لم يستثنوا
بمشية الله لانهم كانوا واثقين بانهم يتمكنون من ذلك لا محالة وقال اخرون بل المراد انهم يصرمون كل ذلك ولا
يستثنون للمساكين من جملته ذلك القدر الذى كان يدفعه ابوهم الى المساكين ثم قال تعالى فطاف عليها طائف من
ربك اى عذاب من ربك • والطائف لا يكون الا ليلا اى طرقها طارق من عذاب الله قال الكلبى ارسل الله عليها نارا
من السما فاحترقت وهم نائمون فاصبحت الجنة كالصريم • واعلم ان الصريم فعيل فيحتمل ان يكون بمعنى المفعول
وان يكون بمعنى الفاعل • وهاهنا احتمالات • احدها انها لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة فى هلاك الثمر وان
حصل الاختلاف فى امور اخر فان الاشجار اذا احترقت فانها لا تشبه الاشجار التى قطعت ثمارها الا ان هذا الاختلاف
وان حصل من هذا الوجه لكن المشابهة فى هلاك الثمر حاصلة • وثانيها قال الحسن اى صرم عنها الخير • فليس فيها
شى • وعلى هذين الوجهين الصريم بمعنى المصروم • وثالثها الصريم من الرمل قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال وجمعه
الصرائم • وعلى هذا شبهت الجنة وهى محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرملة المنقطعة عن الرمال وهى لا تنبت شيئا ينتفع به
ورابعها الصبح يسمى صريما لانه انصرم من الليل • والمعنى ان تلك الجنة يبست وذهبت خضرتها ولم يبق فيها
شى من قولهم بيض الاناء اذا فرغه • وخامسها انها لما احترقت صارت سودا كالليل المظلم • والليل يسمى صريما
وكذا النهار يسمى ايضا صريما لان كل واحد منهما ينصرم بالاخر • وعلى هذا الصريم بمعنى الصارم وقال قوم سمى الليل
صريما لانه يقطع بظلمته عن التصرف • وعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل وقال اخرون سميت الليلة بالصريم لانها
تصرم نور الصبح وتقطعه ثم قال تعالى فتنادوا مصبحين قال مقاتل لما اصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا على
حرثكم ويعنى بالحرث الثمار والزروع والاعناب • ولذلك قال صارمين لانهم ارادوا قطع الثمار من هذه الاشجار
فان قيل لم لم يقل اغدوا الى حرثكم وما معنى على • قلنا لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه
كما تقول غدا عليهم العدو • ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليهم بالجفنة ويراح اى فاقبلوا
على حرثكم باكرين اما قوله تعالى فانطلقوا وهم يتخافتون • اى يتسارون فيما بينهم • وخفى وخفت وخفد
ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش قال ابن عباس يسر بعضهم الى بعض الكلام لئلا يعلم احد من الفقرا
والمساكين ثم قال تعالى ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين • ان مفسرة • وقرا ابن مسعود بطرحها باضمار
القول اى يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهى للمسكين عن الدخول نهى لهم عن تمكينه منه اى لا تمكنوه من الدخول
حتى يدخل كقولك لا ارينك ثم قال وغدوا على حرد قادرين وفيه اقوال • الاول الحرد المنع • يقال حاردت
السنة اذا قل مطرها ومنعت ريعها • وحاردت الناقة اذا منعت لبنها فقل اللبن • والحرد الغضب وهما
لغتان الحرد والحرد • والتحريك اكثر • وانما سمى الغضب بالحرد لانه كالمانع من ان يدخل المغضوب منه فى الوجود
والمعنى وغدوا وكانوا عند انفسهم • وفى ظنهم قادرين على منع المساكين • الثانى قيل الحرد القصد
والسرعة • يقال حردت حردك قال شعر اقبل سيل جاء من امر الله • يحرد حرد الجنة المغلة
وقطا حراد اى سراع • يعنى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها
ومنع منفعتها عن المساكين والثالث قيل حرد علم لتلك اى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم
او مقدرين انهم تم مرادهم من الصرام والحرمان قوله تعالى فلما راوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون

فيه وجوه

فيه وجوه • احدها انهم لما راوا جنتهم محترقة ظنوا انهم ضلوا الطريق فقالوا انا لضالون ثم لما تاملوا وعرفوا انها
هى قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها بشوم عزمنا على البخل ومنع الفقرا • وثانيها يحتمل انهم لما راوا جنتهم محترقة قالوا
انا لضالون حيث كنا عازمين على منع الفقرا وحيث كنا نعتقد كوننا قادرين على الانتفاع بها بل الامر انقلب علينا فصرنا
نحن المحرومون • اما قوله قال اوسطهم يعنى اعدلهم وافضلهم • وبينا وجهه فى تفسير قوله امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون
يعنى هلا تسبحون • وفيه وجوه • الاول قال الاكثرون معناه هلا تستثنون فتقولون ان شا الله لان الله تعالى
انما عابهم بانهم لا يستثنون • وانما جاز تسمية قول ان شا الله بالتسبيح لان التسبيح عبارة عن تنزيه الله عن كل سوء فلو
دخل شى فى الوجود على خلاف ارادة الله لكان ذلك يوجب عود نقص الى قدرة الله فقولك ان شا الله يزيل هذا النقص
فكان ذلك تسبيحا واعلم ان لفظ القران يدل على ان القوم حين كانوا يحلفون ويتركون الاستثنا كان اوسطهم ينهاهم
عن ترك الاستثنا ويخوفهم من عذاب الله فلهذا حكى عن ذلك الاوسط انه قال بعد وقوع الواقعة الم اقل لكم لولا تسبحون
الثانى ان القوم حين عزموا على منع الزكاة واغتروا باموالهم وقوتهم قال الاوسط لهم توبوا عن هذه المعصية قبل
نزول العذاب • فلما راوا العذاب ذكرهم ذلك الكلام الاول وقال لولا تسبحون فلا جرم اشتغل القوم فى الحال بالتوبة
وقالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به لكن بعد خراب البصرة • الثالث قال الحسن هذا التسبيح
هو الصلاة كانهم كانوا يتكاسلون فى الصلاة والا لكانت ناهية لهم عن الفحشا والمنكر ولكانت داعية لهم الى ان يواظبوا
على ذكر الله وعلى قول ان شا الله • ثم انه تعالى لما حكى عن ذلك الاوسط انه امرهم بالتوبة وبالتسبيح حكى عنهم اشيا • اولها
انهم اشتغلوا بالتسبيح وقالوا فى الحال سبحان ربنا اى سبحان ربنا عن ان يجرى فى ملكه شى الا بارادته ومشيته • ولما وصفوا
الله بالتنزيه والتقديس اعترفوا بسوء فعالهم وقالوا انا كنا ظالمين • وثانيها فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم
بعضهم بعضا يقول هذا لهذا انت اشرت علينا بهذا الراى • ويقول ذاك لهذا انت خوفتنا بالفقر ويقول الثالث لغيره
انت الذى رغبتنى فى جمع المال فهذا هو التلاوم • ثم نادوا على انفسهم بالويل فقالوا يا ويلنا انا كنا طاغين والمراد
انهم استعظموا جرمهم • ثم قالوا عند ذلك عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها • قرى يبدلنا بالتخفيف والتشديد انا الى ربنا
راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه • واختلف العلما هاهنا • فمنهم من قال ان ذلك كان توبة منهم وتوقف بعضهم
فى ذلك قالوا لان هذا الكلام يحتمل انهم انما قالوا لرغبة منهم فى الدنيا ثم قال تعالى كذلك العذاب يعنى كما ذكرنا
من احراقها بالنار • وهاهنا تم الكلام فى قصة اصحاب الجنة • واعلم ان المقصود من ذكر هذه القصة امران • احدهما
انه تعالى قال لان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين • والمعنى لاجل ان اعطاه الله المال والبنين
كفر بالله كلا بل الله تعالى انما اعطاه ذلك للابتلاء فاذا صرفه الى الكفر دمر الله عليه بدليل ان اصحاب الجنة لما اتوا بهذا
القدر اليسير من المعصية دمر الله على جنتهم فكيف يكون الحال فى من عاند الرسول واصر على الكفر والمعصية • والثانى
ان اصحاب الجنة خرجوا لينتفعوا بالجنة ويمنعوا الفقرا عنها فقلب الله عليهم القصة • فكذا اهل مكة لما خرجوا الى بدر
حلفوا على ان يقتلوا محمدا واصحابه واذا رجعوا الى مكة طافوا بالكعبة وشربوا الخمور فاخلف الله ظنهم فقتلوا واسروا كاهل
هذه الجنة • ثم انه لما خوف الكفار بعذاب الدنيا قال ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وهو ظاهر لا حاجة به الى التفسير
ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك احوال السعدا فقال قوله تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم • عند ربهم اى فى الاخرة
جنات النعيم اى جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه
الاية قال كفار مكة للمسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم فى الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم فى الاخرة فان لم يحصل التفضيل
فلا اقل من المساواة • ثم ان الله تعالى اجاب عن هذا الكلام بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين • ومعنى الكلام ان التسوية بين المطيع
والعاصى غير جائز • وفى الاية مسائل المسلة الاولى قال القاضى فيه دليل واضح على ان وصف الانسان بانه مسلم
ومجرم كالمتنافى فالفاسق لما كان مجرما وجب ان لا يكون مسلما والجواب انه تعالى انكر جعل المسلم مثل المجرم ولا شك انه
ليس المراد انكار المماثلة فى جميع الامور فانهما يتماثلان فى الجوهرية والجسمية والحدوث والحيوانية وغيرها من
الامور الكثيرة بل المراد انكار استوائهما فى الاسلام والجرم او فى اثار هذين الامرين • والمراد انكار ان يكون اثر اسلام
المسلم مساويا لاثر جرم المجرم عند الله • وهذا مسلم لا نزاع فيه فمن اين يدل على ان الشخص الواحد يمتنع ان يجتمع
فيه كونه مسلما ومجرما المسلة الثانية قال الجبائى دلت الاية على ان المجرم لا يكون البتة فى الجنة لانه تعالى
انكر حصول التسوية بينهما • ولو حصلا فى الجنة لحصلت التسوية بينهما فى الثواب بل لعله يكون ثواب المجرم ازيد
من ثواب المسلم اذا كان المجرم اطول عمرا من المسلم • وكانت طاعاته غير محبطة والجواب هذا ضعيف لانا بينا
ان الاية لا تمنع من حصول التسوية فى شى اصلا بل تمنع من حصول التسوية فى درجة الثواب ولعلهما لا يستويان فيه بل

يكون ثواب المسلم الذي لم يعص اكثر من ثواب من عصى على انا نقول لم لا يجوز ان يكون المراد من المجرمين هم الكفار الذين حكى الله عنهم هذه الواقعة وذلك لان حمل الجمع المحلى بالالف واللام على المعهود السابق مشهور في اللغة والعرف المسئلة الثالثة ان الله تعالى استنكر التسوية بين المسلمين والمجرمين في الثواب فدل هذا على انه يقبح عقلا ما يحكى عن اهل السنة انه يجوز ان يدخل الكفار في الجنة والمطيعين في النار والجواب انه تعالى استنكر ذلك بحكم الفضل والاحسان لا ان ذلك بسبب ان احدا يستحق عليه شيئا • واعلم انه تعالى لما قال على سبيل الاستبعاد افنجعل المسلمين كالمجرمين قرر هذا الاستبعاد بان قال لهم على طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم المعوج ثم قال تعالى ام لكم كتاب فيه تدرسون • وهو كقوله ام لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم • والاصل تدرسون ان لكم ما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت وتخير الشيء واختاره اي اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله ثم قال تعالى ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون • وفيه مسئلتان المسئلة الاولى يقال لفلان علي يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد • فان قيل الى في قوله الى يوم القيمة بم يتعلق • قلنا فيه وجهان • الاول انها متعلقة بقوله بالغة اي هذه الايمان في قوتها وكمالها بحيث تبلغ الى يوم القيمة • والثاني ان يكون التقدير ايمان ثابتة الى يوم القيمة • ويكون معنى بالغة مؤكدة كما تقول جيدة بالغة وكل شيء متناه في الصحة والجودة فهو بالغ • واما قوله ان لكم لما تحكمون فهو جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم المسئلة الثانية قرا الحسن بالغة بالنصب وهو نصب على الحال من الضمير في الظرف ثم قال للرسول عليه الصلاة والسلام سلهم ايهم بذلك زعيم اي قائم به وبالاحتجاج على صحته كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم ثم قال تعالى ام لهم شركاء • وفي تفسيره وجهان الاول المعنى ام لهم اشياء يعتقدون انها شركاء لله وهذا كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء • الوجه الثاني في المعنى ام لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو التسوية بين المسلمين والمجرمين فليأتوا بهم ان كانوا صادقين في دعواهم والمراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلي في اثبات هذا المذهب ولا دليل نقلي وهو كتاب يدرسونه فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول وذلك يدل على انه باطل من كل الوجوه واعلم انه تعالى لما ابطل قولهم وافسد مقالتهم شرح بعد ذلك عظمة يوم القيمة فقال تعالى يوم يكشف عن ساق وفيه مسائل المسئلة الاولى يوم منصوب بماذا فيه ثلاثة اوجه • احدها انه منصوب بقوله فليأتوا اي فليأتوا بشركائهم وذلك اليوم يوم شديد • فكانه تعالى قال ان كانوا صادقين في انها شركاء فليأتوا بها يوم القيمة لتنفعهم ولتشفع لهم • وثانيها انه منصوب باضمار اذكر • وثالثها ان يكون التقدير يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه المسئلة الثانية هذا اليوم الذي يكشف فيه عن ساق اهو يوم القيمة او في الدنيا فيه قولان الاول وهو الذي عليه الجمهور انه يوم القيمة • ثم في تفسير الساق وجوه • الاول انه الشدة • روي انه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم قول الشاعر شعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق • وقامت الحرب بنا على ساق •

ثم قال يوم كرب وشدة • وروى مجاهد عنه قال هو اشد ساعة في القيمة • وانشد اهل اللغة ابياتا كثيرة في هذا المعنى منها ما انشده ابو عبيدة لقيس بن زهير شعر

فان شمرت لك عن ساقها • فويها ربيع ولا تسأم •

ومنها كشفت لكم عن ساقها • وبدا من الشر الصراح • وقال جرير •

الا رب سامي الطرف من آل مازن • اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا • وقال آخر •

في سنة قد شمرت عن ساقها • حمراء تبري اللحم عن عراقها • وقال آخر شعر •

قد شمرت عن ساقها فشدوا • وجدت الحرب بكم فجدوا •

ثم قال ابن قتيبة اصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر عظيم يحتاج الى الجد فيه يشمر عن ساقه فلا جرم تقال في موضع الشدة كشف عن ساقه واعلم ان هذا اعتراف من اهل اللغة بان استعمال الساق في الشدة مجاز • واجمع العلماء على انه لا يجوز صرف الكلام الى المجاز الا بعد تعذر حمله على الحقيقة • فاذا اقمنا الدلائل القاطعة على انه تعالى يستحيل ان يكون جسما فحينئذ يجب صرف اللفظ الى المجاز واعلم ان صاحب الكشاف اورد هذا التاويل في معرض آخر فقال الكشف عن الساق مثل في شدة الامر فمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل • ثم اخذ يعظم علم البيان ويقول لولاه لما وقفنا على هذه الاسرار • واقول اما ان يدعي انه يجوز صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل او يقول انه لا يجوز ذلك الا بعد امتناع حمله على الحقيقة • والاول باطل باجماع المسلمين • ولانا ان جوزنا ذلك انفتح باب تاويلات الفلاسفة في امر المعاد فانهم يقولون في قوله جنات تجري من تحتها الانهار ليس هناك لا اشجار ولا انهار وانما هو مثل للذة والسعادة • ويقولون في قوله اركعوا واسجدوا ليس هناك لا ركوع ولا سجود وانما هو مثل للتعظيم • ومعلوم ان ذلك يفضي الى رفع الشرائع وفساد الدين • واما ان قال انه لا يصار الى هذا التاويل الا بعد قيام

الدلالة على ان

الدلالة على انه لا يجوز حمله على ظاهره • فهذا هو الذي لم يزل كل احد من المتكلمين قال به وعول عليه فاين هذه الدقائق التي استبد هو بمعرفتها والاطلاع عليها بواسطة علم البيان فرحم الله امرا عرف قدره وما تجاوز طوره • القول الثاني وهو قول ابي سعيد الضرير • يوم يكشف عن ساق اي عن اصل الامر • وساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يظهر يوم القيمة حقائق الاشياء واصولها • القول الثالث يوم يكشف عن ساق جهنم او عن ساق العرش او عن ساق ملك مهيب عظيم • واللفظ لا يدل الا على ساق • فاما ان ذلك الساق ساق اي شيء هو فليس في اللفظ ما يدل عليه • والقول الرابع وهو اختيار المشبهة انه ساق الله تعالى عنه علوا كبيرا • روي عن ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى يتمثل للخلق يوم القيمة حين يمر المسلمون فيقول من تعبدون فيقولون نعبد الله فيشهدهم مرتين او ثلاثا ثم يقول هل تعرفون ربكم فيقولون سبحانه اذا عرفنا نفسه عرفناه • فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن الا خر لله ساجدا • ويبقى المنافقون ظهورهم كالطبق الواحد كانما فيها السفافيد واعلم ان هذا القول باطل لوجوه • احدها ان الدلائل دلت على ان كل جسم محدث لان كل جسم متناه وكل متناه محدث • ولان كل جسم فانه لا ينفك عن الحركة والسكون وكل ما كان كذلك فهو محدث ولان كل جسم ممكن وكل ممكن محدث وثانيها انه لو كان المراد ذلك لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن اما لو حملناه على الشدة ففائدة التنكير الدلالة على التعظيم كانه قيل يوم يكشف عن شدة واي شدة لا يمكن وصفها • وثالثها ان التعريف لا يحصل بالكشف عن الساق انما يحصل بكشف الوجه • القول الثاني ان قوله يوم يكشف عن ساق ليس المراد منه يوم القيمة بل هو في الدنيا وهذا قول ابي مسلم قال انه لا يمكن حمله على يوم القيمة لانه تعالى قال في وصف هذا اليوم ويدعون الى السجود ويوم القيمة ليس فيه تعبد ولا تكليف بل المراد منه اما آخر ايام الرجل في دنياه كقوله تعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ ثم انه يرى الناس يدعون الى الصلوات اذا حضرت اوقاتها وهو لا يستطيع الصلاة لانه الوقت الذي لا ينفع نفسا ايمانها • واما حال الهرم والمرض والعجز • وقد كانوا قبل ذلك اليوم يدعون الى السجود وهم سالمون مما بهم الآن • اما من الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا عند الموت او من العجز والهرم • ونظير هذه الآية قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم واعلم انه لا نزاع في انه يمكن حمل اللفظ على ما قاله ابو مسلم فاما قوله انه لا يمكن حمله على القيمة بسبب ان الامر بالسجود حاصل هاهنا • والتكاليف زائلة يوم القيمة • فجوابه ان ذلك لا يكون على سبيل التكليف بل على سبيل التقريع والتخجيل فلم قلتم ان ذلك غير جائز والله اعلم المسئلة الثالثة قرئ يوم نكشف بالنون • وتكشف بالتاء المنقطة من فوق على البناء للفاعل والمفعول جميعا • والفعل للساعة او للحال اي يوم تشتد الحال او الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز • وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا اما قوله تعالى ويدعون الى السجود فلا يستطيعون • اعلم انا بينا انهم لا يدعون الى السجود تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود في الدنيا • ثم انه تعالى حال ما يدعوهم الى السجود يسلب عنهم القدرة على السجود ويحول بينهم وبين الاستطاعة حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمون الاطراف والمفاصل قال الجبائي لما خصص عدم الاستطاعة بالآخرة دل ذلك على انهم كانوا في الدنيا يستطيعون فبطل بهذا قول من قال الكافر لا قدرة له على الايمان • وان القدرة على الايمان لا تحصل الا حال وجود الايمان والجواب عنه ان علم الله بانه لا يؤمن مناف لوجود الايمان والجمع بين المتنافيين محال • فالاستطاعة في الدنيا ايضا غير حاصلة على قول الجبائي اما قوله تعالى خاشعة ابصارهم فهو حال من قوله لا يستطيعون ترهقهم ذلة يعني يلحقهم ذل بسبب انهم ما كانوا مواظبين على خدمة مولاهم مثل العبد الذي اعرض عنه مولاه فانه يكون ذليلا فيما بين الناس وقوله تعالى وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون • يعني حين كانوا يدعون الى الصلاة بالاذان والاقامة وكانوا سالمين قادرين على الصلاة • وفي هذا وعيد لمن قعد عن الجماعة ولم يجب المؤذن الى اقامة الصلاة في الجماعة قوله تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اعلم انه تعالى لما خوف الكفار بعظمة يوم القيمة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته من القهر فقال ذرني واياه يريد كله الي فاني اكفيكه كانه يقول يا محمد حسبك انتقاما منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به قادر على ذلك ثم قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون • يقال استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه • وقوله من حيث لا يعلمون قال ابو روق سنستدرجهم اي كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار • فالاستدراج انما حصل من الاعتبار الذي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم ثم قال تعالى واملي لهم اي امهلهم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما واطيل لهم المدة • والملاوة المدة من الدهر يقال املى الله له اي اطال له الملاوة • والملوان الليل والنهار • والملا مقصور الارض الواسعة سميت به لامتدادها • وقيل واملي لهم اي بالموت فلا اعاجلهم به ليزدادوا اثما • ثم انه سبحانه

احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك
واعلم ان الاصحاب تمسكوا بهذه الاية في مسئلة ارادة الكائنات فقالوا هذا الذي سماه الله بالاستدراج وبالكيد
اما ان لا يكون له اثر في ترجيح جانب الفعل على جانب الترك او يكون له فيه اثر • والاول باطل والا كان هو وساير الاشيا
الاجنبية بمثابة واحدة فلا يكون استدراجا البتة ولا كيدا • واما الثاني فانه يقتضي كونه تعالى مريدا لذلك
الفعل الذي ينساق اليه ذلك الاستدراج وذلك الكيد لانه انما كان تعالى لا يزال يوكد هذا الجانب ويفتر ذلك
الجانب الاخر • واعلم ان تاكيد هذا الجانب لا بد وان ينساق بالاخرة الى فعله ودخوله في الوجود فلا بد وان يكون
مريدا لدخول ذلك الفعل في الوجود • وهذا هو المطلوب اجاب الكعبي عنه فقال المراد سنستدرجهم الى الموت
من حيث لا يعلمون وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة • فانهم لو عرفوا الوقت الذي يموتون فيه لصاروا امنين الى ذلك
الوقت • ولاقدموا على المعاصي • وفي ذلك اغرا بالمعاصي واجاب الجبائي عنه سنستدرجهم الى العذاب
من حيث لا يعلمون في الاخرة • واملي لهم في الدنيا توكيدا للحجة عليهم ان كيدي متين فامهله وازيل الاعذار عنه ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة • فهذا هو المراد من الكيد المتين • ثم قالوا والذي يدل على ان المراد ما ذكرنا انه
تعالى قال قبل هذه الاية فذرني ومن يكذب بهذا الحديث • ولا شك ان هذا التهديد انما وقع بعقاب الاخرة فوجب ان
يكون المراد بالاستدراج والكيد المذكورين عقيبه هو عذاب الاخرة • والعذاب الحاصل عند الموت واعلم ان اصحابنا
قالوا الحرف الذي ذكرناه هو ان هذا الامهال اذا كان يتادى الى الطغيان كان الراضي بالامهال العالم بتاديه الى الطغيان
كان الراضي بالامهال العالم بتاديه الى الطغيان لا بد وان يكون راضيا بذلك الطغيان واعلم ان قوله سنستدرجهم
الى قوله كيدي متين مفسر في سورة الاعراف ثم قال تعالى ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون • وهذه الاية مع ما بعدها
مفسرة في سورة الطور • واقول انه عاد الكلام الى ما تقدم من قوله ام لهم شركا والمغرم والغرامة اي لم تطلب منهم
على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان ثم قال تعالى ام عندهم
الغيب فهم يكتبون • وفيه وجهان • الاول ان عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ثواب ما هم عليه من الكفر والرد
فلذلك اصروا عليه • وهذا استفهام على سبيل الانكار • الثاني ان الاشيا الغائبة كانها حضرت في عقولهم حتى
انهم يكتبون على الله اي يحكمون عليه بما شاؤوا واورادوا • ثم انه تعالى لما بالغ في تزييف طريقة الكفار وفي زجرهم
عما هم عليه قال لمحمد عليه الصلاة والسلام فاصبر لحكم ربك وفيه وجهان • الاول فاصبر لهم وفيه وجهان • الاول فاصبر
لحكم ربك في امهالهم وتاخير نصرتك عليهم • والثاني فاصبر لحكم ربك في ان اوجب عليك التبليغ والوحي واداء الرسالة
وتحمل ما يحصل بسبب ذلك من الاذى والمحنة ثم قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم • وفيه مسائل
المسئلة الاولى العامل في اذ معنى قوله كصاحب الحوت • يريد لا تكن كصاحب الحوت حال ندائه وذلك لانه في
ذلك الوقت كان مكظوما فكانه قيل لا تكن مكظوما المسئلة الثانية صاحب الحوت يونس عليه السلام اذ نادى
في بطن الحوت بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهو مكظوم مملوء غيظا من كظم السقا اذا ملاه
والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه ثم قال تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه
لنبذ بالعراء وهو مذموم • وقرئ رحمة من ربه • وهاهنا سوالات • السوال الاول لم لم يقل لولا ان تداركته
نعمة من ربه الجواب انما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه • وقرا ابن عباس وابن مسعود تداركته
وقرا الحسن تداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم
فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم • والمعنى كان متوقعا منه القيام • السوال الثاني ما المراد من قوله نعمة من ربه
الجواب المراد من تلك النعمة هو انه تعالى انعم عليه بالتوفيق للتوبة • وهذا يدل على انه لا يتم شي من
الصالحات والطاعات الا بتوفيقه وهدايته • السوال الثالث اين جواب لولا الجواب من وجهين الاول
تقدير الاية لولا هذه النعمة لنبذ بالعراء مع وصف المذمومية • فلما حصلت هذه النعمة لا جرم لم يوجد
النبذ بالعراء مع هذا الوصف لانه لما فقد الوصف فقد فقد ذلك المجموع • الثاني لولا هذه النعمة للبث في
بطن الحوت الى يوم القيمة • ثم نبذ بعراء القيمة مذموما • ويدل على هذا قوله فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون • وهذا كما يقال عرصة القيمة وعراء القيمة • السوال الرابع هل يدل قوله وهو
مذموم على كونه فاعلا للذنب • الجواب من ثلاثة اوجه • الاول ان كلمة لولا دلت على ان هذه المذمومية
لم تحصل • الثاني لعل المراد من المذمومية ترك الافضل • فان حسنات الابرار سيئات المقربين • الثالث
لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله فاجتباه ربه • والفا للتعقيب • السوال الخامس ما سبب نزول

هذه الايات

هذه الايات الجواب يروى ان هذه الايات نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو
على الذين انهزموا • وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف اما قوله تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ففيه مسئلتان
المسئلة الاولى في الاية وجهان • احدهما قال ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في قومه • والثاني
قال قوم لعله ما كان رسولا صاحب الوحي قبل هذه الواقعة جعله الله رسولا وهو المراد من قوله فاجتباه
والذين انكروا الكرامات والارهاص لا بد وان يختاروا القول الاول لان احتباسه في بطن الحوت وعدم موته
هناك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة فلا بد وان يكون معجزة وذلك يقتضي انه كان رسولا في تلك الحالة والله اعلم
المسئلة الثانية احتج الاصحاب على ان فعل العبد خلق لله تعالى بقوله فجعله من الصالحين فالاية تدل
على ان ذلك الصلاح انما حصل بجعل الله وخلقه • قال الجبائي يحتمل ان يكون معنى جعله انه اخبر بذلك • ويحتمل
ان يكون لطف به حتى صلح اذ الجعل يستعمل في اللغة في هذه المعاني والجواب ان هذين الوجهين اللذين ذكرتم مجاز
والاصل في الكلام الحقيقة اما قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر • ففيه
مسائل المسئلة الاولى ان مخففة من الثقيلة واللام علمها المسئلة الثانية قرئ ليزلقونك بضم اليا وفتحها وزلقه
وازلقه بمعنى • ويقال زلق الراس وازلقه حلقه • وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وازهقها • ثم فيه وجوه
احدها انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضا يكادون يزلقون قدمك من قولهم نظر
الي نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال • شعر
يتقارضون اذا التقوا في موطن • نظرا يزل مواطئ الاقدام • وانشد ابن عباس لما مر بقوم حددوا النظر اليه
نظروا الي باعين محمرة • نظر التيوس الى شفار الجازر • وبين الله تعالى ان ذلك النظر كان يشتد منهم في حال
قراءة النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن وهو قوله لما سمعوا الذكر • الثاني منهم من حمله على الاصابة بالعين • وهاهنا
مقامان • احدهما ان الاصابة بالعين هل لها في الجملة حقيقة ام لا • والثاني ان بتقدير كونها صحيحة فهل الاية ها هنا
مفسرة بها ام لا المقام الاول من الناس من انكر ذلك وقال تاثير الجسم في الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة وهاهنا
لا مماسة فامتنع حصول التاثير واعلم ان المقدمة الاولى ضعيفة • وذلك لان الانسان اما ان يكون عبارة عن النفس
او عن البدن • فان كان الاول لم يمتنع اختلاف النفوس في جواهرها وماهياتها • واذا كان كذلك لم يمتنع ايضا
اختلافها في لوازمها واثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية في التاثير وان كان الثاني لم يمتنع ايضا
ان يكون مزاج انسان واقعا على وجه مخصوص يكون له اثر خاص • وبالجملة فالاحتمال العقلي قايم وليس في بطلانه
شبهة • فضلا عن حجة • والدلايل السمعية ناطقة بذلك كما روي انه عليه الصلاة والسلام قال العين حق
وقال العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر • المقام الثاني من الناس من فسر الاية بهذا المعنى قالوا كانت
العين في بني اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شي فيقول لم ار كاليوم مثله الا عانه فالتمس الكفار من بعض
من كانت له هذه الصفة ان يقول في رسول الله ذلك فعصمه الله وطعن الجبائي في هذا التاويل وقال الاصابة
بالعين تقرن باستحسان الشي • والقوم ما كانوا ينظرون الى الرسول عليه الصلاة والسلام على هذا الوجه بل كانوا يمقتونه
ويبغضونه • والنظر على هذا الوجه لا يقتضي الاصابة بالعين • واعلم ان هذا السوال ضعيف لانهم وان كانوا
يبغضونه من حيث الدين الا انهم كانوا يستحسنون فصاحته وايراده للدلايل • وعن الحسن دوا الاصابة بالعين قراءة
هذه الاية ثم قال تعالى ويقولون انه لمجنون وهو على ما افتتح به السورة ثم قال وما هو اي وما هذا القران الذي تزعمون
انه دلالة جنونه الا ذكر للعالمين فانه تذكير لهم وبيان لهم وادلة لهم وتنبيه لهم على ما في عقولهم من ادلة التوحيد
وفيه من الاداب والحكم وساير العلوم ما لا حد له ولا حصر فكيف ينسب الى الجنون من يتلوه ويظهره مما ذكرو نبه انه من
ادل الامور على كمال الفضل والعقل • والله اعلم بالصواب • واليه المرجع والماب • تم تفسير هذه السورة والحمد لله رب العالمين

## سورة الحاقة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة
فيه مسائل المسئلة الاولى اجمعوا على ان الحاقة هي القيمة • واختلفوا في معنى الحاقة على وجوه • احدها ان الحق هو
الثابت الكائن • فالحاقة الساعة الواجبة الوقوع • الثابتة المجي التي هي اتية لا ريب فيها • وثانيها انها التي تحق فيها
الامور اي تعرف على الحقيقة من قولك لا احق هذا اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها • وثالثها انها

ثالثها ذات الحواق من الامور وهي الصادقة الواجبة الصدق والثواب والعقاب وغيرهما من احوال القيمة
امور واجبة الوقوع والوجود فهي كلها حواق • ورابعها ان الحاقة بمعنى الحقة والحقة اخص من الحق واوجب تقول
هذه حقتي اي حقي • وعلى هذا الحاقة بمعنى الحق وهذا الوجه قريب من الوجه الاول • وخامسها قال الليث الحاقة النازلة
التي حقت فلا كاذبة وهذا معنى قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة • وسادسها الحاقة الساعة التي يحق فيها الجزا على كل ضلال
وهدى وهي القيمة • وسابعها الحاقة هو الوقت الذي يحق على القوم ان يقع بهم • وثامنها انها تحق اي يكون جميع
اثار اعمال المكلفين فان في ذلك اليوم يحصل الثواب والعقاب ويخرج عن الانتظار وهو قول الزجاج • وتاسعها
قال الازهري والذي عندي في الحاقة انها سميت بذلك لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل اي تخاصم
كل مخاصم وتغلبه من قولك حاققته فحققته اي غلبته وفلجت عليه • وعاشرها قال ابو مسلم الحاقة الفاعلة
من قولك حقت كلمة ربك • المسئلة الثانية الحاقة مرفوعة بالابتدا وخبرها ما الحاقة و~~الاصل الحاقة ما هي~~
والاصل الحاقة ما هي اي اي شي هي تفخيما لشانها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها
ومثله قوله القارعة ما القارعة • وقوله وما ادراك اي واي شي اعلمك ما الحاقة يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى
عظمها على انه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك
وما في موضع الرفع على الابتدا وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام والله اعلم • قوله تعالى كذبت ثمود
وعاد بالقارعة • القارعة هي التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال • والسما بالانشقاق والانفطار والارض
والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار • وانما قال كذبت ثمود وعاد بالقارعة ولم يقل بها ليدل على ان
معنى القرع حاصل في الحاقة فيكون ذلك زيادة على وصف شدتها • ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب
وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة • وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم • اما قوله تعالى فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية اعلم ان في الطاغية اقوالا • الاول ان الطاغية هي الواقعة المجاوزة للحد في الشدة والقوة
قال تعالى انا لما طغى الما اي جاوز الحد • وقال ما زاغ البصر وما طغى فعلى هذا القول النعت محذوف • واختلفوا
في ذلك المحذوف فقال بعضهم انها الصيحة المجاوزة في القوة والشدة للصيحات قال تعالى انا ارسلنا عليهم
صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر • وقال بعضهم انها الرجفة • وقال اخرون انها الصاعقة • والقول الثاني ان
الطاغية هاهنا الطغيان فهي مصدر كالكاذبة والباقية والعاقبة اي اهلكوا بطغيانهم على الله اذ كذبوا رسله
وكفروا به وهو منقول عن ابن عباس والمتاخرون طعنوا فيه من وجهين • الاول وهو الذي قاله الزجاج انه لما ذكر
في الجملة الثانية نوع الشي الذي وقع به العذاب وهو قوله بريح صرصر وجب ان يكون الحال في الجملة الاولى كذلك
حتى تكون المناسبة حاصلة • والثاني وهو الذي قاله القاضي وهو انه لو كان المراد ما قالوه لكان من حق الكلام
ان يقال اهلكوا لها ولاجلها • والقول الثالث بالطاغية اي بالفرقة التي طغت من جملة ثمود فتوامروا بعقر
الناقة فعقروها اي اهلكوا بشوم فرقتهم الطاغية • ويجوز ان يكون المراد بالطاغية ذلك الرجل الواحد الذي
اقدم على عقر الناقة واهلك الجميع لانهم رضوا بفعله وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة
ونسابة • وقوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر • الصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة • وقيل الباردة
من الصر كانها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها • واما العاتية ففيها اقوال • الاول قال الكلبي
عتت على خزانها يومئذ فلم يحفظوا كم خرج منها ولم يخرج قبل ذلك ولا بعده الا بقدر معلوم
قال عليه الصلوة والسلام ما ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ما الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الما يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الما حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية • الثاني قال عطا عن ابن عباس يريد عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببنا او استناد الى جبل فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم • القول الثالث ان هذه الحكاية انما هي عبارة عن الشدة والافراط فيها • قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما • قال الزجاج اقامها عليهم كما شا والتسخير استعمال الشي بالاقتدار • وعندي فيه لطيفة وذلك ان من الناس من قال ان تلك الرياح انما اشتدت لان اتصالا فلكيا نجوميا اقتضى ذلك فقوله سخرها عليهم فيه اشارة الى نفي ذلك المذهب • وبيان ان ذلك انما حصل بتقدير الله وقدرته فانه لولا هذه الدقيقة لما حصل منه التخويف والتحذير عن العقاب • وقوله سبع ليال وثمانية
ايام • الفائدة فيه ان الله تعالى لو لم يذكر ذلك لما كان مقدار زمان هذا العذاب معلوما فلما قال سبع ليال وثمانية

عاتية

سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام

حسوما

ايام صار مقدار



ايام صار مقدار الزمان معلوما • ثم لما كان يمكن ان يظن ظان ان ذلك العذاب كان متفرقا في هذه المدة ازال هذا
الظن بقوله حسوما اي متتابعة متوالية • واختلفوا في الحسوم على وجوه • احدها وهو قول الاكثرين
حسوما اي متتابعة اي هذه الايام تتابعت عليهم بالريح المهلكة فلم يكن فيها فتور ولا انقطاع وعلى هذا القول حسوم
جمع حاسم كشهود وقعود ومعنى الحسم في اللغة القطع بالاستيصال وسمي السيف حساما لانه يحسم العدو عما يريد
من بلوغ عداوته • فلما كانت تلك الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى اتت عليهم اشبه تتابعها عليهم تتابع فعل الحاسم في
اعادة الكي على الداء كرة بعد اخرى حتى يحسم • وثانيها ان تلك الرياح حسمت كل خير واستاصلت كل بركة • وثالثها
ان يكون الحسوم مصدرا كالشكور والصبور والكفور • وعلى هذا التقدير فاما ان ينتصب بفعله مضمرا والتقدير
يحسم حسوما يعني يستاصل استيصالا او يكون صفة كقولك ذات حسوم او يكون مفعولا له اي سخرها عليهم
للاستيصال • وقرا السدي حسوما بالفتح اي حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة • وقيل هي ايام العجوز وانما
سميت بايام العجوز لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها • وقيل هي ايام العجز
وهي اخر الشتا • قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى • اي في مهابها وقال اخرون اي في تلك الليالي والايام • صرعى
جمع صريع قال مقاتل يعني موتى يريد انهم صرعوا بموتهم فهم مصرعون صرع الموت كانهم اعجاز نخل خاوية اي
كانهم اصول نخل خالية الاجواف لا شي فيها • والنخل يؤنث ويذكر قال الله تعالى في موضع اخر كانهم اعجاز نخل منقعر
وقرئ اعجاز نخيل • ثم يحتمل انهم شبهوا بالنخيل التي قلعت من اصلها وهو اخبار عن عظم خلقهم واجسامهم • ويحتمل
ان يكون المراد به الاصول دون الجذوع اي ان الريح قد قطعتهم حتى صاروا قطعا ضخاما كاصول النخل • واما وصف
النخل بالخوا فيحتمل ان يكون وصفا للقوم فان الريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخل الخاوية الجوف • ويحتمل ان
تكون الخاوية بمعنى البالية لانها اذا بليت خلت اجوافها فشبهوا بعد ان هلكوا بالنخل البالية • ثم قال تعالى فهل ترى
لهم من باقية • وفيه مسئلتان المسئلة الاولى في الباقية ثلاثة اوجه • احدها انها البقية • وثانيها المراد
من نفس باقية • وثالثها المراد بالباقية البقا كالطاغية بمعنى الطغيان المسئلة الثانية ذهب قوم الى ان المراد
لم يبق من نسل اولئك احد • واستدلوا بهذه الاية على قوله قال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احيا في عذاب
الله من الريح • فلما امسوا اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك هو قوله فهل ترى لهم من باقية • وقوله
فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم • القصة الثانية قصة فرعون قوله تعالى وجا فرعون ومن قبله • اي ومن كان قبله من
الامم التي كفرت كما كفر هو • ومن لفظ عام ومعناه خاص في الكفار دون المؤمنين • وقرا ابو عمرو وعاصم والكسائي ومن
قبله بكسر القاف قال سيبويه قبل لما ولي الشي تقول ذهب قبل السوق ولي قبلك حق اي فيما يليك واتسع حتى صار بمنزلة
لي عليك • فمعنى من قبله اي من عنده من اتباعه وجنوده • والذي يؤكد هذه القراة ما روي ان ابن مسعود وابيا وابا موسى
قرءوا ومن تلقاه • ويروى عن ابي وجه انه قرا ومن معه اما قوله والمؤتفكات • فقد تقدم تفسيرها وهم الذين اهلكوا
من قوم لوط على معنى والجماعات المؤتفكات وقوله بالخاطئة • فيه وجهان • الاول ان الخاطئة مصدر كالخطا • والثاني
ان يكون المراد بالفعلة او الافعال ذات الخطا العظيم وقوله فعصوا رسول ربهم • الضمير ان كان عائدا الى فرعون
ومن قبله فرسول ربهم هو موسى عليه السلام • وان كان عائدا الى اهل المؤتفكات فرسول ربهم هو لوط قال الواحدي
والوجه ان يقال المراد بالرسول كلاهما للخبر عن الامتين بعد ذكرهما بقوله فعصوا فيكون كقوله انا رسول رب العالمين
وقوله فاخذهم اخذة رابية • يقال ربا الشي يربو اذا زاد • ثم فيه وجهان • الاول انها كانت زائدة في الشدة على عقوبات
سائر الكفار كما ان افعالهم كانت زائدة في القبح على افعال سائر الكفار • الثاني ان عقوبة ال فرعون في الدنيا كانت متصلة
بعذاب الاخرة لقوله اغرقوا فادخلوا نارا • وعقوبة الاخرة اشد من عقوبة الدنيا • فتلك العقوبة كانها كانت تنموا
وتربو القصة الثالثة قصة نوح عليه السلام قوله تعالى انا لما طغى الما حملناكم في الجارية • طغى الما على خزانه
فلم يدروا كم خرج وليس ينزل من السما قطرة قبل تلك الواقعة وبعدها الا بكيل معلوم • وسائر المفسرين قالوا طغى الما
اي جاوز حده حتى علا كل شي وارتفع فوقه • حملناكم اي حملنا اباكم وانتم في اصلابهم ولا شك ان الذين خوطبوا بهذا هم
اولاد الذين كانوا في السفينة • وقوله في الجارية يعني في السفينة التي تجري في الما وهي سفينة نوح عليه السلام
والجارية من اسما السفينة • ومنه قوله وله الجوار • وقوله لنجعلها لكم تذكرة • الضمير في قوله لنجعلها الى ماذا يرجع
فيه وجهان • الاول قال الزجاج انها عائدة الى الواقعة التي هي معلومة وان كانت هاهنا غير مذكورة • والمعنى لنجعل
نجاة المؤمنين واغراق الكفرة عظة وعبرة • الثاني قال الفرا لنجعل السفينة وهذا ضعيف • والاول هو الصواب
ويدل على صحته قوله وتعيها اذن واعية • فالضمير في قوله وتعيها عائد الى ما عاد اليه الضمير • لكن الضمير في قوله وتعيها

واختلفوا في الحسوم على وجوه

تتابعها

وانما سميت بايام العجوز

لا يمكن عوده الى السفينة فكذا الضمير الاول اما قوله وتعيها اذن واعية ففيه مسئلتان المسئلة الاولى يقال
لكل شيء حفظته في نفسك وعيته ووعيت العلم ووعيت ما قلت • ويقال لكل ما حفظته في غير نفسك اوعيته
يقال اوعيت المتاع في الوعاء • ومنه قول الشاعر • والشر اخبث ما اوعيت من زاد • واعلم ان وجه التذكير
في هذا ان نجاة قوم من الغرق بالسفينة وتغريق من سواهم يدل على قدرة مدبر العالم ونفاذ مشيته • ونهاية حكمته
ورحمته وشدة قهره وسطوته • وعن النبي عليه الصلاة والسلام عند نزول هذه الاية سألت الله ان يجعلها اذنك
يا علي فما نسيت شيئا بعد ذلك وما كان لي ان انسى • فان قيل لم قال اذن واعية على التوحيد والتنكير • قلنا للايذان بان
الوعاة فيهم قلة • ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم • وللدلالة على ان الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد
الاعظم عند الله • وان ما سواها لا يلتفت اليهم • وان امتلا العالم منهم المسئلة الثانية قرأ العامة وتعيها
بكسر العين • وروي عن ابن كثير وتعيها ساكنة العين كانه جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة كبد فاسكن
كما اسكن الحرف المتوسط من كبد وكتف وانما فعل ذلك لان حرف المضارعة لا ينفصل عن الفعل فاشبه ما هو من
نفس الكلمة وصار كقول من قال وهو وهي • ومثل ذلك قوله ويتقه في قراءة من سكن القاف قوله تعالى فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة واعلم انه تعالى لما حكى القصص الثلاثة • ونبه بها على ثبوت القدرة والحكمة للصانع فحينئذ ثبت بثبوت
القدرة امكان القيمة وثبت بثبوت الحكمة وقوع القيمة • ولما ثبت ذلك شرع سبحانه في تفاصيل احوال القيمة فذكر اولا
مقدماتها فقال فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة • وفيه مسائل المسئلة الاولى قرئ نفخة بالرفع والنصب
وجه الرفع انه اسند الفعل اليها وانما حسن تذكير الفعل للفصل • ووجه النصب ان الفعل مسند الى الجار والمجرور
ثم نصب نفخة على المصدر المسئلة الثانية المراد من هذه النفخة الواحدة هي النفخة الاولى لان عندها يحصل
خراب العالم • فان قيل اما قال بعد ذلك يومئذ تعرضون والعرض انما يكون عند النفخة الثانية • قلنا جعل اليوم اسما
للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قال يومئذ تعرضون كما يقال جئته
عام كذا • وانما كان مجيئك في وقت واحد من اوقاته قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة • فيه مسئلتان
المسئلة الاولى رفعت الارض والجبال • اما بالزلزلة التي تكون في القيمة • واما بريح بلغت من قوة عصفها
انها تحمل الارض والجبال او بملك من الملائكة او بقدرة الله من غير سبب فدكتا • اي فدكت الجملتان جملة الارض
وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وتصير كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك ابلغ من الدق • وقيل فبسطتا
بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة
دكاء ومنه الدكان المسئلة الثانية قال الفراء لا يجوز في دكة ها هنا الا النصب لارتفاع الضمير في دكتا ولم يقل
فدككن لانه جعل الجبال كالواحدة والارض كالواحدة كما قال ان السموات والارض كانتا رتقا ولم يقل كن ثم قال تعالى فيومئذ
وقعت الواقعة اي فيومئذ قامت القيمة الكبرى وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية اي مسترخية
ساقطة القوة كالعهن المنفوش بعد ما كانت محكمة شديدة ثم قال تعالى والملك على ارجائها • وفيه مسائل
المسئلة الاولى والملك لم يرد به ملكا واحدا بل اراد الجنس والجمع المسئلة الثانية الارجاء في اللغة النواحي
يقال رجا ورجوان والجمع الارجاء • ويقال ذلك لحرف البئر وحرف القبر وما اشبه ذلك • والمعنى ان السماء اذا انشقت
عدلت الملائكة من مواضع الشق الى جوانب السماء • فان قيل الملائكة يموتون في الصعقة الاولى لقوله فصعق من في
السموات ومن في الارض فكيف يقال انهم يقفون على ارجاء السماء • قلنا الجواب من وجهين • الاول انهم يقفون
لحظة على ارجاء السماء ثم يموتون • الثاني ان المراد الذين استثناهم الله في قوله الا من شاء الله قوله تعالى ويحمل عرش
ربك فوقهم يومئذ ثمانية • فيه مسائل المسئلة الاولى هذا العرش هو الذي اراده الله تعالى بقوله الذين
يحملون العرش • وقوله وترى الملئكة حافين من حول العرش المسئلة الثانية الضمير في قوله فوقهم الى ماذا
يعود فيه وجهان • الاول وهو الاقرب ان المراد فوق الملئكة الذين هم على الارجاء والمقصود التمييز بينهم وبين
الملئكة الذين هم حملة العرش • الثاني قال مقاتل يعني ان الحملة يحملون العرش فوق رؤسهم • والضمير قبل الذكر جائز
كقوله في بيته يؤتى الحكم المسئلة الثالثة نقل عن الحسن رحمه الله انه قال لا ادري انهم ثمانية اشخاص او ثمانية
الاف او ثمانية صفوف وثمانية الاف صفوف واعلم ان حمله على ثمانية اشخاص اولى لوجوه • احدها ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة • فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرين فيكونون
ثمانية • وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة • والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون
وقيل بعضهم على صورة الانسان • وبعضهم على صورة الاسد • وبعضهم على صورة الثور • وبعضهم على صورة

النسر

النسر وروي ثمانية املاك في صورة الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما • وعن شهر بن حوشب
اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك • والوجه الثاني في بيان ان الحمل على ثمانية
اشخاص اولى من الحمل على ثمانية الاف • وذلك لان ثمانية اشخاص لا بد منهم في صدق اللفظ فلا حاجة في صدق اللفظ
الى ثمانية الاف • فحينئذ يكون اللفظ دالا على ثمانية اشخاص ولا دلالة فيه على ثمانية الاف فوجب حمله على الاول • الوجه
الثالث وهو ان الموضع موضع التعظيم والتهويل فحيث لم يذكر ذلك • علمنا انه ليس المراد الا ثمانية اشخاص المسئلة الرابعة
قالت المشبهة لو لم يكن الله في العرش لكان حمل العرش عبثا عديما للفائدة لا سيما وقد تاكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون والعرض
انما يكون لو كان الاله حاضرا في العرش اجاب اهل التوحيد عنه بانه لا يمكن ان يكون المراد منه انه تعالى جالس
في العرش وذلك لان كل من كان حاملا للعرش كان حاملا لكل ما كان في العرش فلو كان الاله في العرش لكان يلزم في الملئكة ان يكونوا
حاملين لله تعالى وذلك محال لانه يقتضي احتياج الله اليهم وان يكونوا اعظم قدرة من الله وكل ذلك كفر صريح فعلمنا
انه لا بد فيه من التاويل • فنقول السبب في هذا الكلام هو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتا يزورونه وليس
انه يسكنه تعالى الله عنه وجعل في ركن البيت حجرا هو يمينه في الارض اذ كان من شانهم ان يعظموا رؤساءهم بتقبيل ايمانهم
وجعل على العباد حفظة ليس ان النسيان يجوز عليه سبحانه لكن لان هذا هو المتعارف فكذلك لما كان من شان الملوك اذا ارادوا
محاسبة عمالهم جلس لهم على سرير ووقف الاعوان حوله احضر الله يوم القيمة عرشا وحضرت الملئكة وحفت به لا لانه يقعد
عليه او يحتاج اليه بل لمثل ما قلناه في البيت والطواف قوله تعالى يومئذ تعرضون • العرض عبارة عن المحاسبة
والمسالة • شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احواله نظيره قوله وعرضوا على ربك صفا • وروي ان في يوم القيمة
ثلاث عرضات • فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ • واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فياخذ السعيد كتابه بيمينه
والهالك كتابه بشماله ثم قال تعالى لا تخفى منكم خافية • وفيه مسئلتان المسئلة الاولى في الاية وجهان • الاول
تقدير الاية تعرضون لا يخفى امركم فانه عالم بكل شيء ولا يخفى عليه منكم خافية • ونظيره قوله لا يخفى على الله منهم شيء فيكون الغرض
منه المبالغة في التهديد • يعني تعرضون على من لا يخفى عليه شيء اصلا • الوجه الثاني المراد لا يخفى يوم القيمة ما كان مخفيا منكم
في الدنيا فانه يظهر احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم ويظهر احوال اهل العذاب فيظهر بذلك حزنهم وفضيحتهم
وهو المراد من قوله يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر • وفي هذا اعظم الزجر والوعيد وهو خوف الفضيحة
المسئلة الثانية قراءة العامة لا تخفى بالتاء المنقطة من فوق • واختار ابو عبيدة الياء وهي قراءة حمزة والكسائي
قال لان الياء تجوز للذكر والانثى • والتاء لا تجوز الا للانثى فها هنا يجوز اسناد الفعل الى الذكر وهو ان يكون المراد بالخافية
[illegible]

الوجه الثاني المراد لا يخفى يوم القيمة ما كان مخفيا منكم

لاجرم استحبوا الوقف لهذا السبب • وجاسر بعضهم فاسقط هذه الهاآت عند الوصل • وقرا ابن محيصن باسكان اليا
بغير ها • وقرا جماعة باثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف **المسئلة الرابعة** اعلم انه لما اوتي
كتابه بيمينه • ثم انه يقول هاؤم اقرؤا كتابيه دل ذلك على انه بلغ الغاية في السرور لانه لما اعطي كتابه بيمينه علم انه من
الناجين ومن الفائزين بالنعيم فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله • وقيل يقول ذلك لاهل بيته وقرابته
ثم حكى تعالى عنه انه يقول اني ظننت اني ملاق حسابيه • وفيه وجوه • الاول المراد منه اليقين الاستدلالي وكل ما ثبت
بالاستدلال فانه لا ينفك من الخواطر المختلفة فكان ذلك شبيها بالظن • الثاني التقدير اني كنت اظن اني الاقي حسابي
فيؤاخذني الله بسيئاتي فقد تفضل علي بالعفو ولم يؤاخذني بها فهاؤم اقرؤا كتابيه • وثالثها روى ابو هريرة انه
عليه الصلاة والسلام قال ان الرجل يؤتى به يوم القيمة ويؤتى كتابه فيكتب حسناته في ظهر كفه وتكتب سيئاته في
بطن كفه فينظر الى سيئاته فيحزن فيقال له اقلب كفك فينظر فيه فيرى حسناته فيفرح • ثم يقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني
ظننت عند النظرة الاولى اني ملاق حسابي على سبيل الشدة • واما الان فقد فرج الله عني ذلك الغم • واما في حق الاشقيا
فيكون ذلك على الضد مما ذكرنا • ورابعها ظننت اي علمت • وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم
في العادات والاحكام يقال اظن ظنا كاليقين لان الامر كيت وكيت • وخامسها المراد اني ظننت في الدنيا اني بسبب
الاعمال التي كنت اعملها ساصل في القيمة الى هذه الدرجات • وقد حصلنا الان على اليقين فيكون الظن على ظاهره لان اهل
الدنيا لا يقطعون على ذلك • ثم بين تعالى عاقبة امره فقال فهو في عيشة راضية • وفيه مسئلتان **المسئلة الاولى**
وصف العيشة بانها راضية • وفيه قولان الاول انها منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان
نسبة بالحروف ونسبة بالصيغة • والثاني انه جعل الرضا للعيشة مجازا مع انه لصاحب العيشة **المسئلة الثانية**
ذكروا في حد الثواب انه لا بد وان يكون منفعة ولا بد وان يكون خالصة عن الشوائب • ولا بد وان تكون دائمة ولا بد وان
تكون مقرونة بالتعظيم والتي انما يكون مرضيا من جميع الجهات لو كان مشتملا على هذه الصفات • فقوله عيشة راضية
كلمة حاوية لمجموع هذه الشرائط التي ذكرناها ثم قال تعالى في جنة عالية وهو من صلة عيشة راضية اي يعيش عيشا مرضيا
في جنة عالية • والعلو ان اريد به العلو في المكان فهو حاصل لان الجنة فوق السموات • فان قيل اليس ان منازل البعض فوق
منازل الاخرين فهؤلاء السافلون لا يكونون في الجنة العالية • قلنا ان يكون بعضها دون بعض لا يقدح في كونها عالية
وفوق السموات • وان اريد العلو في الدرجة والشرف فالامر كذلك • وان اريد كون تلك الابنية عالية مشرفة فالامر
ايضا كذلك ثم قال تعالى قطوفها دانية اي ثمارها قريبة المتناول ياخذها الرجل كما يريد ان احب ان ياخذها
بيده انقادت له قائما او جالسا او مضطجعا • وان احب ان يدنو الى فيه دنت • والقطوف جمع قطف وهو المقطوف
ثم قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية • والمعنى فقال لهم ذلك • وفيه مسئلتان **الاولى**
منهم من قال قوله كلوا ليس بامر ايجاب ولا ندب لان الاخرة ليست دار التكليف • ومنهم من قال لا يبعد ان يكون ندبا اذا كان
الغرض منه تعظيم ذلك الانسان وادخال السرور في قلبه **المسئلة الثانية** انما جمع الخطاب في قوله كلوا
بعد قوله فهو في عيشة لقوله فاما من اوتي ومن تتضمن معنى الجمع **المسئلة الثالثة** قوله بما اسلفتم اي قدمتم
من اعمالكم الصالحة • ومعنى الاسلاف في اللغة تقديم ما ترجوا ان يعود عليك بخير فهو كالاقراض • ومنه يقال
اسلف في كذا اذا قدم فيه ماله والمعنى بما عملتم من الاعمال الصالحة • والايام الخالية المراد منها ايام الدنيا • والخالية
الماضية • ومنه قوله وقد خلت القرون • وتلك امة قد خلت • وقال الكلبي بما اسلفتم يعني الصوم • وذلك
لانهم لما امروا بالاكل والشرب دل ذلك على انه لمن امتنع في الدنيا عنه بالصوم طاعة لله تعالى **المسئلة الرابعة**
قوله بما اسلفتم يدل على انهم انما استحقوا ذلك الثواب بسبب عملهم وذلك يدل على ان العمل موجب للثواب • وايضا
لو كانت الطاعات فعلا لله تعالى لكان قد اعطى الانسان ثوابا لا على فعل فعله وذلك محال وجوابه معلوم **قوله تعالى**
فاما من اوتي كتابه بشماله • فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه • واعلم انه لما نظر في كتابه وتذكر قبائح
افعاله خجل منها • وصار العذاب الحاصل من تلك الخجالة ازيد من عذاب النار فقال ليتهم عذبوني بالنار • وما عرضوا
هذا الكتاب الذي ذكرني قبائح افعالي حتى لا تقع في هذه الخجالة وهذا ينبهك على ان العذاب الروحاني اشد من العذاب
الجسماني • وقوله تعالى ولم ادر ما حسابيه اي ولم ادر اي شيء حسابي لانه لا حاصل ولا طائل له في ذلك الحساب
وانما كله عليه ثم قال تعالى يا ليتها كانت القاضية • الضمير في يا ليتها الى ما يعود فيه وجهان • احدهما الى الموتة الاولى
وهي وان لم تكن مذكورة الا انها لظهورها كانت كالمذكورة • والقاضية القاطعة عن الحياة • وفيها اشارة الى الانتهاء
والفراغ قال تعالى فاذا قضيت • ويقال قضى على فلان اي مات • فالمعنى يا ليت الموتة التي متها كانت القاطعة لامري

فلم ابعث بعدها



فلم ابعث بعدها ولم الق ما وصلت اليه قال قتادة تمنى الموت ولم يكن في الدنيا عنده شيء اكره من الموت • وشر من
الموت ما يطلب له الموت قال الشاعر شعر وشر من الموت الذي ان لقيته • تمنيت منه الموت والموت اعظم •
والثاني انه عائد الى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب • والمعنى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي
لانه راى تلك الحالة ابشع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ثم قال تعالى ما اغنى عني ماليه
ما اغنى نفي او استفهام على وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار • ونظيره قوله ويأتينا فردا ثم قال تعالى
هلك عني سلطانيه • في المراد بسلطانيه وجهان • احدهما قال ابن عباس ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها على محمد في الدنيا
وقال مقاتل ضلت عني حجتي يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك • والثاني ذهب ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا
ذليلا • وقيل معناه انني انما كنت انازع المحقين بسبب الملك والسلطان والان ذهب ذلك الملك وبقي الوبال **قوله تعالى**
خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه الى قوله لا ياكله الا الخاطئون اعلم انه تعالى لما ذكر سرور السعداء اولا ثم ذكر احوالهم في العيش
الطيب في الاكل والشرب كذا هاهنا ذكر غم الاشقياء وحزنهم ثم ذكر احوالهم في الغل والقيد وطعام الغسلين • واولها
ان يقول لخزنة جهنم خذوه فيبتدر اليه مائة الف ملك وتجمع يده الى عنقه فذاك قوله فغلوه ثم الجحيم صلوه • قال المبرد
يقال اصليته النار اذا اوردته اياها وصليته ايضا كما يقال اكرمته وكرمته • وقوله ثم الجحيم صلوه معناه لا تصلوه
الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس • ثم في سلسلة وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة وكل شيء
مستمر بعضه على بعض على الولاء والنظام فهو مسلسل وقوله سبعون ذراعا فيه قولان • احدهما انه ليس الغرض التقدير
بهذا المقدار بل الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة • والثاني انه مقدر بهذا المقدار
ثم قالوا كل ذراع سبعون باعا وكل باع ابعد مما بين مكة والكوفة • وقال الحسن الله اعلم باي ذراع هو وقوله فاسلكوه
قال المبرد سلكته في الطريق وفي القيد وغير ذلك واسلكته ومعناه ادخلته ولغة القران سلكته قال الله تعالى
ما سلككم في سقر وقال كذلك سلكناه في قلوب المجرمين قال ابن عباس تدخل السلسلة في دبره وتخرج من حلقه ثم يجمع بين ناصيته
وقدميه وقال الكلبي كما يسلك الخيط في اللؤلؤ ثم يجعل في عنقه سائرها • وهاهنا سؤالات • السؤال الاول لم ما الفائدة
في تطويل هذه السلسلة الجواب قال سويد بن ابي نجيح بلغني ان جميع اهل النار في تلك السلسلة واذا كان الجمع من الناس
مقيدين بالسلسلة الواحدة كان العذاب على كل واحد منهم بذلك السبب اشد • السؤال الثاني سلك السلسلة فيهم معقول
اما سلكهم في السلسلة فما معناه • الجواب سلكه في السلسلة ان تلوى على جسده حتى تلتف عليه اجزاؤها وهو فيما بينها
مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة • وقال الفرا المعنى ثم اسلكوا فيه السلسلة ولكن تقول ادخلت راسي في القلنسوة وادخلتها
في راسي • السؤال الثالث لم قال في سلسلة فاسلكوه
الجواب المعنى في تقديم السلسلة على السلك مثل المعنى في تقديم الجحيم على التصلية
ذكرناه في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها افظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم السؤال الرابع
ذكر الاغلال والتصلية بالفاء والسلك بثم الجواب ليس المراد بثم التراخي في الزمان
بل التفاوت في مراتب العذاب • واعلم انه تعالى لما شرح هذا العذاب الشديد ذكر سببه فقال
انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين • والاول اشارة الى فساد حال القوة العاقلة والثاني اشارة الى فساد حال القوة العاملة
وهاهنا مسائل **المسئلة الاولى** قوله ولا يحض على طعام المسكين فيه قولان احدهما ولا يحض على بذل طعام المسكين
والثاني انه وضع الطعام موضع الاطعام كما يوضع العطاء مقام الاعطاء • وقد حملت المائدة على الوجهين
**المسئلة الثانية** قال صاحب الكشاف قوله ولا يحض على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما
عطفه على الكفر وجعله قرينة له • والثاني ذكر الحض دون الفعل **المسئلة الثالثة** دلت الاية على ان الكفار يعاقبون
على ترك الصلاة والزكاة وهو المراد من قولنا انهم مخاطبون بفروع الشرائع • وعن ابي الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق
لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها الاخر • وقيل المراد منعهم الكفار وقولهم انطعم
من لو يشاء الله اطعمه ثم قال تعالى فليس له اليوم هاهنا حميم • اي ليس له قريب يدفع عنه ويحزن عليه ويحميه
لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما وكقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع **قوله** ولا طعام
الا من غسلين فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** روي عن ابن عباس انه قال لا ادري ما الغسلين وقال
الكلبي هو ما يسيل من اهل النار من القيح والصديد والدم اذا عذبوا فهو غسلين فعلين من الغسل **المسئلة الثانية** الطعام
ما هيئ للاكل فلما هيئ الصديد ليأكله اهل النار كان طعاما لهم ويجوز ان يكون المعنى ان ذلك اقيم لهم مقام الطعام فسمي طعاما كما قال
تحية بينهم ضرب وجيع • والتحية لا تكون ضربا الا انه لما اقيم مقامه جاز ان يسمى به ثم انه تعالى ذكر ان الغسلين

ذرعها

ويقال الخاتم لا يدخل في اصبعي والاصبع هو الذي يدخل في الخاتم

كل من هو فقال لا يأكله الا الخاطئون الاثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون • وقرئ الخاطيون
بابدال الهمزة يا والخاطون بطرحها • وعن ابن عباس انه طعن في هذه القراءة وقال ما الخاطون كلنا نخطوا انما هو الخاطيون
ما الصابون انما هو الصابئون • ويجوز ان يجاب عنه بان المراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله قوله تعالى
فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون اعلم انه تعالى لما اقام الدلالة على امكان القيمة على وقوعها ثم ذكر احوال السعدا
واحوال الاشقيا ختم الكلام بتعظيم القرآن فقال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون • وفيه مسئلتان المسئلة الاولى
منهم من قال المراد اقسم ولا صلة او يكون ردا لكلام سبق • ومنهم من قال لا هاهنا نافية للقسم كانه قال لا اقسم على ان هذا
القرآن قول رسول كريم يعني انه لوضوحه يستغني عن القسم والاستقصا في هذه المسئلة سنذكره في اول سورة لا اقسم
بيوم القيمة المسئلة الثانية قوله بما تبصرون وما لا تبصرون يعم جميع الاشيا على الشمول لانها لا تخرج من قسمين
مبصر وغير مبصر فقيل الخالق والخلق والدنيا والاخرة والاجسام والارواح والانس والجن • والنعم الظاهرة والباطنة
ثم قال انه لقول رسول كريم • واعلم انه تعالى ذكر في سورة اذا الشمس كورت مثل هذا الكلام • والاكثرون هناك على
ان المراد منه جبريل عليه السلام • والاكثرون هاهنا على ان المراد محمد عليه الصلاة والسلام • واحتجوا على الفرق
بان هاهنا لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن • والقوم ما كانوا يصفون جبريل عليه
السلام بالشعر والكهانة بل كانوا يصفون محمدا بهذين الوصفين • واما في سورة اذا الشمس كورت لما قال انه
لقول رسول كريم قال بعده وما هو بقول شيطان رجيم • والمعنى انه قول ملك كريم لا قول شيطان رجيم فصح ان المراد
من الرسول الكريم هاهنا محمد • وفي تلك السورة هو جبريل عليه السلام • وعند هذا توجه السؤال ان الامة مجمعة
على ان القرآن كلام الله تعالى وحينئذ يلزم ان يكون الكلام الواحد كلاما لله تعالى ولجبريل ولمحمد وهذا غير معقول
والجواب انه يكفي في صدق الاضافة ادنى سبب فهو كلام الله تعالى بمعنى انه تعالى هو الذي اظهره في اللوح المحفوظ
وهو الذي رتبه ونظمه وهو كلام جبريل عليه السلام بمعنى انه الذي نزل من السموات الى الارض وهو كلام محمد بمعنى انه
هو الذي اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وجعله حجة لنبوته ثم قال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا
بقول كاهن قليلا ما تذكرون • هاهنا مسايل المسئلة الاولى قرا الجمهور تؤمنون وتذكرون بالتاء المنقطة من فوق
على الخطاب الا ابن كثير فانه قراهما بالياء على المغايبة • فمن قرا على الخطاب فهو عطف على قوله بما تبصرون وما لا تبصرون
ومن قرا على المغايبة سلك فيه مسلك الالتفات المسئلة الثانية قالوا لفظة ما في قوله قليلا ما تؤمنون
قليلا ما تذكرون لغو وهي موكدة • وفي قوله قليلا وجهان • الاول قال مقاتل يعني بالقليل انهم لا يصدقون بان القرآن
من الله • والمعنى لا يؤمنون اصلا • والعرب يقولون قلما ياتينا يريدون لا ياتينا • الثاني انهم قد يؤمنون في قلوبهم الا انهم
يرجعون عنه سريعا ولا يتمون الاستدلال • الا ترى الى قوله انه فكر وقدر الا انه في اخر الامر قال ان هذا الا سحر يؤثر
المسئلة الثالثة ذكر في نفي الشاعرية قليلا ما يؤمنون • وفي نفي الكاهنية قليلا ما يذكرون • والسبب فيه كانه
تعالى قال ليس هذا القرآن من رجل شاعر لان هذا الوصف مباين لصنوف الشعر كلها الا انكم لا تؤمنون اي لا تقصدون
الايمان فلذلك تعرضون عن التدبر ولو قصدتم الايمان لعلمتم كذب قولكم انه شاعر لمفارقة هذا التركيب ضروب الشعر
ولا ايضا بقول كاهن لانه وارد بسب الشياطين وشتمهم فلا يمكن ان يكون ذلك بالهام الشياطين الا انكم لا تتذكرون
كيفية نظم القرآن واشتماله على شتم الشياطين • فلهذا السبب تقولون انه من باب الكهانة قوله تنزيل من رب العالمين
اعلم ان نظير هذه الاية قوله في الشعرا وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين
فهو كلام رب العالمين لانه تنزيله وهو قول جبريل لانه نزل به وهو قول محمد لانه انذر الخلق به • فهاهنا ايضا لما قال
فيما تقدم انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين حتى يزول الاشكال • وقرا ابو السمال تنزيلا ثم قال
بعده ولو تقول علينا بعض الاقاويل • قرئ ولو تقول على البنا للمفعول • التقول افتعال القول لان فيه تكلفا
من المفتعل • وسمي الاقوال المنقولة اقاويل تحقيرا لها كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة من القول
والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله ثم قال تعالى لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين • فيه مسئلتان
المسئلة الاولى في الاية وجوه الاول معناه لاخذنا بيده • ثم لضربنا رقبته • وهذا ذكره على سبيل
التمثيل بما يفعله الملوك بمن يكذب عليهم فانهم لا يمهلونه بل يضربون رقبته في الحال • وانما خص اليمين
بالذكر لان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره • واذا اراد ان يوقعه في جيده وهو اشد
لنظر المعمول به ذلك الى السيف اخذ بيمينه • ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله
لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه • وهذا تفسير بين وهو منقول عن الحسن البصري • القول الثاني ان اليمين

مذهب

بمعنى القوة



بمعنى القوة والقدرة وهو قول الفرا والمبرد والزجاج • وانشدوا قول الشماخ شعر اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين
والمعنى لاخذنا منه اليمين سلبنا عنه القوة • والبا على هذا التقدير صلة زايدة قال ابن قتيبة وانما اقام اليمين مقام القوة
لان قوة كل شيء في ميامنه • والقول الثالث قال مقاتل لاخذنا منه باليمين يعني انتقمنا منه بالحق • واليمين على هذا القول
بمعنى الحق كقوله تعالى انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق • واعلم ان حاصل هذه الوجوه انه لو نسب الينا قولا لم نقله
لمنعناه عن ذلك اما بواسطة اقامة الحجة فانا كنا نقيض له من يعارضه فيه فحينئذ يظهر للناس كذبه فيه فيكون ذلك ابطالا لدعواه
وهدما لكلامه • واما بان نسلب عنه القدرة على التكلم بذلك القول • وهذا هو الواجب في حكمة الله تعالى لئلا يشتبه الصادق
بالكاذب المسئلة الثانية الوتين هو العرق المتصل من القلب بالراس الذي اذا قطع مات الحيوان قال ابو زيد وجمعه
الوتن وثلاثة اوتنة • والموتون الذي قطع وتينه قال ابن قتيبة ولم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب لاماتناه
فكان كمن قطع وتينه • ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان انقطاع ابهري والابهر
عرق يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه فكانه قال هذا اوان يقتلني السم وحينئذ صرت كمن انقطع ابهره ثم قال
فما منكم من احد عنه حاجزين قال مقاتل والكلبي معناه ليس منكم احد يحجزنا عنه او يحجزنا عن ذلك الفعل قال الفرا
والزجاج انما قال حاجزين في صفة احد لان احدا هاهنا في معنى الجمع لانه اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع
والمذكر والمونث • ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله • وقوله لستن كاحد من النساء • واعلم ان الخطاب في قوله فما منكم
للناس قوله تعالى وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم
اعلم انه تعالى لما بين ان القرآن تنزيل من الله الحق بواسطة جبريل على محمد الذي من صفته انه ليس بشاعر ولا كاهن بين بعد ذلك
ان القرآن ما هو فقال وانه لتذكرة للمتقين • وقد بينا في الكهف اول سورة البقرة في قوله هدى للمتقين ما فيه من البحث
وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين • اما يوم القيمة اذا راوا ثواب المصدقين به او في الدنيا اذا راوا دولة المومنين
به وانا لنعلم ان منكم مكذبين له بسبب حب الدنيا فكانه تعالى قال اما من انفتح حب الدنيا فهو يتذكر بهذا القرآن وينتفع • واما
من مال اليها فانه يكذب هذا القرآن ولا يقربه • واقول للمعتزلة ان يتمسكوا بهذه الاية على ان الكفر ليس من الله وذلك لانه
وصف القرآن بانه تذكرة للمتقين ولم يقل انه اضلال للمكذبين بل ذلك الضلال نسبه اليهم فقال وان منكم مكذبين • ونظيره قوله
تعالى في سورة النحل وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر • واعلم ان الجواب عنه ما تقدم ثم قال تعالى وانه لحسرة على الكافرين الضمير
في وانه الى ماذا يعود • فيه وجهان • الاول انه عائد الى القرآن فكانه قيل وان القرآن لحسرة على الكافرين • اما يوم القيمة اذا
راوا ثواب المصدقين به في الدنيا • او في الدنيا اذا راوا دولة المومنين • والثاني قال مقاتل وان تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم
ودل عليه قوله وان منكم مكذبين ثم قال تعالى وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين اي حق لا بطلان فيه • ويقين لا ريب فيه
ثم اضيف احد الوصفين الى الاخر للتاكيد ثم قال تعالى فسبح باسم ربك العظيم • اما شكرا على ما جعلك اهلا لايحائه اليك واما
تنزيها لله عن الرضا بان ينسب اليه الكاذب من الوحي ما هو بري عنه • واما تفسير قوله فسبح باسم ربك العظيم فمذكور في اول
سورة سبح اسم ربك الاعلى • وفي تفسير قوله بسم الله الرحمن الرحيم • والله اعلم • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

اما يوم القيمة اذا راوا ثواب المصدقين به

## سورة المعارج اربعون آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع
من الله ذي المعارج اعلم ان قوله تعالى سال فيه قراءتان • منهم من قراه بالهمز • ومنهم من قرا بغير همز • اما الاولون وهم
الجمهور • فهذه القراءة تحتمل وجوها من التفسير الاول ان النضر بن الحارث لما قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم • فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى قوله سال سائل اي دعا داع بعذاب واقع من
قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه • ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة امنين • قال ابن الانباري وعلى هذا القول
تقدير البا الاسقاط • وتاويل الاية سال سائل عذابا واقعا فاكد بالبا كقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة • وقال صاحب
الكشاف لما كان سال معناه هاهنا دعا لا جرم عدي تعديته كانه قال دعا داع بعذاب من الله • الثاني قال الحسن وقتادة
لما بعث الله محمدا وخوف المشركين بالعذاب قال بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب وبمن يقع فاخبر الله عنهم بقوله
سال سائل بعذاب واقع قال ابن الانباري والتاويل على هذا القول سال سائل عن عذاب • والبا بمعنى عن كقوله شعر
فان تسالوني بالنساء فانني بصير بادواء النساء طبيب • وقال تعالى فاسئل به خبيرا • وقال صاحب الكشاف سال على هذا
الوجه في تقدير عني واهتم كانه قيل اهتم مهتم بعذاب واقع • الثالث قال بعضهم هذا السائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم

استعجل بعذاب للكافرين فبين الله تعالى ان هذا العذاب واقع بهم فلا دافع له قالوا والذي يدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى
في آخر الآية فاصبر صبرا جميلا • وهذا يدل على ان ذلك السائل هو الذي امره بالصبر الجميل • اما القراءة الثانية وهي سال بغير
همزة ففيها وجهان • احدهما انه اراد سأل بالهمز فخفف وقلب قال الشاعر سالت قريش رسول الله فاحشة ضلت قريش بما سالت ولم تصب
والوجه الثاني ان يكون ذلك من السيلان • ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل • والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى
الغائر والمعنى اندفع عليهم واد بعذاب • وهذا قول زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن زيد قال سال واد من اودية جهنم بعذاب
واقع • اما سائل فقد اتفقوا على انه لا يجوز فيه غير الهمز لانه ان كان من سال المهموز فهو بالهمز وان لم يكن من المهموز كان بالهمز
ايضا نحو قائل وخائف الا انك ان شئت خففت الهمزة فجعلتها بين بين قوله تعالى بعذاب واقع للكافرين فيه وجهان
وذلك لانا ان فسرنا قوله سأل سائل بما ذكرنا ان النضر طلب العذاب كان المعنى انه طلب طالب عذابا هو واقع لا محالة سواء
طلب او لم يطلب ذلك لان ذلك العذاب نازل بالكافرين في الآخرة واقع بهم لا يدفعه عنهم احد وقد وقع بالنضر
في الدنيا لانه قتل يوم بدر وهو المراد من قوله ليس له دافع • واما ان فسرناه بالوجه الثاني وهو انهم سألوا الرسول
عليه الصلاة والسلام ان هذا العذاب بمن ينزل فاجاب الله عنه بانه واقع للكافرين • والقول الاول هو السديد
قوله من الله فيه وجهان • الاول ان يكون تقدير الآية بعذاب واقع من الله للكافرين • والثاني ان يكون التقدير ليس له دافع
من الله اي ليس لذلك العذاب الصادر من الله دافع من جهته فانه اذا اوجبت الحكمة وقوعه امتنع ان لا يفعله الله
قوله ذي المعارج • المعارج جمع معرج وهو المصعد • ومنه قوله تعالى ومعارج عليها يظهرون • والمفسرون
ذكروا فيه وجوها • احدها قال ابن عباس في رواية الكلبي ذي المعارج اي ذي السموات • وسماها معارج لان الملئكة
يعرجون فيها • وثانيها قال قتادة ذي الفواضل والنعم وذلك لان اياديه ووجوه انعامه مراتب وهي تصل الى الناس
على مراتب مختلفة • وثالثها ان المعارج هي الدرجات التي يعطيها اولياءه في الجنة • وعندي فيه وجه رابع وهو ان هذه
السموات كما انها متفاوتة في الارتفاع والانخفاض والكبر والصغر • فكذا الارواح الملكية مختلفة في القوة والضعف
والكمال والنقص وكثرة المعارف الالهية وقوتها وشدة القوة على تدبير العالم وضعف تلك القوة ولعل نور انعام الله
واثر فيض رحمته لا يصل الى هذا العالم الا بواسطة تلك الارواح اما على سبيل العادة او لا كذلك على ما قال فالمقسمات
امرا والمدبرات امرا • فالمراد بقوله من الله ذي المعارج الاشارة الى تلك الارواح المختلفة التي هي كالمصاعد لارتفاع
مراتب الحاجات من هذا العالم اليها وكالمنازل لنزول اثر الرحمة من ذلك العالم الى ما هاهنا قوله تعالى تعرج الملائكة
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا • وهاهنا مسائل
المسألة الاولى علم ان عادة الله في القرآن انه متى ذكر الملئكة في معرض التهويل والتخويف افرد الروح بعدهم بالذكر كما في
هذه الآية وكما في قوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا • وهذا يقتضي ان الروح اعظم الملئكة قدرا • ثم هاهنا دقيقة
وهي انه تعالى ذكر عند العروج الملائكة اولا والروح ثانيا كما في هذه الآية • وذكر عند القيام الروح اولا والملئكة ثانيا
كما في قوله يوم يقوم الروح والملائكة • وهذا يقتضي كون الروح اولا في درجة النزول آخرا في درجة الصعود • وعند هذا
قال بعض المكاشفين ان الروح نور عظيم هو اقرب الانوار الى جلال الله • ومنه تتشعب ارواح سائر الملئكة والبشر في آخر
درجات منازل الارواح وبين الطرفين معارج مراتب الارواح الملكية ومدارج منازل الانوار القدسية ولا يعلم كميتها
الا الله • واما ظاهر قول المتكلمين فهو ان الروح هو جبريل عليه السلام • وقد قررنا هذه المسألة في تفسير قوله يوم يقوم
الروح والملئكة صفا المسألة الثانية احتج القائلون بان الله في مكان • اما في العرش او فوقه بهذه الآية من وجهين
الاول ان الآية دلت على ان الله تعالى موصوف بانه ذو المعارج وهو انما يكون كذلك لو كان في جهة فوق • والثاني
قوله تعرج الملئكة والروح اليه فبين ان عروج الملئكة وصعودهم اليه وذلك يقتضي كونه تعالى في جهة فوق • والجواب
لما دلت الدلائل على امتناع كونه تعالى في المكان والجهة ثبت انه لا بد من التاويل • فاما وصف الله بانه ذو المعارج
فقد ذكرنا الوجوه فيه • واما حرف الى في قوله تعرج الملائكة والروح اليه فليس المراد منه المكان بل المراد انتهاء الامور
الى مراده كقوله اليه يرجع الامر كله او المراد الانتهاء الى موضع العز والكرامة كقوله اني ذاهب الى ربي ويكون هذا اشارة
الى ان دار الثواب اعلى الامكنة وارفعها المسألة الثالثة الاكثرون على ان قوله في يوم من صلة قوله تعرج
اي يحصل العروج في مثل هذا اليوم • وقال مقاتل بل هذا من صلة قوله بعذاب واقع • وعلى هذا القول يكون
في الآية تقديم وتأخير • والتقدير سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة • وعلى التقدير
الاول فذلك اليوم اما ان يكون في الآخرة او في الدنيا وعلى تقدير ان يكون في الآخرة فذلك الطول اما ان يكون
واقعا واما ان يكون مقدرا فهذه هي الوجوه التي يحتملها هذه الآية • ونحن نذكر تفصيلها • القول الاول هو ان معنى

الآية ان ذلك



الآية ان ذلك العروج يقع في يوم من ايام الآخرة طوله خمسون الف سنة وهو يوم القيامة وهذا قول الحسن قال وليس
يعني ان مقدار طوله هذا فقط اذ لو كان كذلك لحصلت له غاية ولفنيت الجنة والنار عند تلك الغاية • وهذا غير جائز
بل المراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون الف سنة من سني الدنيا ثم بعد ذلك يستقر اهل النار في دركات
النيران نعوذ بالله منها • واعلم ان هذا الطول انما يكون في حق الكافر • اما في حق المؤمن فلا والدليل عليه الآية والخبر • اما
الآية فقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا • واتفقوا على ان ذلك هو الجنة • واما الخبر فما روي
عن ابي سعيد الخدري انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده
انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا • ومن الناس من قال ان ذلك الموقف وان
طال فهو يكون سببا لمزيد السرور والراحة لاهل الجنة ~~ويكون سببا لمزيد السرور والراحة لاهل الجنة~~ ويكون سببا
لمزيد الحزن والغم لاهل النار • والجواب عنه ان الآخرة دار جزاء فلا بد من ان يعجل للمثابين ثوابهم ودار الثواب
هي الجنة لا الموقف فاذن لا بد من تخصيص طول الموقف بالكفار • القول الثاني هو ان هذه المدة واقعة في الآخرة لكن
على سبيل التقدير لا على سبيل التحقيق • والمعنى انه لو اشتغل بذلك القضاء والحكم اعقل الخلق واذكاهم لبقي فيه خمسين
الف سنة • ثم انه تعالى يتم ذلك القضاء والحكومة في مقدار نصف يوم من ايام الدنيا • وايضا الملائكة يعرجون الى موضع
لو اراد واحد من اهل الدنيا ان يصعد اليه لبقي في ذلك الصعود خمسين الف سنة • ثم انهم يصعدون اليه في ساعة
قليلة • وهذا قول وهب وجماعة من المفسرين • القول الثالث وهو قول ابي مسلم ان هذا اليوم هو يوم الدنيا كلها من اول
ما خلق الله الخلق الى آخر الفناء فبين تعالى انه لا بد في يوم الدنيا من عروج الملئكة ونزولهم وهذا اليوم مقدر بخمسين الف
سنة • ثم لا يلزم على هذا ان يصير وقت القيامة معلوما لانا لا ندري كم مضى وكم بقي • القول الرابع تقدير الآية سأل سائل بعذاب
واقع من الله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة • ثم يحتمل ان يكون المراد منه استطالة ذلك اليوم لشدته على الكفار
~~ويحتمل ان يكون المراد استطالة ذلك اليوم لشدته على الكفار~~ • ويحتمل ان يكون المراد تقديره بمدته وعلى هذا فليس المراد تقدير
العذاب بهذا المقدار بل المراد التنبيه على طول مدة العذاب • ويحتمل ايضا ان العذاب الذي سأله ذلك السائل يكون مقدرا
بهذه المدة • ثم انه تعالى ينقله الى نوع آخر من العذاب بعد ذلك • فان قيل روي عن ابن ابي مليكة ان ابن عباس سئل عن هذه
الآية وعن قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقال ايام سماها الله هو اعلم بها كيف تكون واكره ان اقول فيها ما لا اعلم
فما قولكم في التوفيق بين هاتين الآيتين قلنا قال وهب في الجواب عن هذا ما بين اسفل العالم الى اعلى شرفات العرش
مسيرة خمسين الف سنة ومن اعلى السماء الدنيا الى الارض مسيرة الف سنة لان عرض كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وما بين اسفل
السماء الى قرار الارض خمسمائة اخرى • فقوله تعالى في يوم تريد من ايام الدنيا وهو مقدار الف سنة لو صعدوا فيه الى السماء الدنيا
ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى العرش قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا فيه
مسئلتان المسألة الاولى علم ان هذا متعلق بقوله سأل سائل لان استعجالهم بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء
برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه • وكذلك
من سأل عن العذاب لمن هو فانما سأل على طريق التعنت من كفار مكة • ومن قرأ سال سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب
وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام • المسألة الثانية قال الكلبي هذه الآية نزلت قبل ان يؤمر الرسول بالقتال قوله تعالى
انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا • الضمير في يرونه الى ماذا يعود فيه وجهان • الاول انه عائد الى العذاب الواقع • والثاني
انه عائد الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة اي يستبعدونه على جهة الاحالة ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد
علينا ولا متعذر والمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل فيه مسائل
المسألة الاولى يوم تكون منصوب بماذا فيه وجوه احدها بقريبا والتقدير ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل
اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم • وثانيها التقدير سأل سائل بعذاب واقع يوم تكون السماء كالمهل • وثالثها
التقدير يوم تكون السماء كالمهل كان كذا وكذا • ورابعها ان يكون بدلا عن في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة يوم تكون السماء كالمهل المسألة الثانية ... المسألة الثالثة انه تعالى وصف ذلك اليوم بصفات الصفة الاولى ان السماء تكون كالمهل
... وقال ابن عباس كدردي الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها ...
الصفة الثانية قوله وتكون الجبال كالعهن العهن الصوف المصبوغ الوانا ...
الصفة الثالثة قوله ولا يسأل حميم حميما ...
الحميم القريب الذي يعصب له ... لاشتغال كل احد بنفسه وهو كقوله تذهل كل مرضعة عما ارضعت

في يوم كان مقداره الف سنة فقال ايام سماها الله هو اعلم بها كيف تكون

وتكون الجبال كالعهن

وقوله يوم يفر المرء من اخيه الى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ثم في الاية وجوه احدها ان يكون التقدير لا يسال عن حميم فحذف الجار واوصل الفعل والثاني لا يسال حميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه لان لكل احد ما يشغله عن هذا الكلام الثالث لا يسال حميم حميما شفاعة او لا يسال حميم حميما احسانا اليه ولا رفقا به **المسئلة الثانية** قرا ابن كثير ولا يسال بضم اليا والمعنى لا يسال حميم عن حميمه ليعرف شانه من جهته كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه وهذا ايضا على حذف الجار قال الفرا اي لا يقال لحميم اين حميمك ثم قال ولست احب هذه القراة لانها مخالفة لما اجمع عليه القرا **قوله تعالى** يبصرونهم يقال بصرت به ابصر قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به ويقال بصرني زيد بكذا فاذا حذفت الجار قلت بصرني زيد كذا فاذا بنيت الفعل للمفعول به وقد حذفت الجار قلت بصرت زيدا فهذا هو معنى يبصرونهم واما جمع فقيل يبصرونهم لان الحميم وان كان مفردا في اللفظ فالمراد به الكثرة والجمع والدليل عليه قوله فما لنا من شافعين ومعنى يبصرونهم يعرفونهم اي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه وهو مع ذلك لا يساله عن شانه لشغله بنفسه فان قيل ما موضع يبصرونهم قلنا فيه وجهان الاول انه متعلق بما قبله كانه لما قال ولا يسال حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لاشتغالهم بانفسهم لا يتمكنون من تساؤلهم الثاني انه متعلق بما بعده والمعنى ان المجرمين يبصرون المؤمنين حال ما يود احدهم ان يفتدي نفسه بكل ما يملكه فان الانسان اذا كان في البلاء الشديد ثم رآه عدوه على تلك الحالة كان ذلك في نهاية الشدة عليه **الصفة الرابعة** قوله يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** المجرم هو الكافر وقيل يتناول كل مذنب **المسئلة الثانية** قرئ يومئذ بالجر والفتح على البنا لسبب الاضافة الى غير متمكن وقرئ ايضا من عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب **وقوله** وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه فصيلة الرجل اقاربه الاقربون الذين فصل عنهم وينتهي اليهم لان المراد من الفصيلة المفصولة لان الولد يكون منفصلا من الابوين قال عليه الصلاة والسلام فاطمة قطعة مني فلما كان هو مفصولا منهما كانا ايضا مفصولين منه فسميا فصيلة لهذا السبب وكان يقال العباس فصيلة النبي صلى الله عليه وسلم لان العم قائم مقام الاب **واما قوله** تؤويه فالمعنى تضمه انتما اليها في النسب او تمسكا بها في النوائب **وقوله** ثم ينجيه فيه وجهان الاول انه عطف على يفتدي والمعنى يود المجرم لو يفتدي بهذه الاشيا ثم ينجيه والثاني متعلق بقوله من في الارض والتقدير يود لو يفتدي بمن في الارض ثم ينجيه وثم لاستبعاد الانجا يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فدا نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه **قوله تعالى** كلا انها لظى نزاعة للشوى كلا ردع للمجرم عن كونه بحيث يود الافتدا ببنيه اي علم انه لا ينفعه ذلك الافتدا ولا ينجيه من العذاب **ثم قال** انها وفيه وجهان الاول ان هذا الضمير للنار ولم يجر لها ذكر الا ان ذكر العذاب دل عليها والثاني يجوز ان يكون ضمير القصة لظى من اسما النار قال الليث اللظى اللهب الخالص يقال لظيت النار تلظى لظى وتلظت تلظيا ومنه قوله تعالى نارا تلظى ولظى علم للنار منقول من اللظى وهي معرفة لا تنصرف فلذلك لم تنون وقوله نزاعة مرفوعة وفي سبب هذا الارتفاع وجوه الاول ان تجعل الها في انها عمادا وتجعل لظى اسم ان ونزاعة خبر ان كانه قيل ان لظى نزاعة والثاني ان تجعل الها ضمير القصة ولظى مبتدا ونزاعة خبر وتجعل الجملة خبرا عن ضمير القصة والتقدير ان القصة لظى نزاعة للشوى والثالث ان ترفع على الذم والتقدير انها لظى وهي نزاعة وهذا قول الاخفش والفرا والزجاج واما قراة النصب ففيها ثلاثة اوجه احدها قال الزجاج انها حال مؤكدة كما قال هو الحق مصدقا وكما تقول انا زيد معروفا واعترض ابو علي الفارسي على هذا وقال حمله على الحال بعيد لانه ليس في الكلام ما يعمل في الحال **فان قلت** في قوله لظى معنى التلظي والتلهب فهذا لا يستقيم لان لظى اسم علم لماهية مخصوصة والماهيات لا يمكن تقييدها بالاحوال انما الذي يمكن تقييده بالاحوال هو الافعال فلا يمكن ان يقال رجلا حال كونه عالما وثانيها ان يكون لظى اسما للنار تتلظى تلظيا شديدا فيكون هذا الفعل ناصبا لكونه نزاعة وثالثها ان تكون منصوبة على الاختصاص والتقدير انها لظى اعنيها نزاعة للشوى لم تمنع **المسئلة الثالثة** الشوى الاطراف وهما اليدان والرجلان ويقال للرامي اذا لم يصب المقتل اشوى اي اصاب الشوى والشوى ايضا جلد الراس واحدتها شواة ومنه قول الاعشى **شعر** قالت قتيلة ماله قد جللت شيبا شواته هذا قول اهل اللغة قال مقاتل تنزع النار الهامة والاطراف فلا تترك لحما ولا جلدا الا احرقته وقال سعيد بن جبير للعصب والعقب وقال الكلبي لحم الساقين واليدين وقال ثابت البناني لمكارم وجه ابن آدم واعلم ان النار اذا افنت هذه الاعضا فالله تعالى يعيدها مرة اخرى كما قال كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب **قوله تعالى** تدعوا من ادبر وتولى فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** اختلفوا في ان لظى كيف تدعو الكافر فذكروا وجوها احدها انها تدعوهم بلسان الحال كما قيل سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك فان لم تجبك حوارا اجابتك

وصاحبته واخيه

ومن في الارض جميعا

اعتبارا



اعتبارا فهاهنا لما كان مرجع كل احد من الكفار الى زاوية من زوايا جهنم كان تلك المواضع تدعوهم وتحضرهم وثانيها ان الله تعالى يخلق الكلام في جرم النار حتى تقول صريحا الي يا كافر الي يا منافق ثم تلتقطهم التقاط الحب وثالثها المراد ان زبانية النار يدعون فاضيف ذلك الدعا الى النار بحذف المضاف ورابعها تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله اي اهلكك **وقوله** من ادبر وتولى يعني من ادبر عن الطاعة وتولى عن الايمان وجمع المال فاوعى اي جعله في وعا وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيها فقوله ادبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله وطاعته **وقوله** وجمع فاوعى اشارة الى حب الدنيا جمع اشارة الى الحرص فاوعى اشارة الى الامل ولا شك ان مجامع آفات الدين ليست الا هذه **قوله تعالى** ان الانسان خلق هلوعا فيه مسايل **المسئلة الاولى** قال بعضهم المراد بالانسان هاهنا الكافر وقال آخرون بل هو على عمومه بدليل انه استثنى منه الا المصلين **المسئلة الثانية** يقال هلع الرجل يهلع هلعا وهلاعا فهو هالع وهلوع وهو شدة الحرص وقلة الصبر يقال جاع فهلع وقال الفرا الهلوع الضجور وقال المبرد الهلع الضجر يقال اعوذ بالله من الهلع عند منازلة الاقران وعن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع قلت قد فسره الله ولا يكون تفسير ابين من تفسيره هو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل ومنعه الناس **المسئلة الثالثة** قال القاضي قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا نظير لقوله خلق الانسان من عجل وليس المراد انه مخلوق على هذا الوصف والدليل عليه ان الله تعالى ذمه عليه والله تعالى لا يذم فعله ولانه تعالى استثنى المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم في ترك هذه الخصلة المذمومة ولو كانت هذه الخصلة ضرورية حاصلة بخلق الله تعالى لما قدروا على تركها **واعلم** ان الهلع لفظ واقع على امرين احدهما الحالة النفسانية التي لاجلها يقدم الانسان على اظهار الجزع والتضرع والثاني ان تلك الافعال الظاهرة من القول والفعل الدالة على تلك الحالة النفسانية اما تلك الحالة النفسانية فلا شك انها تحدث بخلق الله تعالى لان من خلقت نفسه على تلك الحالة لا يمكنه ازالة تلك الحالة من نفسه ومن خلق شجاعا بطلا لا يمكنه ازالة تلك الحالة عن نفسه بل الافعال الظاهرة من القول والفعل يمكنه تركها والاقدام عليها فهي امور اختيارية اما الحالة النفسانية التي هي الهلع في الحقيقة فهي مخلوقة على سبيل الاضطرار **قوله تعالى** اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا المراد من الشر والخير الفقر والغنى او المرض والصحة فالمعنى انه اذا صار فقيرا او مريضا اخذ في الجزع والشكاية واذا صار غنيا او صحيحا اخذ في منع المعروف وشح بماله ولم يلتفت الى الناس فان قيل حاصل هذا الكلام انه نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق بالعقل فلم ذمه الله عليه قلنا انما ذمه عليه لانه قاصر النظر على الاحوال الجسمانية العاجلة وكان من الواجب عليه ان يكون مشغولا باحوال الآخرة فاذا وقع في مرض او فقر وعلم انه فعل الله تعالى كان راضيا به لعلمه ان الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد واذا وجد المال والصحة صرفهما الى طلب السعادات الاخروية **واعلم** انه استثنى من هذه الحالة المذكورة المذمومة من كان موصوفا بثمانية اشيا اولها قوله الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون فان قيل كيف قال على صلاتهم دائمون ثم على صلاتهم يحافظون قلنا معنى دوامهم عليها ان لا يتركوها في شي من الاوقات ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام بحالها حتى يؤتى بها على اكمل الوجوه وهذا الاهتمام انما يحصل تارة بامور سابقة على الصلاة وتارة بامور لاحقة بها وتارة بامور متراخية عنها اما الامور السابقة فهو ان يكون قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول اوقاتها ومتعلق القلب بالوضو وستر العورة وطلب القبلة ووجدان الثوب والمكان الطاهرين والاتيان بالصلاة في الجماعة وفي المساجد المتبركة وان يجتهد قبل الدخول في الصلاة في تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات الى ما سوى الله تعالى وان يبالغ في الاحتراز عن الريا والسمعة واما الامور المقارنة فهو ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب عند القراة فاهما للاذكار مطلعا على حكم الصلاة واما الامور المتراخية فهي ان لا يشتغل بعد اقامة الصلاة باللغو واللهو واللعب وان يحترز كل الاحتراز عن الاتيان بعدها بشي من المعاصي وثانيها قوله تعالى والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم اختلفوا في الحق المعلوم فقال ابن عباس والحسن وابن سيرين انه الزكاة المفروضة قال ابن عباس من ادى زكاة ماله فلا جناح عليه ان لا يتصدق قالوا والدليل على ان المراد به الزكاة المفروضة وجهان الاول ان الحق المعلوم المقدر هو الزكاة اما الصدقة فهي غير مقدرة الثاني وهو انه تعالى ذكر هذا على سبيل الاستثنا ممن ذمه فدل على ان الذي لا يعطي هذا الحق يكون مذموما ولا حق على هذه الصفة الا الزكاة وقال آخرون هذا الحق سوى الزكاة وهو يكون على طريق الندب والاستحباب وهذا قول مجاهد وعطا والنخعي وقوله للسائل يعني الذي يسال والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم وثالثها قوله والذين يصدقون بيوم الدين اي يؤمنون بالبعث والحشر والنشر ورابعها قوله والذين هم من عذاب ربهم مشفقون والاشفاق يكون من امرين اما الخوف عن ترك الواجبات والخوف عن الاقدام على المحظورات وهذا كقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وكقوله سبحانه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومن يدوم

واعلم انه استثنى من هذه الحالة المذكورة المذمومة

به الخوف والاشفاق فيما كلف يكون حذرا من التقصير حريصا على القيام بما كلف به من علم وعمل ثم انه تعالى اكد ذلك الخوف
فقال ان عذاب ربهم غير مامون والمراد ان الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغي واحترز عن المحظورات
بالكلية بل يجوز ان يكون قد وقع منه تقصير في شيء من ذلك فلا جرم يكون خائفا ابدا وخامسها قوله والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون وقد مر
تفسيره في سورة المؤمنين وسادسها قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم تفسيره ايضا وسابعها
والذين هم بشهاداتهم قائمون قرئ بشهادتهم وبشهاداتهم قال الواحدي والافراد اولى لانه مصدر فيفرد كما تفرد
المصادر وان اضيف الى الجمع كقوله لصوت الحمير ومن جمع ذهب الى اختلاف الشهادات وكثرة ضروبها فحسن الجمع
من جهة الاختلاف واكثر المفسرين قالوا يعني الشهادات عند الحكام يقومون بها بالحق ولا يكتمونها وهذه الشهادة
من جملة الامانات الا انه تعالى خصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق وفي تركها ابطالها وتضييعها
وروى عطاء عن ابن عباس قال يريد الشهادة بان الله واحد لا شريك له وثامنها قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون
وقد تقدم تفسيره ثم وعد هؤلاء وقال اولئك في جنات مكرمون ثم ذكر بعده ما يتعلق بالكفار فقال فما للذين
كفروا قبلك مهطعين المهطع المسرع وقيل الماد عنقه وانشدوا فيه بمكة اهلها ولقد اراهم بمكة مهطعين الى السماع
والوجهان متقاربان روي ان المشركين كانوا يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون
ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت هذه الاية فقوله مهطعين
اي مسرعين نحوك مادين اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك وقال ابو مسلم ظاهر الاية يدل على انهم هم المنافقون
فهم الذين كانوا عنده واسراعهم المذكور هو الاسراع في الكفر كقوله لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ثم قال تعالى
عن اليمين وعن الشمال عزين وذلك لانهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين ومعنى عزين جماعات في تفرقة واحدها عزة
وهي العصبة من الناس قال الازهري واصلها من قولهم عزا فلان نفسه الى بني فلان يعزوها عزوا اذا انتمى اليهم والاسم
العزوة وكان العزة كل جماعة اعتزاؤها الى امر واحد واعلم ان هذا من المنقوص الذي جاز جمعه بالواو والنون عوضا
من المحذوف واصلها عزوة والكلام في هذا الكلام في عضين وقد تقدم وقيل كان المستهزئون خمسة ارهط ثم قال
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم والنعيم ضد البؤس والمعنى ايطمع كل رجل منهم ان يدخلها كما يدخلها المسلمون
ثم قال كلا وهو ردع لهم عن ذلك الطمع الفاسد ثم قال تعالى انا خلقناهم مما يعلمون وفيه مسئلتان المسئلة الاولى
الغرض من هذا الاستدلال على صحة البعث كانه قال لما قدرت على ان خلقتكم من النطفة وجب ان اكون قادرا على بعثكم
المسئلة الثانية ذكروا في تعلق هذه الاية بما قبلها وجوها احدها انه احتج على صحة البعث دل على انهم كانوا منكرين
للبعث فكانه قيل لهم كلا انهم منكرون البعث فمن اين يطمعون في دخول الجنة وثانيها ان المستهزئين كانوا يستحقرون
المؤمنين فقال تعالى هؤلاء المستهزئين مخلوقون مما خلقوا فكيف يليق بهم هذا الاحتقار وثالثها انهم مخلوقون
من هذه الاشياء المستقذرة فلو لم يتصفوا بالايمان والمعرفة فكيف يليق بالحكيم ادخالهم الجنة ثم قال تعالى فلا اقسم
برب المشارق والمغارب يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه او مشرق كل كوكب ومغربه او المراد بالمشرق ظهور دعوة
كل نبي وبالمغرب موته او المراد انواع الهدايات والخذلانات انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين
وهو مفسر في قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل خيرا منهم وقوله فذرهم يخوضوا مفسر في آخر سورة والطور
واختلفوا في انه ما وصف الله نفسه بالقدرة عليه من ذلك هل خرج الى الفعل ام لا فقال بعضهم بدل الله بهم الانصار
والمهاجرين فان نجاتهم في نصرة الرسول مشهورة وقال آخرون ان بدل الله كفر بعضهم بالايمان وقال بعضهم لم يقع
هذا التبديل فانهم او اكثرهم بقوا على جملة كفرهم الى ان ماتوا وانما كان يصح وقوع التبديل فيهم لو اهلكوا لان مراده تعالى
بقوله انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم بطريق الاهلاك فاذا لم يحصل ذلك فكيف يحكم بان ذلك قد وقع وانما هدد تعالى
القوم بذلك لكي يؤمنوا ثم ذكر تعالى ذلك اليوم فقال تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا وهو كقوله
فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قوله الى نصب يوفضون اعلم ان في نصب ثلث قراآت احدها وهي قراءة
الجمهور نصب بفتح النون والنصب كل شيء نصب فالمعنى كانهم الى علم لهم يستبقون والقراءة الثانية نصب بضم النون
وسكون الصاد وفيه وجهان احدهما النصب والنصب لغتان مثل الضعف والضعف وثانيهما ان يكون نصب جمع
نصب كسقف جمع سقف والقراءة الثالثة نصب بضم النون والصاد وفيه وجهان احدهما ان يكون النصب
والنصب كلاهما يكون جمع نصب كاسد واسد كلاهما جمع اسد وثانيهما ان يكون المراد من النصب الانصاب وهي
الاشياء التي تنصب فتعبد من دون الله كقوله وما ذبح على النصب وقوله يوفضون يسرعون ومعنى الاية على هذا ال

الوجه يوم

خيرا منهم / امثالكم

وليعلموا ... الذي يوعدون آ

كانهم

خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون آ



انهم يوم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعي مستبقين كما كانوا يستبقون الى انصابهم وبقية السورة معلومة
والله اعلم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

## سورة نوح عشرون وثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر
قومك في قوله ان وجهان احدهما اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر
اي ارسلناه بالامر بالانذار الثاني قال الزجاج يجوز ان تكون ان مفسرة والتقدير انا ارسلنا نوحا الى قومه اي
انذر قومك وقرأ ابن مسعود انذر بغير ان على ارادة القول ثم قال من قبل ان يأتيهم عذاب اليم قال مقاتل
يعني الغرق بالطوفان واعلم ان الله تعالى لما امره بذلك امتثل ذلك الامر وقال يا قوم اني لكم نذير مبين ثم قال
ان اعبدوا الله وهو نظير ان انذر في الوجهين ثم انه امر القوم بثلاثة اشياء بعبادة الله وتقواه وطاعة نفسه
فالامر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب وافعال الجوارح والامر بتقواه يتناول الزجر عن جميع
المحظورات والمكروهات وقوله واطيعون يتناول امرهم بطاعته في جميع المامورات والمنهيات وهذا وان كان
داخلا في الامر بعبادة الله وتقواه الا انه خصه بالذكر تاكيدا في ذلك التكليف ومبالغة في تقريره ثم انه تعالى لما
كلفهم بهذه الاشياء الثلاثة وعدهم عليها شيئين احدهما ان يزيل مضار الآخرة عنهم وهو قوله يغفر لكم من ذنوبكم
الثاني ان يزيل عنهم مضار الدنيا بقدر الامكان وذلك بان يؤخر اجلهم الى اقصى الامكان وهاهنا سؤالات الاول
ما فائدة من في قوله يغفر لكم من ذنوبكم والجواب من وجوه احدها انها صلة زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم
الثاني ان غفران الذنب هو ان لا يؤاخذ به فلو قال يغفر لكم ذنوبكم لكان معناه ان لا يؤاخذكم بمجموع ذنوبكم وعدم المؤاخذة
بالمجموع لا يوجب عدم المؤاخذة بكل واحد من احاد المجموع فله ان يقول لا اطالبك بمجموع ذنوبك ولكني اطالبك بهذا الذنب
الواحد فقط اما لما قال يغفر لكم من ذنوبكم كان تقديره يغفر لكم كل ما كان من ذنوبكم فهذا يقتضي عدم المؤاخذة على مجموع الذنوب
وعدم المؤاخذة ايضا على كل فرد من افراد المجموع الثالث ان قوله يغفر لكم من ذنوبكم هب انه يقتضي التبعيض لكنه حق لان من
آمن فانه يصير ما تقدم من ذنوبه على ايمانه مغفورا اما ما تاخر عنه فانه لا يصير بذلك السبب مغفورا فثبت انه لا بد هاهنا
من حرف التبعيض السؤال الثاني كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض الجواب قضى الله
مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الله الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل
مسمى اي الى وقت سماه الله وجعله غاية الطول في العمر وهو تمام الالف ثم اخبر انه اذا انقضى ذلك الاجل الاطول فانه لا بد
من الموت السؤال الثالث ما الفائدة في قوله لو كنتم تعلمون الجواب الغرض الزجر عن حب الدنيا وعن التهالك عليها
والاعراض عن الدين بسبب حبها يعني ان غلوهم في حب الدنيا وطلب لذاتها بلغ الى حيث يدل على انهم شاكون في الموت
قوله تعالى قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا اعلم ان هذا من الآيات الدالة على ان جميع
الحوادث بقضاء الله وقدره وذلك لانا نرى انسانين يسمعان دعوة الرسول في مجلس واحد بلفظ واحد فيصير ذلك الكلام في
حق احدهما سببا لحصول الهداية والميل والرغبة وفي حق الثاني سببا لمزيد العتو والتكبر ونهاية النفرة وليس لاحد ان
يقول ان تلك النفرة والرغبة حصلتا باختيار المكلف فان هذا مكابرة في المحسوس فان صاحب النفرة يجد قلبه كالمضطر
الى تلك النفرة وصاحب الرغبة يجد قلبه كالمضطر الى تلك الرغبة ومتى حصلت تلك النفرة وجب ان يحصل عقيبه التمرد والاعراض
وان حصلت الرغبة وجب ان يحصل عقيبه الانقياد والطاعة فعلمنا ان اقتضاء سماع تلك الدعوة في حق احدهما الى الرغبة
المستلزمة لحصول الطاعة والانقياد وفي حق الثاني لحصول التمرد والعصيان لا يكون الا بقضاء الله وقدره فان قيل
هب ان حصول النفرة والرغبة ليس باختياره فان العبد متمكن مع تلك النفرة ان ينقاد ويطيع قلنا انه لو حصلت النفرة غير معارض
بوجه من وجوه الرغبة بل خالصة عن جميع شوائب الرغبة امتنع ان يحصل معه الفعل وذلك لانه عندما تحصل النفرة ثم الرغبة
لم يحصل الفعل البتة فعند حصول النفرة انضم الى عدم المقتضي وجود المانع فبان يصير الفعل ممتنعا اولى فثبت ان هذه
الاية من قوي الدلائل على القضاء والقدر ثم قال تعالى واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اعلم ان نوحا عليه السلام انما دعاهم
الى العبادة والتقوى والطاعة لاجل ان يغفر الله لهم فان المقصود الاول هو حصول المغفرة واما الطاعة فهي انما
طلبت ليتوسل بها الى تحصيل المغفرة ولذلك لما امرهم بالعبادة قال يغفر لكم من ذنوبكم فلما كان المطلوب الاول
من الدعوة حصول المغفرة لا جرم قال واني كلما دعوتهم لتغفر لهم واعلم انه عليه السلام لما دعاهم عاملوه باشياء اولها

قال آ / واتقوه واطيعون آ

بتقواه

ويؤخركم الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون آ

الغرض الزجر عن حب الدنيا وعن التهالك عليها

قوله جعلوا اصابعهم فى اذانهم والمعنى انهم بلغوا الى التقليد الى حيث جعلوا اصابعهم فى اذانهم لئلا يسمعوا الحجة والبينة
وثانيها قوله واستغشوا ثيابهم اى وتغطوا بها اما لاجل ان لا يبصروا وجهه كانهم لم يجوزوا ان يسمعوا كلامه ولا ان
يروا وجهه واما لاجل المبالغة فى ان لا يسمعوا فانهم اذا جعلوا اصابعهم فى اذانهم ثم استغشوا ثيابهم مع ذلك
صار المانع من السماع امرين وثالثها انهم اصروا والمعنى اصروا على مذهبهم او على اعراضهم عن سماع الدعوة الحق
ورابعها انهم استكبروا استكبارا عظيما بالغا الى النهاية القصوى ثم قال تعالى ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت
لهم واسررت لهم اسرارا واعلم ان هذه الايات تدل على ان مراتب دعوته كانت ثلاثة فبدا بالمناصحة فى السر فعاملوه
بالامور الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان والاسرار وكلمة ثم دالة على تراخى بعض هذه المراتب عن بعض
اما بحسب الزمان واما بحسب الرتبة لان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بين الجهار والاسرار اغلظ من الجهار وحده فان قيل
ثم انتصب جهارا قلنا فيه وجوه احدها انه منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعا احد نوعيه الجهار فنصب به
نصب القرفصا نقعد لانها احد انواع القعود وثانيها انه اريد بدعوتهم جاهرتهم وثالثها ان يكون صفة لمصدر دعا بمعنى
دعا جهارا اى مجاهرا به ورابعها ان يكون مصدرا فى موضع الحال اى مجاهرا قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان
غفارا قال مقاتل ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فرجعوا فيه الى نوح
فقال نوح استغفروا ربكم من الشرك حتى يفتح عليكم ابواب نعمه واعلم ان الاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح ابواب الخيرات
ويدل عليه وجوه احدها ان الكفر سبب لخراب العالم على ما قال فى كفر النصارى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فلما كان الكفر سببا لخراب العالم وجب ان يكون الايمان سببا لعمارة العالم وثانيها الايات
منها هذه الاية ومنها ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك وثالثها انه تعالى قال
ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاذا اشتغلوا بتحصيل المقصود حصل ما يحتاج اليه فى الدنيا على سبيل التبعية
ورابعها ان عمر خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السما
المجدح ثلاثة كواكب مخصوصة ونوءه يكون غزيرا شبه عمر الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وعن بكر بن عبد الله ان
اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكى اليه الجدب فقال استغفر الله
وشكى اليه اخر الفقر واخر قلة النسل واخر قلة ريع ارضه فامر كلهم بالاستغفار فقال له بعض القوم اتاك رجال يشكون اليك
انواعا من الحاجة فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلى له الاية وهاهنا سؤالات الاول ان نوحا عليه السلام امر الكفار قبل هذه
الاية بالعبادة والتقوى والطاعة فاى فائدة فى ان امرهم بعد ذلك بالاستغفار الجواب انه لما امرهم بالعبادة
قالوا ان كان الدين القديم الذى كنا عليه حقا فلم تامرنا بتركه وان كان باطلا فكيف يقبلنا بعد ان عصيناه فقال نوح عليه
السلام انكم وان عصيتموه ولكن استغفروا من تلك الذنوب فانه سبحانه كان غفارا السؤال الثانى لم قال انه كان غفارا
ولم يقل انه غفار قلنا المراد انه كان غفارا فى حق كل من استغفر كانه يقول لا تظنوا ان غفاريته انما حدثت الان بل هو
ابدا هكذا كان فكان هذا هو حرفته وصنعته قوله تعالى يرسل السما عليكم مدرارا اعلم ان الخلق مجبولون على محبة الخيرات
العاجلة ولذلك قال تعالى واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب لا جرم اعلمهم الله تعالى هاهنا ان ايمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ
الوافر فى الاخرة الخصب والغنى فى الدنيا والاشيا التى وعدهم من منافع الدنيا فى هذه الاية خمسة اوجه اولها قوله يرسل السما
عليكم مدرارا وفى السما وجوه احدها ان المطر منها ينزل الى السحاب وثانيها ان يراد بالسما المطر من قوله شعر
اذا نزل السما بارض قوم فالمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امراة معطار
ومتفال وثانيها قوله ويمددكم باموال وهذا لا يختص بنوع واحد من المال بل يعم الكل وثالثها قوله وبنين ولا شك ان ذلك
مما يميل الطبع اليه ورابعها قوله ويجعل لكم جنات اى بساتين وخامسها قوله ويجعل لكم انهارا ثم قال تعالى ما لكم لا ترجون
لله وقارا وفيه قولان الاول ان الرجا هاهنا بمعنى الخوف ومنه قول الهذلى شعر اذا لسعته النحل لم يرج لسعها
والوقار العظمة والتوقير التعظيم ومنه قوله تعالى وتوقروه بمعنى ما لكم لا تخافون لله عظمة وهذا القول
عندى غير جائز لان الرجا ضد الخوف فى اللغة المتواترة الظاهرة فلو قلنا ان لفظ الرجا فى اللغة موضوعة بمعنى الخوف
لكان ذلك ترجيحا للرواية الثانية بالاحاد على الرواية المنقولة بالتواتر وهذا يفضى الى القدح فى القران فانه لا لفظ
فيه الا ويمكن جعل نفيه اثباتا واثباته نفيا بهذا الطريق الوجه الثانى ما ذكره صاحب الكشاف وهو ان المعنى ما لكم لا تاملون
لله توقيرا اى تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تاملون فيها تعظيم الله اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار





وقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا فى موضع الحال كانه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للايمان
وقد خلقكم اطوارا اى تارات خلقكم اولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما
ولحما ثم انشاناكم خلقا اخر وعندى فيه وجه ثالث وهو ان القوم كانوا يبالغون فى الاستخفاف بنوح عليه السلام
فامرهم الله تعالى بتوقيره وترك الاستخفاف به فكانه قال ثم انكم اذا وقرتم نوحا وتركتم الاستخفاف به كان ذلك لاجل الله
فما لكم لا ترجون وقارا تاتون به لاجل الله ولاجل امره وطاعته فان كل ما ياتى به الانسان لاجل الله فانه لا بد وان يرجو
منه خيرا ووجه رابع وهو ان الوقار هو الثبات من وقر اذا ثبت واستقر فكانه قال ما لكم وعند هذا تم الكلام ثم قال
على سبيل الاستفهام بمعنى الانكار لا ترجون لله ثباتا وبقاء فانكم لو رجوتم ثباته وبقاءه لخفتموه ولما اقدمتم على الاستخفاف
برسله واوامره والمراد من قوله ترجون اى تعتقدون لان الراجى للشى معتقد له واعلم انه لما امر فى هذه الاية
بتعظيم الله استدل على التوحيد بوجوه من الدلايل الاول قوله وقد خلقكم اطوارا وفيه وجهان الاول قال الليث
الطور التارة يعنى حالا بعد حال كما ذكرنا انه كان نطفة ثم علقة الى اخر التارات الثانى قال ابن الانبارى الطور الحال
والمعنى خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا ولما ذكر هذا الدليل من الانفس على التوحيد اتبعه بذكر دليل التوحيد
من الافاق على العادة المعهودة فى كل القران الدليل الثانى على التوحيد قوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا واعلم انه تعالى تارة يبدا بدلايل الافاق ثم بدلايل الانفس اما
لان دلايل الافاق ابهر واعظم فوقعت البداية بها لهذا السبب واما لاجل ان دلايل الانفس حاضرة لا حاجة بالعاقل التامل
فيها انما الذى يحتاج الى التامل فيه دلايل الافاق لان التنبيه فيها اكثر فلا جرم تقع البداية بها وهاهنا سؤالات الاول
قوله سبع سموات طباقا يقتضى كون بعضها منطبقا على البعض وهذا يقتضى ان لا يكون بينها فرج فالملكة كيف يسكنون
فيها الجواب الملكة ارواح وايضا فلعل المراد من كونها طباقا كونها متوازية لا متماسة السؤال الثانى كيف قال
وجعل القمر فيهن نورا والقمر ليس فيها باسرها بل فى السما الدنيا والجواب هذا كما يقال السلطان فى العراق ليس المراد
ان ذاته حاصلة فى جميع احياز العراق بل ان ذاته فى حيز من جملة احياز العراق فكذا هاهنا السؤال الثالث السراج
ضوءه عرضى وضوء القمر عرضى مستفاد فتشبيه القمر بالسراج اولى من تشبيه الشمس به الجواب الليل عبارة عن ظل
الارض فالشمس لما كان سببا لزوال ظل الارض كانت شبيهة بالسراج وايضا فالسراج له ضوء والضوء اقوى من النور فجعل
الاضعف للقمر والاقوى للشمس ومنه قوله تعالى وهو الذى جعل الشمس ضيا والقمر نورا الدليل الثالث على التوحيد
قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا واعلم انه تعالى رجع هاهنا الى دلايل
الانفس وهو كالتفسير لقوله خلقكم اطوارا فانه بين انه تعالى خلقهم من الارض ثم يردهم اليها ثم يخرجهم منها مرة اخرى اما
قوله انبتكم من الارض نباتا ففيه مسئلتان المسئلة الاولى فى هذه الاية وجهان احدهما معنى قوله انبتكم من الارض
اى انبت اباكم من الارض كما قال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب والثانى انه تعالى انبت الكل من الارض لانه تعالى
انما خلقنا من النطف وهى متولدة من الاغذية المتولدة من النبات المتولد من الارض المسئلة الثانية كان ينبغى ان يقال
انبتكم انباتا الا انه لم يقل ذلك بل قال انبتكم نباتا والتقدير انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهى انه لو قال
انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا غريبا وهذا الثانى
اولى لان الانبات صفة لله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلا نعرف ان ذلك الانبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار
الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فلا يمكن اثباته بالسمع اما لما قال انبتكم نباتا على معنى
انبتكم فنبتم نباتا عجيبا كاملا كان ذلك وصفا للنبات بكونه عجيبا كاملا وكون النبات كذلك امر مشاهد محسوس فيمكن
الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر ان العدول من تلك الحقيقة الى هذا المجاز
كان لهذا السر اللطيف اما قوله ثم يعيدكم فيها فهو اشارة الى الطريقة المعهودة فى القران من انه تعالى لما كان قادرا على
الابتدا كان قادرا على الاعادة وقوله ويخرجكم اخراجا اكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا لا محالة الدليل الرابع
قوله تعالى والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة واحدها فج وهو مفسر فيما تقدم
واعلم ان نوحا عليه السلام لما دعاهم الى الله ونبههم على هذه الدلايل الظاهرة حكى عنهم انواع قبايحهم واقوالهم وافعالهم
فالاول قوله رب انهم عصونى وذلك لانه قال فى اول السورة اعبدوا الله واتقوه واطيعون فكانه قال قلت لهم اطيعون
فهم عصونى الثانى قوله واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا وفيه مسئلتان المسئلة الاولى ذكر فى الاية
الاولى انهم عصوه وفى هذه الاية انهم ضموا الى عصيانه معصية اخرى وهى طاعة روسائهم الذين يدعونهم الى الكفر وقوله
من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعنى هذان وان كانا من جملة المنافع فى الدنيا الا انهما لما صارا سببا للخسار فى الاخرة فكانهما صارا

اما قوله انبتكم من الارض نباتا ففيه مسئلتان

قال نوح رب

محض الخسار والامر كذلك في الحقيقة لان الدنيا في جنب الآخرة كالعدم فاذا صارت المنافع الدنيوية اسبابا للخسار في الآخرة صار ذلك جاريا مجرى اللقمة الواحدة من الحلوا اذا كانت مسمومة سم الوقت • واستدل بهذه الآية من قال انه ليس لله على الكافر نعمة لان هذه النعم استدراجات ووسائل الى العذاب الابدي فكانت كالعدم • ولهذا المعنى قال نوح عليه السلام في هذه الآية لم يزده ماله وولده الا خسارا **المسئلة الثانية** ولده بضم الواو • واعلم ان الولد بالضم لغة في الولد • ويجوز ان يكون جمع الولد كالفلك • وههنا يجوز ان يكون واحدا وجمعا • النوع الثالث من قبائح افعالهم **قوله تعالى** ومكروا مكرا كبارا وفيه مسائل **المسئلة الاولى** ومكروا معطوف على من لم يزده لان المتبوعين هم الذين مكروا • وقالوا للاتباع لا تذرن فجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع **المسئلة الثانية** قرئ كبارا وكبارا بالتخفيف والتثقيل وهو مبالغة في التكثير • فاول المراتب الكبير • والاوسط الكبار بالتخفيف والنهاية الكبار بالتثقيل • ونظيره جميل وجمال وجمال وعظيم وعظام وعظام • طويل وطوال وطوال **المسئلة الثالثة** المكر الكبار هو انهم قالوا للاتباع لا تذرن ودا فهم منعوا القوم عن التوحيد وامروهم بالشرك • ولما كان التوحيد اعظم المراتب لا جرم كان المنع منه اعظم الكبائر فلهذا وصفه الله تعالى بانه كبار • واستدل بهذا من فضل علم الكلام على سائر العلوم فقال الامر بالشرك كبار في القبح والجزى فالامر بالتوحيد والارشاد وجب ان يكون كبارا في الخير والدين **المسئلة الرابعة** انه تعالى انما سماه مكرا لوجهين **الاول** لما في الاضافة الآلهة اليهم من الحيلة الموجبة لاستمرارهم على عبادتها كانهم قالوا هذه الاصنام آلهة لكم وكانت آلهة لآبائكم فلو قبلتم قول نوح لاعترفتم على انفسكم بانكم كنتم جاهلين ضالين كافرين وعلى آبائكم بانهم كانوا كذلك • ولما كان اعتراف الانسان على نفسه وعلى جميع اسلافه بالقصور والنقص والجهل شاقا شديدا صار الاشارة الى هذه المعاني بلفظ الحكم صارفا لهم عن الدين فلاجل اشتمال هذا الكلام على هذه الحيلة الخفية سمى الله كلامهم مكرا • الثاني انه تعالى حكى عن متبوعيهم انهم كان لهم مال وولد فلعلهم قالوا للاتباع ان الهكم خير من اله نوح لان الهتكم يعطونكم المال والولد واله نوح لا يعطيه شيئا لانه فقير فبهذا المكر صرفوهم عن طاعة نوح وهذا مثل مكر فرعون اذ قال اليس لي ملك مصر وقال ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين • فلولا القي عليه اساورة من ذهب **المسئلة الخامسة** ذكر ابو زيد البلخي في كتابه في الرد على عبدة الاصنام ان العلم بان هذه الخشبة المنحوتة في هذه الساعة ليست خالقة للسموات والارض والنبات والحيوان علم ضروري والعلوم الضرورية لا يجوز وقوع الاختلاف فيها بين العقلاء • وعبادة الاوثان دين كان موجودا قبل مجيء نوح عليه السلام بدلالة هذه الآية وقد استمر ذلك الدين الى هذا الزمان • واكثر سكان اطراف المعمورة على هذا الدين فوجب حمل هذا الدين على وجه لا يعرف فساده بضرورة العقل والا لما بقي هذه المدة المتطاولة في اكثر اطراف العالم فاذن لا بد وان يكون لذلك الذاهبين الى ذلك المذهب تاويلات • احدها قال ابو جعفر بن محمد المنجم هذه المقالة انما تولدت من مذهب القائلين بان الله جسم وفي مكان وذلك لانهم قالوا ان الله نور هو اعظم الانوار • والملائكة الذين هم حافون حول العرش الذي هو مكانه هم انوار صغيرة بالنسبة الى ذلك النور الاعظم فالذين اعتقدوا هذا المذهب اتخذوا صنما هو اعظم الاصنام على صورة الههم الذي اعتقدوه واتخذوا اصناما متفاوتة بالكبر والصغر والشرف والخسة على صور الملائكة المقربين واشتغلوا بعبادة تلك الاصنام على اعتقاد انهم يعبدون الاله والملائكة • فدين عبادة الاوثان انما ظهر من اعتقاد التجسيم • الوجه الثاني وهو ان جماعة الصابئة كانوا يعتقدون ان الاله الاعظم خلق هذه الكواكب الثابتة والسيارة • وفوض تدبير هذا العالم السفلي اليها فالبشر عبيد هذه الكواكب • والكواكب عبيد الاله الاعظم فالبشر يجب عليهم عبادة الكواكب • ثم ان هذه الكواكب كانت تطلع مرة وتغيب اخرى فاتخذوا اصناما على صورها • واشتغلوا بعبادتها وغرضهم عبادة الكواكب • الوجه الثالث ان القوم الذين كانوا في قديم الدهر كانوا منجمين على مذهب اصحاب الاحكام في اضافات سعادات هذا العالم ونحوساتها الى الكواكب فاذا اتفق في الفلك شكل عجيب صالح لطلسم عجيب كانوا يتخذون ذلك الطلسم وكان يظهر منه احوال عجيبة • وآثار عظيمة وكانوا يعظمون ذلك الطلسم ويكرمونه ويشتغلون بعبادته وكانوا يتخذون كل طلسم على شكل موافق لكوكب خاص وبرج خاص • فقيل كان ود على صورة رجل • وسواع على صورة امراة • ويغوث على صورة اسد • ويعوق على صورة فرس • ونسر على صورة نسر • الوجه الرابع انه كان يموت اقوام صالحون فكانوا يتخذون تماثيل على صورهم ويشتغلون بتعظيمها وغرضهم تعظيم اولئك الاقوام الذين ماتوا حتى يكونوا شافعين لهم عند الله وهو المراد من قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى • الوجه الخامس انه ربما مات ملك عظيم او شخص كانوا يحبونه فكانوا يتخذون تمثالا على صورته وينظرون اليه فالذين جاؤوا بعد ذلك ظنوا ان آباءهم كانوا يعبدونها فاشتغلوا بعبادتها لتقليد الآباء ان هذه الاسماء الخمسة وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر اسماء خمسة من اولاد آدم • فلما ماتوا قال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم • ولهذا السبب نهى

وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا

اشكال الكواكب

الرسول عليه السلام



الرسول عليه السلام عن زيارة القبور اولا ثم اذن فيها على ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فان في زيارتها تذكرة • السادس الذين يقولون انه تعالى جسم وانه يجوز عليه الانتقال والحلول لا تستبعدون ان يحل تعالى في شخص انسان او في شخص صنم فاذا احسوا من ذلك الصنم المتخذ على وجه الطلسم حالة عجيبة خطر ببالهم ان الاله حل في ذلك الصنم ولذلك فان جماعة من قدماء الروافض لما راوا ان عليا رضي الله عنه قلع باب خيبر وكان ذلك على خلاف المعتاد قالوا ان الاله حل في بدنه وانه هو الاله • الوجه السابع لعلهم اتخذوا تلك الاصنام كالمحراب • ومقصودهم بالعبادة هو الله • فهذا جملة ما في هذا الباب • وبعضها باطلة بدليل العقل فانه لما ثبت انه تعالى ليس بجسم بطل اتخاذ الصنم على صورة الاله وبطل القول ايضا بالحلول والنزول • ولما ثبت انه تعالى هو القادر على كل المقدورات • بطل القول بالوسائط والطلسمات • ولما جاء الشرع بالمنع من اتخاذ الصنم بطل القول باتخاذها محاريب وشفعاء **المسئلة السادسة** هذه الاصنام الخمسة كانت اكبر اصنامهم • ثم انها انتقلت عن قوم نوح الى العرب • فكان ود لكلب • وسواع لهمدان • ويغوث لمذحج • ويعوق لمراد • ونسر لحمير • ولذلك سميت العرب بعبد ود وعبد يغوث • هكذا قيل في الكتب وفيه اشكال لان الدنيا قد خربت في زمان الطوفان فكيف بقيت تلك الاصنام وكيف انتقلت الى العرب ولا يمكن ان يقال ان نوحا عليه السلام وضعها في السفينة وامسكها لانه عليه السلام انما جاء لنفيها وكسرها • فكيف يمكن ان يقال انه وضعها في السفينة سعيا منه في حفظها **المسئلة السابعة** قرئ لا تذرن ودا بفتح الواو وبضمها • قال الليث ود بفتح الواو صنم كان لقوم نوح • وود بالضم صنم لقريش • سمي عمرو بن عبد ود واقول على قول الليث وجاز ان يجوزها هنا قراءة ود بالضم لان هذه الآيات في قصة نوح لا في احوال قريش • وقرا الاعمش ولا يغوثا ويعوقا بالصرف • وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا المنع الصرف اما التعريف ووزن الفعل • واما التعريف والعجمة فلعله صرفهما لاجل انه وجد اخواتهما منصرفة ودا وسواعا ونسرا **واعلم** ان نوحا لما حكى عنهم انهم قالوا لاتباعهم لا تذرن اصنامكم قال وقد اضلوا كثيرا وفيه وجهان **الاول** اولئك الرؤساء قد اضلوا كثيرا قبل هؤلاء الموصين بعبادة الاصنام • وليس هذا اول مرة اشتغلوا بالاضلال • **الثاني** يجوز ان يكون الضمير عائدا الى الاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس • واجرى الاصنام على هذا القول مجرى الآدميين كقوله الهم ارجل **اما قوله تعالى** ولا تزد الظالمين الا ضلالا • ففيه سؤالات **السؤال الاول** كيف موقع قوله ولا تزد الظالمين **الجواب** كان نوحا عليه السلام لما اطنب في تعديد افعالهم المنكرة واقوالهم القبيحة امتلا قلبه غيظا وغضبا عليهم فختم كلامهم بان دعا عليهم **السؤال الثاني** انما بعث ليصرفهم عن الضلال فكيف يليق به ان يدعو الله في ان يزيد في اضلالهم **الجواب** من وجهين **الاول** لعله ليس المراد في امر الدين بل الضلال في امر دنياهم • وفي ترويج مكرهم وحيلتهم • **الثاني** الضلال العذاب لقوله ان المجرمين في ضلال وسعر • ثم انه تعالى لما حكى كلام نوح عليه السلام قال بعده مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا وفيه مسائل **المسئلة الاولى** ما صلة كقوله فبما نقضهم فبما رحمة • والمعنى من خطيئاتهم اي من اجلها وبسببها • وقرا ابن مسعود من خطيئاتهم ما اغرقوا • فاخر كلمة ما وعلى هذه القراءة لا تكون ما صلة زائدة لان ما مع ما بعده في تقدير المصدر **واعلم** ان تقديم قوله مما خطاياهم [illegible]

فمن قال من المنجمين ان ذلك انما كان بسبب انه انقضى في ذلك الوقت نصف الدور الاعظم

عو لغلی شی غیر الله تعالی قوله تعالى وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قال المبرد ديارا اسم لا يستعمل الا في النفي العام يقال ما بالدار ديار ولا يستعمل في جانب الاثبات قال اهل العربية هو فيعال من الدور واصله ديوار فقلبت الواو ياء وادغمت احداهما في الاخرى قاله الفراء والزجاج وقال ابن قتيبة معناها ديارا اي نازل دار ثم قال انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فان قيل كيف عرف نوح عليه الصلاة والسلام ذلك قلنا للنص والاستقراء اما النص فقوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن واما الاستقراء فهو انه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طباعهم وجربهم وكان الرجل ينطلق بابنه اليهم ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي وصاني بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فيه وجهان احدهما انهم يكونون في علمك كذلك والثاني انهم سيصيرون كذلك واعلم انه عليه السلام لما دعا على الكفار قال بعده رب اغفر لي اي فيما صدر عني من ترك الافضل ويحتمل انه حين دعا على الكفار انما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام فاستغفر عن ذلك لما فيه من طلب حظ النفس ثم قال ولوالدي ابوه لمك بن متوشلخ وامه سمحا بنت انوش وكانا مؤمنين قال عطاء لم يكن بين نوح وآدم عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينه وبين آدم عشرة آباء وقرأ الحسن بن علي ولولدي يريد ساما وحاما ثم قال ولمن دخل بيتي مؤمنا قيل مسجدي وقيل سفينتي وقيل لمن دخل في ديني فان قيل فعلى هذا التفسير يصير قوله مؤمنا مكررا قلنا ان من دخل في دينه ظاهرا قد يكون مؤمنا بقلبه وقد لا يكون والمعنى ولمن دخل في ديني دخولا مع تصديق القلب ثم قال وللمؤمنين والمؤمنات خص نفسه اولا بالدعاء ثم المتصلين به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات ثم ختم الكلام مرة اخرى بالدعاء على الكافرين فقال ولا تزد الظالمين الا تبارا اي هلاكا ودمارا وكل شيء اهلك فقد تبر ومنه قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه وقوله وليتبروا ما علوا تتبيرا فاستجاب الله دعاءه بالكلية فان قيل ما جرم الصبيان حين اغرقوا والجواب من وجوه الاول ان الله تعالى يبس اصلاب آبائهم وارحام نسائهم قبل الطوفان باربعين سنة او تسعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا ويدل عليه قوله استغفروا ربكم الى قوله ويمددكم باموال وبنين وهذا يدل على ان المفهوم انهم اذا لم يستغفروا فانه تعالى لا يمددهم بالبنين الثاني قال الحسن علم الله براءة الصبيان فاهلكهم بغير عذاب الثالث غرقوا معهم لا على وجه العقاب بل كما يموتون بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون والله اعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فاهلكهم

## سورة الجن عشرون وثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فيه مسائل المسئلة الاولى اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن ونفيه فالنقل الظاهر عن اكثر الفلاسفة انكاره وذلك لان ابا علي بن سينا قال في رسالته في حدود الاشياء الجن حيوان هوائي متشكل باشكال مختلفة ثم قال وهذا شرح الاسم فقوله وهذا شرح الاسم يدل على ان هذا الحد شرح المراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج واما جمهور ارباب الملل والمصدقين للانبياء فقد اعترفوا بوجود الجن واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة واصحاب الروحانيات ويسمونها بالارواح السفلية وزعموا ان الارواح السفلية اسرع اجابة الا انها اضعف واما الارواح الفلكية فهي ابطأ اجابة الا انها اقوى واختلف المثبتون على قولين فمنهم من زعم انها ليست اجساما ولا حالة في الاجسام بل هي جواهر قائمة بانفسها قالوا ولا يلزم من هذا ان يقال انها تكون مساوية لذات الله لان كونها ليست اجساما ولا جسمانية سلوب والمشاركة في السلوب لا تقتضي المساواة في الماهية قالوا ثم ان هذه الذوات بعد اشتراكها في هذا السلب انواع مختلفة بالماهية كاختلاف ماهيات الاعراض بعد استوائها في الحاجة الى المحل فبعضها خيرة وبعضها شريرة وبعضها كريمة حرة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة محبة للشرور والآفات ولا يعرف عدد انواعهم واصنافهم الا الله تعالى قالوا وكونها موجودات مجردة لا يمنع من كونها عالمة بالجزئيات قادرة على الافعال فهذه الارواح يمكنها ان تسمع وتبصر وتعلم الاحوال الجزئية وتفعل الافعال المخصوصة ولما ذكرنا ان ماهياتها مختلفة لاجرم لم يبعد ان يكون في انواعها ما يقدر على افعال شاقة عظيمة يعجز عنها قدر البشر ولا يبعد ايضا ان يكون لكل نوع منها تعلق بنوع مخصوص من اجسام هذا العالم وكما انه دلت الدلائل الطبية على ان المتعلق الاول للنفس الناطقة التي لبدن الانسان هي الارواح وهي اجسام بخارية لطيفة تتولد من الطف اجزاء الدم وتتكون في الجانب الايسر من القلب ثم بواسطة تعلق النفس بهذه الارواح تصير متعلقة بالاعضاء التي تسري فيها هذه الارواح لم يبعد ايضا ان يكون لكل واحد من هؤلاء الجن تعلق بجزء من اجزاء الهوى فيكون ذلك الجزء

من الهوى

من الهوى هو المتعلق الاول لذلك الروح ثم بواسطة سريان تلك القوة في جسم آخر كثيف يحصل لتلك الارواح تعلق وتصرف في تلك الاجسام الكثيفة ومن الناس من ذكر في الجن طريقة اخرى فقال هذه الارواح البشرية والنفوس الناطقة اذا فارقت ابدانها وازدادت قوة وكمالا بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الاسرار الروحانية فاذا اتفق حدوث بدن آخر مشابه لما كان لتلك النفس المفارقة من البدن فبسبب تلك المشاكلة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن في افعالها وتدبيرها لذلك البدن فان الجنسية علة الضم فان اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيرة سمي ذلك المعين ملكا وتلك الاعانة الهاما وان اتفقت في النفوس الشريرة سمي ذلك المعين شيطانا وتلك الاعانة وسوسة والقول الثاني ان الجن اجسام ثم القائلون بهذا المذهب اختلفوا على قولين منهم من زعم ان الاجسام مختلفة في ماهياتها انما المشترك بينها صفة واحدة وهي كونها باسرها حاصلة في الحيز والمكان والجهة وكونها موصوفة بالطول والعرض والعمق وهذه كلها اشارة الى الصفات والاشتراك في الصفات لا يقتضي الاشتراك في تمام الماهية لما ثبت ان الاشياء المختلفة في تمام الماهية لا يمتنع اشتراكها في لازم واحد [illegible]

التسعة اجناسا عالية بل كانت انواع جنس واحد اذا ثبت هذا فنقول الاعراض من حيث انها اعراض لها حقيقة وا[حدة] ولم يلزم من ذلك ان يكون بينها ذاتي مشترك اصلا فضلا عن ان تكون متساوية في تمام الماهية فلم لا يجوز ان يكون الحال في الجسم كذلك فانه كما ان الاعراض مختلفة في تمام الماهية ثم ان تلك المختلفات متساوية في وصف عارض هو كونها عارضة لموضوعاتها فكذا من الجائز ان يكون ماهيات الاجسام مختلفة في تمام ماهياتها ثم انها تكون متساوية في وصف عارض وهو كونها مشارا اليها بالحس وحاصلة في الحيز والمكان وموصوفة بالابعاد الثلاثة فهذا الاحتمال لا دافع له اصلا واما الحجة الثانية وهي قولهم انه يمكن تقسيم الجسم الى اللطيف والكثيف فهي ايضا منقوضة بالعرض فانه يمكن تقسيم العرض الى الكيف والكم ولم يلزم ان يكون هناك قدر مشترك من الذاتي فضلا عن التساوي في كل الذاتيات فلم لا يجوز ان يكون الامر هاهنا ايضا كذلك اذا ثبت انه لا امتناع في كون الاجسام مختلفة ولم يوجد دليل على بطلان هذا الاحتمال فحينئذ قالوا لا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر انواع الهوى في الماهية ثم تكون تلك الماهية تقتضي لذاتها علما مخصوصا وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة وعلى هذا التقدير يكون القول بالجن ظاهر الاحتمال ويكون قدرتها على التشكل بالاشكال المختلفة ظاهر الاحتمال القول الثاني قول من قال الاجسام متساوية في تمام الماهية والقائلون بهذا المذهب ايضا فرقتان الفرقة الاولى الذين زعموا ان البنية ليست شرطا للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وادلتهم في هذا الباب ظاهرة قوية قالوا لو كانت البنية شرطا للحياة لكان اما ان يقال ان الحياة الواحدة قامت بمجموع الاجزاء ويقال قام بكل واحد من الاجزاء حياة على حدة والاول محال لان حلول العرض الواحد في المحال الكثيرة دفعة واحدة غير معقول والثاني ايضا باطل لان الاجزاء التي منها تألف الجسم متساوية والحياة القائمة بكل واحد منها مساوية للحياة القائمة بالجزء الآخر وحكم الشيء حكم مثله فلو افتقر قيام الحياة بهذا الجزء الى قيام تلك الحياة بذلك الجزء لحصل هذا الافتقار من الجانب الآخر فيلزم وقوع الدور وهو محال وان لم يحصل هذا الافتقار فحينئذ ثبت ان قيام الحياة بهذا الجزء لا يتوقف على قيام الحياة الثانية بذلك الجزء الثاني واذا بطل هذا التوقف ثبت انه يصح كون الجزء الواحد موصوفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة وبطل القول بان البنية شرط قالوا واما دليل المعتزلة وهو انه لا بد من البنية فليس الا الاستقراء وهو انا رأينا انه متى فسدت البنية بطلت الحياة ومتى لم تفسد بقيت الحياة فوجب توقف الحياة على حصول البنية الا ان هذا ركيك فان الاستقراء لا يفيد القطع بالوجوب فما الدليل على انه حال ما لم يشاهد كحال ما شوهد وايضا فلان هذا الكلام انما يستقيم على قول من ينكر خرق العادات اما من يجوزها فهذا لا يستمر على مذهبه والفرق بينهما في جعل بعضها على سبيل العادة وجعل بعضها على سبيل الوجوب تحكم محض لا سبيل اليه فثبت ان البنية ليست شرطا في الحياة واذا ثبت هذا لم يبعد ان يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علما بامور كثيرة وقدرة على اشياء شاقة شديدة وعند هذا ظهر القول بامكان وجود الجن سواء كانت اجسامهم لطيفة او كثيفة وسواء كانت اجزاؤهم كبيرة او صغيرة القول الثاني ان البنية شرط الحياة وانه لا بد من صلابة في البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة فهاهنا مسئلة اخرى وهي

ثم كون تلك الماهية تقتضي لذاتها علما مخصوصا وقدرة مخصوصة

انه هل يمكن ان يكون المرئي حاضرا والموانع مرتفعة والشرايط من القرب والبعد حاصلا ٭ وتكون الحاسة سليمة ثم مع
هذا لا يحصل الادراك او يكون هذا ممتنعا عقلا ٭ اما الاشعري واتباعه فقد جوزوه ٭ واما المعتزلة فقد حكموا بامتناعه
عقلا ٭ فالاشعري احتج على قوله بوجوه عقلية ونقلية ٭ اما العقلية فامران ٭ الاول انا نرى الكبير من البعيد صغيرا
وما ذاك الا انا نرى بعض اجزاء ذلك البعيد دون البعض مع ان نسبة الحاسة وجميع الشرايط الى تلك الاجزاء المرئية
كهي بالنسبة الى الاجزاء التي هي غير مرئية ٭ فعلمنا ان مع حصول سلامة الحاسة وحضور المرئي وحصول الشرايط وانتفاء
الموانع لا يكون الادراك واجبا ٭ الثاني ان الجسم الكبير لا معنى له الا مجموع تلك الاجزاء المتالفة فاذا راينا ذلك
الجسم الكبير على مقدار من البعد فقد راينا تلك الاجزاء ٭ فاما ان يكون رؤية هذا الجزء مشروطة برؤية ذلك الجزء
الاخر او لا يكون فان كان الاول لزم الدور لان الاجزاء متساوية ٭ فان افتقرت رؤية هذا الجزء الى رؤية ذاك الجزء
لافتقرت ايضا رؤية ذلك الجزء الى رؤية هذا الجزء فيقع الدور وان لم يحصل هذا الافتقار فحينئذ رؤية الجوهر
الفرد على ذلك القدر من المسافة تكون ممكنة ٭ ثم من المعلوم ان ذلك الجوهر الفرد لو حصل وحده من غير ان ينضم اليه
ساير الجواهر فانه لا يرى فعلمنا ان حصول الرؤية عند اجتماع جملة الشرايط لا يكون واجبا بل جايزا ٭ واما المعتزلة
فقد عولوا على انا ان جوزنا ذلك لجوزنا ان يكون بحضرتنا فيلات وبوقات ولا نراها ولا نسمعها فاذا عارضناهم بساير
الامور العادية وقلنا لم تجوزوا ان يقال انقلبت مياه البحار ذهبا وفضة والجبال ياقوتا وزبرجدا وحصلت في السما
حال ما غمضنا العين الف شمس وقمر ثم كما فتحنا العين اعدمها الله عجزوا عن الفرق والسبب في هذا التشويش ان هولاء
المعتزلة نظروا الى هذه الامور المطردة في مناهج العادات فزعموا ان بعضها واجبة وبعضها غير واجبة ولم يجدوا
قانونا مستقيما وماخذا سليما في الفرق بين البابين فتشوش الامر عليهم بل الواجب ان يسوى بين الكل فيحكم على الكل بالوجوب
كما هو قول الفلاسفة او على الكل بعدم الوجوب كما هو قول الاشعري ٭ فاما التحكم في الفرق فهو بعيد اذا ثبت هذا ظهر
جواز القول بالجن فان اجسامهم وان كانت كثيفة قوية الا انه لا يمتنع ان لا نراها وان كانوا حاضرين ٭ هذا على قول الاشعري
فهذا هو تفصيل هذه الوجوه ٭ وانا متعجب من هولاء المعتزلة انهم كيف يصدقون بما جاء في القرآن من اثبات الملك والجن
مع اصرارهم على مذاهبهم وذلك لان القرآن دل على ان للملايكة قوة عظيمة على الافعال الشاقة ٭ والجن ايضا كذلك ٭ وهذه
القدرة لا تثبت الا في الاعضاء الكثيفة الصلبة فاذن يجب في الملك والجن ان يكونوا كذلك ٭ ثم ان هولاء الملايكة حاضرون
عندنا ابدا وهم الكرام الكاتبون والحفظة ٭ ويحضرون ايضا عند قبض الارواح ٭ وقد كانوا يحضرون عند الرسول
صلى الله عليه وسلم وان احدا من القوم ما كان يراهم ٭ وكذلك الناس الجالسون عند من يكون في النزع لا يرون احدا فان
وجبت رؤية الكثيف عند الحضور فلم لا نراها ٭ وان لم تجب الرؤية فقد بطل مذهبهم وان كانوا موصوفين بالقوة والشدة
مع عدم الكثافة والصلابة فقد بطل قولهم البنية شرط الحياة ٭ وان قالوا انها اجسام لطيفة وحية ولكنها لطافتها لا تقدر
على الاعمال الشاقة ٭ فهذا انكار لصريح القرآن ٭ وبالجملة فحالهم في الاقرار بالملك والجن مع هذه المذاهب عجيب ٭ وليس لهم دليل
على صحة مذاهبهم شبهة مخيلة فضلا عن حجة مبينة ٭ فهذا هو التنبيه على ما في هذا الباب من الدقايق والمشكلات
وبالله التوفيق **المسئلة الثانية** اختلفت الروايات في انه عليه السلام هل راى الجن ام لا ٭ فالقول الاول وهو
مذهب ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام ما راهم قال ان الجن كانوا يقصدون السما في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام
فيستمعون اخبار السما ويلقونها الى الكهنة ٭ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حرست السما وحيل بين الشياطين وبين خبر السما
وارسلت الشهب عليهم فرجعوا الى ابليس واخبروه بالقصة فقال لا بد لهذا من سبب فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فاطلبوا
السبب فوصل جمع من اولئك الطالبين الى تهامة فراوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة
الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا والله هو الذي حال بينكم وبين خبر السما ٭ فهنالك رجعوا الى قومهم وقالوا
يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا ٭ فاخبر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذلك الغيب وقال قل اوحي الي كذا وكذا ٭ وفي هذا
دليل على انه عليه الصلاة والسلام لم ير الجن اذ لو راهم لما اسند معرفة هذه الواقعة الى الوحي فان ما عرف وجوده بالمشاهدة
لا يسند اثباته الى الوحي ٭ فان قيل الذين رموا بالشهب هم الشياطين ٭ والذين سمعوا القرآن هم الجن فكيف وجه الجمع قلنا
فيه وجهان ٭ الاول ان الجن كانوا مع الشياطين فلما رمي الشياطين اخذ الجن الذين كانوا معهم في تجسس الخبر ٭ الثاني ان الذين رموا
بالشهب كانوا من الجن الا انه قيل لهم شياطين كما قيل شياطين الجن والانس فان الشيطان كل متمرد بعيد من طاعة الله واختلفوا
في ان اولئك الجن الذين سمعوا القرآن من هم ٭ فروى عاصم عن ابي زر قال قدم رهط زوبعة واصحابه مكة على النبي صلى الله عليه وسلم
فسمعوا قراءة النبي عليه الصلاة والسلام ثم انصرفوا فذلك قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ٭ وقيل كانوا من الشيصبان
وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم ٭ القول الثاني وهو مذهب ابن مسعود انه امر النبي صلى الله عليه وسلم

انا متعجب من هولاء المعتزلة

بالمسير اليهم

بالمسير اليهم ليقرا القرآن عليهم ويدعوهم الى الاسلام قال ابن مسعود قال عليه الصلاة والسلام امرت ان اتلو القرآن على الجن
فمن يذهب معي فسكتوا ٭ ثم قال الثانية فسكتوا ٭ ثم قال الثالثة فسكتوا فقال عبد الله قلت انا
اذهب معك يا رسول الله فانطلق حتى اذا جا الحجون عند شعب ابن ابي دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ٭ ثم مضى الى الحجون
فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم رجال الزط يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفها حتى غشوه فغاب عن بصري
فقمت فاومى الي بيده ان اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم ٭ وفي رواية اخرى
فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من انت قال انا نبي الله ٭ قالوا فمن يشهد لك على ذلك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت
تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال على ماذا تشهدين لي قالت اشهد انك رسول الله قال اذهبي فرجعت كما جاءت
حتى صارت كما كانت قال ابن مسعود فلما عاد الي قال اردت ان تاتيني قلت نعم يا رسول الله قال ما كان ذلك لك هولاء الجن اتوا ٭
يستمعون القرآن ثم ولوا الى قومهم منذرين فسالوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن احد بعظم ولا بعر ٭ واعلم
انه لا سبيل الى تكذيب الروايات ٭ وطريق التوفيق بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود من وجوه ٭ احدها لعل ما ذكره
ابن عباس وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ٭ ثم امر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روى ابن مسعود ٭ وثانيها ان تكون
ان تكون واقعة الجن مرة واحدة الا انه عليه الصلاة والسلام امر بالذهاب اليهم وقراءة القرآن عليهم الا انه عليه السلام
ما راهم وما عرف انهم ماذا قالوا واي شي فعلوا فالله تعالى اوحي اليه انه كان كذا وقالوا كذا ٭ وثالثها ان الواقعة كانت
واحدة وهو عليه الصلاة والسلام راهم وسمع كلامهم وهم امنوا به ٭ ثم لما رجعوا الى قومهم قالوا لقومهم على سبيل
الحكاية انا سمعنا قرآنا عجبا وكان كذا وكذا ٭ فاوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم ما قالوه لاقوامهم ٭ واذا كانت هذه
الوجوه محتملة فلا سبيل الى التكذيب **المسئلة الثالثة** اعلم ان قوله تعالى قل امر منه تعالى لرسوله ان يظهر لاصحابه
ما اوحى الله في واقعة الجن ٭ وفيه فوايد ٭ احدها ان يعرفوا بذلك انه عليه الصلاة والسلام كما بعث الى الانس فقد
بعث الى الجن ٭ وثانيها ان تعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فامنوا بالرسول ٭ وثالثها ان يعلم
القوم ان الجن مكلفون كالانس ٭ ورابعها ان تعلم ان الجن يستمعون كلامنا ٭ ويفهمون لغاتنا ٭ وخامسها ان يظهر ان المومن منهم
يدعو غيره من قبيلته الى الايمان ٭ وفي كل هذه الوجوه مصالح كثيرة اذا عرفها الناس **المسئلة الرابعة** الايحا
القا المعنى الى النفس خفاء كالالهام وانزال الملك ويكون ذلك في سرعة من قولهم الوحا الوحا ٭ والقراءة المشهورة اوحي
بالالف ٭ وفي رواية يونس وهرون عن ابي عمرو ٭ وحي بضم الواو بغير الف وهما لغتان ٭ يقال وحى اليه واوحى اليه
وقرى احي بالهمز من غير واو ٭ واصله وحي فقلبت الواو همزة ٭ كما يقال اعد وازن ٭ واذا الرسل اقتت **قوله تعالى**
انه استمع نفر من الجن ٭ فيه مسايل **المسئلة الاولى** اجمعوا على ان قوله انه استمع بالفتح وذلك لانه فاعل اوحي فهو
كقوله واوحي الي هذا القرآن ٭ واجمعوا على كسر انا في قوله انا سمعنا لانه مبتدا محكي بعد القول ثم ما ها هنا قراتان
[illegible]
[illegible] ٭ فكان من الوحي فتح ٭ وما كان من قول الجن كسر ٭ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **المسئلة الثانية** نفر من الجن جماعة
منهم ما بين الثلاثة الى العشرة ٭ وروي انهم كانوا يهودا ٭ وذكر الحسن ان فيهم يهودا ونصارى ومجوسا
ومشركين ثم اعلم [illegible] النوع الاول [illegible]
[illegible] قرآنا عجبا [illegible] يهدي الى الرشد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] النوع الثاني [illegible] عن انفسهم الشرك [illegible]
[illegible] عن الصاحبة والولد [illegible] تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ٭ وفيه مسايل **المسئلة الاولى**
في الجد وجهان الاول الجد في اللغة العظمة يقال جد فلان اي عظم ٭ ومنه الحديث كان الرجل اذا قرا سورة البقرة
جد فينا اي جل قدره [illegible]
[illegible] عن كل نقص ٭ القول الثاني [illegible] ومنه الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيدة اي لا ينفع

[illegible]

الجواب عن الاشكالين انا اذا حملنا قوله

ذا الغنى منك غناه . وكذلك الحديث لا اخر قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء واذا اصحاب الجد محبوسون
يعني اصحاب الغنى في الدنيا فيكون المعنى وانه تعالى غني عن الاحتياج الى الصاحبة والاستئناس بالولد . وعندي فيه
قول ثالث . وهو ان جد الانسان اصله الذي منه وجوده فجعل الجد مجازا عن الاصل فقوله تعالى جد ربنا معناه تعالى
اصل ربنا واصله حقيقته المخصوصة التي لنفس تلك الحقيقة من حيث انها هي واجبة الوجود فيصير المعنى ان حقيقته
المخصوصة التي لنفس تلك الحقيقة من حيث انها هي متعالية عن جميع جهات التعلق بالغير لان الواجب لذاته يجب ان يكون
واجب الوجود من جميع جهاته . وما كان كذلك استحال ان يكون له صاحبة وولد المسئلة الثانية قرئ جدا ربنا
على التمييز . وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد . وكان هؤلاء الجن لما سمعوا القرآن
تنبهوا للفساد ما عليه كفرة الجن فرجعوا اولا عن الشرك . وثانيا عن دين النصارى النوع الثالث مما ذكره الجن قوله تعالى
وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا . السفه خفة العقل . والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره . ومنه اشط
في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط فيه واعلم انه لما كان الشطط هو مجاوزة الحد
وليس في اللفظ ما يدل على ان المراد مجاوزة الحد في جانب النفي او في جانب الاثبات فحينئذ ظهر ان كلا الامرين مذموم
فمجاوزة الحد في النفي تفضي الى التعطيل . ومجاوزة الحد في الاثبات تفضي الى التشبيه . واثبات الشريك والصاحبة
والولد . وكلا الامرين شطط ومذموم . النوع الرابع قوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا
فيه مسئلتان المسئلة الاولى معنى الاية انا انما اخذنا قول الغير لانا ظننا انه لا يقال الكذب على الله فلما سمعنا
القرآن علمنا انهم قد يكذبون . وهذا اقرار منهم بانهم انما وقعوا في تلك الجهالات بسبب التقليد وانهم انما تخلصوا
عن تلك الظلمات بسبب الاستدلال والاحتجاج المسئلة الثانية قوله كذبا لم نصب فيه وجوه . احدها
انه وصف مصدر محذوف . والتقدير لن تقول الانس والجن على الله قولا كذبا . وثانيها انه نصب نصب المصدر
لان الكذب نوع من القول . وثالثها ان من قرا ان لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعل صفة لان التقول لا يكون
الا كذبا . النوع الخامس قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فيه قولان . الاول
وهو قول جمهور المفسرين ان الرجل في الجاهلية اذا سافر فامسى في قفر من الارض قال اعوذ بسيد هذا الوادي
او بعزيز هذا المكان من شر سفهاء قومه فيبيت في جوار منهم حتى يصبح . وقال آخرون كان اهل الجاهلية اذا قحطوا
بعثوا رائدهم فاذا وجدوا مكانا فيه كلأ وماء رجع الى اهله فيناديهم فاذا انتهوا الى تلك الارض نادوا نعوذ برب
هذا الوادي من ان يصيبنا آفة يعنون الجن فان لم يفزعهم احد نزلوا وربما فزعهم الجن فهربوا . القول الثاني
المراد انه كان رجال من الانس ايضا لكن من شر الجن مثل ان يقول الرجل اعوذ برسول الله من شر جن هذا الوادي واصحاب
هذا التاويل انما ذهبوا اليه لان الرجل اسم الانس لا اسم الجن وهذا ضعيف فانه لم يقم دليل على ان الذكر من الجن لا يسمى رجلا
اما قوله فزادوهم رهقا قال المفسرون معناه زادوهم اثما وجراة وطغيانا وخطيئة وغيا وشرا كل هذا من الفاظهم
قال الواحدي الرهق غشيان الشيء . ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم . وقوله ترهقها قترة . ورجل مرهق
اي يغشاه السائلون . ويقال رهقتنا الشمس اذا قربت . والمعنى ان رجال الانس انما استعاذوا بالجن خوفا من ان
تغشاهم الجن ثم انهم زادوا في ذلك الغشيان فانهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا بالله استذلوهم واجترؤوا
عليهم فزادوهم ظلما وهذا معنى قول عطاء خبطوهم وخنقوهم . وعلى هذا القول زادوا من فعل الجن . وفي الاية قول
آخر وهو ان زادوا من فعل الانس وذلك لان الانس لما استعاذوا بالجن فالجن يزدادون بسبب ذلك التعوذ طغيانا
فيقولون سدنا الجن والانس . والقول الاول هو اللائق بمساق الاية والموافق لنظمها النوع السادس قوله تعالى
وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا اعلم ان هذه الاية والتي قبلها يحتمل ان يكونا من كلام الجن ويحتمل ان يكونا من
جملة الوحي فان كان من كلام الجن وهو الذي قاله بعضهم مع بعض كان التقدير وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن وان
كان من الوحي كان التقدير وان الانس ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش . وعلى التقديرين فالاية دلت على ان الجن كما انه كان
فيهم مشرك ويهودي ونصراني ففيهم من ينكر البعث . ويحتمل ان يكون المراد انه لا يبعث احدا للرسالة على ما هو مذهب
البراهمة واعلم ان حمله على كلام الجن اولى لان ما قبله وما بعده كلام الجن . فالقاء كلام اجنبي عن كلام الجن في البين
غير لائق . النوع السابع قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . اللمس المس فاستعير
للطلب لان الماس طالب متعرف . يقال لمسه والتمسه . ونحوه الجس يقال جسوه باعينهم وتجسسوه . والمعنى
طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها . والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد
ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا . النوع الثامن قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له

قولا

شهابا رصدا

شهابا رصدا . اي كنا نستمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب . وفي قوله شهابا رصدا وجوه . احدها قال مقاتل
يعني رميا من الشهب . ورصدا من الملائكة . وعلى هذا يجب ان يكون التقدير شهابا ورصدا لان الرصد غير الشهاب
وهو جمع راصد . وثانيها قال الفراء اي شهابا قد ارصد له ليرجم به . وعلى هذا الرصد نعت للشهاب وهو فعل بمعنى
مفعول . وثالثها يجوز ان يكون رصدا اي راصدا . وذلك لان الشهاب لما كان معدا له فكان الشهاب راصدا
له ومترصدا له . واعلم انا قد استقصينا في هذه المسئلة في تفسير قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين . فان قيل هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث . ويدل عليه امور . احدها
ان جميع الفلاسفة المتقدمين تكلموا في اسباب انقضاض هذه الشهب . وذلك يدل على انها كانت موجودة قبل
المبعث . وثانيها قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ذكر في خلق الكواكب فائدتين
التزيين ورجم الشياطين . وثالثها ان وصف هذا الانقضاض جاء في شعر اهل الجاهلية قال اوس بن حجر
وانقض كالدري يتبعه . نقع يثور تخاله طنبا . وقال عوف بن الخرع شعر . يرد علينا العير من دون الفه
او الثور كالدري يتبعه الدم روى عن علي بن الحسين عن ابن عباس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار
اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم
الحديث الى آخره ذكرناه في تفسير قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح . قالوا فثبت بهذه الوجوه ان هذه الشهب كانت
موجودة قبل المبعث فما معنى تخصيصها بمحمد عليه الصلاة والسلام . والجواب مبني على مقامين المقام الاول
ان هذه الشهب ما كانت موجودة قبل المبعث وهذا قول ابن عباس وابي بن كعب روي عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء
يستمعون الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا . اما الكلمة فانها تكون حقة . واما الزيادات فتكون باطلة . فلما بعث
النبي صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا امر حدث في الارض
فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي الحديث الى آخره . قال ابي بن كعب لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بها فرأت قريش امرا ما راوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون انعامهم ويعتقون رقابهم يظنون
انه الفناء فبلغ ذلك بعض اكابرهم فقال لم تفعلون ما ارى فقالوا رمي بالنجوم فرايناها تتهافت من السماء فقال اصبروا فان تكن
نجوما معروفة فهو وقت فناء الناس وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر حدث فنظروا فاذا هي لا تعرف فاخبروه فقال في الامر مهلة
وهذا عند ظهور نبي فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم ابو سفيان على امواله فاخبروا اولئك الاقوام بانه ظهر محمد بن عبد الله
ويدعي انه نبي مرسل . وهؤلاء زعموا ان كتب الاوائل قد توالت عليها التحريفات فلعل المتاخرين الحقوا هذه المسئلة بها
طعنا منهم في هذه المعجزة . وكذا الاشعار المنسوبة الى اهل الجاهلية لعلها مختلقة عليهم ومنحولة المقام الثاني وهو
الاقرب الى الصواب ان هذه الشهب كانت موجودة قبل المبعث الا انها زيدت بعد المبعث وجعلت اكمل واقوى . وهذا هو
الذي يدل عليه لفظ القرآن لانه قال فوجدناها ملئت ~~وهذا هو الذي يدل عليه لفظ القرآن~~ وهذا يدل على ان الحادث هو
الملء والكثرة . وكذلك قوله كنا نقعد منها مقاعد اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب . والآن ملئت المقاعد
كلها فعلى هذا الذي حمل الجن على الضرب في البلاد وطلب السبب انما هو كثرة الرجم . ومنع الاستراق بالكلية . النوع التاسع
قوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا . فيه قولان . احدهما انا لا ندري ان
المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام صلاح وخير . والثاني لا ندري ان المقصود من ارسال محمد الذي
عنده منع من الاستراق هو ان يكذبوه فيهلكوا كما هلك من كذب من الامم ام اراد ان يؤمنوا فيهتدوا . النوع العاشر قوله
تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا اي منا الصالحون المتقون . ومنا دون ذلك اي ومنا قوم دون
ذلك . فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم . المراد بالذين هم دون الصالحين من فيه قولان . الاول انهم المقتصدون
الذين يكونون في الصلاح غير كاملين . والثاني ان المراد من لا يكون كاملا في الصلاح فيدخل فيه المقتصدون والكافرون
القدد جمع قدة كالقطعة من قطع . ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق . وفي تفسير الاية وجوه
احدها المراد كنا ذوي طرائق قددا اي ذوي مذاهب مختلفة قال السدي الجن امثالكم فيهم مرجئة وقدرية وروافض وخوارج
وثانيها كما في اختلاف احوال الناس مثل الطرائق المختلفة . وثالثها كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق
واقامة الضمير المضاف اليه مقامه . النوع الحادي عشر قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا .
الظن بمعنى اليقين . وفي الارض وهربا فيه وجهان . الاول انهما حالان اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين
منها الى السماء . والثاني لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا . ولن نعجزه هربا ان طلبنا . النوع الثاني عشر قوله تعالى وانا
لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا . لما سمعنا الهدى اي القرآن . قال تعالى هدى للمتقين

تفسير

انا كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب

آمنا به اى آمنا بالقرآن فلا يخاف فهو لا يخاف اى فهو غير خايف وعلى هذا فيكون الكلام فى تقدير جملة على المبتدا والخبر
ادخل الفا عليهما ليصير جزا للشرط الذى تقدمها ولو لا ذلك لقيل لا يخف فان قيل اى فايدة فى رفع الفعل وتقدير
مبتدا قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفا وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف قلنا الفايدة فيه
انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق ان المومن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره
لان قوله فهو لا يخاف معناه ان غيره يكون خايفا وقرا الاعمش فلا يخف **قوله تعالى** بخسا ولا رهقا الرهق الظلم
ثم فيه وجهان الاول لا يخاف جزا بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا ظلم احدا فلا يخاف جزاهما الثانى لا يخاف
ان يبخس بل يقطع بانه يجزى الجزا الاوفى ولا يخاف ان ترهقه ذلة من قوله ترهقهم ذلة **النوع الثالث عشر قوله تعالى**
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا القاسط الجاير والمقسط العادل وذكرنا
معنى قسط واقسط فى اول سورة النسا فالقاسطون الكافرون الجايرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير
ان الحجاج قال له حين اراد قتله ما تقول فى قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط
والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سمانى ظالما مشركا وتلا لهم قوله واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون تحروا رشدا اى قصدوا طريق الحق قال ابو عبيدة تحروا توخوا قال المبرد اصل التحرى من قولهم
ذلك احرى اى احق واقرب وبالحرى ان يفعل كذا اى يجب عليك ثم ان الجن ذموا الكافرين فقالوا واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا وفيه سوالان الاول انه ذكر عقاب القاسطين ولم يذكر ثواب المسلمين الجواب بل ذكر ثواب
المومنين وهو قوله تحروا رشدا اى توخوا رشدا عظيما لا يبلغ كنهه الا الله تعالى ومثل هذا لا يتحقق الا فى الثواب
السوال الثانى الجن مخلوقون من النار فكيف يكونون حطبا للنار الجواب انهم وان خلقوا من النار لكنهم تغيروا عن
تلك الكيفية وصاروا لحما ودما هكذا قيل وها هنا آخر كلام الجن **قوله تعالى** وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم
ما غدقا من جملة الموحى اليه والتقدير قل اوحى الى انه استمع نفر وان لو استقاموا فيكون هذا هو النوع الثانى مما اوحى
اليه وها هنا مسايل **المسئلة الاولى** ان مخففة من الثقيلة والمعنى واوحى الى ان الشان والحديث لو استقاموا
لكان كذا وكذا قاله الواحدى وفصل لو بينها وبين الفعل كفصل لا والسين فى قوله ان لا يرجع اليهم قولا وعلم ان سيكون
**المسئلة الثانية** الضمير فى قوله استقاموا الى من يرجع فيه قولان قال بعضهم الى الجن الذين تقدم ذكرهم
ووصفهم اى هولا القاسطون لو آمنوا لفعلنا بهم كذا وكذا وقال آخرون بل المراد الانس واحتجوا عليه بوجهين
الاول ان الترغيب فى الانتفاع بالما الغدق انما يليق بالانس لا بالجن والثانى ان هذه الاية انما نزلت بعد ما حبس الله
المطر عن اهل مكة سنين اقصى ما فى الباب انه لم يتقدم ذكر الانس ولكنه لما كان ذلك معلوما جرى مجرى قوله انا انزلناه
فى ليلة القدر وقال القاضى الاقرب ان الكل يدخلون فيه واقول يمكن ان يحتج لصحة قول القاضى بانه تعالى لما اثبت
حكما معللا بعلة وهو الاستقامة فوجب ان يعم الحكم لعموم العلة **المسئلة الثالثة** الغدق بفتح الدال وكسرها الما
الكثير وقرى بهما يقال غدقت العين بالكسر فهى غدقة وروضة مغدقة اى كثيرة الما ومطر مغدق واغدق المطر واغدق
اذا كان كثير الما وفى المراد بالما الغدق فى هذه الاية ثلاثة اقوال احدها انه الغيث والمطر والثانى وهو قول
ابى مسلم انه اشارة الى الجنة كما قال جنات تجرى من تحتها الانهار وثالثها انه المنافع والخيرات جعل الما كناية عنها
لان الما اصل الخيرات كلها فى الدنيا **المسئلة الرابعة** ان قلنا الضمير فى قوله استقاموا راجع الى الجن كان فى الاية
قولان احدهما لو استقام الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله ولم يستكبر
عن السجود لادم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ونظيره قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا
وقوله ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
وقوله فقلت استغفروا ربكم الى قوله يمددكم باموال وبنين وانما ذكر الما كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع فان اللايق
بالجن هو هذا الما المشروب والثانى ان يكون المعنى وان لو استقام الجن الذين استمعوا القرآن على طريقتهم التى كانوا
عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق ونظيره قوله تعالى ولولا ان يكون الناس
امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة واختار الزجاج الوجه الاول قال لانه تعالى
ذكر الطريقة معرفة بالالف واللام فتكون راجعة الى الطريقة المعروفة المشهورة وهى طريقة الهدى والذاهبون
الى التاويل الثانى استدلوا عليه بقوله لنفتنهم فيه فهو كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما ويمكن
الجواب عنه بان من آمن فانعم الله عليه كان ذلك الانعام ايضا ابتلاء واختبارا حتى انه هل يظهر انه يشتغل
بالشكر ام لا وهل ينفقه فى طلب مراضى الله او فى مراضى الشهوة والشيطان واما الذين قالوا الضمير عايد

الى الانس



الى الانس فالوجهان عايدان فيه بعينه وها هنا يكون آخر قوله لاسقيناهم ما غدقا على ظاهره اولى لان انتفاع الانس
بذلك اتم واكمل **المسئلة الخامسة** احتج اصحابنا بقوله لنفتنهم على انه تعالى يضل عباده والمعتزلة اجابوا
بان الفتنة هى الاختبار كما يقال فتن الذهب بالنار لا خلق الضلال واستدلت المعتزلة باللام فى قوله لنفتنهم على
انه تعالى انما يفعل لغرض واصحابنا اجابوا بان الفتنة بالاتفاق ليست مقصودة فدلت هذه الاية على ان اللام ليست
للغرض فى حق الله **قوله تعالى** ومن يعرض عن ذكر ربه اى عن عبادته او عن موعظته او عن وحيه يسلكه وقرئ
بالنون مفتوحة ومضمومة اى ندخله عذابا والاصل نسلكه فى عذاب كقوله ما سلككم فى سقر الا ان هذه العبارة
ايضا مستقيمة لوجهين الاول ان يكون التقدير نسلكه فى عذاب ثم حذف الجار واوصل الفعل كقوله واختار موسى
قومه والثانى ان يكون معنى نسلكه ندخله يقال سلكه واسلكه والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف
به العذاب لانه يتصعد طاقة المعذب اى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر ما تصعدنى شى ما تصعدتنى خطبة
النكاح يريد ما شق على ولا غلبنى وفيه قول آخر وهو ما روى عكرمة عن ابن عباس ان صعدا جبل فى جهنم وهو صخرة
ملسا فيكلف الكافر صعودها ثم يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ اعلاها فى اربعين سنة
فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف الصعود مرة اخرى فهذا دابه ابدا ونظير هذه الاية قوله سارهقه صعودا
**النوع الثالث عشر** من جملة الموحى **قوله تعالى** وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا فيه مسايل **المسئلة الاولى**
التقدير قل اوحى الى ان المساجد لله ومذهب الخليل ان التقدير ولان المساجد لله فلا تدعوا فعلى هذا اللام متعلقة بلا
تدعوا اى فلا تدعوا مع الله احدا فى المساجد لانها لله خاصة ونظيره قوله وان هذه امتكم على معنى ولان هذه امتكم
امة واحدة وانا ربكم فاعبدون اى لاجل هذا المعنى فاعبدون **المسئلة الثانية** اختلفوا فى المساجد على وجوه
احدها وهو قول الاكثرين انها المواضع التى بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها الكنايس والبيع ومساجد المسلمين
وذلك ان اهل الكتاب يشركون فى صلاتهم فى البيع والكنايس فامر الله المسلمين بالاخلاص والتوحيد وثانيها قال
الحسن اراد بالمساجد البقاع كلها قال عليه السلام جعلت لى الارض مسجدا كانه تعالى قال الارض كلها مخلوقة لله تعالى
فلا تسجدوا عليها لغير خالقها وثالثها روى عن الحسن ايضا انه قال المساجد هى الصلوات فالمساجد على هذا القول
على هذا القول جمع مسجد بفتح الجيم والمسجد على هذا القول مصدر بمعنى السجود ورابعها قال سعيد بن جبير المساجد
الاعضا التى يسجد العبد عليها وهى سبعة القدمان والركبتان واليدان والوجه وهذا القول اختيار ابن الانبارى
قال لان هذه الاعضا هى التى يقع السجود عليها وهى مخلوقة لله تعالى فلا ينبغى ان يسجد العاقل عليها لغير الله تعالى وعلى هذا القول
معنى المساجد مواضع السجود من الجسد واحدها مسجد بفتح الجيم وخامسها قال عطا عن ابن عباس يريد بالمساجد مكة يجمع
ما فيها من المساجد وذلك لان مكة قبلة الدنيا وكل احد يسجد اليها قال الواحدى وواحد المساجد على الاقوال كلها مسجد بفتح
الجيم الا على قول من يقول انها المواضع التى بنيت للصلاة فان واحدها بكسر الجيم لان المواضع والمصادر كلها من هذا الباب بفتح
العين الا فى احرف معدودة وهى المسجد والمطلع والمنسك والمسكن والمنبت والمفرق والمسقط والمجزر والمحشر والمشرق
والمغرب وقد جا فى بعضها الفتح وهو المنسك والمسكن والمفرق والمطلع وهو جايز فى كلها وان لم يسمع والله اعلم
**المسئلة الثالثة** قال الحسن من السنة اذا دخل الرجل المسجد ان يقول لا اله الا الله لان قوله لا تدعوا
مع الله احدا فى ضمنه امر بذكر الله ودعايه **النوع الرابع عشر** من جملة الموحى **قوله تعالى** وانه لما قام عبد
الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا اعلم ان عبد الله هو النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الجميع ثم قال الواحدى
ان هذا من كلام الجن لا من جملة الموحى لان الرسول لا يليق به ان يحكى عن نفسه بلفظ المغايبة وهذا غير بعيد كما فى قوله
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا والاكثرون على انه من جملة الموحى اذ لو كان من كلام الجن لكان ما ليس من كلام الجن
فى خلال ما هو كلام الجن مخلا بعيدا عن سلامة النظم وفايدة هذا الاختلاف ان من جعله من جملة الموحى فالضمير
من قوله كادوا الى من يعود فيه ثلاثة اوجه احدها الى الجن ومعنى قام يدعوه اى قام يعبده يعنى قيامه بصلاة الفجر
حين اتاه الجن فاستمعوا القرآن كادوا يكونون عليه لبدا اى يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا من عبادته واقتدا
اصحابه به قايما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا مثله والثانى
لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبد الله وحده مخالفا للمشركين فى عبادتهم الاوثان كاد المشركون لتظاهرهم عليه
وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه والثالث وهو قول قتادة لما قام عبد الله تلبدت الانس والجن وتظاهروا
عليه ليبطلوا الحق الذى جا به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان ينصره ويظهره على من ناواه واما على قول من قال انه
من كلام الجن فالوجهان ايضا عايدان فيه وقوله لبدا فهو جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض [illegible]

يريد بالمساجد مكة يجمع ما بها من المساجد

والمجلس

بعضه كل شي الصقته بشي الصاقا شديدا فقد لبدته • ومنه اشتقاق هذه اللبود التي تفرش • ويقال اللبدة
الاسد لما يتلبد من الشعر بين كتفيه • ومنه قول زهير • له لبد اظفاره لم تقلم • وقرئ لبدا بضم اللام والبدة
في معنى اللبدة • وقرئ لبدا ايضا بضم اللام والباء جمع لبود كصبر جمع صبور • فان قيل لم سمى محمدا بعبد الله وما ذكره
برسول الله او نبي الله • قلنا لانه ان كان هذا الكلام من جملة الموحى فاللائق بتواضع الرسول ان يذكر نفسه بالعبودية
وان كان من كلام الجن كان المعنى ان عبد الله لما اشتغل بعبودية الله فهؤلاء الكفار لم اجتمعوا او لم جاؤوا • ولم منعه
منه مع ان ذلك هو الموافق لما توافقت العقول **قوله تعالى** انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا • قراءة العامة على الغيبة
قال وقراءة حمزة وعاصم قل حتى يكون نظرا لما بعده وهو قوله اني لا املك قل اني لن يجيرني قال مقاتل ان كفار مكة قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم • وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فانزل الله قل انما ادعو ربي وهذا
حجة لعاصم وحمزة • ومن قرأ قال حمل ذلك على ان القوم لما قالوا ذلك اجابهم النبي عليه الصلاة والسلام بقوله انما ادعو
ربي فحكى الله ذلك عنه بقوله قال او يكون ذلك من بقية حكاية الجن احوال الرسول لقومه **قوله تعالى** قل اني
لا املك لكم ضرا ولا نفعا • اما ان يفسر الرشد بالنفع حتى يكون تقدير الكلام لا املك لكم غيا ولا رشدا • ويدل عليه قراءة ابي
غيا ولا رشدا • ومعنى الكلام ان النافع والضار والمرشد والمغوي هو الله وان احدا من الخلق لا قدرة له عليه **قوله**
قل اني لن يجيرني من الله احد • قال مقاتل انهم قالوا اترك ما تدعو اليه ونحن نجيرك فقال الله له قل اني لن يجيرني من الله
احد • ثم قال ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجأ وحرزا قال المبرد ملتحدا مثل قولك منعرجا • والتحد معناه في اللغة مال
فالملتحد المدخل من الارض مثل السرب الذاهب في الارض **قوله تعالى** الا بلاغا من الله ذكروا في الاستثناء وجوها احدها
انه استثناء من قوله لا املك اي لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا من الله وقوله قل اني لن يجيرني جملة معترضة
اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عنه وبيان عجزه على معنى انه تعالى ان اراد به سوءا لم يقدر احد ان يجيره منه
وهذا قول الفراء • وثانيها وهو قول الزجاج انه نصب على البدل من قوله ملتحدا والمعنى ولن اجد من دونه منجا الا
بلاغا اي لا ينجيني الا ان ابلغ عن الله ما ارسلت به • واقول هذا الاستثناء منقطع لانه تعالى لم يقل ولن اجد من دونه
ملتحدا • بل البلاغ من الله لا يكون من دون الله بل يكون من الله وباعانته وتوفيقه • وثالثها قال بعضهم الا معناه ان لا
ومعناه ان لا ابلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا والمعنى ان لا ابلغ لم اجد ملتحدا • فان قيل المشهور انه يقال بلغ عنه
قال عليه الصلاة والسلام بلغوا عني بلغوا عني فلم قال ههنا بلاغا من الله • قلنا من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من
في قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله **اما قوله تعالى** ورسالاته فهو عطف على بلاغا كانه قال لا املك
لكم الا التبليغ والرسالات • والمعنى الا ان ابلغ عن الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني
بها من غير زيادة ولا نقصان **قوله تعالى** ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم • قال الواحدي ان مكسورة الهمزة
لانها بعد فاء الجزاء موضع ابتداء • ولذلك حمل سيبويه قوله ومن عاد فينتقم الله منه • ومن كفر فامتعه • ومن يؤمن
بربه فلا يخاف على ان المبتدأ فيها مضمر وقال صاحب الكشاف • وقرئ فان له نار جهنم كقوله فان لله خمسه اي فحكمه
ان لله خمسه **ثم قال تعالى** خالدين حملا على معنى الجمع في من • وفي الآية مسئلتان **المسئلة الاولى** استدل
جمهور المعتزلة بهذه الآية على ان فساق اهل الصلاة مخلدون في النار وان هذا العموم يشملهم كشموله للكفار
قالوا والوعيد [illegible] ان لا يكون هناك توبة [illegible] الدلالة
على هذا المطلوب من سائر العمومات [illegible] ابدا [illegible] ههنا الا لفظ
الابد يكون للتصريح في اسقاط الاحتمال [illegible] والجواب انا بينا في سورة البقرة وجوه
الاجوبة عن التمسك بهذه العمومات ونزيد ههنا وجوها احدها ان تخصيص العموم بالواقعة التي لاجلها
ورد [illegible]
[illegible]
[illegible] ثم قال ومن يعص الله ورسوله [illegible] سقط وجه الاستدلال
الوجه الثاني [illegible]
[illegible]
والعقوبة المرتبة على اعظم الذنوب [illegible] جميع الذنوب المتقاربة في الصغر والكبر لا يجوز [illegible]
متساوية في العقوبة • واذا ثبت [illegible] عقوبة [illegible] هذا الذنب [illegible]
لا يجوز ان يكون عقوبة [illegible] علمنا ان هذا الحكم مختص بهذا الذنب وغير متعد الى سائر الذنوب • الوجه

الثالث

الثالث وهو انه تعالى ذكر عمومات الوعيد في سائر آيات القرآن غير مقيدة بقيد الابد • وذكرها ههنا مقيدا بقيد الابد
فلا بد في هذا التخصيص من سبب ولا سبب الا ان هذا الذنب اعظم الذنوب • واذا كان السبب في هذا التخصيص هذا
المعنى علمنا ان هذا الوعيد مختص بهذا الذنب وغير متعد الى جميع الذنوب • واذا ثبت ان هذا الوعيد مختص
بفاعل هذا الذنب صارت الآية دالة على ان حال سائر المذنبين بخلاف ذلك لان قوله فان له نار جهنم ابدا معناه ان هذه
الحالة له لا لغيره • وهذا كقوله لكم دينكم اي لكم لا لغيركم • واذا ثبت ان لهم هذه الحالة لا لغيرهم وجب في سائر
المذنبين ان لا يكون لهم نار جهنم على سبيل التابيد فظهر ان هذه الآية حجة لنا عليهم • وعلى تمسكهم بالآية سؤال آخر
وهو ان قوله ومن يعص الله ورسوله انما يتناول من عصى الله ورسوله بجميع المعاصي وذلك هو الكافر • ونحن نقول
بان الكافر يبقى في النار مؤبدا • وانما قلنا ان قوله ومن يعص الله انما يتناول من عصى الله بجميع انواع المعاصي
لان قوله ومن يعص الله يصح ان يستثنى منه جميع انواع المعاصي عنه مثل ان يقال ومن يعص الله الا في الكفر والا
في الزنا والا في شرب الخمر • ومن مذهب القائلين بالوعيد ان حكم الاستثناء اخراج ما لولاه لكان داخلا تحت اللفظ واذا كان
كذلك وجب ان يكون قوله ومن يعص الله متناولا لمن اتى بكل المعاصي • والذي يكون كذلك هو الكافر فالآية مختصة
بالكافر على هذا التقدير فسقط وجه الاستدلال بها • فان قيل كون الانسان آتيا بجميع المعاصي محال لانه من المحال
ان يكون قائلا بالتجسيم وان يكون مع ذلك قائلا بالتعطيل • واذا كان ذلك محالا فحمل الآية عليه غير جائز • قلنا تخصيص
العام بدليل العقل جائز فقولنا ومن يعص الله يفيد كونه آتيا بجميع انواع المعاصي ترك العمل به في القدر الذي امتنع عقلا
حصوله فيبقى متناولا للآتي بجميع الاشياء التي يمكن الجمع بينها • ومن المعلوم ان الجمع بين الكفر وغيره ممكن فتكون الآية مختصة به
**المسئلة الثانية** تمسك القائلون بان الامر للوجوب بهذه الآية فقالوا تارك المأمور به عاص لقوله تعالى افعصيت
امري لا يعصون الله ما امرهم لا اعصي لك امرا • والعاصي مستحق للعقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
**قوله تعالى** حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا • فان قيل ما الشيء الذي جعل ما بعد حتى
غاية له • قلنا فيه وجهان • الاول انه متعلق بقوله يكونون عليه لبدا • والتقدير انهم يتظاهرون عليه بالعداوة
ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا رأوا ما يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم او من يوم القيمة
فسيعلمون انهم اضعف ناصرا واقل عددا • الثاني انه متعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم
لعدده كانه قيل هؤلاء لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا كان كذا كان كذا • واعلم ان نظير هذه الآية قوله تعالى في سورة مريم
حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة • واعلم ان الكافر لا ناصر له ولا شفيع يوم القيمة على ما قال ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع ولا يشفعون الا لمن ارتضى ويفر كل احد منهم من صاحبه على ما قال يوم يفر المرء من اخيه الى آخره • ويوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها • واما المؤمنون فلهم العزة والكرامة قال تعالى والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والملك القدوس يسلم عليهم سلام قولا من رب رحيم فحينئذ يظهر ان القوة والعدد
في جانب المؤمنين او في جانب الكفار **قوله تعالى** قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا • قال مقاتل
لما سمعوا قوله حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا قال النضر بن الحارث متى يكون هذا الذي
توعدنا به فانزل الله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون الى آخره • والمعنى ان وقوعه متيقن • اما وقت وقوعه فغير
معلوم • وقوله ام يجعل له ربي امدا اي غاية وبعدا وهذا كقوله قل ان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون • فان قيل
اليس انه قال بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيمة فكيف قال ههنا لا ادري اقريب ام بعيد • قلنا
المراد بقرب وقوعه هو ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم • واما معرفة القرب القريب
وعدم ذلك فغير معلوم **ثم قال تعالى** عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول لفظة من في من رسول
تبيين لمن ارتضى • يعني انه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي يكون رسولا قال صاحب الكشاف • وفي هذا ابطال للكرامات
لان الذين تضاف الكرامات اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب
وفيها ايضا ابطال الكهانة والسحر والتنجيم لان اصحابها ابعد شيء من الارتضاء وادخله في السخط قال الواحدي • وفي هذا
دليل على ان من ادعى ان النجوم تدل على ما يكون من حياة او موت او غير ذلك فقد كفر بما في القرآن • واعلم ان الواحدي يجوز
الكرامات وان يلهم الله اولياءه وقوع بعض الوقايع في المستقبل ونسبة الآية الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة
على المنع من احكام النجوم فينبغي ان يجعلها دالة على المنع من الكرامات على ما قاله صاحب الكشاف وان زعم انها لا تدل على المنع
من الالهامات الحاصلة للاولياء فينبغي ان لا يجعلها دالة على المنع من الدلائل النجومية فاما القول بدلالتها على المنع من
الاحكام النجومية وعدم دلالتها على الهامات الاولياء فمجرد التشهي • وعندي ان الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه والذي

واما المؤمنون فلهم العزة والكرامة

يدل عليه ان قوله على غيبه ليس فيه صيغة عموم فيكفي في العمل بمقتضاه ان لا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيمة فيكون المراد من الاية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب لاحد فلا يبقى في الاية دلالة على انه لا يظهر شيا من الغيوب لاحد • والذي يؤكد هذا التاويل انه تعالى انما ذكر هذه الاية عقيب قوله ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا يعني لا ادري وقت وقوع القيمة • ثم قال بعده عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا اي وقت وقوع القيمة من الغيب الذي لا يظهره الله لاحد • وبالجملة فقوله على غيبه لفظ مفرد مضاف فيكفي في العمل به حمله على غيب واحد فاما العموم فليس في اللفظ دلالة عليه • فان قيل فاذا حملتم ذلك على القيمة فكيف قال الا من ارتضى من رسول مع انه لا يظهر هذا الغيب لاحد من رسله • قلنا بل يظهره عند القرب من اقامة القيمة وكيف لا وقد قال ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا ولا شك ان الملئكة يعلمون في ذلك الوقت قيام القيمة • وايضا يحتمل ان يكون هذا الاستثنا منقطعا كانه قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه المخصوص وهو قيام القيمة احدا • ثم قال بعده الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر مردة الانس والجن لانه تعالى انما ذكر هذا الكلام جوابا لسؤال من سأله عن وقت وقوع القيمة على سبيل الاستهزا به والاستحقار لدينه ومقالته • واعلم انه لا بد من القطع بانه ليس مراد الله من هذه الاية ان لا يطلع احدا على شي من المغيبات الا الرسل • والذي يدل عليه وجوه • احدها انه ثبت بالاخبار القريبة من التواتر ان شقا وسطيحا كانا كاهنين يخبران بظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل زمان ظهوره وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم حتى رجع اليهما كسرى في تعرف اخبار رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فثبت ان الله تعالى قد يطلع غير الرسل على شي من الغيب • وثانيها ان ارباب الملل والاديان مطبقون على صحة علم التعبير وان المعبر قد يخبر عن وقوع الوقايع الاتية في المستقبل ويكون صادقا فيه • وثالثها ان الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملك شاه من بغداد الى خراسان • وسالها عن الاحوال الاتية في المستقبل فذكرت اشيا • ثم انها وقعت على وفق كلامها قال مصنف هذا الكتاب ختم الله له بالحسنى • وانا قد رايت اناسا محققين في علم الكلام والحكمة حكوا عنها انها اخبرت عن الاشيا الغايبة اخبارا على سبيل التفصيل • وجاءت تلك الوقايع على وفق خبرها • وبالغ ابو البركات في كتاب المعتبر في شرح حالها وقال لقد تفحصت عن حالها مدة ثلثين سنة حتى تيقنت انها كانت تخبر عن المغيبات اخبارا مطابقا • ورابعها انا نشاهد اصحاب الالهامات الصادقة وليس هذا مختصا بالاوليا بل قد يوجد في السحرة ايضا من يكون كذلك ونرى الانسان الذي يكون ملهم الغيب على درجة طالعه يكون كذلك في كثير من اخباره وان كان قد يكذب ايضا في اكثر تلك الاخبار ونرى الاحكام النجومية قد تكون مطابقة موافقة للامور وان كانوا قد يكذبون في كثير منها واذا كان ذلك مشاهدا محسوسا فالقول بان القران يدل على خلافه مما يجر الطعن الى القران وذلك باطل فعلمنا ان التاويل الصحيح ما ذكرناه والله اعلم اما قوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا • فالمعنى انه يسلك من بين يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصدا اي حفظة من الملئكة يحفظونه من وساوس شياطين الجن وتخاليطهم حتى يبلغ ما اوحي به اليه ومن زحمة شياطين الانس حتى لا تضره ولا يؤذوه • وعن الضحاك ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين الذين يتشبهون بصورة الملك • قوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم • فيه مسايل • المسئلة الاولى وحد الرسول في قوله الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه • ثم جمع في قوله ان قد ابلغوا رسالات ربهم ونظيره ما تقدم من قوله فان له نار جهنم خالدين فيها • المسئلة الثانية • احتج من قال بحدوث علم الله تعالى بهذه الاية لان معنى الاية ليعلم الله ان قد ابلغوا [illegible] • الاول قال قتادة ومقاتل ليعلم محمد ان الرسل قد ابلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة • وعلى هذا اللام في قوله ليعلم متعلق بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل [illegible] ليعلم ان الرسل قبله كانوا على مثل حالته [illegible] ويجوز ان يكون المعنى ليعلم الرسول ان قد ابلغوا [illegible] رسالات ربهم [illegible] • الثاني [illegible] • المسئلة الثالثة • قوله تعالى واحاط بما لديهم واحصى كل شي عددا • اما قوله واحاط بما لديهم [illegible] واحصى كل شي عددا فيدل على كونه عالما بالجزئيات [illegible] بجميع الموجودات • فان قيل احصا العدد انما يكون في المتناهي • فاما لفظة كل شي فانها تدل على كونه غير متناه • فيلزم وقوع التناقض في الاية • قلنا لا شك ان احصا العدد انما يكون في المتناهي • فاما لفظة كل شي فلا تدل على كونه غير متناه لان الشي عندنا هو الموجودات والموجودات متناهية في العدد • وهذه الاية احدى ما يحتج به على ان المعدوم

ليس بشي وذلك لان المعدوم لو كان شيا لكانت الاشيا غير متناهية • وقوله احصى عددا يقتضي كون تلك المحصيات متناهية فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية • وذلك محال فوجب القطع بان المعدوم ليس بشي حتى يندفع التناقض

والله اعلم

## سورة المزمل عشرون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى يا ايها المزمل • فيه مسئلتان • المسئلة الاولى اجمعوا على ان المراد بالمزمل النبي صلى الله عليه وسلم • واصله المتزمل بالتا وهو الذي يتزمل في ثيابه اي يتلفف بها فادغم التا في الزا • اي ونحوه المدثر في المتدثر • واختلفوا في انه لم تزمل بثوبه على وجوه • احدها قال ابن عباس اول ما جاءه جبريل عليه السلام خاف وظن ان به مسا من الجن فرجع من الجبل مرتعدا وقال زملوني فبينا هو كذلك اذ جاءه جبريل وناداه وقال يا ايها المزمل • وثانيها قال الكلبي انما تزمل النبي صلى الله عليه وسلم بثيابه للتهيؤ للصلاة وهو اختيار الفرا • وثالثها انه عليه الصلاة والسلام كان نايما بالليل متزملا في قطيفة • فنودي بما يهجن تلك الحالة • وقيل يا ايها النايم المتزمل بثوبه قم واشتغل بالعبودية • ورابعها انه كان متزملا في مرط لعايشة مستترا بها • فقيل له يا ايها المزمل قم الليل كانه قيل اترك نصيب النفس واشتغل بالعبودية • وخامسها قال عكرمة يا ايها الذي تزمل امرا عظيما اي حمله • والزمل الحمل وازدمله احتمله • المسئلة الثانية قرا عكرمة المزمل والمدثر بتخفيف الزاي والدال • وتشديد الميم والثا على انه اسم فاعل او مفعول • فان كان على اسم الفاعل كان المفعول محذوفا • والتقدير يا ايها المزمل نفسه والمدثر • وحذف المفعول في مثل هذا المقام فصيح • قال تعالى واوتيت من كل شي اي اوتيت من كل شي شيا • وان كان على انه اسم المفعول كان ذلك لانه زمل نفسه • وزمله غيره • وقرى يا ايها المتزمل على الاصل قوله تعالى قم الليل • فيه مسئلتان • المسئلة الاولى قال ابن عباس ان قيام الليل كان فريضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله قم الليل وظاهر الامر للوجوب ثم نسخ • واختلفوا في سبب النسخ على وجوه • اولها انه كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بها • وثانيها انه تعالى لما قال قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه وكان الرجل لا يدري كم صلى وكم بقي من الليل فكان يقوم الليل كله مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى ورمت اقدامهم وسوقهم فنسخ الله تعالى ذلك بقوله في اخر هذه السورة فاقرؤا ما تيسر منه وذلك في صدر الاسلام • ثم قال ابن عباس كان بين انزال هذا الايجاب وبين نسخه سنة • وقال في رواية اخرى ان ايجاب هذا كان بمكة ونسخه كان بالمدينة • ثم نسخ هذا القدر ايضا بالصلوات الخمس • والفرق بين هذا القول والقول الاول نسخ ايجاب التهجد بايجاب الصلوات الخمس ابتدا وقال بعض العلما التهجد ما كان واجبا قط والدليل عليه وجوه • اولها قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك فبين ان التهجد نافلة له لا فرض واجاب ابن عباس عنه بان المعنى زيادة وجوب عليك • وثانيها ان التهجد لو كان واجبا على الرسول لوجب على امته لقوله فاتبعوه وورود النسخ على خلاف الاصل • وثالثها استدل بعضهم على عدم الوجوب بانه تعالى قال نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ففوض ذلك الى راي المكلف وما كان كذلك لا يكون واجبا وهذا ضعيف لانه لا يبعد في العقل ان يقول اوجبت عليك قيام الليل • فاما تقديره بالقلة والكثرة فذاك مفوض الى رايك • ثم ان القايلين بعدم الوجوب اجابوا عن التمسك بقوله قم الليل فقالوا ظاهر الامر يفيد الندب لانا راينا اوامر الله تعالى تارة يفيد الندب وتارة يفيد الايجاب فلا من جعلها مفيدة للقدر المشترك بين الصورتين دفعا للاشتراك والمجاز وما ذاك الا ترجيح جانب الفعل على جانب الترك • واما جواز الترك فانه ثابت بمقتضى الاصل • فلما حصل الرجحان بمقتضى الامر وحصل جواز الترك بمقتضى الاصل كان ذلك هو المندوب والله اعلم المسئلة الثانية قرا ابو السماك قم الليل بفتح الميم وغيره بضم الميم قال ابو الفتح ابن جني الغرض من هذه الحركة الهرب من التقا الساكنين فباي الحركات تحرك فقد حصل الغرض وحكي قطرب عنهم قم الليل وقل الحق وبع الثوب • ثم قال من كسر فعلى اصل الباب • ومن ضم اتبع • ومن فتح فقد مال الى خفة الفتح قوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه • اعلم ان الناس قد اكثروا في تفسير هذه الاية • وعندي فيه وجهان • الاول ان المراد بقوله الا قليلا الثلث • والدليل عليه قوله تعالى في اخر هذه السورة ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه • فهذه الاية دلت على ان اكثر المقادير الواجبة الثلثان • فهذا يدل على ان نوم الثلث جايز • واذا كان كذلك وجب ان يكون المراد بالقليل في قوله قم الليل الا قليلا هو الثلث فاذن قوله قم الليل معناه قم ثلثي الليل • ثم قال نصفه والمعنى او قم نصفه • وكما تقول جالس الحسن جالس ابن سيرين اي جالس ذا او ذا ايهما شيت فيحذف واو العطف • فتقدير الاية قم الثلثين قم النصف او انقص من النصف او زد عليه فعلى هذا يكون

الثلثان اقصى الزيادة ويكون الثلث اقصى النقصان فيكون الواجب هو الثلث والزائد عليه يكون مندوبا فان
قيل فعلى هذا التاويل يلزمكم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد ترك الواجب لانه تعالى قال ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فمن قرأ نصفه وثلثه بالخفض كان المعنى انك تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف
واقل من الثلث فاذا كان الثلث واجبا كان عليه السلام تاركا للواجب قلنا انهم كانوا يقدرون الثلث بالاجتهاد
فربما اخطأوا في ذلك الاجتهاد ونقصوا منه شيئا قليلا فيكون ذلك ادنى من ثلثي الليل المعلوم بتحديد الاجزاء عند
الله ولذلك قال تعالى علم ان لن تحصوه الوجه الثاني ان يكون قوله نصفه تفسيرا لقوله قليلا وهذا التفسير
جائز لوجهين الاول ان نصف الشيء قليل بالنسبة الى كله والثاني ان الواجب اذا كان هو النصف لم يخرج صاحبه
عن عهدة ذلك التكليف بيقين الا بزيادة شيء قليل عليه فيصير في الحقيقة نصفا وشيئا فيكون الباقي بعد ذلك
اقل منه واذا ثبت هذا فنقول قم الليل الا قليلا معناه قم الليل الا نصفه فيكون الحاصل قم نصف
الليل ثم قال او انقص منه قليلا يعني او انقص من هذا النصف نصفه حتى يبقى الربع ثم قال او زد عليه يعني على هذا
النصف نصفه حتى يصير المجموع ثلاثة ارباعه وحينئذ يرجع حاصل الآية الى انه خيره بين ان يقوم تمام النصف
وبين ان يقوم ربع الليل وبين ان يقوم ثلاثة ارباعه وعلى هذا التقدير يكون الواجب الذي لا بد منه هو قيام الربع
والزائد عليه يكون من المندوبات والنوافل وعلى هذا التاويل يزول الاشكال الذي ذكرتم بالكلية لان قوله ان
ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يقم ثلثي الليل ولا
نصفه ولا ثلثه لان الواجب لما كان هو الربع فقط لم يلزم من ترك قيام الثلث ترك شيء من الواجبات فزال
السؤال المذكور والله اعلم قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا قال الزجاج رتل القرآن ترتيلا بينه تبيينا والتبيين
لا يتم بان يعجل في القرآن انما يتم بان يبين جميع الحروف ويوفي حقها من الاشباع واصله من قولهم ثغر رتل اذا كان بين
الثنايا افتراق ليس بالكثير وقال الليث الرتل تنسيق الشيء وثغر رتل حسن التنضيد ورتلت الكلام ترتيلا
اذا تمهلت فيه واحسنت تاليفه وقوله تعالى ترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه مما لا بد منه للقارئ واعلم
انه تعالى لما امره بصلاة الليل امره بترتيل القرآن حتى يتمكن الخاطر من التامل في حقائق تلك الآيات ودقائقها
فعند الوصول الى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله وعند الوصول الى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وحينئذ
يستنير القلب بنور معرفة الله والاسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني لان النفس تبتهج بذكر الامور
الالهية الروحانية ومن ابتهج بشيء احب ذكره ومن احب شيئا لم يمر عليه بسرعة فظهر ان المقصود من الترتيل
انما هو حضور القلب وكمال المعرفة قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ذكروا في تفسير الثقيل وجوها
احدها وهو المختار عندي ان المراد من كونه ثقيلا عظم قدره وجلالة خطره وكل شيء نفيس وعلق خطير فهو ثقل
وثقيل وثاقل وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء قولا ثقيلا معناه كلاما عظيما ووجه النظم انه تعالى لما امره
بصلاة الليل فكانه قال انما امرتك بصلاة الليل لانا سنلقي عليك قولا ثقيلا فلا بد ان تسعى في صيرورة نفسك
مستعدة لذلك القول العظيم ولا يحصل ذلك الاستعداد الا بصلاة الليل فان الانسان في الليلة الظلماء اذا اشتغل
بعبادة الله تعالى واقبل على ذكره والثناء عليه والتضرع بين يديه ولم يكن هناك شيء من الشواغل الحسية والعوائق
الجسمانية استعدت النفس هنالك لاشراق جلال الله فيها وتهيأت للتجرد التام والانكشاف الاعظم بحسب الطاقة
البشرية فلما كان لصلاة الليل اثر في صيرورة النفس مستعدة لهذا المعنى لا جرم قال انما امرتك بصلاة الليل
لانا سنلقي عليك قولا ثقيلا فتصير نفسك مستعدة لقبول ذلك المعنى وتمام هذا المعنى ما قال عليه الصلاة والسلام
ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وثانيها قالوا المراد بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي
التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين عامة وعلى رسول الله خاصة لانه يتحملها بنفسه ويبلغها الى امته وحاصله
ان ثقله راجع الى ثقل العمل به فانه لا معنى للتكليف الا الزام ما في فعله كلفة ومشقة وثالثها روي عن الحسن انه
ثقيل في الميزان يوم القيمة وهو اشارة الى كثرة منافعه وكثرة الثواب في العمل به ورابعها المراد انه عليه السلام
كان يثقل عليه نزول الوحي اليه روي ان الوحي نزل عليه وهو على ناقته فثقل عليها حتى وضعت جرانها فلم تستطع ان
تتحرك وعن ابن عباس كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد وجهه وعن عائشة رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وخامسها قال الفراء قولا ثقيلا اي ليس بالخفيف ولا السفساف
لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وسادسها قال الزجاج معناه ان قوله مبين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا
كلام رصين وهذا قول له وزن اذا كنت تستجيده وتعلم انه وقع موقع الحكمة والثبات وسابعها قال ابو علي الفارسي

الثلث

الترتيل حضور القلب وكمال المعرفة

عظيما





انه ثقيل على المنافقين من حيث انه يهتك اسرارهم ومن حيث انه يبطل اديانهم واقوالهم وثامنها ان الثقيل من شانه ان
يبقى في مكانه ولا يزول فجعل الثقيل كناية عن بقاء القرآن على وجه الدهر كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتاسعها
انه ثقيل بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بادراك فوائده ومعانيه بالكلية فالمتكلمون غاصوا في بحار معقولاته والفقهاء
اقبلوا على البحث عن احكامه وكذا اهل اللغة والنحو وارباب المعاني ثم لا يزال كل متاخر يفوز منه بفوائد ما وصل اليها
المتقدمون فعلمنا ان الانسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بحمله فصار كالحمل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله وعاشرها
انه ثقيل لكونه مشتملا على المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والفرق بين هذه الاقسام مما لا يقدر عليه الا العلماء الراسخون
المحيطون بجميع العلوم العقلية والنقلية والحكمية فلما كان كذلك لا جرم كانت الاحاطة به ثقيلة على اكثر الخلق قوله
تعالى ان ناشئة الليل يقال نشأت تنشأ نشأ فهي ناشئة والانشاء الاحداث فكل ما حدث فانه يقال للمذكر
ناشئ وللمؤنث ناشئة اذا عرفت هذا فنقول في الناشئة قولان احدهما انه عبارة عن ساعات الليل والثاني
انها عبارة عن الامور التي تحدث في ساعات الليل اما القول الاول فقال ابو عبيدة ناشئة الليل ساعاته واجزاؤه
المتتالية المتعاقبة فانها تحدث واحدة بعد اخرى فهي ناشئة بعد ناشئة ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فمنهم من
قال الليل كله ناشئة روى ابن ابي مليكة قال سألت ابن عباس وابن الزبير عن ناشئة الليل فقالا الليل كله ناشئة وقال
زين العابدين ما بين المغرب الى العشاء وهو قول سعيد بن جبير والضحاك والكسائي قالوا لان ناشئة الليل هي الساعات
التي منها يبتدأ نشوء الليل القول الثاني وهو تفسير الناشئة بالامور التي تحدث في الليل وذكروا على هذا القول
وجوها احدها قالوا ناشئة الليل هي النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض
وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت وثانيها ناشئة الليل عبارة عن قيام الليل بعد النوم قال ابن الاعرابي اذا نمت
من اول الليل نومة ثم قمت فتلك النشأة ومنه ناشئة الليل وعندي فيه وجه ثالث وهو ان الانسان اذا اقبل على العبادة
والذكر في الليل المظلم في البيت المظلم في موضع لا تصير حواسه مشغولة بشيء من المحسوسات البتة فحينئذ يقبل القلب
على الخواطر الروحانية والافكار الالهية واما النهار فان الحواس تكون مشغولة بالمحسوسات فتصير النفس مشغولة
بالمحسوسات فلا تتفرغ للاحوال الروحانية فالمراد من ناشئة الليل تلك الواردات الروحانيات والخواطر النورانية
التي تنكشف في ظلمة الليل بسبب فراغ الحواس وسماها ناشئة الليل لانها لا تحدث الا في الليل بسبب ان الحواس الشاغلة
للنفس معطلة في الليل ومشغولة في النهار ولم يذكر ان تلك الاشياء الناشئة ما هي لانها تارة افكار وتاملات وتارة انوار
ومكاشفات وتارة انفعالات نفسانية من الابتهاج بعالم القدس او الخوف منه او تخالف احوال عجيبة فلما كانت
تلك الامور الناشئة اجناسا كثيرة لا يجمعها جامع الا انها امور ناشئة حادثة لا جرم لم يصفها الا بانها ناشئة الليل
اما قوله تعالى هي اشد وطأ اي مواطأة ملاءمة وموافقة وهو مصدر يقال واطأت فلانا على كذا مواطاة ووطاء
ومنه ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا فان فسرنا الناشئة بالساعات كان المعنى انها اشد موافقة لما يراد من الخشوع
والاخلاص وان فسرناها بما ذكرت كان المعنى ان افضاء تلك المجاهدات الى حصول المكاشفات في الليل اشد منه في النهار
وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق المسألة الثانية قرئ اشد وطأ بالفتح والكسر
وفيه وجهان الاول قال الفراء اي اثبت قياما لان النهار يضطرب فيه الناس ويتقلبون فيه للمعاش والثاني اثقل
واغلظ على المصلي من صلاة النهار وهو من قولك اشتدت على القوم وطأة سلطانهم اذا ثقل عليهم معاملتهم معه وفي الحديث
اللهم اشدد وطأتك على مضر فاعلم الله نبيه ان الثواب في قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها ونظيره قوله عليه السلام
افضل العبادة احمزها اي اشقها واختار ابو عبيدة القراءة الاولى قال لانه تعالى لما امر بقيام الليل ذكر هذه الآية فكانه
قال انما امرتك بصلاة الليل لان موافقة القلب واللسان فيه اكمل وافضل للخواطر الليلية الموصلة الى المكاشفات
الروحانية ثم قوله تعالى واقوم قيلا فيه مسألتان المسألة الاولى اقوم قيلا قال ابن عباس احسن لفظا قال
ابن قتيبة لان الليل تهدأ فيه الاصوات وتنقطع فيه الحركات ويخلص القول ولا يكون دون تسمعه وتفهمه حائل
المسألة الثانية قرأ انس واصوب قيلا فقيل له يا ابا حمزة انما هي واقوم قيلا فقال انس اقوم واصوب
واهيأ واحد قال ابن جني وهذا يدل على ان القوم كانوا يعتبرون المعاني فاذا وجدوها لم يلتفتوا الى الالفاظ
ونظيره ما روي ان ابا سرار الغنوي كان يقرأ فحاسوا خلال الديار بالحاء غير المعجمة فقيل له انما هو جاسوا فقال جاسوا
وحاسوا واحد وانا اقول يجب ان يحمل ذلك على ان انسا ذكر ذلك تفسيرا للفظ القرآن لا على انه جعله نفس القرآن
اذ لو ذهبنا الى ما قاله ابن جني لارتفع الاعتماد على الفاظ القرآن ولجوزنا ان كل احد عبر عن المعنى بلفظ رآه مطابقا
لذلك المعنى ثم ربما اصاب في ذلك الاعتقاد وربما اخطأ وهذا يجر الى الطعن في القرآن فثبت انه يجب حمل ذلك

ناشئة الليل عبارة عن قيام الليل بعد النوم

الروحانية

علی ما ذكرناه قوله تعالى إن لك في النهار سبحا طويلا فيه مسألتان المسألة الأولى قال المبرد سبحا أي تقلبا فيما يجب وبهذا سمي السابح لتقلبه بيديه ورجليه ثم في كيفية المعنى وجهان الأول أن لك في النهار تصرفا وتقلبا في مهماتك فلا تفرغ لخدمة الله إلا بالليل فلهذا السبب أمرتك بالصلاة في الليل الثاني قال الزجاج أي إن فاتك من الليل شيء من النوم والراحة فلك في النهار فراغ فاصرفه إليه المسألة الثانية قرئ سبخا بالخاء المنقوطة من فوق وهو استعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه فإن القلب في النهار يتفرق بسبب الشواغل وتختلف همومه بسبب الموجبات المختلفة واعلم أنه تعالى أمر رسوله أولا بقيام الليل ثم ذكر السبب أنه لم خص الليل بذلك دون النهار ثم بين أن أشرف الأعمال المأمور بها عند قيام الليل ما هو فقال تعالى واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا وهذه الآية تدل على أنه تعالى أمر بشيئين أحدهما الذكر والثاني التبتيل أما الذكر فاعلم أنه إنما قال ههنا واذكر اسم ربك ههنا وقال في آية أخرى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة لأنه لا بد في أول الأمر من ذكر الاسم باللسان مدة ثم يزول الاسم ويبقى المسمى فالدرجة الأولى هي المراد بقوله ههنا واذكر اسم ربك والمرتبة الثانية هي المراد بقوله في السورة الأخرى واذكر ربك في نفسك إنما يكون مشتغلا بذكر الرب إذا كنت في مقام مطالعة ربوبيته وربوبيته عبارة عن أنواع تربيته لك وإحسانه إليك فما دمت في هذا المقام تكون مشتغل القلب بمطالعة آلائه ونعمائه فلا يكون مستغرق القلب به وحينئذ يزداد الترقي فيصير مشتغلا بذكر الهيبة وإليه الإشارة بقوله اذكروا الله كذكركم آباءكم وفي هذا المقام يكون الإنسان في مقام الهيبة والخشية لأن الإلهية إشارة إلى القهارية والعزة والعلو والصمدية والأزلية والأبدية فيبقى في هذا المقام مترددا في مقامات الجلال والتنزيه والتقديس إلى أن ينتقل منها إلى مقام الهوية الأحدية التي كلت العبارة عن شرحها وتقاصرت الإشارات عن الانتهاء إليها وهناك الانتهاء إلى الواحد الحق ثم الوقوف لأنه ليس هناك تطرق في الصفات حتى يحصل الانتقال من صفة إلى صفة ولا تلك الهوية مركبة حتى ينتقل نظر العقل من جزء إلى جزء ولا لها مناسبة لشيء من الأحوال المدركة من النفس حتى يعرف على سبيل المقايسة فهي الظاهرة لأنها مبدأ ظهور كل ظاهر وهي الباطنة لأنها فوق عقول المخلوقات فسبحان من احتجب عن العقول بشدة ظهوره واختفى عنها بكمال نوره وأما قوله وتبتل إليه تبتيلا فيه مسألتان المسألة الأولى اعلم أن جميع المفسرين فسروا التبتيل بالإخلاص وأصل التبتل في اللغة القطع وقيل لمريم البتول لأنها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة وصدقة بتلة منقطعة من صاحبها وقال الليث التبتل تمييز الشيء عن الشيء والبتول كل امرأة تنقبض من الرجال لا رغبة لها فيهم إذا عرفت ذلك فاعلم أن للمفسرين عبارات قال الفراء يقال للعابد إذا ترك كل شيء وأقبل على العبادة قد تبتل أي قطع كل شيء إلا أمر الله وطاعته وقال زيد بن أسلم التبتل رفض الدنيا مع كل ما فيها والتماس ما عند الله واعلم أن معنى الآية نحو ما قاله هؤلاء الظاهر لأن قوله وتبتل إليه أي انقطع عن كل ما سواه إليه فالمشغول بطلب الآخرة غير متبتل إلى الله تعالى بل متبتل إلى الآخرة والمشغول بعبادة الله متبتل إلى العبادة لا إلى الله والطالب لمعرفة الله متبتل إلى معرفة الله لا إلى الله فمن آثر العبادة لنفس العبادة أو لطلب الثواب أو ليصير متعبدا كاملا بتلك العبودية فهو متبتل إلى غير الله ومن آثر العرفان للعرفان فهو متبتل إلى العرفان ومن آثر العبودية لا للعبودية بل للمعبود وآثر العرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض لجة الوصول وهذا مقام لا يشرحه المقال ولا يعبر عنه الخيال ومن أراده فليكن من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر ولا يجد الإنسان لهذا مثالا إلا عند العشق الشديد ومرض البدن بسببه وانحبست القوى وعميت العينان وزالت الأغراض بالكلية فهنالك يظهر الفرق بين التبتل إلى المعشوق وبين التبتل إلى رؤية المعشوق المسألة الثانية الواجب أن يقال وتبتل إليه تبتلا أو يقال وبتل إليه تبتيلا لكنه تعالى لم يذكرهما واختار هذه العبارة الدقيقة وهي أن المقصود بالذات إنما هو التبتل فأما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا إلى الله لأن المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا إلى الله إلا أنه لا بد أولا من التبتيل كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فذكر التبتل أولا إشعارا بأنه المقصود بالذات وذكر التبتيل ثانيا إشعارا بأنه لا بد منه ولكنه مقصود بالعرض واعلم أنه تعالى لما أمر بالذكر أولا ثم بالتبتل ثانيا ذكر السبب فيه فقال رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا وفيه مسائل المسألة الأولى اعلم أن التبتل إليه لا يحصل إلا بعد حصول المحبة والمحبة لا تليق إلا بالله تعالى وذلك لأن سبب المحبة إما الكمال وإما التكميل أما الكمال فلأن الكمال محبوب لذاته ومن المعلوم أنه يمتنع أن يكون كل شيء إنما كان محبوبا لأجل شيء آخر وإلا لزم التسلسل فإذن لا بد من الانتهاء إلى ما يكون محبوبا لذاته والكمال محبوب لذاته فإن من اعتقد

ملخص من التفسير الالهي

وقيل لمريم البتول

أن فلانا قبل هذا بألف سنة كان موصوفا بعلم أزيد من علم سائر الناس مال طبعه إليه وأحبه شاء أم أبى ومن اعتقد في رستم أنه كان موصوفا بشجاعة زائدة على سائر الناس أحبه شاء أم أبى فعلمنا أن الكمال محبوب لذاته وكمال الكمال لله تعالى فالله تعالى محبوب لذاته فمن لم يحصل في قلبه محبته كان ذلك لعدم علمه بكماله وأما التكميل فهو أن الجواد محبوب والجواد المطلق هو الله تعالى فالتبتل المطلق لا يمكن أن يحصل إلا إلى الله تعالى لأن الكمال المطلق له والتكميل المطلق منه فوجب أن لا يكون التبتل المطلق إلا إليه واعلم أن التبتل الحاصل بسبب كونه مبدأ للتكميل مقدم على التبتل الحاصل إليه بسبب كونه كاملا في ذاته لأن الإنسان في مبدأ السير يكون طالبا للحصة فيكون تبتله إلى الله تعالى بسبب كونه مبدأ للتكميل والإحسان ثم في آخر السير يترقى عن طلب الحصة كما بينا من أنه يصير طالبا للمعروف لا للعرفان فيكون تبتله في هذه الحالة بسبب كونه كاملا فقوله رب المشرق والمغرب إشارة إلى الحالة الأولى التي هي أول درجات المتبتلين وقوله لا إله إلا هو إشارة إلى الحالة الثانية التي هي منتهى درجات المتبتلين ومنتهى أقدام الصديقين فسبحان من له تحت كل كلمة سر مخفي ثم وراء هاتين الحالتين مقام آخر وهو مقام التفويض وهو أن يرفع الاختيار من البين ويفوض الأمر بالكلية إليه فإن أراد الحق به أن يجعله متبتلا رضي بالتبتل لا من حيث إنه هو بل من حيث إنه مراد الحق وإن أراد به عدم التبتل رضي بعدم التبتل لا من حيث إنه عدم التبتل بل من حيث إنه مراد الحق وههنا آخر الدرجات وقوله فاتخذه وكيلا إشارة إلى هذه الحالة فهذا ما جرى القلم به في تفسير هذه الآية وفي الزوايا خبايا ومن أسرار هذه الآية بقايا ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله المسألة الثالثة رب فيه قراءتان أحدهما الرفع وفيه وجهان أحدهما على المدح والتقدير هو رب المشرق فيكون خبر ابتداء محذوف كقوله بشر من ذلكم النار وقوله متاع قليل أي تقلبهم متاع قليل والثاني أن يرفعه بالابتداء وخبره الجملة التي هي لا إله إلا هو والعائد إليه الضمير المنفصل والقراءة الثانية الخفض وفيه وجهان الأول على البدل من ربك والثاني قال ابن عباس على القسم بإضمار حرف القسم كقولك الله لأفعلن وجوابه لا إله إلا هو كما تقول والله لا أحد في الدار إلا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب أما قوله فاتخذه وكيلا فالمعنى أنه لما ثبت أنه لا إله إلا هو لزمك أن تتخذه وكيلا وأن تفوض كل أمورك إليه وههنا مقام عظيم وهو أنه لما كانت معرفة أنه لا إله إلا هو توجب تفويض كل الأمور إليه دل هذا على أن من لا يفوض كل الأمور إليه أنه غير عالم بحقيقة لا إله إلا هو وتقريره أن كل ما سواه ممكن ومحدث فإنه ما لم ينته إلى الواجب لذاته لم يجب ولما كان الواجب لذاته واحدا كان جميع الممكنات مستندة إليه منتهية إليه وهذا هو المراد من قوله فاتخذه وكيلا أي كفيلا بما وعدك من النصر والإظهار قوله تعالى واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا المعنى أنك لما اتخذتني وكيلا فاصبر على ما يقولون وفوض أمرهم إلي فإنني لما كنت وكيلا لك أقوم بإصلاح أمرك أحسن من قيامك بإصلاح أمور نفسك واعلم أن مهمات العباد محصورة في أمرين كيفية معاملتهم مع الله وكيفية معاملتهم مع الخلق والأول أهم من الثاني فلا جرم ذكره تعالى في أول هذه السورة والقسم الثاني ذكره ههنا فقال واصبر على ما يقولون وذلك لأن الإنسان إما أن يكون مخالطا للناس أو مجانبا لهم فإن خالطهم فلا بد له من المصابرة على إيذائهم وإيحاشهم فإنه إن كان يطمع منهم في الخير والراحة لم يجد فيقع في الغموم والأحزان فثبت أن من أراد المخالطة مع الخلق فلا بد له من الصبر الكثير فأما إن ترك المخالطة فذلك هو الهجر الجميل فثبت أنه لا بد لكل إنسان من أحد هذين الأمرين والهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم في الأفعال مع المداراة والإغضاء وترك المكافأة ونظيره فأعرض عنهم وعظهم وأعرض عن الجاهلين فأعرض عن من تولى عن ذكرنا قوله تعالى وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا أي ذرني وإياهم فأنا أكفيكهم وأولي النعمة هم صناديد قريش ومهلهم قليلا قوله تعالى إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما الأنكال القيود واحدها نكل وطعاما ذا غصة هو الزقوم والضريع كما قال ليس لهم طعام إلا من ضريع

الذي كان

المعنى انك لما اتخذتني وكيلا فاصبر على ما يقولون

قالوا انه شوك كالعوسج ياخذ بالحلق يدخل ولا يخرج • ورابعها قوله وعذابا اليما • والمراد منه ساير انواع العذاب
واعلم انه يمكن حمل هذه المراتب الاربعة على العقوبة الروحانية • اما الانكال فهي عبارة عن بقا النفس في قيد
التعلقات الجسمانية واللذات البدنية فانها في الدنيا لما اكتسبت ملكة تلك المحبة والرغبة فبعد البدن يشتد الحنين
مع ان الة الكسب قد بطلت فصارت تلك كالانكال والقيود المانعة له من التخلص الى عالم الروح والصفا • ثم يتولد
من تلك القيود الروحانية نيران روحانية • فان شدة ميلها الى الاحوال البدنية وعدم تمكنها من الوصول اليها توجب
حرقة شديدة روحانية كمن تشتد رغبته في وجدان شي ثم انه لا يجده فانه يحترق قلبه عليه فذاك هو الجحيم • ثم انه
يتجرع غصة الحرمان والم الفراق فذاك هو المراد من قوله وطعاما ذا غصة • ثم انه بسبب هذه الاحوال بقي محروما
عن تجلي نور الله والانخراط في سلك القدسيين • وذلك هو المراد من قوله وعذابا اليما • والتنكير في قوله عذابا
يدل على ان هذا العذاب اشد مما تقدم واكمل واعلم اني لا اقول المراد بهذه الايات هو ما ذكرته فقط بل اقول
المراد بهذه الايات انها تفيد حصول المراتب الاربعة الجسمانية ولا يمتنع حمله عليها وان كان اللفظ بالنسبة
الى المراتب الجسمانية حقيقة • وبالنسبة الى المراتب الروحانية مجاز متعارف مشهور ثم انه تعالى لما وصف
العذاب اخبر انه متى يكون ذلك فقال تعالى يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا • فيه
مسايل المسئلة الاولى قال الزجاج يوم منصوب بقوله ان لدينا انكالا وجحيما اي ننكل بالكافرين ونعذبهم
يوم ترجف الارض المسئلة الثانية الرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة الكثيب القطعة العظيمة من الرمل
تجتمع محدودبة وجمعه الكثبان • وفي كيفية الاشتقاق قولان • احدهما انه من كثب الشي اذا جمعه كانه فعيل بمعنى
مفعول • والثاني قال الليث الكثيب نثر التراب او الشي يرمى به والفعل اللازم انكثب ينكثب انكثابا • وسمي
الكثيب كثيبا لان ترابه دقاق كانه مكثوب منثور بعضه على بعض لرخاوته • وقوله مهيلا اي سايلا قد سال يقال
تراب مهيل ومهول اي مصبوب مسيل • والاكثر في اللغة مهيل وهو مثل قولك مكيل ومكيول ومدين ومديون
وذلك ان اليا تحذف منه الضمة فتسكن • والواو ايضا ساكنة فتحذف الواو لالتقا الساكنين ذكره الفرا والزجاج واذا
عرفت هذا فنقول انه تعالى تفرق تركيب الجبال وينسفها نسفا ويجعلها كالعهن المنفوش فعند ذلك تصير
كالكثيب ثم انه تعالى يحركها على ما قال ويوم نسير الجبال • وقال وهي تمر مر السحاب • وقال وسيرت الجبال فعند
ذلك تصير مهيلا • فان قيل لم لم يقل وكانت الجبال كثبا مهيلة • قلنا لانها باسرها تجتمع فتصير كثيبا واحدا
مهيلا • واعلم انه تعالى لما خوف المكذبين اولي النعمة باهوال القيمة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال تعالى
انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا
واعلم ان الخطاب لاهل مكة والمقصود تهديدهم بالاخذ الوبيل • وهاهنا سؤالات • السؤال الاول لم نكر
الرسول ثم عرف الجواب التقدير ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه فاخذناه اخذا وبيلا • فارسلنا اليكم ايضا
رسولا فعصيتم ذلك الرسول فلا بد وان ناخذكم اخذا وبيلا • السؤال الثاني هل يمكن التمسك بهذه الاية في اثبات
ان القياس حجة والجواب نعم لان الكلام انما ينتظم لو قيست احدى الصورتين على الاخرى • فان قيل هب ان القياس
في هذه الصورة حجة فلم قلتم انه في ساير الصور حجة وحينئذ نحتاج الى قياس ساير القياسات على هذا القياس
فيكون ذلك اثباتا للقياس بالقياس على هذا وانه غير جايز • قلنا لا نثبت ساير القياسات بالقياس على هذه
الصورة والا لزم المحذور الذي ذكرتموه بل وجه التمسك هو ان نقول لولا انه تمهد عندهم ان الشيئين اللذين يشتركان
في مناط الحكم ظنا فيجب اشتراكهما في الحكم والا لما اورد هذا الكلام في هذه الصورة وذلك لان احتمال الفرق
المرجوح قايم هاهنا فان لقايل ان يقول لعلهم انما استوجبوا الاخذ الوبيل لخصوصية حال العصيان في تلك
الصورة وتلك الخصوصية غير موجودة هاهنا فلا يلزم حصول الاخذ الوبيل هاهنا • ثم انه تعالى مع قيام
هذا الاحتمال جزم بالتسوية في الحكم • فهذا الجزم لا بد وان يقال انه كان مسبوقا بتقرير انه متى وقع الاشتراك
في المناط الظاهر وجب الجزم بالاشتراك في الحكم وان مجرد احتمال الفرق بالاشيا التي لا يعلم كونها مناسبة للحكم
لا يكون قادحا في هذا التسوية فلا معنى لقولنا القياس حجة الا هذا • السؤال الثالث لم ذكر في هذا الموضع قصة
قصة موسى وفرعون على التعيين دون ساير الامم والرسل الجواب لان اهل مكة ازدروا محمدا عليه الصلاة والسلام
واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى موسى لانه رباه وولد فيما بينهم وهو قوله الم نربك فينا وليدا
السؤال الرابع ما معنى كون الرسول شاهدا عليهم الجواب من وجهين • الاول انه شاهد عليهم يوم القيمة بكفرهم
وتكذيبهم • الثاني المراد كونه مبينا للحق في الدنيا ومبينا لبطلان ما هم عليه من الكفر لان الشاهد بشهادته يبين

الحق وذلك





الحق ولذلك وصف بانها بينة فلا يمتنع ان يوصف عليه السلام بذلك من حيث يبين الحق وهذا ابعد لان الله تعالى قال وكذلك
جعلناكم امة وسطا عدلا اخيارا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فبين انه يكون شاهدا عليهم في
المستقبل ولان حمله على الشهادة في الاخرة حقيقة وحمله على البيان مجاز • والحقيقة اولى • السؤال الخامس ما معنى
الوبيل الجواب فيه وجهان • الاول الوبيل الثقيل الغليظ ومنه قولهم صار هذا وبالا عليه اي افضى به الى غاية
المكروه • ومن هذا قيل للمطر العظيم وابل • والوبيل العصا الضخمة • الثاني قال ابو زيد الوبيل الذي لا يستمرا • وما
وبيل وخيم اذا كان غير مري • وكلا مستوبل اذا ادت عاقبته الى مكروه اذا عرفت هذا فنقول قوله اخذناه اخذا
وبيلا يعني الغرق قاله الكلبي ومقاتل وقتادة • ثم انه تعالى عاد الى تخويفهم بالقيمة مرة اخرى فقال تعالى فكيف
تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا • فيه مسايل المسئلة الاولى قال الواحدي في الاية تقديم وتاخير
والتقدير فكيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم المسئلة الثانية ذكر صاحب الكشاف في قوله
يوما وجوها • الاول انه متعلق به اي كيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر • والثاني ان يكون
ظرفا اي كيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزا لان تقوى الله خوف عقابه المسئلة
الثالثة انه تعالى ذكر من هول ذلك اليوم امرين • الاول انه مثل في الشدة • يقال في اليوم الشديد يوم يشيب
نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب
انقصار الروح الى داخل القلب وذلك الانقصار يوجب انطفا الحرارة الغريزية وضعفها يوجب بقا الاجزا
الغذايية غير تامة النضج وذلك يوجب استيلا البلغم على الاخلاط وذلك يوجب ابيضاض الشعر فلما راوا ان حصول
الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوا الشيب كناية عن الشدة والمحنة • وليس المراد ان هول ذلك اليوم بالطول
وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب • ولقد سالني بعض الادبا عن قول المعري • شعر
وجيش يملا الفودين شيبا • وقال كيف يحصل هذا التشبيه الذي في القران على بيت المعري • فقلت من وجوه
الاول ان امتلا الفودين من الشيب ليس بعجب • اما صيرورة الولدان شيبا فهو عجيب • كان شدة ذلك اليوم
نقلهم من سن الطفولية الى سن الشيخوخة من غير ان يمروا فيما بين الحالتين بسن الشباب • وهذا هو المبالغة العظيمة
في وصف اليوم بالشدة • وثانيها ان امتلا الفودين من الشيب معناه ابيضاض الشعر وقد يبيض الشعر لعلة مع ان
قوة الشباب تكون باقية فهذا ليس فيه مبالغة • واما الاية فانها تدل على صيرورة الولدان شيوخا في الضعف
والنحافة وعدم طراوة الوجه وذلك نهاية في شدة ذلك اليوم • وثالثها ان امتلا الفودين من الشيب ليس فيه مبالغة
لان جانبي الراس موضع للرطوبات الكثيرة البلغمية • ولهذا السبب فان الشيب انما يحدث اولا في الصدغين وبعده في
ساير جوانب الراس فحصول الشيب في الفودين ليس مبالغة انما المبالغة هو استيلا الشيب على جميع اجزا الراس بل على
جميع اجزا البدن كما هو مذكور في الاية والله اعلم • النوع الثاني من اهوال يوم القيمة قوله السما منفطر به وهذا
وصف لليوم بالشدة ايضا وان السما على عظمها وقوتها تنفطر فيه • فما ظنك بغيرها من الخلايق • ونظيره قوله اذا
السما انفطرت • وفيه سؤالات • الاول لم لم يقل منفطرة الجواب من وجوه • اولها روى ابو عبيدة عن
ابي عمرو بن العلا انما قال السما منفطر ولم يقل منفطرة لان مجازها مجاز السقف تقول هذا سما البيت • وثانيها
قال الفرا السما تونث وتذكر • وهي هاهنا في وجه التذكير • وانشد شعرا • فلو رفع السما اليه قوما
لحقنا بالنجوم مع السحاب • وثالثها ان تانيث السما ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره قال الشاعر شعر
والعين بالاثمد الحيري مكحول • وقال الاعشى شعر فلا مزنة ودقت ودقها • ولا ارض ابقل ابقالها
ورابعها ان يكون التقدير السما ذات انفطار فيكون من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر وكقولهم
امراة مرضع اي ذات رضاع • السؤال الثاني ما معنى منفطر به الجواب من وجوه • احدها قال الفرا المعنى منفطر
فيه • وثانيها ان البا في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله
كما ينفطر الشي بما يفطر به • وثالثها ان يراد السما مثقلة به اثقالا يودي الى انفطارها لعظمه عليها
وخشيتها منه كقوله ثقلت في السموات والارض • اما قوله كان وعده مفعولا • فاعلم ان الضمير في قوله وعده يحتمل
ان يكون عايدا الى المفعول وان يكون عايدا الى الفاعل • اما الاول فان يكون المعنى وعد ذلك اليوم مفعولا اي
الوعد المضاف الى ذلك اليوم واجب الوقوع لان حكمة الله تعالى وعلمه يقتضيان ايقاعه • واما الثاني فان يكون
المعنى وعد الله واقع لا محالة لانه تعالى منزه عن الكذب • وهاهنا وان لم يجر ذكر الله تعالى ولكنه حسن عود الضمير
اليه لكونه معلوما • واعلم انه تعالى بدا في اول السورة بشرح احوال السعدا • ومعلوم ان احوالهم قسمان

فان الشيب انما يحدث اولا في الصدغين وبعده

أحدهما يتعلق بالدين والطاعة للمولى فتقدم ذلك • الثاني ما يتعلق بالمعاملة مع الخلق وبين ذلك بقوله واصبر على ما يقولون
واهجرهم هجرا جميلا • واما الاشقيا فقد بدا بتهديدهم على سبيل الاجمال وهو قوله تعالى وذرني والمكذبين ثم ذكر بعده انواع
عذاب الآخرة • ثم ذكر بعده عذاب الدنيا وهو الاخذ الوبيل في الدنيا • ثم وصف بعده شدة يوم القيمة فعند هذا تم
البيان بالكلية فلاجرم ختم ذلك الكلام بقوله ان هذه تذكرة فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا اي هذه الآيات تذكرات مشتملة
على انواع الهداية والارشاد فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا • واتخاذ السبيل عبارة عن الاشتغال بالطاعة والاحتراز عن
المعصية قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك • فيه
مسايل المسئلة الاولى المراد من قوله ادنى من ثلثي الليل اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل
لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز • واذا بعدت كثر ذلك المسئلة الثانية قرئ نصفه
وثلثه بالنصب • والمعنى انك تقوم اقل من الثلثين وتقوم النصف • وقرئ ونصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من
الثلثين والنصف والثلث كما بينا في تفسير قوله قم الليل الا قليلا انه لا يلزم من هذا ان يقال انه عليه السلام كان
تاركا للواجب قوله تعالى وطائفة من الذين معك وهم اصحابك يقومون من الليل هذا المقدار المذكور ثم قال تعالى
والله يقدر الليل والنهار يعني ان العالم • يعني ان العالم بمقادير اجزا الليل والنهار ليس الا الله تعالى قوله تعالى
علم ان لن تحصوه • فيه مسئلتان المسئلة الاولى الضمير في ان لن تحصوه عائد الى مصدر مقدر اي علم انه لا يمكنهم
احصا مقدار كل واحد من اجزا الليل والنهار على الحقيقة ولا يمكنكم ايضا تحصيل تلك المقادير على سبيل الظن
والاحتياط الا مع المشقة التامة قال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من قيام ما فرض عليه
المسئلة الثانية احتج بعضهم على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى قال لن تحصوه اي لن تطيقوه • ثم انه قد كلفهم به
ويمكن ان يجاب عنه بان المراد صعوبته لانهم لا يقدرون عليه كقول القائل ما اطيق ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه
قوله تعالى فتاب عليكم هو عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن
باشروهن والمعنى انه رفع التبعة عنكم في ترك هذا العمل كما رفع التبعة عن التائب ثم قال تعالى فاقروا ما تيسر من القرآن
وفيه قولان • الاول ان المراد من هذه القراة الصلاة لان القراة احد اجزا الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل فصلوا ما تيسر
عليكم • ثم هاهنا قولان • الاول قال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشا وقال آخرون بل نسخ وجوب ذلك
التهجد واكتفى بما تيسر منه • ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس • القول الثاني ان المراد من قوله فاقروا ما تيسر من القرآن
قراة القرآن بعينها والغرض منه دراسة القرآن ليحصل الامن من النسيان قيل يقرا مائة آية • وقيل من قرا مائة آية
كتب من القانتين • وقيل خمسين آية • ومنهم من قال السورة القصيرة كافية لان اسقاط التهجد انما كان دفعا للحرج
وفي القراة الكثيرة حرج فلا يمكن اعتبارها • وهاهنا بحث آخر وهو ما روي عن ابن عباس انه قال سقط عن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل وصار تطوعا وبقي ذلك فرضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم • ثم انه تعالى
ذكر الحكمة في هذا النسخ فقال تعالى علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل
الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله واعلم ان تقدير هذه الآية كانه قيل لم نسخ ذلك فقال لانه علم كذا وكذا والمعنى
تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله • اما المرضى فانهم لا يمكنهم الاشتغال
بالتهجد لمرضهم • واما المسافرون والمجاهدون فهم مشتغلون في النهار بالاعمال الشاقة فلو لم يناموا في الليل لتوالت
اسباب المشقة عليهم • وهذا السبب ما كان موجودا في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان لك في النهار سبحا
طويلا فلاجرم ما صار وجوب التهجد منسوخا في حقه • ومن لطايف هذه الآية انه تعالى سوى بين المجاهدين والمسافرين
لكسب الحلال • عن ابن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان
عند الله من الشهدا • ثم اعاد مرة اخرى قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وذلك للتاكيد ثم قال واقيموا الصلاة
يعني المفروضة • وآتوا الزكاة • اي الواجبة • وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك
ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا قوله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا فيه ثلاثة اوجه
احدها انه يريد سائر الصدقات • وثانيها يريد اداء الزكاة على احسن وجه وهو اخراجها من اطيب الاموال
واكثرها نفعا للفقرا ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق • وثالثها يريد كل شي يفعل من الخير مما يتعلق
بالنفس والمال • ثم ذكر تعالى الحكمة في اعطا المال فقال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم
اجرا فيه مسئلتان المسئلة الاولى قال ابن عباس تجدوه عند الله خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخره الى وصيتك
عند الموت • وقال الزجاج وما تقدموا لانفسكم تجدونه عند الله خيرا لكم من متاع الدنيا • والقول ما قال ابن عباس

المسئلة الثانية

المسئلة الثانية معنى الآية وما تقدموا لانفسكم من خير فانكم تجدونه عند الله خيرا واعظم اجرا الا انه قال
هو خيرا للتاكيد والمبالغة • وقرا ابو السمال هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتدا والخبر ثم قال تعالى واستغفروا
الله لذنوبكم والتقصير الصادر منكم خاصة في قيام الليل ان الله غفور لذنوب المؤمنين رحيم بهم • وفي الغفور قولان
احدهما انه غفور لجميع الذنوب وهو قول مقاتل • والثاني انه غفور رحيم لمن لم يصر على الذنب • احتج مقاتل على قوله بوجهين
الاول ان قوله غفور رحيم يتناول التائب والمصر بدليل انه يصح استثنا كل واحد منهما وحده عنه • وحكم الاستثنا اخراج
ما لولاه لدخل • والثاني ان غفران التائب واجب عند الخصم ولا يحصل المدح باداء الواجب • والغرض من الآية تقرير
المدح فوجب حمله على الكل تحقيقا للمدح والله اعلم • والحمد لله رب العالمين • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

## سورة المدثر خمسون وست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى يا ايها المدثر • فيه مسايل الاولى
المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر بثيابه لينام او ليستدفئ • يقال تدثر بثوبه • والدثار اسم لما يتدثر به • ثم ادغمت
التاء في الدال لتقارب مخرجهما المسئلة الثانية اجمعوا على ان المدثر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم • واختلفوا
في انه عليه الصلاة والسلام لم سمي مدثرا • فمنهم من اجراه على ظاهره وهو انه كان متدثرا بثوبه • ومنهم من ترك هذا
الظاهر • اما على الوجه الاول فاختلفوا في انه لاي سبب تدثر بثوبه على وجوه • احدها ان هذا من اوايل ما نزل من القرآن
روى جابر بن عبد الله انه عليه الصلاة والسلام قال كنت على جبل حرا فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني
ويساري فلم ار شيئا • فنظرت فوقي فرايت الملك قاعدا على عرش بين السماء والارض فخفت ورجعت الى خديجة فقلت
دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا • فنزل جبريل بقوله يا ايها المدثر • وثانيها ان النفر الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم ابو جهل • وابو لهب • وابو سفيان • والوليد بن المغيرة • والنضر بن الحارث • وامية بن خلف • والعاص بن وايل
اجتمعوا وقالوا ان وفد العرب يجتمعون في ايام الحج ويسالوننا عن امر محمد فكل واحد منا يجيب بجواب آخر • فواحد يقول انه
مجنون • وآخر يقول كاهن • وآخر يقول شاعر • فالعرب يستدلون باختلاف الاجوبة على كون هذه الاجوبة باطلة فتعالوا
نجتمع على تسمية محمد باسم واحد • فقال واحد انه شاعر • فقال الوليد سمعت كلام عبيد بن الابرص • وكلام امية بن ابي
الصلت • وكلامه لا يشبه كلامهما • وقال آخر كاهن فقال الوليد ومن الكاهن • قالوا يصدق تارة ويكذب اخرى قال
الوليد ما كذب محمد قط • فقال آخر انه مجنون • قال الوليد ومن يكون المجنون قالوا يخنق الناس • فقال الوليد ما خنق محمد
احدا قط • ثم قام الوليد وانصرف الى بيته • فقال الناس صبا الوليد بن المغيرة • فدخل عليه ابو جهل وقال ما لك يا ابا
عبد شمس هذه قريش تجمع لك شيئا زعموا انك احتجت وصبات • فقال الوليد ما لي اليه حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت
انه ساحر لان الساحر هو الذي يفرق بين الاب وابنه وبين الاخوين وبين المراة وزوجها • ثم انهم اجمعوا على تلقيب محمد
صلى الله عليه وسلم بهذا اللقب • ثم انهم خرجوا فصرخوا بمكة والناس مجتمعون فقالوا ان محمدا الساحر فوقعت الصيحة
في الناس ان محمدا ساحر • فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة
فانزل الله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر • وثالثها انه عليه الصلاة والسلام كان نايما متدثرا بثيابه فجاءه جبريل عليه
السلام وايقظه وقال • يا ايها المدثر قم فانذر كانه قال له اترك التدثر بالثياب والنوم واشتغل بهذا المنصب الذي
نصبك الله له • القول الثاني انه ليس المراد من المدثر التدثر بالثياب • وعلى هذا الاحتمال فيه وجوه • احدها ان المراد
كونه متدثرا بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم • ويقال تلبس فلان بامر كذا
فالمراد يا ايها المتدثر بدثار النبوة قم فانذر • وثانيها ان المتدثر بالثوب يكون كالمختفي فيه وانه عليه الصلاة والسلام في
جبل حرا كان كالمختفي من الناس فكانه قيل يا ايها المتدثر بدثار الخمول والاختفا قم بهذا الامر واخرج من زاوية الخمول واشتغل
بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق • وثالثها انه تعالى جعله رحمة للعالمين فكانه قيل له يا ايها المدثر باثواب العلم العظيم
والخلق الكريم والرحمة الكاملة قم فانذر عذاب ربك المسئلة الثالثة عن عكرمة انه قرا على لفظ اسم المفعول
من دثره كانه قيل له دثرت هذا الامر وعصيت ربك • وقد سبق نظيره في المزمل قوله تعالى قم فانذر في قوله قم
وجهان • احدهما قم من مضجعك • والثاني قم قيام عزم وتصميم • وفي قوله فانذر وجهان • احدهما حذر قومك
من عذاب الله ان لم يؤمنوا وقال ابن عباس يريد النذير للبشر • احتج القايلون بالقول الاول بقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
واحتج القايلون بالقول الثاني بقوله تعالى • وما ارسلناك الا كافة للناس • وهاهنا قول ثالث وهو ان المراد فاشتغل

بفعل الانذار كانه تعالى تقول له تهيأ لهذه الحرفة فانه فرق بين ان يقال تعلم صنعة المناظرة وبين ان يقال يا مناظر ريد
**قوله تعالى** وربك فكبر فيه مسئلتان **الاولى** ذكروا في تفسير التكبير وجوها . احدها قال الكلبي عظم مما يقوله
عبدة الاوثان . وثانيها قال مقاتل هو ان يقال الله اكبر روى انه لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر كبيرا
فكبرت خديجة وفرحت وعلمت انه الوحي اليه . وثالثها المراد منه التكبير في الصلوات . فان قيل هذه السورة نزلت في
اول البعث . وما كانت الصلاة واجبة في ذلك الوقت . قلنا لا يبعد انه كانت له عليه الصلاة والسلام صلوات
تطوعية فامر بان يكبر ربه فيها . ورابعها يحتمل عندي ان يكون المراد انه لما قيل له قم فانذر . قيل بعد ذلك وربك فكبر
عن اللغو والعبث واعلم انه ما امرك بهذا الانذار الا لحكمة بالغة ومهمات عظيمة لا يجوز لك الاخلال بها . فقوله وربك
كالتاكيد في تقرير قوله قم فانذر . وخامسها عندي فيه قول اخر وهو انه لما امره بالانذار فكان سائلا سال وقال بما ذا ينذر
فقال ان يكبر ربه عن الشركا والاضداد والانداد ومشابهة الممكنات والمحدثات . نظيره قوله تعالى في سورة النحل ان انذروا
انه لا اله الا انا فاتقون . وهذا تنبيه على ان الدعوة الى معرفة الله ومعرفة تنزيهه مقدمة على سائر انواع الدعوة
**المسئلة الثانية** الفا في قوله فكبر ذكروا فيه وجوها . احدها قال ابو الفتح الموصلي يقال زيدا فاضرب وعمرا
فاشكر . وتقديره زيدا اضرب وعمرا اشكر . فعنده ان الفا زايدة . وثانيها قال الزجاج دخلت الفا لافادة معنى الجزائية
والمعنى قم فكبر ربك . وكذلك الفا بعده على هذا التاويل . وثالثها قال صاحب الكشاف الفا لافادة معنى الشرط . والتقدير
واي شي كان فلا تدع تكبيره **قوله تعالى** وثيابك فطهر اعلم ان تفسير هذه الاية يقع على اربعة اوجه . احدها
ان يترك لفظ الثياب والتطهير على ظاهره . والثاني ان يترك لفظ الثياب على حقيقته ويحمل لفظ التطهير
على مجازه . والثالث ان يحمل لفظ الثياب على مجازه ويترك لفظ التطهير على حقيقته . والرابع ان يحمل اللفظين
على المجاز . اما الاحتمال الاول وهو ان يترك لفظ الثياب ولفظ التطهير على حقيقته . فهو ان نقول المراد منه
انه عليه الصلاة والسلام امر بتطهير ثيابه من الانجاس والاقذار وعلى هذا التقدير يظهر في الاية ثلاثة احتمالات
احدها قال الشافعي المقصود منه الاعلام بان الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من الانجاس . وثانيها قال
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان المشركون ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات فامره الله تعالى بان يصون ثيابه
عن النجاسات . وثالثها روي انهم القوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلا شاة فشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجع الى بيته حزينا وتدثر بثيابه فقيل يا ايها المدثر قم فانذر ولا تمنعك تلك السفاهة عن الانذار . وربك فكبر عن ان
لا تنتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات . الاحتمال الثاني ان يبقى لفظ الثياب على حقيقته ويحمل
لفظ التطهير على مجازه فههنا قولان . الاول ان المراد من قوله فطهر اي فقصر وذلك لان العرب كانوا
يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم فكانت ثيابهم تتنجس ولان تطويل الذيل انما يفعل للخيلاء والكبر فنهى الرسول
صلى الله عليه وسلم عن ذلك . القول الثاني وثيابك فطهر اي ينبغي ان تكون الثياب التي تلبسها مطهرة عن ان تكون مغصوبة
او محرمة بل تكون مكتسبة من وجه حلال . الاحتمال الثالث ان يبقى لفظ التطهير على حقيقته ويحمل الثياب على مجازه
وذلك ان يحمل لفظ الثياب على الجسد وذلك لان العرب ما كانوا يتنظفون وقت الاستنجا فامر عليه السلام
بذلك التطهير وقد يجعل لفظ الثياب كناية عن النفس قال عنترة . فشككت بالرمح الاصم ثيابه
اي نفسه . ولهذا قال . ليس الكريم على القنا بمحرم . الاحتمال الرابع وهو ان يحمل لفظ الثياب ولفظ التطهير
على المجاز وذكروا على هذا الاحتمال وجوها . الاول وهو قول اكثر المفسرين وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة
وعن الحسن وثيابك فطهر قال وخلقك فحسن قال القفال وهذا يحتمل وجوها . احدها ان الكفار لما لقبوه
بالساحر شق ذلك عليه جدا حتى رجع الى بيته وتدثر بثيابه وكان ذلك اظهار جزع وقلة صبر يقتضيه سوء الخلق فقيل
قم فانذر ولا تحملك سفاهتهم على ترك انذارهم بل حسن خلقك . والثاني تزجر عن التخلق باخلاقهم فقيل له طهر
ثيابك اي قلبك من اخلاقهم في الافترا والتقول والكذب وقطع الرحم . والثالث طهر نفسك وقلبك عن ان تعزم
على الانتقام منهم والاساءة اليهم . ثم اذا فسرنا الاية بهذا الوجه ففي كيفية اتصالها بما قبلها وجهان . الاول ان يقال
ان الله تعالى لما ناداه في اول السورة بالمدثر فقال يا ايها المدثر وكان التدثر لباسا والدثار من الثياب قيل طهر ثيابك
التي انت متدثر بها عن ان تلبسها على هذا التفكر والجزع والضجر من افترا المشركين . والوجه الثاني ان يفسر المدثر
بكونه متدثرا بالنبوة كانه قيل يا ايها المدثر بالنبوة طهر ما تدثرت به من الجزع وقلة الصبر والغضب والحقد فان ذلك
لا يليق بهذا الدثار . ثم اوضح ذلك بقوله ولربك فاصبر واعلم ان حمل المدثر على المتصف ببعض الصفات جايز يقال
فلان طاهر الجيب نقي الذيل اذا وصفوه بالنقا من المعايب . ويقال فلان دنس الثياب اذا كان موصوفا بالاخلاق الذميمة

وثيابك فطهر

قال الشاعر

قال الشاعر **شعر** . فلا اب وابنا مثل مروان وابنه . اذا هو بالمجد ارتدا وتازرا . والسبب في حسن هذه
الكناية وجهان . الاول ان الثوب كالشي الملازم للانسان فلهذا السبب جعلوا الثوب كناية عن الانسان يقال المجد
في ثوبه والعفة في ازاره . والثاني ان الغالب ان من طهر باطنه فانه يطهر ظاهره . الثاني في تاويل الاية ان قوله
وثيابك فطهر امر له بالاحتراز عن الاثام والاوزار التي كان يقدم عليها قبل النبوة . وهذا على تاويل من حمل قوله ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك على ايام الجاهلية . الوجه الثالث في تاويل الاية قال محمد بن عرفة النحوي معناه نساءك
طهرهن وقد يكنى عن النسا بالثياب قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن وهذا التاويل بعيد لان على هذا الوجه لا يحسن
اتصال الاية بما قبلها **قوله تعالى** والرجز فاهجر فيه مسايل **المسئلة الاولى** ذكروا في الرجز وجوها . الاول قال النحي
الرجز العذاب قال الله تعالى لئن كشفت عنا الرجز اي العذاب ثم يسمى كيد الشيطان رجزا لانه سبب للعذاب . وسميت
الاصنام رجزا لهذا المعنى ايضا فعلى هذا القول تكون الاية دالة على وجوب الاحتراز عن تلك المعاصي ثم على هذا
القول احتمالان . احدهما ان قوله والرجز فاهجر يعني كل ما يودي الى الرجز فاهجره . والتقدير وذا الرجز فاهجر اي ذا العذاب
فيكون المضاف محذوفا . والثاني انه سمى ما يودي الى العذاب عذابا على تسمية الشي باسم ما يجاوره ويتصل به . القول
الثاني ان الرجز اسم للقبيح المستقذر وهو معنى الرجس فقوله والرجز فاهجر كلام جامع في مكارم الاخلاق كانه قيل له اهجر
الجفا والسفه وكل شي قبيح ولا تتخلق باخلاق هولاء المشركين المستعملين للرجز . وهذا يشاكل تاويل من فسر قوله وثيابك فطهر
على تحسين الخلق وتطهير النفس عن المعاصي والقبايح **المسئلة الثانية** احتج من جوز المعاصي على الانبيا بهذه الاية
قال لولا انه كان مشتغلا بها والا لما زجر عنها بقوله والرجز فاهجر والجواب المراد منه الامر بالمداومة على ذلك الهجران
كما ان المسلم اذا قال اهدنا فليس معناه انا لسنا على الهداية فاهدنا بل المراد ثبتنا على هذه الاية فكذا ههنا **المسئلة الثالثة**
قرا عاصم في رواية حفص والرجز بضم الرا في هذه السورة . وفي ساير القران بكسر الرا . وقرا الباقون وعاصم في رواية ابي بكر
بالكسر . وقرا يعقوب بالضم . ثم قال القرا هما لغتان والمعنى واحد . وفي كتاب الخليل الرجز بضم الرا عبادة الاوثان
وبكسر الرا العذاب ووسواس الشيطان ايضا رجز وقال ابو عبيدة افشى اللغتين واكثرهما الكسر **قوله تعالى**
ولا تمنن تستكثر . فيه مسايل **المسئلة الاولى** القراة المشهورة تستكثر برفع الرا . وفيه ثلاثة اوجه . احدها
ان يكون التقدير لا تمنن لتستكثر فنزع اللام فارتفع . وثانيها ان يكون التقدير لا تمنن ان تستكثر ثم حذفت الناصبة فسلم
الكلمة من الناصب والجازم فترتفع ويكون مجاز الكلام لا تعط لان تستكثر . وثالثها انه حال متوقعة اي لا تمنن مقدرا
ان تستكثر قال ابو علي الفارسي هو مثل قولك مررت برجل معه صقر صايدا به غدا اي مقدرا الصيد فكذا ههنا المعنى
مقدار الاستكثار قال ويجوز ان يحكى به حالا اتية . اذا عرفت هذا فنقول ذكروا في تفسير الاية وجوها . احدها انه تعالى
امره قبل هذه الاية باربعة اشيا . انذار القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر الرجز ثم قال ولا تمنن تستكثر اي لا تمنن
على ربك بهذه الاعمال الشاقة كالمستكثر لما يفعله بل اصبر على ذلك كله لوجه ربك متقربا بذلك اليه غير ممتن به عليه
قال الحسن لا تمنن على ربك بحسناتك فتستكثرها . وثانيها لا تمنن على الناس بما تعلمهم من امر الدين والوحي كالمستكثر لذلك
الانعام فانك انما فعلت ذلك بامر الله فلا منة لك عليهم . ولهذا قال ولربك فاصبر . وثالثها لا تمنن عليهم بنبوتك لتستكثر
اي لتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به مالك . ورابعها لا تمنن اي لا تضعف من قولهم حبل منين اي ضعيف . ويقال منه
السير اي ضعفه . والتقدير فلا تضعف ان تستكثر من هذه الطاعات الاربعة التي امرت بها قبل هذه الاية . ومن ذهب
الى هذا قال هو مثل قوله افغير الله تامروني اعبد اي ان اعبد فحذفت ان . وذكر القرا ان في قراة عبد الله ولا تمنن ان تستكثر
وهذا يشهد لهذا التاويل . وهذا القول اختيار مجاهد . وخامسها وهو قول اكثر المفسرين ان معنى قوله لا تمنن اي لا
تعط . يقال مننت فلانا كذا اي اعطيته . قال هذا عطاونا فامنن او امسك اي فاعط او امسك . واصله ان من
اعطى فقد من فسميت العطية بالمن على سبيل الاستعارة . فالمعنى ولا تعط مالك لاجل ان تاخذ اكثر منه . وعلى هذا التاويل
سوالات . الاول ما الحكمة في ان الله تعالى منعه من هذا العمل الجواب الحكمة فيه من وجوه . الاول لاجل ان يكون
عطاياه لاجل الله لا لاجل طلب الدنيا فانه نهى عن طلب الدنيا في قوله ولا تمدن عينيك وذلك لان طالب الدنيا لا بد وان
تكون الدنيا عنده عزيزة . ومن كان كذلك لم يصلح لادا الرسالة . الثاني ان من اعطى القليل من الدنيا لياخذ الكثير
لا بد وان يتواضع لذلك الغني ويتضرع له وذلك لا يليق بمنصب النبوة لانه يوجب دناة الاخذ . ولهذا السبب
حرمت الصدقات عليه وتنفير الماخوذ منه لهذا قال ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون . السوال الثاني
هذا النهي مختص بالرسول عليه وسلام ام يتناول الامة الجواب ظاهر اللفظ لا يفيد العموم . وقرينة الحال
لا تقتضي العموم لانه عليه الصلاة والسلام انما نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة وهذا المعنى غير موجود في الامة

انه تعالى امره قبل هذه الاية باربعة اشيا

ومن الناس من قال هذا المعنى في حق الامة هو الربا . والله تعالى منع الكل من ذلك . السؤال الثالث تقدير ان يكون
هذا النهي مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو نهي تحريم او نهي تنزيه والجواب ظاهر النهي للتحريم . الوجه السادس
في تاويل الاية قال القفال يحتمل ان يكون المقصد من الاية ان يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطي لاحد شيئا لطلب
عوض سواء كان ذلك العوض زائدا او ناقصا او مساويا . ويكون معنى قوله تستكثر اي طالبا للكثرة كارها ان ينتقص
المال بسبب العطا فيكون الاستكثار ههنا عبارة عن طلب العوض كيف كان وانما حسنت هذه الاستعارة لان الغالب
ان الثواب يكون زائدا على العطا فسمي طلب الثواب استكثارا حملا للشيء على اغلب احواله . وهذا كما ان الاغلب ان المراة
انما تتزوج ولها ولد للحاجة الى من يربي ولدها فسمي الولد ربيبا وان كان حين تتزوج امه كبيرا ومن ذهب الى هذا
القول قال السبب فيه ان يصير عطا النبي صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه فيكون
ذلك خالصا مخلصا لوجه الله تعالى . الوجه السابع ان يكون المعنى ولا تمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا
منك لتلك العطية . بل ينبغي ان تستقلها وتستحقرها وتكون كالمعتذر من ذلك المنعم عليه في ذلك الانعام فان الدنيا
باسرها قليلة . فكيف ذلك القدر الذي هو قليل في غاية القلة بالنسبة الى الدنيا . وهذه الوجوه الثلاثة الاخيرة
كالمرتبة . فالوجه الاول معناه كونه عليه الصلاة والسلام ممنوعا من طلب الزيادة في العوض . والوجه الثاني
معناه كونه ممنوعا عن طلب مطلق العوض زائدا كان او مساويا او ناقصا . والوجه الثالث معناه ان يعطي وينسب نفسه
الى التقصير ويجعل نفسه تحت منة المنعم عليه حيث قبل منه ذلك الانعام . الوجه الثامن معناه اذا اعطيت شيئا
فلا ينبغي ان تمن عليه بسبب انك تستكثر تلك العطية . فان المن محبط لثواب العمل قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس المسئلة الثانية قرا الحسن تستكثر بالجزم واكثر المحققين ابوا هذه القراءة
ومنهم من قبلها . وذكروا في صحتها ثلاثة اوجه . احدها كانه قيل لا تمنن تستكثر . وثانيها ان يكون اراد تستكثر فاسكن
الراء لثقل الضمة مع كثرة الحركات كما حكاه ابو زيد في قوله تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون باسكان اللام . وثالثها ان يعتبر
حال الوقف . وقرا الاعمش تستكثر بالنصب باضمار ان كقوله . الا ايهذا الزاجري احضر الوغى . ونؤيده قراءة ابن مسعود
ولا تمنن ان تستكثر قوله تعالى ولربك فاصبر . فيه وجوه . احدها اذا اعطيت المال فاصبر على ترك المن والاستكثار
اي اترك هذا الامر لاجل مرضاة ربك . وثانيها اذا اعطيت المال فلا تطلب العوض . وليكن هذا الترك لاجل ربك . وثالثها
انا امرنا في اول هذه السورة باشيا ونهينا عن اشيا فاشتغل بتلك الافعال والتروك لاجل امر ربك فكانه قيل هذه
الاية تكاليف بالافعال والتروك . وفي هذه الاية بينا ما لاجله يجب ان يؤتى بتلك الافعال والتروك لاجل امر ربك
فكان ما قبل هذه الاية تكاليف بالافعال والتروك وهو طلب رضا الرب . ورابعها انا ذكرنا ان الكفار لما اجتمعوا
وبحثوا عن حال محمد صلى الله عليه وسلم قام الوليد ودخل داره فقال القوم ان الوليد قد صبا فدخل عليه ابو جهل وقال
ان قريشا جمعوا لك مالا حتى لا تترك دين ابائك فهو لاجل ذلك المال بقي على كفره . فقيل لمحمد انه بقي على دينه الباطل لاجل
المال . واما انت فاصبر على دينك الحق لاجل رضا الحق لا لشيء غيره . وخامسها ان هذا تعريض بالمشركين كانه قيل له وربك فكبر
لا الاوثان . وثيابك فطهر ولا تكن كالمشركين نجس البدن والثياب . والرجز فاهجر ولا تقربه كما تقربه الكفار ولا تمنن تستكثر
كما اراد الكفار ان يعطوا الوليد قدرا من المال وكانوا يستكثرون ذلك القليل . ولربك فاصبر على هذه الطاعات لا للاغراض
العاجلة من المال والجاه قوله تعالى فاذا نقر في الناقور اعلم انه تعالى لما تمم ما يتعلق بارشاد قدوة
الاوليا وهو محمد صلى الله عليه وسلم . عدل عنه الى شرح وعيد الاشقيا وهو هذه الاية . وههنا مسائل
المسئلة الاولى الفا في قوله فاذا نقر للتسبيب كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه
عاقبة اذاهم وتلقى انت عاقبة صبرك عليه المسئلة الثانية اختلفوا في ان الوقت الذي ينقر في الناقور
هو النفخة الاولى او الثانية . فالقول الاول انه هو النفخة الاولى قال الحليمي في كتاب المنهاج انه تعالى
سمى الصور باسمين . احدهما الصور . والاخر الناقور . وقول المفسرين ان الناقور هو الصور ثم لا شك ان الصور
اذا كان هو الذي ينفخ فيه النفختان معا . فان نفخة الاصعاق تخالف نفخة الاحيا . وجا في الاخبار ان في الصور
ثقبا بعدد الارواح كلها . وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد
الذي نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى فيحتمل ان يكون الصور محتويا على الالتين ينقر في احديهما
وينفخ في الاخرى فاذا نفخ فيه للاصعاق جمع بين النفخ والنقر لتكون الصيحة اهد واعظم واذا نفخ فيه للاحيا
لم ينقر فيه . واقتصر على النفخ لان المراد ارسال الارواح من ثقب الصور الى اجسادها لا نقرها من اجسادها
والنفخة الاولى النقر وهو نظير صوت الرعد فانه اذا اشتد فربما مات سامعه . والصيحة الشديدة التي يصيحها

الرجل بصي



الرجل بصيحة فيزع منه فيموت هذا اخر كلام الحليمي . ولي فيه اشكال وهو ان هذا يقتضي ان يكون النقر انما يحصل عند صيحة
الاصعاق وذلك اليوم غير شديد على الكافرين لانهم يموتون في تلك الساعة انما اليوم الشديد على الكافر عند صيحة الاحيا
ولذلك يقولون يا ليتها كانت القاضية اي يا ليتنا بقينا على الموتة الاولى . والقول الثاني انه النفخة الثانية وذ
لان الناقور هو الذي ينقر فيه اي ينكت فيجوز انه اذا اريد ان ينفخ في المرة الثانية نقر اولا فسمي ناقورا لهذا المعنى
واقول في هذا اللفظ بحث وهو ان الناقور فاعول من النقر كالهاضوم ما يهضم به والحاطوم ما يحطم به فكان
ينبغي ان يكون الناقور ما ينقر به لا ما ينقر فيه المسئلة الثالثة العامل في قوله اذا نقر هو المعنى الذي دل
عليه قوله يوم عسير . والتقدير اذا نقر في الناقور عسر الامر وصعب قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير
على الكافرين غير يسير . فيه مسائل المسئلة الاولى قوله فذلك اشارة الى اليوم الذي ينقر فيه في الناقور
والتقدير فذلك اليوم يوم عسير . واما يومئذ ففيه وجوه . الاول ان يكون تفسيرا لقوله فذلك لان قوله فذلك
يحتمل ان يكون اشارة الى النقر وان يكون اشارة الى اليوم المضاف الى النقر فكانه قال فذلك اعني اليوم المضاف الى النقر
يوم عسير فيكون يومئذ في محل النصب . والثاني ان يكون يومئذ مرفوع المحل بدلا من ذلك . ويوم عسير خبره
كانه قيل فيوم النقر يوم عسير فعلى هذا يومئذ في محل الرفع لكونه بدلا من ذلك الا انه لما اضيف اليوم الى اذ وهو
غير متمكن بني على الفتح . الثالث ان تقدير الاية فذلك النقر يومئذ نقر يوم عسير على ان يكون العامل في يومئذ هو النقر
المسئلة الثانية عسر ذلك اليوم على الكافرين لانهم يناقشون في الحساب ويعطون كتبهم بشمائلهم
وتسود وجوههم ويحشرون زرقا وتتكلم جوارحهم فيفتضحون على رؤوس الاشهاد . واما المؤمنون فانه عليهم
يسير لانهم لا يناقشون في الحساب ويحشرون بيض الوجوه ثقال الموازين . ويحتمل ان يكون انما وصفه الله تعالى
بالعسير لانه في نفسه كذلك للجميع من المؤمنين والكافرين على ما روي ان الانبيا يومئذ يفزعون وان الولدان يشيبون
الا انه يكون هول الكفار فيه اشد فعلى القول الاول لا يحسن الوقف على قوله يوم عسير فان المعنى انه على الكافرين
عسير وغير يسير . وعلى القول الثاني يحسن الوقف لان المعنى انه في نفسه عسير على الكل ثم الكافر مخصوص فيه
بزيادة خاصة وعلى انه عليه غير يسير . فان قيل فما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه والجواب اما على القول
الاول فالتكرير للتاكيد كما تقول انا لك محب غير مبغض وولي غير عدو . واما على القول الثاني فقوله عسير يفيد
اصل العسر الشامل للمؤمنين والكافرين . وقوله غير يسير يفيد الزيادة التي يختص بها الكافر لان العسر قد يكون
عسيرا قليلا يسيرا . وقد يكون عسيرا كثيرا . فاثبت اصل العسر للكل . واثبت العسير بصفة الكثرة والقوة للكافر
المسئلة الثالثة قال ابن عباس لما قال انه غير يسير على الكافر كان يسيرا على المؤمنين فبعض من قال بدليل
الخطاب قال لولا ان دليل الخطاب حجة . والا لما فهم ابن عباس من كونه غير يسير على الكافر كونه يسيرا
على المؤمن قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا . اجمعوا على ان المراد ههنا هو الوليد بن المغيرة . وفي نصب
قوله وحيدا وجوه . الاول انه نصب على الحال ثم يحتمل ان يكون حالا من الخالق وان يكون حالا من المخلوق . وكونه حالا من الخالق
على وجهين . الاول ذرني وحدي معه فاني كاف في الانتقام منه . والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد . واما
كونه حالا من المخلوق فعلى معنى اني خلقته حال ما كان وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد . كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما
خلقناكم اول مرة . القول الثاني انه نصب على الذم وذلك لان الاية نزلت في الوليد وكان يلقب بالوحيد . وكان يقول
انا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي نظير . فالمراد ذرني ومن خلقت اعني وحيدا . وطعن كثير من
المفسرين في هذا الوجه وقالوا لا يجوز ان يصدقه الله في دعواه انه وحيد لا نظير له . وهذا السؤال ذكره الواحدي
وصاحب الكشاف وهو ضعيف من وجوه . الاول انا لما جعلنا الوحيد اسم علم فقد زال السؤال لان اسم العلم
لا يفيد في المسمى صفة بل هو قائم مقام الاشارة . الثاني لم لا يجوز ان يحمل على كونه وحيدا في ظنه واعتقاده . ونظيره
قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم . الثالث ان لفظ الوحيد ليس فيه انه وحيد في العلو والشرف بل هو كان يدعي
لنفسه انه وحيد في هذه الامور فيمكن ان يقال انت وحيد لكن في الكفر والخبث والدناة . القول الثالث ان وحيدا
مفعول ثان لخلق قال ابو سعيد الضرير الوحيد الذي لا اب له وهو اشارة الى الطعن في نسبه كما في قوله عتل بعد
ذلك زنيم قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا . في تفسير المال الممدود وجوه . الاول المال الذي يكون له مدد
ياتي منه الجزء بعد الجزء على الدوام فلذلك فسره عمر بن الخطاب بغلة شهر بشهر . وثانيها انه المال الذي مد بالزيادة
كالضرع والزرع وانواع التجارات . وثالثها انه المال الذي مد مكانه فانه قال ابن عباس كان ماله ممدودا ما بين مكة الى
الطايف الابل والخيل والغنم . والبساتين الكثيرة بالطايف والاشجار والانهار والنقد الكثير وقال مقاتل

فقوله عسير يفيد اصل العسر الشامل للمؤمنين والكافرين

كان له بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا فالممدود هاهنا كما في قوله وظل ممدود اي لا ينقطع • ورابعها انه المال
الكثير وذلك لان المال الكثير اذا عد فانه يمتد تعديده • ومن المفسرين من قدر المال الممدود فقال بعضهم الف
دينار وقال آخرون اربعة آلاف وقال آخرون الف الف • وهذه التحكمات مما لا يميل اليها الطبع السليم قوله تعالى
وبنين شهودا • فيه وجهان الاول بنين حضورا معه بمكة لا يفارقونه البتة لانهم كانوا اغنياء فما كانوا محتاجين الى
المفارقة لطلب كسب ومعيشة وكان هو مستانسا بهم طيب القلب بسبب حضورهم • والثاني يجوز ان
المراد من كونهم شهودا انهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل • وعن مجاهد كانوا عشرة • وقيل سبعة كلهم
رجال • الوليد بن الوليد • وخالد • وعمارة • وهشام • والعاص • وقيس • وعبد شمس • اسلم منهم ثلاثة • خالد
وعمارة وهشام قوله تعالى ومهدت له تمهيدا • اي وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت عليه نعمتي
المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا • ولهذا المعنى يدعى بهذا فيقال ادام الله تمهيده اي بسطته وتصرفه
في الامور • ومن المفسرين من حمل هذا التمهيد البسطة في العيش وطول العمر • وكان الوليد من اكابر قريش ولذلك لقب
الوحيد وريحانة قريش قوله تعالى ثم يطمع ان ازيد كلا • لفظ ثم هاهنا معناه التعجب كما تقول لصاحبك
انزلتك داري واطعمتك واسقيتك ثم انت تشتمني • ونظيره قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض الى
قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فمعنى ثم هاهنا الانكار والتعجب ثم تلك الزيادة التي كان يطمع فيها هي زيادة في الدنيا
او في الآخرة فيه قولان • الاول قال الكلبي ومقاتل • ثم يرجو ان ازيد في ماله وولده وقد كفر بي • والثاني ان تلك الزيادة
في الآخرة • قيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي • ونظيره قوله تعالى أفرأيت الذي كفر باياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا • ثم قال تعالى كلا وهو ردع له عن ذلك الطمع الفاسد قال المفسرون ولم يزل الوليد في نقصان
بعد قوله تعالى كلا حتى افتقر ومات فقيرا قوله تعالى انه كان لاياتنا عنيدا انه تعليل للردع على وجه الاستئناف
كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل لانه كان لاياتنا عنيدا • والعنيد في معنى المعاند كالجليس والاكيل والعشير • وفي الاية
اشارة الى امور كثيرة من صفاته • احدها انه كان معاندا في جميع الدلائل اعني جميع الدلائل الدالة على التوحيد والعدل
والقدرة وصحة النبوة وصحة البعث وكان هو منازعا في الكل منكرا للكل • وثانيها ان كفره كان كفر عناد كان يعرف هذه الاشياء
بقلبه الا انه كان ينكرها بلسانه • وكفر المعاند اخس انواع الكفر • وثالثها ان قوله انه كان عنيدا يدل على انه من قديم
الزمان كان على هذه الحرفة والصنعة • ورابعها ان قوله انه كان لاياتنا عنيدا يفيد ان تلك المعاندة كانت منه
مختصة بآيات الله تعالى وبيناته • فان تقديره انه كان لاياتنا عنيدا لا لآيات غيرنا فتخصيصه هذا العناد
بآيات الله مع كونه تاركا للعناد في سائر الاشياء يدل على غاية الخسران قوله تعالى سارهقه صعودا
اي ساكلفه صعودا • وفي الصعود قولان • الاول انه مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق مثل
قوله عذابا صعدا • وصعود من قولهم عقبة صعود وكؤود اي شاقة المصعد • والثاني ان صعودا اسم
لعقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت • واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت • وعنه
عليه الصلاة والسلام • الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا • ثم يهوي كذلك فيه ابدا • ثم انه تعالى حكى
كيفية عناده فقال انه فكر • يقال فكر في الامر وتفكر اذا نظر فيه وتدبر ثم لما تفكر رتب في قلبه كلاما وهيأه
وهو المراد من قوله وقدر ثم قال تعالى فقتل كيف قدر • وهذا انما يذكر عند التعجب والاستعظام • ومثله
قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره ومعناه انه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه
حاسده بذلك اذا عرفت ذلك فنقول • انه يحتمل هاهنا وجهين • احدهما انه تعجب من قوة خاطره يعني انه لا يمكن
القدح في امر محمد صلى الله عليه وسلم بشبهة اعظم ولا اقوى مما ذكره هذا القائل • والثاني الثناء عليه على طريقة
الاستهزاء يعني ان هذا الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط ثم قال تعالى ثم قتل كيف قدر والمقصود من كلمة ثم هاهنا
الدلالة على ان الدعاء عليه في الكرة الثانية ابلغ من الاولى ثم قال ثم نظر • والمعنى انه اولا نظر • وثانيا قدر •
وثالثا نظر في ذلك المقدر فالنظر السابق للاستخراج • والنظر اللاحق للتقدير • وهذا هو الاحتياط • فهذه
المراتب الثلاثة متعلقة باحوال القلب • ثم انه تعالى وصف بعد ذلك احوال وجهه • فقال عبس وبسر • وفيه
مسئلتان الاولى ان قوله عبس وبسر يدل على انه كان عارفا في قلبه صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا انه كان
يكفر عنادا • ويدل عليه وجوه • الاول انه بعد ان تفكر وتامل وقدر في نفسه كلاما عزم على انه يظهره
ظهرت العبوسة في وجهه • ولو كان معتقدا صحة ذلك الكلام لفرح باستنباطه وادراكه • ولكنه لما لم يفرح
به علمنا انه كان يعلم ضعف تلك الشبهة الا انه لشدة عناده ما كان يجد شبهة اجود من تلك الشبهة فلهذا

اعلم



السبب ظهرت العبوسة في وجهه • الثاني ما روي ان الوليد مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة
فلما وصل الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود انشده الوليد بالله وبالرحم ان يسكت
وهذا يدل على انه كان يعلم انه مقبول الدعاء صادق اللهجة • ولما رجع الوليد قال لهم والله لقد سمعت من محمد آنفا
كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة • وانه ليعلو وما يعلى فقالت قريش صبا الوليد
ولو صبا لتصبون قريش كلها فقال ابو جهل انا اكفيكموه • فدخل عليه محزونا فقال ما لك يا ابن الاخ فقال
انك قد صبوت لتصيب من طعام محمد واصحابه وهذه قريش تجمع لك مالا ليكون ذلك عوضا عما تقدر ان تاخذ من اصحاب
محمد فقال والله ما يشبعون فكيف اقدر ان آخذ منهم مالا ولكني تفكرت في امره كثيرا فلا اجد شيئا يليق به الا
انه ساحر فاقول استعظامه للقرآن واعترافه بانه ليس من كلام الجن والانس يدل على انه كان في ادعاء السحر معاندا
لان السحر يتعلق بالجن • والثاني انه كان يعلم ان امر السحر مبني على الكفر بالله • والافعال المنكرة • وكان من الظاهر
ان محمدا لا يدعو الا الى الله فكيف يليق به السحر • فثبت بمجموع هذه انه انما عبس وبسر لانه كان يعلم في قلبه ان الذي
يقوله كذب وبهتان المسئلة الثانية قال الليث عبس يعبس فهو عابس اذا قطب ما بين عينيه • فان ابدى
عن اسنانه في عبوسه قيل كلح • فان اهتم لذلك وفكر فيه قيل بسر • فان غضب مع ذلك قيل بسل قوله تعالى
ثم ادبر واستكبر • ادبر عن سائر الناس الى اهله • واستكبر اي تعظم عن الايمان فقال ان هذا الا سحر يؤثر • وانما
ذكره بفاء التعقيب ليعلم انه لما ولى واستكبر ذكر هذه الشبهة • وفي قوله يؤثر وجهان • الاول انه من قولهم اثرت
الحديث اثره اثرا اذا حدثت به عن قوم في آثارهم اي بعد ما ماتوا • هذا هو الاصل ثم صار بمعنى الرواية عمن كان • والثاني
يؤثر على جميع السحر • وعلى هذا يكون هو من الايثار • ثم قال ان هذا الا قول البشر • والمعنى ان هذا قول البشر ينسب
ذلك الى انه ملتقط من كلام غيره • ولو كان الامر كما قال لتمكنوا من معارضته اذ طريقتهم في معرفة اللغة متقاربة
واعلم ان هذا الكلام يدل على ان الوليد انما كان يقول هذا الكلام عنادا لانه روي عنه انه لما سمع من رسول الله
صلى الله عليه وسلم حم السجدة وخرج من عند الرسول قال لقد سمعت من محمد كلاما ليس من كلام الجن ولا من كلام الانس
وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة • وانه يعلو ولا يعلى • فلما اقر بذلك في اول الامر علمنا ان الذي قاله هاهنا
انه قول البشر انما ذكره على سبيل العناد والتمرد لا على سبيل الاعتقاد ثم قال سأصليه سقر • قال ابن عباس
سقر اسم الطبقة السادسة من جهنم • ولذلك فانه لا ينصرف للتعريف والتانيث ثم قال وما ادراك ما سقر
والغرض التهويل ثم قال لا تبقي ولا تذر • واختلفوا فمنهم من قال هما لفظان مترادفان معناهما واحد والغرض
من التكرير التاكيد والمبالغة كما يقال صد عني واعرض عني • ومنهم من قال لا بد من الفرق • ثم ذكروا وجوها • احدها
انها لا تبقي من الدم واللحم والعظم شيئا فاذا اعيدوا خلقا جديدا فلا تذر ان تعاود احراقهم باشد مما كانت وهكذا
ابدا • وهذا رواية عطاء عن ابن عباس • وثانيها لا يبقى من المستحقين للعذاب الا عذبتهم • ثم لا تذر من ابدان اولئك
المعذبين شيئا الا احرقته • وثالثها لا تبقي من ابدان المعذبين شيئا • ثم ان تلك النيران لا تبقي من قوتها وشدتها
شيئا الا وتستعمل تلك القوة والشدة في تعذيبهم • ثم قال لواحة للبشر • فيه مسئلتان المسئلة الاولى في
اللواحة قولان • الاول قال الليث لاحه العطش ولوحه اذا غيره • فاللواحة هي المغيرة قال الفراء تسود البشرة
باحراقها • والقول الثاني وهو قول الحسن والاصم ان معنى لواحة انها تلوح للبشر من خمسمائة عام وهو كقوله وبرزت
الجحيم لمن يرى • ولواحة على هذا القول من لاح الشيء يلوح اذا لمع نحو البرق • وطعن القائلون بهذا الوجه في الوجه الاول
وقالوا انه لا يجوز ان يصفها بتسويد البشرة مع قوله انها لا تبقي ولا تذر المسئلة الثانية قرئ لواحة نصبا
على الاختصاص للتهويل ثم قال عليها تسعة عشر • فيه مسائل المسئلة الاولى المعنى انه يلي امر تلك النار
ويتسلط على اهلها تسعة عشر صنفا • وحكى الواحدي عن المفسرين ان خزنة النار تسعة عشر ملكا • ومعه
ثمانية عشر اعينهم كالبرق وانيابهم كالصياصي واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم
مسيرة سنة • تسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر • نزعت منهم الرأفة • والرحمة ياخذ احدهم سبعين الفا في كفه
ويرميهم حيث اراد من جهنم المسئلة الثانية ذكر ارباب المعاني في تقدير هذا العدد وجوها • احدها وهو
الوجه الذي يقوله اهل الحكمة ان سبب فساد النفس الانسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية
والطبيعية • اما القوى الحيوانية فهي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة • والشهوة والغضب • ومجموعها
اثنا عشر • واما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة
وهذه سبعة فالمجموع تسعة عشر • فلما كان منشأ الآفات هو هذه التسعة عشر لا جرم كان عدد الزبانية هكذا

وثانيها ان ابواب جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق • ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك
الاعتقاد • وترك الاقرار • وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة والمجموع ثمانية عشر
واما باب الفساق فليس هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد ولا بسبب ترك القول بل ليس الا بسبب ترك العمل
فلا يكون على بابهم الا زبانية واحدة • فالمجموع تسعة عشر • وثالثها ان الساعات اربعة وعشرون خمسة
منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلاجرم عدد الزبانية تسعة عشر
**المسئلة الثالثة** قراءة ابي جعفر ويزيد وطلحة بن سليمان تسعة عشر على تقدير ما علان قال ابن جني في المحتسب
والسبب ان الاسمين كاسم واحد فكثرت الحركات • فاسكن اول الثاني للتخفيف وجعل ذلك امارة لقوة اتصال
احد الاسمين بصاحبه • وقرا انس بن مالك تسعة اعشر قال ابو حاتم هذه القراءة لا يعرف لها وجها الا ان يعني تسعة
اعشر جمع العشر وعلى هذا يكون المجموع تسعين **قوله تعالى** وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة **روى**
انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم قال ابن ابي كبشة ان خزنة النار
تسعة عشر وانتم الجمع العظيم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاسد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد
البطش انا اكفيكم سبعة عشر واكفوني انتم اثنين فلما قال ابو جهل وابو الاسد ذلك قال المسلمون ويحكم لا تقاس الملائكة
بالحدادين فجرى هذا مثلا في كل شيئين لا يستوي بينهما • والمعنى لا تقاس الملائكة بالسجانين والحداد السجان الذي يحبس
النار • فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة **واعلم** انه تعالى انما جعلهم ملائكة لوجوه • احدها
ليكونوا بخلاف جنس المعذبين لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة • ولذلك بعث الرسول المبعوث الينا من جنسنا
ليكون له رافة ورحمة بنا • وثانيها انهم ابعد الخلق عن معصية الله تعالى فاقواهم الى الطاعات الشاقة • وثالثها ان قوتهم
اعظم من قوة الجن والانس • فان قيل ثبت في الاخبار ان الملائكة مخلوقون من النور فالمخلوق من النور كيف يطيق المكث
في النار • قلنا مدار القول في اثبات القيمة على كونه تعالى قادرا على كل الممكنات فكما انه لا استبعاد في ان يبقى الحي
مثل ذلك العذاب الشديد ابد الاباد ولا يموت • فكذا الاستبعاد في بقاء الملائكة هناك من غير الم **ثم قال تعالى**
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا • فيه مسئلتان **المسئلة الاولى** هذا العدد انما صار سببا لفتنة الكفار
من وجهين • الاول ان الكفار يستهزؤن ويقولون لم لم يكونوا عشرين • وما المقتضي لتخصيص هذا العدد
بالوجود • والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب اكثر خلق العالم من الجن
والانس من اول ما خلق الله الى قيام القيمة • واما اهل الايمان فلا يلتفتون الى هذين السؤالين • اما السؤال
الاول فلان جملة العالم متناهية فلابد وان يكون للجواهر الفردية التي تالفت جملة هذا العالم عدد معين • وعند ذلك
يجيء ذلك السؤال وهو انه لم خصص ذلك العدد بالايجاد ولم يزد على ذلك العدد جوهرا اخر ولم ينقص • وكذا القول
في ايجاد العالم فانه لما كان العالم محدثا والاله قديما تاخر العالم عن الصانع بتقدير مدة غير متناهية فلم يحدث
العالم قبل ان حدث بتقدير لحظة او بعد ان وجد بتقدير لحظة • وكذا القول في تقدير كل واحد من المحدثات
بزمانها المعين وكل واحد من الاجسام باجزائها المحدودة المعدودة • ولا جواب عن شيء من ذلك الا بانه قادر مختار
والمختار له ان يرجح الشيء على مثله من غير علة • واذا كان هذا الجواب هو المعتمد في خلق جملة العالم فكذا في تخصيص
زبانية النار بهذا العدد • واما السؤال الثاني فضعيف ايضا لانه لا يبعد في قدرة الله تعالى ان يعطي هذا
العدد من القدرة والقوة ما يصيرون قادرين على تعذيب جملة الخلق ومتمكنين من ذلك من غير خلل • وبالجملة
فمدار هذين السؤالين على القدح في كمال قدرة الله • فاما من اعترف بكونه تعالى قادرا على ما لا نهاية له من المقدورات
واعلم من علم ان احوال القيمة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذه الاستبعادات بالكلية **المسئلة الثانية**
احتج من قال انه تعالى قد يريد الاضلال بهذه الاية قال • لان قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
يدل على ان المقصود الاصلي انما هو فتنة الكافرين اجابت المعتزلة عنه من وجوه • احدها قال الجبائي المراد من
الفتنة تشديد التعبد ليستدلوا ويعرفوا انه تعالى قادر على ان يقوي هؤلاء التسعة عشر على ما لا يقوى عليه مائة
الف ملك اقوياء • وثانيها قال الكعبي المراد من الفتنة الامتحان حتى يفوض المؤمنين حكمة التخصيص بالعدد المعين
الى علم الخالق سبحانه وهذا من المتشابه الذي امروا بالايمان به • وثالثها ان المراد من الفتنة ما وقعوا فيه من الكفر
بسبب تكذيبهم بعدد الخزنة والمعنى الا فتنة على الذين كفروا التكذيب به • وليقولوا ما قالوا وذلك عقوبة لهم
على كفرهم وحاصله راجع الى ترك الالطاف والجواب انه لا نزاع في شيء مما ذكرتم الا انا نقول هل لانزال
هذه المتشابهات فتنة للذين كفروا وجه البينة وان كان له اثر في تقوية داعية الكفر فقد حصل المقصود لانه

اذا نجحت

اذا ترجحت داعية الفعل صارت داعية الترك مرجوحة والمرجوح يمتنع ان يؤثر فالترك يكون ممتنع الوقوع فيصير
الفعل واجب الوقوع والله اعلم **واعلم** انه تعالى بين ان المقصود من انزال هذا المتشابه امور اربعة • اولها
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب • وثانيها ويزداد الذين امنوا ايمانا • وثالثها ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
ورابعها وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا **واعلم** ان المقصود من تفسير
هذه الايات لا يتلخص الا بسؤالات وجوابات • السؤال الاول لفظ القران يدل على انه تعالى جعل افتتان الكفار
بعدد الزبانية سببا لهذه الامور الاربعة • فما الوجه في ذلك والجواب انه ما جعل افتتانهم بالعدد
سببا لهذه الاشياء • وبيانه من وجهين • الاول التقدير وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب كما يقال فعلت كذا لتعظيمك لتحقير عدوك • فالواو العاطفة قد تذكر في هذه المواضع تارة وقد
تحذف اخرى • الثاني ان المراد من قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا هو انه وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر
الا انه وضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر كانه عبر عن المؤثر باللفظ الدال على الاثر تنبيها على ان هذا الاثر
من لوازم ذلك المؤثر • السؤال الثاني ما وجه تاثير انزال هذا المتشابه في استيقان اهل الكتاب الجواب
من وجوه • احدها ان هذا العدد لما كان موجودا في كتابهم • ثم انه عليه الصلاة والسلام اخبر على وفق ذلك
من غير سابقة دراسة وتعلم فيظهر ان ذلك انما حصل بسبب الوحي من السماء • فالذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب يزدادون به ايمانا • وثانيها ان التوراة والانجيل كانا محرفين فاهل الكتاب كانوا يقرؤن فيهما
ان عدد الزبانية هو هذا القدر لكنهم ما كانوا يعولون على ذلك كل التعويل لعلمهم بتطرق التحريف الى هذين الكتابين
فلما سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوي ايمانهم بذلك واستيقنوا ان ذلك العدد هو الحق والصدق
وثالثها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم من حال الكفار قريش انه متى اخبرهم بهذا العدد العجيب فانهم يستهزؤن
ويضحكون منه لانهم كانوا يستهزؤن به في اثبات التوحيد والقدرة والعلم مع ان تلك المسائل اوضح واظهر فكيف في ذكر
هذا العدد العجيب • ثم ان استهزاءهم برسول الله وشدة سخريتهم به ما منعه من اظهار هذا الحق فعند هذا يعلم كل احد
انه لو كان غرض محمد صلى الله عليه وسلم طلب الدنيا والرياسة لاحترز عن ذكر هذا العدد العجيب فلما ذكره مع علمه بانهم
لابد وان يستهزؤا به علم كل عاقل ان مقصوده منه انما هو تبليغ الوحي وانه ما كان يبالي في ذلك لا بتصديق المصدقين
ولا بتكذيب المكذبين **السؤال الثالث** ما تاثير هذه الواقعة في ازدياد ايمان المؤمنين **الجواب** ان المكلف ما لم يستحضر
كونه تعالى عالما بجميع المعلومات غنيا عن جميع الحاجات منزها عن الكذب والخلف لا يمكنه ان ينقاد لهذه العدة ويعترف
بحقيقتها فاذا اشتغل باستحضار تلك الدلائل • ثم حل العلم الاجمالي بانه صادق لا يكذب حكيم لا يجهل • دافعا للتعجب
الحاصل في الطبع من هذا العدد العجيب فحينئذ يمكنه ان يؤمن بحقيقة هذا العدد ولا شك ان المؤمن يصير عند اعتبار
هذه المقامات اشد استحضارا للدلائل واكثر انقيادا للدين فالمراد بازدياد الايمان هذا **السؤال الرابع** حقيقة الايمان
الاجمالي عندكم لا تقبل الزيادة والنقصان فما قولكم في هذه الاية **الجواب** نحمله على ثمرات الايمان وعلى اثاره ولوازمه
**السؤال الخامس** لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمؤمنين فما الفائدة في قوله بعد ذلك ولا
يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون **الجواب** ان المطلوب اذا كان غامضا دقيق الحجة كثير الشبهة • فاذا اجتهد
الانسان فيه حصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك والشبهة واثبات
اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك • والمقصود من اعادة هذا الكلام هو انه حصل لهم يقين
جازم بحيث لا يحصل عقيبه البتة شك ولا ريب **السؤال السادس** جمهور المفسرين قالوا في تفسير قوله والذين
في قلوبهم مرض ان في معلوم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر عما سيكون • وعلى هذا تصير هذه الاية معجزة لانه اخبار
عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر فيكون معجزا • ويجوز ان يراد بالمرض الشك لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين
وبعضهم كانوا قاطعين بالكذب **السؤال السابع** هب ان الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح ان يكونا مقصودين
من انزال هذا المتشابه • فكيف صح ان يكون قول الكافرين والمنافقين مقصودا **الجواب** اما على اصلنا فلا اشكال
لانه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء • وسياتي مزيد تقرير لهذا في الاية الاتية • واما عند المعتزلة فان هذه
الحالة لما وقعت اشبهت الغرض في كونها اتيا فادخل عليه حرف اللام وهو كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا **السؤال الثامن**
لم سموه مثلا **الجواب** انه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم انه ربما لم يكن مراد الله منه ما اشعر
به ظاهره بل جعله مثلا لشيء اخر وتنبيها على مقصود اخر لاجرم سموه مثلا **السؤال التاسع** القوم كانوا
ينكرون كون القران من عند الله فكيف قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا **الجواب** اما الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون

ان المكلف لم يستحضر كونه تعالى عالما بجميع المعلومات

لكانوا في الظاهر معترفين بان القرآن من عند الله فلا جرم قال الواثق باللسان • واما الكفار فقالوا على سبيل التهكم
وعلى سبيل الاستدلال بان القرآن لو كان من عند الله لما قال مثل هذا الكلام قوله تعالى كذلك يضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء • وجه الاستدلال بالآية للاصحاب ظاهر لانه تعالى ذكر في اول الآية قوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا • ثم ذكر في آخر الآية وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا • ثم قال
كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء • اما المعتزلة فقد ذكروا الوجوه المشهورة التي لهم • احدها ان المراد من الاضلال
منع الالطاف • وثانيها انه لما اهتدى قوم باختيارهم عند نزول هذه الآيات وضل قوم باختيارهم عند نزولها اشبه
ذلك ان المؤثر في ذلك الاهتداء وذلك الاضلال هو هذه الآيات وهو كقوله فزادتهم ايمانا وزادتهم رجسا
وثالثها ان المراد من قوله يضل ومن قوله يهدي حكم الله بكونه ضالا وبكونه مهتديا • ورابعها انه تعالى يضلهم
يوم القيمة عن دار الثواب • وهذه الكلمات مع اجوبتها تقدمت في سورة البقرة في قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو • فيه وجوه • احدها وهو الاولى ان القوم استقلوا ذلك العدد
فقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو • فهب ان هؤلاء تسعة عشر الا ان لكل واحد من الجنود والاعوان ما لا يعلم
عددهم الا الله • وثانيها وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد
حكمة لا يعلمها الخلق وهو جل جلاله يعلمها • وثالثها انه لا حاجة بالله سبحانه في تعذيب الكفار والفساق الى هؤلاء
الخزنة فانه هو الذي يعذبهم في الحقيقة وهو الذي يخلق الالام فيهم • ولو انه تعالى قلب شعرة في عين ابن آدم
او سلط الالم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة • فلا يلزم من تقليل عدد الخزنة قلة العذاب
فجنود الله غير متناهية لان مقدوراته غير متناهية ثم قال تعالى وما هي الا ذكرى للبشر • الضمير في قوله
وما هي الى ماذا يعود • فيه قولان • الاول انه عائد الى سقر • والمعنى وما سقر وصفتها الا ذكرى للبشر • والثاني
انه عائد في هذه الآيات المشتملة على هذه المتشابهات وهي ذكرى لجميع العالمين وان كان المنتفع بها ليس الا اهل
الايمان ثم قال كلا • وفيه وجوه • احدها انه انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون
وثانيها انه ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا • وثالثها انه ردع لقول ابي جهل واصحابه انهم يقدرون على مقاومة
خزنة النار • ورابعها انه ردع لهم عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة ثم قال تعالى والليل اذ ادبر • وفيه قولان
الاول قال الفراء والزجاج دبر وادبر بمعنى واحد كقبل واقبل • ويدل على هذا قراءة من قرأ اذا ادبر وروي ان مجاهدا
سأل ابن عباس عن قوله دبر فسكت حتى اذا ادبر الليل قال يا مجاهد هذا حين دبر الليل وروى ابو الضحى ان ابن عباس
كان يعيب هذه القراءة ويقول انما يدبر ظهر البعير قال الواحدي والقراءتان عند اهل اللغة سواء على ما ذكرنا
وانشد ابو علي شعرا • وابي الذي ترك الملوك وجمعهم • بصهاب هامدة كامس الدابر • القول
الثاني قال ابو عبيدة وابن قتيبة دبر اي جاء بعد النهار • يقال دبرني اي جاء خلفي • ودبر الليل اي جاء بعد النهار
قال قطرب فعلى هذا معنى اذا دبر اذا اقبل بعد مضي النهار قوله تعالى والصبح اذا اسفر اي اضاء • وفي الحديث
اسفروا بالفجر • ومنه قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة ثم قال انها لاحدى الكبر فيه مسائل
المسئلة الاولى هذا الكلام هو جواب القسم ويجوز ان يكون تعليلا لكلا • والقسم معترض للتوكيد المسئلة الثانية
قال الواحدي الف احدى مقطوع ولا يذهب في الوصل وروي عن ابن كثير انه قرأ انها لحدى الكبر بحذف الهمزة كما يقال
ويلمه • وهذا الحذف ليس بقياس والقياس التخفيف وهو ان تجعل بين بين المسئلة الثالثة قال صاحب الكشاف
الكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتاء التأنيث • فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها • ونظير ذلك السوافي
في جمع السافياء وهو التراب الذي سفته الريح • والقواصع في جمع القاصعاء • كانها جمع فاعلة المسئلة الرابعة
انها لاحدى الكبر • يعني ان سقر التي جرى ذكرها لاحدى الكبر • والمراد من الكبر دركات جهنم • وهي سبعة • جهنم
ولظى • والحطمة • والسعير • وسقر • والجحيم • والهاوية • اعاذنا الله منها قوله تعالى نذيرا للبشر
تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول هي احدى النساء عفافا • وقيل هو حال • وفي قراءة
ابي نذير بالرفع خبر بعد خبر او بحذف المبتدا ثم قال تعالى لمن شاء منكم ان يتقدم • وفيه مسئلتان المسئلة الاولى
في تفسير الآية وجهان • الاول ان يتقدم في موضع الرفع بالابتداء • ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ ان يصلي
ومعناه التقدم والتاخر مطلقان لمن شاء منكم • والمراد بالتقدم والتاخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر • الثاني لمن شاء بدل من قوله للبشر • والتقدير انها نذير لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر
نظيره ولله على الناس حج البيت من استطاع المسئلة الثانية المعتزلة احتجوا بهذه الآية على كون العبد



متمكنا من الفعل غير مجبور عليه • وجوابه ان هذه الآية دلت على ان فعل العبد معلق على مشيئته لكن مشيئة العبد معلقة
على مشيئة الله تعالى لقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله • وحينئذ تصير هذه الآية حجة لنا عليهم • وذكر الاصحاب عن
وجه الاستدلال بهذه الآية جوابين آخرين • الاول ان معنى اضافة المشيئة الى المخاطبين التهديد كقوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر • الثاني ان هذه المشيئة لله تعالى على معنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتاخر قوله تعالى كل
نفس بما كسبت رهينة • قال صاحب الكشاف رهينة ليست بتانيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس
لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث • وانما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة
بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن • ومنه بيت الحماسة • كانه قال رهن رمس • والمعنى كل نفس رهن بكسبها
عند الله غير مفكوك الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقاب انفسهم بسبب اعمالهم الحسنة كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق
ثم ذكروا وجوها في ان اصحاب اليمين من هم • احدها قال ابن عباس هم المؤمنون • وثانيها قال الكلبي هم الذين قال الله
تعالى هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهم الذين كانوا على يمين آدم • وثالثها قال مقاتل هم الذين اعطوا كتبهم بايمانهم لا يؤاخذون
بذنوبهم في النار • ورابعها قال علي بن ابي طالب عليه السلام وابن عمر هم اطفال المسلمين قال الفراء وهو اشبه بالصواب
لوجهين • الاول لان الولدان لم يكتسبوا اثما يرتهنون به • والثاني انه تعالى ذكر في وصفهم فقال في جنات يتساءلون
عن المجرمين ما سلككم في سقر • وهذا انما يليق بالولدان لانهم لم يعرفوا الذنوب فسألوا ما سلككم في سقر • وعن
ابن عباس هم الملائكة قوله تعالى في جنات اي في جنات لا يكتنه وصفها ثم قال تعالى يتساءلون عن المجرمين
وفيه وجهان • الاول ان تكون كلمة عن صلة زائدة • والتقدير يتساءلون المجرمين فيقولون لهم ما سلككم في سقر
فانه يقال سألته كذا وسألته عن كذا • الثاني ان يكون المعنى ان اصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضا عن احوال المجرمين
فان قيل فعلى هذا الوجه كان يجب ان يقولوا ما سلككم في سقر • قلنا اجاب صاحب الكشاف عنه فقال المراد من
هذا ان المسؤولين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر وفيه وجه
آخر وهو ان يكون المراد ان اصحاب اليمين كانوا يتساءلون عن المجرمين اين هم فلما راوهم قالوا لهم ما سلككم في سقر
والاضمارات كثيرة في القرآن قوله تعالى ما سلككم في سقر المقصود من السؤال زيادة التوبيخ والتخجيل والمعنى
ما حبسكم في هذه الدركة من النار • فاجابوا بان هذا العذاب لامور اربعة • اولها قالوا لم نك من المصلين • وثانيها ولم نك
نطعم المسكين • وهذان يجب ان يكونا محمولين على الصلاة الواجبة والزكاة الواجبة لان ما ليس بواجب لا يجوز ان يعذبوا
على تركه • وثالثها وكنا نخوض مع الخائضين • والمراد منه الاباطيل • ورابعها وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم القيمة
حتى اتانا اليقين اي الموت قال تعالى حتى ياتيك اليقين • والمعنى انا بقينا على انكار القيمة الى وقت الموت • وظاهر
اللفظ يدل على ان كل احد من اولئك الاقوام كان موصوفا بهذه الخصال الاربعة • واحتج اصحابنا بهذه الآية على
الكفار يعذبون بترك فروع الشرائع والاستقصاء فيه قد ذكرناه في المحصول من اصول الفقه • فان قيل لم اخر
التكذيب وهو افحش تلك الخصال الاربع • قلنا اريد انهم بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة كانوا مكذبين بيوم
الدين والغرض تعظيم هذا الذنب كقوله ثم كان من الذين آمنوا ثم قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين • واحتج
اصحابنا على ثبوت الشفاعة للفساق بمفهوم هذه الآية • وقالوا ان تخصيص هؤلاء بانهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين
يدل ان غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين ثم قال تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين اي عن التذكر وهو العظة
يريد القرآن وغيره من المواعظ • ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما • ثم شبههم في نفورهم عن القرآن بحمر نافرة
فقال كانهم حمر • قال ابن عباس يريد الحمر الوحشية • مستنفرة اي نافرة • يقال نفر واستنفر مثل سخر واستسخر
وعجب واستعجب • وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار • قال ابو علي الفارسي الكسر في مستنفرة اولى الا ترى
انه قال فرت من قسورة • فهذا يدل على انها استنفرت • ويدل على صحة ما قال ابو علي ان محمد بن سلام قال سألت
ابا سوار الغنوي وكان اعرابيا فصيحا فقلت كانهم حمر ماذا فقال مستنفرة طردها قسورة • قلت انما هو فرت من قسورة
قال افرت قلت نعم قال فمستنفرة اذا ثم قال تعالى فرت يعني الحمر من قسورة • ذكروا في القسورة وجوها • احدها
انه الاسد • يقال ليوث قساور • وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة سمي بذلك لانه يقهر السباع قال ابن عباس
الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت • كذلك هؤلاء المشركون اذا راوا محمدا صلى الله عليه وسلم هربوا منه كما يهرب
الحمار من الاسد • ثم قال ابن عباس القسورة هي الاسد بلسان الحبشة • وخالف عكرمة فقال الاسد بلسان الحبشة
عنبسة • وثانيها القسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها قال الازهري هو اسم جمع للرماة لا واحد له من جنسه
وثالثها القسورة ركز الناس واصواتهم • ورابعها انها ظلمة الليل قال صاحب الكشاف • وفي تشبيههم بالحمر شهادة

علیهم بالبله الا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا خافت من شيء ثم قال تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان
يؤتى صحفا منشرة انهم قالوا لرسول الله لن نؤمن لك حتى تاتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين
الى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك ونظيره لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه قال تعالى ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند راس كل واحد منا صحيفة فيها
براءة من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على راسه ذنبه وكفارته فاتنا
بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرا سعيد
ابن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها واحد كانزله ونزله ثم قال تعالى كلا وهو
ردع لهم عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الايات ثم قال تعالى بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التامل
فانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت ثم قال
كلا وهو ردع لهم عن اعراضهم عن التذكرة ثم قال انه تذكرة يعني تذكرة بليغة كافية فمن شاء ذكره اي جعله نصب عينه
فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه وذكره للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها في معنى الذكر او
القرآن ثم قال تعالى وما يذكرون الا ان يشاء الله قالت المعتزلة يعني الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه والجواب
انه تعالى نفى الذكر مطلقا واستثنى عنه حال المشيئة المطلقة فيلزم انه متى حصلت المشيئة ان يحصل الذكر
فحيث لم يحصل الذكر علمنا انه لم تحصل المشيئة وتخصيص المشيئة بالمشيئة القهرية ترك للظاهر وقرئ
يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا ثم قال تعالى هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو حقيق بان يتقيه
عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم ما سلف من كفرهم اذا امنوا واطاعوا والله اعلم

## سورة القيمة اربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة ولا اقسم
بالنفس اللوامة في الاية مسائل المسئلة الاولى المفسرون ذكروا في لفظة لا في قوله لا اقسم ثلاثة اوجه
الاول انها صلة زائدة والمعنى اقسم بيوم القيمة ونظيره لئلا يعلم اهل الكتاب وقوله ما منعك ان لا تسجد وفبما
رحمة من الله وهذا القول عندي ضعيف من وجوه اولها ان تجويز هذا يقتضي الطعن في القران لان على هذا التقدير
يجوز جعل النفي اثباتا والاثبات نفيا وتجويزه يفضي الى ان لا يبقى الاعتماد لا على اثباته ولا على نفيه وثانيها ان هذا
الحرف انما يزاد في وسط الكلام لا في اوله فان قيل الكلام عليه من وجهين الاول لا نسلم انها انما تزاد في وسط
الكلام الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته وهي قوله لا وابيك ابنة العامري
لا يدعي القوم اني افر الثاني هب ان هذا الحرف لا يزاد في اول الكلام الا ان القران كله كالسورة الواحدة لاتصال
بعضه ببعض والدليل عليه انه قد يذكر الشيء في سورة ثم يجي جوابه في سورة اخرى كقوله تعالى وقالوا
يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ثم جاء جوابه في سورة اخرى وهو قوله ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا
كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى وسط الكلام والجواب عن الاول ان قوله لا وابيك قسم
على النفي وقوله لا اقسم نفي للقسم فتشبيه احدهما بالاخر غير جائز وانما قلنا ان قوله لا اقسم نفي للقسم
لانه على وزان قولنا لا اقتل لا اضرب لا انصر ومعلوم ان ذلك يفيد النفي والدليل عليه انه لو حلف لا يقسم
كان البر بترك القسم والحنث بفعل القسم فظهر ان البيت المذكور ليس من هذا الباب وعن الثاني ان القران كالسورة
الواحدة في عدم التناقض فاما في ان يقرن بكل اية ما يقرن بالاية الاخرى فذلك غير جائز لانه يلزم جواز ان
يقرن بكل اثبات حرف النفي الوارد في سائر الايات وذلك يقتضي انقلاب كل اثبات نفيا وانقلاب كل نفي اثباتا
وانه لا يجوز وثالثها ان المراد من قولنا لا صلة انه لغو باطل يجب طرحه واسقاطه حتى ينتظم الكلام
ومعلوم ان وصف كلام الله تعالى بذلك لا يجوز القول الثاني للمفسرين في هذه الاية ما نقل عن الحسن
انه قرا لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا اقسم ويعضده انه في مصحف
عثمان بغير الف واتفقوا في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة اي لا اقسم قال الحسن معنى الاية اني اقسم
بيوم القيمة لشرفها ولا اقسم بالنفس اللوامة لخساستها وطعن ابو عبيدة في هذه القراءة وقال لو كان المراد
هذا لقال لاقسمن لان العرب لا تقول لا فعل كذا وانما يقولون لافعلن كذا الا ان الواحدي حكى جواز ذلك عن

سيبويه والفرا

سيبويه والفرا واعلم ان هذا الوجه ايضا ضعيف لان هذه القراءة شاذة فهب ان الشاذ استمر فما الوجه في القراءة
المشهورة المتواترة ولا يمكن دفعها والا كان ذلك قدحا فيما ثبت بالتواتر وايضا فلا بد من اضمار قسم اخر ليكون
هذه اللام جوابا عنه فيصير التقدير والله لاقسم بيوم القيمة فيكون ذلك قسما على قسم وانه ركيك ولانه يفضي
الى التسلسل القول الثالث ان لفظة لا وردت للنفي ثم هاهنا احتمالان الاول انها وردت نفيا لكلام ذكر قبل
القسم كانهم انكروا البعث فقيل لا ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة وهذا ايضا فيه اشكال
لان اعادة حرف النفي مرة اخرى في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة مع ان المراد ما ذكروه يقدح في فصاحة الكلام
الاحتمال الثاني ان لا هاهنا لنفي القسم كانه قال لا اقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس ولكني اسالك غير مقسم
ايحسب انا لا نجمع عظامك اذا تفرقت بالموت فان كنت تحسب ذلك فاعلم انا قادرون على ان نفعل ذلك وهذا
القول اختيار ابي مسلم وهو الاصح ويمكن تقرير هذا القول على وجوه اخر احدها كانه تعالى يقول لا اقسم
بهذه الاشيا على اثبات هذا المطلوب فان هذا المطلوب اعظم واجل من ان يقسم عليه بهذه الاشيا ويكون
الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه وتفخيم شانه وثانيها كانه تعالى يقول لا اقسم بهذه الاشيا على اثبات
هذا المطلوب فان اثباته اظهر واقوى واحرى من ان يحاول اثباته بمثل هذا القسم ثم قال بعده ايحسب الانسان ان لن نجمع
اي كيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد مع ظهور فساده وثالثها ان يكون الغرض منه الاستفهام على سبيل الانكار
والتقدير الا اقسم بالقيامة الا اقسم بالنفس اللوامة على ان الحشر والنشر حق المسئلة الثانية ذكروا في النفس
اللوامة وجوها احدها قال ابن عباس ان كل نفس فانها تلوم نفسها يوم القيمة سوا كانت برة او فاجرة اما البرة
فلاجل انها لم تزد على طاعتها واما الفاجرة فلاجل انها لم تشتغل بالتقوى وطعن بعضهم في هذا الوجه من وجوه
الاول ان من يستحق الثواب لا يجوز ان يلوم نفسه على ترك الزيادة لانه لو جاز منه لوم نفسه على ذلك لجاز من غيره
ان يلومها عليه الثاني ان الانسان انما يلوم نفسه عند الضجارة وضيق القلب وذلك لا يليق باهل الجنة حال كونهم
في الجنة ولان المكلف يعلم انه لا مقدار من الطاعة الا ويمكن الاتيان بما هو ازيد منه فلو كان ذلك يوجب اللوم
لامتنع الانفكاك عنه وما كان كذلك لا يكون مطلوب الحصول ولا يلام على ترك تحصيله فالجواب عن الكل
ان يحمل اللوم على تمني الزيادة وحينئذ تسقط هذه الاسولة وثانيها ان النفس اللوامة هي النفس المتقية
التي تلوم النفوس العاصية يوم القيمة بسبب انها تركت التقوى وثالثها انها هي النفوس الشريفة التي لا تزال
تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة وعن الحسن ان المومن لا تراه الا يلوم نفسه واما الجاهل فانه يكون راضيا
بما هو فيه [illegible]

لم لم تزد

على وقوع يوم القيمة ● واما السوال الثالث فجوابه انه حيث اقسم قال والطور والذاريات ● واما ههنا فانه
نفى كونه تعالى مقسما بهذه الاشيا فزال السوال والله اعلم **قوله تعالى** ايحسب الانسان الن نجمع عظامه
بلى قادرين على ان نسوى بنانه ● فيه مسايل **المسلة الاولى** ذكروا في جواب القسم وجوها وهو قول الجمهور
انه محذوف على تقدير ليبعثن ويدل عليه ايحسب الانسان الن نجمع عظامه ● وثانيها قال الحسن وقع القسم على قوله
بلى قادرين ● وثالثها وهو الاقرب ان هذا ليس بقسم بل هو نفى للقسم فلا يحتاج الى الجواب فكانه تعالى يقول لا اقسم
بكذا وكذا على شي ولكني اسلك ايحسب الانسان الن نجمع عظامه **المسلة الثانية** المشهور ان المراد من الانسان
انسان معين ● يروى ان عدى بن ابى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
فيهما اللهم اكفني جارى السو قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امرها
فاخبره رسول الله ● فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم او من به كيف يجمع الله العظام فنزلت هذه الاية
وقال ابن عباس يريد بالانسان ههنا ابا جهل ● وقال جمع من الاصوليين بل المراد الانسان المكذب بالبعث على الاطلاق
**المسلة الثالثة** قرا قتادة ان لن يجمع عظامه على البنا للمفعول ● والمعنى ان الكافر ظن ان العظام بعد تفرقها
وصيرورتها ترابا واختلاط تلك الاجزا بغيرها ● وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض لا يمكن جمعها
مرة اخرى ● وقال تعالى في جوابه بلى وهذه الكلمة اوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكانه قيل بلى نجمعها ● وفي قوله
قادرين وجهان ● الاول وهو المشهور انه حال من الضمير في نجمع اى نجمع العظام قادرين على جمعها واعادتها الى
التركيب الاول وهذا الوجه عندى فيه اشكال وهو ان الحال انما يحسن ذكره اذا امكن وقوع ذلك الامر لا على تلك
الحالة تقول رايت زيدا راكبا لانه يمكن ان ترى زيدا غير راكب وههنا كونه تعالى جامعا للعظام يستحيل وقوعه
الا مع كونه قادرا فكان جعله حالا جاريا مجرى بيان الواضحات وانه غير جايز ● والثاني ان تقدير الاية كنا قادرين على
ان نسوى بنانه في الابتدا فوجب ان نبقى قادرين على تلك التسوية في الانتها ● وقرى قادرون اى ونحن قادرون ● وفي قوله
على ان نسوى بنانه وجوه ● احدها انه نبه بالبنان على بقية الاعضا اى نقدر على ان نسوى بنانه بعد صيرورته
ترابا كما كان ● وتحقيقه ان من قدر على الشي في الابتدا قدر ايضا عليه في الاعادة وانما خص البنان بالذكر لانه
اخر ما يتم خلقه ● فكانه قيل نقدر على ضم سلامياتها على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان
ولا تفاوت فكيف القول في كبار العظام ● وثانيها بلى قادرين على ان نسوى بنانه اى نجعلها مع كفه صفيحة مستوية
لا شقوق فيها كخف البعير فيعدم الارتفاق بالاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وساير الاعمال اللطيفة التي يستعان
عليها بالاصابع ● والقول الاول اقرب الى الصواب **قوله تعالى** بل يريد الانسان ليفجر امامه **اعلم** ان قوله بل يريد
عطف على ايحسب فيجوز فيه ان يكون ايضا استفهاما كانه استفهم عن شي ثم استفهم عن شي اخر ● ويجوز ان يكون ايجابا
كانه استفهم اولا ثم اتى بهذا الاخبار ثانيا ● وقوله ليفجر امامه فيه قولان ● الاول اى ليدوم على فجوره فيما
يستقبله من الزمان لا ينزع عنه ● وعن سعيد بن جبير يقدم الذنب ويوخر التوبة ● يقول سوف اتوب حتى ياتيه
الموت على شر احواله ● واسوا اعماله ● القول الثاني ليفجر امامه اى يكذب بما امامه من البعث والحساب
لان من كذب حقا كان كاذبا وفاجرا ● والدليل عليه قوله يسال ايان يوم القيمة ● فالمعنى يريد الانسان ليفجر امامه
اى ليكذب بيوم القيمة وهو امامه فهو يسال ايان يوم القيمة اى متى يكون ذلك تكذيبا له **ثم قال تعالى**
يسال ايان يوم القيمة اى يسال سوال متعنت مستبعد لقيام الساعة في قوله ايان يوم القيمة نظيره ويقولون متى
هذا الوعد **فاعلم** ان انكار البعث تارة يتولد من الشبهة ● واخرى من الشهوة ● اما من الشبهة فهو الذي حكاه
الله تعالى بقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ● وتقريره ان الانسان هو هذا البدن ● فاذا مات تفرقت
اجزا البدن واختلطت تلك الاجزا بساير اجزا التراب وتفرقت في مشارق الارض ومغاربها فكان تمييزها
بعد ذلك عن غيرها محالا ● فكان البعث محالا **واعلم** ان هذه الشبهة ساقطة من وجهين ● الاول انا لا نسلم
ان الانسان هو هذا البدن لم لا يجوز ان يقال انه شي مدبر لهذا البدن ● فاذا فسد هذا البدن بقى هو حيا كما كان
وحينيذ يكون الله تعالى قادرا على ان يرده الى اى بدن شا واراد وعلى هذا القول يسقط السوال ● وفي الاية اشارة
الى هذين الايتين اقسم بالنفس اللوامة ثم قال ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو تصريح بالفرق بين النفس
والبدن ● الثاني ان سلمنا ان الانسان هو هذا البدن فلم قلتم انه بعد تفرق اجزايه انه لا يمكن جمعه مرة اخرى وذلك
لانه تعالى عالم بجميع الجزئيات فيكون عالما بالجزء الذي هو بدن زيد وبالجزء الذي هو بدن عمرو وهو تعالى قادر على كل
الممكنات ● وذلك التركيب من الممكنات ● والا لما وجد اولا فيلزم ان يكون قادرا على تركيبها ومتى ثبت كونه تعالى عالما

بجميع الجزئيات

بجميع الجزئيات قادرا على جميع الممكنات لا يبقى في المسلة اشكال ● واما القسم الثاني وهو انكار من انكر المعاد بناء على الشهوة
فهو الذي حكاه الله تعالى بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه ● ومعناه ان الانسان الذي يميل طبعه الى الاسترسال في
الشهوات ● والاستكثار من اللذات لا يكاد يقر بالحشر والنشر وبعث الاموات لئلا تتنغص عليه هذه اللذات الجسمانية
فيكون ابدا منكرا لذلك قايلا على سبيل الهزو والسخرية ايان يوم القيمة ● ثم انه تعالى ذكر علامات القيمة فقال فاذا برق
البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر ● وفيه مسلتان **المسلة الاولى**
اعلم انه تعالى ذكر من علامات القيمة في هذا الموضع امورا ثلاثة ● اولها قوله تعالى فاذا برق البصر **قرى** برق بكسر الرا وفتحها
قال الاخفش المكسورة في كلامهم اكثر ● والمفتوحة لغة ايضا قال الزجاج برق بصره بكسر الرا يبرق برقا
اذا تحير ● والاصل فيه ان يكثر الانسان النظر الى لمعان البرق فيؤثر ذلك في ناظره ● ثم يستعمل ذلك في كل حيرة وان لم يكن
هناك نظر الى البرق ● كما قالوا قمر بصره اذا فسد من النظر الى القمر ثم استعير في الحيرة وكذلك بعل الرجل في امره
اى تحير ودهش ● واصله من قولهم بعلت المراة اذا فاجاها زوجها فنظرت اليه وتحيرت ● واما برق بفتح الرا فهو
من البريق اى لمع من شدة شخوصه ● وقرا ابو السمال بلق بمعنى انفتح وانفرج يقال بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته
**المسلة الثانية** اختلفوا في ان هذه الحالة متى تحصل فقيل عند الموت ● وقيل عند البعث ● وقيل عند رويه جهنم
فمن قال ان هذا يكون عند الموت قال ان البصر يبرق على معنى يشخص عند معاينة اسباب الموت والملايكة كما يوجد
ذلك في كل واحد اذا قرب موته ● ومن مال الى هذا التاويل قال انهم انما سالوه عن يوم القيمة لكنه تعالى ذكر هذه الحالة
عند الموت ● والسبب فيه من وجهين ● الاول ان المنكر لما قال ايان يوم القيمة على سبيل الاستهزا فقيل له اذا برق
البصر وقرب الموت زالت عنه الشكوك وتيقن حينيذ ان الذي كان عليه من انكار البعث والقيمة خطا ● الثاني انه
اذا قرب موته وبرق بصره تيقن ان انكار البعث لاجل طلب اللذات الدنيوية كان باطلا ● واما من قال بان ذلك انما يكون
عند قيام القيمة قال لان السوال انما كان عن يوم القيمة ● فوجب ان يقع الجواب بما يكون من خواصه واثاره قال
تعالى انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ● وثانيها قوله وخسف القمر ● وفيه مسلتان **المسلة الاولى**
يحتمل ان يكون المراد من خسوف القمر ذهاب ضوءه كما نعقله من حاله اذا خسف في الدنيا ● ويحتمل ان يكون المراد
ذهابه بنفسه كقوله فخسفنا به وبداره الارض **المسلة الثانية** قرى وخسف على البنا للمفعول ● وثالثها
قوله وجمع الشمس والقمر ● وفيه مسايل **المسلة الاولى** ذكروا في كيفية الجمع وجوها ● احدها انه تعالى
قال لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ● فاذا جا وقت القيمة ادرك كل واحد منهما صاحبه واجتمعا ● وثانيها جمعا
في ذهاب الضوء وهو كما قال الشافعي يجمع ما بين كذا وكذا في حكم كذا ● وثالثها يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران
في النار ● وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهناك نار الله الكبرى ● **واعلم** ان هذه الوجوه التي ذكرناها في قوله وخسف
القمر وجمع الشمس والقمر انما تستقيم على مذهب من يجعل برق البصر من علامات القيمة ● فاما من يحمل برق البصر
على حالة الموت قال معنى وخسف القمر اى ذهب ضوء البصر عند الموت يقال عين خاسفة اذا فقئت حتى
غابت حدقتها في الراس واصلها من خسفت الارض اذا ساخت بما عليها ● وقوله وجمع الشمس والقمر كناية عن ذهاب
الروح الى عالم الاخرة كان الاخرة كالشمس فانه يظهر فيها المغيبات وتتضح فيها المبهمات ● والروح كالقمر فانه كما ان
القمر يقبل النور من الشمس فكذا الروح تقبل نور المعارف من عالم الاخرة ● ولا شك ان تفسير هذه الايات
بعلامات القيمة اولى من تفسيرها بعلامات الموت واشد مطابقة لها **المسلة الثانية** قال الفرا انما قال جمع
ولم يقل جمعت لان المراد انه جمع بينهما في زوال النور وذهاب الضو ● وقال الكسائي المعنى جمع النوران او الضياءان
وقال ابو عبيدة القمر شارك الشمس في الجمع وهو مذكر فلا جرم غلب جانب التذكير في اللفظ ● قال الفرا قلت لمن
نصر هذا القول كيف تقولون الشمس جمع والقمر فقالوا جمعت فرجعوا عن ذلك القول ●
**المسلة الثالثة** طعنت الملاحدة في الاية وقالوا خسوف القمر لا يحصل حال اجتماع الشمس والقمر والجواب
الله تعالى قادر على ان يجعل القمر منخسفا سوا كانت الارض متوسطة بينه وبين الشمس او لم تكن ● والدليل عليه
ان الاجسام متماثلة فيصح على كل واحد منها ما يصح على الاخر والله قادر على كل الممكنات فوجب ان يقدر على ازالة الضو
عن القمر في جميع الاحوال **قوله تعالى** يقول الانسان يومئذ اين المفر اى يقول هذا الانسان المنكر للقيمة
اذا عاين هذه الاحوال اين المفر والقراة المشهورة بفتح الفا ● وقرى ايضا بكسر الفا والمفر بفتح الفا هو الفرار
قال الاخفش والزجاج المصدر من فعل يفعل مفتوح العين وهو قول جمهور اهل اللغة والمعنى اين الفرار
وقول القايل اين الفرار يحتمل معنيين احدهما انه لا يرى علامات مكنة الفرار فيقول حينيذ اين الفرار كما اذا

فاذا جا وقت القيمة ادرك كل واحد منهما صاحبه

ابن من وجدان زيد فيقول اين زيد • والثاني ان يكون المعنى الى اين الفرار • واما المفر بكسر الفا فهو الموضع
فزعم بعض اهل اللغة ان المفر بفتح الفا كما يكون اسما للمصدر فقد يكون ايضا اسما للموضع • والمفر بكسر الفا
كما يكون اسما للموضع فقد يكون مصدرا • ونظيره المرجع قوله تعالى كلا • وهو ردع عن طلب المفر لا وزر
قال المبرد والزجاج اصل الوزر الجبل المنيع ثم قيل لكل ما التجات اليه وتحصنت به وزر • وانشد المبرد قول كعب بن مالك
الناس الب علينا فيك ليس لنا • الا السيوف واطراف القنا وزر • ومعنى الاية انه لا شي يعصم به
من امر الله ثم قال تعالى الى ربك يومئذ المستقر • وفيه وجهان • احدهما ان يكون المستقر بمعنى الاستقرار
بمعنى انهم لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا الى غيره كما قال وان الى ربك الرجعى والى الله المصير الا الى الله تصير
الامور والى ربك المنتهى • الثاني ان يكون المعنى الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة او نار او مفوض الى
المشيئة من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار قوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر • بما قدم من عمل عمله وبما
اخر منه لم يعمله او بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه • وبما قدم من عمل الخير والشر وبما اخر من سنة حسنة
او سيئة فعمل بها بعده • وعن مجاهد باول العمل واخره • ونظيره قوله فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه وقال
ونكتب ما قدموا واثارهم واعلم ان الاظهر ان هذا الانبا يكون يوم القيمة عند العرض والمحاسبة ووزن
الاعمال ويجوز ان يكون عند الموت وذلك انه اذا مات بين له مقعده من الجنة والنار قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة
اعلم انه تعالى لما قال ينبأ الانسان يومئذ باعماله قال بل لا يحتاج الى ان ينبئه غيره وذلك لان نفسه شاهدة بكونه فاعلا
لتلك الافعال المقدما عليها • ثم في قوله بصيرة وجهان • الاول قال الاخفش جعله في نفسه بصيرة كما يقال فلان جود
وكرم فهاهنا ايضا كذلك لان الانسان بضرورة عقله يعلم ان ما يقربه الى الله ويشغله بطاعته وخدمته فهو السعادة
وما يبعده عن طاعة الله ويشغله بالدنيا ولذاتها فهو الشقاوة فهب انه بلسانه يروج ويزور ويرى الحق في صورة
الباطل والباطل في صورة الحق لكنه بعقله السليم يعلم ان الذي هو عليه في ظاهره حسن او قبيح جيد او ردي • والثاني ان
المراد ان جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه • وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل
وهو كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم • وقوله وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم • وقوله شهد عليهم
سمعهم وابصارهم وجلودهم • فاما تانيث البصيرة فيجوز ان يكون لان المراد بالانسان هاهنا جوارح الانسان كانه قيل بل
جوارح الانسان على نفس الانسان بصيرة • وقال ابو عبيدة هذه الها لاجل المبالغة كقولك رجل راوية وطاغية وعلامة
واعلم انه تعالى ذكر في الابتدا انه شاهد على نفسه بما عمل فقال الواحدي هذا يكون من صفة الكفار فانهم ينكرون ما عملوا فيختم
الله على افواههم وتنطق جوارحهم قوله تعالى ولو القى معاذيره • للمفسرين فيه اقوال • الاول قال الواحدي
المعاذير جمع معذرة يقال معذرة ومعاذر ومعاذير قال صاحب الكشاف جمع المعذرة معاذر • والمعاذير ليس جمع معذرة
وانما هو اسم جمع لها • ونحوه المناكير في المنكر • والمعنى ان الانسان وان اعتذر عن نفسه وجادل عنها وادلى بكل عذر وحجة
فانه لا ينفعه ذلك لانه شاهد على نفسه • القول الثاني قال الضحاك والسدي والفرا والمبرد والزجاج المعاذير الستور
واحدها معذار قال المبرد وهي لغة يمانية قال صاحب الكشاف فان صحت هذه الرواية فذاك مجاز من حيث ان الستر يمنع رؤية
المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب • والمعنى على هذا القول انه وان اسبل الستر ليخفي ما يعمل فان نفسه شاهدة عليه
قوله تعالى لا تحرك به لسانك • فيه مسايل المسلة الاولى زعم قوم من قدما الروافض ان هذا القران قد
غير وبدل وزيد فيه ونقص منه • واحتجوا عليه بانه لا مناسبة بين هذه الاية وبين ما قبلها • ولو كان هذا الترتيب
من الله لما كان الامر كذلك واعلم ان في بيان المناسبة وجوها • اولها يحتمل ان يكون الاستعجال المنهي عنه انما اتفق
للرسول عليه الصلاة والسلام عند انزال هذه الايات عليه فلا جرم نهي عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت وقيل
له لا تحرك به لسانك لتعجل به • وهذا كما ان المدرس اذا كان يلقي على تلميذه شيئا فاخذ التلميذ يمينا وشمالا فيقول المدرس
في اثنا ذلك الدرس لا تلتفت يمينا وشمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل ذلك الدرس مع هذا الكلام في اثنايه فمن لم يعرف السبب
يقول ان وقوع تلك الكلمة في اثنا ذلك الدرس غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم انه حسن الترتيب • وثانيها انه تعالى
نقل عن الكفار انهم يحبون السعادة العاجلة وذلك هو قوله بل يريد الانسان ليفجر امامه • ثم بين ان التعجيل مذموم مطلقا
حتى التعجيل في امور الدين فقال لا تحرك به لسانك لتعجل به • وقال في اخر الاية كلا بل تحبون العاجلة • وثالثها انه تعالى
قال بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره فهاهنا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يظهر التعجيل في القراة مع جبريل
وكان يجعل العذر فيه خوف النسيان فكانه قيل له انك اذا اتيت بهذا العذر لكنك تعلم ان الحفظ لا يحصل الا بتوفيق الله
واعانته • فاترك هذا التعجيل واعتمد على هداية الله تعالى • وهذا هو المراد من قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا

والزجاج

جمعه وقرانه



جمعه وقرانه • ورابعها انه تعالى قال يا محمد ان غرضك من هذا التعجيل ان تحفظه وتبلغه اليهم لكن لا حاجة الى هذا فان الانسان
على نفسه بصيرة وهم بقلوبهم يعلمون ان الذي هم عليه من الكفر وعبادة الاوثان وانكار البعث منكر باطل فاذا كان غرضك
من هذا التعجيل ان تعرفهم قبح ما هم عليه • ثم ان هذه المعارف حاصلة عندهم فحينئذ لم يبق لهذا التعجيل فايدة فلا جرم قال
لا تحرك به لسانك • وخامسها انه تعالى حكى عن الكافر انه يقول اين المفر ثم قال تعالى كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر • فالكافر
كانه كان يفر من الله تعالى الى غيره • فقيل لمحمد انك في طلب حفظ القران تستعين بالتكرار وهذا استعانة منك بغير الله فاترك
هذه الطريقة واستعن في هذا الامر بالله فكانه قيل ان الكافر يفر من الله الى غيره • واما انت فكن كالمضاد له فيجب ان تفر
من غير الله الى الله وان تستعين في كل الامور بالله حتى يحصل لك المقصود على ما قال ان علينا جمعه وقرانه • وقال في سورة
اخرى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما اي لا تستعن في طلب الحفظ بالتكرار بل اطلبه من الله
وسادسها ما ذكره القفال وهو ان قوله لا تحرك به لسانك ليس خطابا مع الرسول عليه الصلاة والسلام بل هو خطاب مع الانسان
المذكور في قوله ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر فكان ذلك للانسان حالما ينبا بقبايح افعاله وذلك بان يعرض عليه كتابه
فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاذا اخذ في القراة تلجلج لسانه من شدة الخوف وسرعة القراة فيقال
له لا تحرك به لسانك لتعجل به فانه يجب علينا بحكم الوعد او بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك عليك وان نقراها عليك فاذا قراناه
عليك فاتبع قرانه بالاقرار بانك فعلت تلك الافعال • ثم ان علينا بيان امره وشرح مراتب عقوبته وحاصل الامر من تفسير
هذه الاية ان المراد منها انه تعالى يقرر على الكافر جميع اعماله على سبيل التفصيل • وفيه اشد الوعيد في الدنيا واشد
التهويل في الاخرة قال القفال فهذا وجه حسن ليس في العقل ما يدفعه وان كانت الاثار غير واردة به المسلة الثانية
احتج من جوز الذنب على الانبيا عليهم السلام بهذه الاية فقال ان ذلك الاستعجال ان كان باذن الله تعالى فكيف نهاه عنه
وان كان لا باذن الله تعالى فقد صدر الذنب عنه الجواب لعل ذلك الاستعجال كان ماذونا فيه الى وقت النهي عنه ولا يبعد
ان يكون الشي ماذونا فيه في وقت ثم يصير منهيا عنه في وقت اخر • ولهذا السبب قلنا يجوز النسخ المسلة الثالثة
روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه حفظ التنزيل وكان اذا نزل الوحي
يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل مخافة ان لا يحفظ فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك اي بالوحي والتنزيل والقران
وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه كما اضمر في قوله انا انزلناه في ليلة القدر • ونظيره قوله ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه لتعجل باخذه اما قوله تعالى ان علينا جمعه وقرانه • ففيه مسايل المسلة الاولى
كلمة على للوجوب • فقوله ان علينا يدل على ان ذلك كالواجب على الله تعالى اما على مذهبنا فذلك الوجوب بحكم الوعد
واما على قول المعتزلة فلان المقصود من البعثة لا يتم الا اذا كان الوحي محفوظا مبرا عن النسيان فكان ذلك واجبا
نظرا الى الحكمة المسلة الثانية قوله ان علينا جمعه معناه علينا جمعه في صدرك وحفظك • وقوله وقرانه فيه وجهان
احدهما ان المراد من القران القراة • وعلى هذا التقدير فيه احتمالان • احدهما ان يكون المراد ان جبريل عليه السلام
سيعيده عليك حتى تحفظه • والثاني ان يكون المراد انا سنقريك يا محمد اي نصيرك بحيث لا تنساه وهو المراد من قوله سنقريك فلا
تنسى فعلى هذا الوجه الاول القاري جبريل • وعلى الوجه الثاني القاري محمد صلى الله عليه وسلم • والوجه الثاني ان يكون المراد
من القران الجمع والتاليف من قولهم ما قرات الناقة سلا قط اي ما جمعت • وبيت عمرو بن كلثوم لم يقرا جنينا وقد ذكرنا ذلك
عند تفسير القرو فان قيل فعلى هذا الوجه يكون الجمع والقران واحدا فيلزم التكرار • قلنا يحتمل ان يكون المراد من الجمع
جمعه في نفسه ووجوده الخارجي ومن القران جمعه في ذهنه وحفظه وحينئذ يندفع التكرار قوله تعالى فاذا قراناه فاتبع
قرانه • وفيه مسايل المسلة الاولى جعل قراة جبريل عليه السلام قراته • وهذا يدل على الشرف العظيم لجبريل عليه السلام
ونظيره في حق محمد صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله المسلة الثانية قال ابن عباس معناه فاذا قراه
جبريل فاتبع قرانه • وفيه وجهان • الاول قال قتادة فاتبع حلاله وحرامه • والثاني فاتبع قرانه اي لا ينبغي ان تكون
قراتك مقارنة لقراة جبريل لكن يجب ان تسكت حتى يتم جبريل عليه السلام القراة • فاذا سكت جبريل فخذ انت في القراة وهذا
الوجه اولى لانه عليه الصلاة والسلام امر ان يدع القراة ويستمع من جبريل عليه السلام حتى اذا فرغ جبريل قراه وليس هذا
موضع الامر باتباع ما فيه من الحلال والحرام قال ابن عباس فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بعد هذه الاية
اطرق واستمع فاذا ذهب قراه قوله تعالى ثم ان علينا بيانه • فيه مسلتان • المسلة الاولى الاية تدل على
انه عليه السلام كان يقرا مع قراة جبريل عليه السلام وكان يسال في اثنا قراته عن مشكلاته ومعانيه لغاية حرصه
على العلم فنهي عليه السلام عن الامرين جميعا اما عن القراة مع قراة جبريل فبقوله فاذا قراناه فاتبع قرانه واما عن القا
الاسولة في البين فبقوله ثم ان علينا بيانه المسلة الثانية احتج من جوز تاخير البيان عن وقت الخطاب بهذه الاية

قوله ان علينا يدل على ان ذلك كالواجب على الله تعالى

واجاب ابو الحسين عنه من وجهين • الاول ان ظاهر الآية يقتضي وجوب تاخير البيان عن وقت البيان وانتم لا تقولون به
الثاني ان عندنا الواجب ان يقرن باللفظ اشعارا بانه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره • فاما البيان التفصيلي فيجوز
تاخيره فنحمل الآية على تاخير البيان التفصيلي • وذكر القفال وجها ثالثا وهو ان قوله ثم ان علينا بيانه اي ثم انا نخبرك بان علينا
بيانه • ونظيره قوله تعالى فك رقبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا والجواب عن الاول ان اللفظ لا يقتضي وجوب
تاخير البيان بل يقتضي تاخير وجوب البيان • وعندنا الامر كذلك لان وجوب البيان لا يتحقق الا عند الحاجة • وعن الثاني ان
كلمة ثم دخلت على مطلق البيان فيتناول البيان المجمل والمفصل • واما سؤال القفال فضعيف ايضا لانه ترك للظاهر
**المسئلة الثالثة** قوله تعالى ثم ان علينا بيانه يدل على ان بيان المجمل واجب على الله تعالى • اما عندنا فبالوعد والتفضيل
واما عند المعتزلة فبالحكمة **قوله تعالى** كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة • فيه مسئلتان **المسئلة الاولى**
قال صاحب الكشاف كلا ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وحث على الاناة والتؤدة • وقد بالغ في ذلك باتباعه
قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم يا بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة • وقال سائر المفسرين كلا معناه حقا اي حقا تحبون العاجلة وتذرون الآخرة • والمعنى انهم يحبون
الدنيا ويعملون لها ويتركون الآخرة ويعرضون عنها **المسئلة الثانية** قرئ يحبون ويذرون بالياء والتاء وفيه وجهان
الاول قال الفراء القرآن اذا نزل تعريفا لحال قوم • فتارة ينزل على سبيل المخاطبة لهم وتارة على سبيل المغايبة كقوله
تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم • الثاني قال ابو علي الفارسي الياء على ما تقدم من ذكر الانسان في قوله ايحسب
الانسان • والمراد منه الكثرة كقوله ان الانسان خلق هلوعا • والمعنى هم يحبون ويذرون • والتاء على قل لهم بل تحبون
وتذرون **قوله تعالى** وجوه يومئذ ناضرة • قال الليث نضر اللون والشجر والورق ينضر نضرة • والنضرة النعمة
والناضر الناعم الغض الحسن من كل شيء • ومنه يقال للون اذا كان مشرقا ناضرا • فيقال اخضر ناضر • وكذلك في جميع
الالوان ومعناه الذي له بريق • وكذلك شجر ناضر وروض ناضر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام نضر الله عبدا
سمع مقالتي الحديث اكثر الرواة رووا بالتخفيف • وروي عن الاصمعي فيه التشديد • والفاظ المفسرين مختلفة
في تفسير الناضر ومعناها واحد قالوا مسرورة ناعمة مضيئة مسفرة مشرقة بهجة وقال الزجاج نضرت بنعيم
الجنة • كما قال تعرف في وجوههم نضرة النعيم **قوله تعالى** الى ربها ناظرة اعلم ان جمهور اهل السنة
يتمسكون بهذه الآية في اثبات ان المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيمة • اما المعتزلة فلهم ههنا مقامان
احدهما بيان ان ظاهره لا يدل على رؤية الله تعالى • والثاني بيان التاويل • اما المقام الاول فقالوا النظر
المقرون بحرف الى ليس اسما للرؤية بل لمقدمة الرؤية وهي تقليب الحدقة نحو المرئي التماسا لرؤيته • ونظر العين
بالنسبة الى الرؤية كنظر القلب بالنسبة الى المعرفة • وكالاصغاء بالنسبة الى السماع • فكما ان نظر القلب مقدمة
للمعرفة • والاصغاء مقدمة للسماع • فكذا نظر العين مقدمة للرؤية • قالوا والذي يدل على ان النظر ليس اسما
للرؤية وجوه • الاول قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون اثبت النظر حال عدم الرؤية
فدل على ان النظر غير الرؤية • والثاني ان النظر يوصف بما لا توصف به الرؤية • يقال نظر اليه نظرا شزرا
ونظر غضبان ونظر راض • وكذلك لاجل ان حركة الحدقة تدل على هذه الاحوال ولا توصف الرؤية بشيء
من ذلك فلا يقال رآه شزرا ورآه رؤية غضبان او رؤية راض • الثالث يقال انظر اليه حتى تراه • ونظرت
اليه فرأيته • وهذا يفيد كون الرؤية غاية للنظر وذلك يوجب الفرق بين النظر والرؤية • الرابع يقال
دور فلان متناظرة اي متقابلة • فمسمى النظر حاصل ههنا ومسمى الرؤية غير حاصل • الخامس قول الشاعر
وجوه ناظرات يوم بدر • الى الرحمن تنتظر الخلاصا • اثبت النظر المقرون بحرف الى مع ان الرؤية
ما كانت حاصلة • السادس احتج ابو علي الفارسي على ان النظر ليس عبارة عن الرؤية التي هي ادراك البصر
بل هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو الجهة التي فيها الشيء الذي يراد رؤيته • بقول الشاعر **شعر**
فيا مي هل يجزي بكاي بمثله • مرارا وانفاسي اليك الزوافر • واني متى اشرف على الجانب الذي • به انت من بين الجوانب ناظر
قال فلو كان النظر عبارة عن الرؤية لما طلب الجزاء عليه لان المحب لا يطلب الثواب على رؤية المحبوب • فان
ذلك من اعظم مطالبه قال • ويدل على ذلك ايضا قول الآخر **شعر** ونظرة ذي شجن وامق • اذا ما الركائب جاوزن ميلا
والمراد منه تقليب الحدقة نحو الجانب الذي فيه المحبوب فعلمنا بهذه الوجوه ان النظر المقرون بحرف
الى ليس للرؤية • السابع ان قوله الى ربها ناظرة معناه انها تنظر الى ربها خاصة ولا تنظر الى غيره وهذا
معنى تقديم المفعول • الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الا الى الله تصير الامور

والى الله ترجعون



[illegible]

مسيلمة الكذاب لانهم كانوا يسمونه رحمان اليمامة فاصحابه كانوا ينتظرون اليه ويتوقعون منه التخليص من الاعداء
واما قول الشاعر **شعر** واذا نظرت اليك من ملك • فالجواب ان قوله واذا نظرت اليك لا يمكن ان يكون
المراد منه الانتظار لان مجرد الانتظار لا يستعقب العطية • بل المراد من قوله واذا نظرت اليك • واذا سألتك
لان النظر الى الانسان مقدمة المكالمة فجاز التعبير عنه بقوله كلمة الى ههنا ليس المراد منه حرف التعدية بل واحد
الآلاء • قلنا ان الى على هذا القول يكون اسما للماهية التي يصدق عليها انها نعمة • فعلى هذا يكفي تحقق مسمى هذه اللفظة
في جزء فرض من اجزاء النعمة • وان كان في غاية القلة والحقارة • واهل الثواب يكونون في جميع مواقف القيمة في النعم
العظيمة المتكاملة • ومن كان حاله كذلك كيف يمكن ان يبشر بانه يكون في توقع الشيء الذي ينطلق عليه اسم النعمة
ومثال هذا ان يبشر سلطان الارض بانه سيصير حاله في العظمة والقوة بعد سنة بحيث يكون متوقعا لحصول

لما تعذر حمله على حقيقته وجب حمله على شبيهه

يبشر

اللقمة الواحدة من الخبز والقطرة الواحدة من الماء كان ذلك فاسدا من القول فكذا هذا المقام الثاني هب ان النظر
المعدى بحرف الى المقرون بالوجوه جاء في اللغة بمعنى الانتظار لكن لا يمكن حمل هذه الآية عليه لان لذة الانتظار مع يقين
الوقوع كانت حاصلة في الدنيا فلا بد وان يحصل في الآخرة شيء ازيد منه حتى يحسن ذكره في معرض الترغيب في الآخرة
ولا يجوز ان يكون ذلك هو قرب الحصول لان ذلك معلوم بالعقل فيبطل ما ذكروه من التاويل * واما التاويل الثاني وهو
ان المراد الى ثواب ربها ناظرة * فهذا ترك للظاهر * وقولهم انما صرنا اليه لقيام الدلائل العقلية والنقلية على ان
الله لا يرى * قلنا بينا في الكتب العقلية ضعف تلك الوجوه فلا حاجة ها هنا الى ذكرها والله اعلم قوله تعالى
ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة * الباسر الشديد العبوس * والباسل اشد منه * ولكنه غلب في
الشجاع اذا اشتد كلوحه * والمعنى انها عابسة كالحة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار السرور والنعمة منها لما ادركها
من الشقاء واليأس من رحمة الله * ولما سودها الله حين ميز اهل الجنة والنار * وقد تقدم تفسير البسور عند قوله
عبس وبسر وانما كانت بهذه الصفة لانها قد ايقنت ان العذاب نازل بها وهو قوله تظن ان يفعل بها فاقرة
والظن ها هنا بمعنى اليقين هكذا قاله المفسرون * وعندي ان الظن انما ذكرها ها هنا على سبيل التهكم كانه قيل اذا
شاهدوا تلك الاحوال حصل فيهم ظن ان القيمة حق * واما الفاقرة فقال ابو عبيدة الفاقرة الداهية وهو الوسم
الذي يفقر به على الانف قال الاصمعي الفقر ان يحز انف البعير حتى يخلص الى العظم او قريب منه ثم يجعل فيه خشبة يجر البعير
بها * ومنه قيل عملت به الفاقرة * قال المبرد الفاقرة داهية تكسر الظهر واصلها من الفقرة والفقارة كان الفاقرة
داهية تكسر فقار الظهر * وقال ابن قتيبة * يقال فقرت الرجل كما يقال راسته وبطنته فهو مفقور واعلم ان من
من المفسرين من فسر الفاقرة بانواع العذاب في النار * وفسرها الكلبي فقال الفاقرة هي ان تحجب عن رؤية ربها ولا تنظر
اليه قوله تعالى كلا * قال الزجاج كلا ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل لما عرفتم صفة سعادة السعداء وشقاوة
الاشقياء في الآخرة وعلمتم انه لا نسبة لها الى الدنيا فارتدعوا عن ايثار الدنيا على الآخرة وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت
الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين * وقال آخرون كلا اي حقا اذا بلغت التي الى
كان كذا وكذا * والمقصود انه لما بين تعظيم احوال الآخرة بين ان الدنيا لا بد فيها من الانتهاء والنفاد والوصول الى تجرع
مرارة الموت * وقال مقاتل كلا اي لا يؤمن الكافر بما ذكر من امر القيمة * ولكنه لا يمكنه ان يدفع انه لا بد من الموت
ومن تجرع كاسها * وتحمل آلامها * ثم انه تعالى وصف تلك الحال التي تفارق الروح فيها الجسد فقال تعالى اذا بلغت
التراقي * وفيه مسئلتان المسئلة الاولى المراد اذا بلغت النفس او الروح اخبر عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب به
كقوله انا انزلناه * والتراقي جمع ترقوة وهي عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين واعلم انه يكنى ببلوغ النفس
التراقي عن القرب من الموت * ومنه قول دريد بن الصمة * شعر * ورب عظيمة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقي *
ونظيره قوله تعالى حتى اذا بلغت الحلقوم المسئلة الثانية قال بعض الطاعنين ان النفس انما تصل الى التراقي بعد
مفارقتها عن القلب ومتى فارقت النفس القلب حصل الموت لا محالة * والآية تدل على ان عند بلوغها التراقي تبقى الحياة
حتى يقال فيه من راق * وحتى تلتف الساق بالساق * والجواب المراد من قوله حتى اذا بلغت التراقي اي اذا حصل القرب
من تلك الحالة قوله تعالى وقيل من راق * وفيه مسئلتان المسئلة الاولى في راق وجهان * الاول ان يكون من
الرقية * يقال رقاه يرقيه رقية اذا عوذه بما يشفيه * كما يقال بسم الله ارقيك * وقائل هذا القول على هذا الوجه هم الذين
يكونون حول ذلك الانسان المشرف على الموت * ثم هذا الاستفهام يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كانهم طلبوا طبيبا يشفيه
وراقيا يرقيه * ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار كما تقول عند الياس من الذي يقدر ان يرقي هذا الانسان المشرف
على الموت * الوجه الثاني ان يكون قوله من راق من رقي يرقى رقيا * ومنه قوله تعالى ولن نؤمن لرقيك * وعلى هذا الوجه
يكون قايل هذا القول هم الملئكة قال ابن عباس ان الملئكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بهذا الكافر
وقال الكلبي يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملئكة الرحمة وسبعة من ملئكة العذاب مع ملك الموت * فاذا بلغت
نفس العبد التراقي نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الى السماء فهو قوله من راق المسئلة الثانية قال
الواحدي ان اظهار النون عند حروف الفم لحن * فلا يجوز اظهار نون من في قوله من راق * وبل ران * قال ابو علي الفارسي ولا
اعرف وجه ذلك قال الواحدي والوجه ان يقال قصد الوقف على من وبل فاظهرهما ثم ابتدأ بما بعدهما * وهذا غير مرضي
من القراءة قوله تعالى وظن انه الفراق * قال المفسرون المراد انه ايقن بمفارقة الدنيا ولعله انما سمي اليقين
ها هنا بالظن لان الانسان ما دام يبقى روحه متعلقا ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة على
ما قال كلا بل تحبون العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها ولا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة او لعله

يقين

سماه بالظن

سماه بالظن على سبيل التهكم واعلم ان الآية دالة على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لانه تعالى سمى
الموت فراقا والفراق انما يكون لو كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف ثم قال
والتفت الساق بالساق * الالتفاف هو الاجتماع كقوله تعالى جئنا بكم لفيفا * وفي الساق قولان * القول الاول انه الامر الشديد
قال اهل المعاني لان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق * وتقول العرب قامت الحرب على ساق
اي اشتدت قال الجعدي * شعر * اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا *
ثم قالوا المراد بقوله التفت الساق بالساق اي التفت شدة مفارقة الدنيا ولذاتها وشدة الذهاب * او التفت شدة ترك
الاهل وترك الولد وترك المال وترك الجاه وشدة شماتة الاعداء وغم الاولياء * وبالجملة فالشدائد هناك كثيرة كشدة الذهاب
الى الآخرة والقدوم على الله او التفت شدة ترك الاحباب والاولياء وشدة الذهاب الى دار الغربة * والقول الثاني
ان المراد من الساق هذا العضو المخصوص * ثم ذكروا على هذا القول وجوها * احدها قال الشعبي وقتادة هما ساقاه عند
الموت * اما رايته في النزع كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى * والثاني قال الحسن وسعيد بن المسيب هما ساقاه اذا
التفتا في الكفن * والثالث انه اذا مات يبست ساقاه والتصقت احداهما بالاخرى ثم قال تعالى الى ربك يومئذ المساق
مصدر من ساق يسوق كالمقال من قال يقول * ثم فيه وجهان * الاول ان يكون المراد ان المسوق اليه هو الرب * والثاني
ان يكون المراد ان السائق في ذلك اليوم هو الرب يسوق وهو لا مفوض اليه كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب
وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى * وفيه مسائل المسئلة الاولى انه تعالى شرح كيفية عمله فيما يتعلق باصول الدين
وبفروعه * وفيما يتعلق بدنياه * اما ما يتعلق باصول الدين فهو انه ما صدق ولكنه تولى واعرض * واما ما يتعلق بدنياه
فهو انه ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ويختال في مشيته واعلم ان الآية دالة على ان الكافر يستحق الذم والعقاب
بترك الصلاة كما يستحقهما بترك الايمان المسئلة الثانية قوله فلا صدق حكاية عمن فيه قولان الاول انه كناية
عن الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه الاترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف
على قوله يسئل ايان يوم القيمة والقول الثاني ان الآية نزلت في ابي جهل المسئلة الثالثة في يتمطى قولان احدهما
ان اصله يتمطط اي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فقلبت الطاء فيه ياء * كما قيل في يتقضى اصله يتقضض والثاني
من المطا وهو الظهر لانه يلويه * وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطا اي مشية المتبختر المسئلة الرابعة
قال اهل العربية لا ها هنا في موضع لم فقوله لا صدق ولا صلى اي لم يصدق ولم يصل * وهو كقوله فلا اقتحم العقبة
اي لم يقتحم * وكذلك ما روي في الحديث ارايت من لا اكل ولا شرب ولا استهل قال الكسائي لم ار العرب قالت في مثل هذا
كلمة وحدها حتى يتبعها باخرى اما مصرحا او مقدرا * اما المصرح فلا يقولون لا عبد الله خارج حتى يقولوا ولا فلان
ولا يقولون مررت برجل لا يحسن حتى يقولوا ولا يجمل * واما المقدر فهو كقوله فلا اقتحم العقبة ثم اعترض الكلام فقال
وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعم * وكان التقدير لا فك رقبة ولا اطعم مسكينا فاكتفى به مرة واحدة * ومنهم
من قال التقدير في قوله فلا اقتحم اي افلا اقتحم وهلا اقتحم قوله تعالى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى ايحسب
الانسان ان يترك سدى * قال قتادة والكلبي ومقاتل اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد ابي جهل ثم قال
اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى توعده فقال ابو جهل باي شيء تهددني لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا * واني
لاعز اهل هذا الوادي * ثم انسل ذاهبا فانزل الله تعالى كما قال له الرسول عليه الصلاة والسلام * ومعنى قوله اولى لك
بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه قال القاضي المعنى بعدا لك فبعدا في امر دنياك * وبعدا لك في امر
اخراك * وقال آخرون المعنى الويل لك مرة بعد مرة قال القفال هذا يحتمل وجوها * احدها انه وعيد مبتدا من الله
للكافر * والثاني انه شيء قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعدوه فاستنكره عدو الله لعزته عند نفسه فانزل الله تعالى
مثل ذلك * والثالث ان يكون ذلك امرا من الله لنبيه بان يقولها لعدو الله * فيكون المعنى ثم ذهب الى اهله يتمطى
فقل له يا محمد اولى لك فاولى اي احذر فقد قرب منك ما لا قبل لك به من المكروه قوله تعالى ايحسب الانسان
ان يترك سدى اي مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب بعمله في الآخرة * والسدى في اللغة المهمل
يقال اسديت ابلي اسداء اي اهملتها واعلم انه تعالى لما ذكر في اول السورة قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه
اعاد في آخر السورة ذلك * وذكر في صحة البعث والقيمة دليلين الاول قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى
ونظيره قوله ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * وقوله ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار * وتقريره ان اعطاء القدرة والآلة والعقل بدون التكليف
والامر بالطاعة والنهي عن المفاسد يقتضي كونه تعالى راضيا بقبائح الافعال وذلك لا يليق بحكمته فاذا لا بد

٢

وفي الحديث اذا مشت امتي المطيطا مشية المتبختر

من التكليف والتكليف لا يحسن ولا يليق بالكريم الرحيم الا اذا كان هناك دار الثواب والبعث والقيمة . الدليل الثاني على صحة القول بالحشر الاستدلال بالخلقة الاولى على الاعادة وهو المراد من قوله الم يك نطفة من مني يمنى وفيه مسايل المسئلة الاولى النطفة هي الما القليل وجمعها نطاف ونطف . تقول العرب للماء القليل ... في صلب الرجل وترايب المراة وقوله من مني يمنى اي يصب في الرحم . وذكرنا الكلام في يمنى عند قوله من نطفة اذا تمنى وقوله افرايتم ما تمنون . فان قيل ما الفايدة في يمنى في قوله من مني يمنى . قلنا فيه اشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي يخرج على مخرج النجاسة فلا يليق بمثل هذا الشي ان يتمرد عن طاعة الله الا انه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في عيسى ومريم كانا ياكلان الطعام . والمراد منه قضا الحاجة المسئلة الثانية في يمنى في هذه السورة قراتان التا واليا . فالتا للنطفة على تقدير الم يك نطفة تمنى من المني . واليا للمني من يمنى اي يقدر خلق الانسان منه . ثم كان الانسان علقة بعد النطفة اما قوله فخلق ففيه وجهان الاول فخلق فقدر فسوى فعدل . الثاني فخلق اي فنفخ فيه الروح فسوى فكمل اعضاه وهو قول ابن عباس ومقاتل ثم قال فجعل منه اي من الانسان الزوجين يعني الصنفين ثم فسرهما وقال الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى . والمعنى اليس ذلك الذي انشا هذه الاشيا بقادر على الاعادة روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها قال سبحانك بلى . والحمد لله رب العالمين . وصلوته على سيد المرسلين محمد النبي الامي واله وصحبه وسلم

## سورة الانسان احدى وثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم . قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا اتفقوا على ان هل هاهنا وفي قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية بمعنى قد كما تقول هل رايت صنيع فلان وقد علمت انه قد راه . وتقول هل وعظتك هل اعطيتك ومقصودك من ذلك ان تقرره بانك قد اعطيته ووعظته . وقد تجي بمعنى الجحد . تقول وهل يقدر احد على مثل هذا . واما انها تجي بمعنى الاستفهام فظاهر . والدليل على انها هاهنا ليست بمعنى الاستفهام وجهان . الاول ما روي ان الصديق رضي الله عنه لما سمع هذه الاية قال ليتها كانت تمت فلا نبتلى ولو كان ذلك استفهاما لما قال ليتها تمت . لان الاستفهام انما يجاب بلا او بنعم فاذا كان المراد هو الخبر فحينئذ يحسن ذلك الجواب . الثاني ان الاستفهام على الله محال . فلا بد من حمله على الخبر المسئلة الثانية اختلفوا في الانسان المذكور هاهنا . فقال جماعة من المفسرين يريد ادم عليه السلام ومن ذهب الى هذا قال ان الله تعالى ذكر خلق ادم في هذه الاية . ثم عقب بذكر ولده في قوله انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج . والقول الثاني ان المراد بالانسان بنو ادم بدليل قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة فالانسان في الموضعين واحد وعلى هذا التقدير يكون نظم الاية احسن المسئلة الثالثة حين فيه قولان . الاول انه طايفة من الزمن الطويل الممتد وهو غير مقدر في نفسه . والثاني انه مقدر بالاربعين . فمن قال المراد بالانسان هو ادم قال انه مكث ادم عليه السلام اربعين سنة طينا الى ان نفخ فيه الروح . ويروى عن ابن عباس انه بقي طينا اربعين سنة واربعين من صلصال واربعين من حما مسنون . فتم خلقه بعد ماية وعشرين سنة فهو في هذه المدة ما كان شيا مذكورا وقال الحسن خلق الله تعالى كل الاشيا ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر في الايام الستة التي خلق فيها السموات والارض واخر ما خلق ادم عليه السلام فهو قوله لم يكن شيا مذكورا . فان قيل ان الطين والصلصال والحما المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا . والاية تقتضي انه قد مضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين ما كان شيا مذكورا . قلنا ان الطين والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح ويصير انسانا صح تسميته بانه انسان . والذين يقولون ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل وجود الابدان فالاشكال عنهم زايل واعلم ان الغرض من هذا التنبيه على ان الانسان محدث . ومتى كان كذلك فلا بد من محدث قادر المسئلة الرابعة لم يكن شيا مذكورا محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى عليه حين من الدهر غير مذكور . او الرفع على الوصف لحين تقديره هل اتى على الانسان حين لم يكن شيا مذكورا قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج . فيه مسايل المسئلة الاولى المشج في اللغة الخلط يقال مشج يمشج مشجا اذا خلط . والامشاج الاخلاط قال ابن الاعرابي واحدها مشج ومشيج . ويقال للشي اذا خلط مشيج كقولك خليط وممشوج كقولك مخلوط قال الهذلي كان الريش والفوقين منه خلاف النصل سيط به مشيج

يصف السهم

يصف السهم بانه نفذ في الرمية فالتطخ ريشه وفوقاه بدم يسير . قال صاحب الكشاف الامشاج لفظ مفرد وليس يجمع بدليل انه وقع صفة للمفرد وهو قوله نطفة امشاج . ويقال نطفة مشج ولا يصح ان يكون امشاجا جمعا للمشج بل هما مثلان في الافراد . ونظيره برمة اعشار . وقدر ... وثوب اخلاق . وارض سباسب . واختلفوا في معنى كون النطفة مختلطة فالاكثرون على انها اختلاط نطفة الرجل بنطفة المراة . قال ابن عباس هو اختلاط ماء الرجل وهو ابيض غليظ وماء المراة وهو اصفر رقيق فيختلطان ويخلق الولد منهما فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم ... فمن ماء المراة . وقال مجاهد هي الوان النطفة نطفة الرجل بيضا ونطفة المراة صفرا . وقال عبد الله امشاجها عروقها . وقال الحسن يعني من نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة وذلك ان المراة اذا تلقت ماء الرجل وحبلت امسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم . وقال قتادة الامشاج هو ان يختلط الماء والدم ثم يصير علقة ثم يصير مضغة . وبالجملة فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم من صفة الى صفة ومن حال الى حال . وقال قوم ان الله تعالى جعل في النطفة اخلاطا من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف وتم الكلام . والمختار القول الاول وهو ان المراد اختلاط نطفة الرجل والمراة لان الله تعالى وصف النطفة بانها امشاج وهي اذا صارت علقة فلم يبق فيها وصف انها نطفة . ولكن هذا الدليل لا يقدح في قول من قال المراد كونها امشاجا من الارض والماء والهوا والنار . اما قوله نبتليه ففيه مسايل المسئلة الاولى نبتليه معناه لنبتليه وهو كقول الرجل جئتك اقضي حقك اي لاقضي حقك ... المسئلة الثانية نبتليه في موضع الحال اي خلقناه مبتلين له يعني مريدين ابتلاه المسئلة الثالثة في الاية قولان احدهما ان فيه تقديما وتاخيرا والمعنى فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه . والقول الثاني انه لا حاجة الى هذا التغيير . والمعنى انا خلقناه من هذه الامشاج لا للعبث بل للابتلا والامتحان . ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلا وهو السمع والبصر فقال فجعلناه سميعا بصيرا . والسمع والبصر كنايتان عن الفهم والتمييز كما قال حاكيا عن ابرهيم عليه السلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر . وايضا قد يراد بالسميع المطيع كقوله سمعا وطاعة وبالبصير العالم . يقال فلان بصير في هذا الامر . ومنهم من قال بل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان والله تعالى خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها قوله تعالى انا هديناه السبيل . اخبر الله تعالى انه بعد ان ركبه واعطاه الحواس الظاهرة والباطنة بين له سبل الهدى والضلال . وفيه مسايل المسئلة الاولى الاية دالة على ان اعطا الحواس كالمقدم على اعطا العقل والامر كذلك لان الانسان خلق في مبدا الفطرة خاليا عن معرفة الاشيا الا انه اعطاه الالات التي تعينه على تحصيل تلك المعارف وهي الحواس الظاهرة والباطنة . فاذا احس بالمحسوسات تنبه لمشاركات بينها ومباينات ينتزع منها عقايد صادقة اولية كعلمنا بان النفي والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان . وان الكل اعظم من الجزء . وهذه العلوم الاولية هي الة العقل لان بتركيباتها يمكن التوسل الى استعلام المجهولات النظرية فثبت ان الحس مقدم في الوجود على العقل . ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما . ومن قال المراد من كونه سميعا بصيرا هو العقل قال انه لما بين في الاية الاولى انه اعطاه العقل بين في هذه الاية انه انما اعطاه العقل ليبين له السبل ويظهر له ان الذي يجب فعله ما هو والذي لا يجوز ما هو المسئلة الثانية السبيل هو الذي يسلك من الطرق فيجوز ان يكون المراد هاهنا بالسبيل سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك ويكون معنى هديناه اي عرفناه وبينا كيفية كل واحد منهما له كقوله تعالى وهديناه النجدين . ويكون السبيل اسما للجنس فلهذا افرد لفظه كقوله ان الانسان لفي خسر . ويجوز ان يكون المراد بالسبيل هو سبيل الهدى لانها هي الطريقة المعروفة المستحقة لهذا الاسم على الاطلاق . فاما سبل الضلالة فانما هي سبل بالاضافة . الا ترى الى قوله تعالى انا اطعنا سادتنا وكبرانا فاضلونا السبيل . وانما اضلوهم سبل الهدى . ومن ذهب الى هذا جعل معنى قوله هديناه اي ارشدناه واذا ارشد لسبيل الحق فقد نبه على تجنب ما سواها فكان اللفظ دليلا على الطرفين من هذا الوجه المسئلة الثالثة المراد من هداية السبيل خلق الدلايل وخلق العقل الهادي وبعثة الانبيا وانزال الكتب كانه تعالى قال خلقتك للابتلا ثم اعطيتك كل ما تحتاج اليه ليهلك من هلك عن بينة وليس معناه خلقنا الهداية . الا ترى انه ذكر السبيل فقال هديناه السبيل والى السبيل وللسبيل كل ذلك جايز في اللغة قوله تعالى اما شاكرا واما كفورا فيه مسايل المسئلة الاولى في الاية اقوال الاول ان شاكرا وكفورا حالان من الها في هديناه السبيل حال كونه شاكرا وكفورا . والمعنى ان كل ما يتعلق بهداية الله وارشاده

واسد تعالى خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها

السبيل

فقدم حالتي الكفر والايمان • والقول الثاني انه انتصب شاكرا او كفورا باضمار كان • والتقدير سواء كان
شاكرا او كان كفورا • والقول الثالث معناه انا هديناه السبيل ليكون اما شاكرا واما كفورا اي ليتميز شكره
من كفره • وطاعته من معصيته • كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا • وقوله ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن
الله الذين صدقوا • وقوله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم • قال القفال ومجاز
هذه الكلمة على هذا التاويل قول القايل قد نصحت لك ان شيت فاقبل وان شيت فاترك اي ان شيت فتحذف الفا
فكذا المعنى انا هديناه السبيل فاما شاكرا واما كفورا فتحذف الفا وقد يحتمل ان يكون ذلك على جهة الوعيد اي انا هديناه
السبيل • فان شا فليشكر وان شا فليكفر فانا اعتدنا للكافرين كذا وللشاكرين كذا كقوله وقل الحق من ربكم فمن شا فليومن
ومن شا فليكفر • القول الرابع ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف
السبيل بالشكر والكفر مجاز • واعلم ان هذه الاقوال كلها لايقة بمذهب المعتزلة • والقول الخامس وهو المطابق لمذهب
اهل السنة واختيار الفرا ان تكون ما في هذه الاية كما في قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم • والتقدير انا هديناه
السبيل ثم جعلناه تارة شاكرا وتارة كفورا • ويتاكد هذا التاويل بما روي انه قرا ابو السمال بفتح الهمزة في اما • والمعنى
اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبخذلاننا • قالت المعتزلة هذا التاويل باطل لانه تعالى ذكر بعد هذه الاية تهديد
الكفار فقال انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا • ولو كان كفر الكافر من الله وبخلقه لما جاز منه
ان يهدده عليه • ولما بطل هذا التاويل ثبت ان الحق هو التاويل الاول وهو انه تعالى هدى جميع المكلفين سواء امن
او كفر • وبطل بهذا قول المجبرة انه تعالى لم يهد الكافر الى الايمان اجاب اصحابنا بانه تعالى لما علم من الكافر انه لا يومن
ثم كلفه بان يومن فقد كلفه بان يجمع بين العلم بعدم الايمان ووجود الايمان وهذا تكليف بالجمع بين المتنافيين فان لم يصر
هذا عذرا في سقوط التهديد والوعيد جاز ايضا ان يخلق الكفر فيه • ولا يصير ذلك عذرا في سقوط الوعيد والتهديد
~~جاز ايضا ان يخلق الكفر فيه ولا يصير ذلك~~ • واذا ثبت هذا ظهر ان التاويل هو الحق وان التاويل اللايق بقول المعتزلة
ليس بحق • ويطابقه قول المعتزلة المسألة الثانية انه تعالى ذكر نعمه على الانسان فابتدا بذكر النعم الدنيوية
ثم ذكر بعده النعم الدينية • ثم ذكر هذه القسمة واعلم انه لا يمكن تفسير الشاكر والكفور بمن يكون مشتغلا بفعل
الشكر وفعل الكفران والا لم يتحقق الحصر بل المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه عليه والمراد
من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه اما لانه ينكر الخالق او لانه وان كان يثبته لكنه ينكر وجوب الشكر عليه وحينيذ
يتحقق الحصر وهو ان المكلف اما ان يكون شاكرا واما ان يكون كفورا واعلم ان الخوارج احتجوا بهذه الاية على انه لا
واسطة بين المطيع والكافر قالوا لان الشاكر هو المطيع • والكفور هو الكافر والله تعالى نفى الواسطة وذلك يقتضي
ان يكون كل ذنب كفرا وان يكون كل مذنب كافرا • واعلم ان البيان الذي لخصناه يدفع هذا الاشكال فانه ليس المراد من الشاكر
الذي يكون مشتغلا بفعل الشكر فان ذلك باطل طردا وعكسا • اما الطرد فلان اليهودي قد يكون شاكرا لربه
مع انه لا يكون مطيعا لربه • واما العكس فلان المومن قد لا يكون مشتغلا بالشكر ولا بالكفران بل يكون ساكتا غافلا
عنهما فثبت انه لا يمكن تفسير الشاكر بذلك بل لا بد وان يفسر الشاكر بمن يقر بوجوب الشكر • والكفور بمن لا يقر بذلك
وحينيذ يثبت الحصر ويسقط سوالهم بالكلية والله اعلم قوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا
اعلم انه تعالى لما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد • وفيه مسايل المسألة الاولى الاعتاد هو الاعداد
للشي حتى يكون عتيدا حاضرا متى احتيج اليه كقوله تعالى هذا ما لدي عتيد • واما السلاسل فتشد بها ارجلهم • واما
الاغلال فتشد بها ايديهم الى رقابهم • واما السعير فهو النار التي تسعر عليهم فتوقد فيكونوا حطبا لها وهذا من
اغلظ انواع الترهيب والتخويف المسألة الثانية احتج اصحابنا بهذه الاية على ان الجحيم بسلاسلها واغلالها
مخلوقة لان قوله تعالى اعتدنا اخبار عن الماضي قال القاضي انه لما توعد بذلك على التحقيق صار كانه موجود
قلنا هذا الذي ذكرتم ترك للظاهر فلا يصار اليه الا لضرورة المسألة الثالثة قرى سلاسلا بالتنوين وكذلك
قواريرا قواريرا • ومنهم من يصل بغير تنوين ويقف بالالف فلمن نون وصرف وجهان • احدهما ان الاخفش قال
قد سمعنا من العرب صرف جميع ما لا ينصرف • قال وهذا لغة الشعرا لانهم اضطروا اليه في الشعر فصرفوه
فجرت السنتهم على ذلك • الثاني ان هذه الجموع اشبهت الاحاد لانهم قالوا صواحبات يوسف • فلما جمعوه جمع
الاحاد المنصرفة جعلوه في حكمها فصرفوها • واما من ترك الصرف فانه جعله كقوله لهدمت صوامع وبيع
ومساجد • واما الحاق الالف في الوقف فهو كالحاقها في قوله فاطعنا الظنونا والرسولا والسبيلا فتشبه ذلك بالاطلاق
في القوافي • ثم انه تعالى ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا

الابرار يشربون

الابرار جمع بر كالارباب جمع رب • والقول في حقيقة البر تقدم في تفسير قوله تعالى لكن البر من امن بالله • ثم ذكر من انواع نعيمهم
صفة مشروبهم فقال يشربون من كاس يعني من انا فيه الشراب • ولهذا قال ابن عباس يريد الانا فيه الخمر • وفي الاية سوالات
الاول ان مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا • فما السبب في ذكره هاهنا الجواب من وجوه • احدها ان الكافور اسم عين
في الجنة ماوها في بياض الكافور ورايحته وبرده • ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته • فالمعنى ان ذلك الشراب يكون ممزوجا
بما هذه العين • وثانيها ان رايحة الكافور عرض فلا تكون الا في جسم • فاذا خلق الله تلك الرايحة في جرم ذلك الشراب سمي
ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا • وثالثها اي باس في ان يخلق الله تعالى الكافور في الجنة لكن مع طعم طيب لذيذ
ويسلب عنه ما فيه من المضرة • ثم انه تعالى يمزجه بذلك المشروب كما انه تعالى سلب عن جميع المأكولات والمشروبات
ما معها في الدنيا من المضار • السوال الثاني ما فايدة كان في قوله كان مزاجها الجواب منهم من قال انها زايدة والتقدير
من كاس مزاجها كافورا • وقيل بل المعنى كان مزاجها في علم الله تعالى وحكمه كافورا قوله تعالى عينا يشرب
بها عباد الله • فيه مسايل المسألة الاولى ان قلنا الكافور اسم النهر كان عينا بدلا منه • وان شيت نصبت على المدح
والتقدير اعني عينا • اما ان قلنا ان الكافور اسم لهذا الشي المسمى بالكافور كان عينا بدلا من محل من كاس على تقدير
حذف مضاف كانه قيل يشربون خمرا خمر عين • ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه المسألة الثانية
قال في الاية الاولى يشربون من كاس وقال هاهنا يشرب بها فذكر هناك من • وهاهنا البا والفرق ان الكاس
مبدا شربهم واول غايته • واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الما
بالعسل المسألة الثالثة قوله يشرب بها عباد الله عام فيفيد ان كل عباد الله يشربون منها والكفار بالاتفاق
لا يشربون منها فدل على ان لفظ عباد الله مختص باهل الايمان اذا ثبت هذا فقوله ولا يرضى لعباده الكفر لا يتناول الكفار
بل يكون مختصا بالمومنين فيصير تقدير الاية ولا يرضى لعباده المومنين الكفر فلا تدل الاية على انه تعالى لا يريد كفر الكافر
قوله تعالى يفجرونها تفجيرا معناه يفجرونها حيث شاوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم واعلم انه سبحانه
لما وصف ثواب الابرار في الاخرة شرح اعمالهم التي بها استوجبوا ذلك الثواب قوله تعالى يوفون بالنذر وفيه مسايل
المسألة الاولى الايفا بالشي هو الاتيان به وافيا • اما النذر فقال ابو مسلم النذر كالوعد الا انه اذا كان من العباد
فهو نذر وان كان من الله تعالى فهو وعد • واختص هذا اللفظ في عرف الشرع بان تقول لله علي كذا وكذا من الصدقة
او يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله تعالى مثل ان تقول ان شفى الله مريضي او رد غايبي فعلي كذا واختلفوا فيما اذا
علق ذلك بما ليس من وجوه البر كما اذا قال ان دخل فلان الدار فعلي كذا • فمن الناس من جعله كاليمين • ومنهم من جعله
من باب النذور واذا عرفت هذا فللمفسرين في تفسير الاية اقوال • الاول ان المراد من النذر هو النذر فقط [illegible]
ثم قال الاصم هذا مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات [illegible] وهذا التفسير
في غاية الحسن • وثانيها ان المراد بالنذر هاهنا كل ما [illegible]
المكلف على نفسه فيدخل فيه الايمان وجميع الطاعات • وذلك لان النذر هو الايجاب • [illegible]
[illegible]
[illegible] المسألة الثانية [illegible]
[illegible] يخافون يوما [illegible]
ذلك اليوم لا يتحقق الا اذا كان الوفا به واجبا • ويتاكد هذا بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها [illegible]
[illegible] المسألة الثالثة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قوله تعالى ويخافون يوما كان شره مستطيرا واعلم ان [illegible]
النية مقرونة بالعمل [illegible] يوفون بالنذر [illegible] ويخافون [illegible]
قوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات • ومجموع هذين الامرين [illegible] الابرار • وفي الاية سوالان
[illegible]
كيف وصفه الله تعالى بانه شر [illegible] انما سميت شرا لكونها مضرة بمن تنزل عليه وصعبة عليه [illegible]

ومقاتل

مثل ان تقول ان شفى الله مريضي او رد غايبي

بالنيات

الامراض وسائر الامور المكروهة شرورا السؤال الثاني ما معنى المستطير فيه وجهان • احدهما ان يكون فاشيا منتشرا بالغا اقصى المبالغ وهو من قولهم استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر فان قيل كيف يمكن ان يقال شر ذلك اليوم مستطير منتشر مع انه تعالى قال في صفة اوليائه لا يحزنهم الفزع الاكبر قلنا الجواب من وجهين • الاول ان هول القيمة شديد • الا ترى ان السموات تنشق وتنفطر وتصير كالمهل وتتناثر الكواكب • وتكور الشمس والقمر وتفزع الملئكة وتبدل الارض غير الارض وتنسف الجبال وتسجر البحار وهذا الهول يصل الى كل المكلفين على ما قال تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت • وقال يوما يجعل الولدان شيبا الا انه تعالى بفضله يومن اولياءه من ذلك الفزع • والجواب الثاني ان يكون المراد ان شر ذلك اليوم يكون مستطيرا في العصاة والفجار • واما المؤمنون فهم امنون كما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الا ان اهل العقاب في غاية الكثرة بالنسبة الى اهل الثواب فاجري الغالب مجرى الكل على سبيل المجاز • القول الثاني في تفسير المستطير انه الذي يكون سريع الوصول الى اهله وكان هذا القائل ذهب الى ان الطيران اسراع • السؤال الثالث لم قال كان شره مستطيرا ولم يقل وسيكون شره مستطيرا الجواب اللفظ وان كان للماضي الا انه بمعنى المستقبل وهو كقوله وكان عهد الله مسئولا • ويحتمل ان يكون المراد انه كان شره مستطيرا في علم الله وفي حكمته كانه تعالى يعتذر ويقول ايصال هذا الضرر انما كان لان الحكمة تقتضيه • وذلك لان نظام العالم لا يحصل الا بالوعد والوعيد وهما يوجبان الوفاء به لاستحالة الكذب في كلامي فكانه تعالى يقول كان ذلك في الحكمة لازما فلهذا السبب فعلته • النوع الثالث من اعمال الابرار قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا واعلم ان مجامع الطاعات محصورة في امرين • التعظيم لامر الله واليه الاشارة بقوله يوفون بالنذر • والشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله ويطعمون الطعام وهاهنا مسائل المسئلة الاولى لم يذكر احد من اكابر المعتزلة كابي بكر الاصم وابي علي الجبائي وابي القسم الكعبي وابي مسلم الاصفهاني والقاضي عبد الجبار بن احمد في تفاسيرهم ان هذه الايات نزلت في حق علي بن ابي طالب عليه السلام والواحدي من اصحابنا ذكر في كتاب البسيط انها نزلت في حق علي عليه السلام • وصاحب الكشاف من المعتزلة ذكر هذه القصة فروى عن ابن عباس ان الحسن والحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان شفاهما الله تعالى ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث اصوع شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم ووضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فاثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صائمين فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فاثروه • وجاءهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين • ودخلوا على الرسول • فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فراى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلك • فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك فاقراه السورة وللاولين ان يقولوا انه تعالى ذكر في اول السورة انه انما خلق الخلق للابتلاء والامتحان • ثم بين انه هدى الكل وازاح عللهم • ثم بين انهم انقسموا الى شاكر والى كافر • ثم ذكر وعيد الكافر • ثم اتبعه بذكر وعد الشاكر فقال ان الابرار يشربون • وهذه صيغة جمع فيتناول جمع الشاكرين والابرار • ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد لان نظم السورة من اولها الى هذا الموضع يقتضي ان يكون هذا بيانا لحال كل من كان من الابرار والمطيعين فلو جعلناه مخصوصا بشخص واحد لفسد نظم السورة • والثاني ان الموصوفين بهذه الصفات مذكورون بصيغة الجمع كقوله ان الابرار يشربون يوفون بالنذر ويخافون ويطعمون وهكذا الى اخر الايات فتخصيصه بجمع معينين خلاف الظاهر ولا ينكر دخول علي بن ابي طالب عليه السلام فيه • ولكنه ايضا داخل في الاية الدالة على شرح احوال المطيعين فكما انه داخل فيها فكذا غيره من اتقياء الصحابة والتابعين داخل فيها فحينئذ لا يبقى للاية اللهم الا ان يقال السورة انما نزلت عند صدور طاعة مخصوصة عنه ولكنه قد ثبت في اصول الفقه ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب المسئلة الثانية الذين يقولون ان الاية مختصة بعلي بن ابي طالب عليه السلام قالوا المراد من قوله ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا هو ما رويناه انه عليه السلام اطعم المسكين واليتيم والاسير • واما الذين يقولون الاية عامة في حق جميع الابرار قالوا اطعام الطعام كناية عن الاحسان الى

المحتاجين

المحتاجين والمواساة معهم باي وجه كان وان لم يكن ذلك بالطعام بعينه ووجه ذلك ان اشرف انواع الاحسان هو الاحسان بالطعام وذلك لان قوام الابدان بالطعام ولا حياة الا به • وقد يتوهم امكان الحياة مع فقد ما سواه فلما كان الاحسان بالطعام اشرف اقسام الاحسان لا جرم عبر به عن جميع وجوه المنافع • والذي يقوي ذلك انه يعبر بالاكل عن جميع وجوه المنافع فيقال اكل فلان ماله اذا اتلفه في سائر وجوه الاتلاف وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا • وقال لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل • اذا ثبت هذا • فنقول ان الله تعالى وصف هؤلاء الابرار بانهم يواسون باموالهم اهل الضعف والحاجة • واما قوله تعالى على حبه ففيه وجهان احدهما ان يكون الضمير للطعام اي مع اشتهائه والحاجة اليه • ونظيره واتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فقد وصفهم الله تعالى بانهم يوثرون غيرهم على انفسهم على ما قال الفضيل بن عياض على حب الله اي بحبهم لله • واللام قد تقام مقام على وكذلك تقام على مقام اللام • ثم انه تعالى ذكر اصناف من يجب مواساتهم وهم ثلاثة • احدهم المسكين وهو العاجز عن الاكتساب بنفسه • والثاني اليتيم وهو الذي مات كاسبه فيبقى عاجزا عن الكسب لصغره مع انه مات كاسبه • والثالث الاسير وهو الماخوذ من قومه المملوك رقبته الذي لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة • وهؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى هاهنا هم الذين ذكرهم في قوله فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة وقد ذكرنا اختلاف الناس في المسكين قبل هذا • اما الاسير فقد اختلفوا فيه على اقوال • احدها قال ابن عباس والحسن وقتادة انه الاسير من المشركين • يروى انه عليه السلام كان يبعث بالاسارى من المشركين ليحفظوا وليقام بحقهم وذلك لانه يجب اطعامهم الى ان يرى الامام رايه فيهم من قتل او من او فداء او استرقاق ولا يمتنع ايضا ان يكون المراد هو الاسير كافرا كان او مسلما لانه اذا كان مع الكفر يجب اطعامه فمع الاسلام اولى فان قيل لما وجب قتله فكيف يجب اطعامه • قلنا القتل في حال لا يمنع من الاطعام في حال اخرى ولا يجب • اذا عوقب بوجه ان تعاقب بوجه اخر ولذلك لا يحسن فيمن لزمه القصاص ان يفعل به ما هو دون القتل • ثم هذا الاطعام على من يجب فنقول الامام يطعمه فان لم يفعله الامام وجب على المسلمين • وثانيها قال السدي الاسير هو المملوك • وثالثها الاسير هو الغريم قال عليه الصلاة والسلام غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك • ورابعها الاسير هو المسجون من اهل القبلة وهو قول مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير • وروي ذلك مرفوعا من طريق الخدري انه عليه الصلاة والسلام قال مسكينا فقيرا • ويتيما لا اب له • واسيرا قال المملوك المسجون • وخامسها الاسير هو الزوجة لانهن اسراء عند الزوج وقال عليه السلام اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عوان • قال القفال واللفظ يحتمل كل ذلك لان اصل الاسر هو الشد بالقد وكان الاسير يفعل به ذلك حبسا له • ثم سمي بالاسير من شد ومن لم يشد فعاد المعنى الى الحبس • واعلم انه تعالى لما ذكر ان الابرار يحسنون الى هؤلاء المحتاجين بين ان لهم فيه غرضين • احدهما تحصيل رضا الله وهو المراد من قوله انما نطعمكم لوجه الله • والثاني الاحتراز من خوف يوم القيمة وهو المراد من قوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا • وهاهنا مسائل المسئلة الاولى قوله انما نطعمكم لوجه الله الى قوله قمطريرا يحتمل ثلاثة اوجه • احدها ان يكون هؤلاء الابرار قد قالوا هذه الاشياء باللسان اما لاجل ان يكون ذلك القول منعا لاولئك المحتاجين عن المجازاة بمثله او بالشكر لان احسانهم مفعول لاجل الله تعالى فلا معنى لمكافات الخلق • واما ان يكون لاجل ان يصير ذلك القول تفقيها وتنبيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله حتى يقتدي غيرهم بهم في تلك الطريقة • وثانيها ان يكونوا ارادوا ان يقولوا ذلك • وثالثها ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا • وعن مجاهد انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله تعالى منهم فاثنى عليهم المسئلة الثانية اعلم ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى وتارة يكون لغير الله تعالى اما طلبا للمكافاة او طلبا للحمد والثناء وتارة يكون لهما • وهذا هو الشرك • والاول هو المقبول عند الله تعالى • واما القسمان الباقيان فمردودان قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس وقال وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربو عند الله وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ولا شك ان التماس الشكر من جنس المن والاذى اذا عرفت هذا فنقول القوم لما قالوا انما نطعمكم لوجه الله بقي فيه احتمال انه اطعمه لوجه الله ولسائر الاغراض على سبيل التشريك فلا جرم نفي هذا الاحتمال بقوله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا المسئلة الثالثة الشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر وهو على وزن الدخول والخروج هذا قول جماعة اهل اللغة وقال الاخفش اوجعلت الشكور جماعة الشكر وجعلت الكفور جماعة الكفر في قوله فابى الظالمون الا كفورا مثل

قال النبي عليه السلام غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك

يرد ويرود وان شئت مصدرا واحدا في معنى جمع مثل من قعد قعودا وخرج خروجا **المسئلة الرابعة**
قوله انا نخاف من ربنا يحتمل وجهين احدهما ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافاتكم
والثاني انا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة فان قيل انه تعالى حكى عنهم الايفا
بالنذر وعلل ذلك بخوف القيمة فقط ولما حكى عنهم الاطعام علل ذلك بامرين بطلب رضى الله والخوف عن القيمة
فما السبب فيه قلنا الايفا بالنذر دخل في حقيقة رضى الله تعالى وذلك لان النذر هو الذي اوجبه الانسان
على نفسه لاجل الله فلما كان كذلك لا جرم ضم اليه خوف القيمة فقط اما الاطعام فانه لا يدخل في حقيقة طلب
رضى الله فلا جرم ضم اليه طلب الحذر من خوف القيمة **المسئلة الخامسة** وصف اليوم بالعبوس مجازا على طريقين
احدهما ان يوصف بصفة اهله من الاشقيا كقولهم نهارك صائم روي ان الكافر يعبس حتى يسيل من عينيه عرق
مثل القطران والثاني ان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس او بالشجاع الباسل **المسئلة السادسة**
قال الزجاج جاء في التفسير ان قمطريرا معناه تعبس الجبين فيجمع ما بين العينين قال وهذا سائغ في اللغة يقال
اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل الميم زائدة وقال الكلبي
قمطريرا العبوس وهو قول الفراء وابي عبيدة والمبرد وابن قتيبة قالوا يوم قمطرير وقماطر اذا كان صعبا
شديدا اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء والتفسير هو الاول **قوله تعالى**
فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا اعلم انه تعالى لما حكى عنهم انهم اتوا بالطاعات لغرضين طلب رضى
الله والخوف من القيمة بين في هذه الاية انه اعطاهم هذين الغرضين فحفظهم من هول القيمة فهو المراد بقوله
فوقاهم الله شر ذلك اليوم وسمى شدائدها شرا توسعا واعلم ان هذه الاية احد ما يدل على ان شدائد
الاخرة لا تصل الا الى اهل العذاب واما طلب رضى الله تعالى فاعطاهم بسببه نضرة في الوجه وسرورا في القلب
وقد مر تفسير قوله ولقاهم في قوله ويلقون فيها تحية وسلاما وتفسير النضرة في قوله وجوه يومئذ ناضرة
والتنكير في سرورا للتعظيم والتفخيم **قوله تعالى** وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا المعنى وجزاهم بصبرهم
على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي ونظيره قوله ولباسهم فيها
حرير وهذا يدل على ان المراد من قوله انما نطعمكم لوجه الله ليس هو الاطعام فقط بل جميع انواع المواساة
من الطعام والكسوة ولما ذكر تعالى طعامهم ولباسهم وصف مساكنهم ثم ان المعتبر في المساكن امور احدها
الموضع الذي يجلس فيه فوصفه بقوله متكئين فيها على الارائك وهي السرر في الحجال ولا تكون ارائك الا اذا اجتمعا
وفي نصب متكئين وجهان الاول قال الاخفش انه نصب على الحال والمعنى وجزاهم جنة في حال اتكائهم كما تقول
جزاهم ذلك قياما والثاني قال الاخفش وقد يكون على المدح والثاني المسكن بقوله لا يرون فيها
شمسا ولا زمهريرا وفيه وجهان احدهما ان هواءها معتدل لا حر ولا برد والثاني ان الزمهرير هو القمر في
لغة طي هكذا رواه ثعلب وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى ان الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر **قوله تعالى** ودانية
عليهم ظلالها وفي الاية سؤالات الاول ما السبب في نصب ودانية الجواب ذكر الاخفش والكسائي
والفراء والزجاج فيه وجهين احدهما الحال بالعطف على قوله متكئين كما تقول في الدار عبد الله متكئا ومرسلة
عليه الحجال لانه حين قال عليهم رجع الى ذكرهم فهو الحال المعطوف على الحال
والتقدير لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان
لهم كانه قيل جزاهم جنة جامعة بين البعد عن الحر والبرد ودنو الظلال عليهم والثاني ان تكون دانية
نعتا للجنة والمعنى وجزاهم جنة دانية وعلى هذا الجواب تكون دانية صفة لموصوف محذوف كانه قيل
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها وذلك لانهم وعدوا جنتين وذلك لانهم خافوا
بدليل قوله انا نخاف من ربنا ومن خاف مقام ربه جنتان وقرئ ودانية بالرفع على ان ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
والحال ان ظلالها دانية عليهم السؤال الثاني الظل انما يوجد حيث توجد الشمس فان كان لا شمس في الجنة
فكيف يحصل الظل هناك والجواب ان اشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار مظللة منها
**قوله تعالى** وذللت قطوفها تذليلا ذكروا في ذللت وجهين الاول قال ابن قتيبة ذللت ادنيت منهم
من قولهم حائط ذليل اذا كان قصير السمك والثاني ذللت جعلت منقادة لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا

قال الكلبي عابسا



قال البراء بن عازب ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاؤا فمن اكل قائما لم يؤذه ومن اكل جالسا لم يؤذه ومن اكل مضطجعا
لم يؤذه **واعلم** انه تعالى لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف بعد ذلك شرابهم وقدم عليه وصف تلك
الاواني التي فيها يشربون **فقال** ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها
تقديرا وفي الاية سؤالات السؤال الاول قال تعالى ويطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب والصحاف هي
القصاع والغالب فيها الاكل فاذا كان ذلك من الذهب فما يشربون فيه اولى ان يكون ذهبا لان العادة ان يتنوق
في اناء الشرب ما لا يتنوق في اناء الاكل واذا دلت هذه الاية على ان اناء شربهم يكون من الذهب فكيف ذكرها هنا
انه من الفضة والجواب انه لا منافاة بين الامرين فتارة يسقون بهذا وتارة بذاك السؤال الثاني ما
الفرق بين الانية والاكواب والجواب قال اهل اللغة الاكواب هي الكيزان التي لا عرى لها فيحتمل ان تكون على معنى
ان الاناء يقع فيه الشرب كالقدح والكوب ما صب منه في الاناء كالابريق السؤال الثالث ما معنى كانت والجواب
هو من يكون في قوله كن فيكون اي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتي الجوهرين
المتباينين السؤال الرابع كيف تكون هذه الاكواب من فضة ومن قوارير الجواب عنه من وجوه احدها ان اصل
القوارير في الدنيا الرمل واصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما ان الله تعالى قادر على ان يقلب الرمل الكثيف زجاجة
صافية فكذلك قادر على ان يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة فالغرض من ذكر هذه الاية التنبيه على ان نسبة قارورة
الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة فضة الجنة الى رمل الدنيا فكما انه لا نسبة بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين
في الصفاء واللطافة وثانيها قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء واذا كان كذلك فكمال الفضة
في بقائها ونقائها وشرفها الا انه سريع الانكسار فانية الجنة يحصل فيها من الفضة نقاها وبقاها وشرف
جوهرها ومن القارورة صفاها وشفافيتها وثالثها انها تكون فضة ولكن لها صفاء القارورة ولا تستبعد من قدرة
الله تعالى الجمع بين هذين الوصفين ورابعها ان المراد بالقوارير في الاية ليس هو الزجاج فان العرب تسمي ما استدار
من الاواني التي تجعل فيها الاشربة ورق وصفا قارورة فمعنى الاية واكواب من فضة مستديرة صافية
رقيقة السؤال الخامس كيف القراءة في قوارير قوارير الجواب قرئا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما
وهذا التنوين بدل عن الف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول لان الثاني بدل من الاول فتبع البدل
المبدل وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير وقدروها صفة لقوارير من فضة **اما قوله تعالى**
قدروها تقديرا ففيه مسئلتان **المسئلة الاولى** قال المفسرون معناه قدروها تقديرا على قدر
ريهم لا يزيد ولا ينقص من الري ليكون ألذ لشربهم وقال الربيع بن انس ان تلك الاواني تكون بمقدار ملء الكف
لم تعظم فيثقل حملها **المسئلة الثانية** ان ينتهي مراد الرجل في الانية التي يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل
اما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله كانت قواريرا واما النقاء فقد ذكره بقوله من فضة واما الشكل فالاولى
انهم هم الطائفون الذين دل عليهم قوله تعالى ويطاف عليهم وذلك انهم قدروا شرابها على قدر ري الشارب والثاني
انهم هم الشاربون وذلك لانهم اذا اشتهوا مقدارا من المشروب جاءهم على ذلك القدر من غير زيادة ولا نقصان
**واعلم** انه تعالى لما وصف اواني مشروبهم ذكر بعد ذلك وصف مشروبهم **فقال** ويسقون فيها كاسا كان
مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في المشروب لانه يحدث فيه ضربا
من اللذع فلما كان كذلك وصف الله شراب الجنة بذلك ولا بد وان يكون في الطيب على اقصى الوجوه قال ابن
عباس وكل ما ذكره الله تعالى في القرآن مما في الجنة فليس منه في الدنيا الا الاسم وتمام القول ههنا مثل ما ذكرناه
في قوله كان مزاجها كافورا **قوله تعالى** عينا فيها تسمى سلسبيلا فيه مسائل **المسئلة الاولى**
قال ابن الاعرابي لم اسمع السلسبيل الا في القرآن فعلى هذا لا يعرف له اشتقاق وقال الاكثرون يقال شراب
سلسل وسلسال وسلسبيل اي عذب سهل المساغ وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت
على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة والفائدة في ذكر
السلسبيل هو ان ذلك الشراب يكون في طعم الزنجبيل وليس فيه لذعة لان نقيض اللذع هو السلاسة وقد
عزوا الى علي بن ابي طالب عليه السلام ان معناه سل سبيلا اليها وهو بعيد الا ان يحمله قول القائل سل سبيلا جعلت
علما للعين كما قيل تابط شرا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح **المسئلة الثانية**
في نصب عينا وجهان احدهما انه بدل من زنجبيلا وثانيها انه نصب على الاختصاص **المسئلة الثالثة**
سلسبيلا صرف لانه راس اية فصار كقوله الظنونا والسبيلا وقد تقدم في هذه السورة بيان ذلك **واعلم**

المراد بالقوارير في الآية ليس هو الزجاج

انه تعالى ذكر بعد ذلك من يكون خادما في تلك المجالس فقال ويطوف عليهم ولدان مخلدون وقد تقدم تفسير
هذين الوصفين في سورة الواقعة والاقرب ان المراد به دوام كونهم على تلك الصورة التي لا تراد في الخدم
ابلغ منها وذلك يتضمن دوام حياتهم وحسنهم ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة قال الفرا يقال
مخلدون مسورون ويقال مقرطون وروى نعطونه عن ابن الاعرابي مخلدون محلون والصفة الثالثة
قوله اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا وفي كيفية التشبيه وجوه احدها شبهوا في حسنهم وصفا الوانهم
وانتشارهم في مجالسهم ومنازلهم عند اشتغالهم بانواع الخدمة باللولو المنثور ولو كانوا صفا لشبهوا باللولو
المنظوم الا ترى انه تعالى قال ويطوف عليهم فاذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين وثانيها انهم شبهوا باللولو الرطب
اذا نثر من صدفه لانه احسن واكثر ماء وثالثها قال القاضي هذا من التشبيه العجيب لان اللولو اذا كان متفرقا يكون
احسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على البعض فيكون مخالفا للمجتمع منه واعلم انه تعالى لما ذكر تفصيل
احوال اهل الجنة اتبعه بما يدل على ان هناك امورا اعلى واعظم من هذا القدر المذكور فقال واذا رايت ثم رايت
نعيما وملكا كبيرا وفيه مسايل **المسلة الاولى** رايت هل له مفعول فيه قولان الاول قال الفرا المعنى
واذا رايت ما ثم ويصلح اضمار ما كما قال لقد تقطع بينكم يريد ما بينكم قال الزجاج لا يجوز اضمار ما لان ثم صلة
لما موصولها ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة الثاني انه ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر والغرض
منه ان يشيع ويعم كانه قيل واذا وجدت الروية ثم ومعناه ان بصر الرائي اينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم
كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة **المسلة الثانية** اعلم ان اللذات الدنيوية
محصورة في امور ثلاثة قضاء الشهوة وامضاء الغضب واللذة الخيالية التي يعبر عنها بحب المال والجاه وكل ذلك
مستحقر فان الحيوانات الخسيسة قد تشارك الانسان في واحد منها واحد فالملك الكبير الذي ذكره الله ها هنا
لا بد وان يكون مغايرا لتلك اللذات الحقيرة وما هو الا ان تصير نفسه منتقشة بقدس الملكوت متحلية بجلال
حضرة اللاهوت واما على اصول المتكلمين فالوجه فيه ايضا ان الثواب هو المنفعة المقرونة بالتعظيم
فبين تعالى في الايات المتقدمة تفصيل تلك المنافع وبين في هذه الاية حصول التعظيم وهو ان كل واحد منهم
يكون كالملك العظيم واما المفسرون فمنهم من حمل هذا الملك الكبير على ان هناك منافع ازيد مما تقدم ذكره قال
ابن عباس لا يقدر واصف يصف حسنه ولا طيبه وقيل ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام
ويرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيا حصل ومنهم من حمله على التعظيم فقال
الكلبي هو ان ياتي الرسول من عند الله بكرامة من الكسوة والطعام والشراب التحف الى ولي الله وهو في منزله
فيستاذن عليه ولا يدخل عليه رسول رب العزة من الملايكة المقربين المطهرين الا بعد الاستيذان **المسلة الثالثة**
قال بعضهم قوله واذا رايت خطاب لمحمد خاصة والدليل عليه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ارايت ان دخلت الجنة اترى عيناي ما ترى عيناك فقال نعم فبكى حتى مات وقال الاخرون بل هو خطاب لكل احد
**قوله تعالى** عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق فيه مسايل **المسلة الاولى** قرا نافع وحمزة عاليهم
باسكان اليا والباقون بفتح اليا اما القراة الاولى فالوجه فيها ان يكون عاليهم مبتدا وثياب سندس خبره والمعنى
ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس فان قيل عاليهم مفرد وثياب سندس جماعة والمبتدا اذا كان مفردا لا يكون
خبره مجموعا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
**المسلة الثالثة** قرا نافع وعاصم خضر واستبرق كلاهما بالرفع وقرا الكسائي وحمزة كلاهما بالخفض [illegible] واستبرق بالرفع وقرا ابو عمرو
[illegible] بالرفع واستبرق بالخفض وحاصل الكلام فيه ان خضر يجوز فيه الخفض والرفع اما الرفع

قوله

فاذا جعلها

فاذا جعلتها صفة لثياب وذلك ظاهر لانها صفة مجموعة لموصوف مجموع واما الخفض فاذا جعلتها صفة سندس لان
سندس اريد به الجنس فكان في معنى الجمع واجاز الاخفش وصف اللفظ الذي يراد به الجنس بالجمع كما يقال اهلك
الناس الدينار الصفر والدرهم البيض الا انه قال انه قبيح والدليل على قبحه ان العرب تجي بالجمع الذي هو في اللفظ
الواحد فيجرونه مجرى الواحد وذلك قولهم حصى ابيض وفي التنزيل من الشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر فاذا كانوا
قد افردوا صفات هذا الضرب من الجمع فالواحد الذي في معنى الجمع اولى ان تفرد صفته واما استبرق فيجوز فيه
الخفض والرفع ايضا معا اما الرفع فاذا اريد به العطف على الثياب كانه قيل ثياب سندس واستبرق واما الخفض فاذا
اريد اضافة الثياب اليه كانه قيل ثياب سندس واستبرق والمعنى ثيابهما فاضاف الثياب الى الجنسين كما تقول ثياب
خز وكتان ويدل على ذلك قوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق واعلم ان حمزة هذه الاية قد تقدم في
سورة الكهف **المسلة الثالثة** السندس ما دق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وكل ذلك داخل في اسم الحرير قال تعالى
ولباسهم فيها حرير ثم قيل ان الذين هذا لباسهم هم الولدان المخلدون وقيل بل هذا لباس الابرار وكانهم يلبسون عدة
من الثياب فيكون الذي يعلوها افضلها ولهذا قال عاليهم وقيل هذا من تمام قوله متكئين فيها على الارائك ومعنى
عاليهم اي فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج **قوله تعالى** وحلوا
اساور من فضة وفيه سوالات **الاول** قال تعالى في سورة الكهف اوليك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار
يحلون فيها من اساور من ذهب فكيف جعل تلك الاساور هاهنا من فضة والجواب من ثلاثة اوجه احدها انه لا
منافاة بين الامرين فلعلهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة او على الجمع كما يفعل النسا في الدنيا وثانيها ان
الطباع مختلفة فرب انسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب فالله تعالى يعطي كل واحد
ما يكون رغبته فيه اتم وميله اليه اشد وثالثها ان هذه الاسورة من الفضة انما تكون للولدان الذين هم الخدم
واسورة الذهب للناس **السوال الثاني** السوار انما يليق بالنسا وهو عيب للرجال فكيف ذكر الله تعالى ذلك في معرض الترغيب
والجواب اهل الجنة جرد مرد شباب فلا يبعد ان يحلوا ذهبا وفضة وان كانوا رجالا وقيل هذه الاسورة من
الفضة والذهب انما يكون لنسا اهل الجنة وللصبيان فقط ثم غلب في اللفظ جانب التذكير وفي الاية وجه اخر وهو
ان الة اكثر الاعمال هي اليد وتلك الاعمال والمجاهدات هي التي يتوسل بها الى تحصيل المعارف الالهية والانوار
الصمدية فتكون تلك الاعمال جارية مجرى الذهب والفضة التي يتوسل بها الى تحصيل المطالب فلما كانت تلك الاعمال
صادرة من اليد كانت تلك الاعمال جارية مجرى سوار الذهب والفضة وعبر عن تلك الانوار الفايضة عن الحضرة
الصمدية بقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا وبالجملة فقوله وحلوا اساور من فضة اشارة الى قوله والذين جاهدوا
فينا وقوله وسقاهم ربهم شرابا اشارة الى قوله لنهدينهم سبلنا فهذا [illegible] خطر بالبال والله اعلم **قوله تعالى**
وسقاهم ربهم شرابا طهورا الطهور فيه قولان الاول المبالغة في كونه طاهرا ثم فيه على هذا التفسير احتمالات
احدها انه لا يكون نجسا كخمر الدنيا وثانيها المبالغة في البعد عن الامور المستقذرة يعني ما مسته الايدي الوضرة
وما داسته الاقدام الدنسة وثالثها انها لا تؤول الى النجاسة لانها ترشح [illegible] ابدانهم له ريح كريح المسك القول
الثاني في الطهور انه المطهر وعلى هذا التفسير ايضا في الاية احتمالات احدها قال مقاتل هو عين ما على باب الجنة
تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد وما كان في جوفه من قذر واذى وثانيها
قال ابو قلابة يوتون بالطعام والشراب فاذا كان في اخر ذلك اتوا بالشراب الطهور فيشربون فتطهر بذلك بطونهم
ويفيض عرق من جلودهم مثل ريح المسك وعلى هذين الوجهين يكون الطهور مطهرا لانه يطهر باطنهم عن الاخلاق
الذميمة والاشيا المؤذية فان قيل قوله وسقاهم ربهم هو عين ما ذكر تعالى قبل ذلك من انهم يشربون من عين
الكافور والزنجبيل والسلسبيل او هذا نوع اخر قلنا بل هذا نوع اخر ويدل عليه وجوه احدها دفع التكرار
وثانيها انه تعالى اضاف هذا الشراب الى نفسه فقال وسقاهم ربهم وذلك يدل على فضل في هذا دون غيره وثالثها
ما روينا انه يقدم اليهم الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها اتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهر ذلك بطونهم
ويفيض عرقا من جلودهم مثل ريح المسك وهذا يدل على ان هذا الشراب مغاير لتلك الاشربة ولان هذا الشراب يهضم
ساير الاشربة ثم لهذا الهضم تاثير عجيب وهو انه يجعل ساير الاطعمة والاشربة عرقا يفوح منه ريح كريح المسك
وكل ذلك يدل على المغايرة ورابعها وهو ان الروح من عالم الملايكة والانوار الفايضة من جواهر اكابر الملايكة وعظمائهم
على هذه الارواح مشبهة بالماء العذب الذي يزيل العطش ويقوي البدن وكما ان الينبوع متفاوتة في الصفاء
والكثرة والقوة فكذا ينابيع الانوار العلوية مختلفة فبعضها يكون كافورية على طبع البرد واليبس ويكون صاحبه

اللفظ

وقيل هذه الاسورة من الفضة والذهب

فى الدنيا فى مقام الخوف والبكا والانقباض ❁ وبعضها يكون ذهبيا على طبع الحر واليبس فيكون صاحب
هذه الحالة قليل الالتفات الى ما سوى الله قليل المبالات بالاجسام والجسمانيات ❁ ثم لا يزال الروح البشرى
من ينبوع الى ينبوع ومن نور الى نور ولا شك ان الاسباب والمسببات متناهية فى ارتقائها الى واجب الوجود
الذى هو النور المطلق جل جلاله فاذا وصل الى ذلك المقام وشرب من ذلك الشراب انهضمت تلك الاشربة
المتقدمة بل فنيت لان نور ما سوى الله تعالى يضمحل فى مقابلة نور جلال الله وكبريائه وعظمته وذلك
هو آخر سير الصديقين ومنتهى درجاتهم فى الارتقاء والكمال ❁ فلهذا السبب ختم الله تعالى ذكر ثواب الابرار
على قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا واعلم انه تعالى لما تمم شرح احوال السعداء قال تعالى ان هذا كان لكم جزاء
وكان سعيكم مشكورا اعلم انه فى الاية وجهين الاول قال ابن عباس المعنى انه تعالى قال لاهل الجنة
بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم لنعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد اعده الله تعالى لكم الى هذا الوقت فهو كله لكم
باعمالكم على قلة اعمالكم كما قال حاكيا عن الملئكة انهم يقولون لاهل الجنة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال
كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية ❁ والغرض من هذا الكلام ان يزداد سرورهم فانه يقال للمعاقب
هذا بعملك الردى فيزداد غمه ❁ والم قلبه ❁ ويقال للمثاب هذا بطاعتك فيكون ذلك تهنية له وزيادة فى سروره
والقائلون بهذا التفسير جعلوا القول مضمرا اى ويقال لهم هذا الكلام ❁ الوجه الثانى ان يكون ذلك اخبارا من الله تعالى
لعباده فى الدنيا كانه تعالى شرح ثواب اهل الجنة ان هذا كان فى علمى وحكمى جزاء لكم يا معشر عبيدى لكم خلقتها ❁ ولاجلكم
اعددتها ❁ وبقى فى الاية سؤالان ❁ الاول اذا كان فعل العبد خلقا لله فكيف يعقل ان يكون فعل الله جزاء على فعل الله الجواب
الجزاء هو الكافى وذلك لا ينافى كونه فعلا لله تعالى ❁ الثانى كون سعى العبد مشكورا لله يقتضى كون العبد شاكرا لله
والجواب كون الله تعالى شاكرا للعبد محال الا على وجه المجاز وهو من ثلاثة اوجه ❁ الاول قال القاضى ان الثواب
مقابل لعملهم كما ان الشكر مقابل للنعم ❁ الثانى قال القفال انه مشهور فى كلام الناس ان يقولوا للراضى بالقليل والمثنى
به انه شكور فيحتمل ان يكون شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعات واعطاؤه اياهم عليه ثوابا
كثيرا ❁ الوجه الثالث ان منتهى درجة العبد ان يكون راضيا من ربه مرضيا لربه على ما قال يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعى الى ربك راضية مرضية وكونها راضية من ربها اقل درجة من كونها مرضية لربه ❁ فقوله ان هذا كان لكم جزاء
اشارة الى الامر الذى به تصير النفس راضية من ربه ❁ وقوله وكان سعيكم مشكورا اشارة الى كونها مرضية لربه
ولما كانت هذه الحالة من اعلى المقامات ❁ واخر الدرجات لا جرم وقع الختم عليها فى ذكر مراتب احوال الابرار والصديقين

**قوله تعالى** انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا اعلم انه سبحانه بين فى اول السورة ان الانسان وجد بعد العدم بقوله
تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ❁ ثم بين انه سبحانه خلقه من امشاج ❁ والمراد منه اما كونه
مخلوقا من العناصر الاربعة او من الاخلاط الاربعة او من الرجل والمراة او من الاعضاء والارواح او من البدن والنفس
او من احوال متعاقبة على ذلك الجسم مثل كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما وعلى اى هذه الوجوه نحمل هذه الاية
فذلك يدل على انه لا بد من الصانع [illegible] المختار جل جلاله وعظم كبريائه ❁ ثم بين بعد ذلك انى ما خلقته ضائعا عاطلا باطلا
بل خلقته لاجل الابتلاء والامتحان واليه الاشارة بقوله نبتليه ❁ وهاهنا موضع الخصومة العظيمة القائمة بين اهل
الجبر والقدر ❁ ثم ذكر تعالى انى اعطيته جميع ما يحتاج اليه عند الابتلاء والامتحان وهو السمع والبصر والعقل
واليه الاشارة بقوله فجعلناه سميعا بصيرا ❁ ولما كان العقل اشرف الامور المحتاج اليها فى هذا الباب افرده عن السمع
والبصر فقال انا هديناه السبيل ❁ ثم بين ان الخلق بعد هذه الاحوال صاروا قسمين منهم شاكر ومنهم كفور
وهذا الانقسام باختيارهم كما هو قول القدرية او من الله على ما هو قول الجبرية ❁ ثم انه تعالى ذكر عذاب الكفار
على الاختصار ثم ذكر بعد ذلك ثواب المطيعين على الاستقصاء وهو الى قوله وكان سعيكم مشكورا ❁ واعلم ان
الاختصار فى ذكر العقاب ❁ مع الاطناب فى شرح الثواب ❁ يدل على ان جانب الرحمة اغلب واقوى فظهر مما بينا ان
السورة من اولها الى اخر هذا الموضع فى بيان احوال الاخرة ❁ ثم انه تعالى شرع بعد ذلك فى احوال الدنيا وقدم شرح
احوال المطيعين على شرح احوال المتمردين اما المطيعون فهم الرسول وامته ❁ والرسول هو الراس والرئيس
فلهذا خص الرسول بالخطاب ❁ واعلم ان الخطاب اما النهى واما الامر ❁ ثم انه تعالى قبل الخوض فيما يتعلق بالرسول
من النهى والامر قدم مقدمة فى تقوية قلب الرسول وازالة الغم والوحشة من خاطره وانما فعل ذلك لان الاشتغال
بالطاعة والقيام بمهمة التكليف لا يتم الا مع فراغ القلب ثم بعد هذه المقدمة ذكر نهيه عن بعض الاشياء
ثم بعد الفراغ عن النهى ذكر امره ببعض الاشياء ❁ وانما قدم النهى على الامر لان دفع الضرر اهم من جلب النفع ❁

وازالة ما لا ينبغى



وازالة ما لا ينبغى مقدم على تحصيل ما ينبغى ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك احوال المتمردين والكفار على ما سياتى تفصيل
بيانه ❁ ومن تامل فيما ذكرناه علم ان هذه السورة وقعت على احسن وجوه الترتيب والنظم فالحمد لله الذى نور عقل هذا
المسكين الضعيف بهذه الانوار وله الشكر عليها ابد الاباد ❁ ولنرجع الى التفسير ❁ فنقول اما تلك المقدمة فهى
قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ❁ واعلم ان المقصود من هذه الاية تثبيت الرسول وشرح صدره فيما
نسبوه اليه من كهانة وسحر فذكر الله تعالى ان ذلك وحى من الله تعالى فلا جرم بالغ وكرر الضمير بعد ايقاعه اسما لان
تاكيدا على تاكيد ابلغ كانه تعالى يقول ان كان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله الملك الحق اقول على سبيل
التاكيد والمبالغة ان ذلك وحى حق ❁ وتنزيل صدق من عندى ❁ وهذا فيه فائدتان ❁ احداهما ازالة الوحشة
المتقدمة الحاصلة بسبب طعن اولئك الكفار فان بعض الجهال وان طعنوا فيه الا ان جبار السموات عظمه وصدقه
والثانية تقويته على تحمل التكليف المستقبل وذلك لان الكفار كانوا يبالغون فى ايذائه وهو كان يريد مقابلتهم
فلما امره الله تعالى بالصبر على ذلك الايذاء وترك المقابلة كان ذلك شاقا عليه فقال له انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
وكانه قال له انى ما انزلت عليك هذا القرآن مفرقا منجما الا لحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شىء بوقت معين ❁ ولقد اقتضت
تلك الحكمة تاخير الاذن فى القتال فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة المحضة المبراة عن العبث والباطل ❁ ثم انه
تعالى لما قدم هذه المقدمة ذكر النهى فقال فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا ❁ فاما ان يكون المعنى
واصبر لحكم ربك فى تاخير الاذن فى القتال ❁ ونظيره فاصبر حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ❁ ويكون المعنى عاما
فى جميع التكاليف اى واصبر فى كل ما حكم به ربك سواء كان ذلك تكليفا خاصا بك من العبادات والطاعات او متعلقا
بالغير وهو التبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق الناشئة من ذلك ❁ ثم فى الاية سؤالات **الاول** قوله فاصبر لحكم ربك
دخل فيه ان لا تطع آثما او كفورا فكان ذكره بعده تكريرا الجواب الاول امر بالمامورات ❁ والثانى نهى عن المنهيات
ودلالة احدهما على الاخر بالالتزام لا بالتصريح فيكون التصريح به مفيدا **السؤال الثانى** انه عليه الصلاة والسلام
ما كان يطيع احدا منهم فما الفائدة فى هذا النهى الجواب المقصود بيان ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه
والارشاد لاجل ما تركب فيهم من الشهوة الداعية الى الفساد ❁ وان احدا لو استغنى عن توفيق الله وامداده وارشاده
لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم ❁ ومتى عرف ذلك عرف كل مسلم انه لا بد له من الرغبة الى الله والتضرع اليه فى ان يصونه
عن الشبهات والشهوات ❁ **السؤال الثالث** ما الفرق بين الاثم والكفور الجواب الاثم هو المقدم على المعاصى اى معصية
كانت ❁ والكفور هو الجاحد للنعمة ❁ فكل كفور آثم واما ليس كل آثم كفورا ❁ وانما قلنا ان الاثم عام فى المعاصى كلها لانه
تعالى قال ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما فسمى الشرك اثما وقال ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ❁ وقال يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فدلت هذه الايات على ان الاثم شامل لكل
المعاصى ❁ واعلم ان كل من عبد غير الله فقد اجتمع فى حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غيره فقد عصاه وجحد انعامه
اذا عرفت هذا فقوله [illegible] الاية قولان ❁ الاول ان المراد شخص معين ثم منهم من قال الاثم والكفور هو شخص واحد
وهو ابو جهل ❁ ومنهم من قال الاثم هو الوليد ❁ والكفور هو عتبة [illegible] تعالى سمى الوليد اثما
فى قوله ولا تطع كل حلاف مهين [illegible] معتد اثيم ❁ [illegible] عتبة كان [illegible] بانواع الفسوق ❁ والوليد كان غاليا فى الكفر ❁ والقول الاول اولى [illegible] تروى
ان عتبة بن ربيعة قال للنبى صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الامر حتى ازوجك ولدى فانى من اجمل قريش ولدا وقال
الوليد انا اعطيك المال حتى ترضى فانى من اكثرهم مالا فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من اول
حم السجدة الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال احدهما ظننت
ان الكعبة ستقع ❁ والقول الثانى ان الاثم والكفور مطلقا غير مختص بشخص معين ❁ وهذا هو الاولى
الى الظاهر ❁ ثم قال الحسن الاثم هو المنافق والكفور مشركو العرب وهذا ضعيف [illegible] الاثم عام
والكفور خاص ❁ **السؤال الرابع** كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة فى قوله آثما او كفورا الجواب الكفور [illegible]
انواع الاثم [illegible] **السؤال الخامس** كلمة او تقتضى النهى
عن طاعة احدهما [illegible] ذكروا فيه وجهان الاول وهو
الذى ذكره الزجاج واختاره اكثر المحققين انه لو قيل ولا تطعهما جاز ان يطيع احدهما لان النهى عن طاعة احدهما
يكون نهيا عن طاعتهما جميعا [illegible]
وهذا [illegible] احدهما [illegible]

الاثم

الكفور

ومن عرف كل مسلم انه لا بد له من الرغبة الى الله [illegible]

لعبده اذا امرك احد هذين الرجلين بمخالفته اما اذا توافقا فلا تخالفهما • والثاني قال الفراء تقدير الاية لا تطع منهم
احدا سواء كان اثما او كفورا كقول الرجل لمن يسأله شيئا لا اعطيك سواء سألت او سكت • واعلم انه تعالى لما ذكر هذا
النهي عقبه بالامر فقال واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا • وفي هذه الاية
قولان • الاول ان المراد هو الصلاة قالوا لان التقييد بالبكرة والاصيل يدل على ان المراد من قوله • واذكر اسم
ربك الصلاة • ثم قالوا البكرة هي صلاة الصبح • والاصيل صلاة الظهر والعصر • ومن الليل فاسجد له صلاة المغرب
والعشا فيكون هذه الكلمات جامعة للصلوات الخمس • وقوله وسبحه ليلا طويلا المراد منه التهجد • ثم اختلفوا
فيه فقال بعضهم كان ذلك من الواجبات على الرسول عليه السلام • ثم نسخ كما ذكرنا في سورة المزمل • واحتجوا
عليه بان قوله فتهجد به وسبحه امر وهو للوجوب لاسيما اذا تكرر على سبيل المبالغة • وقال اخرون بل المراد التطوع
وحكمه ثابت • القول الثاني ان المراد من قوله واذكر اسم ربك الى اخر الاية ليس هو الصلاة بل المراد التسبيح الذي
هو القول والاعتقاد • والمقصود ان يكون ذاكرا لله في جميع الاوقات ليلا ونهارا بقلبه ولسانه وهو المراد
من قوله يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا • واعلم ان في الاية لطيفة اخرى وهي انه
تعالى قال انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا اي هديناك الى هذه الاسرار • وشرحنا صدرك بهذه الانوار
واذ قد فعلنا بك ذلك فكن منقادا مطيعا لامرنا • واياك وان تكون منقادا مطيعا لغيرنا • ثم لما امره بطاعته
ونهاه عن طاعة غيره قال واذكر اسم ربك وهذا اشارة الى ان العقول البشرية ليس عندها الا معرفة الاسما
والصفات • اما معرفة الحقيقة فلا • فتارة يقال له واذكر ربك في نفسك وهو اشارة الى مقام الصفات
واما معرفة الحقيقة المخصوصة التي هي مستلزمة لهذه اللوازم السلبية والاضافية فلا سبيل لشيء من الممكنات
والمحدثات الى الوصول اليها والاطلاع عليها • فسبحان من اختفى عن العقول لشدة ظهوره • واحتجب عنها
بكمال نوره • واعلم انه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهي والامر عدل الى شرح احوال الكفار
والمتمردين فقال تعالى ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا • والمراد من الذي حمل هؤلاء
الكفار على الكفر وترك الالتفات والاعراض عما ينفعهم في الاخرة ليس هو الشبهة حتى ينتفعوا بالدلائل
المذكورة في اول هذه السورة بل الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة والراحات الدنية البدنية • وفي الاية
سؤالات الاول لم قال وراءهم ولم يقل قدامهم الجواب من وجوه • احدها لما لم يلتفتوا اليه واعرضوا
عنه فكانهم جعلوه وراء ظهورهم • وثانيها المراد ويذرون وراءهم مصالح يوم ثقيل فاسقط المضاف • وثالثها
ان وراء يستعمل بمعنى قدام كقوله من ورائه جهنم وكان وراءهم ملك • السؤال الثاني ما السبب في وصف يوم القيمة
بانه يوم ثقيل الجواب استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الذي يتعب حامله • ونحوه ثقلت
في السموات والارض • ثم انه تعالى لما ذكر ان الداعي لهم الى هذا الكفر حب العاجل قال نحن خلقناهم
وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا • والمراد ان حبهم للعاجلة يوجب عليهم طاعة الله
من حيث الرغبة ومن حيث الرهبة • اما من حيث الرغبة فلانه هو الذي خلقهم واعطاهم الاعضا السليمة
التي بها يمكن الانتفاع باللذات العاجلة • وخلق جميع ما يمكن الانتفاع به • فاذا احبوا اللذات العاجلة
وتلك اللذات لا تحصل الا عند حصول المنتفع وحصول المنتفع به • وهذا لا يحصلان الا بتكوين الله
وايجاده • فهذا مما يوجب عليهم الانقياد لله ولتكاليفه وترك التمرد والاعراض • واما من حيث الرهبة
فلانه قادر على ان يميتهم وعلى ان يسلب النعمة عنهم وعلى ان يلقيهم في كل محنة وبلية فلاجل الخوف من فوت
هذه اللذات العاجلة يجب عليهم ان ينقادوا لله ويتركوا هذا التمرد • وحاصل الكلام كانه قيل لهم ان حبكم
لهذه اللذات العاجلة طريقة مستحسنة الا ان ذلك يوجب عليكم الايمان بالله والانقياد له فلو انكم توسلتم
به الى الكفر بالله والاعراض عن حكمه قد تمردتم • وهذا ترتيب حسن في السؤال والجواب وطريق لطيف
وفي الاية مسائل المسئلة الاولى قال اهل اللغة الاسر الربط والتوثيق • ومنه اسر الرجل اذا
اوثق بالقد • وفرس مأسور الخلق • وترس مأسور بالعقب • والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها
ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب • المسئلة الثانية واذا شئنا بدلنا امثالهم اي اذا شئنا اهلكناهم
واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم وهو كقوله على ان نبدل امثالكم والغرض منه بيان الاستغناء التام عنهم
كانه قيل لا حاجة بنا الى احد من المخلوقات اليه • وبتقدير ان تثبت الحاجة فلا حاجة الى هؤلاء الاقوام فانا
قادرون على افنائهم وعلى ايجاد امثالهم • ونظيره قوله تعالى ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله

على ذلك قديرا

ذلك قديرا وقال ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز • ثم قيل بدلنا امثالهم اي في الخلقة وان كانوا
اضدادهم في العمل • وقيل امثالهم في الكفر المسئلة الثالثة قال صاحب الكشاف في قوله واذا شئنا انه حقه
ان يجي بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشا يذهبكم واعلم ان هذا الكلام كانه طعن في لفظ
القران وهو ضعيف لان كل واحد من ان واذا حرف الشرط الا ان حرف ان لا يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع فلا يقال
ان طلعت الشمس اكرمتك اما حرف اذا فانه يستعمل فيما كان معلوم الوقوع تقول اتيتك اذا طلعت الشمس فههنا لما
كان الله تعالى عالما بانه سيجي وقت يبدل الله فيهم اولئك الكفرة بامثالهم في الخلقة واضدادهم في الطاعة لا جرم
حسن استعمال حرف اذا • واعلم انه تعالى لما شرح احوال السعدا واحوال الاشقيا قال بعده ان هذه تذكرة فمن شا
اتخذ الى ربه سبيلا • والمعنى ان هذه السورة بما فيها من الترتيب العجيب والنسق البعيد • والوعد والوعيد والترغيب
والترهيب تذكرة للمتاملين وتبصرة للمستبصرين فمن شا الخير لنفسه في الدنيا والاخرة اتخذ الى ربه سبيلا واتخاذ
السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه واعلم ان هذه الاية من جملة الايات التي تلاطمت فيها امواج الجبر والقدر فالقدري
يتمسك بقوله تعالى فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا ويقول انه صريح مذهبي ونظيره فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر • والجبري
يقول متى ضممت هذه الاية الى الاية التي بعدها خرج منه صريح مذهب الجبر وذلك لان قوله فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا
يقتضي ان تكون مشيئة العبد متى كانت خالصة فانها تكون مستلزمة للفعل وقوله بعد ذلك وما تشاؤن الا ان
يشا الله يقتضي كون مشيئة الله تعالى مستلزمة لمشيئة العبد ومستلزم المستلزم مستلزم فاذن مشيئة الله
مستلزمة لفعل العبد وذلك هو الجبر • وهكذا الاستدلال على الجبر بقوله فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر لان هذه الاية
ايضا تقتضي كون المشيئة مستلزمة للفعل • ثم التقرير ما تقدم • واعلم ان هذا الاستدلال على هذا الوجه الذي
لخصناه لا يتوجه عليه كلام القاضي الا انا نذكره وننبه على ما فيه من الضعف قال القاضي المذكور في هذه الاية اتخاذ
السبيل الى الله • ونحن نسلم ان الله قد شاه لانه تعالى قد امر به فلا بد وان يكون قد شاه وهذا لا يقتضي ان يقال العبد لا يشا
الا ما قد شا الله على الاطلاق اذ المراد بذلك الامر المخصوص الذي قد ثبت انه تعالى قد اراده وشاه • واعلم ان هذا الكلام
الذي ذكره القاضي لا تعلق له بالاستدلال على الوجه الذي ذكرناه • وايضا فحاصل ما ذكره القاضي تخصيص هذا العام
بالصورة التي مر ذكرها فيما قبل هذه الاية ضعيف • وذلك لان خصوص ما قبل الاية لا يقتضي تخصيص هذا العام
لاحتمال ان يكون الحكم في هذه الاية واردا بحيث يعم تلك الصورة وسائر الصور • بقي في الاية سؤال يتعلق بالاعراب
وهو ان يقال ما محل ان يشا الله • وجوابه النصب على الظرف • واصله الا وقت مشيئة الله • وكذلك قراءة ابن مسعود
الا ما يشا الله [illegible] • ان الله كان عليما حكيما
بأحوالهم وما يكون منهم [illegible] • ثم ختم السورة فقال يدخل من يشا في رحمته والظالمين اعد لهم
عذابا اليما • اعلم ان خاتمة هذه السورة عجيبة • وذلك لان قوله وما تشاؤن الا ان يشا الله يدل على ان جميع ما صدر
عن العبد فبمشيئة الله • وقوله يدخل من يشا في رحمته يدل على ان دخول الجنة والنار ليس الا بمشيئة
الله [illegible] وذلك هو التوحيد المطلق الذي هو اخر سير الصديقين ومنتهى معارج
العارفين [illegible] • وفي الاية مسائل المسئلة الاولى قوله يدخل من يشا في رحمته ان فسرنا الرحمة بالايمان
فالاية صريحة في ان الايمان من الله • وان فسرناها بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله وفضله واحسانه لا
بسبب الاستحقاق [illegible]
[illegible]
[illegible]
المسئلة الثانية [illegible]
[illegible]
[illegible] • المسئلة الثالثة قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب والمعنى يدخل من يشا في رحمته
ويعذب الظالمين • ويكون قوله اعد لهم عذابا اليما تفسيرا لهذا المضمر • وقرا عبد الله بن الزبير والظالمون
وهذا ليس باختيار لانه معطوف [illegible] • وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية غير حسن • واما
قوله تعالى حم عسق • يدخل من يشا في رحمته والظالمون [illegible] فانما ارتفع لانه لم يذكر بعده فعل
يقع عليه فينصب في المعنى فلم يجز العطف على المنصوب فلذا رفع بالابتدا • وههنا قوله تعالى اعد
لهم عذابا اليما يدل على ان الناصب مضمر فظهر الفرق والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

لان خصوص ما قبل الاية لا يقتضي تخصيص هذا العام

## سورة المرسلات خمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا • في الاية مسايل **المسألة الاولى** اعلم ان هذه الكلمات الخمس اما ان يكون المراد منها جنسا واحدا او اجناسا مختلفة • اما الاحتمال الاول فذكروا فيه وجوها • الاول ان المراد منها باسرها الملايكة • فالمرسلات هم الذين ارسلهم الله اما لايصال النعمة الى قوم او لايصال النقمة الى اخرين وقوله عرفا فيه وجوه • احدها متتابعة كشعر العرف • يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تالبوا عليه والثاني ان يكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر فان هولاء الملايكة ان كانوا بعثوا للرحمة • فهذا المعنى فيهم ظاهر وان كانوا بعثوا لاجل العذاب فذلك العذاب وان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبيا والمومنين الذين انتقم الله لهم منهم • والثالث ان يكون مصدرا كانه قيل والمرسلات ارسالا اي متتابعة وانتصاب عرفا على الوجه الاول على الحال • وعلى الثاني بكونه مفعولا له اي ارسلن للاحسان والمعروف • وقوله فالعاصفات عصفا فيه وجهان • الاول ان الله تعالى لما ارسل اولئك الملايكة فهم عصفوا في طيرانهم كما تعصف الرياح • والثاني ان هولاء الملايكة يعصفون بروح الكافر • يقال عصف بالشي اذا اباده واهلكه يقال ناقة عصوف اي تعصف راكبها فتمضي كانها ريح في السرعة • وعصفت الحرب بالقوم اي ذهبت بهم قال الشاعر في فيلق جاواء ملمومة • تعصف بالمقبل والمدبر • وقوله تعالى والناشرات نشرا معناه انهم نشروا اجنحتهم عند انحطاطهم الى الارض او نشروا الشرايع في الارض او نشروا الرحمة والعذاب • والمراد الملايكة الذين ينشرون الكتب يوم الحساب وهي الكتب التي فيها اعمال بني ادم قال الله تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا • وبالجملة فقد نشروا الشي الذي امروا بايصاله الى اهل الارض ونشره فيهم • وقوله تعالى فالفارقات فرقا معناه انهم يفرقون بين الحق والباطل وقوله فالملقيات ذكرا معناه انهم يلقون الذكر الى الانبيا • ثم المراد من الذكر يحتمل ان يكون مطلق العلم والحكمة كما قال ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشاء من عباده • ويحتمل ان يكون المراد هو القران خاصة وهو قوله االقي عليه الذكر من بيننا وقوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب • والملقي وان كان هو جبريل عليه السلام وحده الا انه يجوز ان يسمى الواحد باسم الجماعة على سبيل التعظيم • واعلم انك قد عرفت ان المقصود من القسم التنبيه على جلالة المقسم به وشرف الملايكة وعلو رتبتهم امر ظاهر من وجوه • احدها شدة مواظبتهم على طاعة الله تعالى كما قال تعالى ويفعلون ما يومرون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون • وثانيها انهم اقسام • فمنهم من يرسل لانزال الوحي على الانبيا • ومنهم من يرسل للزوم بني ادم لكتابة اعمالهم • طايفة منهم بالنهار وطايفة منهم بالليل • ومنهم من يرسل لقبض ارواح بني ادم • ومنهم من يرسل بالوحي من سماء الى سماء الى ان ينزل بذلك الوحي ملك تلك السماء الى الارض • ومنهم الملايكة الذين ينزلون كل يوم من البيت المعمور الى الكعبة على ما روي في بعض الاخبار • فهذا مما يتناوله قوله والمرسلات عرفا • ثم ما فيها من سرعة السير وقطع المسافات الكثيرة في المدة اليسيرة كقوله تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة • ثم ما فيها من نشر اجنحتهم العظيمة عند الطيران ونشر العلم والحكمة والنبوة والهداية والارشاد والوحي والتنزيل واظهار الفرق بين الحق والباطل والقا الذكر في القلب واللسان بسبب ذلك الوحي وبالجملة فالملايكة هم الوسايط بين الله تعالى وبين عباده في الفوز بجميع السعادات العاجلة والاجلة والخيرات الجسمانية والروحانية • فلذلك اقسم الله بهم **القول الثاني** ان المراد من هذه الكلمات الخمس باسرها الرياح • اقسم الله برياح عذاب ارسلها عرفا اي متتابعة كشعر العرف كما قال يرسل الرياح وارسلنا الرياح • ثم انها تشتد حتى تصير عواصف • ورياح رحمة نشرت السحاب في الجو كما قال وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته • وقال الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السما ويجوز ايضا ان يقال الرياح تعين النبات والزرع والشجر على النشور والانبات • وذلك لانها تلقح فيبرز النبات بذلك على ما قال تعالى وارسلنا الرياح لواقح فبهذا الطريق كون الرياح ناشرة للنبات • وفي كون الرياح فارقة وجوه • احدها ان الرياح تفرق بعض اجزا السحاب عن بعض • وثانيها ان الله تعالى خرب بعض القرى بتسليط الرياح عليها كما قال تعالى واما عاد فاهلكوا بريح صرصر وذلك سببا لظهور الفرق بين اوليا الله واعدا الله • وثالثها انه عند حدوث الرياح المختلفة وترتب الاثار العجيبة عليها من تموج السحاب وتخريب الديار يصير الخلق مضطرين الى الرجوع الى الله والتضرع على باب رحمته فيحصل الفرق بين المقر والمنكر والموحد والملحد • وقوله فالملقيات ذكرا معناه ان العاقل اذا شاهد هذه هبوب تلك الرياح التي تقلع القلاع وتهدم الصخور والجبال وترفع الامواج تمسك بذكر الله والتجا الى اعانة الله

فصارت تلك الرياح

فصارت تلك الرياح كأنها القت الذكر والايمان والعبودية في القلب • ولاشك ان هذه الاضافة تكون على سبيل المجاز من حيث ان الذكر حصل عند حدوث هذه • القول الثالث من الناس من حمل بعض هذه الكلمات الخمسة على القران ومنهم من حمل جميعها على القران • فقوله والمرسلات عرفا • والمراد منها الايات المتتابعة المرسلة على لسان جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم • وقوله عرفا اي نزلت هذه الايات بكل عرف وخير وكيف لا وهي الهادية الى سبيل النجاة والموصلة الى مجامع الخيرات • والعاصفات عصفا • فالمراد [illegible] عصفت سائر الملل والاديان [illegible] وجعلها باطلة دائرة • وقوله فالناشرات نشرا المراد ان ايات القران نشرت اثار الحكمة والهداية في قلوب العالمين شرقا وغربا • وقوله فالفارقات فرقا فذلك ظاهر لان ايات القران تفرق بين الحق والباطل ولذلك سمى الله تعالى القران فرقانا • وقوله فالملقيات ذكرا فالامر فيه ظاهر لان القران ذكر كما قال ص والقران ذي الذكر انه لذكر لك ولقومك • وهذا ذكر مبارك [illegible] وانه لتذكرة للمتقين • وذكرى كما قال وذكرى للعالمين • فظهر انه يمكن تفسير هذه الكلمات الخمسة بالقران • وهذا وان لم يذكره احد فانه محتمل • القول الرابع يمكن حملها ايضا على بعثة الانبياء عليهم السلام • والمرسلات عرفا هم الاشخاص الذين ارسلوا بالوحي المشتمل على كل خير ومعروف • فالعاصفات عصفا معناه ان الامر في اول يكون حقيرا ضعيفا ثم يشتد ويعظم ويصير في القوة كعصف الرياح • والناشرات نشرا المراد منه انتشار دينهم ومذهبهم ومقالتهم فالفارقات فرقا المراد انهم يفرقون بين الحق والباطل والتوحيد والالحاد • فالملقيات ذكرا المراد انهم يدعون الخلق الى ذكر الله والمواظبة على عبوديته • القول الخامس ان يكون المراد [illegible] مشتغلا بمصالح الدنيا مستغرقا في طلب [illegible] قلبه داعية الاعراض عن الدنيا والرغبة في خدمة المولى فذلك الداعي هو المرسلات • ثم هذه المرسلات لها اثار [illegible] وهو المراد من قوله فالعاصفات عصفا • [illegible] الا الله ولا ينطق الا الله [illegible] كل ما سواه منعدما وما ذلك قوله فالفارقات فرقا • ثم يصير العبد كالمستهيم في محبته ولا يبقى في قلبه ولسانه الا ذكره فذلك قوله فالملقيات ذكرا • واعلم ان هذه الوجوه الثلاثة الاخيرة • وان كانت غير مذكورة الا انها محتملة جدا • واما الاحتمال الثاني وهو ان لا يكون المراد من الكلمات الخمس شيئا واحدا ففيه وجوه • الاول ما ذكره الزجاج واختاره القاضي وهو ان الثلاثة الاول هي الرياح فقوله والمرسلات عرفا هي الرياح التي تتصل على العرف المعتاد • والعاصفات ما اشتد منه • والناشرات ما ينشر السحاب • اما قوله فالفارقات فرقا فهم الملائكة الذين يفرقون بين الحق والباطل والحلال والحرام بما يتحملونه من القران والوحي وكذلك قوله فالملقيات ذكرا انها الملائكة المتحملة للذكر الملقية ذلك الى الرسل • فان قيل وما المجانسة بين الرياح وبين الملائكة حتى جمع بينهما في القسم • قلنا الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح • القول الثاني ان الاثنين الاولين هما الرياح فقوله والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا هما الرياح • والثلاثة الباقية الملائكة لانها تنشر الوحي والدين • ثم لذلك الوحي اثران احدهما حصول الفرق بين الحق والمبطل • والثاني ظهور ذكر الله في القلوب والالسنة • وهذا القول ظاهر الاحتمال ولكنه ما رايته لاحد ايضا والذي يؤكده انه قال والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا • عطف الثاني على الاول بحرف الفا • ثم ذكر الواو فقال والناشرات نشرا وعطف الاثنين الباقيين عليه بحرف الفا • وهذا يقتضي ان يكون الاولان ممتازين عن الثلاثة الاخيرة • القول الثالث يمكن ايضا ان يقال المراد بالاولين الملايكة فقوله والمرسلات عرفا ملائكة الرحمة وقوله فالعاصفات عصفا ملائكة العذاب • والثلاثة الباقية ايات القران لانها تنشر الحق في القلوب والارواح وتفرق بين الحق والباطل وتلقي الذكر في القلوب والالسنة وهذا القول ايضا ما رايته لاحد • وهو محتمل • ومن وقف على ما ذكرناه امكنه ان يذكر فيه وجوها اخرى والله اعلم بمراده • **المسألة الثانية** قال القفال الوجه في دخول الفا في بعض ما وقع به القسم واذا قيل قام وذهب فهما خبران لكل واحد منهما قائم بنفسه لا يتعلق بالاخر • ثم ان القفال لما مهد هذا الاصل فرع الكلام عليه في هذه الاية بوجوه لا يميل قلبي اليها • وانا افرع على هذا الاصل فاقول • اما من جعل الاولين صفتين لشي والثلاثة الاخيرة صفات لشي واحد • فالاشكال عنه زايل • واما من جعل الكل صفات لشي واحد فنقول ان حملناها على الملايكة فالملايكة اذا ارسلت طارت سريعا • وذلك الطيران هو العصف • فالعصف مرتب على الارسال فلاجرم ذكر الفا اما النشر لا يترتب على الارسال • فان الملايكة اول ما يبلغون الوحي الى الرسل لا يصير في الحال ذلك الدين مشهورا بل الخلق يودون

الانبيا فى اول الامر وينسبونهم الى الكذب والسحر والجنون فلاجرم لم يذكر الفا الذى تفيد التعقيب بل ذكر
الواو بلى اذا حصل النشر يرتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل وظهور ذكر الحق على الالسنة فلاجرم ذكر
هذين الامرين بحرف الفا فكانه والله اعلم قيل يا محمد انى ارسلت الملك اليك بالوحى الذى هو عنوان كل سعادة
وفاتحة كل خير ولكن لا يطمع فى ان ينتشر ذلك الامر فى الحال ولكن لا بد من الصبر وتحمل المشقة ثم اذا جاء وقت النصر
اجعل دينك ظاهرا منتشرا فى شرق العالم وغربه وعند ذلك الانتشار تظهر الفرق فتصير الاديان الباطلة
ضعيفة ساقطة ودينك هو الدين الحق ظاهرا غالبا وهنالك يظهر ذكر الله على الالسنة وفى المحاريب وعلى
المنابر ويصير العالم مملوا من ذكر الله فهذا اذا حملنا هذه الكلمات الخمس على الملئكة ومن عرف هذا الوجه امكنه
ذكر ما يشابهه فى الرياح وساير الوجوه والله اعلم اما قوله تعالى عذرا او نذرا ففيه مسئلتان المسئلة الاولى
فيهما قراتان التخفيف وهو قراة ابى عمرو وعاصم من رواية حفص والباقون قروا بالتثقيل اما التخفيف فلا
نزاع فى كونه مصدرا والمعنى اعذارا او انذارا واما التثقيل فزعم ابو عبيدة انه جمع وليس بمصدر واما
الاخفش والزجاج فزعما انه مصدر والتثقيل والتخفيف لغتان وقرر ابو على قول الاخفش والزجاج وقال
العذر والعذير والنذر والنذير مثل النكر والنكير ثم قال ابو على ويجوز فى قراة من ثقل ان يكون عذرا جمع
عاذر كشرف وشارف وكذلك النذر يجوز ان يكون جمع نذير قال تعالى هذا نذير من النذر الاولى المسئلة الثانية
فى النصب ثلثة اوجه اما على تقدير كونه مصدرا فوجهان احدهما ان يكون مفعولا على البدل من قوله ذكرا
والثانى ان يكون مفعولا له والمعنى والملقيات ذكرا للاعذار والانذار واما على تقدير كونه جمعا فنصب
على الحال من الالقا والتقدير والملقيات ذكرا حال كونهم عاذرين ومنذرين قوله تعالى انما توعدون لواقع
انه جواب القسم والمعنى ان الذى توعدون به من مجئ يوم القيمة لكاين نازل وقال الكلبى المراد ان كل ما توعدون
به من الخير والشر لواقع واحتج القايلون بالتفسير الاول بانه تعالى ذكر عقيب هذه الايات علامات يوم القيمة
فدل على ان المراد من هذه الاية هو القيمة فقط ثم انه تعالى ذكر علامات وقوع هذا اليوم اولها قوله تعالى فاذا
النجوم طمست ذكرنا تفسير الطمس عند قوله اطمس على اموالهم وبالجملة فيحتمل ان يكون المراد محقها وذلك
موافق لقوله انتثرت وانكدرت وان يكون المراد محق انوارها والاول اولى لانه لا حاجة فيه الى الاضمار ويجوز
ان يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور وثانيها قوله واذا السما فرجت الفرج الشق يقال فرجه الله فانفرج وكل
مشقوق فرج فمعناها هنا قوله فرجت اى شقت نظيره اذا السما انشقت ويوم تشقق السما بالغمام وقال ابن قتيبة
معناه فتحت نظيره وفتحت السما قال الشاعر الفارجى باب الامير المبهم وثالثها قوله واذا الجبال نسفت
وفيه وجهان احدهما نسفت كالحب المغلوق اذا نسفت بالمنسف ومنه قوله لنحرقنه ثم لننسفنه ونظيره وبست
الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا فقيل ينسفها ربى نسفا والثانى قلعت بسرعة من اماكنها من انتسفت الشى
اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة ورابعها واذا الرسل اقتت فيه مسئلتان المسئلة الاولى
اقتت اصلها وقتت ويدل عليه وجوه احدها قراة ابى عمرو وقتت بالواو وثانيها ان اصل الكلمة من الوقت وثالثها
ان كل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة فانها تبدل على الاطراد همزة اولا وثانيا وثالثة ومن ذلك ان تقول صلى القوم احدانا
وهذا وجه حسان وادور فى جمع دار والسبب فيه ان الضمير من جنس الواو فالجمع بينهما يجرى مجرى جمع المثلين
فيكون ثقيلا ولهذا السبب كان كسر اليا ثقيلا اما قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم فلا يجوز فيه البدل لان
الضمير غير لازم الا ترى انه لا يسوغ فى نحو قولك هذا غزو وان يبدل المسئلة الثانية فى التاقيت قولان الاول وهو
قول مجاهد والزجاج انه يتبين الوقت الذى فيه يحضرون للشهادة على اممهم وهذا ضعيف وذلك لان هذه الاشيا
جعلت علامات لقيام القيمة كانه قيل اذا كان كذا وكذا كانت القيمة ولا يليق بهذا الموضع ان يقال واذا بين لهم الوقت الذى يحضرون
فيه للشهادة على اممهم قامت القيمة لان ذلك البيان كان حاصلا فى الدنيا ولان الثلاثة المتقدمة وهى الطمس والفرج والنسف
مختصة بوقت قيام القيمة فكذا هذا التوقيت يجب ان يكون مختصا بوقت قيام القيمة القول الثانى المراد بهذا التاقيت
تحصيل الوقت وتكوينه وهذا اقرب ايضا الى مطابقة اللفظ لان بنا التفعيلات على تحصيل تلك الماهيات
فالتسويد تحصيل السواد والتحريك تحصيل الحركة فكذا التاقيت تحصيل الوقت ثم انه ليس فى اللفظ بيان
انه يحصل الوقت لاى شى وانما لم يبين ذلك ولم يعين لاجل ان يذهب الوهم الى كل جانب فيكون التهويل فيه اشد
فيحتمل ان يكون المراد تكوين الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم وان يكون هو الوقت الذى يجتمعون فيه للفوز
بالثواب وان يكون هو وقت سؤال الرسل عما اجيبوا به وسؤال الامم عما اجابوهم كما قال فلنسئلن الذين ارسل اليهم

ولنسئلن المرسلين

نظيره



ولنسئلن المرسلين وان يكون هو الوقت الذى يشاهدون الجنة والنار والعرض والحساب والوزن وساير احوال القيمة
واليه الاشارة بقوله ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قوله تعالى لاى يوم اجلت اى اخرت
كانه تعالى يعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم فقال لاى يوم اخرت الامور المتعلقة بهولاء الرسل وهى تعذيب من كذبهم
وتعظيم من امن بهم وظهور ما كانوا يدعون الخلق الى الايمان به من الاهوال والعرض والحساب ونشر الدواوين
ووضع الموازين ثم انه تعالى بين ذلك فقال ليوم الفصل قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن بين الخلايق وهذا
كقوله ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين ثم اتبع ذلك تعظيما ثانيا فقال وما ادريك ما يوم الفصل اى وما علمك
بيوم الفصل وشدته ومهابته ثم اتبعه بتهويل ثالث فقال ويل يومئذ للمكذبين اى بالتوحيد والنبوة والمعاد
وبكل ما ورد من الانبيا عليهم السلام واخبروا عنه بقى هاهنا سوالان السوال الاول كيف وقع النكرة مبتدا
فى قوله ويل يومئذ للمكذبين الجواب هو فى اصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع
للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرا به السوال الثانى
اين جواب قوله فاذا النجوم طمست الجواب من وجهين احدهما التقدير انما توعدون لواقع اذا النجوم طمست
وهذا ضعيف لانه يضع الفا فى قوله فاذا النجوم طمست الثانى ان الجواب محذوف والتقدير فاذا النجوم
طمست واذا كذا فحينئذ تقع المجازاة بالاعمال وتقوم القيمة قوله تعالى الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين
كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين اعلم ان المقصود من هذه السورة تخويف الكفار وتحذيرهم عن الكفر
فالنوع الاول من التخويف انه اقسم على ان اليوم الذى يوعدون به وهو يوم الفصل واقع ثم هول فقال وما ادريك
ما يوم الفصل ثم زاد فى التهويل فقال ويل يومئذ للمكذبين والنوع الثانى من التخويف ما ذكر فى هذه الاية وهو انه
اهلك الكفرة المتقدمين بسبب كفرهم فاذا كان الكفر حاصلا فى هولاء المتاخرين فلا بد وان يهلكهم ايضا ثم قال ويل يومئذ
للمكذبين كانه يقول اما فى الدنيا فحاصلهم الهلاك واما فى الاخرة فالعذاب الشديد واليه الاشارة بقوله خسر الدنيا
والاخرة ذلك هو الخسران المبين وفى الاية سوالات الاول المراد من الاولين والاخرين الجواب فيه قولان
الاول انه اهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم اتبعهم الاخرين قوم شعيب ولوط وموسى كذلك
نفعل بالمجرمين وهم كفار قريش وهذا القول ضعيف لان قوله نتبعهم لفظ المضارع فهو يتناول الحال
والاستقبال ولا يتناول الماضى البتة القول الثانى ان المراد بالاولين جميع الكفار الذين كانوا قبل محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله ثم نتبعهم الاخرين على الاستيناف على معنى سنفعل ذلك ونتبع الاول الاخر
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

عقيب ذكر هذا الانعام ويل يومئذ للمكذبين • الوجه الثاني انه تعالى ذكرهم كونه قادرا على الابتداء • وظاهر في العقل ان القادر على الابتداء قادر على الاعادة • فلما انكروا هذه الدلالة لا جرم قال في حقهم ويل يومئذ للمكذبين • واما التفسير فهو ان قوله الم نخلقكم من ماء مهين اي من النطفة وهو كقوله ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وهو الرحم لان ما يخلق منه الولد لابد وان يثبت في الرحم ويتمكن بخلاف ما لا يخلق منه الولد • ثم قال الى قدر معلوم والمراد كونه في الرحم الى وقت الولادة وذلك الوقت معلوم لله تعالى لا لغيره كقوله ان الله عنده علم الساعة الى قوله ويعلم ما في الارحام فقدرنا • قرا نافع وعبد الله بن عامر بالتشديد • وقرا الباقون بالتخفيف • اما التشديد فالمعنى انا قدرنا ذلك تقديرا فنعم المقدرون له نحن • ويتاكد هذا الوجه بقوله تعالى من نطفة خلقه فقدره • ولان ايقاع الخلق على هذا التقدير والتحديد نعمة من المقدر على المخلوق فحسن ذكره في موضع ذكر المنة والنعمة • ومن طعن في هذه القراءة قال لو صحت هذه القراءة لوجب ان يقال فقدرنا فنعم المقدرون • واجيب عنه بان العرب قد تجمع بين اللغتين قال تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا • واما القراءة بالتخفيف ففيها وجهان • الاول انه من القدرة اي فقدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا واردنا فنعم القادرون حيث خلقناه في احسن الصور والهيئات • والثاني انه يقال قدرت الشيء بالتخفيف على معنى قدرته قال الفراء العرب تقول قدر عليه الموت وقدر وقدر عليه رزقه وقدر بالتخفيف والتشديد قال تعالى قدر عليه رزقه • **قوله تعالى** الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين • اعلم ان هذا هو النوع الرابع من تخويف الكفار • وذلك لانه في الاية التي قبل هذه الاية ذكرهم بالنعم التي له عليهم في الانفس وفي هذه الاية ذكرهم بالنعم التي له عليهم في الافاق • ثم قال في اخر الاية ويل يومئذ للمكذبين والسبب فيه ما قدمنا ان النعم كلما كانت اكثر كانت الجناية اقبح فكان استحقاق الذم عاجلا • والعقاب اجلا اشد • وانما قدم تلك الاية على هذه الاية لان النعم التي في الانفس كالاصل للنعم التي في الافاق فانه لولا الحياة والسمع والبصر والاعضاء السليمة لما كان الانتفاع بشيء من المخلوقات ممكنا • واعلم انه تعالى ذكر هاهنا ثلاثة اشياء اولها الارض • وانما قدمها لان اقرب الاشياء الينا من الامور الخارجية هو الارض • ومعنى الكفت في اللغة الضم والجمع • يقال كفت الشيء اي ضممته • ويقال جراب كفيت وكفت اذا كان لا يضيع شيئا مما يجعل فيه • ويقال للقدر كفت • قال صاحب الكشاف هو اسم ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع • ويقال هذا الباب جماع الابواب • وتقول شددت الشيء ثم يسمى الخيط الذي يشد به الشيء شدادا وبه انتصب احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت • ويكون المعنى تكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير هذا هو اللغة • ثم في المعنى وجوه • احدها انها تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها • والمعنى ان الاحياء يسكنون في منازلهم • والاموات يدفنون في قبورهم • ولهذا كانوا يسمون الارض كفتا امالانها في ضمها للناس كالام التي تضم ولدها وتكفله • ولما كانوا يضمون اليها جعلت كانها تضمهم • وثانيها انها كفات الاحياء بمعنى انها تكفت ما ينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة • فاما انها تكفت الناس حال كونهم على ظهرها فلا • وثالثها انها كفات الاحياء بمعنى انها جامعة لما يحتاج الانسان اليه في حاجاته من ماكل ومشرب لان كل ذلك يخرج من الارض والابنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار مبنية منها • ورابعها ان قوله احياء وامواتا معناه راجع الى الارض فالحي ما انبت • والميت ما لم ينبت • بقي في الاية سؤالان • الاول لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات الاحياء والاموات جميعا الجواب هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون • وامواتا لا يحصرون • السؤال الثاني هل تدل هذه الاية على وجوب قطع النباش الجواب نقل القفال ان ربيعة قال دلت الاية على ان الارض كفات الميت فتكون حرزا له • والسارق من الحرز يجب عليه القطع • والنوع الثاني من النعم المذكورة في هذه الاية **قوله تعالى** وجعلنا فيها رواسي شامخات • فقوله رواسي اي ثوابت على ظهر الارض لا تزول • وشامخات اي عاليات فكل عال فهو شامخ • ويقال للمتكبر شامخ بانفه ومنافع خلقة الجبال قد تقدمت في هذا الكتاب • النوع الثالث من النعم **قوله تعالى** واسقيناكم ماء فراتا • الفرات هو الغاية في العذوبة • وقد تقدم تفسيره في قوله هذا عذب فرات • **قوله تعالى** انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين • اعلم ان هذا هو النوع الخامس من وجوه تخويف الكفار وهو بيان كيفية عذابهم في الاخرة • فاما قوله انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون • فالمعنى انه يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب • والظاهر ان القائلين هم خزنة النار • وانطلقوا الثاني تكرير • وقرا يعقوب انطلقوا على لفظ الماضي • والمعنى انهم انقادوا للامر لاجل انهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه • وهذا بعيد لانه كان ينبغي ان يقال فانطلقوا بالفاء ليرتبط اخر الكلام باوله • قال المفسرون ان الشمس تقرب يوم القيمة من رؤوس

الخلايق وليس

الخلايق وليس عليهم يومئذ لباس ولا كناف فتلفحهم الشمس وتسفعهم وتاخذ بانفاسهم ويمتد ذلك اليوم ثم ينجي الله برحمته من يشاء الى ظل من ظله • فهنالك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم • ويقال للمكذبين انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه • وقوله الى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم انه تعالى وصف هذا الظل بصفات • **الصفة الاولى** قوله ذي ثلاث شعب • وفيه وجوه • احدها قال الحسن ما ادري ما هذا الظل ولا سمعت فيه بشيء • وثانيها قال قوم المراد بقوله ظل ذي ثلاث شعب كون النار من فوقهم ومن تحت ارجلهم ومحيطة بهم وتسمية النار بالظل مجاز من حيث انها محيطة بهم من كل جانب كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل • وقال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم • وثالثها قال قتادة بل المراد الدخان وهو من قوله احاط بهم سرادقها • وسرادق النار هو الدخان • ثم ان شعبة من ذلك الدخان على يمينه وشعبة على يساره • وشعبة ثالثة من فوقه • واقول هذا غير مستبعد لان الغضب عن يمينه والشهوة عن شماله والقوة الشيطانية في دماغه • ومنبع جميع الافات الصادرة عن الانسان في عقائده واعماله ليس الا هذه الثلاثة فتولدت من هذه الينابيع الثلاثة ثلاثة انواع من الظلمات • ويمكن ايضا ان يقال لها هنا درجات ثلاثة • وهي الحس والخيال والوهم • وهي مانعة للروح عن الاستنارة بانوار عالم القدس والطهارة • ولكل واحد من تلك المراتب نوع خاص من الظلمة • ورابعها قال قوم هذا كناية عن كون ذلك الدخان عظيما فان الدخان العظيم ينقسم الى شعب كثيرة • وخامسها قال ابو مسلم ويحتمل في ثلاث شعب ما ذكره بعد ذلك وهو انه غير ظليل وانه لا يغني من اللهب • وبانه يرمي بشرر • **الصفة الثانية** لذلك الظل قوله لا ظليل وهذا تهكم بهم وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين والمعنى ان ذلك الظل لا يمنع حر الشمس • **الصفة الثالثة** قوله تعالى ولا يغني من اللهب • يقال اغن عني وجهك اي ابعده لان الغني عن الشيء يباعده كما ان المحتاج يقاربه قال صاحب الكشاف انه في محل الجر اي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا قال القفال وهذا يحتمل وجهين • احدهما ان هذا الظل انما يكون في جهنم فلا يظلهم من حرها ولا يسترهم من لهبها • وقد ذكر الله في سورة الواقعة الظل فقال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم وهذا كانه في جهنم اذا دخلوها • ثم قال لا بارد ولا كريم • فيحتمل ان يكون قوله لا ظليل في معنى لا بارد • وقوله ولا يغني من اللهب في معنى ولا كريم لا روح له يلتجا اليه من لهب النار • والثاني ان يكون ذلك انما يكون قبل ان يدخلوا جهنم بل عندما يحبسون للحساب فالمرض فيقال لهم ان هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع لهب النار • وفي الاية وجه ثالث وهو الذي قاله قطرب وهو ان اللهب هاهنا هو العطش • يقال لهب لهبا ورجل لهبان • وامراة لهبى • **الصفة الرابعة** قوله تعالى انها ترمي بشرر قال الواحدي يقال شررة وشرر وشرارة وشرار وهو ما تطاير من النار متبددا في كل جهة • واصله من شررت الثوب اذا اظهرته وبسطته للشمس والشرار ينبسط متبددا • واعلم ان الله تعالى وصف النار التي كان ذلك الظل دخانها بانها ترمي بالشرر العظيمة والمقصود منه بيان ان تلك النار عظيمة جدا • ثم انه تعالى شبه ذلك الشرر بشيئين • الاول بالقصر وفي تفسيره قولان • احدهما ان المراد منه البناء المسمى بالقصر قال ابن عباس يريد القصور العظام • الثاني انه ليس المراد ذلك • ثم على هذا التقدير في التفسير وجوه • احدها انها جمع قصرة ساكنة الصاد كتمرة وتمر وجمرة وجمر قال المبرد يقال للواحد من الحطب الجزل الغليظ قصرة والجمع قصر وقال عبد الرحمن بن عابس سالت ابن عباس عن القصر فقال خشب كنا ندخره للشتاء نقطعه وكنا نسميه القصر وهذا قول سعيد بن جبير ومقاتل والضحاك الا انهم قالوا هي اصول النخل والشجر العظام قال صاحب الكشاف وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل او اعناق النخل نحو شجرة وشجر • وقرا ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن • وقرا سعيد ابن جبير كالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج • التشبيه الثاني قوله تعالى كانه جمالات صفر • وفيه مسئلتان • **المسئلة الاولى** جمالات جمع جمال كقولهم رجالات ورجال • وبيوتات وبيوت • وقرا ابن عباس جمالات بضم الجيم وهو قراءة يعقوب • وذكروا فيه وجوها • احدها قيل الجمالات بالضم الحبال الغلاظ وهي حبال السفن • ويقال لها القلوس • ومنهم من انكر ذلك وقال المعروف في الحبل انما هو الجمل بضم الجيم وتشديد الميم • وقرئ حتى يلج الجمل • وثانيها قيل هي قطع النحاس وهو مروي عن علي ابن ابي طالب عليه السلام وابن عباس ومعظم اهل اللغة لا يعرفونه • وثالثها قال الفراء يجوز ان تكون الجمالات بالضم من الشيء المجمل يقال اجملت الحساب • وجاء القوم جملة اي مجتمعين • والمعنى ان هذه الشرر ترتفع كانها شيء غليظ مجموع اصفر وهذا قول الفراء • ورابعها قال الفراء يجوز ان يقال جمالات بضم الجيم جمع جمال بضم الجيم • وجمال بضم الجيم يكون جمع جمل كما يقال رجل ورجال ورجال • القراءة الثالثة جمالة بكسر الجيم وهي جمع جمل مثل حجر وحجارة • وقال ابو علي والتاء انما الحقت جمالا لتانيث الجمع كما لحقت في فحل وفحالة • القراءة الرابعة جمالة بضم الجيم وهي القلس • وقيل صفر لارادة الجنس • اما قوله صفر فالاكثرون على ان المراد منه سود تضرب الى الصفرة قال الفراء لا ترى اسود من الابل الا وهو مشوب صفرة • والشرر اذا تطاير فسقط • وفيه بقية من لون النار كان اشبه بالجمل الاسود الذي يشوبه شيء من الصفرة • وزعم بعض العلماء ان المراد هو الصفرة لا السواد لان الشرر انما يسمى شررا ما دام يكون نارا ومتى كان نارا كان اصفر • وانما يصير اسود اذا انطفى وهنالك لا يسمى

شرر او هذا القول عندي هو الصواب **المسئلة الثانية** اعلم انه تعالى شبه الشرر في العظم بالقصر • وفي اللون
والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر • وقيل ايضا ان ابتدا الشرر يعظم فيكون كالقصر ثم يفترق
فتكون تلك القطع المتفرقة المتتابعة كالجمالات الصفر • واعلم انه نقل عن ابن عباس انه قال في تفسير قوله انها ترمي
بشرر كالقصر ان هذا التشبيه انما ورد في بلاد العرب وقصورهم قصيرة السمك جارية مجرى الخيمة • فبين تعالى انها
ترمي بشرر كالقصر • فلما سمع ابو العلا المعري هذا تصرف فيه وشبهه بالخيمة من الادم • وهو قوله • شعر
حمرا ساطعة الذوايب في الدجى • ترمي بكل شرارة كطراف • ثم زعم صاحب الكشاف انه انما ذكر ذلك معارضة
لهذه الاية • واقول كان الاولى بصاحب الكشاف ان لا يذكر ذلك • واذ قد ذكره فلا بد لنا من تحقيق الكلام فيه فنقول
تشبيه الشرارة بالطراف يفيد التشبيه في الشكل والعظم • اما الشكل فمن وجهين • الاول ان الشرارة تكون [illegible]
كالنقطة • ثم انها لا تزال تتسع شيا فشيا • الثاني ان الشرارة كالكرة او الاسطوانة فهي شديدة الشبه بالخيمة
المستديرة • واما التشبيه بالخيمة في العظم • فالامر ظاهر • هذا منتهى هذا التشبيه • واما وجه القدح فيه
فمن وجوه • الاول ان الشرارة صفرة يشوبها شي من السواد وهذا المعنى حاصل في الجمالات الصفر وغير حاصل
في الخيمة من الادم • الثاني ان الجمالات متحركة والخيمة غير متحركة فتشبيه الشرار المتحرك بالجمالات المتحركة اولى • الثالث
ان الشرارات متتابعة يجي بعضها خلف البعض • وهذا المعنى حاصل في الجمالات الصفر وغير حاصل في الطراف
الرابع ان القصر مامن الوجل وموضع سلامته • فتشبيه الشدة بالقصر تنبيه على انه لما تولد ما [illegible] من الموضع
الذي يتوقع منه الامن والسلامة وحال الكافر كذلك فانه كان يتوقع الخير والسلامة من دينه • ثم انه لما ظهرت له
افة ولا محنة الا من ذلك الدين • والخيمة ليست مما يتوقع منها الامن الكلي • الخامس ان العرب كانوا يعتقدون ان
كل الجمال في ملك الجمال • وتمام النعم انما يحصل بملك النعم • ولهذا قال تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون
فتشبيه الشرر بالجمال السود تهكم بهم كانه قيل لهم كنتم تتوقعون من دينكم كرامة ونعمة وجمالا الا ان ذلك الجمال
هو هذه الشرارات التي هي كالجمال • وهذا المعنى غير حاصل في الطراف • السادس ان الجمال اذا انفردت واختلط بعضها
بالبعض فكل من وقع فيما بين ايديها وارجلها في ذلك الوقت نال بلا شديدا والما عظيما فتشبيه الشرارات بها حال تتابعها
يفيد حصول كمال الضرر • والطراف ليس كذلك • السابع الظاهر ان القصر في المقدار من الطراف • والجمالات الصفر
تكون اكثر في العدد من الطراف فتشبيه هذه الشرارات بالقصر وبالجمالات تقتضي الزيادة في المقدار وفي العدد وتشبيهها
بالطراف لا يفيد شيا من ذلك • ولما كان المقصود هو التهويل والتخويف كان التشبيه الاول اولى • الثامن ان التشبيه
بالشيين في اثبات وصفين اقوى في ثبوت ذينك الوصفين من التشبيه بالشي الواحد في اثبات ذينك الوصفين
وبيانه من سمع قوله انها ترمي بشرر كالقصر تسارع ذهنه الى ان المراد اثبات عظم تلك الشرارات ثم اذا سمع بعد ذلك قوله
كانه جمالات صفر سارع ذهنه الى ان المراد كثرة تلك الشرارات وتتابعها ولونها • اما من سمع ان الشرر كالطراف بقي ذهنه
متوقفا ان المقصود بالتشبيه اثبات العظم واثبات اللون • فالتشبيه بالطراف كالمجمل • والتشبيه بالقصر وبالجمالات
الصفر كالبيان المفصل المكرر المؤكد • ولما كان المقصود من هذا البيان هو التهويل والتخويف فكلما كان بيان وجوه العذاب
اتم وابين كان الخوف اشد فثبت ان هذا التشبيه اتم • التاسع انه قال في اول الاية انطلقوا الى ظل والانسان انما يكون
طيب العيش وقت الانطلاق والذهاب اذا كان راكبا • وانما يجد الظل الطيب اذا كان في قصر فوقع تشبيه الشرارة
بالقصر والجمالات كانه قيل لهم مركوبكم هذه الجمالات • وظلكم في مثل هذا القصر • وهذا يجري مجرى التهكم بهم وهذا المعنى
غير حاصل في الطراف • العاشر من المعلوم ان تطاير القصر الى الهوا ادخل في التعجب من تطاير الخيمة لان القصر يكون مركبا
من اللبن والحجر والخشب وهذه الاجسام ادخل في الثقل والاكتناز من الخيمة المتخذة اما من الكرباس ومن الادم والشي كلما
كان اثقل واشد اكتنازا كان تطايره في الهوا ابعد فكانت النار التي تطير القصر الى الهوا اقوى من النار التي تطير الطراف
في الهوا • ومعلوم ان المقصود تعظيم امر النار في الشدة والقوة • فكان التشبيه بالقصر اولى • الحادي عشر وهو
ان سقوط القصر على الانسان ادخل في الايلام والايجاع من سقوط الطراف عليه • فتشبيه تلك الشرارات بالقصر
يفيد ان تلك الشرارات اذا ارتفعت في الهوا ثم سقطت على الكافر فانها تولمه ايلاما شديدا • فصار ذلك تنبيها على
انه لا يزال يسقط عليه من الهوا شرارات كالقصور بخلاف وقوع الطراف على الانسان فانه لا يولم في الغاية • الثاني
عشر ان الجمال في اكثر الامر تكون موقرة فتشبيه الشرارات بالجمال تنبيه على ان مع كل واحد من تلك الشرارات انواعا من البلا
والمحنة لا يحصي عددها الا الله فكانه قيل تلك الشرارات كالجمالات الموقرة بانواع المحنة والبلا وهذا المعنى غير حاصل
في الطراف فكان التشبيه بالجمالات اتم • واعلم ان هذه الوجوه تتوالى على الخاطر في اللحظة الواحدة • ولو تضرعنا الى الله

تعالى

تعالى في طلب الازيد لاعطانا اي قدر شيا بفضله ورحمته ولكن هذه الوجوه كافية في بيان الترجيح والزيادة عليها تعد من الاطناب
والله اعلم **قوله تعالى** هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين • نصب الاعمش يوم اي هذا
الذي قص عليكم واقع يومئذ **اعلم** ان هذا هو النوع السادس من انواع تخويف الكفار وتشديد الامر عليهم وذلك لانه تعالى
بين انه ليس لهم عذر ولا حجة فيما اتوا به من القبايح ولا لهم قدرة على دفع العذاب عن انفسهم فيجتمع في حقه في هذا المقام انواع
من العذاب • احدها عذاب الخجالة فانه يفتضح على رؤس الاشهاد ويظهر لكل احد قصوره وتقصيره وكل من له عقل سليم علم
ان عذاب الخجالة اشد من القتل بالسيف والاحتراق بالنار • وثانيها وقوف العبد الابق على باب المولى وقد وعد في بدو مع علم
بانه الصادق الذي يستحيل الكذب عليه على ما قال ما يبدل القول لدي • وثالثها انه يرى في ذلك الموقف خصماه الذين كان
يستخف بهم ويستحقرهم فايزين بالثواب والتعظيم • ويرى نفسه فايزا بالخزي والنكال • وهذه ثلاثة انواع من العذاب الروحاني
ورابعها العذاب الجسماني وهو مشاهدة النار واهوالها نعوذ بالله منها فلما اجتمعت في حقه هذه الوجوه من العذاب بل ما لا
ما لا يصف كنهه الا الله لا جرم قال تعالى في حقهم ويل يومئذ للمكذبين • وفي الاية سوالان **الاول** كيف يمكن الجمع بين قوله هذا
يوم لا ينطقون • وقوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون • وقوله والله ربنا ما كنا مشركين • وقوله ولا يكتمون الله حديثا
وروي ان نافع بن الازرق سال ابن عباس عن هذا السوال والجواب عنه من وجوه • احدها قال الحسن فيه اضمار
والتقدير هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة ولا يوذن لهم فيعتذرون لانه ليس لهم فيما عملوه عذر صحيح وجواب مستقيم فاذا لم
ينطقوا بحجة سليمة وكلام مستقيم فكانهم لم ينطقوا لان من نطق بما لا يفيد فكانه لم ينطق ونظيره ما يقال لمن ذكر كلاما غير مفيد
ما قلت شيا • وثانيها قال الفرا اراد بقوله يوم لا ينطقون تلك الساعة وذلك القدر من الوقت الذي لا ينطقون فيه كما يقول
اتيتك يوم يقدم فلان • والمعنى ساعة يقدم وليس باليوم كله لان القدوم انما يكون في ساعة واحدة لطيفة ولا يمتد في كل اليوم
وثالثها ان قوله لا ينطقون لفظ مطلق والمطلق لا يفيد العموم لا في الانواع ولا في الاوقات بدليل انك تقول
فلان لا ينطق بالشر ولكنه ينطق بالخير • وتارة يقول فلان لا ينطق بشي البتة • وهذا يدل على ان مفهوم لا ينطق قدر مشترك
بين ان لا ينطق ببعض الاشيا وبين ان لا ينطق بكل الاشيا وكذلك تقول فلان لا ينطق في هذه الساعة • وتقول فلان لا ينطق
البتة وهذا يدل على ان مفهوم لا ينطق مشترك بين الدايم والموقت • واذا كان كذلك فمفهوم لا ينطق يكفي في صدقه عدم النطق
ببعض الاشيا • وفي بعض الاوقات • وذلك لا ينافي حصول النطق بشي اخر في وقت اخر فيكفي في صدق قوله لا ينطقون انهم
لا ينطقون بعذر وعلة في وقت السوال • وهذا الذي ذكرناه اشارة الى صحة الجوابين الاولين بحسب النظر العقلي • فان قيل
لو حلف لا ينطق في هذا اليوم فنطق في جزء من اجزاء اليوم يحنث قلنا مبنى الايمان على العرف • والذي ذكرناه يجب على مفهوم اللفظ
من حيث انه هو • والرابع ان هذه الاية وردت عقيب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فكذلك ههنا **السوال الثاني** [illegible] ولا يوذن لهم فيعتذرون [illegible]
والجواب انه ليس لهم في الحقيقة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
المتقدمات [illegible] **السوال الثالث** [illegible]
[illegible] الفاء ها هنا للنسق فقط [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الفواصل في نفسه • ثم انتهية فايدة اخرى وهي حصول الموافقة في رؤس الايات لان الايات بالواو والنون

ولو قيل فيعتذرون والرؤوس توافق الآيات • الا ترى انه قال في سورة اقتربت الساعة الى شيء نكر فثقل لان آياتها مثقلة وقال في موضع آخر وعذبناها عذابا نكرا واجمع القراء على تثقيل الاول وتخفيف الثاني ليوافق كل منهما ما قبله **قوله تعالى** هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين **اعلم** ان هذا هو النوع السابع من انواع تهديد الكفار • وهذا القسم من باب التعذيب بالتعنيف والتخجيل • فاما قوله هذا يوم الفصل فاعلم ان ذلك اليوم يقع فيه نوعان من الحكومة • احدهما ما بين الرب والعبد • وفي هذا القسم كل ما يتعلق بالرب فلا حاجة فيه الى الفصل وهو ما يتعلق بالثواب الذي يستحقه المرء على عمله • وكذا في العقاب انما يحتاج الى الفصل فيما يتعلق بجانب العبد وهو ان يقرر عليهم اعمالهم التي عملوها حتى يعترفوا • والقسم الثاني ما يكون بين العباد بعضهم مع بعض فان هذا يدعي على ذاك انه ظلمني وذاك يدعي على هذا انه قتلني فههنا لا بد فيه من الفصل • وقوله جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه لما كان هذا اليوم يوم فصل حكومات جميع المكلفين فلا بد من احضار جميع المكلفين لا سيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب • ثم قال فان كان لكم كيد فكيدون يشير الى انهم كانوا يدفعون الحقوق عن انفسهم بضروب الحيل والكيد فكانه قال فهنا ان امكنكم ان تفعلوا مثل تلك الافعال المنكرة من الكيد والمكر والخداع والتلبيس فافعلوا وهذا كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله • ثم انهم يعلمون ان الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة • فخطاب الله تعالى لهم في هذه الحالة بقوله فان كان لكم كيد فكيدون نهاية في التخجيل والتقريع • وهذا من جنس العذاب الروحاني فلهذا قال عقيبه ويل يومئذ للمكذبين **قوله تعالى** ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين **اعلم** ان هذا هو النوع الثامن من انواع تهديد الكفار وتعذيبهم • وذلك لان الخصومة الشديدة والنفرة العظيمة كانت في الدنيا بين الكفار والمؤمنين فصارت تلك النفرة بحيث ان الموت كان اسهل على الكافر من ان يرى للمؤمن دولة وقوة فلما بين الله تعالى في هذه السورة اجتماع انواع العذاب والخزي والنكال على الكفار بين في هذه الآية اجتماع انواع السعادة والكرامة في حق المؤمن حتى ان الكافر متى ما يرى نفسه في غاية الذل والهوان والخزي والخسران ويرى خصمه في نهاية العز والكرامة والرفعة والمنقبة • تتضاعف حسرته وتتزايد غمومه وهمومه • وهذا ايضا من جنس العذاب الروحاني فلهذا قال في آخر هذه الآية ويل يومئذ للمكذبين • وفي الآية مسائل **المسألة الاولى** قال مقاتل والكلبي المراد من قوله ان المتقين الذين يتقون الشرك بالله • واقول هذا القول عندي هو الصحيح الذي لا يعدل عنه ويدل عليه وجوه • احدها ان المتقي عن الشرك يصدق عليه انه متقي لان المتقي عن الشرك ماهية مركبة من قيدين • احدهما انه متقي • والثاني خصوص عن الشرك • ومتى وجد المركب فقد وجد كل واحد من مفرداته لا محالة فثبت ان كل من صدق عليه انه متقي عن الشرك فقد صدق عليه انه متقي اقصى ما في الباب ان يقال ان هذه الآية على هذا التقدير تتناول كل من كان متقيا لاي شيء كان الا انا نقول كونه كذلك لا يقدح فيما قلناه لانه خص كل من لم يكن متقيا عن جميع انواع الكفر فيبقى فيما عداه حجة لان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما عداه • وثانيها ان هذه السورة من اولها الى آخرها مرتبة في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم عليه • فهذه الآية يجب ان تكون مذكورة لهذا الغرض والا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها • والنظم انما يبقى لو كان هذا الوعد حاصلا للمؤمنين بسبب ايمانهم فانه لما تقدم وعيد الكافر بسبب كفره وجب ان يقرن ذلك بوعد المؤمن بسبب ايمانه ليصير ذلك سببا في الزجر عن الكفر فاما ان يقرن به وعد المؤمن بسبب طاعته فذلك غير لائق بهذا النظم والترتيب فثبت بما ذكرنا ان المراد من قوله ان المتقين كل من كان متقيا عن الشرك والكفر • وثالثها ان حمل اللفظ على المسمى الكامل اولى واكمل انواع التقوى هو التقوى عن الكفر والشرك فكان حمل اللفظ عليه اولى **المسألة الثانية** انه تعالى لما بعث الكفار الى ظل ذي ثلاث شعب عدد في مقابلته للمؤمنين ثلاثة انواع من النعمة • اولها قوله ان المتقين في ظلال وعيون كانه قيل ظلالهم ما كانت ظليلة وما كانت مغنية عن اللهب والعطش • اما المتقون فظلالهم ظليلة • وفيها عيون عذبة مغنية لهم عن العطش وحاجزة بينهم وبين اللهب ومعهم الفواكه التي يشتهونها ويتمنونها • ولما قال للكفار انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب قال للمتقين كلوا واشربوا هنيئا فاما ان يكون ذلك الاذن من جهة الله تعالى بلا واسطة وما اعظمها او من جهة الملائكة على وجه الاكرام ومعنى هنيئا اي خالص اللذة لا يشوبه سقم ولا تنغيص **المسألة الثالثة** اختلف العلماء في ان قوله كلوا واشربوا امر او اذن قال ابو هاشم هو امر واراد الله تعالى منهم الاكل والشرب لان سرورهم يعظم بذلك • وانا علموا ان الله اراده منهم جزاء على عملهم وكما يزيد اجلالهم واعظامهم لذلك فكذلك يريد نفس الاكل والشرب منهم • وقال ابو علي ذلك ليس بامر وانما يريد بقوله على وجه الاكرام لان الامر والنهي انما يحصلان في زمان التكليف وليس هذا صفة الآخرة

المسألة الرابعة

**المسألة الرابعة** تمسك من قال العمل يوجب الثواب بالباء في قوله بما كنتم تعملون • وهذا ضعيف لان الباء للاضافة • ولما جعل الله تعالى ذلك العمل علامة لهذا الثواب كان الاتيان بذلك العمل كالآلة الموصلة الى تحصيل ذلك الثواب • وقوله انا كذلك نجزي المحسنين المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل تلك الخيرات • فاذا لم يفعلوا ذلك لا جرم وقعوا فيما وقعوا فيه **قوله تعالى** كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين **اعلم** ان هذا هو النوع التاسع من انواع تخويف الكفار كانه تعالى يقول للكافر حال كونه في الدنيا انك انما عرضت نفسك لهذه الآفات التي وصفناها • ولهذه المحن التي شرحناها لاجل حبك للدنيا ورغبتك في طيباتها وشهواتها الا ان هذه الطيبات قليلة بالنسبة الى تلك الآفات العظيمة • فالمشتغل بتحصيلها يجري مجرى لقمة واحدة من الحلواء وفيها السم المهلك فانه يقال لمن يريد اكلها ولا يتركها بسبب نصيحة الناصحين وتذكير المذكرين كل هذا وويل لك منه بعد هذا فانك من الهالكين بسببه • وهذا وان كان في اللفظ امرا الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم ومنع في غاية المبالغة **قوله تعالى** واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين **اعلم** ان هذا هو النوع العاشر من انواع تخويف الكفار كانه قيل لهم هب انكم تحبون الدنيا ولذاتها وشهواتها ولكن لا تعرضوا بالكلية عن خدمة خالقكم بل تواضعوا لله فانكم ان آمنتم ثم ضممتم اليه طلب اللذات وانواع المعاصي حصل لكم رجاء الخلاص عن عذاب الله والفوز بالثواب كما قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم ان هؤلاء الكفار لا يفعلون ذلك ولا ينقادون لطاعته ويبقون مصرين على جهلهم وكفرهم وتعريضهم انفسهم للعقاب العظيم • فلهذا قال ويل يومئذ للمكذبين اي الويل لمن يكذب هؤلاء الانبياء الذين يرشدونهم الى هذه المصالح الجامعة بين خير الدنيا والآخرة • وههنا مسائل **المسألة الاولى** قال ابن عباس قوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون المراد به الصلاة وهذا ظاهر لان الركوع من اركانها فبين تعالى ان هؤلاء الكفار من صفتهم انهم اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون • وهذا يدل على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع وانهم حال كفرهم كما يستحقون الذم والعقاب بترك الايمان فكذلك يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لان الله تعالى ذمهم حال كفرهم على ترك الصلاة • وقال قوم آخرون المراد الخضوع بالركوع والخشوع لله تعالى وان لا يعبد سواه **المسألة الثانية** القائلون بان الامر للوجوب استدلوا بهذه الآية لانه تعالى ذمهم بمجرد ترك المأمور به • وهذا يدل على ان مجرد الامر للوجوب • فان قيل انهم كفار فلكفرهم ذمهم • قلنا انه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه كثيرة الا انه تعالى ذمهم في هذه الآية لانهم تركوا المأمور به فعلمنا ان ترك المأمور به غير جائز **قوله تعالى** فبأي حديث بعده يؤمنون **اعلم** انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول هذه السورة الى آخرها بالوجوه العشرة التي شرحناها وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين انهم اذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع تجليها ووضوحها فبأي حديث بعده يؤمنون • قال القاضي هذه الآية تدل على ان القرآن محدث لانه تعالى وصفه بانه حديث • والحديث ضد القديم • والضدان لا يجتمعان • فاذا كان حديثا وجب ان لا يكون قديما • واجاب الاصحاب بان المراد منه هذه الالفاظ ولا نزاع في انها محدثة • والله اعلم • والحمد لله رب العالمين • وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

## سورة النبأ اربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون فيه مسائل **المسألة الاولى** عم اصله عما ثم حذف [illegible]
قال حسان شعر على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد • والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل [illegible]

[illegible]

**المسألة الثانية** [illegible]

**المسألة الثالثة** [illegible]

انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من اول السورة

جهنم

عن النبأ العظيم على أن يضمر يتساءلون لأن ما بعده يفسره كشيء مبهم ثم يفسر. المسألة الرابعة: ما لفظة وضعت لطلب ماهيات الأشياء وحقائقها، تقول: ما الملك وما الروح وما الجن، والمراد طلب ماهياتها وشرح حقائقها، وذلك يقتضي كون ذلك المطلوب مجهولاً، ثم إن الشيء العظيم الذي يكون لعظمه وتفاقم مرتبته يعجز العقل عن أن يحيط بكنهه يبقى مجهولاً، فحصل بين الشيء المطلوب بلفظ ما وبين الشيء العظيم مشابهة من هذا الوجه، والمشابهة إحدى أسباب المجاز، فبهذا الطريق جعل لفظ ما دليلاً على عظمة حال ذلك المطلوب وعلو رتبته، ومنه قوله تعالى: وما أدراك ما سجين، وما أدراك ما العقبة، ويقول: زيد وما زيد. المسألة الخامسة: التساؤل هو أن يسأل بعضهم بعضاً كالتقابل، وقد يستعمل أيضاً في أن يتحدثوا به وإن لم يكن من بعضهم لبعض سؤال، قال تعالى: وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أإنك لمن المصدقين، فهذا على معنى التحدث، فيكون معنى الكلام عم يتحدثون، وهذا قول الفراء. المسألة السادسة: أولئك الذين كانوا يتساءلون من هم؟ فيه احتمالات: أحدها أنهم هم الكفار، والدليل عليه قوله تعالى: كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون، الضمير في يتساءلون وهم فيه مختلفون سيعلمون راجع إلى شيء واحد، وقوله: كلا سيعلمون تهديد، والتهديد لا يليق إلا بالكفار، فثبت أن الضمير في قوله يتساءلون عائد إلى الكفار. فإن قيل فما يصنع بقوله هم فيه مختلفون مع أن الكفار كانوا متفقين في إنكار الحشر؟ قلنا: لا نسلم أنهم كانوا متفقين في إنكار الحشر، وذلك لأن منهم من كان يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى، وأما المعاد الجسماني فمنهم من كان شاكاً فيه كقوله: وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي إن لي عنده للحسنى، ومنهم من أصر على الإنكار ويقول: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين، ومنهم من كان مقراً به لكنه كان منكراً لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد حصل اختلافهم فيه، وأيضاً هب أنهم كلهم كانوا منكرين له لكنهم اختلفوا في كيفية إنكاره، فمنهم من كان ينكره لأنه كان ينكر الصانع المختار، ومنهم من كان ينكره لاعتقاده أن إعادة المعدوم ممتنعة لذاتها، والقادر المختار إنما يكون قادراً على ما يكون ممكناً في نفسه، وهذا هو المراد بقوله: هم فيه مختلفون. والاحتمال الثاني أن الذين كانوا يتساءلون هم الكفار والمؤمنون، وكانوا جميعاً يتساءلون عنه، أما المسلم فليزداد بصيرة ويقيناً في دينه، وأما الكافر فعلى سبيل السخرية أو على سبيل إيراد الشكوك والشبهات. والاحتمال الثالث أنهم كانوا يسألون الرسول ويقولون: ما هذا الذي تعدنا به من أمر الآخرة. أما قوله تعالى: عن النبأ العظيم ففيه مسائل: المسألة الأولى: ذكر المفسرون في تفسير النبأ العظيم ثلاثة أوجه: أحدها أنه هو القيامة، وهذا هو الأقرب، ويدل عليه وجوه: أحدها قوله: كلا سيعلمون، والظاهر أن المراد منه أنهم سيعلمون هذا الذي يتساءلون عنه حين لا تنفعهم تلك المعرفة، ومعلوم أن ذلك هو القيامة. وثانيها أنه تعالى بين كونه قادراً على جميع الممكنات بقوله: ألم نجعل الأرض مهاداً، إلى قوله: يوم ينفخ في الصور، وذلك يقتضي أنه تعالى إنما قدم هذه المقدمة لبيان كونه تعالى قادراً على إقامة القيامة، ولما كان الذي أثبته الله تعالى بالدليل العقلي في هذه السورة هو هذه المسألة ثبت أن النبأ العظيم الذي كانوا يتساءلون عنه هو يوم القيامة. وثالثها أن العظيم اسم لهذا اليوم بدليل قوله: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين، وقوله: قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون، ولأن هذا اليوم أعظم الأشياء لأن ذلك منتهى فزع الخلق وخوفهم منه، فكان تخصيص اسم العظيم به لائقاً. والقول الثاني أنه القرآن، واحتج القائلون بهذا الوجه بأمرين: الأول أن النبأ العظيم هو الذي كانوا يختلفون فيه، وذلك هو القرآن، لأن بعضهم جعله سحراً، وبعضهم شعراً، وبعضهم قال إنه أساطير الأولين، فأما البعث... الثاني أن النبأ اسم الخبر لا اسم المخبر عنه، فتفسير النبأ بالقرآن أولى من تفسيره بالبعث والنبوة لأن ذلك في نفسه ليس بنبأ بل منبأ عنه، ويقوي ذلك أن القرآن سمي ذكراً وتذكرة وذكرى وهداية وحديثاً، فكان اسم النبأ به أليق منه بالبعث والنبوة. والجواب عنه أنه لما كان اسم النبأ أليق بهذه الألفاظ فاسم العظيم أليق بالقيامة وبالنبوة لأنه لا عظمة في الألفاظ إنما العظمة في المعاني. وللأولين أن يقولوا إنها عظيمة أيضاً في الفصاحة والاحتواء على العلوم الكثيرة، ويمكن أن يجاب بأن العظيم حقيقة في الأجسام مجاز في غيرها، وإذا ثبت التعارض بقي ما ذكرنا من الدلائل سليماً. القول الثالث أن النبأ العظيم هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، قالوا وذلك لأنه لما بعث الرسول عليه الصلاة والسلام جعلوا يتساءلون بينهم ماذا الذي حدث، فأنزل الله تعالى: عم يتساءلون، وذلك لأنهم عجبوا من إرسال الله محمداً عليه الصلاة والسلام إليهم كما قال تعالى: وعجبوا أن جاءهم منذر منهم، وقال الكافرون هذا شيء عجيب، وعجبوا أيضاً أن جاءهم بالتوحيد كما قال: أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب، فحكى الله تعالى عن مساءلة بعضهم بعضاً على سبيل التعجب بقوله: عم يتساءلون. المسألة الثانية: في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه: أحدها وهو قول البصريين أن قوله عم يتساءلون كلام تام، ثم قال: عن النبأ العظيم، والتقدير يتساءلون عن النبأ العظيم، إلا أنه حذف يتساءلون

عم



في الآية الثانية لأن حصوله في الأولى يدل عليه. وثانيها أن يكون قوله عن النبأ العظيم استفهاماً متصلاً بما قبله، والتقدير عم يتساءلون أعن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، إلا أنه اقتصر على ما قبله من الاستفهام إذ هو متصل به وكالترجمة والبيان له، كما قرئ في قوله: أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون بكسر الألف من غير استفهام، وهو موضع الاستفهام لأن إنكارهم إنما كان للبعث ولكنه لما ظهر الاستفهام في أول الكلام اقتصر عليه فكذا ههنا. وثالثها وهو اختيار الكوفيين أن الآية الثانية متصلة بالأولى على تقدير لأي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم، وعم كأنها في المعنى لأي شيء، وهذا قول الفراء. قوله تعالى: كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون. قال القفال: كلا لفظة وضعت لرد شيء قد تقدم، هذا هو الأظهر منها في الكلام، والمعنى ليس الأمر كما تقوله هؤلاء في النبأ العظيم إنه باطل أو إنه لا يكون، وقال قائلون: كلا معناه حقاً، ثم إنه تعالى قرر ذلك الردع والتهديد فقال: كلا سيعلمون، وهو وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لا دافع له وواقع لا ريب فيه. وأما تكرير الردع ففيه وجهان: الأول أن الغرض من التكرير التأكيد والتشديد، ومعنى ثم الإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الوعيد الأول وأشد. والثاني أن ذلك ليس بتكرير، ثم ذكروا وجوهاً: أحدها قال الضحاك: الآية الأولى للكفار والثانية للمؤمنين، أي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم، وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم. وثانيها قال القاضي: يحتمل أن يريد بالأول سيعلمون نفس الحشر والمحاسبة، ويريد بالثاني سيعلمون نفس العذاب إذا شاهدوه. وثالثها كلا سيعلمون ما الله فاعل بهم يوم القيامة، ثم كلا سيعلمون أن الأمر ليس كما كانوا يتوهمون من أن الله غير باعث لهم. ورابعها كلا سيعلمون ما ينال الظالمين من العذاب في الدنيا كما جرى على كفار قريش يوم بدر، ثم كلا سيعلمون بما ينالهم في الآخرة. المسألة الثالثة: جمهور القراء قرأوا بالياء المنقطة من تحت في سيعلمون، وروي بالتاء المنقطة من فوق عن ابن عامر، قال الواحدي: والأول أولى لأن ما تقدم من قوله هم فيه مختلفون على لفظ الغيبة، والتاء على قل لهم سيعلمون، وأقول يمكن أن يكون ذلك على سبيل الالتفات، وهو ههنا متمكن حسن كمن يقول إن عبدي يقول كذا وكذا ثم يقول للعبد إنك ستعرف وبال هذا الكلام. قوله تعالى: ألم نجعل الأرض مهاداً. اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم إنكار البعث والحشر وأراد إقامة الدلالة على صحة الحشر قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادراً على جميع الممكنات عالماً بجميع المعلومات، وذلك لأنه مهما ثبت هذان الأصلان ثبت القول بصحة البعث، وإنما أثبت هذين الأصلين بأن عدد أنواعاً من مخلوقاته الواقعة على وجه الإحكام والإتقان، فإن تلك الأشياء من جهة حدوثها تدل على القدرة، ومن جهة إحكامها وإتقانها تدل على العلم، ومتى ثبت هذان الأصلان وثبت أن الأجسام متساوية في قبول الصفات والأعراض ثبت لا محالة كونه تعالى قادراً على تخريب الدنيا بسمواتها وكواكبها وأرضها وعلى إيجاد عالم الآخرة، فهذا هو الإشارة إلى الكيفية في النظم. واعلم أنه تعالى ذكر ههنا من عجائب مخلوقاته أموراً: فأولها قوله: ألم نجعل الأرض مهاداً، والمهاد مصدر، ثم ههنا احتمالات: أحدها المراد منه ههنا الممهود أي ألم نجعل الأرض ممهودة، وهذا من باب تسمية المفعول بالمصدر كقولك هذا ضرب الأمير. وثانيها أن تكون الأرض وصفت بهذا المصدر كما تقول زيد جود وكرم وفضل، كأنه لكماله في تلك الصفة صار عين تلك الصفة. وثالثها أن يكون بمعنى ذات مهاد، وقرئ مهداً، ومعناه أن الأرض للخلق كالمهد للصبي وهو الذي يمهد له فينوم عليه. واعلم أنا ذكرنا في تفسير سورة البقرة عند قوله جعل لكم الأرض فراشاً كل ما يتعلق من الحقائق بهذه الآية. وثانيها قوله تعالى: والجبال أوتاداً أي للأرض كي لا تميد بأهلها، فيكمل كون الأرض مهاداً بسبب ذلك، وتحقيق ذلك قد تقدم أيضاً. وثالثها قوله: وخلقناكم أزواجاً، وفيه قولان: الأول المراد الذكر والأنثى كما قال: وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. والثاني أن المراد منه كل زوج ومتقابلين من القبيح والحسن والطويل والقصير وجميع المتقابلات والأضداد، كما قال: ومن كل شيء خلقنا زوجين، وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة ونهاية الحكمة حتى يصح الابتلاء والامتحان فيتعبد الفاضل بالشكر والمفضول بالصبر، وتعرف حقيقة كل شيء بضده، فالإنسان إنما يعرف قدر الشباب عند الشيب، وإنما يعرف قدر الأمن عند الخوف، فيكون ذلك أبلغ في تعريف النعم. ورابعها قوله: وجعلنا نومكم سباتاً، وطعن بعض الملاحدة في هذه الآية فقالوا السبات هو النوم، فالمعنى وجعلنا نومكم نوماً. واعلم أن العلماء ذكروا في التأويل وجوهاً: أولها قال الزجاج: سباتاً موتاً، والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لأنه مقطوع عن الحركة، ودليله أمران: أحدهما قوله: وهو الذي يتوفاكم بالليل، إلى قوله: ثم يبعثكم. والثاني أنه لما جعل النوم موتاً جعل اليقظة معاشاً أي حياة في قوله: وجعلنا النهار معاشاً. وهذا القول عندي ضعيف لأن الأشياء المذكورة في هذه الآية جلائل النعم فلا يليق الموت بهذا المكان، وأيضاً ليس المراد بكونه موتاً أن الروح انقطع عن البدن بل المراد منه انقطاع الحواس الظاهرة، وهذا هو النوم، ويصير حاصل الكلام إلى أنا خلقنا نومكم نوماً. وثانيها قال الليث: السبات النوم شبه الغشي، يقال سبت المريض فهو مسبوت. وقال أبو عبيدة: السبات الغشية التي تغشى الإنسان شبه الموت

كلا لفظة

واعلم أنه تعالى ذكر ههنا من عجائب مخلوقاته أمورا

فالآية الثانية

وهذا القول ايضا ضعيف لان التغشي هاهنا ان كان النوم فيعود الاشكال • وان كان المراد بالسبات شدة ذلك المغشي
فذلك باطل لانه ليس كل نوم كذلك ولانه مرض فلا يمكن ذكره في اثنا تعديد النعم • وثانيها ان السبت في اصل اللغة هو القطع
يقال سبت الرجل راسه يسبته سبتا اذا حلق شعره • وقال ابن الاعرابي في قوله سباتا اي قطعا • ثم عند هذا
يحتمل وجوها • الاول ان يكون المعنى وجعلنا نومكم نوما منقطعا لا دائما فان النوم بمقدار الحاجة من انفع
الاشيا • اما دوامه من اضر الاشيا • فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لاجرم ذكره الله تعالى في معرض الانعام •
الثاني ان الانسان اذا تعب ثم نام • فذلك النوم يزيل عنه ذلك التعب فسميت تلك الازالة سبتا وقطعا وهذا
هو المراد من قول ابن قتيبة وجعلنا نومكم سباتا اي راحة وليس غرضه منه ان السبات اسم للراحة بل المقصود
ان النوم يقطع التعب ويزيله فحينئذ تحصل الراحة • الثالث قال المبرد وجعلنا نومكم سباتا اي جعلناه
نوما خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه • تقول العرب رجل مسبوت اذا كان النوم يغالبه وهو يدافعه كانه قيل وجعلنا
نومكم نوما لطيفا يمكنكم دفعه وما جعلناه غشيا مستوليا عليكم فان ذلك من الامراض الشديدة • وهذه الوجوه
كلها صحيحة • وخامسها قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا قال القفال اصل اللباس هو الشيء الذي يلبسه الانسان
ويتغطى به فيكون ذلك مغطيا له • فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته فيغطيهم جعل لباسا لهم ولهذا السبب سمي
الليل لباسا على وجه المجاز • والمراد كون الليل ساترا لهم • واما وجه النعمة في ذلك فهو ان ظلمة الليل تستر الانسان
عن العيون اذا اراد هربا من عدو او بياتا له او اخفاء ما لا يحب الانسان اطلاع غيره عليه قال المتنبي • شعر
وكم لظلام الليل عندك من يد • تخبر ان المانوية تكذب • وايضا فكما ان الانسان بسبب اللباس يزداد جماله
وتتكامل قوته ويندفع عنه اذى الحر والبرد فكذا لباس الليل بسبب ما يحصل فيه من النوم يزيد في جمال الانسان
وفي طراوة اعضائه وفي تكامل قواه الحسية والحركية ويندفع عنه اذى التعب الجسماني واذى الافكار الموحشة
النفسانية وكذلك فان المريض اذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة • وسادسها قوله تعالى وجعلنا النهار
معاشا • في المعاش وجهان • احدهما انه مصدر • يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى
هذا التقدير فلا بد فيه من اضمار المعنى • وجعلنا النهار وقت معاش • والثاني ان يكون معاش مفعلا وظرفا
للتعيش وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار • ومعنى كون النهار معاشا ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوائجهم ومكاسبهم
في النهار لا في الليل • وسابعها قوله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات شدادا جمع شديدة يعني
محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره وجعلنا السماء سقفا محفوظا • فان قيل
لفظ البنا يستعمل في اسافل البيت والسقف في اعلاه فكيف قال وبنينا سقفا • قلنا البنا يكون ابعد عن الافة
والانحلال من السقف • فذكر قوله وبنينا اشارة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الانحلال كالبنا فالغرض
من اختيار هذا اللفظ هذه الدقيقة • وثامنها قوله تعالى وجعلنا سراجا وهاجا كلام اهل اللغة مضطرب
في تفسير الوهاج • فمنهم من قال الوهج يجمع النور والحرارة • فبين الله تعالى ان الشمس بالغة الى اقصى الغايات في
هذين الوصفين وهو المراد بكونها وهاجا • وروى الكلبي عن ابن عباس ان الوهاج مبالغة في النور فقط • يقال للجوهر
اذا تلألأ توهج • وهذا يدل على ان الوهاج يفيد الكمال في النور ومنه قول الشاعر يصف النور • نوارها متباهج يتوهج
وفي كتاب الخليل الوهج حر النار والشمس وهذا يقتضي ان الوهاج هو البالغ في الحر • واعلم انا اي هذه الوجوه ثبت
فالمقصود حاصل • وتاسعها قوله تعالى وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا • اما المعصرات ففيها قولان
الاول وهو احد الروايتين عن ابن عباس وقول مجاهد ومقاتل والكلبي وقتادة انها الرياح التي تثير السحاب ودليله
قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا • فان قيل على هذا التاويل كان ينبغي ان يقال وانزلنا بالمعصرات
قلنا الجواب من وجهين • الاول ان المطر انما ينزل من السحاب • والسحاب انما يثيره الرياح فصح ان يقال هذا
المطر انما حصل من تلك الرياح • كما يقال هذا من فلان اي من جهته وبسببه • الثاني ان من هاهنا بمعنى البا
والتقدير وانزلنا بالمعصرات اي الرياح المثيرة للسحاب • ويروى عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعكرمة
انهم قرأوا وانزلنا بالمعصرات • وطعن الازهري في هذا القول وقال الاعاصير من الرياح ليست من رياح المطر
وقد وصف الله تعالى المعصرات بالماء الثجاج • وجوابه ان الاعصار ليست من رياح المطر فلم لا يجوز ان تكون
المعصرات من رياح المطر • القول الثاني وهو الرواية الثانية عن ابن عباس • واختاره ابو العالية والربيع
والضحاك انها السحاب • وذكروا في تسمية السحاب بالمعصرات وجوها • احدها قال المؤرج المعصرات
السحاب بلغة قريش • وثانيها قال المازني يجوز ان تكون المعصرات هي السحاب ذوات الاعاصير • فان السحا

يمكنكم

اذا عصرتها



اذا عصرتها الاعاصير لا بد وان ينزل المطر منها • وثالثها ان المعصرات هي السحائب التي شارفت ان تعصرها الرياح
فتمطر كقولك للناجر الزرع اذا حان له ان يحصد • ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض • واما الثجاج فاعلم ان الثج
شدة الانصباب • يقال مطر ثجاج ودم ثجاج اي شديد الانصباب • واعلم ان الثج قد يكون لازما وهو بمعنى الانصباب
كما ذكرنا وقد يكون متعديا بمعنى الصب • وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دما الهدي
وكان ابن عباس مثجا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقد فسروا الثجاج في هذه الاية على الوجهين قال الكلبي ومقاتل
وقتادة الثجاج هاهنا المتدفق المنصب • وقال الزجاج معناه الصباب كانه يثج نفسه اي يصب • وبالجملة
فالمراد تتابع القطر حتى يكون الما يعظم النفع به • قوله تعالى لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا • في الاية مسائل
المسألة الاولى كل شي ينبت من الارض فاما ان لا يكون له ساق واما ان يكون • فان لم يكن له ساق فاما ان يكون له
كمام وهو الحب • واما ان لا يكون له كمام وهو الحشيش وهو المراد هاهنا بقوله ونباتا والى هذين القسمين الاشارة بقوله
تعالى كلوا وارعوا انعامكم • واما الذي له ساق فهو الشجر فاذا اجتمع منها شي كثير سميت جنة فثبت بالدليل العقلي
انحصار ما ينبت في الارض في هذه الاقسام الثلاثة • وانما قدم الله تعالى الحب لانه هو الاصل في الغذا • وانما
ثنى بالنبات لاحتياج ساير الحيوانات اليه • وانما اخر الجنات في الذكر لان الحاجة الى الفواكه ليست ضرورية • المسألة
الثانية اختلفوا في الالفاف • فذكر صاحب الكشاف انه لا واحد له كالاوزاع والاخياف • فالاوزاع الجماعات
المتفرقة • والاخياف الجماعات المختلطة • وكثير من اللغويين اثبتوا له واحدا • ثم اختلفوا فيه فقال الاخفش
والكسائي واحدها لف بالكسر • وزاد الكسائي لف بالضم • وانكر المبرد الضم وقال بل واحدها لفاء وجمعها لف وجمع
لف الفاف • وقيل يحمل • وقيل يحتمل ان يكون جمع لفيف كشريف واشراف نقله القفال رحمه الله • اذا عرفت هذا
فنقول قوله وجنات الفافا اي ملتفة • والمعنى ان كل جنة فان ما فيها من الشجر يكون مجتمعة متقاربة • الا انهم يقولون امراة
لفا اذا كانت غليظة الساق مجتمعة اللحم يبلغ من تقاربه ان تتلاصق • المسألة الثالثة كان الكعبي من القائلين بالطبايع
فاحتج بقوله تعالى لنخرج به حبا ونباتا وقال انه يدل على بطلان قول من قال ان الله تعالى لا يفعل شيئا بواسطة شي اخر
قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا • اعلم ان هذه الاشيا التسعة التي عددها الله تعالى نظرا الى حدوثها وفي
ذواتها واوصافها يدل على القادر المختار • ونظرا الى ما فيها من الاحكام والاتقان يدل على كون فاعلها عالما • ثم ان ذلك
الفاعل القديم يجب ان يكون علمه وقدرته واجبا اذ لو كان جايزا لافتقر الى فاعل اخر ويلزم التسلسل وهو محال • واذا
كان العلم والقدرة واجبين وجب تعلقهما بكل ما صح ان يكون مقدورا ومعلوما والا لافتقر الى المخصص وهو محال
واذا كان كذلك وجب ان يكون قادرا على جميع الممكنات • عالما بجميع المعلومات • وقد ثبت ان الاجسام متساوية في
الجسمية فكل ما صح على واحد منها صح على الاخر • فكما يصح على الاجسام السفلية الانشقاق والانفطار والظلمة وجب
ان يصح ذلك على كل الاجسام • واذا ثبت الامكان وثبت عموم القدرة والعلم ثبت انه تعالى قادر على تخريب الدنيا
وقادر على ايجاد عالم اخر • وعند ذلك ثبت بان القول بقيام القيمة ممكن عقلا • والى هاهنا يمكن اثباته بالعقل • فاما وراء
ذلك من وقت حدوثها وكيفية حدوثها فلا سبيل اليه الا بالسمع • ثم انه تعالى تكلم في هذه الاشيا بقوله ان يوم الفصل
كان ميقاتا • ثم انه تعالى ذكر بعض احوال القيمة • فاولها قوله ان يوم الفصل كان ميقاتا والمعنى ان هذا اليوم كان في تقدير
الله وحكمه حدا يؤقت به الدنيا او حدا للخلايق ينتهون اليه او كان ميقاتا لما وعد الله من الثواب والعقاب او كان
ميقاتا لاجتماع كل الخلايق في فصل الحكومات • وقطع الخصومات • وثانيها قوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتاتون
افواجا • اعلم ان يوم ينفخ بدل من يوم الفصل او عطف بيان • وهذا النفخ هو النفخة الاخيرة التي يكون عندها الحشر
والنفخ في الصور فيه قولان • احدهما ان الصور جمع الصورة • والنفخ في الصور عبارة عن نفخ الارواح في الاجساد
والثاني ان الصور عبارة عن قرن ينفخ فيه • وتمام الكلام في الصور • وما قيل فيه قد تقدم في سورة الزمر • وقوله تعالى
فتاتون افواجا معناه انهم ياتون ذلك المقام فوجا فوجا حتى تتكامل اجتماعهم قال عطا كل نبي ياتي مع امته • ونظيره
قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم • وقيل جماعات مختلفة • روى صاحب الكشاف عن معاذ انه سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنه فقال يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور • ثم ارسل عينيه وقال يحشر عشرة اصناف من
امتي بعضهم على صورة القردة • وبعضهم على صورة الخنازير • وبعضهم منكوس ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها
وبعضهم عميا وبعضهم صما • وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم
اهل الجمع • وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم • وبعضهم مصلبون على جذوع من نار • وبعضهم اشد نتنا من الجيف
وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم • فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما

اعلم ان هذه الاشيا التسعة التي عددها الله تعالى

عليه السلام

من نار

الذين على صورة الخنازير فاهل السحت • واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا • واما العمي فالذين يجورون في
الحكم • واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم • واما الذين يمضغون السنتهم فالعلما والقصاص الذين يخالف قولهم
اعمالهم • واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يوذون الجيران • واما المصلبون على جذوع النخل من النار
فالسعاة بالناس الى السلطان • واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات • ومنعوا
حق الله تعالى من اموالهم • واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلا • وثالثها قوله تعالى
وفتحت السما فكانت ابوابا • قرا عاصم وحمزة والكسائي فتحت خفيفة • والباقون بالتثقيل • والمعنى كثرت ابوابها
المفتحة لنزول الملئكة • قال القاضي وهذا الفتح هو معنى قوله اذا السما انشقت واذا السما انفطرت اذ الفتح
والتشقق والتفطر تتقارب • واقول هذا ليس بقوي لان المفهوم من فتح الباب غير المفهوم من التشقق والتفطر
فربما كانت السما ابوابا ثم تفتح تلك الابواب مع انه لا يحصل في جرم السما تشقق ولا تفطر بل الدلايل السمعية دلت
على ان عند حصول فتح هذه الابواب يحصل التشقق والتفطر والفنا بالكلية • فان قيل قوله وفتحت السما
فكانت ابوابا تفيد ان السما بكليتها تصير ابوابا فكيف يعقل ذلك • قلنا فيه وجوه • احدها ان تلك الابواب
لما كثرت جدا صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا اي كان كلها صارت عيونا تتفجر
وثانيها قال الواحدي هذا من باب تقدير حذف المضاف • والتقدير فكانت ذات ابواب • وثالثها ان الضمير في قوله
فكانت ابوابا عايد الى مضمر • والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا لنزول الملئكة كما قال تعالى وجا
ربك والملك صفا صفا • ورابعها قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا اعلم ان الله تعالى ذكر في
مواضع من كتابه احوال هذه الجبال على وجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها على الوجه الذي نقوله وهو ان اول احوالها
الاندكاك • وهو قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة • والحالة الثانية لها ان تصير كالعهن المنفوش
وذكر الله تعالى ذلك في قوله يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش • او قوله يوم
تكون السما كالمهل وتكون الجبال كالعهن • والحالة الثالثة ان تصير كالهبا وذلك ان تنقطع وتتبدد بعد ان كانت
كالعهن وهو قوله اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هبا منبثا • والحالة الرابعة ان تنسف
لانها مع الاحوال المتقدمة قارة في مواضعها • والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهو
المراد من قوله ينسفها ربي نسفا • والحالة الخامسة ان الرياح ترفعها عن وجه الارض فتطيرها شعاعا في الهوا
كانها غبار فمن نظر اليها من بعد حسبها لتكاثفها اجساما جامدة وهي بالحقيقة مارة الا ان مرورها بسبب
مرور الرياح بها صيرها مندكة متنسفة وهي قوله وهي تمر مر السحاب • ثم بين ان تلك الحركة حصلت بقهره وتسخيره
فقال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة • والحالة السادسة ان تصير سرابا بمعنى لا شي فمن نظر الى مواضعها
لم يجد فيها شيا كما ان من يرى السراب من بعد اذا جا الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيا والله اعلم • واعلم
ان الاحوال المذكورة الى ها هنا هي احوال عامة للقيامة • ومن ها هنا يصف احوال جهنم واحوالها • فاولها
قوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا • وفيه مسايل المسئلة الاولى قرا ابن يعمر ان جهنم بفتح الهمزة على تعليل
قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزا المسئلة الثانية كانت
مرصادا اي في علم الله تعالى • وقيل صارت وهذان القولان نقلهما القفال رحمه الله • وفيه وجه ثالث ذكره
القاضي فانا اذا فسرنا المرصاد بالمرتقب افاد ذلك ان جهنم كانت كالمنتظرة لمقدمهم من قديم الزمان وكالمستدعية
والطالبة لهم المسئلة الثالثة في المرصاد قولان • احدهما ان المرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه
كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل • والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج • وعلى هذا الوجه فيه احتمالان • احدهما
ان خزنة جهنم يرصدون الكفار • والثاني ان مجاز المومنين وممرهم كان على جهنم لقوله وان منكم الا واردها
فخزنة الجنة يستقبلون المومنين عند جهنم ويرصدونهم عندها • القول الثاني ان المرصاد مفعال من الرصد
وهو الترقب بمعنى ان ذلك يكثر منه • والمفعال من ابنية المبالغة كالمعطا والمعمار والمعطان • قيل انها ترصد
اعدا الله وتشهق عليهم كما قال تعالى تكاد تميز من الغيظ • وقيل تصيد كل كافر ومنافق • والقايلون بالقول الاول
استدلوا على صحة قولهم بقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد • ولو كان المرصاد نعتا لوجب ان يقال ان ربك لمرصاد
المسئلة الرابعة دلت الاية على ان جهنم كانت مخلوقة • لقوله تعالى ان جهنم كانت مرصادا • واذا كان كذلك
كانت الجنة كذلك لانه لا قايل بالفرق • وثانيها قوله للطاغين مابا • وفيه وجهان • ان قلنا انه مرصاد للكفار فقط
كان قوله للطاغين من تمام ما قبله • والتقدير ان جهنم كانت مرصادا للطاغين • ثم قوله مابا بدل من قوله مرصادا

وان قلنا انه

وان قلنا بانه مرصاد مطلقا للكفار وللمومنين كان قوله ان جهنم كانت مرصادا كلاما تاما • وقوله للطاغين مابا كلام مبتدا
كانه قيل ان جهنم مرصاد للكل وماب للطاغين خاصة • ومن ذهب الى القول الاول لم يقف على قوله مرصادا • اما من ذهب
الى القول الثاني وقف عليه • ثم نقول المراد بالطاغين من تكبر على ربه وطغى في مخالفته ومعاصيه • وقوله مابا اي مصيرا
ومقرا • وثالثها قوله لابثين فيها احقابا اعلم انه تعالى لما بين ان جهنم ماب للطاغين بين كمية استقرارهم هناك
فقال لابثين فيها احقابا • وها هنا مسايل المسئلة الاولى قرى لابثين وقرى لبثين • وفيه وجهان • قال الفرا
هما بمعنى واحد يقال لابث ولبث مثل طامع وطمع وفاره وفره وهو كثير • وقال صاحب الكشاف اللابث اقوى لان اللابث
من وجد منه اللبث • ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث وهو ان يستقر في المكان ولا يكاد ينفك منه المسئلة الثانية
قال الفرا اصل الحقب من الترادف والتتابع • يقال احقب اذا اردف • ومنه الحقيبة • ومنه كل من حمل وزرا فقد احتقب
فيجوز على هذا المعنى لابثين فيها احقابا اي دهورا متتابعة يتبع بعضها بعضا • ويدل عليه قوله تعالى لا ابرح حتى ابلغ
مجمع البحرين او امضي حقبا يحتمل سنين متتابعة الى ان ابلغ او اياس واعلم ان الاحقاب واحدها حقب وهو ثمانون سنة
عند اهل اللغة والحقب السنون واحدها حقبة وهي زمان من الدهر لا وقت له • ثم نقل عن المفسرين فيه وجوه • احدها
قال عطا والكلبي ومقاتل عن ابن عباس في قوله احقابا الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما
واليوم الف سنة من ايام الدنيا ونحو هذا روى ابن عمر مرفوعا • وثانيها سال هلال الهجري عليا عليه السلام عن الحقب
فقال الحقب مائة سنة السنة اثنا عشر شهرا الشهر ثلثون يوما اليوم الف سنة • وثالثها قال الحسن الاحقاب
لا يدري احد ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون • فان قيل قوله احقابا
وان طالت الا انها متناهية • وعذاب اهل النار غير متناه • بل لو قال لابثين فيها الاحقاب لم يكن هذا السوال
واردا • ونظير هذا السوال قوله في اهل القبلة الا ما شا ربك • قلنا الجواب من وجهين • الاول ان لفظ الاحقاب
لا يدل على نهاية وانما الحقب الواحد متناه • والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا كلما مضى حقب تبعه حقب اخر وهكذا
الى الابد • والثاني قال الزجاج المعنى انهم يلبثون فيها احقابا لا يذوقون في الاحقاب بردا ولا شرابا فهذه الاحقاب
توقيت لنوع من العذاب وهو انهم لا يذوقون بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا • ثم يبدلون بعد الاحقاب عن الحميم والغساق
من جنس اخر من العذاب • وثالثها هب ان قوله احقابا يفيد التناهي لكن دلالة هذا على الخروج دلالة المفهوم والمنطوق
دل على انهم لا يخرجون قال تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم • ولا شك ان المنطوق
راجح • وذكر صاحب الكشاف في الاية وجها اخر وهو ان يكون احقابا من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا
اخطاه الرزق فهو حقيب • [illegible]

[illegible]

مترادفة

ثم يبدلون بعد الاحقاب عن الحميم والغساق

يسمى بالزمهرير ٭ وثالثها الغساق هو ما يسيل من اعين اهل النار وجلودهم من الصديد والقيح والعرق
وسائر الرطوبات المستقذرة ٭ وفي كتاب الخليل غسقت عينه تغسق غسقا وغسقانا ٭ ورابعها الغساق هو المنتن
ودليله ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لو ان دلوا من الغساق يهراق على اهل الدنيا لانتن اهل الدنيا ٭ وخامسها
ان الغاسق هو المظلم قال الله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب فيكون الغساق شرابا اسود مكروها يستوحش كما يستوحش
الشئ المظلم ٭ اذا عرفت هذا ٭ فنقول ان فسرنا الغساق بالبارد كان التقدير لا يذوقون فيها بردا الا غساقا ولا شرابا
الا حميما الا انهما جمعا لاجل انتظام الاي ٭ ومثله من الشعر قول امرئ القيس شعر كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي ٭ والمعنى كان قلوب الطير رطبا العناب ٭ ويابسا الحشف البالي ٭ اما ان فسرنا
الغساق بالصديد او بالمنتن ٭ احتمل ان يكون الاستثنا بالحميم وهو الغساق راجعا الى البرد والشراب معا وان يكون
مختصا بالشراب فقط ٭ اما الاحتمال الاول فهو ان يكون التقدير لا يذوقون فيها بردا الا ماء ولا شرابا غير الماء الا الحميم
والصديد المنتن ٭ واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون التقدير لا يذوقون فيها شرابا الا الحميم البالغ في السخونة او الصديد
المنتن والله اعلم بمراده ٭ فان قيل الصديد لا يشرب فكيف استثني عن الشراب ٭ قلنا انه مائع فامكن ان يشرب في الجملة
فان ثبت انه غير ممكن كان استثنا من غير الجنس ٭ ووجهه معلوم المسئلة الخامسة قرا حمزة والكسائي وعاصم
من رواية حفص عنه غساقا بالتشديد وكانه فعال بمعنى سيال وقرا الباقون بالتخفيف مثل شراب ٭ والاول نعت
والثاني اسم ٭ واعلم انه تعالى لما شرح انواع عقوبة الكفار بين فيما بعده انه جزاء وفاقا ٭ وفي المعنى وجهان ٭ الاول
انه تعالى انزل بهم عقوبة شديدة بسبب انهم اتوا بمعصية شديدة فيكون العقاب وفاقا للذنب ٭ ونظيره قوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها ٭ والثاني انه وفاق من حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه ٭ وذكر النحويون فيه
وجوها ٭ احدها ان يكون الوفاق والموافق واحدا في اللغة ٭ والتقدير جزاء موافقا ٭ وثانيها ان يكون نصبا على المصدر
والتقدير جوزوا وافق اعمالهم وفاقا ٭ وثالثها ان يكون وصفا بالمصدر كما يقال فلان فضل وكرم لكونه كاملا في ذلك
المعنى كذا ههنا لما كان ذلك الجزاء كاملا في كونه على وفق الاستحقاق وصف الجزاء بكونه وفاقا ٭ ورابعها ان يكون بحذف
المضاف ٭ والتقدير جزاء ذا وفاق ٭ وقرا ابو حيوة وفاقا فعال من الوفق ٭ فان قيل كيف يكون هذا العذاب البالغ في الشدة
الغير المتناهي بحسب المدة وفاقا للاتيان بالكفر لحظة واحدة ٭ وايضا فعلى قول اهل السنة اذا كان الكفر واقعا بخلق الله
وايجاده فكيف يكون هذا وفاقا له ٭ واما على مذهب المعتزلة فكان علم الله بعدم ايمانهم حاصلا ووجود ايمانهم مناف
بالذات لذلك العلم فمع قيام احد المتنافيين كان التكليف بادخال المنافي الثاني في الوجود ممتنعا لذاته وعبثا ويكون
تكليفا بالجمع بين المتنافيين ٭ فكيف يكون مثل هذا العذاب الشديد الدائم لمثل هذا الجرم ٭ قلنا يفعل الله ما يشا
ويحكم ما يريد ٭ واعلم انه تعالى لما بين على الاجمال ان ذلك الجزاء على وفق جرمهم ٭ شرح انواع جرائمهم بعد ذلك
وهي نوعان ٭ اولهما قوله انهم كانوا لا يرجون حسابا ٭ وفيه سؤالات ٭ الاول وهو ان الحساب شئ شاق على الانسان
والشئ الشاق لا يقال فيه انه يرجى بل يجب ان يقال انهم كانوا لا يخشون حسابا والجواب من وجوه ٭ احدها قال
مقاتل وكثير من المفسرين ٭ قوله لا يرجون معناه لا يخافون ٭ ونظيره قولهم في تفسير قوله تعالى ما لكم لا ترجون
لله وقارا ٭ وثانيها ان المؤمن لا بد وان يرجو رحمة الله لانه قاطع بان ثواب ايمانه زائد على عقاب جميع المعاصي
سوى الكفر ٭ فقوله انهم كانوا لا يرجون حسابا اشارة الى انهم ما كانوا مؤمنين ٭ وثالثها ان الرجا ههنا
بمعنى التوقع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
السؤال الثاني [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

والمنكر



والمنكرات وغير راغبين في شئ من الطاعات والخيرات ٭ واما في القوة النظرية فنبه على فسادها بقوله ٭ وكذبوا باياتنا كذابا
اي كانوا منكرين بقلوبهم للحق ومصرين على الباطل ٭ واذا عرفت ما ذكرناه من التفسير ظهر انه تعالى بين انهم كانوا قد بلغوا
في الرداة والفساد الى حيث يستحيل عقلا وجود ما هو ازيد منه ٭ فلما كان كذلك ثم كان اللائق بها هو العقوبة العظيمة
فثبت بهذا صحة ما قدمه في قوله جزاء وفاقا فما اعظم لطائف القرآن مع ان الادوار العظيمة قد استمرت ولم يتنبه لها
احد فالحمد لله حمدا يليق بعلو شانه وبرهانه على ما خص هذا الضعيف بمعرفة هذه الاسرار ٭ واعلم ان قوله تعالى
وكذبوا باياتنا يدل على انهم كذبوا بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد والشرائع والقرآن وذلك يدل
على كمال حال القوة النظرية في الرداة والفساد والبعد عن سوا السبيل ٭ وقوله كذابا اي تكذيبا ٭ وفعال من مصادر
التفعيل ٭ وانشد الزجاج سعر لقد طال ما ربثني عن صحابتي ٭ وعن حوج قضاها من شفائيا
من قضيت قضا ٭ قال الفرا هي لغة فصيحة يمانية ٭ ونظيره خرقتها القميص خراقا ٭ وقال لي اعرابي منهم على المروة
لستفتيني الحلق احب اليك ام القصار ٭ وقال صاحب الكشاف كنت فسرت اية فقال بعضهم لقد فسرتها فسارا ما سمع
به ٭ وقري بالتخفيف ٭ وفيه وجوه ٭ احدها انه مصدر كذب بدليل قوله فصدقتها وكذبتها ٭ والمرء ينفعه كذابه
وهو مثل قوله تعالى انبتكم من الارض نباتا ٭ فكذبوا كذابا ٭ وثانيها ان ينصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان
كل مكذب بالحق كاذب ٭ وثالثها ان يجعل الكذاب بمعنى المكاذبة فمعناه فكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة ٭ وكذبوا بها
مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة ٭ وقري ايضا كذابا وهو
جمع كاذب اي كذبوا باياتنا كاذبين ٭ وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب ٭ يقال رجل كذاب ٭ كقولك
حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه ٭ واعلم انه تعالى لما بين ان فساد حالهم في القوة
العملية ٭ وفي القوة النظرية بلغ الى اقصى الغايات ٭ واعظم النهايات بين ان تلك الاحوال في كميتها وكيفيتها معلومة
له وقدر ما يستحق عليه من العقاب معلوم له فقال ٭ وكل شئ احصيناه كتابا ٭ وفيه مسائل المسئلة الاولى
قال الزجاج كل منصوب بفعل مضمر يفسره احصيناه ٭ والمعنى واحصينا كل شئ ٭ وقرا ابو السمال وكل بالرفع على الابتدا
المسئلة الثانية قوله وكل شئ احصيناه اي علمنا كل شئ كما هو علما لا يزول ولا يتبدل ٭ ونظيره قوله تعالى احصاه
الله ونسوه ٭ اعلم ان هذه الاية تدل على كونه تعالى عالما بالجزئيات ٭ واعلم ان مثل هذه الاية لا يقبل التاويل وذلك لانه
تعالى ذكر هذا تقريرا لما ادعاه من قوله جزاء وفاقا كانه تعالى يقول انا عالم بجميع ما فعلوه وعالم بجهات تلك الافعال
واحوالها واعتباراتها التي بحصل استحقاق الثواب والعقاب فلا جرم لا اوصل اليهم من العذاب الا قدر ما يكون وفاقا
لاعمالهم ٭ ومعلوم ان هذا القدر انما يتم لو ثبت كونه تعالى عالما بالجزئيات ٭ واذا ثبت هذا ظهر ان كل من انكره كان
كافرا قطعا المسئلة الثالثة قوله احصيناه احصاء ٭ وانما عدل عن تلك اللفظة الى هذه اللفظة لان الكتابة
هي النهاية في قوة العلم ٭ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام قيدوا العلم بالكتابة فكانه تعالى قال وكل شئ احصيناه احصاء
مساويا في القوة والثبات والتاكيد للمكتوب ٭ والمراد من قوله كتابا تاكيد ذلك الاحصاء والعلم ٭ واعلم ان هذا التاكيد
انما ورد على حسب ما يليق بافهام اهل الظاهر ٭ فان المكتوب يقبل الزوال ٭ وعلم الله بالاشيا لا يقبل الزوال لانه واجب لذاته
القول الثاني ان يكون قوله كتابا حالا في معنى مكتوبا ٭ والمعنى وكل شئ احصيناه حال كونه مكتوبا في اللوح كقوله وكل شئ
احصيناه في امام مبين او في صحف الحفظة ثم قال تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا واعلم انه تعالى لما شرح احوال
العقاب اولا ٭ ثم ادعى كونه جزاء وفاقا ٭ ثم بين تفاصيل افعالهم القبيحة ظهر صحة ما ادعاه اولا من ان ذلك العقاب كان جزاء
وفاقا ٭ ثم بين تفاصيل افعالهم القبيحة لا جرم اعاد ذكر العقاب ٭ وقال فذوقوا ٭ والفا للجزا فنبه على ان الامر بالذوق معلل
بما تقدم شرحه من قبائح افعالهم ٭ فهذه الفا افادت عين فائدة قوله جزاء وفاقا المسئلة الرابعة هذه الاية دالة على
المبالغة في التعذيب من وجوه ٭ احدها قوله لن نزيدكم وكلمة لن للتاكيد ٭ وثانيها انه في قوله كانوا لا يرجون حسابا
ذكرهم بالمغايبة ٭ وفي قوله فذوقوا ذكرهم على سبيل المشافهة ٭ وهذا يدل على كمال الغضب ٭ وثالثها انه تعالى عدد
وجوه العقاب ٭ ثم حكم بانه جزاء موافق لاعمالهم ٭ ثم عدد فضائحهم ٭ ثم قال فذوقوا فكانه تعالى افتى واقام الدلالة ثم
اعاد تلك الفتوى بعينها وذلك يدل على المبالغة في التعذيب قال عليه السلام هذه الاية اشد ما في القرآن على اهل النار
كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه ٭ بقي في الاية سؤالات ٭ الاول اليس انه تعالى قال في صفة
الكفار ولا ينظر اليهم ولا يكلمهم فههنا لما قال لهم فذوقوا فقد كلمهم الجواب قال اكثر المفسرين ٭ تقدير الاية يقال
لهم فذوقوا ٭ ولقائل ان يقول على هذا الوجه لا يليق بذلك القائل ان يقول فلن نزيدكم الا عذابا بل هذا الكلام لا يليق الا بالله
والاقرب في الجواب ان يقال قوله ولا يكلمهم بالكلام الطيب النافع ٭ فان تخصيص العموم غير بعيد لا سيما عند حصول

واعلم ان مثل هذه الاية لا يقبل التاويل

القرينة فان قوله ولا يكلمهم اي ولا يكلمهم بالكلام الطيب النافع فان تخصيص العموم غير بعيد لاسيما عند حصول القرينة
فان قوله ولا يكلمهم انما ذكره لبيان انه تعالى لا ينفعهم ولا يقيم لهم وزنا • وذلك لا يحصل الا من الكلام الطيب • السؤال الثاني
دلالة الآية على انه تعالى يزيد في عذاب الكفار ابدا فتلك الزيادة اما ان يقال انها كانت مستحقة لهم كان تركها
في اول الامر احسانا • والكريم اذا اسقط حق نفسه فانه لا يليق به ان يسترجعه بعد ذلك • واما ان كانت تلك الزيادة
غير مستحقة كان ايصالها اليهم ظلما وانه لا يجوز على الله • الجواب كما ان الشي يؤثر بحسب خاصية ذاته فكذا اذا دام
ازداد تاثيره بحسب ذلك الدوام فلا جرم فلما كان الدوام اكثر كان الايلام اكثر فتلك الزيادة مستحقة • وتركها في
بعض الاوقات لا يوجب الابرا والاسقاط والله اعلم بما اراد • واعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد الاخيار
وهو امور • اولها قوله تعالى ان للمتقين مفازا • اما المتقي فقد تقدم تفسيره في مواضع كثيرة • ومفازا يحتمل ان يكون مصدرا
بمعنى فوزا وظفرا بالبغية • ويحتمل ان يكون موضع فوز • والفوز يحتمل ان يكون المراد منه فوزا بالمطلوب وان يكون المراد
منه فوزا بالنجاة من العذاب • وان يكون المراد مجموع الامرين • وعندي ان تفسيره بالفوز بالمطلوب وذلك لانه تعالى
فسر المفاز بما بعده وهو قوله حدائق واعنابا فوجب ان يكون المراد من المفاز هذا القدر • فان قيل الخلاص من الهلاك
اهم من حصول اللذة فلم اهمل الاهم وذكر غير الاهم • قلنا لان الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز باللذة والخير
اما الفوز باللذة • والخير يستلزم الخلاص من الهلاك فكان ذكر هذا اولى • وثانيها قوله حدائق واعنابا والحدائق
جمع حديقة وهي كل بستان محوط عليه من قولهم احدق به اي احاط به • والتنكير في قوله واعنابا يدل على تعظيم حال
تلك الاعناب • وثالثها قوله تعالى وكواعب اترابا • كواعب جمع كاعب وهي النا هدا التي تكعبت ثديهن وتفلكت اي يكون
ثديهن في النتو كالكعب • والفلكة • ورابعها قوله تعالى وكاسا دهاقا • وفي الدهاق اقوال • الاول وهو قول اكثر
اهل اللغة كابي عبيدة والزجاج والكسائي والمبرد دهاقا اي مملوة دعا ابن عباس غلاما له فقال اسقنا دهاقا فجا الغلام
بها ملا فقال ابن عباس هذا هو الدهاق قال عكرمة ربما سمعت ابن عباس يقول اسقنا وادهق لنا • القول الثاني دهاقا
متتابعة وهو قول ابي هريرة وسعيد بن جبير ومجاهد قال الواحدي واصل هذا القول من قول العرب ادهقت الحجارة
ادهاقا وهو شدة تلازمها ودخول بعضها في بعض ذكره الليث فالمتابع كالمتداخل • القول الثالث يروى عن عكرمة
انه قال دهاقا اي صافية • والدهاق على هذا القول يجوز ان يكون جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما • والمراد بالكاس
الخمر قال الضحاك كل كاس في القرآن فهو خمر • والتقدير وخمرا ذات دهاق اي عصرت وصفيت بالدهاق • وخامسها
قوله لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا • في الآية سؤالات • الاول الضمير في قوله فيها الى ماذا يعود • الجواب
فيه قولان • الاول انها ترجع الى الكاس اي لا يجري بينهم لغو في الكاس التي يشربونها وذلك ان اهل الشرب في الدنيا يتكلمون
بالباطل • واهل الجنة اذا شربوا لم يتغير عقلهم ولم يتكلموا بلغو • الثاني ان الكناية ترجع الى الجنة اي لا يسمعون
في الجنة شيئا يكرهونه • السؤال الثاني الكذاب بالتشديد يفيد المبالغة في وصفهم بالكذاب • اما وروده هاهنا
غير لايق لان قوله لا يسمعون فيها كذابا يفيد انهم لا يسمعون الكذب العظيم • وهذا لا ينفي انهم يسمعون الكذب
القليل وليس مقصودا الآية ذلك بل المقصود المبالغة في انهم لا يسمعون الكذب البتة • والحاصل ان هذا
اللفظ يفيد نفي المبالغة • واللايق بالآية المبالغة في النفي • والجواب ان الكسائي قرا الاول بالتشديد والثاني
بالتخفيف • وكمل غرضه ما قررناه في هذا السؤال لان قراءة التخفيف هاهنا تفيد انهم لا يسمعون الكذب
اصلا لان الكذاب بالتخفيف والكذب واحد لان ابا علي الفارسي قال الكذاب مصدر كذب ككتاب مصدر كتب • فاذا كان
كذلك كانت القراءة تفيد المبالغة في النفي • وقراءة التشديد في الاول تفيد المبالغة في الثبوت فيحصل المقصود
من القراءة في الموضعين على اكمل الوجوه • فان اخذنا بقراءة الكسائي فقد زال السؤال • وان اخذنا بقراءة التشديد في
الموضعين وهي قراءة الباقين • فالعذر عنه ان قوله لا يسمعون فيها كذابا اشارة الى ما تقدم من قوله وكذبوا باياتنا
كذابا • والمعنى ان هؤلاء السعداء لا يسمعون كلامهم المشوش الباطل الفاسد • والحاصل ان النعم الواصلة اليهم
تكون خالية عن زحمة اعدائهم • وعن سماع كلامهم الفاسد واقوالهم الكاذبة الباطلة • ثم انه تعالى لما عدد اقسام
نعيم اهل الجنة قال جزاء من ربك عطاء حسابا • وفيه مسائل • المسألة الاولى قال الزجاج المعنى جازاهم
بذلك جزاء • وكذلك عطاء لان معنى جازاهم واعطاهم واحد • المسألة الثانية في الآية سؤال وهو انه تعالى
جعل الشي الواحد جزاء وعطاء وذلك محال لان كونه جزاء يستدعي ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعي عدم الاستحقاق
والجمع بينهما متناف • الجواب عنه لا يصح الا على قولنا وهو ان ذلك الاستحقاق انما ثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الفعل
يوجب الثواب على الله فذلك الثواب نظرا الى الوعد المرتب على ذلك الفعل يكون جزاء • ونظرا الى انه لا يجب على الله

والمبرد

لا يخاطبني

لا يحتمل ان يكون عطا • المسألة الثالثة قوله حسابا فيه وجوه • الاول ان يكون بمعنى كافيا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ابن قتيبة عطا حسابا اي كثيرا • واحسبت فلانا اي اكثرت له قال الشاعر شعر • ونقفي وليد الحي ان كان جائعا
ونحسبه ان كان ليس بجايع • الوجه الرابع انه سبحانه لم يوصل الثواب الذي هو الجزاء اليهم بل يوصل التفضل الذي يكون زائدا
على الجزاء اليهم • ثم قال حسابا اي بتمييز الجزاء عن العطا حال الحساب • الوجه الخامس ان الله تعالى ذكر في وعيد اهل النار جزاء
وفاقا وذكر في وعد اهل الجنة جزاء عطاء حسابا اي راعيت في ثواب اعمالكم الحساب فلا يقع في ثوابكم بخس ولا نقصان
والله اعلم بمراده • المسألة الرابعة قرا ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك
هكذا ذكره صاحب الكشاف • واعلم انه تعالى لما ذكر في وصف وعيد الكفار ووعد المتقين ختم الكلام في ذلك بقوله
رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا • فيه مسائل • المسألة الاولى في رب السموات والرحمن
ثلاثة اوجه من القراءة • الرفع فيهما وهو قراءة ابن كثير ونافع وابي عمرو • والجر فيهما وهو قراءة عاصم وعبد الله بن عامر • والجر
في الاول والرفع في الثاني وهو قراءة حمزة والكسائي • وفي الرفع وجوه • احدها ان يكون رب السموات مبتدا والرحمن
خبره ثم استونف لا يملكون منه خطابا • وثانيها ان يكون رب السموات مبتدا والرحمن صفة ولا يملكون خبره • وثالثها ان يضمر المبتدا
والتقدير هو رب السموات هو الرحمن ثم استونف لا يملكون • ورابعها ان يكون الرحمن خبرا لمبتدا محذوف • واما وجه
الجر فعلى البدل من ربك • واما وجه الجر في الاول والرفع في الثاني فجر الاول بالبدل من ربك • والثاني مرفوع بكونه مبتدا خبره
لا يملكون • المسألة الثانية الضمير في قوله لا يملكون الى من يرجع فيه ثلاثة اقوال • الاول نقل عطا عن ابن عباس
انه راجع الى المشركين • يريد لا يخاطب المشركين الله • اما المؤمنون فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم • والثاني قال القاضي
راجع الى المؤمنين • والمعنى ان المؤمنين لا يملكون ان يخاطبوا الله في امر من الامور لانه لما ثبت انه عدل لا يجور ثبت ان العقاب
الذي اوصله الى الكفار عدل • وان الثواب الذي اوصله الى المؤمنين عدل وانه ما بخسهم حقهم فباي سبب يخاطبونه • وهذا
القول اقرب من الاول • لان الذي جرى قبل هذه الآية ذكر المؤمنين لا ذكر الكفار • والثالث انه ضمير لاهل السموات
والارض وهذا هو الصواب • فان احدا من المخلوقين لا يملك مخاطبة الله ومكالمته • واما الشفاعات الواقعة
باذنه فغير واردة على هذا الكلام لانه نفي الملك • والذي يحصل بفضله واحسانه فهو غير مملوك فثبت ان هذا السؤال
غير لازم • والذي يدل على جهة العقل على ان احدا من المخلوقين لا يملك خطاب الله وجوه • الاول وهو ان كل من سواه
فهو مملوكه • والمملوك لا يستحق على مالكه شيئا • وثانيها ان معنى الاستحقاق عليه هو انه لو لم يفعل لاستحق الذم ولو
فعله لاستحق المدح • وكل من كان كذلك كان ناقصا في ذاته مستكملا بغيره • وتعالى الله عنه • وثالثها انه عالم بقبح
القبيح عالم بكونه غنيا عنه وكل من كان كذلك لم يفعل القبيح • وكل من امتنع كونه فاعلا للقبيح فليس لاحد ان يطالبه بشي
وان يقول له لم فعلت • والوجهان الاولان متفرعان على قول اهل السنة • والوجه الثالث متفرع على قول المعتزلة • فثبت انه
لا احد من المخلوقات لا يملك ان يخاطب ربه ويطالبه • واعلم انه تعالى لما ذكر ان احدا من الخلق لا يمكنه ان يخاطب الله
في شي او يطالبه بشي قرر هذا المعنى واكده فقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صوابا وذلك لان الملائكة اعظم المخلوقات قدرا ورتبة واكثرهم قدرة ومكانة فبين انهم لا يتكلمون في موقف القيمة
اجلالا لربهم وخوفا منه وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم • وفي الآية مسائل • المسألة الاولى لمن يقول بتفضيل
الملائكة على البشر ان يتمسك بهذه الآية • وذلك لان المقصود من الآية ان الملائكة لما بقوا خائفين خاضعين وجلين متحيرين
في موقف جلال الله وظهور عزته وكبريائه • فكيف يكون حال غيرهم • ومعلوم ان هذا الاستدلال لا يتم الا اذا كانوا اشرف
المخلوقات • المسألة الثانية اختلفوا في الروح في هذه الآية • فعن ابن مسعود انه ملك اعظم من السموات والجبال
وعن ابن عباس هو ملك من اعظم الملائكة خلقا • وعن مجاهد خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون وليسوا بناس
وعن الحسن هم بنو آدم • وعلى هذا معناه ذو الروح • وعن ابن عباس ارواح الناس • وعن الضحاك والشعبي هو جبريل
عليه السلام وهذا القول هو المختار عند القاضي قال لان القرآن دل على ان هذا الاسم اسم جبريل عليه السلام وثبت ان
القيام صحيح من جبريل • والكلام صحيح منه ويصح ان يؤذن له فكيف يصرف هذا الاسم عنه الى خلق لا نعرفه او الى
القرآن الذي لا يصح وصفه بالقيام • وعن ابن عباس ارواح الناس • اما قوله صفا فيحتمل ان يكون المعنى ان الروح

والمعنى ان المؤمنين لا يملكون ان يخاطبوا الله

على الاختلاف الذي ذكرناه • وجميع الملئكة يقومون صفا واحدا • ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفين • ويجوز صفوفا
والصف في الاصل مصدر فينبي عن الواحد والجمع • وظاهر قول المفسرين انهم يقومون صفين فيقوم الروح وحده
صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم فقال بعضهم بل يقومون صفوفا لقوله تعالى
وجاء ربك والملك صفا صفا **المسئلة الثالثة** الاستثناء الى من يعود فيه قولان • احدهما الى الروح والملئكة
وعلى هذا التقدير الاية دلت على ان الروح والملائكة لا يتكلمون الا عند حصول شرطين • احدهما حصول الاذن
من الله تعالى • ونظيره قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه • والمعنى انهم لا يتكلمون الا باذن الله • والشرط
الثاني ان يقول صوابا • فان قيل لما اذن له الرحمن في ذلك القول علم ان ذلك القول صوابا لا محالة فما الفائدة في قوله
وقال صوابا والجواب من وجهين • الاول ان الرحمن اذن له في مطلق القول ثم انهم عند حصول ذلك الاذن لا
يتكلمون الا بالصواب • فكانه قيل انهم لا ينطقون الا بعد ورود الاذن في الكلام ثم بعد ورود ذلك الاذن
يجتهدون ولا يتكلمون الا بالكلام الذي يعلمون انه صدق وصواب • وهذا مبالغة في وصفهم بالطاعة
والعبودية • الوجه الثاني ان تقديره لا يتكلمون الا في حق من اذن له الرحمن وقال صوابا • والمعنى لا يشفعون
الا في حق شخص اذن الرحمن في شفاعته • وذلك الشخص ممن قال الصوابا • واحتج صاحب هذا التاويل بهذه
الاية على انهم يشفعون للمذنبين لانهم قالوا صوابا وهو شهادة ان لا اله الا الله لان قوله وقال صوابا يكفي في صدقه
ان يكون قد قال صوابا واحدا فكيف الشخص الذي قال القول الذي هو اصوب الاقوال وتكلم بالكلام الذي هو اشرف
الكلمات • القول الثاني ان الاستثناء غير عائد الى الملئكة فقط بل في جميع اهل السموات والارض • والقول
الاول اولى لان عود الضمير الى الاقرب اولى • واعلم انه تعالى لما قرر احوال المكلفين في درجات الثواب والعقاب
قال بعده ذلك اليوم الحق ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره • وفي وصف اليوم بانه حق وجوه • احدها انه يحصل فيه كل حق
ويندفع كل باطل • فلما كان كاملا في هذا المعنى قيل انه حق كما يقال فلان خير كله اذا وصف بان فيه خيرا كثيرا وقوله ذلك
اليوم الحق يفيد انه هو اليوم الحق وما عداه باطل لان ايام الدنيا باطلها اكثر من حقها • وثانيها ان الحق هو الثابت الكائن
وبهذا المعنى يقال ان الله حق اي هو ثابت لا يجوز عليه الفناء • ويوم القيمة كذلك فيكون حقا • وثالثها ان ذلك اليوم
هو اليوم الذي يستحق ان يقال له يوم لان فيه تبلى السرائر • وتنكشف الضمائر • واما ايام الدنيا فاحوال الخلق
فيها مكتومة • والاحوال فيها غير معلومة **قوله تعالى** فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا • اي مرجعا • والمعتزلة
احتجوا به على الاختيار والمشية • واصحابنا رووا عن ابن عباس انه قال المراد فمن شاء الله به خيرا هداه حتى يتخذ
الى ربه مآبا • ثم انه تعالى زاد في تخويف الكفار فقال انا انذرناكم عذابا قريبا يعني العذاب في الاخرة وكل ما هو
آت قريب • وهو كقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها • وانما سماه انذارا لانه تعالى بهذا
الوصف قد خوف منه نهاية التخويف • وهو معنى الانذار **ثم قال تعالى** يوم ينظر المرء ما قدمت يداه • وفيه مسائل
**المسئلة الاولى** ما في قوله ما قدمت يداه فيه وجهان • الاول انها استفهامية منصوبة بقدمت اي
ينظر اي شيء قدمت يداه • الثاني ان تكون بمعنى الذي تكون منصوبة بينظر • والتقدير ينظر الى الذي قدمت يداه
الا ان على هذا التقدير يحصل فيه حذفان • احدهما انه لم يقل قدمته بل قال قدمت • فحذف الراجع • والثاني
لم يقل ينظر الى ما قدمت بل ينظر ما قدمت فهو كقولك نظرته بمعنى نظرت اليه **المسئلة الثانية** في الاية ثلاثة
اقوال • الاول وهو الاظهر ان المرء عام في كل احد لان المكلف ان كان قدم عمل المتقين فليس له الا الثواب العظيم
وان كان قدم عمل الكافرين فليس له الا العقاب الذي وصفه الله تعالى فلا رجاء لمن ورد القيمة من المكلفين في امر
سوى هذين • فهذا هو المراد بقوله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه • فطوبى له ان قدم عمل الابرار • وويل له ان
قدم عمل الفجار • والقول الثاني وهو قول عطا ان المرء هاهنا هو الكافر لان المؤمن كما ينظر الى ما قدمت يداه
فكذلك ينظر الى عفو الله ورحمته • واما الكافر الذي لا يرى الا العذاب فهو لا يرى الا ما قدمت يداه لان
ما وصل اليه من العقاب ليس الا من شؤم معاملته • والقول الثالث وهو قول الحسن وقتادة ان المرء هاهنا
هو المؤمن • واحتجوا عليه بوجهين • الاول انه تعالى قال بعده هذه الاية • ويقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا فلما كان هذا بيانا لحال الكافر وجب ان يكون الاول بيانا لحال المؤمن • والثاني وهو ان المؤمن لما قدم الخير
والشر فهو من الله تعالى على خوف ورجا فينتظر كيف يحدث الحال • اما الكافر فانه قاطع بالعقاب فلا
يكون له انتظار انه كيف يحدث الامر فانه مع القطع لا يحصل الانتظار **المسئلة الثالثة** القائلون
بان الخير يوجب الثواب • والشر يوجب العقاب • تمسكوا بهذه الاية فقالوا لولا ان الامر كذلك والا لم يكن

نظر الرجل في الثواب والعقاب على عمله بل على شيء آخر والجواب عنه ان العمل يوجب الثواب والعقاب لكن بحكم
الوعد والجعل لا بحكم الذات **اما قوله تعالى** ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا • فيه وجوه • احدها ان يوم القيمة
ينظر المرء اي شيء قدمت يداه • اما المؤمن فانه يجد الايمان والعفو عن سائر المعاصي على ما قال ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء • واما الكافر فلا يتوقع العفو على ما قال ان الله لا يغفر ان يشرك به • فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
اي لم يكن حيا مكلفا • وثانيها انه كان قبل البعث ترابا فالمعنى على هذا يا ليتني لم ابعث للحساب وبقيت كما كنت ترابا
كقوله تعالى يا ليتها كانت القاضية • وقوله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض • وثالثها
ان البهائم تحشر فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها بعد المحاسبة كوني ترابا فيتمنى الكافر عند ذلك ان يكون هو مثل تلك
البهائم في ان يصير ترابا ويتخلص من عذاب الله • وانكر بعض المعتزلة ذلك وقال انه تعالى اذا اعادها فهي بين معوض وبين
متفضل عليه • واذا كان كذلك لم يجز ان يقطعها عن المنافع لان ذلك كالاضرار بها ولا يجوز ذلك في الاخرة • ثم ان هؤلاء
قالوا ان هذه الحيوانات اذا انتهت مدة اعواضها جعل الله كل ما كان منها حسن الصورة ثوابا لاهل الجنة وما كان قبيح الصورة
عقابا لاهل النار • وقال القاضي ولا يمتنع ايضا اذا وفر الله اعواضها وهي غير كاملة العقل ان يزيل الله حياتها
على وجه لا يحصل لها شعور بالالم فلا يكون ذلك ضررا • ورابعها ما ذكره بعض الصوفية • فقال قوله يا ليتني كنت ترابا
معناه يا ليتني كنت متواضعا في طاعة الله • ولم اكن متكبرا متمردا • وخامسها الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم
فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين • والله اعلم • وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

## سورة والنازعات اربعون وست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا
فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا • فيه مسائل **المسئلة الاولى** اعلم ان هذه الكلمات الخمسة يحتمل ان تكون صفات لشيء
واحد ويحتمل ان لا تكون كذلك • اما على الاحتمال الاول فقد ذكروا في الاية وجوها • احدها انها باسرها صفات الملئكة • فقوله
والنازعات غرقا [illegible]
[illegible]

والنشط جذب برفق ولين فالملئكة تنشط ارواح المؤمنين

إذا جم

بالامر عليهم ، وقوم منهم موكلون بحفظ بني آدم ، وقوم آخرون بكتابة اعمالهم ، وقوم آخرون بالخسف والرياح والسحاب
والامطار بقي على الآية سؤالان . الاول لم قال فالمدبرات امراً ولم يقل امورا فانهم يدبرون امورا كثيرة لا امرا واحدا والجواب
المراد به الجنس واذا كان كذلك قام مقام الجمع . السؤال الثاني قال تعالى ان الامر كله لله ، فكيف اثبت لهم هاهنا تدبير
امر ، والجواب لما كان ذلك الاثبات به كان الامر كله له ، فهذا تلخيص ما قاله المفسرون في هذا الباب ، وعندي فيه
وجه آخر وهو ان الملائكة لها صفات سلبية وصفات اضافية ، اما الصفات السلبية فهي انها مبرأة عن الشهوة والغضب
والاخلاق الذميمة والموت والهرم والسقم والتركيب من الاعضاء والاخلاط والاركان بل هي جواهر روحانية مبرأة من
هذه الاحوال ، فقوله والنازعات غرقاً اشارة الى كونها منزوعة من هذه الاحوال نزعاً كلياً من جميع الوجوه وعلى
هذا الوجه النازعات في ذوات النزع كاللابن والتامر ، واما قوله والناشطات نشطاً اشارة الى ان خروجها عن
هذه الاحوال ليس على سبيل التكليف والمشقة كما في حق البشر بل هم بمقتضى ماهياتهم خرجوا عن هذه الاحوال وتنزهوا
عن هذه الصفات ، فهاتان الكلمتان اشارتان الى تعريف احوالهم السلبية ، واما صفاتهم الاضافية فهي قسمان
احدهما شرح قوتهم العاقلة اي كيف حالهم في معرفة ملك الله وملكوته ، والاطلاع على نور جلاله فوصفهم في هذا
المقام بوصفين ، احدهما قوله والسابحات سبحاً فهم يسبحون من اول فطرتهم في بحار جلال الله ، ثم لا منتهى
لسباحتهم لانه لا منتهى لعظمة الله وعلو صمديته ونور جلاله وكبريائه ، فهم ابداً في تلك السباحة وثانيهما قوله
فالسابقات سبقاً وهو اشارة الى مراتب الملائكة في تلك السباحة فانه كما ان مراتب معارف البهائم بالنسبة الى مراتب
معارف البشر ناقصة ، ومراتب معارف البشر بالنسبة الى مراتب معارف الملائكة ناقصة فكذلك معارف بعض
تلك الملائكة بالنسبة الى مراتب معارف الباقين متفاوتة وكما ان المخالفة بين نوع الفرس ونوع الانسان بالماهية
لا بالعوارض ، فكذا المخالفة بين شخص كل واحد من الملائكة وبين شخص الآخر بالماهية فان كانت اشخاصها متفاوتة
بالماهية لا بالعوارض كانت لا محالة متفاوتة في درجات المعرفة ، وفي مراتب التجلي فهذا هو المراد من قوله فالسابقات
سبقاً ، فهاتان الكلمتان المراد منهما شرح احوال قوتهم العاقلة ، واما قوله فالمدبرات امراً اشارة الى شرح حال قوتهم
العاملة وذلك لان كل حال من احوال العالم السفلي مفوض الى تدبير واحد من الملائكة الذين هم عمار العالم العلوي
وسكان بقاع السموات ، ولما كان التدبير لا يتم الا بعد العلم لا جرم قدم شرح القوة العاقلة التي لهم ، فهذا الذي ذكرته
احتمال ظاهر والله اعلم بمراده من كلامه ، واعلم ان ابا مسلم بن بحر الاصفهاني طعن في حمل هذه الكلمات على الملائكة
وقال واحد النازعات نازعة وهو من لفظ الاناث وقد نزه الله تعالى الملائكة عن التانيث وعاب قول
الكفار حيث قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً ، واعلم ان هذا الطعن لا يتوجه على تفسيرنا لان المراد
والاشياء ذوات النزع ، وهذا القدر لا يقتضي ما ذكره من التانيث ، الوجه الثاني في تاويل هذه الكلمات انها هي النجوم
وهو قول الحسن البصري ، ووصف النجوم بالنازعات يحتمل وجوهاً ، احدها كانها تنزع من تحت الارض فتذهب
الى ما فوق الارض فاذا كانت منزوعة كانت ذوات نزع فيصح ان يقال لها نازعة على قياس اللابن والتامر ، وثانيها
ان النازعات من قولهم نزع اليه اي ذهب نزوعاً هكذا قاله الواحدي فكانها تطلع وتغرب بالنزوع والسوق
والثالث ان يكون ذلك من قولهم نزعت الخيل اذا جرت ، فمعنى والنازعات اي والجاريات على السير المقدر والحد
المعين ، وقوله غرقاً يحتمل وجهين احدهما ان يكون حالا من النازعات اي هذه الكواكب كالغرق في ذلك النزوع
والارادة وهو اشارة الى كمال حالها في تلك الارادة ، فان قيل اذا لم تكن الافلاك والكواكب احياء ناطقة فما معنى وصفها
بذلك ، قلنا هذا يكون على سبيل التشبيه كقوله تعالى وكل في فلك يسبحون فان الجمع بالواو والنون يكون للعقلاء
ثم انه ذكره في الكواكب على سبيل التشبيه ، والثاني ان يكون معنى غرقها غيبوبتها في افق الغرب ، فالنازعات
اشارة الى طلوعها ، وغرقاً اشارة الى غروبها اي تنزع ثم تغرق اغراقاً ، وهذا الوجه ذكره قوم من المفسرين
اما قوله والناشطات نشطاً قال صاحب الكشاف معناه انها تخرج من برج الى برج من قولك ثور ناشط اذا خرج
من بلد الى بلد ، واقول يرجع حاصل هذا الكلام الى ان قوله والنازعات غرقاً اشارة الى حركتها اليومية ~~والناشطات
نشطاً اشارة الى حركتها اليومية~~ ، والناشطات نشطاً اشارة الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة
بها في فلكها الخاصة ، والعجب ان حركاتها اليومية قسرية وحركاتها من برج الى برج ليست قسرية بل ملائمة
لذواتها فلا جرم عبر عن الاول بالنزع وعن الثاني بالنشط فتامل ايها المسكين في هذه الاسرار ، واما
قوله والسابحات سبحاً فقال الحسن وابو عبيدة هي النجوم تسبح في الفلك لان مرورها في الجو كالسبح ، ولهذا
قال كل في فلك يسبحون ، واما قوله فالسابقات سبقاً فقال الحسن وابو عبيدة هي النجوم يسبق بعضها

التفسير

بعضاً في السير

بعضاً في السير بسبب كون بعضها اسرع حركة من البعض او بسبب رجوعها واستقامتها . واما قوله فالمدبرات امراً
ففيه وجهان . احدهما انه بسبب سيرها وحركاتها تتميز بعض الاوقات عن بعض فتظهر اوقات العبادات على ما قال تعالى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وقال في الشمس والقمر [illegible] لتعلموا عدد
السنين والحساب . ولان بسبب حركة الشمس تختلف الفصول الاربعة ويختلف بسبب اختلافها احوال
الناس في المعاش فلا جرم اضيفت اليها هذه التدبيرات . الثاني انه ثبت بالدليل ان كل جسم محدث [illegible]
الكواكب [illegible] مفتقرة الى موجد يوجدها [illegible]
[illegible] ان الله تعالى اجرى عادته بان يخلق [illegible] عند حركة [illegible]
[illegible] الوجه الثالث في تفسير هذه الكلمات الخمسة انها هي الارواح [illegible]
[illegible] لان نفس الميت تنزع [illegible] وقال فلان في النزع [illegible] والانفس نازعات عند السياق [illegible]
[illegible] الارواح المشرقة [illegible]
[illegible] فالمدبرات [illegible]
[illegible] الوجه الرابع في تفسير هذه الكلمات الخمسة انها صفات خيل الغزاة فهي نازعات لانها تنزع في اعنتها [illegible]
[illegible] والناشطات [illegible]
[illegible] والسابحات [illegible] فالسابقات [illegible] فالمدبرات امراً [illegible]
[illegible] اللفظ محتمل لها [illegible] فاذا ذكرنا [illegible]

ذهاباً

هذه الكلمات الخمس انها صفات خيل الغزاة

على ذلك المشترك وجنيئذ يندرج تحته جميع هذه الوجوه اما اذا لم يكن بين هذه المفهومات قدر مشترك فحينئذ يقتضي حمل اللفظ على الكل لان اللفظ المشترك لا يجوز استعماله لافادة مفهوميه معا وحينئذ لا نقول مراد الله هذا بل نقول يحتمل ان يكون هذا هو المراد اما الجزم فلا سبيل لنا اليه هاهنا • الاحتمال الثاني وهو ان لا تكون الالفاظ الخمسة صفات لشئ واحد بل لاشيا مختلفة ففيه ايضا وجوه • الاول النازعات غرقا هي القسي • والناشطات الاوهاق • والسابحات السفن • والسابقات الخيل • والمدبرات الملائكة رواه واصل بن السائب عن عطا • الثاني نقل عن مجاهد في النازعات والناشطات والسابحات انها الموت • وفي السابقات والمدبرات انها الملائكة • واضاف النزع والنشط والسبح الى الموت مجازا بمعنى انها حصلت عند حصوله • الثالث قال قتادة الجميع هي النجوم الا المدبرات فانها هي الملائكة **المسألة الثالثة** ذكر فالسابقات بالفاء والتي قبلها بالواو • وفي علته وجهان • الاول قال صاحب الكشاف ان هذه مسببة عن التي قبلها كانه قيل واللاتي سبحن فسبقن • كما تقول قام فذهب • وجب الفا ان القيام كان سببا للذهاب • قال الواحدي قول صاحب النظم غير مطرد في قوله فالمدبرات امرا لانه يبعد ان يجعل السبق سببا للتدبير • واقول يمكن الجواب عن اعتراض الواحدي من وجهين • الاول لا يبعد ان يقال انها لما امرت سبحت فسبقت فدبرت ما امرت بتدبيرها واصلاحها فتكون هذه افعالا يتصل بعضها ببعض كقولك قام زيد فذهب فضرب عمرا • الثاني لا يبعد ان يقال انهم لما كانوا سابقين في اداء الطاعات متسارعين اليها ظهرت امانتهم • فلهذا السبب فوض الله اليهم تدبير بعض العالم • الوجه الثاني ان الملائكة قسمان الروسا والتلامذة • والدليل عليه انه تعالى قال قل يتوفاكم ملك الموت الذي • ثم قال حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا فقلنا في التوفيق بين الايتين ان ملك الموت هو الراس والرئيس وساير الملائكة هم التلامذة • اذا عرفت هذا فنقول النازعات والناشطات والسابحات محمولة على التلامذة الذين هم يباشرون العمل بانفسهم • ثم قوله فالسابقات فالمدبرات اشارة الى الروسا الذين هم السابقون في الدرجة والشرف وهم المدبرون لتلك الاحوال والاعمال **قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة** • فيه مسايل **المسألة الاولى** جواب القسم المتقدم محذوف او مذكور فيه وجهان • الاول انه محذوف • ثم على هذا الوجه في الاية احتمالات • الاول قال الفراء التقدير لتبعثن والدليل عليه ما حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا ايذا كنا عظاما نخرة اي انبعث اذا صرنا عظاما ناخرة • الثاني قال الاخفش والزجاج لينفخن في الصور نفختين • ودل على هذا المحذوف ذكر الرادفة والراجفة وهما النفختان • الثالث قال الكسائي الجواب المضمر هو ان القيمة واقعة وذلك لانه تعالى قال والذاريات ذروا ثم قال انما توعدون لصادق • وقال والمرسلات عرفا انما توعدون لواقع • فكذا هاهنا فان القران كالسورة الواحدة • القول الثاني ان الجواب مذكور • وعلى هذا القول احتمالات • الاول المقسم عليه هو قوله قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة والتقدير والنازعات غرقا ان يوم ترجف الراجفة تحصل قلوب واجفة وابصار خاشعة • الثاني جواب القسم هو قوله هل اتاك حديث موسى فان هل هاهنا بمعنى قد كما في قوله هل اتاك حديث الغاشية اي قد اتاك حديث الغاشية • الثالث جواب القسم هو قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى **المسألة الثانية** ذكروا في ناصب يوم وجهان • احدهما انه منصوب بالجواب المضمر • والتقدير لتبعثن يوم ترجف الراجفة • فان قيل كيف صح هذا مع انهم لا يبعثون عند النفخة الاولى والراجفة هي النفخة الاولى • قلنا المعنى لتبعثن في الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى • وهذا على ما قلنا ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة • والثاني ان ينتصب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب **المسألة الثالثة** الراجفة يحتمل وجهين احدهما الحركة كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال • والثاني الهدة المنكرة والصوت الهائل من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا وذلك تردد اصواته المنكرة وهدهدته في السحاب • ومنه قوله تعالى فاخذتهم الرجفة • فعلى هذا الوجه الراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد • واما الرادفة فكل شيء جاء بعد شيء اخر [illegible] • واما القلوب الواجفة فهي المضطربة الخائفة • يقال وجف قلبه [illegible] اذا اضطرب ومنه ايجاف الدابة وهو حملها على السير الشديد • وللمفسرين عبارات كثيرة في تفسير الواجفة ومعناها واحد [illegible] • ابصارها اي ابصار اهلها خاشعة وهو كقوله تعالى خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي • اذا عرفت هذا فنقول اتفق جمهور المفسرين على ان هذه الاحوال احوال يوم القيمة • [illegible] شرح قول ابي مسلم • اما القول الاول وهو المشهور [illegible] يوم القيمة فهؤلاء ذكروا وجوها • احدها ان الراجفة هي النفخة الاولى [illegible] عندها • واما الرادفة فذلك [illegible]





كما بينا القول فيه • والرادفة رجفة اخرى تتبع الاولى فتضطرب الارض لاحيا الموتى كما اضطربت في الاولى لموت الاحيا على ما ذكره تعالى في سورة الزمر • ثم تروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ان بين النفختين اربعين عاما • ويروى ان في هذه الاربعين يمطر الله الارض ويصير ذلك الما عليها كالنطف وان ذلك كالسبب للاحيا • وهذا مما لا حاجة اليه في الاعادة • ولله ان يفعل ما يشا ويحكم ما يريد • وثانيها الراجفة هي النفخة الاولى • والرادفة هي قيام الساعة من قوله عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها فهي رادفة لهم لاقترابها • وثالثها الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال • والرادفة السما والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك • ورابعها الراجفة هي الارض تتحرك وتتزلزل • والرادفة زلزلة ثانية تتبع الاولى حتى تنقطع الارض وتفنى • القول الثاني وهو قول ابي مسلم ان هذه الاحوال ليست احوال يوم القيمة وذلك لانا نقلنا عنه انه فسر النازعات بنزع القوس والناشطات بخروج السهم والسابحات بعدو الفرس • والسابقات بسبقها والمدبرات بالامور التي تحصل ادبار ذلك الرمي والعدو • ثم بنى على ذلك فقال الراجفة هي خيل المشركين وكذلك الرادفة • وهما طايفتان من المشركين غزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقت احديهما الاخرى • والقلوب الواجفة القلقة • والابصار الخاشعة هي ابصار المنافقين لقوله فترى الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت كانه قيل لما جا خيل العدو ترجف وردفها اخرها اضطربت قلوب المنافقين خوفا وخشعت ابصارهم جبنا وضعفا • ثم قالوا انا لمردودون في الحافرة اي نرجع الى الدنيا حتى نتحمل هذا الخوف لاجلها • وقالوا ايضا تلك اذا كرة خاسرة • فاول هذا الكلام حكاية لحال من غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين • واوسطه حكاية لحال المنافقين • واخره حكاية لكلام المنافقين في انكارهم الحشر • ثم انه تعالى اجاب عن كلامهم بقوله فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة • وهذا كلام ابي مسلم • واللفظ يحتمل له وان كان على خلاف قول الجمهور قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة ابصارها خاشعة • **اعلم** انه تعالى لم يقل القلوب يومئذ واجفة فانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لا يخافون بل المراد منه قلوب الكفار ومما يوكد ذلك انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون انا لمردودون في الحافرة وهذا كلام الكفار لا كلام المومنين • وقوله ابصارها خاشعة لان المعلوم من حال المضطرب الخايف ان يكون نظره نظر خاشع ذليل خاضع يترقب ما ينزل به من الامر العظيم • وفي الاية سوالان **الاول** كيف جاز الابتدا بالنكرة **الجواب** قلوب مرفوع بالابتداء • وواجفة صفتها • وابصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مومن خير من مشرك **السوال الثاني** كيف صحت اضافة الابصار الى القلوب **الجواب** معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون **ثم اعلم** انه تعالى حكى هاهنا عن منكري البعث اقوالا ثلاثة **اولها** قوله تعالى انا لمردودون في الحافرة • يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقه التي جا فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا فهي في الحقيقة محفورة الا انها سميت حافرة كما قيل عيشة راضية وماء دافق اي منسوبة الى الحفر والرضا والدفق • وكقولهم نهارك صايم • ثم قيل لمن كان في امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي الى طريقه • وفي الحديث ان هذا الامر لا يترك على حاله حتى يرد على حافرته اي على اول تاسيسه وحالته الاولى • وقرا ابو حيوة في الحفرة • والحفرة بمعنى المحفورة • ويقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا فهي حفرة • وهذه القراة دليل على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة • اذا عرفت هذا ظهر ان معنى الاية انرد الى اول حالنا وابتدا امرنا فنصير احيا كما كنا • وثانيها **قوله تعالى ايذا كنا عظاما نخرة** • وفيه مسايل **الاولى** قرا حمزة وعاصم ناخرة بالالف • وقرا الباقون نخرة بغير الف • واختلفت الرواية عن الكسائي • فقيل انه لا يبالي كيف قراها • وقيل انه كان يقراها بغير الف ثم رجع الى الالف **واعلم** ان ابا عبيدة اختار نخرة وقال نظرنا في الاثار التي فيها ذكر العظام التي قد نخرت فوجدناها كلها العظام النخرة ولم نسمع في شيء منها الناخرة • واما من سواه فقد اتفقوا على ان الناخرة لغة صحيحة • ثم اختلفوا على قولين **الاول** ان الناخرة والنخرة بمعنى واحد • قال الاخفش هما جميعا لغتان ايهما قرات فحسن • وقال الفرا الناخرة والنخرة سوا في المعنى بمنزلة الطامع والطمع والباخل والبخل • وفي كتاب الخليل نخرت الخشبة نخرا اذا بليت فاسترخت حتى تتفتت اذا مست • وكذلك العظم الناخر • ثم هولاء الذين قالوا انهما لغتان في المعنى واحد اختلفوا فقال الزجاج والفرا الناخرة اشبه الوجهين بالاية لانها تشبه اواخر سائر الاي نحو الحافرة والساهرة **وقال الاخرون** الناخر والنخر كالطامع والطمع واللابث واللبث وفعل ابلغ من فاعل **القول الثاني** ان النخر غير والناخر غير • اما النخر فهو من نخر العظم نخر فهو نخر • مثل عفن يعفن فهو عفن وذلك اذا بلي وصار بحيث لو لمسته لتفتت • واما الناخر فهي العظام الفارغة التي يحصل من هبوب الريح فيها صوت كالنخير • وعلى هذا الناخر من النخير بمعنى الصوت كنخير النايم والمخنوق لا من النخر الذي هو البلى **المسألة الثانية** اذا منصوب بمحذوف تقديره اذا كنا عظاما نرد ونبعث **المسألة الثالثة** اعلم ان حاصل هذه الشبهة ان الذي يشير اليه كل احد الى نفسه بقوله انا هو هذا الجسم المبني بهذه البنية المخصوصة • فاذا مات الانسان فقد بطل مزاجه وفسد تركيبه فيمتنع اعادته لوجوه • احدها انه لا يكون الانسان العايد هو الانسان الاول الا اذا دخل التركيب الاول في الوجود مرة اخرى وذلك قول باعادة عين ما عدم اولا • وهذا محال لان الذي عدم لم يبق له عين ولا ذات ولا خصوصية • فاذا دخل شيء اخر

يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقه التي جا فيها

تحرك

الوجود استحال ان يقال بان هذا العايد هو عين ما فني اولا • وثانيها ان تلك الاجزا تصير ترابا وتتفرق وتختلط باجزا كل الارض
وكل المياه وكل الهوا فتميز تلك الاجزا باعيانها عن كل هذه الاشيا محال • وثالثها ان الاجزا الترابية باردة يابسة كثيفة فتولد
الانسان الذي لابد وان يكون حارا في مزاجه عنها محال • هذا تمام تقرير هولاء الذين احتجوا على انكار البعث بقولهم اذا كنا عظاما نخرة
والجواب عن هذه الشبهة من وجوه اولها وهو الاقوى لانسلم ان المشار اليه لكل احد بقوله انا هو هذا الهيكل • ثم الذي
يدل على فساده وجهان الاول ان اجزا هذا الهيكل في الذوبان والتحليل والتبديل والذي يشير اليه كل احد الى نفسه بقوله انا ليس في
التبدل والمتبدل مغاير لما هو غير متبدل • والثاني ان الانسان قد يعرف انه هو حال كونه غافلا عن اعضائه الظاهرة والباطنة
والمشعور به غير ما هو مشعور به والا اجتمع النفي والاثبات على الشي الواحد وهو محال فثبت ان المشار اليه لكل احد بقوله انا ليس
هو هذا الهيكل • ثم هاهنا ثلث احتمالات • احدها ان يكون ذلك الشي موجودا قايما بنفسه ليس بجسم ولا جسماني على ما هو
مذهب طايفة عظيمة من الفلاسفة ومن المسلمين • وثانيها ان يكون جسما مخالفا بالماهية لهذه الاجسام القابلة للانحلال
والفساد سارية فيها سريان النار في الفحم وسريان الدهن في السمسم • وسريان ما الورد في الورد • فاذا فسد هذا الهيكل
تقلصت تلك الاجزا وبقيت حية مدركة عاقلة اما في الشقاوة او السعادة • وثالثها ان يقال انه جسم مساو لهذه
الاجسام في الماهية الا ان الله تعالى خصها بالبقا والاستمرار من اول حال تكون الشخص في الوجود الى اخر عمره
واما ساير الاجزا المتبدلة تارة بالزيادة واخرى بالنقصان فهي غير داخلة في المشار اليه بقوله انا فعند الموت تنفصل
تلك وتبقى حية • اما في السعادة او في الشقاوة • واذا ظهر هذه الاحتمالات ثبت انه لا يلزم من فساد البدن وتفرق
اجزايه فساد ما هو الانسان حقيقة • وهذا مقام حسن مبين منقطع به جميع شبهات منكري البعث • وعلى هذا التقدير
لصيرورة العظام نخرة بالية متفرقة تاثير في دفع الحشر والنشر البتة سلمنا على سبيل المسامحة ان الانسان هو مجموع
هذا الهيكل فلم قلتم ان الاعادة ممتنعة • قوله المعدوم لا يعاد • قلنا اليس ان عندكم حال صحة الحكم عليه بانه يمتنع
عوده • فلم لا يجوز ان لا يمتنع على قولنا انها صحة الحكم عليه بالعود • قوله ثانيا الاجزا القليلة مختلطة باجزا
العناصر الاربعة قلنا لكن ثبت ان خالق العالم عالم بجميع الجزئيات • وقادر على كل الممكنات فيصح منه جمعها باعيانها
واعادة الحياة اليها قوله ثالثا الاجسام الكثيفة اليابسة لا تقبل الحياة قلنا نرى السمندل يعيش في النار
والنعامة تبتلع الحديدة المحماة والحيات الكبار العظام متولدة في الثلوج فبطل الاعتماد على الاستقرا والله الهادي
الى الصدق والصواب • النوع الثالث من الكلمات التي حكاها الله تعالى عن منكري البعث • قالوا تلك اذا كرة خاسرة
والمعنى كرة منسوبة الى الخسران كقولك تجارة رابحة او خاسرة اصحابها • والمعنى انها ان صحت فنحن اذن خاسرون
لتكذيبنا بها هذا منهم استهزا • واعلم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الكلمات قال فانما هي زجرة واحدة • فاذا هم بالساهرة
فيه مسايل المسئلة الاولى الفا في قوله فاذا هم متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني
لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة في قدرته المسئلة الثانية يقال زجر البعير اذا صاح
عليه • والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهي صيحة اسرافيل قال المفسرون يحييهم الله في بطون الارض
فيسمعونها فيقومون • ونظير هذه الاية قوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة ما لها من فواق المسئلة الثالثة
الساهرة الارض البيضا المستوية • سميت بذلك لوجهين الاول ان سالكها لا ينام خوفا منها • الثاني ان السراب يجري
فيها من قولهم عين ساهرة جارية الما • وعندي فيه وجه ثالث وهي ان الارض انما تسمى ساهرة لان من شدة الخوف فيها
نظر اليوم عن الانسان فتلك الارض التي يجتمع الكفار فيها في موقف القيمة يكونون فيها في اشد الخوف فسميت تلك الارض ساهرة
لهذا السبب • اختلفوا من وجه اخر فقال بعضهم هي ارض الدنيا وقال اخرون هي ارض الاخرة لانهم عند الزجرة والصيحة
ينتقلون من احوالهم الى ارض الاخرة • ولعل هذا الوجه اقرب • قوله تعالى هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى • فيه مسايل المسئلة الاولى اعلم ان وجه المناسبة بين هذه القصة وبين ما قبلها من وجهين • الاول انه تعالى
حكى عن الكفار اصرارهم على انكار البعث حتى انتهوا في ذلك الانكار الى حد الاستهزا في قولهم تلك اذا كرة خاسرة كان ذلك يشق
على محمد صلى الله عليه وسلم فذكر قصة موسى عليه السلام وبين انه تحمل المشقة الكبيرة في دعوة فرعون ليكون ذلك كالتسلية
للرسول صلى الله عليه وسلم • الثاني ان فرعون كان اقوى من كفار قريش واكثر جمعا واشد شوكة • فلما تمرد على موسى اخذه الله
نكال الاخرة والاولى فكذلك هولا المشركون في تمردهم عليك ان اصروا اخذهم الله وجعلهم نكالا المسئلة الثانية هل اتاك
يحتمل ان يكون معناه اليس قد اتاك حديث موسى هذا ان كان قد اتاه ذلك قبل هذا الكلام اما ان لم يكن قد اتاه فقد يجوز ان يقال
هل اتاك كذا ام اخبرك به فان فيه عبرة لمن يخشى المسئلة الثالثة الوادي المقدس المبارك المطهر • وفي قوله طوى
وجوه • احدها انه اسم وادي بالشام وهو عند الطور الذي اقسم الله به في قوله والطور وكتاب مسطور وقوله وناديناه من جانب

الاذى

جسم

لايكون لهم

الطور الايمن

الطور الايمن • والثاني انه بمعنى يا رجل بالعبرانية فكانه قال يا رجل اذهب الى فرعون وهو قول ابن عباس • والثالث ان يكون
قوله طوى اي ناداه طوى من الليل اذهب الى فرعون لانك تقول جيتك بعد طوى اي بعد ساعة من الليل • والرابع ان يكون
المعنى بالوادي المقدس الذي طوي اي بورك فيه مرتين المسئلة الرابعة قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وطوى بضم الطا
غير منون • وقرا الباقون بضم الطا منونا • وروي عن ابي عمرو وطوى بكسر الطا قال فطوى مثل ثني وهما اسمان للشي المثني
والطي بمعنى الثني اي ثنيت فيه البركة والتقديس • قال الفرا طوى واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال هو ذكر سمينا به
ومن لم يصرف جعله معدولا عن جهته كعمر وزفر • ثم قال والصرف احب الي اذا لم اجد له في المعدول نظيرا اي لم اجد
اسما من الواو والياء عدل عن فاعله الى فعل غير طوى المسئلة الخامسة تقدير الاية اذ ناداه ربه وقال اذهب الى فرعون
وفي قراة عبد الله ان اذهب لان معنى النداء القول • واما ان ذلك النداء كان باسماع الكلام القديم او باسماع الحرف والصوت
وان كان على هذا الوجه فكيف عرف موسى انه كلام الله وكل ذلك قد تقدم في سورة طه المسئلة السادسة ان سائر
الايات تدل على انه تعالى في اول ما نادى موسى عليه السلام ذكر له اشيا كثيرة كقوله في سورة طه نودي يا موسى اني انا
ربك الى قوله لنريك من اياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فجملة ما ناداه به ربه لا انه كل ما ناداه به • وايضا ليس الغرض
انه عليه السلام كان مبعوثا الى فرعون فقط بل الى كل من كان في ذلك الطرف الا انه خصه بالذكر لان دعوته جارية
مجرى دعوة كل ذلك القوم المسئلة السابعة الطغيان مجاوزة الحد ثم انه تعالى لم يبين انه تعدى في اي شي فلهذا
قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله وكفر به • وقال اخرون انه طغى على بني اسرايل والاولى عندي الجمع بين الامرين
فالمعنى انه طغى على الخالق بان كفر به • وطغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم • وكما ان كمال العبودية ليس الا صدق المعاملة
مع الخالق ومع الخلق فكذا كمال الطغيان ليس الا الجمع بين سو المعاملة مع الخالق ومع الخلق واعلم انه تعالى لما بعثه الى فرعون
لقنه كلامين ليخاطبه بها • فالاول قوله فقل هل لك الى ان تزكى • وفيه مسايل المسئلة الاولى يقال هل لك في كذا وهل
لك الى كذا كما يقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه قال الواحدي المبتدا المحذوف في اللفظ مراد في المعنى والتقدير
هل لك الى ان تزكى حاجة او اربة قال فهل لكم فيها الي فانني • بصير بما اعيا النطاسي حذيما • ويحتمل ان يكون التقدير
هل لك سبيل الى ان تزكى المسئلة الثانية الزكي الطاهر من العيوب كلها قال اقتلت نفسا زكية • وقال قد افلح من زكاها
وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه اليه لان المراد هل لك الى ان تفعل ما تصير به زاكيا عن كل ما لا ينبغي وذلك يجمع كل ما يتصل
بالتوحيد والشرايع المسئلة الثالثة فيه قراتان التشديد على ادغام تا التفعل في الزاي لتقاربهما والتخفيف المسئلة الرابعة
المعتزلة تمسكوا به في ابطال كون الله تعالى خالقا لفعل العبد بهذه الاية • فان هذا استفهام على سبيل التقرير اي لك
سبيل الى ان تزكى • ولو كان ذلك بفعل الله تعالى لا نقلب الكلام على موسى والجواب عن امثاله تقدم المسئلة الخامسة
انه تعالى لما قال لهما فقولا له قولا لينا فكانه تعالى رتب لهما ذلك الكلام اللين الرقيق وهذا يدل على انه لا بد في الدعوة الى
الله من اللين والرفق وترك الغلظة • ولهذا قال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
يدل على ان الذين يخاشنون الناس ويبالغون في التعصب كانهم على ضد ما امر الله تعالى به انبياه ورسله ثم قال واهديك
الى ربك فتخشى • وفيه مسايل المسئلة الاولى القايلون بان معرفة الله لا تستفاد الا من الهادي تمسكوا بهذه الاية
وقالوا انها صريحة في انه يهديه الى معرفة الله • ثم قالوا ومما يدل على ان هذا هو المقصود الاعظم من بعثة الرسل امران
الاول ان قوله هل لك الى ان تزكى تناول جميع الامور التي لا بد للمبعوث اليه منه فدخل فيه هذه الهداية • فلما اعاده بعد
ذلك علم انه هو المقصود الاعظم من البعثة • والثاني ان موسى ختم كلامه عليه وذلك تنبيه ايضا على انه اشرف المقاصد
من البعثة والجواب انا لا نمنع ان يكون للتنبيه • والاشارة معونة في الكشف عن الحق انما النزاع في انكم تقولون يستحيل
حصوله الا من المعلم ونحن لا نحيل ذلك المسئلة الثانية دلت الاية على ان معرفة الله مقدمة على طاعته لانه ذكر الهداية
وجعل الخشية موخرة عنها ومفرعة عليها • ونظيره قوله في اول النحل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون • وفي
طه انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني المسئلة الثالثة دلت الاية على ان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال تعالى انما
يخشى الله من عباده العلما اي العلما به • ودلت الاية على ان الخشية ملاك الخيرات لان من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن
اجترا على كل شي • ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من خاف ادلج • ومن ادلج بلغ المنزل قوله تعالى فاراه الاية الكبرى
فيه مسئلتان المسئلة الاولى الفا في فاراه معطوف على محذوف معلوم يعني فذهب فاراه كقوله فاضرب بعصاك
الحجر فانفجرت اي فضرب فانفجرت المسئلة الثانية اختلفوا في الاية الكبرى على ثلاثة اقوال الاول قال مقاتل
والكلبي هي اليد لقوله في طه وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى القول الثاني
قال عطا هي العصا لانه ليس في اليد الا انقلاب لونه الى لون اخر • وهذا المعنى كان حاصلا في العصا لانها لما انقلبت

تكلمه تعالى رتب لهما ذلك الكلام الالين الرقيق

حية فلا يبعد أن يكون قد تغير اللون الأول فإذا كل ما في اليد فهو حاصل في العصا أمور أخرى أزيد من ذلك منها حصول
الحياة في الجرم الجمادي • ومنها تزايد أجزائه وأجسامه • ومنها حصول القدرة الكثيرة والقوة الشديدة • ومنها
أنها كانت ابتلعت أشياء كثيرة وكأنها فنيت • ومنها زوال الحياة والقدرة عنها • وفناء تلك الأجزاء التي حصل عظمها وزوال
ذلك اللون والشكل اللذين بهما صارت العصا حية وكل واحد من هذه الوجوه كان معجزاً مستقلاً في نفسه • فعلمنا
أن الآية الكبرى هي العصا • والقول الثالث في هذه المسألة قول مجاهد وهو أن المراد من الآية الكبرى مجموع اليد والعصا
وذلك لأن سائر الآيات دلت على أن أول ما أظهر موسى عليه السلام لفرعون هو العصا ثم أتبعه باليد فوجب أن يكون المراد
من الآية الكبرى مجموعهما • ثم إنه تعالى حكى معاملة فرعون مع موسى عليه السلام وهو مجموع أمور ثلاثة • أحدها
قوله فكذب وعصى • وفيه مسائل **المسألة الأولى** معنى قوله فكذب أنه كذب بدلالة ذلك المعجز على صدقه
واعلم أن القادح في دلالة المعجز على الصدق • إما الاعتقاد بأنه يمكن معارضته أو لأنه وإن امتنعت معارضته
لكنه ليس فعلاً لله بل لغيره إما فعل جني أو فعل ملك وإن كان فعلاً لله تعالى لكنه ما فعله لغرض التصديق أو إن كان فعله
لغرض التصديق لكن لا يلزم صدق المدعي فإنه لا يقبح من الله شيء ألبتة فهذه مجامع الطعن في دلالة المعجز على الصدق وما
بعد الآية يدل على أن فرعون إنما امتنع من دلالته على الصدق لاعتقاده أنه يمكن معارضته بدليل قوله فحشر فنادى فهو كقوله
[illegible] فأرسل فرعون في المدائن حاشرين **المسألة الثانية** في الآية سؤال وهو أن كل أحد يعلم أن كل من كذب الله
فقد عصى فما الفائدة في قوله فكذب وعصى والجواب كذب بالقلب واللسان • وعصى بأن أظهر التمرد والتجبر **المسألة الثالثة**
هذا الذي وصفه الله تعالى به من التكذيب والمعصية مغاير لما كان حاصلاً قبل ذلك لأن تكذيبه لموسى عليه السلام وقد
دعاه وأظهر هذه المعجزة توفي على ما تقدم من التكذيب ومعصيته بترك القبول منه والحال هذه مخالفة لمعصيته من قبل
ذلك • وثانيها قوله ثم أدبر يسعى • وفيه وجوه • أحدها أنه لما رأى الثعبان أدبر مرعوباً يسعى يسرع في مشيته قال الحسن
كان رجلاً طياشاً خفيفاً • وثانيها تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته • وثالثها أن يكون المعنى ثم أقبل يسعى كما تقول فلان
أقبل يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل • فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالإقبال • ورابعها قوله فحشر فنادى فقال أنا ربكم
الأعلى فحشر جمع السحرة كقوله فأرسل فرعون في المدائن حاشرين • فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه وأمر منادياً فنادى
في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيباً فقال تلك الكلمة • وعن ابن عباس كلمته الأولى ما علمت لكم من إله غيري
والآخرة أنا ربكم الأعلى • واعلم أنا بينا في سورة طه أنه لا يجوز أن يعتقد الإنسان في نفسه كونه خالقاً للسموات والأرض
والجبال والنبات والحيوان والإنسان • فإن العلم بفساد ذلك ضروري فمن يشك فيه كان مجنوناً لما جاز من الله
بعثة الأنبياء والرسل إليه بل الرجل كان دهرياً منكراً للصانع والحشر والنشر • وكان يقول ليس لكم أحد عليكم أمر ولا نهي
إلا أنا فأنا ربكم بمعنى مربيكم والمحسن إليكم وليس للعالم إله حتى يكون له عليكم أمر ونهي أو يبعث إليكم رسولاً • قال القاضي
وقد كان الأليق به بعد ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية أن لا يقول هذا القول لأن عند ظهور الذلة والعجز كيف يليق أن
يقول أنا ربكم الأعلى فدلت هذه الآية على أنه في ذلك الوقت صار كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول • واعلم أنه تعالى لما
حكى عنه أفعاله وأقواله أتبعه بما عامله به وهو قوله تعالى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى • وفيه مسئلتان
**المسألة الأولى** ذكروا في نصب نكال وجهين • الأول قال الزجاج إنه مصدر مؤكد لأن معنى أخذه الله نكل الله
نكال الآخرة والأولى لأن أخذه ونكاله متقاربان • وهو كما يقال أدعه تركاً شديداً لأن أدعه وأتركه سواء • ونظيره
قوله إن أخذه أليم شديد • الثاني قال الفراء يريد أخذه الله أخذاً نكالاً للآخرة والأولى • والنكال بمعنى التنكيل
كالسلام بمعنى التسليم **المسألة الثانية** ذكر المفسرون في هذه الآية وجوهاً • أحدها أن الآخرة والأولى
صفة لكلمتي فرعون • إحداهما قوله ما علمت لكم من إله غيري • والأخرى قوله أنا ربكم الأعلى • قالوا وكان بينهما
أربعون سنة • وهذا قول مجاهد والشعبي وسعيد بن جبير ومقاتل ورواية عطاء والكلبي عن ابن عباس والمقصود
التنبيه على أنه ما أخذه بكلمته الأولى في الحال بل أمهله أربعين سنة • فلما ذكر الثانية أخذ بهما وهذا تنبيه على أنه تعالى
يمهل ولا يهمل • الثاني وهو قول الحسن وقتادة نكال الآخرة والأولى أي عذبه في الآخرة وأغرقه في الدنيا • الثالث الآخرة
هي قوله أنا ربكم الأعلى • والأولى تكذيبه موسى حين أراه الآية قال القفال وهذا كأنه هو الأظهر لأنه تعالى قال
تعالى فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فذكر المعصيتين ثم قال فأخذه الله
نكال الآخرة والأولى فظهر أن المراد أنه عاقبه على هذين الأمرين **المسألة الثالثة** قال الليث النكال اسم لمن جعل
نكالاً لغيره وهو الذي إذا رآه أو بلغه خاف أن يعمل عمله وأصل الكلمة من الامتناع • ومنه النكول عن اليمين • وقيل للقيد
نكل لأنه يمنع فالنكال من العقوبة هو أعظم حتى تمنع من سمع به عن ارتكاب مثل ذلك الذنب الذي وقع التنكيل به وهو في

العرف



العرف يقع على ما يفتضح به صاحبه ويعتبر به غيره والله أعلم • ثم إنه تعالى ختم هذه القصة بقوله إن في ذلك لعبرة لمن يخشى
وذلك أن من يخشى التمرد على الله تعالى في التكذيب لأنبيائه خوفاً من أن ينزل به ما نزل بفرعون • وعلماً بأن الله تعالى ينصر أنبياءه ورسله
فاعتبروا معاشر المكذبين لمحمد بما ذكرناه أي اعلموا أنكم إن شاركتموهم في المعنى الجالب للعقاب شاركتموهم في حلول العقاب
بكم • ثم اعلم أنه تعالى لما ختم هذه القصة رجع إلى مخاطبة منكري البعث فقال أأنتم أشد خلقاً أم السماء • وفيه مسئلتان
**المسألة الأولى** في المقصود من هذا الاستدلال وجهان • الأول أنه استدلال على منكري البعث فقال أأنتم أشد خلقاً أم
السماء فنبههم على أمر يعلم بالمشاهدة وذلك لأن خلقة الإنسان على صغره وضعفه إذا أضيف إلى خلق السماء على عظمها وعظم
أحوالها يسير فبين تعالى أن خلق السماء أعظم • وإذا كان كذلك فخلقهم على وجه الإعادة أولى أن يكون مقدوراً لله تعالى
فكيف ينكرون ذلك • ونظيره قوله أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم • وقوله لخلق السموات
والأرض أكبر من خلق الناس • والمعنى أخلقكم بعد الموت أشد أم خلق السماء أي عندكم وفي تقديركم فإن كلا الأمرين بالنسبة
إلى قدرة الله تعالى واحد • والثاني أن المقصود من هذا الاستدلال بيان كونهم مخلوقين • وهذا القول ضعيف لوجهين
أحدهما أن من أنكر كون الإنسان مخلوقاً فبأن ينكره في السماء كان أولى • وثانيهما أن أول السورة كان في بيان مسألة الحشر
والنشر فحمل هذا الكلام عليه أولى **المسألة الثانية** قال الكسائي والفراء والزجاج هذا الكلام تم عند قوله أأنتم أشد
خلقاً أم السماء • ثم قوله بناها ابتداء كلام آخر • وعند أبي حاتم الوقف على قوله بناها قال لأنه من صلة السماء والتقدير
أم السماء التي بناها فحذف التي ومثل هذا الحذف جائز قال القفال يقال الرجل جاءك عاقل أي الرجل الذي جاءك عاقل إذا ثبت
أن هذا جائز في اللغة • فنقول الدليل على أن قوله بناها صلة لما قبله أنه لو لم يكن صلة لكان صفة فقوله بناها صفة • ثم
قوله رفع سمكها صفة فقد توالت صفتان لا تعلق لإحديهما بالأخرى فكان يجب إدخال العاطف بينهما كما في قوله وأغطش
ليلها فلما لم يكن كذلك علمنا أن قوله بناها صلة السماء • ثم قال رفع سمكها • ابتدأ بذكر صفتيه • وللفراء أن يحتج على قوله بأنه لو كان
قوله بناها صلة للسماء لكان التقدير أم السماء التي بناها • وهذا يقتضي وجود سماء ما بناها الله وذلك باطل **المسألة الثالثة**
الذي يدل على أنه تعالى هو الذي بنى السماء وجوه • أحدها أن السماء جسم وكل جسم محدث لأن الجسم لو كان أزلياً لكان في الأزل إما
أن يكون متحركاً أو ساكناً والقسمان باطلان فالقول بكون الجسم أزلياً باطل • أما الحصر فلأنه إما أن يكون مستقراً حيث هو فيكون
ساكناً أو لا يكون مستقراً حيث هو فيكون متحركاً • وإنما قلنا إنه يستحيل أن يكون متحركاً لأن ماهية الحركة تقتضي المسبوقية
بالغير وماهية الأزل تنافي المسبوقية بالغير فالجمع بينهما محال • وإنما قلنا إنه يستحيل أن يكون ساكناً لأن السكون وصف ثبوتي
وهو ممكن الزوال وكل ممكن الزوال مفتقر إلى الفاعل المختار وكل ما كان كذلك فهو محدث • وكل سكون محدث فيمتنع أن يكون أزلياً

وكل ممكن الزوال مفتقر إلى الفاعل المختار

وإنما قلنا إن السكون وصف ثبوتي لأنه يتبدل كون الجسم متحركاً بكونه ساكناً مع بقاء ذاته فأحدهما لا بد وأن يكون أمراً ثبوتياً
فإن كان الثبوتي هو السكون فقد حصل المقصود وإن كان الثبوتي هو الحركة وجب أيضاً أن يكون السكون ثبوتياً أيضاً
لأن الحركة عبارة عن الحصول في المكان بعد أن كان في غيره • والسكون عبارة عن الحصول في المكان بعد أن كان فيه بعينه فالتفاوت
بين الحركة والسكون ليس في الماهية بل في المسبوقية بالغير وعدم المسبوقية بالغير وذلك وصف عارضي خارجي عن الماهية
وإذا كان كذلك • فإذا ثبت أن تلك الماهية أمر وجودي في إحدى الصورتين وجب أن يكون كذلك في الصورة الأخرى • وإنما
قلنا إن سكون السماء جائز الزوال لأنه لو كان واجباً لذاته لامتنع زواله ولكان يجب أن لا يتحرك السماء لكنا نراها الآن متحركة فعلمنا أنها
لو كانت ساكنة في الأزل لكان ذلك السكون جائز الزوال وإنما قلنا إن ذلك السكون لما كان ممكناً لذاته افتقر إلى الفاعل المختار لأنه لما كان
ممكناً لذاته فلا بد له من مؤثر وذلك المؤثر لا يجوز أن يكون موجباً لأن ذلك الموجب إن كان واجباً وكان غنياً في إيجابه لذلك المعلول
عن شرط لزم من دوامه دوام الأثر فكان يجب أن لا يزول السكون وإن كان واجباً ومفتقراً في إيجابه لذلك المعلول إلى شرط واجب
لذاته لزم من دوام العلة ودوام الشرط دوام المعلول • أما إن كان الموجب غير واجب لذاته أو كان شرط إيجابه غير واجب لذاته
كان الكلام فيه كالكلام في الأول فيلزم التسلسل وهو محال أو الانتهاء إلى موجب واجب لذاته وحينئذ يعود الإلزام الأول
فثبت أن ذلك المؤثر لا بد وأن يكون فاعلاً مختاراً فإذن كل سكون فهو فعل فاعل مختار وكل ما كان كذلك فهو محدث • لأن المختار
إنما يفعل بواسطة القصد والقصد إلى تكوين الكائن وتحصيل الحاصل محال فثبت أن كل سكون فهو محدث فثبت أنه يمتنع
أن يكون الجسم في الأزل متحركاً ولا ساكناً فهو إذن غير موجود في الأزل فهو محدث • وإذا كان محدثاً افتقر في ذاته وفي تركيب
أجزائه إلى موجد وذلك هو الله تعالى فثبت بالعقل أن باني السماء هو الله تعالى • الحجة الثانية كل ما سوى الواحد ممكن
وكل ممكن محدث وكل محدث فله صانع إنما قلنا إن كل ما سوى الواحد ممكن لأنا لو فرضنا موجودين واجبين لذاتهما لاشتركا
في الوجوب ولتباينا بالتعين فيكون كل واحد من الواجبين بالذات ممكناً بالذات هذا خلف • ثم ننقل الكلام إلى ذينك الجزءين
فإن كانا واجبين • فإن كل واحد من تلك الأجزاء مركباً • ويلزم التسلسل وإن لم يكونا واجبين كان المفتقر إليهما أولى بعدم

الوجوب فثبت ان ما عدا الواحد ممكن وكل ممكن فله مؤثر وكل ما افتقر الى المؤثر محدث لان الافتقار الى المؤثر لا يمكن ان يتحقق حال البقاء لاستحالة ايجاد الموجود فلا بد وان يكون اما حال الحدوث او حال العدم • وعلى التقديرين فالحدوث لازم فثبت ان ما سوى الواحد محدث وكل محدث فلا بد له من محدث فلا بد للسماء من بان • الحجة الثالثة صريح العقل يشهد بان جرم السماء لا يمتنع ان يكون اكبر مما هو الان بمقدار خردلة ولا يمتنع ان يكون اصغر بمقدار خردلة • فاختصاص هذا المقدار بالوقوع دون الازيد والانقص لا بد وان يكون بمخصص فثبت انه لا بد للسماء من بان • فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه تعالى خلق شيئا واعطاه قدرة يتمكن ذلك المخلوق بتلك القدرة من خلق الاجسام فيكون خالق السماء • وثانيها هو ذلك الشي
الجواب من العلماء من قال المعلوم بالعقل انه لا بد للسماء من محدث وانه لا بد من انتهاء اخر الامر الى قديم واجب الوجود لذاته واحد وهو الله سبحانه • فاما نفي الواسطة فانما يعلم بالسمع • فقوله في هذه الاية بناها يدل على ان باني السماء هو الله لا غيره • ومنهم من قال بل العقل يدل على بطلانه لانه لما ثبت ان كل ما عداه محدث ثبت انه قادر لا موجب • والذي كان مقدورا له انما صح كونه مقدورا لكونه ممكنا فانك لو رفعت الامكان بقي الوجوب والامتناع وهما يحيلان المقدورية واذا كان انما لاجله صح في البعض ان يكون مقدورا لله هو الامكان والامكان عام في الممكنات وجب ان يحصل في كل الممكنات صحة ان يكون مقدورة لله تعالى • واذا ثبت ذلك ونسبت قدرته الى الكل على السوية وجب ان يكون قادرا على الكل واذا ثبت ان الله قادر على كل الممكنات • فلو قدرنا قادرا اخر قدر على بعض الممكنات لزم وقوع مقدور واحد بين قادرين من جهة واحدة وذلك محال لانه اما ان يقع باحدهما دون الاخر وهو محال لانهما لما كانا مستقلين بالاقتضاء فليس وقوعه بهذا اولى من وقوعه بذاك او بهما ايضا محال لانه يستغني بكل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما معا وغنيا عنهما معا وهو محال فثبت بهذا انه لا يمكن وقوع ممكن اخر بسبب اخر سوى قدرة الله تعالى وهذا الكلام جيد لكن على قول من لا يثبت في الوجود مؤثرا سوى الواحد • فهذا جملة ما في الباب • واعلم انه تعالى لما بين في السماء انه بناها بين بعد ذلك انه كيف بناها • وشرح تلك الكيفية من وجوه • اولها ما يتعلق بالمكان وهو قوله رفع سمكها • واعلم ان امتداد الشي اذا اخذ من اعلاه الى سفله سمي عمقا • وان اخذ من اسفله الى علاه سمي سمكا • فالمراد برفع سمكها شدة علوها حتى ذكروا ان ما بين الارض وبينها مسيرة خمسمائة عام وبين اصحاب الهيئة مقادير الاجرام الفلكية وابعاد ما بين كل واحد منها وبين الارض وقال اخرون بل المراد رفع سمكها من غير عمد وذلك مما لا يتاتى الا من الله تعالى • الصفة الثانية قوله فسواها وفيه وجهان • الاول المراد تسويتها بالبنيان • وقيل بل المراد نفي الشقوق عنها كقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت • والقائلون بالقول الاول قالوا فسواها عام فلا يجوز تخصيصه بالتسوية في بعض الاشياء • ثم قالوا هذا يدل على كون السماء كرة لانه لو لم يكن كرة لكان بعض جوانبه سطحا والبعض زاوية والبعض خطا ولكان بعض اجزائه اقرب الينا والبعض ابعد فلا تكون التسوية الحقيقية حاصلة فوجب ان يكون كرة حتى تكون التسوية الحقيقية حاصلة • ثم قالوا لما ثبت انها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فاي ضرر في الدين ينشا من كونها كرة • الصفة الثالثة قوله تعالى واغطش ليلها واخرج ضحاها • فيه مسايل

المسئلة الاولى اغطش قد يجي لازما • يقال اغطش الليل اذا صار مظلما • ويجي متعديا • يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما والغطش الظلمة والاغطش شبه الاعمش • ثم هاهنا سوال وهو ان الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس • فقوله واغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل المظلم مظلما وهو بعيد • والجواب معناه ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله وتقديره وحينئذ لا يبقى الاشكال • المسئلة الثانية قوله اخرج ضحاها اي اخرج نهارها • وانما عبر عن النهار بالضحى لان الضحى اكمل اجزاء النهار في النور والضوء • المسئلة الثالثة انما اضاف الليل والنهار الى السماء لان الليل والنهار انما يحدثان بسبب غروب الشمس وطلوعها • ثم غروبها وطلوعها انما يحصلان بسبب حركة الفلك • فلهذا السبب اضاف الليل والنهار الى السماء • ثم انه تعالى لما وصف كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض وذلك من وجوه • الصفة الاولى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها • فيه مسايل

المسئلة الاولى دحاها بسطها قال زيد بن عمرو بن نفيل شعر • دحاها فلما راها استوت • على الماء ارسى عليها الجبالا • وقال امية بن ابي الصلت شعر • دحوت البلاد فسويتها • وانت على طيها قادر • قال اهل اللغة في هذه اللفظة لغتان دحوت ادحو ودحيت ادحي • ومثله صغوت وصغيت • ولحوت العود ولحيته • وساوت الرجل وساييته وباوت عليه وبايت • وفي حديث علي عليه السلام اللهم داحي المدحوات اي باسط الارضين السبع وهي المدحوات ايضا • وقيل اصل الدحو الازالة للشي من مكان الى مكان • ومنه يقال ان الصبي يدحو بالكرة اي يقذفها على وجه الارض وادحي النعامة موضعه الذي يكون فيه اي بسطته وازال ما فيه من حصى حتى تمهد له فهذا

يدل على ان

يدل على ان معنى الدحو يرجع الى الازالة والتمهيد • المسئلة الثانية ظاهر هذه الاية يقتضي كون الارض بعد السماء وقوله في حم السجدة ثم استوى الى السماء يقتضي كون السماء بعد الارض • وقد ذكرنا هذه المسئلة في سورة البقرة في قوله ثم استوى الى السماء ولا باس بان نعيد تلك الوجوه • احدها انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض اي بسطها ثالثا وذلك لانها كانت اولا كالكرة المجتمعة • ثم ان الله تعالى مدها وبسطها • فان قيل الدلايل الاعتبارية دلت على ان الارض الان كرة ايضا • واشكال اخر وهو ان الجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوي فيستحيل ان يكون هذا الجسم العظيم مخلوقا ولا يكون ظاهره مدحوا مبسوطا • وثانيها ان لا يكون معنى قوله دحاها مجرد البسط بل يكون المراد انه بسطها مهيا لنبات الاقوات • وهذا هو الذي بينه بقوله اخرج منها ماءها ومرعاها • وذلك لان هذا الاستعداد لا يحصل للارض الا بعد وجود السماء فان الارض كالام والسماء كالاب وما لم يحصلا لم يتولد اولاد المعادن والنبات والحيوان • وثالثها ان يكون قوله والارض بعد ذلك اي مع ذلك كقوله عتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك • وكقولك للرجل انت كذا وكذا • ثم انت بعد هذا كذا لا تريد به الترتيب • وقال تعالى فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة الى قوله ثم كان من الذين امنوا • والمعنى وكان مع هذا من اهل الايمان بالله • فهذا تقرير ما نقل عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن جريج انهم قالوا في قوله والارض بعد ذلك دحاها اي مع ذلك دحاها • المسئلة الثالثة لما ثبت ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض بعد ذلك ثالثا ذكروا في تقدير تلك الازمنة وجوها • روي عن عبد الله بن عمر خلق الله البيت قبل الارض بالفي سنة • ومنه دحيت الارض • واعلم ان الرجوع في امثال هذه الاشياء الى كتب الحديث اولى • الصفة الثانية قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها • فيه مسئلتان • الاولى ماءها عيونها المتفجرة بالماء ومرعاها رعيها وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحا وارسى على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء • فان قيل هلا ادخل حرف العطف على اخرج • قلنا فيه وجهان • الاول ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى • ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تاتي سكناها من تسوية امر المشارب والماكل وامكان القرار عليها باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها • والثاني ان يكون اخرج حالا • والتقدير والارض بعد ذلك دحاها • حال ما اخرج منها ماءها ومرعاها • المسئلة الثانية اراد بمرعاها ما ياكل الناس والانعام ونظيره قوله في النحل انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون • وقال في سورة اخرى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا الى قوله متاعا لكم ولانعامكم فكذا في هذه الاية واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب • وقرئ نرتع من الرعي • ثم قال ابن قتيبة قال تعالى وجعلنا من الماء كل شي حي • فانظر كيف دل بقوله ماءها ومرعاها على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب واللباس والدواء والنار والملح • اما النار فلا شك انه من العيدان قال تعالى افرايتم النار التي تورون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون واما الملح فلا شك انه متولد من الماء • وانت اذا تاملت علمت ان جميع ما يتلذذ به الناس في الدنيا ويتلذذون به فاصله الماء والنبات ولهذا السبب تردد في وصف الجنة ذكرهما فقال جنات تجري من تحتها الانهار • ثم الذي يدل على انه تعالى اراد بالمرعى كل ما ياكله الناس والانسان والانعام قوله في اخر هذه الاية متاعا لكم ولانعامكم • الصفة الثالثة قوله تعالى والجبال ارساها • والكلام في شرح منافع الجبال قد تقدم • ثم انه تعالى لما بين كيفية خلقة الارض وكيفية منافعها قال متاعا لكم ولانعامكم • والمعنى انا انما خلقنا هذه الاشياء متعة ومنفعة لكم ولانعامكم • واحتج به من قال ان افعال الله واحكامه معللة بالاغراض والمصالح • والكلام فيه قد مر غير مرة • واعلم انا بينا انه تعالى انما ذكر كيفية خلقة السماء والارض ليستدل بها على كونه قادرا على الحشر والنشر • فلما قرر ذلك وبين امكان الحشر والنشر عقلا اخبر بعد ذلك عن وقوعه فقال فاذا جاءت الطامة الكبرى • وفيه مسئلتان • المسئلة الاولى الطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع • وفي اشتقاقها وجوه قال المبرد اخذت فيما احسب من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في الجري • وطم الماء اذا ملا النهر كله • وقال الليث الطم طم البير بالتراب وهو الكبس وطم السيل الركية اذا دفنها حتى يسويها • ويقال للشي الذي يكثر حتى يعلو قد طم • والطامة الحادثة التي تطم على ما سواها • ومن ثم قيل فوق كل طامة طامة • قال القفال اصل الطم الدفن والعلو وكل ما غلب شيئا وقهره واخفاه فقد طمه • ومنه الماء الطامي وهو الكثير الزايد فالطامي والعالي والعادي سواء وهو الخارج عن امر الله تعالى المنكر • فالطامة اسم لكل داهية عظيمة تنسي ما قبلها في جنبها • المسئلة الثانية قد ظهر بما ذكرنا ان معنى الطامة الكبرى الداهية الكبرى • ثم اختلفوا في انها اي شي هي • قال قوم انها يوم القيمة لانه يشاهد فيها من النار ومن الموقف الهايل ومن الايات الباهرة الخارجة عن العادة ما ينسى معه كل هايل • وقال الحسن انها هي النفخة الثانية التي عندها تحشر الخلايق الى موقف القيمة • وقال اخرون انه تعالى فسر الطامة الكبرى

فانظر كيف دل بقوله ماءها ومرعاها

يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى • فالطامة تكون اسما لذلك الوقت فيحتمل ان يكون ذلك الوقت وقت
قراءة الكتاب على ما قال تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا • ويحتمل ان تكون تلك الساعة هي الساعة التي يساق
فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار • ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بوصفين الاول قوله تعالى يوم يتذكر
الانسان ما سعى يعني اذا رأى اعماله مدونة في كتابه يتذكرها • وكان قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه
الصفة الثانية قوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى • وفيه مسئلتان الاولى قوله تعالى لمن يرى فانها تظهر اظهارا
مكشوفا لكل ناظر ذي بصر • ثم فيه وجهان • احدهما انه استعارة في كونه منكشفا ظاهرا كقولهم قد تبين الصبح
لذي عينين • وعلى هذا التاويل لا يجب ان يراه كل احد • والثاني ان يكون المراد انها برزت ليراها كل من له عين وبصر
وهذا يفيد ان كل الناس يرونها من المؤمنين والكفار الا انها مكان الكفار وماواهم • والمؤمنون يمرون عليها
وهذا التاويل متاكد بقوله تعالى وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجي الذين اتقوا • فان قيل انه تعالى قال في سورة
الشعراء وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين فخص الغاوين بتبريزها لهم • قلنا انها برزت للغاوين والمؤمنون
يرونها ايضا في الممر ولا منافاة بين الامرين المسئلة الثانية قرا ابو نهيك وبرزت • وقرا ابن مسعود لمن رأى وقرأ
عكرمة لمن ترى • والضمير للجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد • وقيل لمن ترى يا محمد من الكفار الذين يؤذونك واعلم
انه تعالى لما وصف حال القيمة في الجملة قسم المكلفين قسمين الاشقياء والسعداء • فذكر حال الاشقياء فقال
فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى • فيه مسئلتان الاولى في جواب قوله فاذا جاءت الطامة الكبرى
وجهان • الاول قال الواحدي انه محذوف على تقدير اذا جاءت الطامة دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة • ودل
على هذا المحذوف ما ذكر في بيان ماوى الفريقين • ولهذا كان يقول مالك بن مغول في تفسير الطامة الكبرى قال
انها اذا سيق اهل الجنة الى الجنة • واهل النار الى النار • والثاني ان جوابه قوله فان الجحيم هي الماوى وكانه جزاء
مركب على شرطين • نظيره اذا جاء الغد فمن جاءني سائلا اعطيته • كذا ههنا اي اذا جاءت الطامة الكبرى فمن جاء طاغيا
فان الجحيم ماواه المسئلة الثانية منهم من قال المراد بقوله طغى واثر الحيوة الدنيا النضر وابوه الحارث وان كان
المراد ان هذه الاية نزلت عند صدور بعض المنكرات منه فجيد • وان كان المراد تخصيصها به فبعيد لان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما اذا عرف بضرورة العقل ان الموجب لذلك الحكم هو الوصف المذكور المسئلة الثالثة
قوله طغى اشارة الى فساد حال القوة النظرية لان كل من عرف الله عرف حقارة نفسه • وعرف استيلاء قدرة الله عليه
فلا يكون له طغيان وتكبر • وقوله واثر الحيوة الدنيا اشارة الى فساد حال القوة العملية • وانما ذكر ذلك لما روي عنه عليه
الصلاة والسلام انه قال حب الدنيا راس كل خطيئة ومتى كان الانسان والعياذ بالله موصوفا بهذين الامرين كان بالغا في
الفساد الى اقصى الغايات • وهو الكافر الذي يكون عقابه مخلدا • وتخصيصه بهذه الحالة يدل على ان الفاسق الذي
لا يكون كذلك لا يكون الجحيم ماوى له المسئلة الرابعة تقدير الاية فان الجحيم هي الماوى له ثم حذفت الصلة لوضوح المعنى
كقولك للرجل غض الطرف اي غض طرفك • وعندي فيه وجه اخر وهو ان نقول التقدير فان الجحيم هو الماوى اللائق بمن كان
موصوفا بهذه الصفات والاخلاق • ثم ذكر حال السعداء فقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي الماوى واعلم ان هذين الوصفين مضادان للوصفين اللذين وصف الله اهل النار بهما فقوله من خاف مقام
ربه ضد قوله • واما من طغى • وقوله ونهى النفس عن الهوى ضد قوله • واثر الحيوة الدنيا • واعلم ان الخوف من الله
لا بد وان يكون مسبوقا بالعلم بالله على ما قال انما يخشى الله من عباده العلماء • ولما كان الخوف من الله هو السبب المعين
لدفع الهوى لا جرم قدم العلة على المعلول • وكما دخل في ذينك الوصفين جميع القبائح دخل في هذين الوصفين جميع
الطاعات • والحسنات • وقيل الايتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير • وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز
يوم احد • ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه • واعلم انه تعالى لما بين بالبرهان العقلي
امكان القيمة • ثم اخبر عن وقوعها • ثم ذكر احوالها العامة • ثم ذكر احوال الاشقياء والسعداء فيها قال تعالى يسئلونك عن الساعة
ايان مرسيها واعلم ان المشركين كانوا يسمعون اثبات القيمة ووصفها بالاوصاف الهائلة • مثل انها طامة وصاخة وغاشية
فقالوا على سبيل الاستهزاء ايان مرسيها ويحتمل ان يكون ذلك على سبيل الايهام لاتباعهم انه لا اصل لذلك • ويحتمل انهم كانوا
يسئلون الرسول عن وقت القيمة استعجالا كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها • ثم في قوله مرسيها قولان • احدهما ارساها
اي اقامتها • اراد متى يقيمها الله ويوجدها • ويكونها • والثاني ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها
حيث تنتهي اليه • ثم ان الله تعالى اجاب عنه بقوله • فيم انت من ذكراها وفيه قولان • الاول معناه في اي شيء انت من ان تذكر
وقتها لهم • وتبين ذلك الزمان المعين لهم • ونظيره قول القائل اذا سأله رجل عن شيء لا يليق به ما انت وهذا واي شيء لك

في هذا

في هذا • وعن عايشة رضي الله تعالى عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسال عنها حتى نزلت هذه الاية
فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل في اي شيء انت من ذكرها • والسؤال عنها • والمعنى انهم يسئلونك
عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسال عنها ثم قال الى ربك منتهاها • اي منتهى علمها لم يؤت احدا من خلقه • الوجه
الثاني قال بعضهم فيم انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء واخر الرسل
ذكر من انواع علاماتها وواحد من اقسام اشراطها • فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها ولا فائدة في سؤالهم
عنها ثم قال انما انت منذر من يخشاها • فيه مسئلتان المسئلة الاولى معنى الاية انك انما بعثت للانذار وهذا المعنى
لا يتوقف على علمك بوقت قيام القيمة • بل لو انصفنا العقلنا بان الانذار والتخويف انما يتم اذا لم يكن العلم بوقت قيام القيمة
حاصلا المسئلة الثانية انه عليه السلام منذر للكل الا انه خص من يخشى لانه الذي ينتفع بذلك الانذار المسئلة الثالثة
قرئ منذر بالتنوين وهو الاصل قال الزجاج مفعل وفاعل اذا كان كل واحد منهما لما يستقبل او الحال بالتنوين لانه يكون
بدلا من الفعل والفعل لا يكون الا نكرة • ويجوز حذف التنوين لاجل التخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد
الماضي فلا يجوز الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس • ثم قال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وتفسير
هذه الاية ما ذكر في قوله كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار ثم مضت • فان قيل قوله او ضحاها
معناه ضحى العشية • وهذا غير معقول لانه ليس للعشية ضحى • قلنا الجواب عنه من وجوه • احدها قال عطاء عن
ابن عباس الهاء والالف صلة للكلام يريد لم يلبثوا الا عشية او ضحى • وثانيها قال الفراء والزجاج المراد باضافة الضحى
الى العشية اضافتها الى يوم العشية كانه قيل الا عشية او ضحى يومها • والعرب تقول اتيتك العشية او غداتها على
ما ذكرنا • وثالثها ان النحويين قالوا يكفي في حسن الاضافة ادنى سبب • فالضحى المتقدم على عشية يصح ان يقال انه ضحى
تلك العشية وزمان المحنة قد يعبر عنه بالعشية • وزمان الراحة يعبر عنه بالضحى فالذين يحضرون في موقف القيمة
يعبرون عن زمان محنتهم بالعشية • وعن زمان راحتهم بضحى تلك العشية • فيقولون كان عمرنا في الدنيا ما كان الا
هاتين الساعتين • والله اعلم بمراده • والحمد لله وصلوته وسلامه على النبي محمد واله واصحابه اجمعين وسلم

## سورة عبس اربعون وايتان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى • وفي الاية مسايل الاولى
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني
عامر بن لؤي • وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة • وابو جهل بن هشام • والعباس بن عبد المطلب وامية
ابن خلف • والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرئني وعلمني مما
علمك الله وكرر ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت هذه الاية وكان رسول
الله يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين • وفي هذا الموضع سؤالات
الاول ان ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر فكيف عاتب الله رسوله على ان ادب ابن ام مكتوم وزجره • وانما قلنا انه كان
يستحق التاديب لوجوه • احدها انه وان كان لفقد بصره لا يرى القوم لكنه لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم
اولئك الكفار وكان يسمع اصواتهم ايضا وكان يعرف بواسطة تلك الكلمات شدة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشانهم
فكان اقدامه على قطع كلام النبي والقاؤه غرض نفسه في البين قبل تمام غرض النبي صلى الله عليه وسلم وذلك معصية عظيمة
وثانيها ان الاهم مقدم على المهم وهو كان قد اسلم وتعلم ما يحتاج اليه من امر الدين • اما اولئك الكفار فكانوا قد اسلموا
وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فالقاء ابن ام مكتوم ذلك الكلام في البين كالسبب في قطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم
وثالثها انه تعالى قال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فنهاهم عن مجرد النداء الا في الوقت • فههنا هذا النداء
الذي صار كالصارف للكفار عن قبول الايمان وكالقاطع عن الرسول اعظم مهماته اولى ان يكون ذنبا ومعصية • فثبت بهذا
ان الذي فعله ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذي فعله الرسول كان هو الواجب • وعند هذا يتوجه السؤال في
انه كيف عاتبه الله تعالى على ذلك الفعل • السؤال الثاني انه تعالى لما عاتبه على مجرد انه عبس في وجهه كان ذلك تعظيما
عظيما من الله سبحانه لابن ام مكتوم • واذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان
بهذا الوصف يقتضي تحقير شانه جدا • السؤال الثالث الظاهر انه عليه السلام كان ماذونا في ان يعامل اصحابه على حسب
ما يراه مصلحة وانه عليه الصلاة والسلام كثيرا ما كان يؤدب اصحابه ويزجرهم عن اشياء • وكيف لا يكون كذلك وهو عليه السلام

فقال للنبي عليه السلام اقرئني وعلمني مما علمك الله

انما بعث ليؤدبهم وليعلمهم محاسن الآداب واذا كان كذلك كان ذلك التعبيس داخلا في اذن الله تعالى اياه في تاديب اصحابه
واذا كان ذلك مما ماذونا فيه فكيف وقعت المعاتبة عليه فهذا جملة ما يتعلق بهذا الموضع من الاشكالات والجواب
عن السؤال الاول من وجهين الاول ان الامر وان كان على ما ذكرتم الا ان ظاهر الواقعة يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وانكسار
قلوب الفقراء فلهذا السبب حصلت المعاتبة ونظيره قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والوجه
الثاني لعل هذا العتاب لم يقع على ما صدر من الرسول عليه الصلاة والسلام من الفعل الظاهر بل على ما كان منه في قلبه
وهو ان قلبه عليه السلام كان قد مال اليهم بسبب قرابتهم وشرفهم وعلو منصبهم وكان ينفر طبعه عن الاعمى بسبب
عماه وعدم قرابته وقلة شرفه فلما وقع التعبيس والتولي لهذه الداعية وقعت المعاتبة لا على التاديب بل على التاديب
لاجل هذه الداعية والجواب عن السؤال الثاني ان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شانه بل كانه قيل انه بسبب عماه
استحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة والجواب عن السؤال الثالث انه كان ماذونا
في تاديب اصحابه لكن هاهنا لما اوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وكان ذلك مما يوهم ترجيح الدنيا على الدين فلهذا السبب
جاءت هذه المعاتبة المسألة الثانية القائلون بصدور الذنب عن الانبياء عليهم السلام تمسكوا بهذه الآية وقالوا
لما عاتبه الله في ذلك الفعل دل على ان ذلك الفعل كان معصية وهذا بعيد فانا قد بينا ان ذلك كان هو الواجب المتعين الا
بحسب هذا الاعتبار الواحد وهو انه يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وذلك غير لائق بصلابة الرسول واذا كان كذلك كان
ذلك جاريا مجرى ترك الاحتياط وترك الافضل فلم يكن ذلك ذنبا البتة المسألة الثالثة اجمع المفسرون على ان الذي عبس
وتولى هو الرسول عليه الصلاة والسلام واجمعوا على ان الاعمى هو ابن ام مكتوم وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة
ونحوه كلح في كلح ان جاءه منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين في اعمال الاقرب او الابعد ومعناه عبس لان جاءه
الاعمى واعرض لذلك وقرئ أأن جاءه بهمزتين وبالف بينهما وتقف على عبس وتولى ثم تبتدئ على معنى الان جاءه الاعمى واعرض عنه
والمراد منه الانكار عليه واعلم ان في الاخبار عما فرط من رسول الله ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة
الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة قوله تعالى
وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى فيه قولان الاول اي شيء يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يتطهر
بما يتلقن منك من الجهل او الاثم او يتعظ فتنفعه ذكراك اي موعظتك ويكون له لطفا في بعض الطاعات وبالجملة
فلعل ذلك العلم الذي يتلقفه عنك يطهره عن بعض ما لا ينبغي وهو الجهل او المعصية او يشغله ببعض ما ينبغي وهو
الطاعة الثاني ان الضمير في لعله للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى الكافر بالاسلام او يتذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق
وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى
وقد مر ثم قال اما من استغنى قال عطاء يريد عن الايمان وقال الكلبي استغنى عن الله وقال بعضهم استغنى اثرى وهو
فاسد هاهنا لان اقبال النبي عليه السلام لم يكن لكثرة مالهم حتى يقال له اما من اثرى فانت تقبل عليه ولانه قال
واما من جاءك يسعى وهو يخشى ولم يقل وهو فقير عديم ومن قال اما من استغنى بماله فهو صحيح لان المعنى انه استغنى عن
الايمان والقرآن بما له من المال وقوله تعالى فانت له تصدى قال الزجاج اي انت تقبل عليه وتتعرض له وتميل اليه يقال
تصدى فلان لفلان يتصدى اذا تعرض له والاصل فيه تصدد يتصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك
وقد ذكرنا مثل هذا في قوله الا مكاء وتصدية وقرئ تصّدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر تُصدّى بضم
التاء اي تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه ثم قال وما عليك الا يزكى المعنى
لا شيء عليك في ان لا يسلم من تدعوه الى الاسلام فانه ليس عليك الا البلاغ اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم الى ان تعرض
عمن اسلم للاشتغال بدعوتهم فقال واما من جاءك يسعى اي يسرع في طلب الخير كقوله فاسعوا الى ذكر الله وهو يخشى فيه
ثلاثة اوجه يخشى الله ويخافه في ان لا يهتم باداء تكاليفه او يخشى الكفار في اتيانك واذاهم او يخشى الكبوة فانه كان اعمى
وما كان له قائد فانت عنه تلهى اي تتشاغل من لهي عن الشيء والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تُلهى
اي يلهيك شان الصناديد فان قيل قوله فانت له تصدى فانت عنه تلهى كان فيه اختصاصا قلنا نعم ومعناه انكار
التصدي والتلهي عنه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى للغني ويتلهى عن الفقير ثم قال كلا وهو ردع عن المعاتب
عليه وعن معاودة مثله قال الحسن لما تلا جبريل على النبي عليه الصلاة والسلام هذه الآيات عاد وجهه كانما اسف
الرماد فيه ينتظر ماذا يحكم الله فيه عليه فلما قال كلا سري عنه اي لا تفعل مثل ذلك وقد بينا نحن ان ذلك محمول على ترك
الاولى ثم قال انها تذكرة وفيه سؤالان الاول قوله انها ضمير المؤنث وقوله فمن شاء ذكره ضمير المذكر والضميران
عائدان الى شيء واحد فكيف القول فيه الجواب فيه وجهان الاول ان قوله انها ضمير المؤنث قال مقاتل يعني آيات

انها

القرآن وقال

القرآن وقال الكلبي يعني هذه السورة وهو قول الاخفش والضمير في قوله فمن شاء ذكره عائد الى التذكرة ايضا لان التذكرة
في معنى الذكر والوعظ الثاني قال صاحب النظم انها تذكرة يعني به القرآن والقرآن تذكرة الا انه لما جعل القرآن تذكرة
اخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكره لجاز كما قال في موضع اخر كلا انه تذكرة والدليل على ان قوله انها تذكرة المراد به القرآن
قوله فمن شاء ذكره السؤال الثاني كيف اتصال هذه الآية بما قبلها الجواب من وجهين الاول كانه قيل هذا التاديب
الذي اوحيته عليك وعرفته لك في اجلال الفقراء وعدم الالتفات الى اهل الدنيا مثبت في اللوح المحفوظ الذي قد
وكل بحفظه اكابر الملائكة الثاني كانه قيل هذا القرآن قد بلغ في العظمة الى هذا الحد العظيم فاي حاجة به الى ان يقبله
هؤلاء الكفار فسواء قبلوه او لم يقبلوه فلا تلتفت اليهم ولا تشغل قلبك بهم واياك ان تعرض عمن آمن به تطييبا لقلب
ارباب الدنيا قوله تعالى فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة اعلم انه تعالى وصف تلك التذكرة بامرين
الاول قوله فمن شاء ذكره اي هي تذكرة بينة ظاهرة بحيث لو ارادوا فهمها والاتعاظ بها والعمل بموجبها لقدروا عليه
والثاني قوله في صحف مكرمة اي تلك التذكرة مودعة في هذه الصحف المكرمة فالمراد من ذلك تعظيم حال
القرآن والسورة تذكرة والمعنى ان هذه التذكرة مثبتة في صحف وفي المراد من الصحف قولان الاول
انها صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله تعالى مرفوعة في السماء السابعة او مرفوعة المقدار مطهرة عن ايدي
الشياطين او المراد مطهرة بسبب انه لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة ثم قال بايدي سفرة كرام بررة وفيه مسائل
المسألة الاولى ان الله تعالى وصف الملائكة بثلاثة انواع من الصفات اولها انهم سفرة وفيه قولان الاول
قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة هم الكتبة من الملائكة قال الزجاج السفرة الكتبة واحدها سافر مثل كتبة وكاتب
وانما قيل للكتاب سفر وللكاتب سافر لان معناه انه يبين الشيء ويوضحه يقال اسفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها القول الثاني
وهو اختيار الفراء ان السفرة هاهنا هم الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله وبين رسله واحدها سافر والعرب تقول
سفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم فجعلت الملائكة اذا نزلت بوحي الله وتاديبه كالسفير الذي يصلح بين القوم وانشد
وما ادع السفارة بين قومي وما امشي بغش ان مشيت واعلم ان اصل السفارة من الكشف والكاتب انما يسمى سافرا
لانه يكشف والسفير انما سمي سفيرا ايضا لانه يكشف وهؤلاء الملائكة لما كانوا وسائط بين الله وبين البشر في البيان والهداية
والعلم لا جرم سموا سفرة الصفة الثانية لهؤلاء الملائكة انهم كرام قال مقاتل كرام على ربهم وقال عطاء يريد انهم يتكرمون
ان يكونوا مع ابن آدم اذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة الصفة الثالثة انهم بررة قال مقاتل مطيعين وبررة
جمع بار قال الفراء لا يقولون فعلة للجمع الا والواحد منه فاعل مثل كافر وكفرة وفاجر وفجرة القول الثاني في تفسير
الصحف انها هي صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى يعني ان هذه التذكرة مثبتة في صحف الانبياء المتقدمين والسفرة
الكرام البررة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هم القراء المسألة الثانية قوله تعالى مطهرة بايدي
سفرة يقتضي ان طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هؤلاء السفرة قال القفال في تقريره لما كان لا يمسها الا الملائكة المطهرون
اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره فيه مسائل المسألة الاولى اعلم انه تعالى
لما بدأ بذكر القصة المشتملة على ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين عجب عباده المؤمنين من ذلك فكانه قيل واي سبب في
هذا العجب والترفع مع ان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وفيما بين الوقتين حمال عذرة فلا جرم ذكر تعالى ما يصلح
ان يكون علاجا لعجبهم وما يصلح ان يكون علاجا لكفرهم فان خلقة الانسان تصلح لان يستدل بها على وجود الصانع ولان يستدل
بها على القول بالبعث والحشر والنشر المسألة الثانية قال المفسرون نزلت الآية في عتبة بن ابي لهب وقال
آخرون المراد بالانسان الذين اقبل الرسول عليهم وترك ابن ام مكتوم بسببهم وقال آخرون بل المراد ذم كل غني يترفع على
فقير بسبب الغنى والفقر والذي يدل على ذلك وجوه احدها انه تعالى لما ذمهم لترفعهم فوجب ان يعم الحكم بسبب عموم العلة
وثانيها انه تعالى ذكر في تحقيرهم بسبب حقارة حال الانسان في الابتداء والانتهاء على ما قال من نطفة خلقه ثم اماته فاقبره
وعموم هذا الزجر يقتضي عموم الحكم وثالثها وهو ان حمل اللفظ على هذا الوجه اكثر فائدة واللفظ محتمل له فوجب
حمله عليه المسألة الثالثة قوله تعالى قتل الانسان دعاء عليه وهي من اشنع دعواتهم لان القتل غاية شدائد
الدنيا وما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله فقوله قتل الانسان تنبيه على انهم استحقوا اعظم انواع العقاب
وقوله ما اكفره تنبيه على انهم اتصفوا باعظم انواع القبائح والمنكرات فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز فالقادر
على الكل كيف يليق به ذلك الجواب ان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب وتحقيقه ما ذكرنا انه تعالى بين انهم استحقوا اعظم
انواع العقاب لاجل انهم اتوا باعظم انواع القبائح واعلم ان الكل يحدث ثلاث مراتب اوله ووسطه وآخره وانه تعالى
ذكر هذه المراتب الثلاث للانسان اما المرتبة الاولى فهي قوله من اي شيء خلقه وهو استفهام وغرضه زيادة التقرير في التحقير

يعني ان هذه التذكرة مثبتة في صحف الانبياء المتقدمين

ثم اجاب عن ذلك الاستفهام بقوله من نطفة خلقه ولا شك ان النطفة شيء حقير مهان والغرض منه ان من كان اصله مثل هذا الشيء الحقير فالتكبر والتجبر لا يكون لائقا به ثم قال فقدره وفيه وجوه احدها قال الفرا قدره اطوارا نطفة ثم علقة الى اخر خلقه وذكرا او انثى وسعيدا او شقيا وثانيها قال الزجاج المعنى قدره على الاستوا كما قال اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وثالثها يحتمل ان يكون المراد وقدر كل عضو في الكمية والكيفية بالقدر اللائق بمصلحته ونظيره وخلق كل شيء فقدره تقديرا واما المرتبة الثانية وهي المرتبة المتوسطة فهي قوله ثم السبيل يسره وفيه مسئلتان المسئلة الاولى نصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسره المسئلة الثانية ذكروا في تفسيره اقوالا احدها قال بعضهم المراد تسهيل خروجه من بطن امه قالوا انه كان راس المولود في بطن امه من فوق ورجله من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب فمن الذي اعطاه ذلك الالهام الا الله ومما يوكد هذا التاويل ان خروجه حيا من ذلك المنفذ الضيق من اعجب العجائب وثانيها قال ابو مسلم المراد من هذه الاية هو المراد من قوله وهديناه النجدين فهو يتناول التمييز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا وبين كل خير وشر يتعلق بالدين اي جعلناه متمكنا من سلوك سبيل الخير والشر والتيسير يدخل فيه الاقدار والتعريف والعقل وبعثة الانبيا وانزال الكتب وثالثها ان هذا مخصوص بامر الدين لان لفظ السبيل مشعر بان المقصود من احوال الدنيا امور تحصل في الاخرة واما المرتبة الثالثة وهي المرتبة الاخيرة فهي قوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره واعلم ان هذه المرتبة الثالثة مشتملة ايضا على ثلاثة مراتب الاماتة والاقبار والانشار اما الاماتة فقد ذكرنا منافعها في هذا الكتاب ولا شك انها هي الواسطة بين حال التكليف والمجازاة واما الاقبار فقال الفرا جعله الله مقبورا ولم يجعله ممن يلقى للطير والسباع كان القبر مما اكرم به المسلم قال ولم يقل فقبره لان القابر هو الدافن بيده والمقبر هو الله تعالى يقال قبر الميت اذا دفنه واقبر الميت اذا امر غيره بان يجعله في القبر والعرب تقول بترت ذنب البعير والله ابتره وعضبت قرن الثور والله اعضبه وطردت فلانا عني والله اطرده صيره طريدا وقوله تعالى اذا شاء انشره المراد منه الاحيا والبعث وانما قال اذا شاء اشعارا بان وقته غير معلوم فتقديمه وتاخيره الى مشيئة الله تعالى واما سائر الاحوال المذكورة قبل ذلك فانه يعلم اوقاتها من بعض الوجوه اذ الموت وان لم يعلم الانسان وقته ففي الجملة يعلم انه لا يتجاوز فيه الاحد امعلوما قوله تعالى كلا لما يقض ما امره واعلم ان قوله كلا ردع للانسان عن تكبره وترفعه او عن كفره واصراره على انكاره التوحيد وعلى انكار البعث والحشر والنشر وفي قوله لما يقض ما امره وجوه احدها قال مجاهد لا يقضي احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وهو اشارة الى ان الانسان لا ينفك عن تقصير البتة وهذا التفسير عندي فيه نظر لان قوله لما يقض الضمير فيه عائد الى المذكور السابق وهو الانسان في قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان ههنا جميع الناس بل الانسان الكافر المترفع المتكبر لم يقض ما امر به من التامل في دلائل الله والتدبر في عجائب خلقه وبينات حكمته وثالثها قال الاستاذ ابو بكر بن فورك كلا لم يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان وترك التكبر بل امره بما لم يقض له به فانه لما ذكر عقيبها الدلايل الموجودة في الافاق يجري ههنا على تلك العادة وذكر دلائل الافاق وبدا بما يحتاج الانسان اليه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الذي يعيش به كيف دبرنا امره ولا شك انه موضع الاعتبار فان الطعام الذي يتناوله الانسان له حالتان احداهما متقدمة وهي الامور التي لا بد من وجودها حتى يدخل ذلك الطعام في الوجود والثانية متاخرة وهي الامور التي لا بد منها في بدن الانسان حتى يحصل الانتفاع بذلك الطعام الماكول ولما كان النوع الاول اظهر للحس وابعد عن الشبهة لا جرم اكتفى الله تعالى بذكرها لان دلائل القران لا بد وان تكون بحيث ينتفع بها كل الخلق فلا بد وان تكون ابعد عن اللبس والشبهة واعلم ان النبات انما يحصل من القطر النازل من السما الواقع في الارض فالسما كالذكر والارض كالانثى فذكر في بيان نزول القطر قوله انا صببنا الما صبا وفيه مسئلتان المسئلة الاولى قوله انا صببنا المراد منه الغيث ثم انظر في انه كيف حدث الغيث المشتمل على هذه المياه العظيمة وكيف بقي معلقا في جو السما مع غاية ثقله وتامل في اسبابها القريبة والبعيدة حتى يلوح لك شيء من اثار نور الله في عدله وحكمته وفي تدبير خلقه هذا العالم المسئلة الثانية قرى انا بالكسر وهو على الاستيناف وانا بالفتح على البدل من الطعام والتقدير فلينظر الانسان الى انا كيف صببنا قال ابو علي الفارسي من قرا بالكسر كان ذلك تفسيرا للنظر الى طعامه كما ان قوله لهم مغفرة تفسير للوعد ومن فتح فعلى معنى البدل بدل الاشتمال لان هذه الاشيا تشتمل على كون الطعام وحدوثه فهو كقوله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه وقوله قتل اصحاب الاخدود وقوله ثم شققنا الارض شقا والمراد شق الارض بالنبات ثم ذكر تعالى ثمانية انواع من النبات اولها الحب وهو كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وانما قدم ذلك لانه كالاصل في الاغذية وثانيها العنب وانما ذكره بعد

الحب لانه

الحب لانه غذا من وجه وفاكهة من وجه وثالثها القضب وفيه قولان الاول انها الرطبة وهي التي اذا يبست سميت بالقت واهل مكة يسمونها القضب واصله من القطع وذلك لانه يقضب مرة بعد اخرى وكذلك الفصل لانه يفصل اي يقطع وهذا قول ابن عباس والضحاك ومقاتل واختيار الفرا وابي عبيدة والاصمعي والثاني قال المراد بالقضب هو العلف بعينه واصله من انه يقضب اي يقطع وهو قول الحسن والرابع والخامس الزيتون والنخل ومنافعهما قد تقدمت في هذا الكتاب وسادسها قوله وحدائق غلبا الاصل في الوصف بالغلب الرقاب فالغلب الغلاظ الاعناق الواحد اغلب يقال اسد اغلب ثم ههنا قولان الاول ان يكون المراد وصف كل حديقة بان اشجارها متكاثفة متقاربة وهذا قول مجاهد ومقاتل قالا الغلب الملتفة الشجر بعضه في بعض يقال اغلولب العشب واغلولبت الارض اذا التف عشبها والثاني ان يكون المراد وصف كل واحد من الاشجار بالغلظ والعظم قال عطا عن ابن عباس يريد الشجر العظام وقال الفرا الغلب ما غلظ من النخل وسابعها قوله وفاكهة وقد استدل بعضهم بان الله تعالى لما ذكر الفاكهة معطوفة على العنب والزيتون والنخل وجب ان لا تدخل هذه الاشيا في الفاكهة وهذا قريب من جهة الظاهر لان المعطوف مغاير للمعطوف عليه وثامنها الاب وهو المرعى قال صاحب الكشاف لانه يوب اي يوم وينتجع والاب والام اخوان قال شعر جذمنا قيس ونجد دارنا ولنا الاب به والمكرع وقيل الاب الفاكهة اليابسة لانها توب للشتا اي تعد ولما ذكر الله تعالى ما يغتذي به الناس والحيوان قال متاعا لكم ولانعامكم قال الفرا خلقناه منفعة ومتعة لكم ولانعامكم وقال الزجاج هو منصوب لانه مصدر موكد لقوله فانبتنا لان انباتها امتاع لجميع الحيوان واعلم انه تعالى لما ذكر هذه الاشيا وكان المقصود منها امورا ثلاثة اولها الدلائل الدالة على التوحيد وثانيها الدلائل الدالة على القدرة على المعاد وثالثها ان هذا الاله الذي احسن الى عبيده بهذه الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل ان يتمرد عن طاعته وان يتكبر على عبيده اتبع هذه الجملة بما يكون مؤكدا لهذه الاغراض وهو شرح اهوال القيمة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التامل في الدلائل والايمان بها والاعراض عن الكفر ويدعوه ذلك ايضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار التواضع الى كل احد فلا جرم ذكر القيمة فقال فاذا جاءت الصاخة قال المفسرون يعني صيحة القيمة وهي النفخة الاخيرة قال الزجاج اصل الصخ في اللغة الطعن والصك يقال صخ راسه بحجر اي شدخه والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير اي يطعن فمعنى الصاخة الصاكة لشدة صوتها للاذن وذكر صاحب الكشاف وجها اخر فقال يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها اي يستمعون ثم انه تعالى وصف هول ذلك اليوم بقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وفيه مسئلتان المسئلة الاولى يحتمل ان يكون المراد من الفرار ما يشعر به ظاهره وهو التباعد والاحتراز والسبب في ذلك الفرار الاحتراز عن المطالبة بالتبعات يقول الاخ ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابرهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح ويحتمل ان يكون المراد من الفرار ليس هو التباعد بل المعنى انه يوم يفر المرء من موالاة اخيه لاهتمامه بشانه وهو كقوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا واما الفرار من نصرهم وهو كقوله تعالى ولا يسال حميم حميما المسئلة الثانية المراد ان الذين كان المرء في دار الدنيا يفر اليهم ويستجير بهم فانه يفر منهم في دار الاخرة ذكروا في فائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه فانهما اقرب من الاخوين بل من الصاحبة والولد لان تعلق القلب بهما اشد من تعلقه بالابوين ثم انه تعالى لما ذكر هذا الفرار اتبعه بذكر سببه فقال لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وفي قوله يغنيه وجهان الاول قال ابن قتيبة يغنيه اي يصرفه ويصده عن قرابته وانشد شعر سيغنيك حرب بني مالك عن الفحش والجهل في المحفل اي سيشغلك ويقال اغن عني وجهك اي اصرفه الثاني قال اهل المعاني يغنيه اي ذلك الهم الذي بسبب خاصة نفسه قد ملا صدره فلم يبق فيه متسع لهم اخر فصار شبيها بالغني في انه حصل عنده من ذلك المملوك شيء كثير واعلم انه تعالى لما ذكر حال يوم القيمة في الهول بين ان المكلفين فيه على قسمين منهم السعدا ومنهم الاشقيا فوصف السعدا بقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضا وعن ابن عباس من قيام الليل لما روي من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله وعندي انه لسبب الخلاص من علائق الدنيا والاتصال بعالم القدس ومنازل الرضوان والرحمة ضاحكة قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب مستبشرة فرحة بما نال من كرامة الله ورضاه واعلم ان قوله مسفرة اشارة الى الخلاص عن هذا العالم وتبعاته واما الضاحكة والمستبشرة فهما محمولتان على القوة النظرية والعملية او على وجدان المنفعة ووجدان التعظيم ووجوه يومئذ عليها غبرة قال المبرد الغبرة ما يصيب الانسان من الغبار وقوله ترهقها اي يدركها

فوصف النفخة بالصاخة مجاز لان الناس

عن قرب كقولك ذهبت الجبل اذا الجئته مسرعة والرهق عجلة الهلاك والقترة سواد كالدخان . ولا ترى اوحش من
اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى وجوه الزنوج اذا اغبرت وكان الله تعالى جمع في وجوههم بين السواد والغبرة
كما جمعوا بين الكفر والفجور والله اعلم . واعلم ان المرجية والخوارج تمسكوا بهذه الاية . اما المرجية فقالوا ان هذه
الاية دلت على ان اهل القيمة قسمين اهل الثواب والعقاب . ودلت على ان اهل العقاب هم الكفرة وثبت بالدليل ان الفساق
من اهل الصلاة ليسوا بكفرة . واذا لم يكونوا من الكفرة كانوا من اهل الثواب وذلك يدل على ان صاحب الكبيرة من اهل
الصلاة ليس له عقاب . واما الخوارج فقالوا دلت ساير الدلايل على ان صاحب الكبيرة يعاقب . ودلت هذه الاية
على ان كل من يعاقب فانه كافر والجواب اكثر ما في الباب ان المذكور هاهنا هو هذان الفريقان وذلك لا يقتضي نفي
الفريق الثالث والله اعلم . والحمد لله رب العالمين . وصلوته على سيد المرسلين محمد النبي واله وصحبه اجمعين وسلم

## سورة التكوير عشرون وتسع ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا الشمس كورت اعلم انه تعالى
ذكر اثني عشر شيا وقال اذا وقعت هذه الاشيا فهنالك علمت كل نفس ما احضرت . فالاول قوله تعالى اذا الشمس كورت
في التكوير وجهان احدهما التلفيف على جهة الاستدارة كتكوير العمامة . وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور
اي من التشتت بعد الالفة والطي واللف والكور والتكوير واحد . وسميت كارة القصار كارة لانه يجمع ثيابه
في ثوب واحد . ثم ان الشي الذي يلف لا شك انه يصير مختفيا عن الاعين فعبر عن ازالة النور عن جرم الشمس وتصييرها
غايبة عن الاعين بالتكوير . فلهذا قال بعضهم كورت اي طمست . وقال اخرون انكسفت . وقال الحسن محي ضوؤها
وقال المفضل بن سلمة كورت اي ذهب ضوؤها كانها استترت في كارة . الوجه الثاني في التكوير . يقال كورت الحايط
ودهورته اذا طرحته حتى يسقط قال الاصمعي يقال طعنه فكوره اذا صرعه . فقوله اذا الشمس كورت اي القيت ورميت
عن الفلك . وفيه قول ثالث . يروى عن عمر انه لفظة ماخوذة من الفارسية . فانه يقال للاعمى كور . وهاهنا
سوالان . الاول ارتفاع الشمس على الابتدا او الفاعلية الجواب بل على الفاعلية . رافعها فعل مضمر يفسره
كورت لان اذا تطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط . السوال الثاني روي ان الحسن جلس بالبصرة جلس بالبصرة الى
ابي سلمة بن عبد الرحمن فحدث عن ابي هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال ان الشمس والقمر ثوران مكوران في النار
يوم القيمة فقال الحسن وما ذنبهما قال اني احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت الحسن . والجواب
ان سوال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان فالقاهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا
لازدياد الحر في جهنم فلا يكون هذا الخبر على خلاف العقل . الثاني قوله واذا النجوم انكدرت اي تناثرت وتساقطت
كما قال تعالى واذا الكواكب انتثرت . والاصل في الانكدار الانصباب قال الخليل يقال انكدر عليهم القوم اذا جاؤا
ارسالا فانصبوا عليهم . قال الكلبي تمطر السما يوميذ نجوما فلا يبقى نجم في السما الا وقع على وجه الارض قال عطا وذلك
انها قناديل معلقة بين السما والارض بسلاسل من النور وتلك السلاسل في ايدي الملايكة . الثالث قوله واذا الجبال
سيرت اي عن وجه الارض كقوله وسيرت الجبال فكانت سرابا او في الهوا كقوله تمر مر السحاب . الرابع قوله واذا
العشار عطلت فيه قولان . القول المشهور العشار جمع عشرا كالنفاس في جمع نفسا وهي التي على حملها عشرة اشهر
ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم . عطلت قال ابن عباس اهملها اهلها
لما جاءهم من الاهوال . وليس شي احب الى العرب من النوق الحوامل وخوطب العرب بامر العشار لان اكثر مالها وعيشتها
من الابل والغرض من ذلك ذهاب الاموال وبطلان الاملاك واشتغال الناس بانفسهم كما قال يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم وقال ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة . والقول الثاني ان العشار كناية عن السحاب
تعطلت عما فيها من الما وهذا وان كان مجازا الا انه اشبه بساير ما قبله . وايضا فالعرب تشبه السحاب بالحامل قال تعالى
فالحاملات وقرا . الخامس قوله تعالى واذا الوحوش حشرت . كل شي من دواب البر مما لا يستانس فهو وحش . والجمع
الوحوش حشرت وجمعت من كل ناحية قال قتادة تحشر كل شي حتى الذباب للقصاص . قالت المعتزلة ان الله
تعالى يحشر الحيوانات كلها في ذلك اليوم ليعوضها على الامها التي وصلت اليها في الدنيا بالموت والقتل وغير ذلك
فاذا عوضت على تلك الالام فان شا الله ان يبقي بعضها في الجنة اذا كان مستحسنا فعل وان شا ان يفنيه افناه على ما جاء به الخبر
واما اصحابنا فعندهم انه لا يجب على الله شي بحكم الاستحقاق ولكنه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجما من القرنا ثم

يقال لها

يقال لها موتي فتموت . والغرض من ذكر هذه القصة هاهنا وجوه . احدها انه تعالى اذا كان يحشر كل الحيوانات
اظهارا للعدل فكيف يجوز مع هذا ان لا يحشر المكلفين من الانس والجن . والثاني انها تجتمع في موقف القيمة مع شدة نفرتها
عن الناس في الدنيا وتبددها في الصحارى فدل هذا على ان اجتماعها الى الناس ليس الا من هول ذلك اليوم . والثالث ان هذه
الحيوانات بعضها غذا للبعض ثم انها في ذلك اليوم تجتمع ولا يتعرض بعضها لبعض وما ذاك الا لشدة هول ذلك اليوم
وفي الاية قول اخر لابن عباس وهو ان حشر الوحوش عبارة عن موتها . يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم
حشرتهم السنة . وقرئ حشرت بالتشديد . السادس قوله تعالى واذا البحار سجرت قرئ بالتخفيف والتشديد . وفيه وجوه
احدها ان اصل الكلمة من سجرت التنور اذا اوقدتها والشي اذا اوقد فيه نشف ما فيه من الرطوبة فحينيذ لا يبقى في البحار شي من
المياه البتة . ثم ان الجبال قد سيرت على ما قال وسيرت الجبال وحينيذ تصير البحار والارض شيا واحدا في غاية الحرارة
والاحراق ويحتمل ان تكون الارض لما نشفت مياه البحار ربت فارتفعت فاستوت برؤس الجبال . ويحتمل ان الجبال لما
اندكت وتفرقت اجزاؤها وصارت كالتراب وقع ذلك التراب في اسفل الجبال فصار وجه الارض مستويا مع البحار
ويصير الكل بحرا مسجورا . وثانيها ان يكون سجرت بمعنى فجرت . وذلك لان بين البحار حاجزا على ما قال مرج البحرين يلتقيان
بينهما برزخ لا يبغيان . فاذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض في البعض وصارت البحار بحرا واحدا وهو قول الكلبي . وثالثها
سجرت وقرت قال القفال وهذا التاويل يحتمل وجوها . الاول ان تكون جهنم في قعور البحار فهي الان غير مسجورة لقوام
الدنيا . فاذا انتهت مدة الدنيا اوصل الله تاثير تلك النيران الى البحار فصارت بالكلية مسجورة . والثاني ان الله
تعالى يلقي الشمس والقمر والكواكب في البحار فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك . والثالث ان يخلق الله تعالى تحت البحار
نيرانا عظيمة حتى تسخن تلك المياه . واقول هذه الوجوه متكلفة ولا حاجة الى شي منها لان القادر على تخريب الدنيا
واقامة القيامة لابد وان يكون قادرا على ان يفعل بالبحار ما شا من تسخين مياهها . ومن قلب مياهها نيرانا من غير حاجة
منه الى ان يلقي فيها الشمس والقمر او يكون او تكون تحتها نار جهنم . واعلم ان هذه العلامات الستة يمكن وقوعها ايضا
بعد قيام القيمة وليس في اللفظ ما يدل على احد الاحتمالين . اما الستة الباقية فانها مختصة بالقيمة . السابع قوله تعالى
واذا النفوس زوجت وفيه وجوه . احدها قرنت الارواح بالاجساد . وثانيها قال الحسن يصيرون فيها ثلاثة ازواج
كما قال وكنتم ازواجا ثلاثة . فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة . والسابقون
السابقون . وثالثها انه يضم كل صنف من كان من طبقته من الرجال والنسا فيضم المبرز في الطاعات الى مثله والمتوسط
الى مثله واهل المعصية الى مثله فالتزويج ان يقرن الشي بمثله . والمعنى ان يضم كل واحد الى طبقته في الخير والشر

[illegible]

والمعنى ان يضم كل واحد الى الطبقة الخير والشر

الاول

حال من احواله فتقول ماذا فعل زيد فى ذلك المعنى ويكون زيد هو المسؤل وهو المسؤل عنه فكذا ههنا . التاسع قوله تعالى
واذا الصحف نشرت . قرئ بالتخفيف والتشديد . يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا
حوسب . ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اى فرقت بينهم . العاشر قوله تعالى واذا السما كشطت اى كشفت وازيلت
عما فوقها وهو الجنة وعرش الله كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطا عن الشئ . قرا ابن مسعود قشطت . واعتقاب
القاف والكاف كثير . يقال لبكت الثريد ولبقته . والكافور والقافور . قال الفرا نزعت فطويت . الحادى عشر
قوله تعالى واذا الجحيم سعرت . اوقدت ايقادا شديدا . وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة . قيل سعرها غضب
الله وخطايا بنى آدم . واحتج بهذه الاية من قال النار غير مخلوقة الان قالوا لانها تدل على ان تسعيرها معلق بيوم
القيمة . الثانى عشر قوله تعالى واذا الجنة ازلفت . اى ادنيت من المتقين لقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين
ولما ذكر الله تعالى هذه الامور الاثنى عشر ذكر الجزا المرتب على الشرط الذى هو مجموع هذه الاشيا وقال علمت نفس ما
احضرت . ومن المعلوم ان العمل لا يمكن احضاره . فالمراد اذن ما احضرته فى صحايفها او ما احضرته عند المحاسبة
وعند الميزان من آثار تلك الاعمال . والمراد ما احضرته من استحقاق الجنة والنار فان قيل كل نفس تعلم ما احضرت
لقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا . فما معنى قوله علمت نفس . قلنا الجواب من وجهين . الاول
ان هذا هو من عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط وان كان اللفظ موضوعا للقليل . ومنه قوله تعالى ربما
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين . ويقول هل عندك فيها شئ فيقول ربما حضر شئ وغرضه الاشارة
الى ان عنده فى تلك المسئلة ما لا يقول به غيره فكذا ههنا . الثانى لعل الكفار كانوا يتعبون انفسهم فى الاشيا
التى كانوا يعتقدونها طاعات ثم بدا لهم يوم القيمة خلاف ذلك فهو المراد من هذه الاية قوله تعالى فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس . فيه قولان . الاول وهو المشهور الظاهر انها النجوم الخنس جمع خانس . والخنوس الانقباض
والاستخفا . تقول خنس من بين القوم . وفى الحديث الشيطان يوسوس الى العبد فاذا ذكر الله خنس اى انقبض
ولذلك سمى الخناس والكنس جمع كانس وكانسة . يقال كنس اذا دخل الكناس وهو مقر الوحش . يقال كنست الظبا
فى كنسها . وتكنست المراة اذا دخلت هودجها تشبه بالظبى اذا دخل الكناس . ثم اختلفوا فى خنوس النجوم وكنوسها
على ثلثة اوجه . فالقول الاظهر ان ذلك اشارة الى رجوع الكواكب الخمسة السيارة واستقامتها فرجوعها هو الخنوس
وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ولا شك ان هذه حالة عجيبة . وفيها اسرار عظيمة باهرة . والقول الثانى ما روى
عن على عليه السلام وعطا ومقاتل وقتادة انها هى جميع الكواكب . وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر فى النهار
وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر فى الليل اى تظهر فى اماكنها كالوحش فى كنسها . والقول الثالث ان السبعة السيارة
تختلف مطالعها ومغاربها على ما قال تعالى رب المشارق والمغارب ولا شك ان فيها مطلعا واحدا ومغربا هما اقرب
المطالع والمغارب الى سمت رؤسنا . ثم انها تاخذ فى التباعد من ذلك المطلع الى سائر المطالع طول السنة . ثم ترجع اليها
فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع . وكنوسها عبارة عن عودها اليه . فهذا محتمل فعلى القول الاول يكون القسم
واقعا بالخمسة المتحيرة . وعلى القول الثانى يكون القسم واقعا بجميع الكواكب . وعلى هذا الاحتمال الذى ذكرته يكون القسم
واقعا بالسبعة السيارة والله اعلم بمراده . والقول الثانى ان الخنس الجوار الكنس وهو قول ابن مسعود والنخعى
انها بقر الوحش وقال سعيد بن جبير هى الظبا . وعلى هذا الخنس من الخنس فى الانف وهو تقعير فى الانف فان
البقرة والظبا انوفها على هذه الصفة . والكنس جمع كانس وهى التى تدخل الكناس والقول هو الاول . والدليل عليه امران
الاول انه قال بعد ذلك والليل اذا عسعس وهذا بالنجوم اليق منه ببقر الوحش . الثانى ان محل قسم الله كلما كان اعظم واعلى
رتبة كان اولى ولا شك ان الكواكب اعلى رتبة من بقر الوحش . والثالث ان الخنس جمع خانس من الخنوس . واما جمع
خنسا واخنس من الخنس . خنس بالسكون والتخفيف . ولا يقال الخنس فيه بالتشديد الا ان يحمل الخنس فى الوحشية
ايضا من الخنوس وهو اختفاؤها فى الكناس اذا غابت عن الاعين قوله تعالى والليل اذا عسعس . ذكر اهل
اللغة ان عسعس من الاضداد . يقال عسعس الليل اذا اقبل وعسعس اذا ادبر . وانشدوا فى وروده بمعنى ادبر قول العجاج
حتى اذا الصبح لها تنفسا . وانجاب عنها ليلها وعسعسا . وانشد ابو عبيدة فى معنى اقبل . مدرعات الليل لما عسعسا
ثم منهم من قال المراد ههنا اقبل الليل لان على هذا التقدير يكون القسم واقعا باقبال الليل وهو قوله اذا عسعس
وبادباره ايضا وهو قوله والصبح اذا تنفس ومنهم من قال بل المراد ادبر . وقوله والصبح اذا تنفس اى امتد ضوؤه وتكامل
فقوله والليل اذا عسعس اشارة الى اول طلوع الصبح فلا يكون فيه تكرار . واما قوله تعالى والصبح اذا تنفس اى اذا
اسفر . كقوله والصبح اذا اسفر . ثم فى كيفية المجاز قولان . احدهما انه اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك

نفسه على المجاز

نفسا له على المجاز . وقيل تنفس الصبح . والثانى انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذى جلس بحيث لا يتحرك واجتمع الحزن
فى قلبه . فاذا تنفس وجد راحة . فههنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وهو استعارة لطيفة
واعلم انه تعالى لما ذكر المقسم به اتبعه بذكر المقسم عليه فقال انه لقول رسول كريم وفيه قولان . الاول وهو المشهور
ان المراد ان القران نزل به جبرئيل . فان قيل ههنا اشكال قوى وهو انه حلف انه قول جبرئيل فوجب علينا ان نصدقه فى ذلك
فان لم نقطع بوجوب حمل اللفظ على الظاهر فلا اقل من الاحتمال . واذا كان الامر كذلك ثبت ان هذا القران يحتمل ان يكون كلام
جبرئيل لا كلام الله . وبتقدير ان يكون كلام جبرئيل يخرج عن كونه معجزا لاحتمال ان جبرئيل القاه الى محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل
الاضلال . ولا يمكن ان يجاب عنه بان جبرئيل معصوم لا يفعل الاضلال لان العلم بعصمة جبرئيل مستفاد من صدق النبى وصدق
النبى مفرع على كون القران معجزا . وكون القران معجزا يتفرع على عصمة جبرئيل فيلزم الدور وهو محال . والجواب الذى قالوا ان القران
انما كان معجزا للصرفة انما ذهبوا الى ذلك المذهب فرارا من هذا السوال لان الاعجاز على ذلك القول ليس فى الفصاحة بل فى سلب
تلك العلوم والدواعى عن القلوب وذلك مما لا يقدر عليه احد الا الله تعالى . القول الثانى ان هذا الذى اخبركم به محمد
صلى الله عليه وسلم من امر الساعة على ما ذكرت فى هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال انما هو قول جبرئيل اتاه به وحيا
من الله تعالى . واعلم انه تعالى وصف جبرئيل ههنا بصفات ستة . اولها انه رسول ولا شك انه رسول الله الى الانبيا
فهو رسول وجميع الانبيا امته وهو المراد من قوله ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشا من عباده . وقال نزل به الروح
الامين على قلبك . وثانيها انه كريم ومن كرمه ان يعطى افضل العطا وهو المعرفة والهداية والارشاد . وثالثها قوله
ذى قوة . ثم منهم من حمله على الشدة . روى انه عليه السلام قال لجبرئيل ذكر الله قوتك فما ذا بلغت قال رفعت قريات قوم
لوط الاربع على قوادم جناحى حتى اذا سمع اهل السما نباح الكلاب واصوات الدجاج قلبتها . وذكر مقاتل ان شيطانا يقال
له الابيض صاحب الانبيا قصد ان يفتن النبى صلى الله عليه وسلم فدفعه جبرئيل عليه السلام دفعة رفيقة فوقع بها من مكة
الى اقصى الهند . ومنهم من حمله على القوة فى اداء طاعة الله وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف . وعلى
القوة فى معرفة الله . وفى مطالعة جلال الله . ورابعها قوله عند ذى العرش مكين . وهذه العندية ليست عندية
المكان مثل قوله ومن عنده لا يستكبرون . وليست عندية الجهة بدليل قوله انا عند المنكسرة قلوبهم بل عندية
الاكرام والتشريف والتعظيم . واما مكين فقال الكسائى يقال قد مكن فلان عند فلان بضم الكاف مكنا ومكانة فعلى
هذا المكين هو ذو الجاه الذى يعطى ما يسال . وخامسها قوله مطاع . ثم اعلم ان قوله ثم اشارة الى الظرف المذكور اعنى عند
ذى العرش . والمعنى انه عند الله مطاع فى ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه . وقرئ ثم تعظيما
للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة . وسادسها قوله امين اى هو امين على وحى الله ورسالاته قد عصمه الله
من الخيانة والزلل ثم قال وما صاحبكم بمجنون . واحتج بهذه الاية من فضل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم انك اذا
وازنت بين قوله انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين . وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ظهر التفاوت
العظيم . ولقد راه بالافق المبين يعنى حيث تطلع الشمس فى قول الجميع . وهذا مفسر فى سورة النجم . وما هو على الغيب بظنين
اى وما محمد على الغيب بظنين . والغيب ههنا القران وما فيه من الانباء والقصص . والظنين المتهم يقال ظننت زيدا فى معنى
اتهمت . وليس من الظن الذى يتعدى الى مفعولين . والمعنى ما محمد على القران بمتهم اى هو ثقة فيما يؤدى عن الله . ومن قرا
بالضاد فهو من البخل . يقال ضننت به اضن اى بخلت . والمعنى ليس ببخيل بما انزل الله قال الفرا يأتيه غيب السما وهو
شئ نفيس فلا يبخل به عليكم وقال ابو على الفارسى المعنى انه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من اعلامه
حتى ياخذ عليه حلوانا واختار ابو عبيدة القراءة الاولى لوجهين . احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى التهمة اولى من
نفى البخل . والاخر قوله على الغيب . ولو كان المراد البخل لقال بالغيب لانه يقال فلان ضنين بكذا وقل ما يقال على كذا ثم قال
وما هو بقول شيطان رجيم كان اهل مكة يقولون ان هذا القران يجئ به شيطان فيلقيه على لسانه . فنفى الله ذلك . فان قيل
القول بصحة النبوة موقوف على نفى هذا الاحتمال بالدليل السمعى . قلنا بينا ان على القول بالصرفة لا يتوقف صحة النبوة على
نفى هذا الاحتمال فلا جرم يمكن نفى هذا الاحتمال بالدليل السمعى ثم قال فاين تذهبون . وهذا استضلال لهم كما يقال لتارك
الجادة اعتسافا . اين تذهب مثلت حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل . والمعنى اى طريق تسلكون ابين
من هذه الطريقة التى قد بينت لكم قال الفرا العرب تقول الى اين تذهب واين تذهب . وتقول ذهبت الشام وانطلقت السوق
واحتج اهل الاعتزال بهذه الاية ووجهه ظاهر . ثم بين ان القران ما هو فقال ان هو الا ذكر للعالمين اى هو بيان وهدى
للخلق اجمعين ثم قال لمن شا منكم ان يستقيم . وهو بدل من العالمين . والتقدير ان هو الا ذكر لمن شا منكم ان يستقيم
وفائدة هذا الابدال ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم

قوله امين اى هو امين على وحى الله ورسالاته

والمعنى ان القرآن انما ينتفع به من شاء ان يستقيم • ثم بين ان مشيئة الاستقامة موقوفة على ان يشاء الله ان يعطيه تلك المشيئة لان تلك المشيئة صفة محدثة • فلا بد من حدوثها من مشيئة اخرى فيظهر من مجموع هذه الايات ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة • وهذه الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله ان يعطيه تلك الارادة • والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على الشيء فافعال العباد في طرفي ثبوتها وانتفائها موقوفة على مشيئة الله • وهذا هو قول اصحابنا • وقول بعض المعتزلة ان هذه الاية مخصوصة بمشيئة القهر والالجاء ضعيف لانا بينا ان المشيئة الاختيارية شيء حادث فلا بد له من محدث فيتوقف حدوثها على ان يشاء محدثها ايجادها • وحينئذ يعود الالزام • والله اعلم • والحمد لله رب العالمين • وصلواته وسلامه على سيدنا محمد واله الكرام

## سورة الانفطار تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت واخرت اعلم ان المراد انه اذا وقعت هذه الاشياء التي هي اشراط الساعة • فهناك يحصل الحشر • وفي تفسير هذه الايات مقامات الاول في تفسير كل واحد من هذه الاشياء التي هي اشراط الساعة هاهنا وهي اربعة • اثنان منها ما يتعلق بالعلويات • واثنان اخران تتعلق بالسفليات • الاول قوله اذا السماء انفطرت اي انشقت • وهو كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام اذا السماء انشقت • فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان • وفتحت السماء فكانت ابوابا • والسماء منفطر به قال الخليل ولم يأت هذا على الفعل بل هو كقولهم مرضع وحائض • ولو كان على الفعل لكان منفطرة كما قال اذا السماء انفطرت • اما الثاني وهو قوله واذا الكواكب انتثرت فالمعنى ظاهر وهو لا بد عند انتقاض تركيب السماء لا بد من انتثار الكواكب على الارض • واعلم انا ذكرنا في بعض السور المتقدمة ان الفلاسفة ينكرون امكان الخرق والالتيام على الافلاك • ودليلنا على امكان ذلك ان الاجسام متماثلة في كونها اجساما فوجب ان يصح على كل واحد منها ما يصح على الاخر • وانما قلنا انها متماثلة لانه يصح تقسيمها الى السماوية والارضية مشترك بين القسمين • فالعلويات والسفليات مشتركة في انها اجسام • وانما قلنا انه متى كان كذلك وجب ان يصح على العلويات ما يصح على السفليات لان المتماثلات حكمها واحد • فلما صح حكم على واحد منها وجب ان يصح على الباقي • واما الاثنان السفليان • فاحدهما قوله واذا البحار فجرت • وفيه وجوه • احدها انه ينفذ بعض البحار في البعض بارتفاع الحاجز الذي جعله الله برزخا وحينئذ يصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الارض وتصدعها • وثانيها ان مياه البحار الان راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهب ماؤها • وثالثها قال الحسن فجرت اي يبست • واعلم ان على الوجوه الثلاثة فالمراد تغير البحار عن صورتها الاصلية وصفتها وهو كما ذكر انه يغير الارض عن صفتها في قوله يوم تبدل الارض غير الارض • وتغير الجبال عن صفتها في قوله فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا • ورابعها قرأ بعضهم فجرت بالتخفيف • وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله لا يبغيان لان البغي والفجور اخوان • واما الثاني فقوله واذا القبور بعثرت • فاعلم ان بعثر وبحثر بمعنى واحد وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى اثيرت وقلب اسفلها اعلاها • وباطنها ظاهرها • ثم هاهنا وجهان • احدهما ان القبور تبعثر بان يخرج ما فيها من الموتى احياء كما قال تعالى واخرجت الارض اثقالها • والثاني انها تبعثر لاخراج ما في بطنها من الذهب والفضة وذلك لان من اشراط الساعة ان تخرج الارض افلاذ كبدها من ذهبها وفضتها • ثم يكون بعد ذلك خروج الموتى • والاول اقرب لان دلالة القبور على الاول اتم • المقام الثاني في فائدة هذا الترتيب اعلم ان المراد من هذه الايات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وانقطاع التكاليف والسماء كالسقف والارض كالبناء • ومن اراد تخريب دار فانه يبدأ اولا بتخريب السقف وذلك هو قوله اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب وذلك هو قوله واذا الكواكب انتثرت • ثم انه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض وهو قوله واذا البحار فجرت • ثم انه تعالى يخرب اخر الامر الارض التي هي البناء وذلك هو قوله واذا القبور بعثرت فانه اشارة الى قلب الارض ظهرا لبطن وبطنا لظهر • المقام الثالث تفسير قوله علمت نفس ما قدمت واخرت وفيه احتمالات • الاول ان المراد بهذه الامور ذكر يوم القيمة • ثم فيه وجوه • احدها وهو الاصح ان المقصود منه الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة اي يعلم كل احد في هذا اليوم ما قدم فلم يقصر فيه وما اخر فلم يقصر فيه • فقوله ما قدمت يقتضي فعلا وما اخرت يقتضي تركا فهذا الكلام يفيد فعلا وتركا وتقصيرا وتوفيرا • فان كان قد قدم الكبائر واخر

العمل الصالح

العمل الصالح [illegible]

والاول باطل لان الدنيا دار ابتلاء وامتحان لا دار الامتناع والجزاء • ولما بطل كل ذلك ثبت انه لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى فثبت ان الاعتراف بوجود الاله الكريم الذي يقدر على الخلق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل ان يقطع بانه سبحانه يبعث الاموات ويحشرهم وذلك يمنعهم من الاغترار بعدم الحشر والنشر • وهذا الاستدلال هو الذي ذكره بعينه في سورة التين حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم الى ان قال فما يكذبك بعد بالدين • وهذه المحاجة تصلح مع العرب الذين كانوا مقرين بالصانع وينكرون الاعادة • وتصلح ايضا مع منكري الابتداء والاعادة معا لان الخلق المعدل يدل على الصانع وبواسطته يدل على القول بصحة الحشر والنشر • فان قيل بناء على هذا الاستدلال على انه تعالى حكيم • ولذلك قال في سورة التين بعد هذا الاستدلال اليس الله باحكم الحاكمين فكان يجب ان يقول في هذه السورة ما غرك بربك الحكيم الجواب انه الكريم ان يكون حكيما لان ايصال النعمة الى الغير لو لم يكن مبنيا على داعية الحكمة لكان ذلك تبذيرا لا كرما • اما اذا كان مبنيا على داعية الحكمة فحينئذ يسمى كريما اذا ثبت هذا فنقول كونه كريما يدل على وقوع الحشر من جهتين كما قررناه • اما كونه حكيما فانما يدل على وقوع الحشر من هذا الوجه الثاني فكان ذكر الكريم هاهنا اولى من ذكر الحكيم هذا هو تمام الكلام في كيفية النظم ولنرجع الى التفسير اما قوله يا ايها الانسان ففيه قولان • احدهما انه الكافر لقوله من بعد ذلك كلا بل تكذبون بالدين • وقال عطاء عن ابن عباس نزلت في الوليد بن المغيرة • وقال الكلبي ومقاتل نزلت في ابن الاسد بن كلدة بن اسيد وذلك انه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى وانزل هذه الاية • والقول الثاني انه يتناول جميع العصاة وهو الاقرب لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ • اما قوله ما غرك بربك الكريم • فالمراد ما الذي خدعك وسول لك الباطل حتى تركت الواجبات واتيت بالمحرمات • والمعنى ما الذي امنك من عقابه • يقال غره فلان اذا امنه المحذور من جهته مع انه غير مامون وهو كقوله ولا يغرنكم بالله الغرور • هذا اذا حملنا قوله يا ايها الانسان على جميع العصاة • اما اذا حملناه على الكافر فالمعنى ما الذي دعاك الى الكفر وجحد الرسل وانكار الحشر والنشر • وهاهنا سؤالات • الاول ان كونه كريما يقتضي ان يغتر الانسان بكرمه بدليل المعقول والمنقول • اما المعقول فهو ان الجواد افادة ما لا ينبغي لا لعوض فلما كان الحق تعالى جوادا مطلقا لم يكن مستعيضا • ومتى كان كذلك استوى عنده طاعة المطيعين وعصيان المذنبين وهذا يوجب الاغترار لانه من البعيد ان يقدم الغني على ايلام الضعيف من غير فائدة اصلا • واما المنقول فما روي عن علي عليه السلام انه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك • فاستحسن جوابه واعتقه • وقالوا ايضا من كرم الرجل سوء ادب غلمانه • ولما ثبت ان كرمه يقتضي الاغترار به فكيف جعله هاهنا مانعا من الاغترار به والجواب من وجوه • احدها ان معنى الاية انك لما كنت ترى حلم الله عن خلقه ظننت ان ذلك لانه لا حساب ولا دار الا هذه الدار • فما الذي دعاك الى هذا الاغترار • وجراك على انكار الحشر والنشر فان ربك كريم فهو لكرمه لا يعاجل بالعقوبة بسطا في مدة التوبة • وتاخيرا للجزاء الى ان يجمع الناس في الدار التي جعلها لهم للجزاء فالحاصل ترك المعاجلة بالعقوبة لاجل الكرم وذلك لا يقتضي الاغترار بانه لا دار بعد هذه الدار • وثانيها ان كرمه لما بلغ الى حيث لا يمنع من العاصي مواد لطفه فبان ينتقم للمظلوم من الظالم كان اولى فاذن كونه كريما يقتضي الخوف الشديد من هذا الاغترار وترك الجراءة والاغترار • وثالثها ان كثرة الكرم توجب الجد والاجتهاد في الخدمة والاستحياء من الاغترار والتواني وذلك

الثاني انه يتناول جميع العصاة وهو الاقرب

قال بعض الناس انما قال بربك الكريم ليكون ذلك كالجواب عن ذلك السؤال حتى يقول غرني كرمك ولولا كرمك لما فعلت لانك
رأيت فسترت وقدرت فامهلت. وهذا الجواب انما يصح اذا كان المراد من قوله يا ايها الانسان ليس الكافر. السؤال الثاني
ما الذي ذكره المفسرون في سبب هذا الاغترار. قلنا وجوه. احدها قال قتادة بسبب غرور ابن آدم تسويل الشيطان
وثانيها قال الحسن غره حمقه وجهله. وثالثها قال مقاتل غره عفو الله عنه حين لم يعاقب في اول امره. وقيل للفضيل
ابن عياض ان اقامك الله بين يديه يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة.
السؤال الثالث ما معنى قراءة سعيد بن جبير ما اغرك. قلنا هو اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل
فهو غار اذا غفل من قولك بينهم العدو وهم غارون. واغره غيره جعله غارا. اما قوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك
فاعلم انه تعالى لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة لتكون كالدلالة على تحقق ذلك الكرم. فاولها الخلق وهو
قوله الذي خلقك ولا شك انه كرم وجود لان الوجود خير من العدم والحياة خير من الموت وهو الذي قال كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم. وثانيها قوله فسواك اي جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر ونظيره قوله أكفرت بالذي
خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا. قال ذو النون سواك اي سخر لك المكونات اجمع وما جعلك مسخرا لشيء منها
ثم انطق لسانك بالذكر وقلبك بالعقل وروحك بالمعرفة وسرك بالايمان وشرفك بالامر والنهي وفضلك على كثير ممن خلق
تفضيلا. وثالثها قوله فعدلك وفيه بحثان. البحث الاول قال مقاتل يريد عدل خلقك في العينين والاذنين واليدين والرجلين
فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع وهو كقوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه. وتقريره ما عرف في علم التشريح
انه سبحانه ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في اشكالها ولا في ثقبها ولا في الاوردة
والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها. واستقصاء القول فيه لا يليق بهذا العلم. وقال عطاء عن ابن عباس جعلك
قائما معتدلا حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية. وقال ابو علي الفارسي عدل خلقك فاخرجك في احسن تقويم وبسبب ذلك الاعتدال
جعلك مستعدا لقبول العقل والقدرة والفكر وصرت بسبب ذلك مستوليا على جميع الحيوان والنبات وواصلا بالكمال الى ما لم
يصل اليه شيء من اجسام هذا العالم. البحث الثاني قرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف وفيه وجوه. احدها قال ابو علي الفارسي
ان يكون المعنى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت. والثاني قال الفراء فعدلك اي فصرفك الى اي صورة شاء. ثم قال
والتشديد احسن الوجهين لانك تقول عدلتك الى كذا كما تقول صرفتك الى كذا. ولا يحسن عدلتك فيه ولا صرفتك فيه
ففي القراءة الاولى جعل في من قوله في اي صورة للتركيب وهو حسن. وفي القراءة الثانية جعل صلة لقوله فعدلك وهو
ضعيف. واعلم ان اعتراض الفراء انما يتوجه على هذا الوجه الثاني. فاما على الوجه الاول الذي ذكره ابو علي الفارسي فغير
متوجه. والثالث نقل القفال عن بعضهم انهما لغتان بمعنى واحد. اما قوله في اي صورة ما شاء ركبك ففيه مباحث. الاول
ما هل هي مزيدة ام لا فيه قولان. الاول انها ليست مزيدة بل هي في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى في اي صورة ما شاء ان يركبك
فيها ركبك. وبناء على هذا الوجه قال ابو صالح ومقاتل المعنى ان شاء ركبك في غير صورة الانسان من صورة كلب او حمار او خنزير
او قرد. والقول الثاني انها صلة مؤكدة. والمعنى في اي صورة يقتضيها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فانه سبحانه
يركبك على مثلها. وعلى هذا القول يحتمل الاية وجوها. احدها ان المراد من الصور المختلفة شبه الاب
والام او اقارب الاب واقارب الام. ويكون المعنى انه سبحانه يركبك على مثل صورة هؤلاء. ويدل على صحة هذا ما روي
انه عليه الصلاة والسلام قال في هذه الاية اذا استقرت النطفة في الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين آدم. والثاني
وهو الذي ذكره الفراء والزجاج ان المراد من الصور المختلفة الاختلاف بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة
والانوثة. ودلالة هذه الحالة على الصانع القادر في غاية الظهور لان النطفة جسم متشابه الاجزاء. وتاثير طبع الابوين
فيه على السوية. فالفاعل المؤثر بالطبيعة في القابل المتشابه لا يفعل الا فعلا واحدا. فلما اختلفت الآثار والصفات
دل ذلك الاختلاف على ان المدبر هو القادر المختار. قال القفال ان اختلاف الخلق والالوان كاختلاف الاحوال في الغنى
والفقر والصحة والسقم. فكما انا نقطع انه سبحانه انما ميز البعض عن البعض في الغنى والفقر وطول العمر وقصره

[illegible]

برداء الجلال

برداء الجلال والهيبة. قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين. اعلم انه سبحانه لما بين بالدلائل العقلية صحة القول بالبعث والنشور
على الجملة فرع عليها شرح تفاصيل الاحوال المتعلقة بذلك وهي انواع. النوع الاول انه سبحانه زجرهم عن ذلك بقوله
كلا وبل حرف وضع في اللغة لنفي شيء قد تقدم وتحقيق غيره فلا جرم ذكروا في تفسير كلا وجوها. الاول قال القاضي معناه
انكم لا تستقيمون على توجيه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون بيوم الدين. الثاني كلا اي ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله ثم كانه
قال وانهم لا يرتدعون عن ذلك بل يكذبون بالدين اصلا. الثالث قال القفال كلا اي ليس الامر كما يقولون من انه لا بعث ولا نشور
لان ذلك يوجب ان الله تعالى خلق الخلق عبثا وسدى وحاشاه من ذلك. ثم كانه قال وانهم لا ينتفعون بهذا البيان بل يكذبون بالدين
وفي قوله تكذبون بالدين وجهان. الاول ان يكون المراد من الدين الاسلام. والمعنى انكم تكذبون بالجزاء على الدين والاسلام. والثاني
ان يكون المراد من الدين الحساب. والمعنى انكم تكذبون بيوم الحساب. النوع الثاني قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون. والمعنى التعجب من حالهم كانه سبحانه قال انكم تكذبون بيوم الدين وهو يوم الحساب والجزاء وملائكة الله
موكلون بكم يكتبون اعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيمة. ونظيره قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد. وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة. ثم هاهنا مباحث. الاول من الناس من طعن
في حضور الكرام الكاتبين من وجوه. احدها ان هؤلاء الملئكة اما ان يكونوا من الاجسام اللطيفة كالهوا والنسيم
والنار او من الاجسام الغليظة. فان كان الاول لزم ان ينتقض بنيتهم بادنى سبب من هبوب الرياح الشديدة وامرار اليد والكم
والسوط في الهوا. وان كان الثاني وجب ان نراهم اذ لو جاز ان يكونوا حاضرين ولا نراهم لجاز ان يكون بحضرتنا شموس واقمار
وجبال وبوقات ونحن لا نراها ولا نسمعها وذلك دخول في التجاهل. وكذا القول في انكار صحايفهم ودواتهم وقلمهم
وثانيها ان هذا الاستكتاب ان كان خاليا عن الفوائد فهو عبث وذلك غير جائز على الله تعالى. وان كان فيه فائدة قلنا الفائدة
اما ان تكون عائدة الى الله او الى العبد. والاول محال لانه متعال عن النفع والضر. وبهذا يظهر بطلان قول من يقول انه تعالى
انما استكتبها خوفا من النسيان والغلط. والثاني ايضا محال لان اقصى ما في الباب ان يقال فائدة هذا الاستكتاب ان يكونوا
شهودا على الناس وحجة عليهم يوم القيمة الا ان هذه الفائدة ضعيفة لان الانسان الذي علم ان الله تعالى لا يجور ولا يظلم
لا يحتاج في حقه الى اثبات هذه الحجة. والذي لا يعلم ذلك لا ينتفع بهذه الحجة لاحتمال انه تعالى امرهم بان يكتبوا تلك
الاشياء عليه ظلما. وثالثها ان افعال القلوب غير مرئية ولا محسوسة فتكون هي من باب المغيبات والغيب لا يعلمه الا الله
على ما قال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو. واذا لم تكن هذه الافعال معلومة للملئكة استحال ان يكتبوها. والاية
تقتضي ان يكونوا كاتبين علينا كل ما نفعله سواء كان ذلك من افعال القلوب ام لا. والجواب عن الاول ان هذه الشبهة لا تتوجه
الا على مذهبنا على اصلين. احدهما ان البنية ليست شرطا للحياة عندنا. والثاني ان عند سلامة الحاسة وحضور المرئي وحصول
ساير الشرائط لا يجب الادراك. فعلى الاصل الاول يجوز ان تكون الملئكة اجراما لطيفة تمزق وتفرق ولكن تبقى حياتها مع ذلك
وعلى الاصل الثاني يجوز ان يكونوا اجساما كثيفة لكنا لا نراها. والجواب عن الثاني ان الله تعالى انما اجرى اموره مع عباده
على ما يتعاملون به فيما بينهم لان ذلك ابلغ في تقرير المعنى عندهم. ولما كان الابلغ عندهم في المحاسبة اخراج كتاب بشهود
خوطبوا بمثل هذا فيما يحاسبون به يوم القيمة فيخرج لهم كتب منشورة ويحضر هناك ملائكة يشهدون عليهم كما يشهد عدول
السلطان على من يعصيه ويخالف امره. فيقولون له اعطاك الملك كذا وكذا وفعلت كذا وكذا. ثم قد خالفته وفعلت
كذا فكذا هاهنا والله اعلم بحقيقة ذلك. والجواب عن الثالث ان غاية ما في الباب تخصيص هذا العموم بافعال الجوارح
وذلك غير ممتنع. البحث الثاني ان قوله تعالى وان عليكم وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة مجمعة على ان هذا الحكم
عام في حق كل المكلفين. ثم هاهنا احتمالان. احدهما ان يكون هناك جمع من الحافظين وذلك الجمع يكونون حافظين لجميع بني
آدم من غير ان يختص واحد من الملئكة بواحد من بني آدم. وثانيها ان يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر. ثم يحتمل
ان يكون الموكل بكل واحد من بني آدم واحدا من الملئكة لانه يقال قابل الجمع بالجمع وذلك يقتضي مقابلة الفرد بالفرد
ويحتمل ان يكون الموكل بكل واحد منهم جمعا من الملئكة كما قيل اثنان بالليل واثنان بالنهار. او كما قيل انهم خمسة. البحث الثالث
انه تعالى وصف هؤلاء الملئكة بصفات. اولها كونهم حافظين. وثانيها كراما. وثالثها كونهم كاتبين. ورابعها قوله يعلمون
ما تفعلون. وفيه وجهان. احدهما انهم يعلمون تلك الافعال حتى يمكنهم ان يكتبوها. وهذا تنبيه على ان الانسان لا يجوز
له الشهادة الا بعد العلم. والثاني انهم يكتبونها حتى يكونوا عالمين بها عند اداء الشهادة. واعلم ان وصف الله اياهم
بهذه الصفات الحسنة يدل على انه تعالى اثنى عليهم وعظم شأنهم. وفي تعظيمهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله تعالى
من جلائل الامور. ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه هؤلاء العظماء الاكابر. قال ابو عثمان من لم يزجره عن المعاصي مراقبة
الله اياه كيف يرده عنها الكرام الكاتبين. النوع الثالث من تفاريع مسألة الحشر قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار

لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا والامر يومئذ لله اعلم انه تعالى بعد ان وصف الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر احوال العاملين فقال ان الابرار
لفي نعيم وهو نعيم الجنة • وان الفجار لفي جحيم وهو النار • وفيه مسئلتان المسئلة الاولى ان القاطعين بوعيد اصحاب
الكبائر تمسكوا بهذه الآية فقالوا صاحب الكبيرة فاجر • والفجار كلهم في الجحيم لان لفظ الفجار اذا دخل عليه الالف واللام
افاد الاستغراق • والكلام في هذه المسئلة قد استقصيناه في سورة البقرة • وها هنا نكتة زائدة لا بد من ذكرها وهي ان
الوعيدية حصلت في هذه الآية وجوه دالة على دوام الوعيد • احدها قوله تعالى يصلونها يوم الدين ويوم
الدين يوم الجزاء ولا وقت الا ويدخل فيه كما تقول يوم الدنيا ويوم الآخرة • الثاني قال الجبائي لو خصصنا قوله وان
الفجار لفي جحيم لكان بعض الفجار يصيرون الى الجنة ولو صاروا اليها لكانوا من الابرار • وهذا يقتضي ان لا يتميز الفجار
عن الابرار • وذلك باطل لان الله تعالى ميز بين الامرين فاذن يجب ان لا يدخل الفجار الجنة كما لا يدخل الابرار النار
والثالث انه تعالى قال وما هم عنها بغائبين فهو كقوله وما هم بخارجين منها • واذا لم يكن هناك موت ولا غيبة فليس
بعدهما الا الخلود في النار ابد الآبدين • ولما كان اسم الفاجر يتناول الكافر والمسلم صاحب الكبيرة ثبت بقاء اصحاب
الكبائر ابدا في النار وثبت ان الشفاعة للمطيعين لا لاهل الكبائر والجواب انا بينا ان دلالة الفاظ العموم على
الاستغراق دلالة ظنية ضعيفة • والمسئلة قطعية • والتمسك بالدليل الظني في المطلوب القطعي غير جائز بل
ها هنا ما يدل على قولنا لان استعمال الجمع المعرف بالالف واللام في المعهود السابق شائع في اللغة فيحتمل ان يكون اللفظ
ها هنا عائدا الى الكافرين الذين تقدم ذكرهم من المكذبين بيوم الدين • والكلام في ذلك قد تقدم على سبيل الاستقصاء
سلمنا ان العموم يفيد القطع • ولا نسلم ان صاحب الكبيرة فاجر • والدليل عليه قوله تعالى في حق الكفار اولئك هم
الكفرة الفجرة • او المراد اولئك هم الكفرة وهم الفجرة • والاول باطل لان كل كافر فهو فاجر بالاجماع فتقييد الكافر بالكافر
الذي يكون من جنس الفجرة عبث • واذا بطل هذا القسم بقي الثاني • وذلك يفيد الحصر • واذا دلت هذه الآية
على ان الكفار هم الفجرة لا غيرهم ثبت ان صاحب الكبيرة ليس بفاجر على الاطلاق • سلمنا ان الفجار يدخل تحته الكافر والمسلم
لكن قوله وما هم عنها بغائبين معناه ان مجموع الفجار لا يكونون غائبين • ونحن نقول بموجبه • فان احد نوعي الفجار
وهم الكفار لا يكونون يغيبون • واذا كان كذلك ثبت تصدق قولنا ان الفجار باسرهم لا يغيبون يكفي فيه ان لا يغيب
الكفار فلا حاجة في صدقه الى ان لا يغيب المسلمون • سلمنا ذلك لكن قوله وما هم عنها بغائبين يقتضي كونهم في الحال في الجحيم
وذلك كذب فلا بد من صرفه عن الظاهر فهم يحملونه على انهم بعد الدخول في الجحيم يصدق عليهم قوله وما هم عنها بغائبين
ونحن نحمل ذلك على انهم في الحال ليسوا غائبين عن استحقاق الكون في الجحيم الا ان ثبوت الاستحقاق لا ينافي العفو سلمنا
ذلك لكنه معارض بالدلائل الدالة على العفو وعلى ثبوت الشفاعة لاهل الكبائر • والترجيح لهذا الجانب لان دليلهم لا بد
وان يتناول جميع الفجار في جميع الاوقات والا لم يحصل مقصودهم ودليلنا يكفي في صحته تناوله لبعض الفجار في بعض
الاوقات فدليلهم لا بد وان يكون عاما • ودليلنا لا بد وان يكون خاصا • والخاص مقدم على العام والله اعلم المسئلة الثانية
فيه تهديد عظيم للعصاة حكي ان سليمان بن عبد الملك مر بالمدينة وهو يريد مكة فقال لابي حازم كيف القدوم على الله غدا
قال اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله • واما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه • قال فبكى ثم قال ليت شعري ما لنا عند الله
فقال ابو حازم اعرض عملك على كتاب الله قال في اي مكان قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم • وقال جعفر الصادق
عليه السلام النعيم المعرفة والمشاهدة • والجحيم ظلمات الشهوات • وقال بعضهم النعيم القناعة والجحيم الطمع • وقيل
النعيم التوكل والجحيم الحرص • وقيل النعيم الاشتغال بالله والجحيم الاشتغال بغير الله تعالى • النوع الرابع من تقرير اثبات
الحشر تعظيم يوم القيمة وهو قوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
والامر يومئذ لله • وفيه مسائل المسئلة الاولى اختلفوا في الخطاب في قوله وما ادراك فقال بعضهم هو خطاب
للكافر على وجه الزجر له وقال الاكثرون انه خطاب للرسول وانما خاطبه بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحي
المسئلة الثانية الجمهور على ان التكرير في قوله وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين لتعظيم ذلك اليوم
وقال الجبائي بل هو لفائدة مجددة اذ المراد بالاول اهل النار والمراد بالثاني اهل الجنة كانه قال وما ادراك ما يعامل به
الفجار في يوم الدين ثم ما ادراك ما يعامل به الابرار • وكرر يوم الدين تعظيما لما يفعله تعالى في الامرين من تعذيب الفريقين [?]
المسئلة الثالثة في يوم لا تملك قراءتان الرفع والنصب • اما الرفع ففيه وجهان احدهما على البدل من يوم الدين
والثاني ان يكون باضمار هو فيكون المعنى هو يوم لا تملك • واما النصب ففيه وجوه • احدها باضمار يدانون لان الدين
يدل عليه • وثانيها باضمار اذكروا • وثالثها ما ذكره الزجاج يجوز ان يكون في موضع رفع الا انه يبنى على الفتح لاضافته

الى قوله لا تملك • وما اضيف الى غير المتمكن قد يبنى على الفتح وان كان في موضع رفع او جر كما قال لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت
حمامة في غصون ذات اوقال • فبني غير على الفتح لما اضيف الى قوله ان نطقت قال الواحدي والذي ذكره الزجاج من البناء على
الفتح انما يجوز عند الخليل وسيبويه اذا كانت الاضافة الى الفعل الماضي نحو قوله على حين عاتبت • اما مع الفعل المستقبل فلا يجوز
البناء عندهم ويجوز ذلك في قول الكوفيين • وقد ذكرنا هذه المسئلة عند قوله هذا يوم ينفع الصادقين • وزعم ما ذكره ابو علي وهو
ان اليوم لما جرى في اكثر الامر ظرفا ترك على حاله الاكثرية • والدليل عليه اجماع القراء والعرب في قوله منهم الصالحون ومنهم
دون ذلك ولا يرفع ذلك احد • ومما يقوي النصب قوله وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس • وقوله يسألون ايان
يوم الدين يوم هم على النار يفتنون • فالنصب في يوم لا تملك مثل هذا المسئلة الرابعة تمسكوا في نفي الشفاعة للعصاة
بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا وهو كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا والجواب عنه قد تقدم في
سورة البقرة المسئلة الخامسة ان اهل الدنيا قد كانوا يتغلبون على الملك ويعين بعضهم بعضا في اموره ويحمي بعضهم
بعضا فاذا كان يوم القيمة بطل ملك بني الدنيا وزالت رياساتهم فلا يحمي احد احدا ولا يغني احد عن احد ولا يتغلب احد
على ملك • ونظيره قوله الملك يومئذ لله • وقوله مالك يوم الدين • وهو وعيد عظيم من حيث انه عرفهم انه لا يغني عنهم
الا البر والطاعات يومئذ دون سائر ما كان يغني عنهم في الدنيا من مال وولد واعوان وشفعاء قال الواحدي • والمعنى
ان الله تعالى لم يملك في ذلك اليوم احدا شيئا من الامور كما ملكهم في دار الدنيا • قال الواسطي في قوله تعالى لا تملك نفس
لنفس شيئا انه اشارة الى فناء غير الله تعالى وهناك تذهب الرسالات والكلمات والغايات • فمن كانت صفته في الدنيا كذلك
كانت دنياه آخرته • واما قوله والامر يومئذ لله فهو اشارة الى ان البقاء والوجود لله والامر كذلك في الازل وفي اليوم وفي
الآخرة ولم يتغير من حال الى حال • فالتفاوت عائد الى احوال الناظر لا الى احوال المنظور اليه فالكاملون لا يتفاوت احوالهم
بحسب تفاوت الاوقات كما قال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا • وحارثة لما اخبر بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كاني انظر
وكاني وكاني والله اعلم • والحمد لله رب العالمين • وصلاته وسلامه على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد النبي وآله وصحبه وسلم

## سورة المطففين ثلاثون وست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا
كالوهم او وزنوهم يخسرون اعلم ان اتصال اول هذه السورة بالسورة المتقدمة ظاهر لانه تعالى بين في آخر تلك السورة ان يوم القيمة
يوم من صفته انه لا تملك نفس لنفس شيئا والامر كله لله وذلك يقتضي تهديدا عظيما للعصاة فلهذا اتبعه بقوله ويل للمطففين
والمراد الزجر عن التطفيف وهو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية وذلك لان الكثير يظهر فيمتنع منه
وذلك القليل ان ظهر ايضا منع منه فعلمنا ان التطفيف هو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية • وها هنا
مسائل المسئلة الاولى الويل كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل لك وويل عليك المسئلة الثانية في اشتقاق
لفظ المطفف قولان • الاول ان طف الشيء هو جانبه وحرفه • يقال طف الوادي والاناء اذا بلغ الشيء الذي فيه حرفه ولم يمتلئ فهو طفافه
وطفافه وطففه • ويقال هذا طف المكيال وطفافه اذا قارب ملاه لكنه بعد لم يمتلئ • ولهذا قيل للذي يبخس الكيل ولا يوفيه مطفف
يعني انه انما يبلغ الطفاف • والثاني وهو قول الزجاج انه انما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكون الذي يسرق
في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف • وها هنا سؤالات الاول وهو ان الاكتيال الاخذ بالكيل كالاتزان الاخذ بالميزان
ثم ان اللغة المعتادة ان يقال اكتلت من فلان ولا يقال اكتلت على فلان فما الوجه فيه ها هنا الجواب من وجهين • الاول لما كان
اكتيالهم من الناس اكتيالا فيه اضرار بهم وتحامل عليهم اقيم على مقام من للدلالة على ذلك الثاني قال الفراء المراد اكتالوا من الناس
وعلى ومن في هذا الموضع يعتقبان لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك • واذا قال اكتلت منك
فهو كقوله استوفيت منك السؤال الثاني هو ان اللغة المعتادة ان يقال كالوا لهم او وزنوا لهم ولا يقال كلته او وزنته
فما وجه قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم • والجواب من وجوه • الاول ان المراد من قوله كالوهم او وزنوهم كالوا
لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل قال الكسائي والفراء وهذا من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم يقولون زني كذا كل لي
كذا ويقولون صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك فعلى هذا الكناية في كالوهم ووزنوهم في موضع نصب بحذف
الجار وايصال الفعل قال الكسائي الثاني ان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه • والتقدير واذا كالوا
مكيلهم او وزنوا موزونهم • الثالث يروى عن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا يجعلان الضميرين توكيدا لما في كالوا ويقفان
عند الواو وقيفة يبينان بها ما ارادوا • وزعم الفراء والزجاج انه غير جائز لانه لو كان بمعنى كالوا هم لكان في المصحف الف

منبه قبلهم ٭ واعترض صاحب الكشاف على هذه الحجة فقال ان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط
والجواب انا اثبات هذه الالف لو لم يكن معتادة في زمان الصحابة لمنع من اثباتها في سائر الاعصار لما انا نعلم مبالغتهم في
ذلك فثبت ان اثبات هذه الالف كان معتادا في زمان الصحابة فكان يجب اثباته هاهنا السؤال الثالث ما السبب في انه قال
اولا ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا ولم يقل اذا اتزنوا ٭ ثم قال واذا كالوهم او وزنوهم فجمع بينهما الجواب ان الكيل والوزن
بهما الشراء والبيع ٭ فاحدهما يدل على الآخر السؤال الرابع اللغة المعتادة ان يقال خسرته فما الوجه في اخسرته الجواب
قال الزجاج اخسرت الميزان وخسرته سواء اي نقصته ٭ وعن المؤرج يخسرون ينقصون بلغة قريش المسألة الثالثة
عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى هذه الآية
فاحسنوا الكيل بعد ذلك ٭ وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت
هذه الآية ٭ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض
قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم ٭ وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر ٭ وما ظهرت فيهم الفاحشة الا
فشا فيهم الموت ٭ ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ٭ ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر المسألة الرابعة
الذم انما لحقهم بمجموع انهم يأخذون زائدا ويدفعون ناقصا ٭ ثم اختلف العلماء فقال بعضهم هذه الآية دالة على الوعيد
فلا يتناول الا اذا بلغ التطفيف حد الكثير وهو نصاب السرقة ٭ وقال الآخرون بل ما يصغر ويكبر دخل تحت الوعيد لكن بشرط
ان لا يكون معه توبة ولا طاعة اعظم منها وهذا هو الاصح المسألة الخامسة احتج اصحاب الوعيد بعموم هذه
الآية ٭ قالوا وهذه الآية واردة في اهل الصلاة لا في الكفار ٭ والذي يدل عليه وجهان ٭ الاول انه لو كان كافرا
لكان ذلك الكفر اولى باقتضاء هذا الويل من التطفيف لم يكن حينئذ للتطفيف اثر في هذا الويل لكن الآية دالة على ان
الموجب لهذا الويل هو التطفيف ٭ الثاني انه تعالى قال للمخاطبين بهذه الآية الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
فكانه تعالى هدد المطففين بعذاب يوم القيمة والتهديد بهذا لا يحصل الا مع المؤمنين فثبت بهذين الوجهين ان هذا
الوعيد مختص باهل الصلاة ٭ والجواب عنهما تقدم مرارا ٭ ومن لواحق هذه المسألة ان هذا الوعيد يتناول من يفعل
ذلك ومن يعزم عليه اذ العزم عليه ايضا من الكبائر ٭ واعلم ان امر المكيال والميزان عظيم ٭ وذلك لان عامة الخلق
يحتاجون الى المعاملات وهي مبنية على امر المكيال والميزان ٭ ولهذا السبب عظم الله امره فقال والسماء رفعها ووضع
الميزان الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ٭ وقال ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا
معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ٭ وعن قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك ٭ واعدل كما تحب ان يعدل لك
عن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة ٭ وقال اعرابي لعبد الملك بن مروان قد سمعت ما قال الله في المطففين
اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في اخذ القليل فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين
بلا كيل ولا وزن قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين اعلم انه تعالى
وبخ هؤلاء المطففين فقال الا يظن اولئك الذين يطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم وهو يوم القيمة ٭ وفي الظن
هاهنا قولان ٭ الاول ان المراد منه العلم ٭ وعلى هذا التقدير يحتمل ان يكون المخاطبون بهذا الخطاب من
جملة المصدقين بالبعث ٭ ويحتمل ان لا يكونوا كذلك ٭ اما الاحتمال الاول فهو ما روي ان المسلمين من اهل المدينة وهم
الاوس والخزرج كانوا كذلك وحين ورد النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك شايعا فيهم وكانوا مصدقين بالبعث والنشور
فلا جرم ذكروا به ٭ واما ان قلنا بان المخاطبين بهذه الآية ما كانوا مؤمنين بالبعث الا انهم كانوا متمكنين من الاستدلال
عليه لما في العقول من ايصال الجزاء الى المحسن والمسيء او امكان ذلك ان لم يثبت وجوبه ٭ وهذا مما يجوز ان يخاطب به من
ينكر البعث ٭ والمعنى لا يتفكرون حتى يعلموا انهم مبعوثون ٭ ولكنهم قد اعرضوا عن الفكر واراحوا انفسهم
عن متاعبه ومشاقه ٭ وانما يجعل العلم الاستدلالي ظنا لان اكثر العلوم الاستدلالية راجح الى الاغلب في الرأي
ولم يكن كالشك الذي يعتدل الوجهان فيه لاجرم سمي ذلك ظنا ٭ القول الثاني ان المراد من الظن هاهنا هو الظن
نفسه لا العلم ٭ ويكون المعنى ان هؤلاء المطففين هب انهم لا يجزمون بالبعث ولكن لا اقل من الظن فان الاليق بحكمة
الله ورحمته ورعايته مصالح خلقه ان لا يهمل امرهم بعد الموت بالكلية وان يكون لهم حشر ونشر ٭ وان هذا الظن
كاف في حصول الخوف كانه سبحانه وتعالى يقول هب ان هؤلاء لا يقطعون به افلا يظنونه ايضا فاما قوله تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين ففيه مسائل المسألة الاولى قرئ بالنصب والجر ٭ اما النصب فقال الزجاج يوم
منصوب بقوله مبعوثون المعنى الا يظنون انهم يبعثون يوم القيمة ٭ وقال الفراء وقد يكون في موضع خفض
الا انه اضيف الى يفعل فنصب ٭ وهذا كما ذكرنا في قوله يوم لا تملك ٭ واما الجر فلكونه بدلا من يوم عظيم المسألة الثانية

هذا القيام

هذا القيام له صفات الصفة الاولى سببه وفيه وجوه ٭ احدها وهو الاصح ان الناس يقومون لحساب رب العالمين فيظهر
هنالك هذا التطفيف الذي يظنون انه حقير فيعرف هنالك كثرته واجتماعه ٭ ويقرب منه قوله يوم يقوم الاشهاد
وثانيها انه سبحانه يرد الارواح الى اجسادها فتقوم تلك الاجساد من مراقدها فذاك هو المراد من قوله يوم يقوم الناس
لرب العالمين ٭ وثالثها قال ابو مسلم معنى يقوم الناس لرب العالمين هو كقوله وقوموا لله قانتين اي لمحض امره وطاعته
الصفة الثانية كيفية ذلك القيام روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه
وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده الصفة
الثالثة كمية ذلك القيام ٭ روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال يقوم الناس مقدار ثلثمائة سنة من الدنيا لا يؤمر فيهم بامر
وعن ابن مسعود يمكثون اربعين عاما ثم يخاطبون ٭ وقال ابن عباس وهو في حق المؤمنين كقدر انصرافهم من الصلاة
واعلم انه سبحانه جمع في هذه الآية انواعا من التهديد ٭ ثم قال الا يظن اولئك وهو استفهام بمعنى الانكار ٭ ثم قال ليوم عظيم ٭ ثم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين ...
قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا تتلى
عليه آياتنا قال اساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون اعلم انه سبحانه لما بين عظم هذا الذنب اتبعه بذكر نواحيه واحكا
فاولها قوله كلا والمفسرون ذكروا فيه وجوها ٭ الاول انه ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من التطفيف والغفلة
عن ذكر البعث والحساب فليرتدعوا ٭ وتمام الكلام هاهنا ٭ الثاني قال ابو حاتم كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا
ان كتاب الفجار لفي سجين وهو قول الحسن ٭ النوع الثاني انه وصف كتاب الفجار بالخسة والحقارة على سبيل الاستخفاف بهم
وهاهنا سؤالات الاول السجين اسم علم لشيء معين او اسم مشتق عن معنى ٭ قلنا فيه قولان ٭ الاول وهو قول جمهور
المفسرين انه اسم علم لشيء معين ٭ ثم اختلفوا فيه ٭ فالاكثرون على انه الارض السابعة السفلى وهو قول ابن عباس
في رواية عطاء وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد ٭ وروى البراء انه عليه السلام قال سجين اسفل سبع ارضين
قال عطاء الخراساني وفيها ابليس وذريته ٭ وروى ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال سجين جب في جهنم
وقال الكلبي ومجاهد سجين صخرة تحت الارض السابعة ٭ القول الثاني ان سجينا فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق
كما يقال فسيق من الفسق وهو قول ابي عبيدة والمبرد والزجاج قال الواحدي وهذا ضعيف ٭ والدليل على ان سجينا
ليس مما كانت العرب تعرفه قوله وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك ٭ ثم اقول هذا ضعيف
ولعله انما ذكر ذلك تعظيما لامر سجين كما في قوله وما ادراك ما يوم الدين ٭ قال صاحب الكشاف والسجين فعيل ماخوذ من السجن
ثم انه هاهنا اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف ٭ اذا
عرفت هذا فنقول قد ذكرنا ان الله تعالى اجرى امورا مع عباده على ما تعارفوه من التعامل فيما بينهم وبين عظمائهم
فالجنة موصوفة بالعلو والصفاء والفسحة وحضور الملائكة المقربين فكل ذلك من صفات الكمال والعزة واضدادها
من صفات النقص والذل ٭ فلما اريد وصف الكفرة وكتابهم بالذلة والحقارة قيل انه في موضع التسفل والظلمة والضيق
وحضور الشياطين ٭ ولما وصف كتاب الابرار بالعزة قيل انه في عليين وتشهده الملائكة المقربون السؤال الثاني
قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه في سجين ثم فسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه اجا

اعلم انه سبحانه لما بين عظم هذا الذنب

القفال فقال قوله كتاب مرقوم ليس تفسيرا للسجين بل التقدير كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وان كتاب الفجار كتاب مرقوم
فيكون هذا وصفا لكتاب الفجار بوصفين • احدهما انه في سجين • والثاني انه مرقوم • ووقع قوله وما ادراك ما
سجين فيما بين الوصفين معترضا والله اعلم • والاولى ان يقال واي استبعاد في كون احد الكتابين في الآخر
اما بان يوضع كتاب الفجار في الكتاب الذي هو الاصل المرجوع اليه في تفصيل احوال الاشقياء او بان ينقل ما في كتاب
الفجار الى ذلك الكتاب المسمى بالسجين • وفيه وجه ثالث وهو ان يكون المراد من الكتاب الكتابة فيكون المعنى كتابة
الفجار لفي سجين اي كتابة اعمالهم في سجين • ثم وصف السجين بانه كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الفجار السؤال الثالث
ما معنى قوله كتاب مرقوم قلنا فيه وجوه • احدها مرقوم اي مكتوبة اعمالهم فيه • وثانيها قال قتادة رقم لهم بسوء اي
كتب لهم بايجاب النار • وثالثها قال القفال يحتمل ان يكون المراد انه جعل ذلك الكتاب مرقوما كما يرقم التاجر ثوبه
علامة القيمة فكذلك كتاب الفاجر جعل مرقوما برقم دال على شقاوته • ورابعها المرقوم ههنا المختوم قال الواحدي
وهو صحيح لان الختم علامة فيجوز ان يسمى المرقوم مختوما • وخامسها ان المعنى كتاب مثبت عليهم كالرقم في الثوب
لا ينمحي • اما قوله ويل يومئذ للمكذبين ففيه وجهان • احدهما انه متصل بقوله يوم يقوم الناس اي يقوم الناس لرب
العالمين لمن كذب باخبار الله • والثاني ان قوله مرقوم معناه مرقوم برقم دال على الشقاوة يوم القيمة ثم قال ويل يومئذ
للمكذبين في ذلك اليوم من ذلك الكتاب • ثم انه تعالى اخبر عن صفات من يكذب بيوم الدين فقال وما يكذب به الا
كل معتد اثيم • اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين • ومعناه انه لا يكذب بيوم الدين الا من كان موصوفا بهذه
الصفات • فاولها كونه معتديا • والاعتداء هو التجاوز عن المنهج الحق • وثانيها الاثيم وهو مبالغة في ارتكاب الاثم
والمعاصي • واقول ان الانسان له قوتان • قوة نظرية • وكمالها في ان يعرف الحق لذاته • وقوة عملية وكمالها في ان يعرف
الخير لاجل العمل به • وضد الاول ان يصف الله تعالى بما لا يجوز وصفه به فان كل من منع من امكان البعث والقيمة انما
منع اما لانه لم يعلم تعلق قدرة الله بجميع الممكنات • فهذا هو الاعتداء • وضد القوة العملية هو الاشتغال بالشهوة
والغضب • وصاحبه هو الاثيم • وذلك لان المشتغل بالشهوة والغضب لم يتفرغ للعبادة والطاعة • وربما
صار ذلك مانعا له عن الايمان بالقيمة واما الصفة الثالثة للمكذب بيوم الدين فهو قوله واذا تتلى عليه آياتنا قال
اساطير الاولين • والمراد منه الذين ينكرون النبوة • والمعنى اذا تلي عليه القرآن قال اساطير الاولين وفيه وجهان احدهما
اكاذيب الاولين • والثاني اخبار الاولين وانه عنهم اخذ اي يقدح في كون القرآن من عند الله بهذا الطريق • وههنا
بحث آخر وهو ان هذه الصفات هل المراد منها شخص معين ام لا فيه قولان • الاول وهو قول الكلبي ان المراد منه الوليد
ابن المغيرة وقال آخرون انه النضر بن الحارث • واحتج من قال انه الوليد بانه تعالى قال في سورة ن ولا تطع كل حلاف
مهين الى قوله معتد اثيم الى قوله اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين فقيل انه الوليد بن المغيرة • وعلى هذا التقدير
يكون المعنى وما يكذب بيوم الدين من قريش او من قومنا الا كل معتد اثيم وهو هذا الشخص المعين • والقول الثاني انه
عام في حق جميع الموصوفين بهذه الصفات • اما قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فالمعنى ليس الامر كما
يقوله من ان ذلك اساطير الاولين بل افعالهم الماضية صارت سببا لحصول الرين في قلوبهم ولاهل اللغة في تفسير
لفظ الرين وجوه ولاهل التفسير وجوه اخر • اما اهل اللغة فقال ابو عبيدة ران على قلوبهم غلب عليها • والخمر ترين على
عقل السكران والموت يرين على الميت فيذهب به قال الليث • ران النعاس والخمر في الرأس اذا رسخ فيه وهو يرين رينا
وربونا ومن هذا حديث عمر في اسيفع جهينة لما ركبه الدين اصبح قد رين به • قال ابو زيد يقال رين بالرجل يران به رينا اذا
وقع فيما لا يستطيع الخروج منه • قال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو
اشد من الرين • والاقفال اشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب قال الزجاج ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم
يقال ران على قلبه الذنب يرين رينا اي غشيه • والرين كالصدا يغشى القلب ومثله الغين • اما اهل التفسير
فلهم وجوه قال الحسن ومجاهد هو الذنب على الذنب حتى يحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت القلب • وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والمحقرات من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحيما ضخمة
وعن مجاهد القلب كالكف • فاذا اذنب الذنب انقبض • واذا اذنب ذنبا آخر انقبض ثم يطبع عليه وهو الرين • وقال
آخرون كلما اذنب الانسان حصلت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله • وروي هذا مرفوعا في حديث
ابي هريرة • قلت لا شك ان تكرر الافعال سبب لحصول ملكة نفسانية فان من اراد تعلم الكتابة فكلما كان اتيانه بعمل
الكتابة اكثر كان اقتداره على عمل الكتابة اتم الى ان يصير بقدر على الاتيان بالكتابة من غير روية ولا فكر فهذه الهيئة النفسانية
لما تولدت من تلك الاعمال الكثيرة كان لكل واحد من تلك الاعمال اثر في حصول الهيئة النفسانية • اذا عرفت هذا فنقول

الانسان اذا واظب



بل ران

الانسان اذا واظب على [illegible] بسبب الذنوب حصل في قلبه ملكة نفسانية على [illegible]

[illegible]

الحجاب ليس عبارة عن عدم الروية

[illegible]
تعالى وهو اما العلم واما الرؤية ولا يمكن حمله على العلم لانه ثابت بالاتفاق للكفار فوجب حمله على الرؤية اما
صرفه الى الرحمة فهو عدول عن الظاهر من غير دليل • ثم الذي يؤكد ما ذكرناه من الدليل اقوال المفسرين قال مقاتل
معنى انهم بعد العرض والحساب لا يرون ربهم • وقال الكلبي يقول انهم عن النظر الى رؤية ربهم لمحجوبون والمؤمن
لا يحجب عن رؤية ربه • وسئل مالك بن انس عن هذه الآية فقال لما حجب اعداءه فلم يروه فلابد ان يتجلى لاوليائه حتى
يروه • وعن الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا اما قوله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم
فالمعنى انهم لما صاروا محجوبين في عرصة القيامة اما عن رؤية الله على قولنا • او عن رحمة الله وكرامته على قول
المعتزلة فعند ذلك يؤمر بهم الى النار • ثم اذا دخلوا النار وبخوا بتكذيبهم بالبعث والجزاء فقيل لهم هذا الذي كنتم
به تكذبون في الدنيا • والآن عاينتموه فذوقوه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون
كتاب مرقوم يشهده المقربون اعلم انه تعالى لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه بذكر حال الابرار الذين لا يطففون
فقال كلا اي ليس الامر كما توهمه اولئك الفجار من انكار البعث • ومن ان كتاب الله اساطير الاولين واعلم

ان لاهل اللغة في لفظ عليين اقوالا • ولاهل التفسير ايضا اقوالا • اما اهل اللغة قال ابو الفتح الموصلي عليين جمع علي
وهو فعيل من العلو وقال الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع كما تقول هذا قنسرون
ورايت قنسرين • واما المفسرون فروى عن ابن عباس انها السما الرابعة • وفي رواية اخرى انها السما السابعة
وقال قتادة ومقاتل انها قايمة العرش اليمنى فوق السما السابعة وقال الضحاك هي سدرة المنتهى وقال الفرا
يعني ارتفاعا بعد ارتفاع لا غاية له وقال الزجاج اعلى الامكنة وقال الاخرون هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة
قد عظمها الله واعلى شانها وقال اخرون عند كتاب اعمال الملكة • وظاهر القران يشهد بهذا القول الاخير لانه
تعالى قال لرسوله وما ادراك ما عليون تنبيها له على انه معلوم له وانه سيعرفه • ثم قال كتاب مرقوم يشهده
المقربون • فبين ان كتابهم في هذا الكتاب المرقوم الذي يشهده المقربون من الملائكة فكانه تعالى كما وكلهم باللوح
فكذلك يوكلهم بحفظ كتب الابرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو ام الكتاب على وجه الاعظام له ولا يمتنع ان الحفظة
اذا صعدت بكتب الابرار فانهم يسلمونها الى هولاء المقربين فيحفظونه كما يحفظون كتب انفسهم او ينقلون ما في
تلك الصحايف الى ذلك الكتاب الذي وكلوا بحفظه • ويصير علمهم شهادة لهولاء الابرار فلذلك يحاسبون حسابا يسيرا
لان هولاء المقربين يشهدون لهم بما حفظوه من اعمالهم • واذا كان هذا الكتاب في السما صح قول من تاول ذلك على انه في
السما السابعة فتتقارب الاقوال في ذلك وان كان الذي ذكرناه اولى • واعلم ان المعتمد في تفسير هذه الاية ما بينا ان العلو
والفسحة والضيا والطهارة من علامات السعادة • والسفل والضيق والظلمة من علامات الشقاوة • فلما كان المقصود
من وضع كتاب الفجار في اسفل السافلين وفي اضيق المواضع اذلال الفجار وتحقير شانهم كذا المقصود من وضع كتاب الابرار
في اعلى عليين وشهادة الملكة لهم بذلك • وفي الاية وجه اخر وهو ان المراد من الكتاب الكتابة فيكون المعنى ان كتابة اعمال
الابرار في عليين ثم وصف عليين بانه كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الابرار وهو قول ابي مسلم اجلالا لهم وتعظيم شانهم • اما قوله تعالى كتاب مرقوم ففيه تاويلان • احدهما ان الكتاب المرقوم
كتاب اعمالهم • والثاني انه كتاب موضوع في عليين كتب فيه ما اعد الله لهم من الكرامة والثواب • واختلفوا في ذلك
الكتاب فقال مقاتل ان تلك الاشيا مكتوبة لهم في ساق العرش • وعن ابن عباس انه مكتوب في لوح من زبرجد معلق تحت
العرش وقال اخرون هو كتاب مرقوم بما يوجب سرورهم • وذلك بالضد من رقم كتاب الفجار بما يسوؤهم ويدل على هذا المعنى
قوله يشهده المقربون يعني الملايكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب • ومن قال انه كتاب الاعمال
قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملكة كرامة للمومن قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم على الارايك
ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك • وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون اعلم انه سبحانه لما عظم كتابهم في الاية المتقدمة عظم بهذه الاية منزلتهم
فقال ان الابرار لفي نعيم ثم وصف كيفية ذلك النعيم بامور ثلاثة • اولها قوله على الارايك ينظرون قال القفال
الارايك الاسرة في الحجال ولا تسمى اريكة فيما زعموا الا اذا كان كذلك • وعن الحسن كنا لا ندري ما الاريكة حتى لقينا رجلا
من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك • اما قوله ينظرون ففيه ثلاثة اوجه • احدها ينظرون الى انواع نعيمهم
في الجنة من الحور العين والولدان وانواع الاطعمة والاشربة والملابس والمراكب وغيرها قال عليه السلام يلحظ المومن
فيحيط بكل ما اتاه وان ادناهم يترايا له مثل سعة الدنيا • والثاني قال مقاتل ينظرون الى عدوهم حين يعذبون
والثالث اذا اشتهوا شيا نظروا اليه فيحضرهم ذلك الشي في الحال • واعلم ان هذه الاوجه الثلاثة من باب انواع جنس
واحد وهو المنظور اليه فوجب حمل اللفظ على الكل ويخطر بالبال تفسير رابع وهو اشرف من الكل وهو انهم ينظرون الى ربهم
ويتاكد هذا التاويل بانه قال بعد هذه الاية تعرف في وجوههم نضرة النعيم • والنظر المقرون بالنضرة هو رؤية
الله تعالى على ما قال وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة • ومما يوكد هذا التاويل انه يجب الابتدا بذكر اعظم اللذات
وما هي الا رؤية الله تعالى • وثانيها قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم • وفيه مسلتان المسلة الاولى
المعنى اذا رايتهم عرفت انهم اهل النعمة بسبب ما ترى في وجوههم من القراين الدالة على ذلك ثم في تلك القراين قولان
احدهما انه ما يشاهد في وجوههم من الضحك والاستبشار على ما قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة
والثاني قال عطا ان الله تعالى يزيد في وجوههم من النور والحسن والبياض ما لا يصفه واصف • وتفسير النضرة
قد سبق عند قوله ناضرة المسلة الثانية قري تعرف على البنا للمفعول ونضرة النعيم • وثالثها قوله يسقون
من رحيق وفيه مسيلتان المسلة الاولى في بيان ان الرحيق ما هو قال الليث الرحيق الخمر وانشد لحسان
بردى يصفق بالرحيق السلسل • وقال ابو عبيدة والزجاج الرحيق من الخمر ما لا غش فيه ولا شي يفسده
ولعله هو الخمر الذي وصفه الله تعالى بقوله لا فيها غول المسلة الثانية ذكر الله تعالى لهذا الرحيق صفات

الصفة الاولى

الصفة الاولى قوله ختامه مسك وفيه وجوه • الاول قال القفال يحتمل ان هولاء يسقون من شراب مختوم قد ختم عليه تكريما له
بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان • وهناك خمر اخرى تجري منها انهار كما قال وانهار من خمر لذة للشاربين
الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري • الثاني قال ابو عبيدة والمبرد والزجاج الختام اخر كل شي • الثالث

[illegible]

لان اصل هذه الكلمة للعلو والارتفاع

وضحكهم ثم بين ان ذلك سينقلب على الكفار في الاخرة • والمقصود منه تسلية المومنين وتقوية قلوبهم • وفيه مسايل المسئلة الاولى ذكروا في سبب النزول وجهين • الاول ان المراد من قوله ان الذين اجرموا اكابر المشركين كابي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل السهمي كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقرا المسلمين ويستهزون بهم • الثاني جا علي عليه السلام في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم • فقالوا راينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت هذه الاية قبل ان يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة الثانية انه تعالى حكى عنهم اربعة اشيا من المعاملات القبيحة فاولها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون اي يستهزون بهم وبدينهم • وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون اي يتفاعلون من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب • ويكون الغمز ايضا بمعنى العيب • يقال غمزه اذا عابه • وما في فلان غمزة اي ما يعاب به • والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هولاء يتعبون انفسهم ويحرمونها لذاتها ويخاطرون بانفسهم في ثواب لا يتيقنونه • وثالثها قوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية والتنعم بالدنيا • ويتفكهون بذكر المسلمين بالسوء • قرا عاصم في رواية حفص عنه فكهين بغير الف في هذا الموضع وحده • وفي سائر القران فاكهين بالالف • وقرا الباقون فاكهين بالالف • فقيل هما لغتان • وقيل فاكهين اي متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر والتنعم بالدنيا • وفكهين معجبين • ورابعها قوله تعالى واذا راوهم قالوا ان هولاء لضالون اي هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود ام لا • وهذا اخر ما حكاه عن الكفار ثم قال تعالى وما ارسلوا عليهم حافظين يعني ان الله تعالى لم يبعث هولاء الكفار رقبا على المومنين يحفظون عليهم احوالهم ويتفقدون ما يصنعونه من حق او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا بل انما امروا باصلاح نفسهم اما قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون • فيه مسئلتان المسئلة الاولى المعنى ان في هذا اليوم الذي هو يوم تصفح الاعمال والمحاسبة يضحك المومنون من الكفار • وفي سبب هذا الضحك وجوه احدها ان الكفار كانوا يضحكون على المومنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضر والبوس • وفي الاخرة يضحك المومنون على الكفار بسبب ما هم فيه من انواع العذاب والبلاء لانهم علموا انهم كانوا في الدنيا على غير شي وانهم قد باعوا باقيا بفان ويرون انفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم • ونالوا بالتعب اليسير راحة الابد ودخلوا الجنة فاجلسوا على الارايك ينظرون اليهم كيف يعذبون في النار وكيف يصطرخون فيها ويدعون بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا • والثاني قال ابو صالح • يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم ابوابها فاذا راوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج والمومنون ينظرون اليهم على الارايك فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذاك هو سبب الضحك المسئلة الثانية قوله على الارايك حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ثم قال تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون • ثوب بمعنى اثيب • قال اوس • سأجزيك او يجزيك عني مثوب • وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي • قال المبرد وهو فعل من الثواب اي الله المثيب الثواب وهو ما ثوب اي يرجع على فاعله جزاء ما عمله من خير او شر • والثواب يستعمل في المكافاة بالشر • انشد ابو عبيدة شعر • الا ابلغ ابا حسن رسولا • فما لك لا تجي الى الثواب • والاولى ان تحمل ذلك على سبيل التهكم كقوله ذق انك انت العزيز الكريم • والمعنى كانه تعالى يقول للمومنين هل جازينا الكفار على عملهم الذي كان من جملته ضحكهم بكم واستهزاوهم بطريقكم كما جازيناكم على اعمالكم الصالحة • فيكون هذا القول زايدا في سرورهم لانه يقتضي زيادة في تعظيمهم والاستخفاف باعدائهم والله اعلم • والحمد لله رب العالمين

شعر

## سورة الانشقاق عشرون وخمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا السما انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت واذنت لربها وحقت • اما انشقاق السما فقد مر شرحه في مواضع من القران • وعن علي عليه السلام انها تنشق من المجرة • اما قوله واذنت لربها فمعنى اذن استمع • ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران • وانشد ابو عبيدة والمبرد والزجاج قول قعنب شعر • صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسو عندهم اذنوا • والمعنى انه لم يوجد

جرم السما

جرم السما عن ممانعة تاثير قدرة الله تعالى حتى تشققها وتفريق اجزائها فكانت في قبول ذلك التاثير كالعبد الطايع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت له واذعن ولم يمتنع • وقوله اتينا طايعين يدل على نفوذ القدرة في الايجاد والابداع من غير ممانعة اصلا • وقوله هاهنا واذنت لربها يدل على نفوذ القدرة في التفريق والاعدام والافنا من غير ممانعة اصلا • واما قوله وحقت فهو من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع وذلك لانه جسم وكل جسم فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فان الوجود والعدم بالنسبة اليه على السوية وكل ما كان كذلك كان ترجيح وجوده على عدمه او ترجيح عدمه على وجوده لا يكون الا بتاثير واجب الوجود وترجيحه فيكون تاثير قدرته في ايجاده واعدامه نافذا ساريا من غير ممانعة اصلا • واما الممكن فليس له الا القبول والاستعداد • ومثل هذا الشي حقيق بان يكون قابلا للوجود تارة وللعدم اخرى من واجب الوجود • اما قوله واذا الارض مدت ففيه وجهان • الاول انه ماخوذ من مد الشي فامتد وهو ان تزال جبالها بالنسف كما قال تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيسوي ظهرها كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا • وعن ابن عباس مدت مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثنا فيه واستوى • والثاني انه ماخوذ من مده بمعنى امده اي زيدت في سعتها وبسطها يوم القيمة لوقوف الخلايق عليها للحساب واعلم انه لا بد من هذه الزيادة لان الخلايق واقفين يوم القيمة على ظهرها فلا بد من الزيادة في طولها وعرضها • اما قوله والقت ما فيها فالمعنى انها لما مدت رمت بما في جوفها من الموتى والكنوز وهو كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها واذا القبور بعثرت • وبعثر ما في القبور • وكقوله الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا • واما قوله وتخلت فالمعنى وتخلت غاية الخلو حتى لم يبق في باطنها شي كانها تكلفت اقصى جهدها في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما • واعلم ان التحقيق ان الله تعالى هو الذي اخرج تلك الاشيا من بطن الارض الى ظهرها لكن الارض وصفت بذلك على سبيل التوسع • واما قوله واذنت لربها وحقت فقد تقدم تفسيره الا ان الاول في السما وهذه في الارض واذا اختلف وجه الكلام لم يكن تكرارا قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اعلم ان قوله تعالى اذا السما انشقت الى قوله يا ايها الانسان شرط ولا بد له من جزا • واختلفوا فيه على وجوه • احدها قال صاحب الكشاف حذف جواب اذا ليذهب الوهم الى كل شي • فيكون ادخل في التهويل • وثانيها قال الفرا انما ترك الجواب لان هذا المعنى معروف قد تردد في القران معناه فعرف نظيره قوله انا انزلناه في ليلة القدر ترك ذكر القران لان التصريح به قد تقدم في سائر المواضع • وثالثها قال بعض المحققين الجواب هو قوله فملاقيه • وقوله يا ايها الانسان انك كادح معترض وهو كقول القايل اذا كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى عند ذلك ما عملت من خير او شر فكذا هاهنا • والتقدير اذا كان يوم القيمة لقي الانسان عمله • ورابعها ان المعنى محمول على التقديم والتاخير فكانه قيل يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السما انشقت • وقامت القيمة • وخامسها قال الكسائي ان الجواب في قوله فاما من اوتي كتابه واعترض في الكلام قوله يا ايها الانسان انك كادح والمعنى اذا السما انشقت وكان كذا وكذا فمن اوتي كتابه بيمينه فهو كذا • ومن اوتي كتابه ورا ظهره فهو كذا • ونظيره قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى دل عليه قوله انك كادح كانه تعالى قال يا ايها الانسان ترون ما عملتم فاكدح لذلك اليوم ايها الانسان لتفوز بالنعيم • اما قوله يا ايها الانسان ففيه قولان • الاول ان المراد جنس الناس كما يقال يا ايها الرجل وكلكم ذلك الرجل فكذا هاهنا وكانه خطاب خص به كل واحد من الناس قال القفال وهو ابلغ من العموم لانه قايم مقام التنصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام فانه لا يكون كذلك • والثاني ان المراد منه رجل بعينه • وهاهنا فيه قولان • الاول ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم • والمعنى انك تكدح في ابلاغ رسالات الله وارشاد عباده وتحمل الضرر من الكفار فابشر فانك تلقى الله بهذا العمل وهو غير ضايع عنده • الثاني قال ابن عباس هو ابي بن خلف • وكدحه جده واجتهاده في طلب الدنيا وايذا الرسول والاصرار على الكفر • والاقرب انه محمول على الجنس لانه اكثر فايدة • ولان قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه ورا ظهره كالنوعين له وذلك لا يتم الا اذا كان جنسا • اما قوله انك كادح فاعلم ان الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يوثر فيها من كدح جلده اذا خدشه • اما قوله الى ربك ففيه ثلاثة اوجه • احدها انك كادح الى لقا ربك وهو الموت اي هذا الكدح يستمر ويبقى الى هذا الزمان • واقول في هذا التفسير نكتة لطيفة وذلك لانها تقتضي ان الانسان لا ينفك في هذه الحياة الدنيوية من اولها الى اخرها عن الكدح والمشقة والتعب ولما كانت كلمة الى لانتها الغاية فهي تدل على وجوب انتها الكدح والمشقة بانتها هذه الحياة وان يكون الحاصل بعد هذه

الدنيا محض السعادة والرحمة وذلك معقول فان نسبة الآخرة الى الدنيا كنسبة الدنيا الى رحم الام فكما صح ان يقال
يا ايها الجنين انك كادح الى ان تنفصل من الرحم فكان ما بعد الانفصال عن الرحم بالنسبة الى ما قبله خلاصا عن الكدح
والظلمة فيرجو من فضل الله ان يكون الحال فيما بعد الموت كذلك • وثانيها قال القفال التقدير انك كادح في دنياك
كدحا تصير به الى ربك • فبهذا التأويل حسن استعمال حرف الى هاهنا • وثالثها يحتمل ان يكون دخول الى على معنى
ان الكدح هو السعي فكانه قال ساع بعملك الى ربك • اما قوله تعالى فملاقيه ففيه قولان • الاول قال الزجاج
فملاق ربك اي ملاق حكمه لا مفر لك منه • وقال آخرون الضمير عائد الى الكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى
فملاقاته ممتنعة فوجب ان يكون المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال • ويتأكد هذا التأويل بقوله
تعالى بعد هذه الآية فاما من اوتي كتابه بيمينه • اما قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا
يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا • فالمعنى فاما من اعطي كتاب اعماله بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وسوف
من الله واجب وهو كقول القائل اتبعني فسوف تجد خيرا فانه لا يريد به الشك وانما يريد ترقيق الكلام والحساب
اليسير هو ان تعرض عليه اعماله • ويعرف ان الطاعة منها هذه والمعصية هذه • ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية
فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا بالحجة
عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح • ثم انه عند هذا الحساب اليسير يرجع الى اهله مسرورا فائزا
بالثواب آمنا من العذاب • والمراد من اهله اهله في الجنة من الحور العين او من زوجاته وذرياته اذا كانوا مؤمنين
فدلت هذه الآية على انه سبحانه اعد له ولاهله في الجنة ما يليق به من الثواب • عن عائشة رضي الله عنها قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حاسبني حسابا يسيرا • قلت وما الحساب اليسير قال ينظر في كتابه ويتجاوز
عن سيئاته • فاما من نوقش في الحساب فقد هلك • فقلت يا رسول الله ان الله يقول فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب
حسابا يسيرا قال ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب • وفي قوله يحاسب اشكال لان المحاسبة تكون بين اثنين وليس
في القيمة لاحد قبل ربه مطالبة فيحاسبه • وجوابه ان العبد يقول الهي فعلت الطاعة الفلانية • والرب يقول فعلت
المعصية الفلانية فكان ذلك بين الرب والعبد محاسبة والدليل عليه انه تعالى خص الكفار بانه لا يكلمهم فدل
ذلك على انه يكلم المطيعين والعبد يكلمه فكانت المكالمة محاسبة • قوله تعالى واما من اوتي كتابه وراء ظهره فللمفسرين
فيه وجوه • احدها قال الكلبي السبب فيه لان يمينه مغلولة الى عنقه • ويده اليسرى خلف ظهره • وثانيها قال
مجاهد تخلع يده فتجعل من وراء ظهره • وثالثها قال قوم يتحول وجهه في قفاه فيقرأ كتابه لذلك • ورابعها انه يؤتى كتابه بشماله
من وراء ظهره • لانه اذا حاول اخذه بيمينه كالمؤمنين منع من ذلك واوتي من وراء ظهره بشماله • فان قيل اليس انه قال في
سورة الحاقة فاما من اوتي كتابه بشماله ولم يذكر الظهر والجواب من وجهين • احدهما يحتمل ان يؤتى بشماله وراء ظهره
على ما حكيناه عن الكلبي • وثانيهما ان يكون بعضهم يعطى بشماله وبعضهم من وراء ظهره • اما قوله تعالى فسوف يدعو ثبورا
فاعلم ان الثبور هو الهلاك • والمعنى انه لما اوتي كتابه من غير يمينه علم انه من اهل النار • فيقول واثبوراه • وقال الفراء
العرب تقول فلان يدعو لهفه اذا قال والهفاه • وفيه وجه آخر ذكره القفال فقال الثبور مشتق من المثابرة على الشيء
وهو المواظبة عليه فسمي هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال ان عذابها كان غراما • واصل الغرام اللزوم
والولوع اما قوله تعالى ويصلى سعيرا • ففيه مسئلتان • الاولى معناه ويصلى الكافر النار قال الله تعالى وسيصلون
سعيرا وقال تصليه جهنم وقال الا من هو صال الجحيم • وقال لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى • والمعنى
انه اذا اعطي كتابه بشماله من وراء ظهره فانه يدعو الثبور ثم يدخل النار وهو في النار ايضا يدعو ثبورا كما قال دعوا
هنالك ثبورا • واحدهما لا ينفي الآخر وانما هو على اجتماعهما قبل دخول النار وبعد دخولها نعوذ بالله منها ومما
قرب اليها من قول وعمل • المسئلة الثانية قرأ عاصم وحمزة وابو عمرو ويصلى بضم الياء والتخفيف • كقوله نصله جهنم
وهذه القراءة مطابقة للقراءة المشهورة لانه يصلى فيصلى اي يدخله النار • وقرأ ابن عامر ونافع والكسائي بضم الياء
مثقلة كقوله وتصلية جحيم • وقوله ثم الجحيم صلوه • اما قوله تعالى انه كان في اهله مسرورا • فقد ذكر القفال
فيه وجهين • احدهما انه كان في اهله مسرورا اي متنعما مستريحا من التعب باداء العبادات واحتمال مشقة الفرائض من
الصلاة والصوم والجهاد مقدما على المعاصي آمنا من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله ولا يرجوه فابدله الله بذلك
السرور الفاني غما باقيا لا ينقطع • وكان المؤمن الذي اوتي كتابه بيمينه متقيا من المعاصي غير آمن من العذاب ولم يكن في
دنياه مسرورا في اهله فجعله الله في الآخرة مسرورا فابدله الله تعالى بالغم الفاني سرورا دائما لا ينفذ • الثاني
ان قوله انه كان في اهله مسرورا • كقوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين اي متنعمين في الدنيا معجبين بما هم

عليه من الكفر



عليه من الكفر فلذلك يحتمل ان يكون المعنى انه كان في اهله مسرورا بما هو عليه من الكفر بالله والتكذيب بالبعث يضحك ممن آمن به
وصدق بالحساب • وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر • اما قوله تعالى انه ظن ان لن
يحور فاعلم ان الحور هو الرجوع والمحار المرجع والمصير • وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول
لابنتها حوري اي ارجعي • ونقل القفال عن بعضهم ان الحور هو الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما قالوا نعوذ بالله من
الحور بعد الكور • فعلى الوجه الاول معنى الآية انه ظن ان لن يرجع الى الآخرة اي لن يبعث • وقال مقاتل وابن عباس
حسب ان لا يرجع الى الله تعالى • وعلى الوجه الثاني انه ظن ان لن يرجع الى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والتنعم
ثم قال تعالى بلى اي ليبعثن • وعلى الوجه الثاني يكون المعنى ان الله تعالى يبدل سروره بغم لا ينقطع ونعيمه ببلاء لا ينتهي
ولا يزول • اما قوله ان ربه كان به بصيرا فقال الكلبي كان بصيرا به من يوم خلقه الى ان بعثه وقال عطا بصيرا بما سبق
عليه في ام الكتاب من الشقاء وقال مقاتل بصيرا متى بعثه • وقال الزجاج كان عالما بان مرجعه اليه ولا فائدة في هذه الاقوال
انما الفائدة في وجهين ذكرهما القفال • الاول ان ربه كان عالما بانه سيجزيه • والثاني ان ربه كان عالما بما يعمله من الكفر
والمعاصي فلم يكن يجوز في حكمته ان يهمله فلا يعاقبه على سوء اعماله وهذا زجر لكل المكلفين عن جميع المعاصي قوله تعالى
فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون اعلم ان قوله تعالى لا اقسم
بالشفق فيه مسائل المسئلة الاولى ان هذا قسم • واما حرف لا فقد تكلمنا فيه في قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة
ومن جملة الوجوه المذكورة هناك ان لا نفي ورد لكلام قبل القسم • وتوجيه هذا الوجه هاهنا ظاهر لانه تعالى حكى
هاهنا عن المشرك انه ظن ان لن يحور فقوله لا رد لذلك القول وابطال لذلك الظن • ثم قال بعده اقسم بالشفق
المسئلة الثانية قد عرفنا اختلاف العلماء في ان القسم واقع بهذه الاشياء او بخالقها وعرفت ان المتكلمين زعموا
ان القسم واقع برب الشفق وان كان محذوفا لان ذلك معلوم من حيث ورد الحظر بان لا يقسم الانسان بغير الله تعالى
المسئلة الثالثة تركيب لفظ الشفق في اصل اللغة لرقة الشيء ومنه يقال شيء شفق لا تماسك له لرقته
ويقال للرديء من الاشياء شفق واشفق عليه اذا رق قلبه عليه • والشفقة رقة القلب • ثم اتفق العلماء على انه اسم
للاثر الباقي من الشمس في الافق بعد غروبها الا ما يحكى عن مجاهد انه قال الشفق هو النهار ولعله انما ذهب الى هذا
لانه تعالى عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار • فالقسم على هذا الوجه واقع بالليل والنهار اللذين
احدهما معاش والثاني سكن • وبهما قوام امور العالم • ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب عامة العلماء الى انه هو الحمرة
وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل • ومن اهل اللغة الليث والفراء والزجاج قال صاحب الكشاف وهو قول عامة
العلماء الا ما يروى عن ابي حنيفة في احدى الروايتين انه البياض • وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه • واحتجوا عليه
بوجوه • احدها قال الفراء سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كانه الشفق وكان احمر فهذا يدل على
ان الشفق هو الحمرة • وثانيها انه جعل الشفق وقتا للعشاء الآخرة فوجب ان يكون المعتبر هو الحمرة لا البياض لان البياض يمتد
وقته ويطول لبثه والحمرة لما كانت بقية ضوء الشمس ثم بعدت الشمس عن الافق ذهبت الحمرة • وثالثها ان اشتقاق الشفق
لما كان من الرقة ولا شك ان الضوء يأخذ في الرقة والضعف من عند غيبة الشمس فيكون الحمرة شفقا • اما قوله تعالى
والليل وما وسق فقال اهل اللغة وسق اي جمع ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع الذي يكال ويوزن • ثم صار
اسما للحمل • واستوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت • والراعي يسقها اي يجمعها • قال صاحب الكشاف وسقته
فاتسق واستوسق • ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع • واما المعنى فقال القفال
مجموع اقاويل المفسرين يدل على انهم فسروا قوله تعالى وما وسق على جميع ما يجمعه الليل من النجوم ورجوع الحيوان
عن الانتشار وتحرك ما يتحرك فيه من الهوام • ثم هذا يحتمل ان يكون اشارة الى الاشياء كلها لاشتمال الليل عليها فكانه تعالى
اقسم بجميع المخلوقات كما قال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون • وقال سعيد بن جبير ما عمل فيه قال القفال
يحتمل ان يكون ذلك هو تهجد العباد فقد مدح الله تعالى المستغفرين بالاسحار • فيجوز ان يحلف بهم • وانما قلنا ان الليل
جمع هذه الاشياء كلها لان ظلمته كانها تجلل الجبال والبحار والشجر والحيوانات فلا جرم صح ان يقال وسق جميع هذه الاشياء
اما قوله تعالى والقمر اذا اتسق فاعلم ان اصل الكلمة من الاجتماع • يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته فاتصل اي جمعته
فاجتمع • ويقال امور فلان متسقة اي مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة • واما اهل المعاني فقال ابن عباس اذا
اتسق اي استوى واجتمع وتكامل وتم واستدار وذلك ليلة ثلاثة عشر الى ستة عشر • ثم انه سبحانه وتعالى بعد ما ذكر
ما به اقسم اتبعه بذكر ما عليه اقسم فقال لتركبن طبقا عن طبق • وفيه مسائل المسئلة الاولى قرئ لتركبن
على خطاب الانسان في يا ايها الانسان • ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء في قوله يا ايها الانسان انك كادح للجنس

جعل الشفق وقتا للعشاء الاخيرة

ولتركبن بالكسر على خطاب النفس • وليركبن بالياء على المغايبة ليركبن الانسان **المسألة الثانية** الطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق كذا اى لا يطابقه • ومنه قيل للغطاء الطبق والطباق الثرى ما تطابق منه • ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق • ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق اى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها فى الشدة والهول • ويجوز ان يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات • والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع من بعض وهى الموت وما بعده من اهوال القيمة • ولنذكر الان وجوه المفسرين • فنقول اما القراءة برفع الباء وهو خطاب الجمع فيحتمل وجوها • احدها ان يكون المعنى لتركبن ايها الانسان امورا واحوالا امرا بعد امر وحالا بعد حال ومنزلا بعد منزل الى ان يستقر الامر على ما يقضى به على الانسان وله من جنة او نار وتحقيقه يحصل الدوام والخلود • اما فى الثواب او فى العقاب • ويدخل فى هذه الجملة احوال الناس من حين يكون نطفة الى ان يصير شيخا ثم يموت فيكون فى البرزخ ثم يحشر ثم ينتقل اما الى جنة واما الى نار • وثانيها ان معنى الاية ان الناس يلقون يوم القيمة احوالا وشدائد حالا بعد حال وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله ان البعث كائن وان الناس يلقون فيها الشدائد والاهوال الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعد له من جنة او نار وهو نحو قوله بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم • وقوله يوم يكشف عن ساق • وقوله يوما يجعل الولدان شيبا وثالثها ان يكون المعنى ان الناس تنتقل احوالهم يوم القيمة عما كانوا عليه فى الدنيا • فمن وضيع فى الدنيا يصير رفيعا فى الاخرة ومن رفيع يتضع • ومن منعم يشقى • ومن شقى يتنعم • وهو كقوله خافضة رافعة • وهذا التاويل مناسب لما قبل هذه الاية لانه تعالى لما ذكر حال من يؤتى كتابه وراء ظهره انه كان فى اهله مسرورا وكان يظن ان لن يحور اخبر الله انه يحور ثم اقسم على الناس انهم يركبون فى الاخرة طبقا عن طبق اى حالا بعد حالهم فى الدنيا • ورابعها ان يكون المعنى لتركبن سنة الاولين ممن كان قبلكم فى التكذيب بالنبوة والقيمة • واما القراءة بنصب الباء ففيها قولان • الاول قول من قال انه خطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم • وعلى هذا التقدير ذكروا وجهين • احدهما ان يكون ذلك بشارة للنبى صلى الله عليه وسلم بالظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث كانه يقول اقسم يا محمد لتركبن حالا بعد حال حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم فى كفرهم • وفى هذا الوجه احتمال اخر يقرب مما ذكرنا وهو ان يكون المعنى ان الله تعالى يبدله بالمشركين انصارا من المسلمين ويكون مجاز ذلك من قولهم طبقات الناس وقد يصلح هذا التاويل على قراءة من قرا بضم الباء كانه خطاب للمسلمين بتعريف تنقل الاحوال بهم ومصيرهم الى الظفر بعدوهم بعد الشدة التى يلقونها منهم كما قال تعالى لتبلون فى اموالكم وانفسكم الاية • وثانيهما ان يكون ذلك بشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم بصعود السموات لمشاهدة ملكوتها واجلال الملائكة اياه فيها والمعنى لتركبن السماء يوم القيمة حالة بعد حالة • وذلك لانها اولا تنشق كما قال اذا السماء انشقت ثم تنفطر كما قال اذا السماء انفطرت • ثم تصير وردة كالدهان • وتارة كالمهل على ما ذكر الله تعالى من هذه الاشياء فى ايات من القران فكانه تعالى لما ذكر فى اول السورة انها تنشق اقسم فى اخر السورة انها تنتقل من احوال الى احوال وهذا الوجه مروى عن ابن مسعود **المسألة الثالثة** قوله تعالى عن طبق اى بعد طبق كقول الشاعر • شعر •

ما زلت اقطع منهلا عن منهل • حتى انخت بباب عبد الواحد •

ووجه هذا ان الانسان اذا صار من شىء الى شىء اخر فقد صار الى الثانى بعد الاول فصلحت بعد وعن معاقبة • وايضا فلفظة عن تفيد البعد والمجاوزة فكانت مشابهة للفظ بعد • اما قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون فيدل على ان المراد مما لهم لا يؤمنون بالبعث والقيمة • ثم اعلم ان قوله فما لهم لا يؤمنون استفهام بمعنى الانكار • وهذا انما يحسن عند ظهور الحجة وزوال الشبهات • والامر هاهنا كذلك • وذلك لانه سبحانه اقسم بتغيرات واقعة فى الافلاك والعناصر فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار • ولما بعدها وهو ظلمة الليل • وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور • وعلى تغير احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم • وكذا قوله اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال للقمر بعد ان كان ناقصا • ثم انه تعالى اقسم بهذه الاحوال المتغيرة على تغير احوال الخلق • وهذا يدل قطعا على صحة القول بالبعث لان القادر على تغيير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال وصفة الى صفة بحسب المصالح لا بد وان يكون قادرا على جميع الممكنات • عالما بجميع المعلومات ومن كان كذلك كان لا محالة قادرا على البعث والقيمة • فلما كان ما قبل هذه الاية كالدلالة العقلية القاطعة على صحة البعث والقيمة لا جرم قال على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون • فلما قال ذلك دل على كونهم قادرين • وهذا يقتضى ان يكون الاستطاعة قبل الفعل وان يكونوا موجدين لافعالهم وان لا يكون تعالى خالقا للكفر فيهم • فهذه الاية من المحكمات التى لا اجمال فيها البتة • وجوابه قد مر غير مرة اما قوله تعالى واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون ففيه مسائل **الاولى** انهم ارباب الفصاحة والبلاغة فعند سماعهم القران لا بد وان يعلموا كونه معجزا • واذا علموا ذلك علموا صحة نبوة محمد



صلى الله عليه وسلم ووجوب طاعته فى الاوامر والنواهى فلا جرم استبعد الله منهم عند سماع القران ترك السجود والطاعة **المسألة الثانية** قال ابن عباس والحسن وعطاء والكلبى ومقاتل المراد من السجود الصلاة قال ابو مسلم المراد الخضوع والاستكانة وقال اخرون بل المراد نفس السجود عند ايات مخصوصة هذه الاية منها **المسألة الثالثة** روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قرا ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين • وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت هذه الاية واحتج ابو حنيفة على وجوب السجدة بهذا من وجهين الاول ان فعل النبى صلى الله عليه وسلم يقتضى الوجوب لقوله تعالى فاتبعوه • والثانى ان الله تعالى ذم من سمعه فلا يسجد وحصول الذم عند الترك يدل على الوجوب **المسألة الرابعة** مذهب ابن عباس انه ليس فى المفصل سجدة • وعن ابى هريرة انه سجدها هاهنا وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها • وعن انس صليت خلف ابى بكر وعمر وعثمان فسجدوا • وعن الحسن هى غير واجبة اما قوله بل الذين كفروا يكذبون • فالمعنى ان الدلائل الموجبة للايمان وان كانت جلية ظاهرة لكن الكفار يكذبون بها • اما للتقليد للاسلاف واما للحسد واما للخوف من انهم لو اظهروا الايمان لفاتتهم مناصب الدنيا ومنافعها اما قوله تعالى والله اعلم بما يوعون • فاصل الكلمة من الوعاء • يقال اوعيت الشىء اى جعلته فى وعاء كما قال تعالى وجمع فاوعى • والمعنى والله اعلم بما يجمعون فى صدورهم من الشرك والتكذيب فهو مجازيهم عليه فى الدنيا والاخرة ثم قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم استحقوه على تكذيبهم وكفرهم اما قوله الا الذين امنوا ففيه قولان قال صاحب الكشاف الاستثناء منقطع • وقال الاكثرون معناه الا من تاب منهم فانهم وان كانوا فى الحال كفارا الا انهم متى تابوا وامنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر وهو الثواب العظيم • وفى معنى غير ممنون وجوه • احدها ان ذلك الثواب يصل اليهم بلا من ولا اذى • وثانيها من غير انقطاع • وثالثها من غير تنغيص • ورابعها من غير نقصان • والاولى ان يحمل اللفظ على الكل لان من شرط الثواب حصول الكل فكانه تعالى وعدهم باجر خالص من الشوائب دائم لا انقطاع فيه ولا نقص ولا بخس وهذا نهاية الوعد فصار ذلك ترغيبا فى العبادات كما ان الذى هو زجر عن المعاصى عكسه والله اعلم • والحمد لله رب العالمين •

## سورة البروج عشرون واثنان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود **فيه مسائل** **المسألة الاولى** فى البروج ثلاثة اقوال احدها انها البروج الاثنا عشر وهى مشهورة وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب الحكمة وذلك لان سير الشمس فيها ولا شك ان مصالح العالم السفلى مرتبطة بسير الشمس فدل ذلك على ان لها صانعا حكيما • وثانيها ان البروج هى منازل القمر • وثالثها ان البروج هى عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها • واما اليوم الموعود فهو يوم القيمة • وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اليوم الموعود يوم القيمة • واما الشاهد والمشهود فقد اضطربت اقاويل المفسرين فيه • [illegible] • وهو يوم القيمة • ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود • [illegible] • واما الاثنان فى الوصف

ولا شك ان مصالح العالم السفلى مرتبطة بسير الشمس

كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكترث بوصفهما وانما حسن القسم بيوم القيمة للتنبيه على القدرة اذ كان يوم الفصل والجزا
ويوم تفرد الله تعالى بالملك والحكم • وهذا الوجه اختيار ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن بن علي وابن المسيب والضحاك
والنخعي والثوري • وثانيها ان تفسير المشهود بيوم الجمعة وهو قول ابن عمر وابن الزبير وذلك لانه يوم يشهده المسلمون
للصلاة ولذكر الله • ومما يدل على كون هذا اليوم مسمى بالمشهود خبران • الاول ما روى ابو الدردا قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكثروا على الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة • والثاني ما روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال تحضر الملائكة ابواب المسجد فيكتبون الناس فاذا خرج الامام طويت الصحف • وهذه الخاصية غير موجودة
الا في هذا اليوم • فيجوز ان يسمى مشهودا لهذا المعنى قال الله تعالى وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا • روي
ان ملائكة الليل والنهار يحضرون وقت صلاة الفجر فسميت هذه الصلاة مشهودة لشهادة الملائكة فكذا يوم الجمعة
وثالثها ان يفسر المشهود بيوم عرفة • والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لامر الحاج • روي ان الله تعالى
يقول للملائكة يوم عرفة انظروا الى عبادي شعثا غبرا اتوني من كل فج عميق اشهدكم اني قد غفرت لهم وان ابليس يصرخ
ويضع التراب على راسه لما يرى من ذلك • والدليل على ان يوم عرفة مسمى بانه مشهود قوله تعالى وعلى كل ضامر ياتين من كل فج
عميق ليشهدوا منافع لهم • ورابعها ان يكون المشهود يوم النحر • وذلك لانه اعظم المشاهد في الدنيا فانه يجتمع اهل
الشرق والغرب في ذلك اليوم بمنى والمزدلفة وهو عيد المسلمين ويكون الغرض من القسم به تعظيم امر الحج • وخامسها حمل الاية
على يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر جميعا لانها ايام عظام فاقسم الله بها كما اقسم بالليالي العشر والشفع والوتر • ولعل الاية
عامة لكل يوم عظيم من ايام الدنيا ولكل مقام جليل من مقاماتها وليوم القيمة ايضا لانه يوم عظيم كما قال ليوم عظيم
يوم يقوم الناس لرب العالمين • وقال فويل للذين ظلموا من مشهد يوم عظيم • ويدل على صحة هذا التاويل خروج اللفظ
في الشاهد والمشهود على النكرة ويحتمل ان يكون ذلك على معنى ان القصد لم يقع فيه الى يوم بعينه فيكون معرفا • اما الوجه
الاول وهو ان يحمل الشاهد على من تثبت الدعوى بقوله فقد ذكروا على هذا التقدير وجوها كثيرة • احدها ان الشاهد
هو الله تعالى لقوله شهد الله انه لا اله الا هو • وقوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله • وقوله اولم يكف بربك انه على كل
شيء شهيد • والمشهود هو التوحيد لقوله شهد الله انه لا اله الا هو • والنبوة قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم • وثانيها
ان الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم • والمشهود عليه ساير الانبيا لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هولاء شهيدا • ولقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا • وثالثها ان يكون الشاهد هو الانبيا والمشهود عليه هو الامم
لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد • ورابعها ان يكون الشاهد هو جميع الممكنات والمحدثات • والمشهود عليه
واجب الوجود • وهذا احتمال ذكرته انا • واخذته من قول الاصوليين هذا استدلال بالشاهد على الغايب • وعلى هذا التقدير
يكون القسم واقعا بالخلق والخالق • والصنع والصانع • وخامسها ان يكون الشاهد هو الملك لقوله تعالى وجاءت كل نفس
معها سايق وشهيد والمشهود عليه هم المكلفون • وسادسها ان يكون الشاهد هو الملك والمشهود عليه هو الانسان الذي
يشهد عليه جوارحه يوم القيمة قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم • وقال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
وهذا قول عطا الخراساني • واما الوجه الثالث وهو الاقوال المبنية على الروايات لا على الاشتقاق • فاحدها الشاهد
يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة • روى ابو موسى الاشعري انه عليه الصلاة والسلام قال الموعود يوم القيمة والشاهد
يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة • ويوم الجمعة ذخيرة الله لنا • وعن ابي هريرة مرفوعا قال المشهود يوم عرفة والشاهد يوم
الجمعة ما طلعت الشمس ولا غربت على افضل منه • فيه ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله بخير الا استجاب له ولا
يستعيذ من شيء الا اعاذه منه • وعن سعيد بن المسيب مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان سيد الايام يوم الجمعة وهو
الشاهد والمشهود يوم عرفة • وهذا قول كثير من اهل العلم كعلي بن ابي طالب عليه السلام وابي هريرة وابن المسيب
والحسن البصري والربيع بن انس قال قتادة شاهد ومشهود يومان عظمهما الله من ايام الدنيا كما يحدث ان الشاهد يوم الجمعة
والمشهود يوم عرفة • وثانيها ان الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وذلك لانهما يومان عظمهما الله وجعلهما من اركان ايام الحج
فهذان اليومان يشهدان لمن يحضر فيهما بالايمان واستحقاق الرحمة • وروي انه عليه الصلاة والسلام ذبح كبشين وقال في احدهما
هذا عمن يشهد لي بالبلاغ فيحتمل لهذا المعنى ان يكون يوم النحر شاهدا لمن حضره بمثل ذلك اذا الخبر • وثالثها ان الشاهد عيسى
لقوله تعالى حكاية عنه وكنت عليهم شهيدا • ورابعها الشاهد هو الله والمشهود هو القيمة • قال تعالى يا ويلنا من
بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون • وقوله ثم ينبئهم بما عملوا • وخامسها ان الشاهد هو الانسان
والمشهود هو التوحيد لقوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى • وسادسها ان الشاهد الانسان والمشهود هو
القيمة • اما ان الانسان شاهد فلقوله تعالى قالوا بلى شهدنا • واما المشهود فلقوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين

التاويل

فمن هي الوجوه الملخصة والله اعلم بحقايق القرآن قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم
على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اعلم انه لا بد للقسم من جواب • واختلفوا فيه على وجوه • احدها ما ذكره الاخفش وهو ان
جواب القسم قوله قتل اصحاب الاخدود واللام مضمرة فيه كما قال والشمس وضحاها قد افلح من زكاها يريد لقد افلح قال وان شئت على
التقديم كانه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج • وثانيها ما ذكره الزجاج وهو ان جواب القسم ان بطش ربك
لشديد وهو قول ابن مسعود وقتادة • وثالثها ان جواب القسم قوله ان الذين فتنوا الاية كما تقول فوالله ان زيدا لقايم الا
انه اعترض بين القسم وجوابه قتل اصحاب الاخدود الى قوله ان الذين فتنوا • ورابعها ما ذكره جماعة من المتقدمين ان جواب
القسم محذوف وهذا اختيار صاحب الكشاف الا ان المتقدمين قالوا ذلك المحذوف هو ان الامر حق في الجزاء على الاعمال وقال
صاحب الكشاف جواب القسم هو الذي يدل عليه قوله قتل اصحاب الاخدود وكانه قيل اقسم بهذه الاشياء ان كفار قريش ملعونون
كما لعن اصحاب الاخدود وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من
تقدمهم من التعذيب على الايمان حتى يقتدوا بهم ويصبروا على اذى قومهم ويعلموا ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك الذين
كانوا في الامم السالفة يحرقون اهل الايمان بالنار واحقاء بان يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل اصحاب الاخدود • اما قوله
تعالى قتل اصحاب الاخدود ففيه مسايل • المسئلة الاولى • ذكروا قصة اصحاب الاخدود على طرق متباينة ونحن نذكر
منها ثلاثة • احدها انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فمال قلب
الغلام الى ذلك الراهب • ثم راى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك
من الساحر فقوني على قتلها بواسطة رمي الحجر اليها ثم قتلها فصار ذلك سببا لاعراض الغلام عن السحر واشتغاله بطريقة الراهب
ثم صار بحيث يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء واتفق ان عمي جليس الملك فابراه فلما راه الملك قال من رد عليك بصرك
قال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب وزجره عن دينه فلم يقبل الراهب قوله فقد بالمنشار
ثم ذهبوا بالغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا فذهبوا به الى سفينة ولججوا بها ليغرقوه فدعا
فانكفات بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتاخذ سهما
من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس امنا برب
الغلام • فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها
حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق وصبرت على ذلك • الرواية الثانية
روي عن علي عليه السلام انهم حين اختلفوا في احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم
فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب الناس فتقول ان الله تعالى
احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت له ابسط فيهم السوط فلم
يقبلوا فقالت له ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله
قتل اصحاب الاخدود • الرواية الثالثة • انه وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس
اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر
ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا • وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ
بالله من جهد البلاء • فان قيل تعارض هذه الروايات يدل على كذبها قلنا لا تعارض فقيل ان هذا كان في ثلث طوايف مرة
مرة باليمن ومرة بالعراق ومرة بالشام ولفظ الاخدود وان كان واحدا الا ان المراد هو الجمع وهو كثير في القرآن • قال القفال
ذكروا في قصة اصحاب الاخدود روايات مختلفة وليس في شيء منها ما يصح الا انها متفقة في قوم من المؤمنين خالفوا قومهم
او ملكا كافرا كان حاكما عليهم فالقاهم في اخدود وحفره لهم • ثم قال واظن ان تلك الواقعة كانت مشهورة عند قريش
فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسوله تنبيها لهم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم واحتمال المكاره فيه فقد كان مشركو قريش
يؤذون المؤمنين على حسب ما اشتهرت به الاخبار من مبالغتهم في ايذاء عمار وبلال • المسئلة الثانية • الاخدود الشق
في الارض يحفر مستطيلا وجمعه الاخاديد ومصدره الخد وهو الشق يقال خد في الارض خدا وتخدد لحمه اذا
صار فيه طرايق كالشقوق • المسئلة الثالثة • يمكن ان يكون المراد باصحاب الاخدود القاتلين ويمكن ان يراد بهم المقتولين
والرواية المشهورة ان المقتولين هم المؤمنون • وروي ايضا ان المقتولين هم الجبابرة لانهم لما القوا المؤمنين في النار
عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواقدي وتاولوا
قوله فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اي لهم عذاب جهنم في الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا اذا عرفت هذه المقدمة
فنقول ذكروا في تفسير قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وجوها ثلاثة وذلك لانا اما ان نفسر اصحاب الاخدود بالقاتلين

خ رب الغلام

وطرح من ابى منها فهم الذين ارادهم الله بقوله قتل اصحاب الاخدود

وبالمقتولين ۝ اما على الوجه الاول ففيه تفسيران ۝ احدهما ان يكون هذا دعاء عليهم اي لعن اصحاب الاخدود
ونظيره قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره قتل الخراصون ۝ والثاني ان يكون المراد ان اولئك القاتلين قتلوا بالنار على ما ذكرنا
ان الجبابرة لما ارادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم ۝ واما اذا فسرنا اصحاب الاخدود بالمقتولين كان
المعنى ان اولئك المؤمنين قتلوا بالاحراق بالنار فيكون ذلك خبرا لا دعاء المسألة الرابعة قرئ قتّل بالتشديد
اما قوله تعالى النار ذات الوقود ففيه مسائل المسألة الاولى النار انما تكون عظيمة اذا كان هناك شيء يحترق
بها اما حطبا او غيره ۝ فالوقود اسم لذلك الشيء لقوله تعالى وقودها الناس والحجارة فالمعنى في ذات الوقود تعظيم
امرها كان في ذلك الاخدود من الحطب الكثير المسألة الثانية قالوا على هذا من بدل الاشتمال كقولك سلب
زيد ثوبه ۝ فان الاخدود مشتمل على النار المسألة الثالثة قرئ الوقود بالضم اما قوله تعالى اذ هم عليها قعود
ففيه مسئلتان المسألة الاولى العامل في اذ قتل ۝ والمعنى لعنوا في ذلك الوقت الذي هم فيه قعود عند الاخدود
يعذبون المؤمنين المسألة الثانية في الآية اشكال وهو ان قوله هم ضمير عائد الى اصحاب الاخدود ولان ذلك اقرب المذكور
والضمير في قوله عليها عائد الى النار ۝ فهذا يقتضي ان اصحاب الاخدود كانوا قاعدين على النار ومعلوم انه لم يكن الامر كذلك
والجواب من وجوه ۝ احدها ان الضمير في هم عائد الى اصحاب الاخدود لكن المراد ههنا من اصحاب الاخدود المقتولون
لا القاتلون فيكون المعنى اذ المؤمنون قعود على النار يحترقون مطروحون على النار ۝ وثانيها ان يجعل الضمير في عليها
عائدا الى طرف النار وشفيرها والمواضع التي يمكن الجلوس فيها ولفظة على تشعر بذلك تقول مررت عليه اي مستعليا
بمكان يقرب منه ۝ فالقاتلون كانوا جالسين فيها وكانوا يعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان
يصبر على دينه القوه في النار ۝ وثالثها هب انا سلمنا ان الضمير في هم عائد الى اصحاب الاخدود بمعنى القاتلين ۝ والضمير
في عليها عائد الى النار فلم لا يجوز ان يقال ان اولئك القاتلين كانوا قاعدين على النار ۝ فانا بينا انهم لما القوا المؤمنين
في النار ارتفع النار اليهم ۝ فهلكوا بنفس ما فعلوه بايديهم لاجل اهلاك غيرهم فكانت الآية دالة على انهم في تلك
الحالة كانوا ملعونين ايضا ۝ ويكون المعنى انهم خسروا الدنيا والآخرة ۝ ورابعها ان يكون على بمعنى عند كما قيل في
قوله ولهم علي ذنب اي عندي اما قوله تعالى وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود فاعلم ان قوله شهود يحتمل
ان يكون المراد منه حضور ۝ ويحتمل ان يكون المراد منه الشهود الذين تثبت الدعوى بشهادتهم ۝ اما على الوجه الاول
فالمعنى ان اولئك الجبابرة القاتلين كانوا حاضرين عند ذلك العمل يشاهدون ذلك ويكون الغرض من ذكر ذلك
احد امور ثلاثة ۝ اما وصفهم بقسوة القلب اذ كانوا عند التعذيب بالنار حاضرين مشاهدين له ۝ واما وصفهم
بالجد في تقرير كفرهم وباطلهم حيث حضروا في تلك المواطن المنفرة والافعال الموحشة ۝ واما وصف اولئك
المؤمنين المقتولين بالجد في دينهم والاصرار على حقهم فان الكفار انما حضروا في تلك المواضع طمعا في ان هؤلاء
المؤمنين اذا نظروا اليهم هابوا حضورهم واحتشموا من مخالفتهم ۝ ثم ان اولئك المؤمنين لم يلتفتوا اليهم وبقوا
مصرين على دينهم الحق ۝ فان قيل المراد من الشهود ان كان هذا المعنى فكان يجب ان يقال وهم لما يفعلون شهود ۝ ولا
يقال وهم على ما يفعلون شهود ۝ قلنا انما ذكر لفظة على بمعنى انهم على قبح فعلهم بهؤلاء المؤمنين وهو احراقهم بالنار كانوا
حاضرين مشاهدين لتلك الافعال القبيحة ۝ اما الاحتمال الثاني وهو ان يكون المراد من الشهود الشهادة التي تثبت الدعوى
بها ففيه وجوه ۝ احدها انهم جعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض
اليه من التعذيب ۝ وثانيها انهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ۝ وثالثها ان هؤلاء الكفار مشاهدون لما يفعل بالمؤمنين من الاحراق بالنار حتى لو
كان ذلك من غيرهم لكانوا شهودا عليه ثم مع هذا لم ياخذهم بهم رافة ولا حصل في قلبهم ميل ولا شفقة قوله تعالى
وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد ۝ المعنى وما عابوا
منهم وما انكروا الا الايمان كقوله ۝ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۝ بهن فلول من قراع الكتائب ۝ ونظيره قوله تعالى هل
تنقمون منا الا ان آمنا بالله ۝ وانما قال الا ان يؤمنوا لان التعذيب انما كان واقعا على الايمان في المستقبل ولم يعذبوا على ما
مضى فكانه قيل الا ان يدوموا على ايمانهم ۝ وقرأ ابو حيوة نقموا بالكسر ۝ والفصيح هو الفتح ثم انه ذكر الاوصاف التي
بها يستحق الاله ان يؤمن به ويعبد ۝ فاولها العزيز وهو القادر الذي لا يغلب ۝ والقاهر الذي لا يدفع وبالجملة فهو
اشارة الى القدرة التامة ۝ وثانيها الحميد وهو الذي يستحق الحمد والثناء على السنة عباده المؤمنين وان كان بعض
الاشياء لا يحمده بلسانه فنفسه شاهدة على ان المحمود في الحقيقة هو هو كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده وذلك اشارة
الى العلم لان من لا يكون عالما بعواقب الاشياء لا يمكنه ان يفعل الافعال الحميدة فالحميد يدل على العلم التام من هذا الوجه

وثالثها

وثالثها الذي له ملك السموات والارض وهو مالكها والقيم بها ولو شاء لافناها وهو اشارة الى الملك التام ۝ وانما اخر هذه الصفة
عن الاوليين لان الملك التام لا يحصل الا عند حصول الكمال في القدرة والعلم فثبت ان من كان موصوفا بهذه الصفات كان
هو المستحق للايمان به وغيره لا يستحق ذلك البتة فكيف حكم اولئك الكفار الجهال بكون مثل هذا الايمان ذنبا واعلم انه تعالى
اشار بقوله العزيز الى انه لو شاء لمنع اولئك الجبابرة من تعذيب اولئك المؤمنين ولاطفأ نيرانهم ولاماتهم ۝ واشار بقوله الحميد
الى ان المعتبر عنده سبحانه من الافعال عواقبها فهو وان كان قد امهل لكنه ما اهمل فانه تعالى يوصل ثواب اولئك المؤمنين اليهم
وعقاب اولئك الكفرة اليهم ولكنه تعالى لم يعاجلهم بذلك لانه لم يفعل الا بحسب المشيئة او المصلحة على سبيل التفضل
فلهذا السبب قال والله على كل شيء شهيد فهو وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اعلم انه سبحانه لما ذكر قصة اصحاب الاخدود اتبعها بما يتفرع
عليها من احكام الثواب والعقاب فقال ان الذين فتنوا المؤمنين وههنا مسائل المسألة الاولى يحتمل ان يكون المراد
منه اصحاب الاخدود فقط ويحتمل ان يكون المراد كل من فعل ذلك وهذا اولى لان اللفظ عام والحكم عام فالتخصيص ترك الظاهر
من غير دليل المسألة الثانية اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وذلك لان اولئك الكفار امتحنوا اولئك المؤمنين
وعرضوهم على النار واحرقوهم وقال بعض المفسرين الفتنة هي الاحراق بالنار قال ابن عباس ومقاتل فتنوا المؤمنين حرقوهم
بالنار قال الزجاج يقال فتنت الشيء احرقته والفتين احجار سود كأنها محرقة ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون
المسألة الثالثة قوله تعالى ثم لم يتوبوا يدل على انهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بان الله تعالى
يقبل التوبة ويدل على ان توبة القاتل عمدا مقبولة خلاف ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه قوله فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق وفيه وجهان
الاول ان كلا العذابين يحصلان في الآخرة الا ان عذاب جهنم هو العذاب الحاصل بسبب كفرهم وعذاب الحريق هو العذاب الزائد
على عذاب الكفر بسبب انهم احرقوا المؤمنين فيحتمل ان يكون العذاب الاول عذاب برد والثاني عذاب احراق وان يكون الاول عذاب
احراق والزائد على الاحراق ايضا احراق الا ان العذاب الاول كانه خرج عن ان يسمى احراقا بالنسبة الى الثاني لان الثاني قد اجتمع
فيه نوعا الاحراق فتكامل جدا فكان الاول ضعيفا بالنسبة اليه فلا جرم لم يسم احراقا والثاني ان قوله عذاب جهنم اشارة الى عذاب
الآخرة ولهم عذاب الحريق اشارة الى ما ذكرنا ان اولئك الكفار ارتفعت عليهم نار الاخدود فاحترقوا بها قوله تعالى ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ذكر وعد المؤمنين
وهو ظاهر وفيه مسئلتان الاولى انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهو ان قوله ذلك اشارة الى اخبار
الله تعالى عن ذلك لتدل على كونه راضيا ۝ والفوز الكبير هو رضى الله لا حصول الجنة المسألة الثانية قصة اصحاب الاخدود
ولا سيما هذه الآية تدل على ان المكره على الكفر بالاهلاك العظيم الاولى به ان يصبر على ما خوف منه وان اظهار كلمة الكفر كالرخصة
في ذلك ۝ روى الحسن ان مسيلمة اخذ رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاحدهما تشهد اني رسول الله فقال نعم
فتركه وقال للآخر مثله فقال لا بل انت كذاب فقتله فقال عليه الصلاة والسلام اما الذي ترك فاخذ بالرخصة فلا تبعة
عليه ۝ واما الذي قتل فاخذ بالفضل فهنيئا له قوله تعالى ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور
الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد اعلم انه تعالى لما ذكر وعيد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ولما ذكر وعد الذين آمنوا
وعملوا الصالحات اردف ذلك الوعد والوعيد بالتأكيد فقال تأكيدا للوعيد ان بطش ربك لشديد ۝ والبطش هو
الاخذ بالعنف ۝ فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم ۝ ونظيره ان اخذه اليم شديد ۝ ثم ان هذا القادر لا يكون امهاله لاجل
الاهمال لكن لاجل انه حكيم اما بحكم المشيئة او بحكم المصلحة تأخر هذا الامر الى يوم القيمة ۝ فلهذا قال انه يبدئ ويعيد اي انه
خلق خلقه ثم يفنيهم ثم يعيدهم احياء ليجازيهم في القيمة فذلك الامهال لهذا السبب لا لاجل الاهمال قال ابن عباس ان اهل
جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فذاك هو المراد من قوله انه هو يبدئ ويعيد ۝ ثم قال لتأكيد
الوعد وهو الغفور الودود ۝ فذكر من صفات جلاله وكبريائه خمسة ۝ اولها الغفور ۝ قالت المعتزلة هو الغفور لمن
تاب ۝ وقال اصحابنا انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ولان غفران التائب واجب ۝ واداء الواجب لا يوجب التمدح والآية مذكورة في معرض التمدح ۝ وثانيها الودود ۝ وفيه اقوال
احدها المحب هذا قول اكثر المفسرين وهو مطابق للدلائل العقلية فان الخير مقتضى بالذات والشر بالعرض ولا بد وان يكون
الشر اقل من الخير فالغالب لا بد وان يكون خيرا فيكون محبوبا بالذات ۝ وثانيها قال الكلبي الودود المتودد الى اوليائه
بالمغفرة والجزاء ۝ والقول هو الاول ۝ وثالثها قال الازهري قال بعض اهل اللغة يجوز ان يكون ودود فعولا بمعنى مفعول
كركوب وحلوب ۝ ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وافعاله قال
وكلتا الصفتين مدح لانه جل ذكره اذا احب عباده المطيعين فهو فضل منه ۝ وان احبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم

والفوز الكبير هو رضى الله لا حصول الجنة

من كريم احسانه • ورابعها قال القفال قيل الودود الحليم من قولهم دابة ودود وهي المطيعة البذال التي كيف عطفتها انعطفت
وانشد قطرب • شعر • اعددت للحرب صفاحة • ذلول القياد وقاحا ودودا • وثالثها ذو العرش
قال القفال ذو العرش اي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن على السرير • وكما يقال ثل عرش فلان اذا ذهب
سلطانه وهذا معنى متفق على صحته • وقد يجوز ان يكون المراد بالعرش السرير ويكون المعنى ان من جلاله خلق سريرا في سماياته في غاية العظمة
والجلالة بحيث لا يعلم عظمته الا هو ومن يطلعه عليه • ورابعها المجيد وفيه قراءتان • احداهما الرفع فيكون ذلك صفة
لله سبحانه وهو اختيار اكثر القراء والمفسرين لان المجد من صفات التعالي والجلال وذلك لا يليق الا بالله سبحانه والفصل
والاعتراض بين الصفة والموصوف في هذا النحو غير ممتنع • والقراءة الثانية بالخفض وهي قراءة حمزة والكسائي فيكون ذلك
صفة للعرش وهؤلاء قالوا القرآن دل على انه يجوز وصف غير الله بالمجيد • قال بل هو قرآن مجيد • وراينا ان الله تعالى وصف
العرش بانه كريم فلا يبعد ايضا ان يصفه بانه مجيد • ثم قالوا ان مجد الله عظمته بحسب الوجوب الذاتي وكمال القدرة والحكمة
والعلم • وعظمة العرش علوه في الجهة وعظمة مقداره وحسن صورته وتركيبه • فانه قيل العرش احسن الاجسام تركيبا
وصورة • وخامسها انه فعال لما يريد • وفيه مسائل المسئلة الاولى فعال خبر مبتدا محذوف المسئلة الثانية
من النحويين من قال وهو الغفور الودود ذكر اخبار لمبتدا واحد وهذا ضعيف لان المقصود بالاسناد الى المبتدا اما ان يكون
مجموعهما او كل واحد واحد منهما • فان كان الاول كان الخبر واحدا لا اخبارا • وان كان الثاني كانت القضية لا واحدة بل
قضيتين المسئلة الثالثة احتج اصحابنا بهذه الاية في مسئلة خلق الافعال فقالوا لا شك انه تعالى يريد الايمان
فوجب ان يكون فاعلا للكفر • ضرورة انه لا قائل بالفرق قال القاضي ولا يمكن ان يستدل بذلك على ان ما يريده الله تعالى
من طاعة الخلق لا بد من ان يقع لان قوله تعالى فعال لما يريد لا يتناول الا ما اذا وقع كان فعله دون ما اذا وقع لم يكن فعلا
له هذه الفاظ القاضي ولا يخفى ضعفها المسئلة الرابعة احتج اصحابنا بهذه الاية على انه تعالى لا يجب لاحد
من المكلفين عليه شي البتة وهو ضعيف لان الاية دالة على انه يفعل ما يريد فلم قلتم انه يريد ان لا يعطي الثواب
المسئلة الخامسة قال القفال فعال لما يريد اي يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب
فهو يدخل اولياءه الجنة لا يمنعه منه مانع • ويدخل اعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر ويمهل العصاة على ما يشاء الى ان يجازيهم
ويعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء ويعذب من شاء منهم في الدنيا وفي الاخرة يفعل من هذه الاشياء وغيرها ما يريد قوله تعالى
هل اتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ
اعلم انه تعالى لما بين حال اصحاب الاخدود في ايذاء المؤمنين بالكفار بين ان الذين كانوا قبلهم كانوا ايضا كذلك واعلم ان
فرعون وثمود بدل من الجنود • واراد بفرعون اياه وقومه كما في قوله من فرعون وملائهم وثمود كانوا في بلاد العرب وقصتهم
عندهم مشهورة • فذكر تعالى من المتاخرين فرعون ومن المتقدمين ثمود • والمقصود بيان ان حال المؤمنين مع الكفار
في جميع الازمنة مستمرة على هذا النهج • وهذا هو المراد من قوله بل الذين كفروا في تكذيب • ولما طيب قلب الرسول بحكاية
احوال الاولين في هذا الباب سلاه بعد ذلك من وجه اخر وهو قوله والله من ورائهم محيط • وفيه وجوه • احدها ان المراد
وصف اقتداره عليهم وانهم في قبضته وحصره كالمحاط اذا احيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا يقول تعالى
فهم كذا في قبضتي وانا قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم اياك فلا تجزع من تكذيبهم اياك فليسوا يفوتونني
اذا اردت الانتقام • وثانيها ان يكون المراد من هذه الاحاطة قرب هلاكهم كقوله تعالى واخرى لم تقدروا عليها قد احاط
الله بها • وقوله واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس • وقوله وظنوا انهم احيط بهم • فهذا كله عبارة عن مشارفة الهلاك
يقول فهؤلاء في تكذيبك قد شارفوا الهلاك • وثالثها ان قوله والله محيط باعمالهم اي عالم بها فهو مرصد يعاقبهم عليها
ثم انه تعالى سلى رسوله بعد ذلك بوجه ثالث وهو قوله بل هو قرآن مجيد • وفيه مسائل المسئلة الاولى تعلق
هذا بما قبله هو ان هذا قرآن مجيد مصون عن التغير والتبدل فلما حكم فيه بسعادة قوم وشقاوة قوم وبادي قوم عن قوم
امتنع تغيره وتبدله فوجب الرضا به ولا شك ان هذا امر عظيم من موجبات التسلية المسئلة الثانية قرئ قرآن مجيد
بالاضافة اي قرآن رب مجيد • وقرا يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهوا يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح المحفوظ
وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون المسئلة الثالثة انه تعالى
قال هاهنا في لوح محفوظ • وقال تعالى في اية اخرى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون فيحتمل ان يكون الكتاب المكنون واللوح
المحفوظ واحدا • ثم كونه محفوظا يحتمل ان يكون المراد كونه محفوظا عن ان يمسه الا المطهرون كما قال تعالى لا يمسه الا
المطهرون • ويحتمل ان يكون المراد كونه محفوظا عن اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين • ويحتمل ان يكون المراد انه لا يجري عليه
تغيير وتبديل المسئلة الرابعة قال بعض المتكلمين ان اللوح شي يلوح للملائكة فيقرؤونه • فلما كانت الاخبار والاثار واردة بذلك

وجب التصديق به وهو مشتمل على الترغيب والترهيب ومعرفة المبدا والمعاد • والله اعلم • وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

## سورة الطارق سبع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق ان كل نفس لما عليها حافظ
اعلم ان الله تعالى اكثر في كتابه ذكر السماء والشمس والقمر لان احوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة اما الطارق
فهو كل ما اتاك ليلا سواء كان كوكبا او غيره ولا يكون الطارق نهارا • والدليل عليه قول المسلمين في دعائهم نعوذ بالله من شر طوارق
الليل وروي انه عليه الصلاة والسلام نهى ان ياتي الرجل اهله طروقا • والعرب تستعمل الطروق في صفة الخيال لان تلك الحالة
انما تحصل في الاكثر في الليل • ثم انه تعالى لما قال والطارق كان هذا مما لا يستغني سامعه عن معرفة المراد فقال وما ادراك
ما الطارق قال سفيان كل شي في القرآن وما ادراك فقد اخبر الرسول به وكل شي فيه وما يدريك لم يخبر به كقوله وما يدريك
لعل الساعة قريب • ثم قال النجم الثاقب اي هو طارق عظيم الشان رفيع القدر وهو النجم الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر
ويوقف به على اوقات الامطار • وهاهنا مسائل المسئلة الاولى انما وصف النجم بكونه ثاقبا لوجوه • احدها انه يثقب الظلام
بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه يدرؤه اي يدفعه • وثانيها انه يطلع من المشرق نافذا في الهوا كالشي الذي يثقب الشي
وثالثها انه الذي يرمى به الشيطان فيثقبه اي ينفذ فيه ويحرقه • ورابعها قال الفراء النجم الثاقب هو النجم المرتفع على النجوم والعرب
تقول للطائر اذا لحق ببطن السماء ارتفاعا قد ثقب المسئلة الثانية انما وصف النجم بكونه طارقا لانه يبدو بالليل وقد عرفت
ان ذلك يسمى طارقا او لانه يطرق الجني اي يصكه المسئلة الثالثة اختلفوا في قوله النجم الثاقب قال بعضهم اشير به الى
جماعة النجوم فقيل الطارق كما قيل ان الانسان لفي خسر • وقال اخرون انه نجم بعينه • ثم قال ابن زيد انه الثريا وقال الفراء انه زحل
لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات • وقال اخرون انها الشهب التي يرجم بها الشياطين لقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب المسئلة الرابعة
روي ان ابا طالب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينا هو جالس ياكل اذ انحط نجم فامتلا ماء ثم نارا ففزع ابو طالب
وقال اي شي هذا فقال هذا نجم رمي به وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب • ونزلت السورة واعلم انه تعالى لما ذكر المقسم به اتبعه
بذكر المقسم عليه فقال ان كل نفس لما عليها حافظ • وفيه مسائل المسئلة الاولى في قوله لما قراءتان • احداهما قراءة ابن كثير وابي
عمرو ونافع والكسائي وهي تخفيف الميم • والثانية قراءة عاصم وحمزة والحصني بتشديد الميم قال ابو علي الفارسي من خفف كانت ان
عنده المخففة من الثقيلة • واللام في لما هي التي تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من ان النافية وما صلة كالتي في قوله فبما رحمة
من الله وعما قليل ويكون ان منقلبة للقسم كما تتلقاه مثقلة • واما من ثقل فتكون ان عنده النافية كالتي في قوله ما ان مكناكم • ولما
في معنى الا قال وتستعمل لما بمعنى الا في موضعين • احدهما هذا والاخر في باب القسم • تقول سالتك لما فعلت بمعنى الا فعلت
وروي عن الاخفش والكسائي وابي عبيدة انهم قالوا لم توجد لما بمعنى الا في كلام العرب • قال ابن عون قرات عند ابن سيرين لما بالتشديد
فانكره وقال سبحان الله سبحان الله • وزعم القتبي ان لما بمعنى الا مع ان الخفيفة التي تكون بمعنى ما موجودة في لغة هذيل المسئلة الثانية
ليس في الاية بيان ان هذا الحافظ يحفظ النفس عن ماذا • اما الاول ففيه قولان • الاول قول بعض المفسرين ان ذلك الحافظ هو الله
تعالى اما في التحقيق فلان كل موجود سوى الله ممكن وكل ممكن فانه لا يترجح وجوده على عدمه الا لمرجح • وينتهي ذلك الى الواجب لذاته
فهو سبحانه القيوم الذي بحفظه وابقائه يبقى الموجودات • ثم انه تعالى بين هذا المعنى في السموات والارض على العموم في قوله ان
الله يمسك السموات والارض ان تزولا وبينه في هذه الاية في حق الانسان على الخصوص وحقيقة الكلام ترجع الى انه تعالى القيم
كل ما سواه بانه ممكن الوجود محدث محتاج مخلوق مربوب • هذا اذا حملنا النفس على مطلق الذات • اما اذا حملناها على النفس
المتنفسة وهي النفس الحيوانية امكن ان يكون المراد من كونه تعالى حافظا لها كونه تعالى عالما باحوالها وموصلا اليها
جميع منافعها ودافعا عنها جميع مضارها • القول الثاني ان ذلك الحافظ هم الملائكة كما قال ويرسل عليكم حفظة وقال تعالى
عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال وان عليكم لحافظين كراما كاتبين • وقال له
معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اما البحث الثاني وهو انه ما الذي يحفظه هذا الحافظ ففيه
وجوه • احدها ان هؤلاء الحفظة يكتبون عليها اعمالها دقيقها وجليلها حتى يخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا •
وثانيها ان كل نفس لما عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها فاذا استوفى الانسان اجله ورزقه قبضه الى ربه وحاصله
يرجع الى وعيد الكفار وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ثم يبصرون عن قريب الى
الاخرة فيجازون بما يستحقونه • وثالثها كل نفس لما عليها حافظ يحفظها من المعاطب والمهالك فلا يصيبها الا ما قدر الله
عليها • ورابعها قال الفراء كل نفس لما عليها حافظ يحفظها حتى يسلمها الى المقابر وهذا قول الكلبي واعلم انه تعالى لما اقسم

على أن لكل نفس حافظا يراقبها ويعد عليها أعمالها فحينئذ يحق لكل أحد أن يجتهد ويسعى في تحصيل أهم المهمات
وقد تطابقت الشرائع والعقول على أن أهم المهمات معرفة المبدأ ومعرفة المعاد • واتفقوا على أن معرفة المبدأ مقدمة
على معرفة المعاد • فلهذا السبب بدأ الله تعالى بعد ذلك بما يدل على المبدأ فقال فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء
دافق يخرج من بين الصلب والترائب • وفيه مسائل المسألة الأولى الدفق صب الماء يقال دفقت الماء أي صببته وهو مدفوق
أي مصبوب ومتدفق أي منصب • ولما كان هذا الماء مدفوقا اختلفوا في أنه لم وصف بأنه دافق على وجوه • الأول
قال الزجاج معناه ذو اندفاق • كما يقال دارع وفارس ونابل ولابن وتامر أي ذو درع وفرس ونبل ولبن وتمر • وذكر الزجاج أن
هذا مذهب سيبويه • الثاني أنهم يسمون المفعول باسم الفاعل قال الفراء • وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم يجعلون
الفاعل مفعولا إذا كان في مذهب النعت كقولهم سر كاتم • وهم ناصب • وليل نائم • وكقوله تعالى في عيشة راضية أي مرضية
الثالث ذكر الخليل في الكتاب المنسوب إليه دفق الماء دفقا ودفوقا إذا انصب بمرة • واندفق الكوز إذا انصب بمرة • ويقال
في الطيرة عند انصباب الكوز ونحوه دافق خير • وفي كتاب قطرب دفق الماء يدفق إذا انصب • الرابع صاحب الماء لما كان دافقا
أطلق ذلك على الماء على سبيل المجاز المسألة الثانية قرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين • وفيه أربع لغات
صلب وصلب وصلب وصالب المسألة الثالثة ترائب المرأة عظام صدرها حيث تكون القلادة وكل عظم من ذلك
تريبة • وهذا قول جميع أهل اللغة قال امرؤ القيس • شعر • ترائبها مصقولة كالسجنجل • المسألة الرابعة
في هذه الآية قولان • أحدهما أن الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة • وقال الآخرون إنه مخلوق
من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه • واحتج صاحب القول الثاني على مذهبه بوجهين • الأول أن ماء الرجل خارج
من الصلب فقط • وماء المرأة خارج من الترائب فقط • وعلى هذا التقدير لا يحصل هناك ماء خارج من بين الصلب والترائب
وذلك على خلاف الآية • والثاني أنه تعالى بين أن الإنسان مخلوق من ماء دافق والذي يوصف بذلك هو ماء الرجل ثم عطف عليه
بأن وصفه بأنه يخرج يعني هذا الدافق من بين الصلب والترائب • وذلك يدل على أن الولد مخلوق من ماء الرجل فقط أجاب
القائلون بالقول الأول عن الحجة الأولى أنه يجوز أن يقال للشيئين المتباينين إنه يخرج من بين هذين خروجا ولأن الرجل والمرأة
عند اجتماعهما يصيران كالشيء الواحد فحسن هذا اللفظ هناك • وأجابوا عن الحجة الثانية بأن هذا من باب إطلاق اسم البعض
على الكل • فلما كان أحد قسمي المني دافقا أطلق هذا الاسم على المجموع • ثم قالوا والذي يدل على أن الولد مخلوق من مجموع المنيين
أن مني الرجل وحده صغير لا يكفي • ولأنه روي أنه عليه الصلاة والسلام قال إذا غلب ماء الرجل يكون ذكرا ويعود شبهه
إليه وإلى أقاربه • وإذا غلب ماء المرأة فإليها وإلى أقاربها يعود الشبه وذلك يقتضي صحة القول الأول • واعلم
أن الملحدين طعنوا في هذه الآية فقالوا إن كان المراد من قوله يخرج من بين الصلب والترائب أن المني إنما ينفصل من تلك المواضع
فليس الأمر كذلك لأنه إنما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع أجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعته
وخاصيته فيصير مستعدا لأن يتولد منه مثل تلك الأعضاء ولذلك قيل إن المفرط في الجماع يستولي الضعف على جميع أعضائه
وإن كان المراد أن معظم أجزاء المني يتولد هناك فهو ضعيف بل معظم أجزائه إنما يتربى في الدماغ • والدليل عليه أنه في صورته
يشبه الدماغ ولأن المكثر منه يظهر الضعف أولا في عينيه وإن كان المراد أن مستقر المني هناك فهو ضعيف لأن مستقر
المني هو أوعية المني وهي عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين وإن كان المراد أن مخرج المني هناك فهو ضعيف لأن
الحس يدل على أنه ليس كذلك • والجواب لا شك أن أعظم الأعضاء معونة في توليد المني هو الدماغ وللدماغ خليفة
وهي النخاع وهو في الصلب وله شعب كثيرة نازلة إلى مقدم البدن وهو التريبة • فلهذا السبب خص الله تعالى هذين
العضوين بالذكر • وعلى أن كلامكم في كيفية تولد المني وكيفية تولد الأعضاء من المني محض الوهم والظن الضعيف • وكلام الله
تعالى أولى بالقبول المسألة الخامسة قد بينا في مواضع من هذا الكتاب أن دلالة تولد الإنسان عن النطفة على وجود الصانع
المختار من أظهر الدلائل لوجوه • أحدها أن التركيبات العجيبة في بدن الإنسان أكثر فيكون تولده عن المادة البسيطة
أدل على القادر الحكيم المختار • وثانيها أن اطلاع الإنسان على أحوال نفسه أكثر من اطلاعه على أحوال غيره فلا جرم
كانت هذه الدلالة أتم • وثالثها أن مشاهدة الإنسان لهذه الأحوال في أولاده وأولاد سائر الحيوانات دائمة
فكان الاستدلال به على الصانع المختار أقوى • ورابعها وهو أن الاستدلال بهذا الباب كما أنه يدل قطعا على وجود الصانع
المختار الحكيم فكذلك يدل قطعا على صحة البعث والحشر والنشر وذلك لأن حدوث الإنسان إنما كان بسبب اجتماع أجزاء كانت
متفرقة في بدن الوالدين بل في جميع العالم فلما قدر الصانع على جمع تلك الأجزاء المتفرقة حتى خلق منها إنسانا سويا وجب
أن يقال إنه بعد موته وتفرق أجزائه لا بد وأن يقدر الصانع على جمع تلك الأجزاء وجعلها خلقا سويا كما كان أولا • ولهذا
السر لما بين تعالى الدلالة على المبدأ فرع عليه أيضا الدلالة على صحة المعاد فقال إنه على رجعه لقادر • وفيه مسئلتان

المسئلة الأولى

المسألة الأولى الضمير في أنه للخالق مع أنه لم يتقدم ذكره • والسبب فيه وجهان • الأول دلالة خلق عليه والمعنى أن
ذلك الذي خلق قادر على رجعه • الثاني أنه وإن لم يتقدم ذكره لفظا ولكن تقدم ما يدل عليه سبحانه وقد تقرر في بداية العقول
أن القادر على هذه التصرفات هو الله سبحانه فلما كان ذلك في غاية الظهور كان كالمذكور المسألة الثانية الرجع مصدر
رجعت الشيء أي رددته • والكناية في قوله على رجعه • أي شيء يرجع فيه وجهان • أولهما وهو الأقرب أنه راجع إلى الإنسان
والمعنى أن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء وجب أن يقدر بعد موته على رده حيا وهو كقوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها
أول مرة • وقوله وهو أهون عليه • وثانيهما أن الضمير غير عائد إلى الإنسان • ثم قال مجاهد قادر على أن يرد الماء في الإحليل
وقال عكرمة والضحاك على أن يرد الماء في الصلب وروي أيضا عن الضحاك أنه قادر على رد الإنسان كما كان قبله • وقال
مقاتل بن حيان إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب ومن الشباب إلى الصبى • ومن الصبى إلى النطفة • واعلم أن القول الأول
أصح ويشهد له قوله يوم تبلى السرائر أي أنه قادر على بعثه يوم القيمة • ثم إنه سبحانه لما أقام الدلالة على صحة القول
بالبعث والقيمة وصف حاله في ذلك اليوم فقال يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر • وفيه مسائل المسألة الأولى
يوم منصوب برجعه • ومن جعل الضمير في رجعه للماء • وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو إلى الحالة الأولى
نصب الظرف بقوله فما له من قوة أي ما له من قوة ذلك اليوم المسألة الثانية تبلى أي تختبر والسرائر ما أسر في
القلوب من العقائد والنيات • وما أخفي من الأعمال • وفي كيفية الابتلاء والاختبار ههنا أقوال • الأول ما ذكره القفال
معنى الاختبار ههنا أن أعمال الإنسان يوم القيمة تعرض عليه • وينظر أيضا في الصحيفة التي كتبت الملائكة فيها تفاصيل
أعمالهم ليعلم أن المذكور هل هو مطابق للمكتوب • ولما كانت المحاسبة يوم القيمة واقعة على هذا الوجه جاز أن يسمى
هذا المعنى ابتلاء وهذه التسمية بعيدة لعباده ابتلاء • وامتحانا وإن كان عالما بتفاصيل ما عملوه وما لم يعملوه • والوجه الثاني
أن الأفعال إنما يستحق عليها الثواب والعقاب لوجوهها • فرب فعل يكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا • وربما كان بالعكس
فاختبارها ما يعتبر بين تلك الوجوه المتعارضة من المعارضة والترجيح حتى يظهر أن الوجه الراجح ما هو والمرجوح ما هو
الثالث قال أبو مسلم بلوت يقع على إظهار الشيء ويقع على امتحانه لقوله ونبلو أخباركم • وقوله ليبلوكم • ثم قال المفسرون
السرائر التي تكون بين الله وبين العبد تختبر يوم القيمة حتى يظهر خيرها من شرها ومؤديها من مضيعها وهذا معنى قول ابن عمر
يبدي الله يوم القيمة كل سر منها فيكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه يعني من أداها كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه
أغبر المسألة الثالثة دلت الآية على أنه لا قوة للعبد ذلك اليوم لأن قوة الإنسان إما أن تكون له لذاته أو مستفادة من غيره
فالأول منفي بقوله تعالى فما له من قوة • والثاني منفي بقوله ولا ناصر • والمعنى ما له من قوة يدفع بها عن نفسه ما حل به من
العذاب • ولا ناصر ينصره في دفعه • ولا شك أنه زجر وتحذير • ومعنى دخول من في قوله من قوة على وجه النفي لتقليل ذلك
وتكثيره كأنه قيل ما له شيء من القوة ولا أحد من الأنصار المسألة الرابعة يمكن أن يتمسك بهذه الآية في نفي الشفاعة
لقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا إلى قوله ولا هم ينصرون والجواب ما تقدم قوله تعالى
والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين
أمهلهم رويدا اعلم أنه سبحانه وتعالى لما فرغ من دلالة التوحيد والمعاد أقسم قسما آخر أما قوله والسماء ذات الرجع
فنقول قال الزجاج الرجع المطر لأنه يجيء ويتكرر واعلم أن كلام الزجاج وسائر أئمة اللغة صريح في أن الرجع ليس اسما موضوعا
للمطر بل سمي رجعا على سبيل المجاز • ولحسن هذا المجاز وجوه • أحدها قال القفال كأنه من ترجيع الصوت وهو إعادته
ووصل الحروف به • فكذا المطر لكونه عائدا مرة بعد أخرى سمي رجعا • وثانيها أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء
من بحار الأرض • ثم يرجعه إلى الأرض • وثالثها أنهم أرادوا التفاؤل فسموه رجعا ليرجع • ورابعها أن المطر يرجع في كل
عام • إذا عرفت هذا فنقول للمفسرين أقوال • أحدها قال ابن عباس والسماء ذات الرجع أي ذات المطر يرجع المطر بعد المطر
وثانيها رجع السماء إعطاء الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الأزمان ترجعه رجعا أي تعطيه مرة بعد
مرة • وثالثها قال ابن زيد هو أنها ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبهما • والقول هو الأول • أما قوله تعالى والأرض
ذات الصدع فاعلم أن الصدع هو الشق • ومنه قوله تعالى يومئذ يصدعون أي يتفرقون • وللمفسرين أقوال قال
ابن عباس تنشق عن النبات والأشجار • وقال مجاهد هو الجبلان بينهما شق وطريق نافذ • كما قال تعالى وجعلنا فيها فجاجا
سبلا وقال الليث الصدع نبات الأرض لأنه يصدع الأرض فتتصدع به • وعلى هذا يسمى النبات صدعا لأنه صادع للأرض
واعلم أنه سبحانه كما جعل كيفية خلقة الحيوان دليلا على معرفة المبدأ والمعاد • ذكر في هذا القسم كيفية خلقة النبات
فالسماء ذات الرجع كالأب • والأرض ذات الصدع كالأم • وكلاهما من النعم العظام لأن نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل
من السماء من المطر متكررا وعلى ما ينبت من الأرض كذلك • ثم إنه تعالى أردف هذا القسم بالمقسم عليه فقال

واعلم ان كلام الزجاج وسائر ائمة اللغة صريح

الوالدين

انه لقول فصل. وفيه مسائل المسئلة الاولى في هذا الضمير قولان الاول ما قال القفال وهو ان المعنى
ان ما اخبرتكم به من قدرتي على احيائكم في اليوم الذي تبلى فيه سرائركم قول فصل وحق. والثاني انه عائد الى القران اي
القران فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان والاولى اولى لان عود الضمير الى المذكور السالف اولى المسئلة الثانية
قوله فصل اي حكم ينفصل به الحق عن الباطل. ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم. ويقال هذا قول فصل
اي قاطع للمراء والنزاع. وقال بعض المفسرين معناه انه جد حق لقوله وما هو بالهزل اي باللعب. والمعنى ان القران
نزل بالجد ولم ينزل باللعب. ثم قال وما هو بالهزل. والمعنى ان البيان الفصل قد يذكر لا على سبيل الجد. وهذا الموضع
من ذلك. ثم قال انهم يكيدون كيدا وذلك الكيد على وجوه. منها القاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام
وهي رميم اجعل الالهة الها واحدا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين فهي تملى عليه بكرة واصيلا. ومنها الطعن
فيه بكونه ساحرا وشاعرا ومجنونا. ومنها يقصد قتله على ما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك. ثم قال
واكيد كيدا واعلم ان الكيد في حق الله تعالى محمول على وجوه. احدها دفعه تعالى كيد الكفرة عن محمد عليه الصلاة والسلام
ومقابلة ذلك الكيد بنصرته. واعلا تسميته لاحد المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال الشاعر
الا لا يجهلن احد علينا. فنجهل فوق جهل الجاهلينا. وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم. يخادعون الله وهو خادعهم
وثانيها ان كيده تعالى بهم هو امهاله اياهم على كفرهم حتى ياخذهم على غرة. ثم قال فمهل الكافرين اي لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل
ثم انه تعالى لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال المامور به قليل فقال امهلهم رويدا. فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة
التسكين من الرسول عليه السلام والتصبر. وهاهنا مسائل المسئلة الاولى قال ابو عبيدة ان تكبيره رويد رود
وانشد شعر. يمشي ولا تكلم البطحا مشيته. كانه ثمل يمشي على رود. اي على مهلة ورفق وتؤدة
وذكر ابو علي في باب اسماء الافعال رويد زيدا يريد ارود زيدا. ومعناه امهله وارفق به قال النحويون رويد
في كلام العرب على ثلاثة اوجه. احدها ان يكون اسما للامر كقولك رويد زيدا يريد ارود زيدا وخله ودعه وارفق
به ولا ينصرف رويد في هذا الوجه لانها غير متمكنة. والثاني ان يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف الى ما بعده كما
تضاف المصادر تقول رويد زيد كما تقول ضرب زيد قال تعالى فضرب الرقاب. والثالث ان يكون نعتا منصوبا
كقولك ساروا سيرا رويدا. ويقولون ايضا ساروا رويدا يحذفون المنعوت ويقيمون رويدا مقامه كما يفعلون
بسائر النعوت المتمكنة. ومن ذلك قول العرب ضعه رويدا اي وضعا رويدا. ويقول الرجل يعالج الشيء رويدا اي علاجا
رويدا. ويجوز في هذا الوجه امران. احدهما ان يكون رويدا حالا. والثاني ان يكون نعتا. فان ظهر المنعوت لم
يجز ان يكون للحال. والذي في الاية هو ما ذكرنا في الوجه الثالث. لانه يجوز ان يكون نعتا للمصدر كانه قيل امهالا رويدا
ويجوز ان يكون للحال اي امهلهم غير مستعجل المسئلة الثانية منهم من قال امهلهم رويدا الى يوم القيمة. وانما صغر
ذلك من حيث علم ان كل ما هو ات قريب. ومنهم من قال امهلهم رويدا الى يوم بدر. وفي سائر الغزوات لا يتم الكل. واذا
حمل على امر الاخرة عم الكل ولا يمتنع مع ذلك ان يدخل في جملته امر الدنيا فيما نالهم يوم بدر وغيره وكل ذلك زجر
وتحذير للقوم فكانه تحذيرهم فهو ترغيب في خلاف طريقهم في الطاعات. والله سبحانه وتعالى اعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله

## سورة الاعلى تسع عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى
والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى اعلم ان قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى فيه مسائل المسئلة الاولى في قوله
اسم ربك قولان. احدهما ان الامر بتنزيه اسم الله وتقديسه. والثاني ان الاسم صلة والمراد الامر بتنزيه الله تعالى
اما على الوجه الاول ففي اللفظ احتمالات. احدها ان المراد نزه اسم ربك عن ان يسمى به غيره فيكون ذلك نهيا عن ان يدعى
غيره باسمه. كما كان المشركون يسمون الصنم باللات. ومسيلمة برحمان اليمامة. وثانيها ان لا تفسر اسماءه بما لا يصح ثبوته
في حقه سبحانه نحو ان يفسر الاعلى بالعلو في المكان. والاستواء بالاستقرار بل يفسر العلو بالقهر والاقتدار. والاستواء
بالاستيلاء. وثالثها ان يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم. ويدخل فيه ان يذكر تلك الاسماء عند
الغفلة وعدم الوقوف على معانيها وحقائقها. ورابعها ان يكون المراد سبح باسم ربك اي مجده باسمائه التي انزلتها عليك
وعرفتك انها اسماؤه كقوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن. ونظير هذا التاويل قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم
ومقصود الكلام من هذا التاويل امران. احدهما سبح باسم ربك الاعلى اي صل باسم ربك كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية

والثاني ان لا

والثاني ان لا يذكر العبد ربه الا بالاسماء التي ورد التوقيف بها قال الفراء لا فرق بين سبح اسم ربك وبين سبح باسم ربك قال الواحدي
وبينهما فرق لان معنى سبح باسم ربك نزه الله تعالى بذكر اسمه المنبئ عن تنزيهه وعلوه عما يقول المبطلون. وسبح اسم ربك اي نزه
الاسم من السوء وخامسها قال ابو مسلم المراد من الاسم هاهنا الصفة. وكذا في قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها
اما على الوجه الثاني وهو ان يكون الاسم صلة ويكون المعنى سبح الله ربك وهو اختيار جمع من المحققين قالوا لان الاسم في الحقيقة
لفظة مؤلفة من حروف ولا يجب تنزيهها كما يجب في الله تعالى لكن المذكور في غاية التعظيم لا يذكر هو بل يذكر اسمه. فيقال
سبح اسمه ومجد ذكره كما يقال سلام على المجلس العالي وقال لبيد. الى الحول ثم اسم السلام عليكما. اي السلام
وهذه طريقة مشهورة في اللغة. ونقول في هذا الوجه تسبيح الله يحتمل وجهين. الاول ان لا يعامل الكفار معاملة
يقدمون بسببها على ذكر الله بما لا ينبغي على ما قال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم. الثاني
انه عبارة عن تنزيه الله عن كل ما لا يليق به في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وفي اسمائه. وفي احكامه. اما في ذاته فان يعتقد
انها ليست من الجواهر والاعراض. واما في صفاته فان يعتقد انها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة. واما في افعاله
فان يعتقد انه مالك مطلق فلا اعتراض لاحد عليه في امر من الامور. وقالت المعتزلة هو ان يعتقد ان كل ما فعله فهو صواب
حسن وانه لا يفعل القبيح ولا يرضى به. واما في اسمائه فان لا يذكر سبحانه الا بالاسماء التي ورد التوقيف بها. هذا عندنا. واما
عند المعتزلة فهو ان لا يذكر الا بالاسماء التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سواء ورد الاذن بها او لم يرد فهو ان يعلم انه ما كلفنا
لنفع يعود عليه بل لمحض المالكية على ما هو قولنا او لرعاية مصالح العباد على ما هو قول المعتزلة المسئلة الثانية
من الناس من تمسك بهذه الاية في ان الاسم نفس المسمى فاقول ان الخوض في الاستدلال لا يمكن الا بعد تلخيص محل النزاع فلا
بد هاهنا من بيان ان الاسم ما هو والمسمى ما هو حتى يمكننا ان نخوض في ان الاسم هل هو نفس المسمى ام لا. فنقول ان كان المراد من الاسم
هو هذا اللفظ. وبالمسمى تلك الذات. فالعاقل لا يمكنه ان يقول الاسم هو المسمى. وان كان المراد من الاسم هو تلك الذات وبالمسمى
ايضا تلك الذات كان قولنا الاسم نفس المسمى هو ان تلك الذات نفس تلك الذات. وهذا لا يمكن ان ينازع فيه عاقل فعلمنا
ان هذه المسئلة في وضعها ركيكة واذا كان كذلك كان الخوض في ذكر الاستدلال على ما تركه اولى بل هاهنا دقيقة ان قولنا
اسم لفظة جعلناها اسما لكل ما دل على معنى غير مقترن بزمان والاسم كذلك فيلزم ان يكون الاسم اسما لنفسه. فهاهنا الاسم نفس
المسمى فلعل العلماء الاولين ذكروا ذلك فاشتبه الامر على المتاخرين وظنوا ان الاسم في جميع المواضع نفس المسمى هذا حاصل
التحقيق في هذه المسئلة. ولنرجع الى الكلام المالوف قالوا الذي يدل على ان الاسم نفس المسمى هو ان احدا لا يقول سبحان الله
وسبحان اسم ربنا. فمعنى سبح اسم ربك سبح ربك والرب ايضا اسم. فلو كان غير المسمى لم يجز ان يقع التسبيح عليه واعلم ان هذا
الاستدلال ضعيف لما في المسئلة الاولى انه يمكن ان يكون الامر واردا بتسبيح الاسم ويمكن ان يكون المراد تسبيح المسمى وذكر
الاسم صلة فيه. ويمكن ان يكون المراد سبح باسم ربك كما قال فسبح باسم ربك العظيم ويكون المعنى سبح ربك بذكر اسمائه المسئلة الثالثة
روي عن عقبة بن عامر انه لما نزل قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها
في ركوعكم. ولما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم. ثم روي في الاخبار انه عليه الصلاة والسلام
كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم. وفي سجوده سبحان ربي الاعلى. ثم من العلماء من قال هذه الاحاديث تدل على ان المراد
من قوله سبح باسم ربك اي صل باسم ربك. ويتاكد هذا الاحتمال باطباق المفسرين على ان قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون. ورد في بيان اوقات الصلوات المسئلة الرابعة قرا علي عليه السلام وابن عمر سبحان ربي الاعلى
الذي خلق فسوى. ولعل الوجه فيه ان قوله سبح امر بالتسبيح فلا بد وان يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قوله سبحان
ربي الاعلى المسئلة الخامسة تمسكت المجسمة في اثبات العلو بالمكان بقوله ربك الاعلى والحق ان العلو بالجهة على
الله تعالى محال لانه تعالى اما ان يكون متناهيا او غير متناه. فان كان متناهيا كان طرفه الفوقاني متناهيا فكان فوقه
جهة فلا يكون هو سبحانه اعلى من جميع الاشياء. واما ان كان غير متناه فالقول بوجود ابعاد غير متناهية محال
وايضا فلانه ان كان غير متناه من جميع الجهات يلزم ان يكون ذاته تعالى مختلطة بالقاذورات تعالى الله عنه وان
كان غير متناه من بعض الجهات. ومتناهيا من بعض الجهات كان الجانب المتناهي مغايرا للجانب الغير المتناهي فيكون
مركبا من جزئين وكل مركب ممكن فواجب الوجود لذاته ممكن الوجود هذا محال فثبت ان العلو هاهنا ليس بمعنى العلو في
الجهة. ومما يؤكد ذلك ان ما قبل هذه الاية وما بعدها ينافي ان يكون المراد هو العلو بالجهة. اما ما قبل الاية
فلان العلو عبارة عن كونه في غاية البعد عن العالم. وهذا لا يناسب استحقاق التسبيح والثناء والتعظيم. اما العلو
كمال القدرة والتفرد بالتخليق والابداع يناسب ذلك. والسورة هاهنا مذكورة لبيان وصفه تعالى بما لاجله
يستحق الحمد والثناء والتعظيم. واما ما بعد هذه الاية فلانه اردف قوله تعالى الاعلى بقوله الذي خلق فسوى

ثم من العلماء من قال بهذه الاحاديث تدل

والخالقية تثابت العلو بحسب القدرة لا بحسب الجهة المسألة السادسة من الملحدين من قال القرآن مشعر
بأن للعالم ربين أحدهما عظيم والآخر أعلى منه أما العظيم فقوله فسبح باسم ربك العظيم وأما الأعلى منه فقوله
سبح اسم ربك الأعلى فهذا يقتضي وجود رب آخر يكون هذا أعلى بالنسبة إليه واعلم أنه لما دلت الدلائل على أن الصانع
تعالى واحد سقط هذا السؤال ثم نقول ليس في هذه الآية أنه سبحانه وتعالى أعلى من رب آخر بل ليس فيه إلا أنه أعلى
ثم لنا فيه تأويلات الأول أنه تعالى أعلى وأجل وأعظم من كل ما يصفه به الواصفون ومن كل ذكر يذكره به الذاكرون
فجلال كبريائه أعلى من معارفنا وإدراكاتنا وأصناف آلائه ونعمائه أعلى من حمدنا وشكرنا وأنواع حقوقه أعلى من طاعاتنا
وأعمالنا الثاني أن قوله الأعلى تنبيه على استحقاق الله التنزه من كل نقص فكأنه قال سبحانه فإنه الأعلى فإنه العالي
على كل شيء بملكه وسلطانه وقدرته وهو كما تقول اجتنب الخمرة المزيلة للعقل أي اجتنبها بسبب كونها مزيلة للعقل
والثالث أن يكون المراد بالأعلى العالي كما أن المراد بالأكبر الكبير المسألة السابعة روي أنه عليه الصلاة والسلام
كان يحب هذه السورة ويقول لو علم الناس علم سبح اسم ربك الأعلى لرددها أحدهم ست عشرة مرة وروي أن عائشة
مرت بأعرابي يصلي بأصحابه فقرأ سبح اسم ربك الأعلى الذي يسر على الحبلى فأخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى أليس
ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فقالت عائشة لا آب غائبكم ولا زالت نساؤكم في رنة والله أعلم قوله تعالى
الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى اعلم أنه سبحانه لما أمر بالتسبيح فكأن سائلا قال الاشتغال بالتسبيح إنما يكون
بعد المعرفة فما الدليل على وجود الرب فقال الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى واعلم أن الاستدلال بالخلق والهداية
هي الطريقة المعتمدة عند أكابر الأنبياء عليهم السلام والدليل عليه ما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال
الذي خلقني فهو يهدين وحكى عن فرعون أنه لما قال لموسى وهرون عليهما فمن ربكما يا موسى قال موسى عليه السلام ربنا
ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وأما محمد عليه الصلاة والسلام فإنه تعالى أول ما أنزل عليه هو قوله اقرأ باسم ربك
الذي خلق خلق الإنسان من علق وهذا إشارة إلى الخلق ثم قال اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم وهذا إشارة إلى
الهداية ثم إنه تعالى أعاد ذكر تلك الحجة في هذه السورة فقال الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وإنما وقع الاستدلال
بهذه الطريقة كثيرا لما ذكرنا أن العجائب والغرائب في هذه الطريقة أكثر ومشاهدة الإنسان لها واطلاعه عليها أتم
فلا جرم كانت أقوى في الدلالة ثم ههنا مسائل المسألة الأولى قوله خلق فسوى يحتمل أن يريد الناس
الناس خاصة ويحتمل أن يريد الحيوان ويحتمل أن يريد كل شيء خلقه فمن حمله على الإنسان ذكر للتسوية وجوها أحدها
أنه جعل قامته مستوية معتدلة وخلقته حسنة على ما قال لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وأثنى على
نفسه بسبب خلقه إياه فقال فتبارك الله أحسن الخالقين وثانيها أن كل حيوان فإنه مستعد لنوع واحد من الأعمال
فقط وغير مستعد لسائر الأعمال أما الإنسان فإنه خلق بحيث يمكنه أن يأتي بجميع أفعال الحيوانات بواسطة آلات
مختلفة فالتسوية إشارة إلى هذا وثالثها أنه هيأه للتكليف والقيام بأداء العبادات وأما من حمله على جميع
الحيوانات قال المراد أنه أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه من أعضاء وآلات وحواس وقد استقصينا القول في هذا الباب
في مواضع كثيرة من هذا الكتاب وأما من حمله على جميع المخلوقات قال المراد من التسوية هو أنه تعالى قادر على كل الممكنات
عالم بجميع المعلومات يخلق ما أراد على وفق ما أراد موصوفا بوصف الإحكام والإتقان مبرأ عن النقص والاضطراب
المسألة الثانية قرأ الجمهور قدر مشددة وقرأ الكسائي على التخفيف أما قراءة التشديد فالمعنى أنه قدر كل شيء
بمقدار معلوم وأما التخفيف فقال القفال معناه ملك فهدى وتأويله أنه خلق فسوى وملك ما خلق أي تصرف
فيه كيف شاء وأراد وهذا هو الملك فهداه لمنافعه ومصالحه ومنهم من قال هما لغتان بمعنى واحد وعليه قوله تعالى
فقدرنا فنعم القادرون بالتشديد والتخفيف المسألة الثالثة أن قوله قدر يتناول المخلوقات في ذواتها
وصفاتها كل واحد على حد معين فقدر السموات والكواكب والعناصر والمعادن والنبات والحيوان والإنسان بمقدار مخصوص
[illegible]
والأوضاع والحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة مقدارا معلوما [illegible]
[illegible]



هدى الذكر للأنثى كيف يأتيها وقال آخرون هداه المعيشة ومرعاه وقال آخرون هدى الإنسان لسبيل الخير والشر
والسعادة والشقاوة وذلك لأنه جعله حساسا دراكا متمكنا من الإقدام على ما يسره كما قال إنا هديناه السبيل إما شاكرا
وإما كفورا وقال ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج
وقال الفراء قدر فهدى وأضل واكتفى بذكر أحدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال آخرون الهداية بمعنى الدعاء إلى
الإيمان كقوله وإنك لتهدي أي لتدعو وقد دعا الكل إلى الإيمان وقال آخرون هدى أي دلهم بأفعاله على توحيده وجلال
كبريائه ونعوت صمديته وفردانيته وذلك لأن العاقل يرى في العالم أفعالا محكمة متقنة منتظمة فهي لا محالة
تدل على الصانع القديم وقال قتادة في قوله قدر فهدى إن الله ما أكره عبدا على معصية ولا على ضلالة ولا رضيها
له ولا أمره بها ولكن رضي لكم الطاعة وأمركم بها ونهاكم عن المعصية واعلم أن هذه الأقوال على كثرتها لا تخرج عن
قسمين فمنهم من حمل قوله فهدى على ما يتعلق بالدين كقوله تعالى وهديناه النجدين ومنهم من حمله على ما يرجع إلى مصالح الدنيا
والأول أقوى لأن قوله خلق فسوى وقدر فهدى أي كلف ودل على الدين قوله تعالى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى
اعلم أنه سبحانه لما بين ما يختص به الناس أتبعه بذكر ما يختص به غير الناس من النعم فقال والذي أخرج المرعى أي هو القادر
على إنبات العشب لا كالأصنام التي عبدتها الكفرة والمرعى ما تخرجه الأرض من النبات ومن الثمار والزروع والحشيش
قال ابن عباس المرعى الكلأ الأخضر ثم قال فجعله غثاء أحوى وفيه مسألتان المسألة الأولى الغثاء ما يبس من
النبت فحملته الأودية والمياه وألوت به الرياح وقال قطرب واحد الغثاء غثاءة المسألة الثانية الحوة السواد
وقال بعضهم الأحوى هو الذي يضرب إلى السواد إذا أصابته رطوبة وفي أحوى قولان أحدهما أنه نعت الغثاء أي
صار بعد الخضرة يابسا فتغير إلى السواد وسبب ذلك السواد أمور أحدها أن العشب إنما يجف عند استيلاء البرد
على الهواء ومن شأن البرودة أنها تبيض الرطب وتسود اليابس وثانيها أن يحمله السيل فيلصق به أجزاء كدرة فيسود وثالثها
أن تحمله الريح فيلصق به الغبار الكثير فيسود القول الثاني وهو اختيار الفراء وأبي عبيدة وهو أن يكون الأحوى هو
الأسود لشدة خضرته كما قيل مدهامتان أي سوداوان لشدة خضرتهما والتقدير الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء
كقوله ولم يجعل له عوجا قيما أي أنزله قيما ولم يجعل له عوجا قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم
الجهر وما يخفى اعلم أنه تعالى لما أمر محمدا بالتسبيح فقال سبح اسم ربك الأعلى وعلم محمدا عليه الصلاة والسلام أن ذلك
التسبيح لا يتم ولا يكمل إلا بقراءة ما أنزله الله تعالى عليه من القرآن لما بينا أن التسبيح الذي يليق به هو الذي يرتضيه لنفسه
فلا جرم كان يتذكر القرآن في نفسه مخافة أن ينسى فأزال الله تعالى ذلك الخوف عن قلبه بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى
وفيه مسائل المسألة الأولى قال الواحدي سنقرئك أي سنجعلك قارئا بأن نلهمك القراءة فلا تنسى ما تقرؤه والمعنى
نجعلك قارئا للقرآن تقرؤه فلا تنساه قال مجاهد ومقاتل والكلبي كان عليه السلام إذا نزل عليه القرآن أكثر تحريك لسانه مخافة
أن ينسى وكان جبريل عليه السلام لا يفرغ من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله مخافة النسيان فقال الله تعالى سنقرئك
فلا تنسى أي سنعلمك هذا القرآن حتى تحفظه ونظيره قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقوله
لا تحرك به لسانك لتعجل به ثم ذكروا في كيفية ذلك الاستقراء والتعليم وجوها أحدها أن جبريل عليه السلام سيقرأ
عليك القرآن مرات حتى تحفظه حفظا لا تنساه وثانيها إنا نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظ بالمرة الواحدة حفظا
لا تنساه وثالثها أنه تعالى لما أمره في أول السورة بالتسبيح فكأنه تعالى قال واظب على ذلك ودم عليه فإنا سنقرئك
القرآن الجامع لعلوم الأولين والآخرين ويكون فيه ذكرك وذكر قومك ونجمعه في قلبك ونيسرك لليسرى وهو العمل به
المسألة الثانية هذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الأول أنه كان رجلا أميا فحفظه لهذا الكتاب
المطول من غير دراسة ولا تكرار ولا كتابة خارق للعادة فيكون معجزا الثاني أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة فهذا
إخبار عن أمر عجيب غريب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا إخبارا عن الغيب فيكون معجزا أما قوله
فلا تنسى فقال بعضهم فلا تنسى معناه النهي والألف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره
فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه والقول المشهور أن هذا خبر والمعنى سنقرئك إلى أن تصير بحيث لا تنسى وتأمن
النسيان كقولك سأكسوك فلا تعرى أي فتأمن العري واحتج أصحاب هذا القول على ضعف القول الأول بأن ذلك
القول لا يتم إلا عند التزام مجازات في هذه الآية منها أن النسيان لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يصح ورود الأمر
والنهي به فلا بد وأن يحمل ذلك على المواظبة على الأشياء التي تنافي النسيان مثل الدراسة وكثرة التذكر وكل ذلك عدول
عن ظاهر اللفظ ومنها أن تجعل الألف مزيدة للفاصلة وهو أيضا خلاف الأصل ومنها أنا إذا جعلناه خبرا
كان معنى الآية بشارة الله إياه بأني أجعلك بحيث لا تنساه وإذا جعلناه نهيا كان معناه أن الله أمره بأن يواظب على

والمعنى نجعلك قاريا للقرآن تقرؤه فلا تنساه

الاسباب المانعة من النسيان وهي الدراسة والقراءة وهذا البشرى في البشارة وتعظيم حاله مثل الاول ولانه على
خلاف قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به • اما قوله الا ما شاء الله ففيه احتمالات • احدها ان يقال هذا الاستثناء
غير حاصل في الحقيقة وانه عليه السلام لم ينس بعد ذلك شيئا قال الكلبي انه عليه السلام لم ينس بعد نزول هذه
الآية • وعلى هذا التقدير يكون الغرض من قوله الا ما شاء الله امورا • احدها التبرك بذكر هذه الكلمة على ما قال تعالى
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وكانه تعالى يقول انا مع اني عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب
الامور على التفصيل لا اخبر عن وقوع شيء في المستقبل الا مع هذه الكلمة فانت وامتك يا محمد اولى بها • وثانيها قال
الفراء انه تعالى ما شاء ان ينسى محمد عليه السلام شيئا الا ان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو اراد ان
يصير ناسيا لذلك لقدر عليه كما قال ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم انا نقطع بانه تعالى ما شاء ذلك
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه عليه الصلاة والسلام ما اشرك البتة • وبالجملة ففائدة
هذا الاستثناء ان الله تعالى يعرفه قدرة ربه حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله واحسانه لا من قوته • وثالثها
انه تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جوز رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما نزل عليه من الوحي قليلا او كثيرا ان يكون ذلك
هو المستثنى فلا جرم كان يبالغ في التثبت والتحفظ والتيقظ في جميع الاحوال • ورابعها ان يكون الغرض من قوله الا ما
شاء الله نفي النسيان راسا كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء • القول
الثاني ان قوله الا ما شاء الله استثناء في الحقيقة • وعلى هذا التقدير تحتمل الآية وجوها • احدها قال الزجاج الا ما شاء
ان ينسى فانه ينسى • ثم يتذكر بعد ذلك فاذن قد ينسى ولكنه يتذكر فلا ينسى نسيانا كليا دائما • روي انه اسقط آية في
قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال نسيتها • وثانيها قال مقاتل الا ما شاء الله ان ينسيه ويكون
المراد من الانساء ههنا نسخه كما قال تعالى ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها فيكون المعنى الا ما شاء الله
ان ينساه على الاوقات كلها فيامرك ان لا تقراه ولا تصلي به فيصير ذلك سببا لنسيانه وزواله عن الصدور • وثالثها
ان يكون قوله الا ما شاء الله القلة والندرة • ويشترط ان لا يكون ذلك القليل من واجبات الشرع بل من الآداب والسنن
فانه لو نسي شيئا من الواجبات ولم يتذكره ادى ذلك الى الخلل في الشرع وانه غير جائز • اما قوله تعالى انه يعلم الجهر
وما يخفى ففيه وجهان • احدهما انه سبحانه عالم بجهرك في القراءة مع قراءة جبريل عليه السلام وعالم بالسر الذي
في قلبك وهو انك تخاف النسيان فلا تخف فانا اكفيك ما تخافه • والثاني ان يكون المعنى فلا تنسى الا ما شاء الله ان ينسخ
فانه اعلم بمصالح العبيد حيث يعلم ان المصلحة في النسخ • اما قوله تعالى ونيسرك لليسرى ففيه مسائل المسألة الاولى
اليسرى هي اعمال الخير التي تؤدي الى اليسر • اذا عرفت هذا فقول المفسرين فيه وجوه • احدها ان قوله ونيسرك
معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض • والتقدير سنقرئك فلا تنسى ونوفقك للطريقة
التي هي اسهل واليسر يعني في حفظ القرآن • وثانيها قال ابن مسعود اليسرى الجنة • والمعنى نيسرك للعمل المؤدي
اليها • وثالثها نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه وتعمل به • ورابعها نوفقك للشريعة وهي الحنيفية السهلة
السمحة • والوجه الاول اقرب • المسألة الثانية لسائل ان يسال فيقول العبارة المعتادة ان يقال جعل الفعل
الفلاني ميسرا لفلان • ولا يقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلاني فما الفائدة فيه ههنا جواب [illegible]
كما انها اختيار القرآن في هذا الموضع • وفي سورة الليل ايضا فكذا هي اختيار الرسول في قوله عليه الصلاة والسلام
اعملوا فكل ميسر لما خلق له • وفيه لطيفة علمية وذلك لان ذلك الفعل في نفسه ماهية ممكنة قابلة للوجود والعدم
على السوية فما دام القادر يبقى بالنسبة فعلها وتركها على السوية امتنع صدور الفعل عنه فاذا ترجحت جانب الفاعلية
على جانب التاركية حصل الفعل فثبت ان الفعل ما لم يجب لم يوجد وذلك الرجحان هو المسمى بالتيسير • فثبت
ان الامر في التحقيق هو ان الفاعل يصير ميسرا للفعل لا ان الفعل يصير ميسرا للفاعل فسبحان من له تحت كل كلمة
حكمة خفية وسر عجيب يبهر العقول • المسألة الثالثة انما قال ونيسرك لليسرى بنون التعظيم لتكون عظمة المعطي
دالة على عظمة العطاء • نظيره قوله تعالى انا انزلناه انا نحن نزلنا الذكر انا اعطيناك الكوثر دلت هذه الآية
على انه سبحانه فتح عليه من ابواب التيسير والتسهيل ما لم يفتحه على احد غيره • وكيف لا وقد كان صبيا لا اب له
ولا ام نشأ في قوم جهال ثم انه تعالى جعله في افعاله واقواله قدوة للعالمين وهاديا للخلق اجمعين • اما قوله
تعالى فذكر ان نفعت الذكرى فاعلم انه تعالى لما تكفل بجميع تيسير مصالح الدنيا والآخرة امره بدعوة الخلق الى
الحق لان كمال حال الانسان في ان يتخلق باخلاق الله سبحانه تاما وفوق التمام فلما صار محمد عليه الصلاة والسلام
تاما بمقتضى قوله ونيسرك لليسرى امره بان يجعل نفسه فوق التمام بمقتضى قوله فذكر لان التذكير يقتضي تكميل الناقصين

وهداية الجاهلين



وهدايته الجاهلين ومن كان كذلك كان فائضا للكمال وكان تاما وفوق التمام • وههنا سؤالات • السؤال الاول انه عليه السلام
كان مبعوثا الى الكل فيجب عليه ان يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى او لم تنفعهم فما المراد من تعليقه على الشرط في قوله ان نفعت
الذكرى • الجواب ان المعلق بان على الشيء لا يلزم ان يكون عدما عند عدم ذلك الشيء ويدل عليه آيات منها هذه الآية
ومنها قوله واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ومنها قوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ومنها
قوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ومنها قوله فان لم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة [illegible]
[illegible]
[illegible] • ثم ان لهذا الشرط فوائد • احدها [illegible]
[illegible]
[illegible]
فلا بد من التذكير [illegible] • وثانيها انه تعالى ذكر اشرف الحالتين ونبه على الاخرى كقوله سرابيل تقيكم الحر والتقدير
فذكر ان نفعت الذكرى او لم تنفع • وثالثها ان المراد منه البعث على الانتفاع بالذكرى كما يقول الرجل لغيره اذا بين له الحق
قد اوضحت لك ان كنت تعقل فيكون مراده البعث على القبول والانتفاع به • ورابعها ان هذا يجري مجرى تنبيه الرسول
صلى الله عليه وسلم على انه لا تنفعهم الذكرى كما يقال للرجل ادع فلانا ان اجابك والمعنى وما اراه يجيبك • وخامسها
انه عليه الصلاة والسلام دعاهم الى الله كثيرا وكلما كانت دعوته اكثر كان عتوهم اكثر وكان عليه الصلاة والسلام
يحترق حسرة على ذلك فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد اذ التذكير العام واجب في اول الامر
فاما التكرير فلعله انما يجب عند رجاء حصول المقصود فلهذا المعنى قيده بهذا الشرط • السؤال الثاني التعليق بالشرط
انما يحسن في حق من يكون جاهلا بالعواقب اما علام الغيوب فكيف يليق به ذلك • الجواب روي في الكتب انه تعالى قال في [illegible]
موسى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى • وانا اشهد انه لا يتذكر ولا يخشى فامر الدعوة والبعثة شيء وعلمه تعالى بالمغيبات
وعواقب الامور ولا يمكن بناء احدهما على الآخر • السؤال الثالث التذكير المامور به هل هو مضبوط مثل ان يذكرهم عشر مرات
او غير مضبوط وحينئذ كيف يكون الخروج من عهدة التكليف • والجواب ان الضابط فيه هو العرف والله اعلم • اما قوله تعالى
سيذكر من يخشى ففيه مسائل المسألة الاولى اعلم ان الناس في امر المعاد على ثلاثة اقسام • منهم من قطع بصحته
ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالاثبات • ومنهم من اصر على انكاره وقطع بانه لا يكون • فالقسمان
الاولان تكون الخشية حاصلة لهما • واما القسم الثالث فلا خشية له ولا خوف • اذا عرفت هذا ظهر ان الآية تحتمل تفسيرين
احدهما ان يقال الذي يخشى هو الذي يكون عارفا بالله وعارفا بكمال قدرته وعلمه وحكمته وذلك يقتضي كونه قاطعا
بصحة المعاد • ولذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فكانه تعالى لما قال فذكر ان نفعت الذكرى بين في هذه الآية
ان الذي تنفعه الذكرى من هو • ولما كان الانتفاع بالذكرى مبنيا على حصول الخشية في القلب وصفات القلوب
مما لا اطلاع لاحد عليها الا الله سبحانه وجب على الرسول تعميم الدعوة تحصيلا للمقصود فان المقصود تذكير من ينتفع
بالتذكير ولا سبيل اليه الا بتعميم التذكير • والثاني ان يقال ان الخشية حاصلة للعالمين وللمتوقفين غير المعاندين
واكثر الخلق متوقفون غير معاندين والمعاند فيهم قليل • فاذا ضم الى المتوقفين الذين هم الغلبة العارفون كانت
الغلبة العظيمة لغير المعاندين • ثم ان كثيرا من المعاندين انما يعاندون باللسان • فاما المعاند في قلبه بينه وبين نفسه
فذلك مما لا يكون • وان كان فهو في غاية الندرة والقلة • ثم ان الانسان اذا سمع التخويف بانه يصلى النار الكبرى
ولا يموت فيها ولا يحيى انكسر قلبه فلا بد ان يستمع وينتفع اغلب الخلق في اغلب الاحوال • واما ذلك المعرض فنادر وترك
الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فمن هذا الوجه قوله فذكر ان نفعت الذكرى يوجب تعميم التذكير • المسألة الثانية
السين في قوله سيذكر يحتمل ان يكون بمعنى سوف وسوف من الله واجب كقوله سنقرئك فلا تنسى ويحتمل
ان يكون المعنى ان من خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر فهو بعد طول المدة يتذكر والله اعلم
المسألة الثالثة العلم انما يسمى تذكرا اذا كان قد حصل العلم اولا ثم نسيه • وهذه الحالة غير حاصلة للكافر
فكيف سمى الله تعالى ذلك بالتذكر • وجوابه ان لقوة الدلائل وظهورها كان ذلك العلم حاصلا ثم انه زال بسبب
التقليد والعناد • فلهذا سماه الله تعالى بالتذكر المسألة الرابعة قيل نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان وقيل
نزلت في ابن ام مكتوم اما قوله تعالى ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى فاعلم انا بينا ان اقسام الخلق ثلاثة العارف
والمتوقف والمعاند • وبينا ان القسمين الاولين لا بد وان يكون لهما خوف وخشية • وصاحب الخشية لا بد
وان يستمع الى الدعوة وينتفع بها فيكون الاشقى هو المعاند الذي لا يستمع الى الدعوة ولا ينتفع بها • فلهذا قال تعالى
ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى • وفيه مسائل المسألة الاولى ذكروا في تفسير النار الكبرى وجوها

اعلم ان الناس في امر المعاد على ثلاثة اقسام

الانتفاع

الخشية

احدها قال الحسن الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا • وثانيها ان في الاخرة نيرانا ودركات متفاضلة كما ان في الدنيا ذنوبا ومعاصي متفاضلة • وكما ان الكافر اشقى العصاة كذلك يصلى اعظم النيران • وثالثها ان النار الكبرى هي النار السفلى فهي نصيب الكفار على ما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار المسئلة الثانية قالوا نزلت هذه الاية في الوليد وعتبة وابي • وانت تعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما وقد بينا صحة هذا الترتيب بالبرهان العقلي المسئلة الثالثة لقائل ان يقول ان الله تعالى ذكر هاهنا قسمين • احدهما الذي يذكر ويخشى • والثاني الاشقى الذي يصلى النار الكبرى لكن وجود الاشقى يستدعي وجود الشقي فكيف حال هذا القسم • جوابه ان لفظ الاشقى لا يقتضي وجود الشقي اذ قد يجري هذا اللفظ من غير مشارك لقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا • وقيل المعنى ويتجنبها الشقي الذي يصلى كما في قوله وهو اهون عليه اي هين عليه • ومثله قول القائل شعر ان الذي سمك السما بنى لنا • بيتا دعايمه اعز واطول • هذا ما قيل لكن التحقيق ما ذكرنا ان الفرق ثلاثة • العارف والمتوقف والمعاند • فالسعيد هو العارف والمتوقف له بعض الشقا • والاشقى هو المعاند الذي بينا انه هو الذي لا يلتفت الى الدعوة ولا يصغي لها ويتجنبها اما قوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى • ففيه مسئلتان المسئلة الاولى للمفسرين فيه وجهان • احدهما لا يموت فيستريح • ولا يحيى حياة تنفعه كما قال لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وعلى هذا مذهب العرب • تقول للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت • وثانيها معناه ان نفس احدهم في النار تصير في حلقه فلا تخرج فتموت ولا ترجع الى موضعها من الجسم فتحيى المسئلة الثانية انما قيل ثم لان هذه الحالة افظع واعظم من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة اما قوله تعالى قد افلح من تزكى ففيه وجهان • احدهما انه تعالى لما ذكر وعيد من اعرض عن النظر والتامل في دلايل الله تعالى اتبعه بالوعد لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك • وثانيها وهو قول الزجاج يكثر من التقوى • ومعنى الزاكي النامي الكثير • وهذا الوجه معتضد بقوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون اثبت الفلاح للمستجمعين لتلك الخصال • وكذلك قوله في اول البقرة واوليك هم المفلحون واما الوجه الاول فانه معتضد بوجهين • الاول انه تعالى لما لم يذكر في الاية ما يجب التزكي عنه علمنا ان المراد هو التزكي عما مر ذكره قبل الاية وذلك هو الكفر فعلمنا ان المراد هاهنا قد افلح من تزكى عن الكفر الذي مر ذكره قبل هذه الاية • والثاني ان الاسم المطلق ينصرف الى المسمى الكامل واكمل انواع التزكية هو تزكية القلب عن ظلمة الكفر فوجب صرف هذا المطلق اليه • ويتاكد هذا التاويل بما روي عن ابن عباس انه قال معنى تزكى قول لا اله الا الله اما قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى ففيه مسايل المسئلة الاولى ذكر المفسرون فيه وجوها • احدها قال ابن عباس ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له • واقول هذا التفسير متعين • وذلك لان مراتب اعمال المكلف ثلاثة • فاولها ازالة العقايد الفاسدة عن القلب • والثاني استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته واسمايه • وثالثها الاشتغال بخدمته • فالمرتبة الاولى هي المراد بالتزكية في قوله قد افلح من تزكى • وثانيها هي المراد بقوله وذكر اسم ربه • فان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة وثالثها وهي الخدمة وهي المراد بقوله فصلى فان الصلاة عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى لا بد وان يظهر في جوارحه واعضايه اثر الخضوع والخشوع • وثانيها قال قوم من المفسرين قوله قد افلح من تزكى من تصدق قبل مروره الى العيد وذكر اسم ربه فصلى يعني ثم صلى صلاة العيد بعد ذلك مع الامام • وهذا قول عكرمة وابي العالية وابن سيرين وابن عمر • وروي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم • وهذا التفسير فيه اشكال من وجهين • الاول ان عادة الله تعالى في القران تقديم ذكر الصلاة على ذكر الزكاة لا تقديم الزكاة على الصلاة • والثاني قال الثعلبي هذه السورة مكية بالاجماع • ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر اجاب الواحدي عنه بانه لا يمتنع ان يقال لما كان في معلوم الله تعالى ان ذلك سيكون اثنى على من فعل ذلك • وثانيها [illegible] بالتوحيد في الصلاة فصلى لموا الفرق بين هذا الوجه وما قبله ان هذا يتناول الزكاة والصلاة المفروضتين [illegible] ذلك • ورابعها قد افلح من تزكى [illegible] من الزكاة [illegible] اعمالهم من الرياء والتقصير لان اللفظ المعتاد [illegible] ان يقال في المال زكى ولا يقال تزكى [illegible] من تزكى فانما يتزكى لنفسه [illegible] وذكر اسم ربه اكبر ثم خرج الى العيد • وصلى صلاة العيد • [illegible] ذكر ربه في صلاته [illegible] الصلاة [illegible] المسئلة الثانية [illegible] الافتتاح ليست من الصلاة [illegible] الصلاة معطوف عليه [illegible] المغايرة • واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه [illegible]

اسم ربه

اسم ربه ولا فوق بين ان يقول اكرمني فرزتني وبين ان تقول ذريتي فاكرمني ولا زني حنيفة ان يقول ترك العمل بها التعقيب لا يجوز من غير دليل • والاولى في الجواب ان يقال الاية تدل على مدح كل من ذكر اسم الله فصلى عقيبه وليس في الاية بيان ان ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح فلعل المراد به ان من ذكر الله بقلبه • وذكر ثوابه وعقابه دعاه ذلك الى فعل الصلاة حينئذ يأتي بالصلاة التي احد اجزائها التكبير وحينئذ يندفع الاستدلال • ثم قال بل تؤثرون الحياة الدنيا • وفيه قراءتان العامة بالتاء وتوكيده حرف ابي بل انتم تؤثرون عمل الدنيا على عمل الاخرة قال ابن مسعود ان الدنيا اخضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها • وان الاخرة تغيب لنا وزويت عنا فاخذنا بالعاجل وتركنا الاجل • وقرا ابو عمرو يؤثرون بالياء يعني الاشقى ثم قال والاخرة خير وابقى وتمامه ان كل ما كان خيرا وابقى فهو آثر • فيلزم ان تكون الاخرة آثر من الدنيا وهم كانوا يؤثرون الدنيا وانما قلنا ان الاخرة خير لوجوه • احدها ان الاخرة مشتملة على السعادة الجسمانية والروحانية • والدنيا ليست كذلك فالاخرة خير من الدنيا • وثانيها ان الدنيا لذاتها مخلوطة بالالام • والاخرة ليست كذلك • وثالثها ان الدنيا فانية والاخرة باقية • والباقي خير من الفاني ثم قال تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى • واختلفوا في المشار اليه بلفظ هذا • منهم من قال جميع السورة • وذلك لان السورة مشتملة على التوحيد والنبوة • والوعيد على الكفر بالله • والوعد على طاعة الله تعالى • ومنهم من قال بل المشار اليه بهذه الاشارة هو من قوله قد افلح من تزكى الى قوله والاخرة خير وابقى وذلك لان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل ما لا ينبغي • اما في القوة النظرية فعن جميع العقايد الفاسدة • واما في القوة العملية فعن جميع الاخلاق الذميمة واما قوله وذكر اسم ربه فهو اشارة الى تكميل الروح بمعرفة الله تعالى • واما قوله فصلى اشارة الى تكميل الجوارح وتزيينها بطاعة الله تعالى • واما قوله بل تؤثرون الحياة الدنيا فهو اشارة الى الزجر عن الالتفات الى الدنيا • واما قوله والاخرة خير وابقى فهو اشارة الى الترغيب في الاخرة في ثواب الله تعالى وهذه امور لا يجوز ان تختلف باختلاف الشرايع • فلهذا السبب قال ان هذا لفي الصحف الاولى • وهذا الوجه كما تاكد بالعقل فالخبر يدل عليه وروي عن ابي ذر انه قال قلت هل في الدنيا مما في صحف ابرهيم وموسى فقال اقرا يا ابا ذر قد افلح من تزكى وقال الخروي كان قوله هذا اشارة الى قوله والاخرة خير وابقى وذلك لان الاشارة راجعة الى اقرب المذكورات • وذلك هو هذه الاية • واما قوله لفي الصحف الاولى فهو نظير لقوله وانه لفي زبر الاولين • وقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا • وقوله في صحف ابرهيم وموسى فيه قولان • احدهما انه بيان لقوله في الصحف الاولى • والثاني ان المراد انه مذكور في صحف جميع الانبيا التي منها صحف ابرهيم وموسى وروي عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم انزل الله من كتاب فقال صلى الله عليه وسلم مائة واربعة كتب على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة • وعلى ادريس ثلثين صحيفة • وعلى ابرهيم عشر صحايف • والتوراة والانجيل والزبور والفرقان • وقيل ان في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه • مقبلا على شانه • والله اعلم • وصلى الله على سيدنا محمد وآله

المراد انه مذكور في صحف جميع الانبيا

## سورة الغاشية عشرون وست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية اعلم ان في قوله هل اتاك حديث الغاشية مسيلتين المسئلة الاولى ذكروا في الغاشية وجوها • احدها انها القيمة من قوله يوم يغشاهم العذاب • وانما سميت القيمة بهذا الاسم لان ما احاط بالشي من جميع جهاته فهو غاش له • والقيمة كذلك من وجوه • الاول انها كانت ترد على الخلق بغتة وهو كقوله تعالى افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله • والثاني انها تغشى الناس جميعا من الاولين والاخرين • والثالث انها تغشى الناس بالاهوال والشداير القول الثاني الغاشية هي النار اي تغشى وجوه الكفرة واهل النار قال تعالى وتغشى وجوههم النار • ومن فوقهم غواش وهو قول سعيد بن جبير ومقاتل • القول الثالث الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها • والاول اقرب لان على هذا التقدير يصير المعنى ان يوم القيمة يكون بعض الناس في الشقاوة وبعضهم في السعادة المسئلة الثانية انما قال هل اتاك وذلك لانه تعالى عرف رسول الله من حالها وحال الناس فيها ما لم يكن هو ولا قومه عارفا به على التفصيل لان العقل ان دل فانه لا يدل على ان حال العصاة مخالفة لحال المطيعين • فاما كيفية تلك التفاصيل فلا سبيل للعقل اليه • فلما عرفه الله تفصيل تلك الاحوال لا جرم قال هل اتاك حديث الغاشية • اما قوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة • فاعلم انه وصف لاهل الشقاوة • وفيه مسيلتان المسئلة الاولى المراد بالوجوه اصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة وذلك من صفات المكلف لكن الخشوع يظهر في الوجه فعلقه بالوجه لذلك وهو كقوله وجوه يومئذ ناضرة • خاشعة اي ذليلة قد عراهم الخزي

والهوان كما قال ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم • وقال تعالى وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من
طرف خفي • وانما يظهر الذل في الوجه لانه ضد الكبر الذي محله الراس والدماغ • واما العاملة فهي التي تعمل الاعمال • ومعنى
النصب الدوب في العمل مع التعب **المسئلة الثانية** الوجوه الممكنة في هذه الصفات الثلاثة لا تزيد على ثلاثة لانه لا بد
اما ان يقال هذه الصفات باسرها حاصلة في الاخرة او هي باسرها حاصلة في الدنيا او بعضها في الاخرة وبعضها في الدنيا
اما الوجه الاول وهو انها باسرها حاصلة في الاخرة فهو ان هؤلاء الكفار يكونون يوم القيمة خاشعين اي ذليلين
وذلك لانها في الدنيا تكبرت عن عبادة الله • وعاملين لانها تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال
الثقيلة على ما قال تعالى في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل بحيث ترتقي
عند ارتقائه وتغوص فيه اخرى والتقحم في خرائب جهنم والوقوف عراة حفاة جياعا عطاشا في العرصات قبل دخول النار
في يوم كان مقداره الف سنة • وناصبين لانهم دائما يكونون في ذلك العمل قال الحسن هذه الصفات يجب ان تكون
حاصلة في الدنيا لاجل الله فلما لم يكن كذلك سلطها الله تعالى يوم القيمة عليهم على سبيل العقاب • واما الوجه الثاني
وهو انها باسرها حاصلة في الدنيا فقيل هم اصحاب الصوامع من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان والمجوس
والمعنى انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وذلك لانهم لما اعتقدوا
في الله ما لا يليق به فكانهم اطاعوا ذاتا موصوفة بالصفات التي تخيلوها • فهم في الحقيقة ما عبدوا الله وانما
عبدوا ذلك المتخيل الذي لا وجود له فلا جرم لا ينفعهم تلك العبادات اصلا • واما الوجه الثالث وهو ان بعض
تلك الصفات حاصل في الاخرة • وبعضها في الدنيا • ففيه وجوه • احدها انها خاشعة في الاخرة مع انها كانت
في الدنيا عاملة ناصبة • والمعنى انها لم تنتفع بعملها ونصبها في الدنيا ولا يبعد وصفهم ببعض اوصاف الاخرة
ثم ذكر بعض اوصاف الدنيا • ثم تعاد الى ذكر الاخرة اذا كان المعنى في ذلك مفهوما فكانه تعالى قال وجوه
يوم القيمة خاشعة لانها كانت في الدنيا عاملة ناصبة في غير طاعة الله فهي اذا تصلى نارا حامية في الاخرة •
وثانيها انها خاشعة عاملة في الدنيا • ولكنها ناصبة في الاخرة • فخشوعها في الدنيا خوفها الداعي لها الى الاعراض
عن لذائذ الدنيا وطيباتها وعملها هو صلاتها وصومها • ونصبها في الاخرة مقاساة العذاب على ما قال تعالى
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون • وقرئ عاملة ناصبة على الشتم • واعلم انه تعالى لما وصفهم بهذه الصفات
الثلاثة شرح بعد ذلك كيفية مكانهم ومشربهم ومطعمهم نعوذ بالله منها • اما مكانهم فقوله تعالى تصلى نارا حامية
يقال صلي بالنار يصلى اي لزمها واحترق بها • وقرئ بنصب التاء وحجته قوله الا من هو صال الجحيم • وقرا ابو عمرو
وعاصم برفع التاء من اصليته النار لقوله ثم الجحيم صلوه • وقوله وتصلية جحيم • وصلوه مثل اصلوه • وقرا قوم
وتصلى بالتشديد • وقيل المصلى عند العرب ان يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا • ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها
وسطه • فاما ما يشوى فوق الجمر او على المقلاة او في التنور فلا يسمى مصليا • وقوله حامية اي قد اوقدت واحميت
المدة الطويلة فلا حر يعدل حرها قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله • واما مشربهم فقوله تعالى
تسقى من عين آنية • الآني هو الذي قد انتهى حره من الايناء بمعنى التاخير • وفي الحديث ان رجلا اخر حضور الجمعة ثم تخطى
رقاب الناس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم آنيت وآذيت • ونظير هذه الآية قوله يطوفون بينها وبين حميم آن قال
المفسرون ان حرها بلغ الى حيث لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت • واما مطعومهم فقوله تعالى ليس لهم
طعام الا من ضريع • واختلفوا في ان الضريع ما هو على وجوه • احدها قال الحسن لا ادري ما الضريع ولم اسمع فيه
من الصحابة شيئا • وثانيها روي عن الحسن ايضا انه قال الضريع بمعنى المضرع كالاليم والسميع والبديع بمعنى المؤلم
والمسمع والمبدع • ومعناه الا من طعام يحملهم على ان يضرعوا ويذلوا عند تناوله لما فيه من الخشونة والمرارة
والحرارة • وثالثها ان الضريع ما يبس من الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو
سم قاتل قال ابو ذؤيب شعر رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى • وعاد ضريعا عاد عنه النحائص
وهذا قول اكثر المفسرين واكثر اهل اللغة • ورابعها قال الخليل في كتابه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لا يؤوي ولا يشوي

لا يؤوي ولا يشوي • ووصفه الله تعالى بانه لا يسمن ولا يغني من جوع فاستغاثوا [illegible] الجوع والعطش
كالمهل يشوي الوجوه [illegible] وهاهنا سؤالات
الاول قال تعالى في سورة الحاقة فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام الا من غسلين وهاهنا قال ليس لهم طعام الا من
ضريع والضريع غير الغسلين والجواب من وجهين الاول ان النار دركات فمن اهل النار من طعامه الزقوم ومنهم
من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع • الثاني يحتمل ان يكون الغسلين من الضريع [illegible]
**السؤال الثاني** كيف يوجد النبت في النار • الجواب من وجهين الاول ليس المراد ان الضريع نبت في النار ياكلونه
ولكنه ضرب مثل انهم يقتاتون بما لا يشبعهم او يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع • الثاني لا يبعد ان يقال
ان النبت يوجد في النار فانه لما لم يستبعد بقاء بدن الانسان مع كونه لحما ودما في النار الابد فكذا ههنا
وكذا القول في سلاسل النار واغلالها وعقاربها وحياتها • اما قوله لا يسمن ولا يغني من جوع فهو مرفوع المحل
او مجرور على وصف طعام او ضريع • واما المعنى ففيه ثلاثة اوجه • احدها ان طعامهم ليس من جنس مطاعم الانس
وذلك لان هذا نوع من انواع الشوك والشوك مما ترعاه الابل وهذا النوع مما تنفر عنه الابل فاذن منفعتا الغذاء منتفيتان
عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن • وثانيها ان يكون المعنى ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام
للبهائم فضلا عن الانس [illegible]
على التوكيد • وثالثها روي ان كفار قريش قالوا ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن ولا يغني من جوع فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا
بذلك الكلام كذبا فيرد قولهم بنفي السمن والشبع • واما ان يصدقوا فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم
انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع قال القاضي يجب في طعامهم ان لا يغني من جوع لان ذلك نفع وراحة وذلك غير جائز
في العقاب **قوله تعالى** وجوه يومئذ ناعمة **اعلم** انه سبحانه لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بشرح احوال المؤمنين • فذكر وصف
اهل الثواب اولا • ثم وصف دار الثواب ثانيا • اما وصف اهل الثواب فبامرين • احدهما في ظاهرهم وهو قوله ناعمة
اي ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة • والثاني في باطنهم وهو قوله لسعيها راضية
وفيه تاويلان • احدهما انهم حمدوا سعيهم واجتهادهم في العمل لله لما فازوا بسببه من العاقبة الحميدة كالرجل يعمل العمل
فيجزى عليه بالجميل ويظهر له منه عاقبة محمودة فيقول ما احسن ما عملت ولقد وفقت للصواب فيما صنعت
فيثني على عمل نفسه ويرضاه • والثاني المراد لثواب سعيها في الدنيا راضية اذا شاهدوا ذلك الثواب • وهذا الوجه
اولى لان المراد ان الذي يشاهدونه من الثواب العظيم يبلغ حد الرضا حتى لا يريدوا اكثر منه • واما وصف دار الثواب • فاعلم
ان الله تعالى وصفها بامور سبعة • احدها قوله في جنة عالية • ويحتمل ان يكون المراد هو العلو في المكان وان
يكون المراد هو العلو في الدرجة والشرف والمنقبة • اما العلو في المكان فذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى
من بعض قال عطاء الدرجة مثل ما بين السماء والارض • وثانيها قوله لا تسمع فيها لاغية • وفيه مسئلتان **الاولى**
في قوله لا تسمع ثلاث قراءات • بالنصب • والمخاطب بهذا الخطاب يحتمل ان يكون هو النبي صلى الله عليه وسلم وان يكون
لا تسمع يا مخاطب فيها لاغية • وهذا يفيد الشياع في الخطاب • كقوله واذا رايت ثم رايت • وقوله واذا رايتهم حسبتهم
ويحتمل ان تكون هذه التاء عائدة الى الوجوه • والمعنى لا تسمع الوجوه فيها لاغية • وثانيها قرأ نافع بالتاء المنقطة من فوق
مرفوعة على التانيث • لاغية بالرفع • وثالثها قرا ابن كثير وابو عمرو لا يسمع بالياء المنقطة من تحت مضمومة على
التذكير لاغية بالرفع وذلك جائز لوجهين • الاول ان هذا الضرب من المؤنث اذا تقدم فعله وكان بين الفعل والاسم
حائل حسن التذكير قال شعر ان امرءا غره منكن واحدة • بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور
والثاني ان المراد باللاغية اللغو • فالتانيث على اللفظ • والتذكير على المعنى **المسئلة الثانية** لاهل اللغة
في قوله لاغية ثلاثة اوجه • احدها انه يقال لغا يلغو لغوا ولاغية • فاللاغية واللغو شيء واحد • ويتاكد
هذا الوجه بقوله سبحانه لا يسمعون فيها لغوا • وثانيها ان يكون صفة • والمعنى لا تسمع كلمة لاغية • وثالثها
قال الاخفش لاغية اي كلمة ذات لغو كما تقول فارس ودارع لصاحب الفرس والدرع • فاما اهل التفسير
فلهم وجوه • احدها ان الجنة منزهة عن اللغو لانها منزل جيران الله تعالى وانما نالوها بالجد والحق لا باللغو
والباطل • وهكذا كل مجلس في الدنيا شريف مكرم فانه يكون مبرا عن اللغو وكلما كان ابلغ في هذا كان اكثر جلالة • هذا
ما قرره القفال • والثاني قال الزجاج لا تتكلم اهل الجنة الا بالحكمة والثناء على الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم
والثالث عن ابن عباس تريد لا يسمع فيها كذبا ولا بهتانا ولا كفرا بالله ولا شتما • والرابع قال مقاتل لا يسمع بعضهم من

بعض الحلف عند الشراب كما يحلف اهل الدنيا اذا شربوا الخمر • واحسن الوجوه ما قرره القفال • الخامس قال القاضي
اللغو ما لا فائدة فيه • فالله تعالى لما نفى عنهم ذلك • ويندرج فيه ما يؤذي سامعه على طريق الاولى • الصفة
الثالثة للجنة قوله تعالى فيها عين جارية قال صاحب الكشاف يريد عيونا في غاية الكثرة لقوله علمت نفس
قال القفال فيها عين شراب جارية على وجه الارض في غير اخدود • وتجري لهم كما ارادوا قال الكلبي لا ادري
ماء او غيره • الصفة الرابعة قوله تعالى فيها سرر مرفوعة • اي عالية في الهواء وذلك لاجل ان يرى المومن
اذا جلس عليه جميع ما اعطاه ربه في الجنة من النعيم والملك • وقال خارجة بن مصعب بلغنا انها بعضها فوق بعض
فترتفع ما شاء الله فاذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت الى حيث شاء الله • والاول
اولى • وان كان الثاني ايضا غير ممتنع لان ذلك ربما كان اعظم في سرور المكلف قال ابن عباس في
سرر الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السماء • الصفة الخامسة قوله تعالى
واكواب موضوعة • الاكواب الكيزان التي لا عرى لها قال قتادة فهي دون الاباريق • وفي قوله موضوعة وجوه
احدها انها معدة لاهلها كالرجل يلتمس من الرجل شيا فيقول هو ها هنا موضوع بمعنى معد • وثانيها موضوعة على
حافات العيون الجارية كلما ارادوا الشرب وجدوها مملوة من الشراب • وثالثها موضوعة بين ايديهم لاستحسانهم
اياها بسبب كونها من ذهب او فضة او من جواهر • وتلذذهم بالشرب منها • ورابعها ان تكون موضوعة عن حد الكبر
اي هي اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا • الصفة السادسة قوله تعالى ونمارق مصفوفة • النمارق
هي الوسائد في قول الجميع • واحدها نمرقة بضم النون • وزاد الفراء سماعا عن العرب نمرقة بكسر النون • قال الكلبي وسائد
مصفوفة بعضها الى جنب بعض اينما اراد ان يجلس جلس على واحدة واستند الى اخرى • الصفة السابعة قوله تعالى
وزرابي مبثوثة • يعني البسط والطنافس • واحدها زربية • وزربي بكسر الزاي في قول جميع اهل اللغة وتفسير
مبثوثة مبسوطة منشورة او مفرقة في المجالس • قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت اعلم انه تعالى لما
حكم بمجيء يوم القيمة • وقسم اهل القيمة الى قسمين الاشقيا والسعدا • ووصف احوال الفريقين • وعلم انه لا سبيل
الى اثبات ذلك الا بواسطة الصانع الحكيم لا جرم اتبع ذلك بذكر هذه الدلالة • فقال افلا ينظرون الى الابل ووجه
الاستدلال بذلك على صحة المعاد انها تدل على وجود الصانع الحكيم • ومتى ثبت ذلك فقد ثبت القول بصحة المعاد • اما
الاول فلان الاجسام متساوية في الجسمية • فاختصاص كل واحد منها بالوصف الذي لاجله امتاز عن الآخر لا بد
وان يكون بتخصيص مخصص وايجاد قادر • ولما رأينا هذه الاجسام مخلوقة على وجه الاتقان والاحكام علمنا ان ذلك الصانع
عالم • ولما علمنا ان ذلك الصانع لا بد وان يكون مخالفا لهذه في نعت الحاجة والحدوث والامكان علمنا انه غني فهذا يدل
على ان للعالم صانعا قادرا عالما غنيا فوجب ان يكون في غاية الحكمة • ثم انا نرى الناس بعضهم محتاجا الى البعض فان
الانسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه بل لا بد من بلدة يكون كل واحد من اهلها مشغولا بمهم آخر حتى ينتظم
من مجموعهم مصلحة كل واحد منهم وذلك الانتظام لا يحصل الا مع التكليف المشتمل على الوعد والوعيد وذلك لا يحسن
الا بالبعث فالقيمة وخلق الجنة والنار فثبت ان اقامة الدلالة على الصانع الحكيم توجب القول بصحة البعث والقيمة
[illegible]

لا يجتمع فيه

لا يجتمع فيه هذه الخصال فكان اجتماع هذه الخصال فيه من العجائب • وثانيها انه في كل واحد من هذه الخصال افضل من الحيوان الذي
لا يوجد فيه الا تلك الخصلة لانها ان جعلت حلوبة سقت فاروت الكثير وان جعلت اكولة اطعمت واشبعت الكثير • وان
جعلت ركوبة امكن ان يقطع بها من المسافات المديدة ما لا يمكن قطعه بحيوان آخر وذلك لما ركب فيها من احتمال المداومة على السير
والصبر على العطش والاجتزاء من العلوفات بما لا يجتزي به حيوان آخر • وان جعلت حمولة استقلت بحمل الاحمال الثقيلة
التي لا يستقل بها سواها • ومنها ان هذا الحيوان كان اعظم الحيوانات وقعا في قلب العرب ولذلك فانهم جعلوا دية قتل الانسان
ابلا • وكان ملوكهم اذا ارادوا المبالغة في اعطا الشاعر الذي جاء من المكان البعيد اعطاه مائة بعير لان امتلا العين منه اشد
من امتلا العين من غيره • ولهذا قال تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون • ومنها اني كنت مع جماعة في مفازة
فضللنا الطريق فقدموا جملا وتبعوه فكان ذلك الجمل ينعطف من تل الى تل ومن جانب الى جانب والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل
الى الطريق بعد زمان طويل فتعجبنا من قوة تخيل ذلك الحيوان انه بالمرة الواحدة كيف انحفظت في خياله صورة تلك المعاطف
حتى ان الذي عجز جمع من العقلا عن الاهتدا اليه فان ذلك الحيوان اهتدى اليه • ومنها انها مع كونها في غاية القوة على
العمل مباينة لغيرها في الانقياد والطاعة لاضعف الحيوانات كالصبي الصغير • ومباينة لغيرها ايضا في انها
يحمل عليها وهي باركة ثم تقوم فهذه الصفات الكثيرة الموجودة فيها توجب على العاقل ان ينظر في خلقتها وتركيبها ويستدل
بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه • ثم ان العرب من اعرف الناس باحوال الابل في صحتها وسقمها ومنافعها ومضارها
فلهذه الاسباب حسن من الحكيم تعالى ان يامر بالتامل في خلقتها • ثم قال تعالى والى السماء كيف رفعت اي رفعا بعيد المدى
بلا امساك وغير عمد • والى الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول • والى الارض كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية
فهي مهاد للمتقلب عليها • ومن الناس من استدل بهذا على ان الارض ليس بكرة وهو ضعيف لان الكرة اذا كانت في غاية العظمة
تكون كل قطعة منها كالسطح • وقرا علي عليه السلام كيف خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البنا للفاعل وتا الضمير
والتقدير فعلتها فحذف المفعول • المقام الثاني في بيان ما بين هذه الاشيا من المناسبة اعلم ان من الناس من فسر
الابل بالسحاب قال صاحب الكشاف ولعله لم يرد ان الابل من اسما السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك
وانما راى السحاب مشبها بالابل في كثير من اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز • وعلى هذا التقدير
فالمناسبة ظاهرة • اما اذا حملنا الابل على مفهومه المشهور • فوجه المناسبة بينها وبين السما والجبال والارض من وجهين
الاول ان القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا لان بلدتهم بلدة خالية عن الزرع وكانت اسفارهم في اكثر الامر على
الجمل فكانوا كثيرا ما يسيرون عليها في المهامه والقفار مستوحشين منفردين عن الناس • ومن شان الانسان اذا انفرد ان يقبل
على التفكر في الاشيا لانه ليس معه من يحادثه • وليس هناك شي يشغل به سمعه وبصره • واذا كان كذلك لم يكن له بد من
ان يشتغل بالفكرة فاذا فكر في ذلك الحال وقع بصره اول الامر على الجمل الذي ركبه فيرى منظرا عجيبا واذا نظر الى فوقه
لم ير غير السما واذا نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال • واذا نظر الى تحته لم ير غير الارض فكانه تعالى امره بالنظر
وقت الخلوة والانفراد عن الغير حتى لا تحمله داعية الكبر والحسد على ترك النظر • ثم انه في وقت الخلوة في المفازة البعيدة
لا يرى شيا سوى هذه الاشيا • فلا جرم جمع الله بينها في هذه الآية • الوجه الثاني ان جميع المخلوقات دالة على الصانع
الا انها على قسمين • منها ما يكون للحكمة وللشهوة فيها نصيب معا • ومنها ما يكون للحكمة فيها نصيب وليس للشهوة فيها نصيب
فالقسم الاول كالانسان الحسن الوجه والبساتين النزهة والذهب والفضة وغيرها فهذه الاشيا يمكن الاستدلال بها
على الصانع الحكيم الا انها متعلق الشهوة ومطلوبة للنفس فلم يامر تعالى بالنظر فيها لانه لا يومن عند النظر اليها
وفيها ان تصير داعية الشهوة غالبة على داعية الحكمة فيصير ذلك مانعا عن اتمام النظر والفكر وسببا لاستغراق النفس في
محبته • اما القسم الثاني فهو كالحيوانات التي لا يكون في صورها حسن ولكن يكون في تركيبها حكم بالغة وهي مثل الابل وغيره
الا ان ذكر الابل ههنا اولى لان الف العرب بها اكثر • وكذا السما والجبال والارض فان دلايل الحدوث والحاجة فيها ظاهرة • وليس
فيها ما يكون نصيبا للشهوة • فلما كان هذا القسم بحيث يكمل نصيب الحكمة فيه مع الامن من زحمة الشهوة لا جرم امر الله
بالتدبر فيها فهذا ما بحضرنا في هذا الموضع وبالله التوفيق • قوله تعالى فذكر انما انت مذكر اعلم انه تعالى لما بين الدلايل
على صحة التوحيد والمعاد قال لرسوله فذكر انما انت مذكر وتذكر الرسول يكون بذكر هذه الادلة وامثالها والبعث على النظر
فيها والتحذير من ترك ذلك • وذلك بعث منه تعالى للرسول عليه السلام على التذكير والصبر على كل عارض معه وبيان
انه انما بعث لذلك دون غيره فلهذا قال انما انت مذكر وقوله لست عليهم بمسيطر قال صاحب الكشاف بمسيطر بمسلط
كقوله وما انت عليهم بجبار • وقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين • وقيل هو في لغة تميم مفتوح الطا على ان
مسيطر متعد عندهم • والمعنى انك ما امرت الا بالتذكير • فاما ان تكون مسلطا عليهم حتى تقتلهم او تكرههم على الايمان

ثم ان في وقت الخلوة في المفازة البعيدة

فلاام لو انه نسختها اية القتال هذا قول جميع المفسرين • والكلام في تفسير هذا الحرف قد تقدم عند قوله ام هم المسيطرون • اما قوله تعالى الا من تولى وكفر ففيه مسايل المسئلة الاولى في الا قولان • احدهما انه استثنا حقيقي وعلى هذا التقدير هذا الاستثنا استثنا عما ذا فيه احتمالات • الاول ان يقال التقدير فذكر الا من تولى وكفر • والثاني انه استثنا عن الضمير في عليهم • والتقدير لست عليهم الا على من تولى • واعترض عليه بانه عليه السلام ما كان حينيذ مامورا بالقتال وجوابه لعل المراد انك لا تصير مسلطا الا على من تولى • القول الثاني انه استثنا منقطع عما قبله كما تقول في الكلام قعدنا نتذاكر العلم الا ان كثيرا من الناس لا يرغب فكذا هاهنا • التقدير لست بمستولي عليهم لكن من تولى منهم فان الله يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم • قالوا وعلامة كون الاستثنا منقطعا حسن ان في المستثنى • واذا كان الاستثنا محضا متصلا لم يحسن ذلك الا ترى انك تقول عندي مايتان الا درهما فلا تدخل عليه ان • وهاهنا يحسن ان فانك تقول الا ان من تولى وكفر فيعذبه الله المسئلة الثانية قرى الا من تولى على التنبيه • وفي قراة ابن مسعود فانه يعذبه المسئلة الثالثة انما سماه العذاب الاكبر لوجوه • احدها انه قد بلغ حد عذاب الكفر وهو الاكبر لان ما عداه من عذاب الفسق دونه • ولهذا قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر • وثانيها هو العذاب في الدرك الاسفل من النار • وثالثها انه قد يكون العذاب الاكبر حاصلا في الدنيا • وذلك بالقتل وسبي الذرية • وغنيمة الاموال • والقول الاول اولى واقرب • ثم قال تعالى ان الينا ايابهم • وهذا كانه من صلة قوله فيعذبه الله العذاب الاكبر وانما ذكر تعالى ذلك ليزيل به عن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم حزنه على كفرهم فقال طب نفسا عليهم وان عاندوا وكذبوا وجحدوا فان مرجعهم الى الموعد الذي وعدنا • وان علينا حسابهم • وفيه سوال وهو ان محاسبة الكفار انما يكون لايصال العقاب اليهم وذلك حق الله تعالى ولا يجب على المالك ان يستوفي حق نفسه والجواب ان ذلك واجب عليه اما بحكم الوعد الذي يمتنع وقوع الخلف فيه • واما في الحكمة فلانه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم كان ذلك شبيها بكونه تعالى راضيا بذلك الظلم وتعالى الله عنه • فلهذا السبب كانت المحاسبة واجبة • وهاهنا مسايل المسئلة الاولى قرا ابو جعفر المدني ايابهم بالتشديد • قال صاحب الكشاف وجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله اوابا فعالا من اوب • ثم قيل ايوابا كديوان في دوان • ثم فعل به ما فعل باصل سيد المسئلة الثانية فايدة تقديم الظرف التشديد في الوعيد • فان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام • وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير والله اعلم • وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

## سورة والفجر ثلاثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر اعلم ان هذه الاشيا التي اقسم الله تعالى بها لا بد وان يكون فيها اما فايدة دينية مثل كونها دلايل باهرة على التوحيد او فايدة دنيوية توجب بعثا على الشكر او مجموعهما ولاجل ما ذكرناه اختلفوا في تفسير هذه الاشيا اختلافا شديدا • فكل احد فسره بما راه اعظم درجة عنده في الدين او اكثر منفعة في الدنيا • واما قوله والفجر فذكروا فيه وجوها • احدها ما روى عن ابن عباس ان الفجر هو الصبح المعروف فهو انفجار الصبح الصادق والكاذب اقسم الله تعالى بما يحصل به من انقضا الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وساير الحيوانات من الطيور والوحوش في طلب الارزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى • وفيه عبرة لمن تامل • وهذا كقوله تعالى والصبح اذا اسفر • وقال في موضع اخر والصبح اذا تنفس • وتمدح في اية اخرى بكونه خالقا له فقال فالق الاصباح • ومنهم من قال المراد به جميع النهار الا انه دل بالابتدا على الجميع • نظيره والضحى • وقوله والنهار اذا تجلى • وثانيها ان المراد نفس صلاة الفجر واقسم بصلاة الفجر لانها صلاة في مفتتح النهار وتجتمع لها ملايكة النهار وملايكة الليل كما قال ان قران الفجر كان مشهودا اي تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار • وثالثها انه فجر يوم معين • ... ذبح عظيم • الثاني اراد فجر ذي الحجة لانه قرن به قوله وليال عشر ولانه شهر مخصوص بعبادة الحج • الثالث المراد فجر المحرم • اقسم به لانه اول يوم من كل سنة وعند ذلك تحدث امور كثيرة مما يتكرر بالسنين كالحج والصوم والزكاة

واستيناف الحساب لشهور الاهلة • وفي الخبر ان اعظم الشهور عند الله المحرم • وعن ابن عباس انه فجر المحرم ... قوله وليال عشر وفيه مسايل المسئلة الاولى ... ليال عشر ذي الحجة ... المسئلة الثانية ... ثم قال تعالى والشفع والوتر وفيه مسايل المسئلة الاولى الشفع والوتر هو الذي تسميه العرب الخسا والزكا والعامة الزوج والفرد • المسئلة الثانية قرا حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها وهما لغتان ... المسئلة الثالثة

اضطرب المفسرون في تفسير الشفع والوتر • واكثروا فيه ونحن نروي ما هو الاقرب • احدها ان الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة • وانما اقسم الله بهما لشرفهما • اما يوم عرفة فهو الذي عليه يدور امر الحج كما في الحديث الحج عرفة • واما يوم النحر فيقع فيه القربان واكثر امور الحج من الطواف المفروض والحلق والرمي • ويروى ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر • فلما اختص هذان اليومان بهذه الفضايل لا جرم اقسم الله بهما • وثانيها ان ايام التشريق ايام بقية اعمال الحج فهي ايام شريفة قال الله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه • فالشفع هو يومان بعد يوم النحر • والوتر هو اليوم الثالث • ومن ذهب الى هذا القول قال حمل الشفع والوتر على هذا اولى من حملهما على العيد وعرفة من وجهين • الاول ان العيد وعرفة دخلا في العشر فوجب ان يكون المراد بالشفع والوتر غيرهما • الثاني ان بعض اعمال الحج انما تحصل في هذه الايام • فحمل اللفظ على هذا يفيد القسم بجميع ايام اعمال المناسك • وثالثها الوتر ادم شفع بزوجته • وفي رواية اخرى الشفع ادم وحوا والوتر هو الله تعالى • ورابعها الوتر ما كان وترا من الصلوات كالمغرب • والشفع ما كان شفعا منها • روى عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الصلاة منها شفع ومنها وتر • وانما اقسم الله بها لان الصلاة تالية للايمان • ولا يخفى قدرها ومحلها من العبادات • وخامسها الشفع هو الخلق كله لقوله تعالى • ومن كل شي خلقنا زوجين • وقوله تعالى وخلقناكم ازواجا • والوتر هو الله وقال بعض المتكلمين لا يصح ان يقال الوتر هو الله لوجوه • الاول انا بينا ان قوله والفجر تقديره ورب الفجر • فيجب ان يراد بالوتر المربوب • فبطل ما قالوه • الثاني ان الله تعالى لا يذكر مع غيره على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز من غيره • وروي انه عليه الصلاة والسلام سمع من يقول الله ورسوله • فنهاه وقال قل الله ثم رسوله قالوا وما روي انه عليه السلام قال ان الله وتر يحب الوتر ليس بمقطوع به • وسادسها ان شيا من المخلوقات لا ينفك عن كونه شفعا ووترا فكانه يقال اقسم برب الفرد والزوج من خلقه فدخل كل الخلق تحته • ونظيره قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون • وسابعها الشفع درجات الجنة وهي ثمانية • والوتر دركات النار وهي سبعة • وثامنها الشفع صفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز والارادة والكراهة والحياة والموت • اما الوتر فهو صفات الحق وجود بلا عدم حياة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل • وتاسعها المراد بالشفع والوتر نفس العدد فكانه اقسم بالحساب الذي لا بد للخلق منه وهو بمنزلة الكتاب والبيان الذي من الله به على العباد فقال علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقال علمه البيان • وكذلك بالحساب يعرف مواقيت العبادات والايام والشهور قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وعاشرها قال مقاتل الشفع هو الايام والليالي • والوتر هو اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيمة • الحادي عشر الشفع كل نبي له اسمان مثل محمد واحمد • والمسيح وعيسى ويونس وذو النون • والوتر كل نبي له اسم واحد • مثل ادم ونوح وابرهيم • الثاني عشر الشفع ادم وحوا • والوتر مريم • الثالث عشر الشفع العيون الاثنى عشر التي فجرها الله تعالى لموسى عليه السلام • والوتر الايات التسع التي اوتي موسى في قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات • الرابع عشر الشفع ايام عاد • والوتر لياليهم لقوله تعالى سبع ليال وثمانية ايام حسوما • الخامس عشر الشفع البروج الاثنى عشر لقوله تعالى جعل في السما بروجا • والوتر الكواكب السبعة السادس عشر الشفع الشهر الذي يتم ثلثين يوما • والوتر الشهر الذي يتم تسعة وعشرين يوما • السابع عشر الشفع الاعضا والوتر القلب قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه • الثامن عشر الشفع الشفتان والوتر اللسان قال تعالى ولسانا وشفتين • التاسع عشر الشفع السجدتان والوتر الركوع • العشرون الشفع ابواب الجنة لانها ثمانية • والوتر ابواب النار لانها سبعة واعلم ان الذي يدل عليه الظاهر ان الشفع والوتر امران شريفان اقسم الله تعالى بهما وكل هذه الوجوه التي

الشفع درجات الجنة وهي ثمانية والوتر دركات النار

ذكرناها محتملة والظاهر لا اشعار له بشيء من الاشياء على التعيين فان ثبت في شيء منها خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم
او اجماع من اهل التأويل حكم بانه هو المراد وان لم يثبت فيجب ان يكون الكلام على الكل لان الالف واللام في الشفع والوتر تفيد العموم
اما قوله تعالى والليل اذا يسر ففيه مسائل المسئلة الاولى اذا يسري اذا يمضي كما قال والليل اذ ادبر
وقوله والليل اذا عسعس وسراها مضيها وانقضاؤها او يقال سراها هو السير فيها وقال قتادة اذا يسري اي اذا
جا واقبل المسئلة الثانية اكثر المفسرين على انه ليس المراد منه ليلة مخصوصة بل العموم بدليل قوله والليل
اذا عسعس ولانه نعمة الله تتعاقب الليل والنهار واختلاف مقاديرهما على الخلق عظيمة فصح ان يقسم به لان فيه تنبيها
على ان تعاقبهما بتدبير مدبر حكيم عالم بجميع المعلومات وقال مقاتل هي ليلة المزدلفة بقوله اذا يسري اي اذا يسار فيه
كما يقال ليلة نائم لوقوع النوم فيه وليل ساهر لوقوع السهر فيه وهي ليلة يقع السير في اولها عند الدفع من عرفات
الى المزدلفة وفي آخرها كما روي انه عليه الصلاة والسلام كان يقدم ضعفة اهله في هذه الليلة وانما يجوز ذلك عند
الشافعي بعد نصف الليل المسئلة الثالثة قال الزجاج اذا يسري باثبات اليا ثم قال وحذفها احب الي لانها فاصلة
والفواصل يحذف منها اليات ويدل عليها الكسرات قال الفرا والعرب قد تحذف اليا وتكتفي بكسرة ما قبلها وانشد
كفاك كف ما يليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف الدما فاذا جاز هذا في غير الفاصلة فهو في الفاصلة او
فان قيل لم كان الاختيار ان تحذف اذا كان في فاصلة او قافية والحرف من نفس الكلمة فوجب ان يثبت كما اثبت ساير الحروف
ولم يحذف فاجاب ابو علي فقال القول في ذلك ان الفواصل والقوافي موضع وقف والوقف موضع تغيير
فلما كان الوقف تغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف والاسكان وروم الحركة فيها غير في هذه الحروف المشابهة للزيادة
بالحذف واما من اثبت اليا في يسري في الوصل والوقف فانه يقول الفعل لا يحذف منه في الوقف كما تحذف من الاسما
نحو قاض وغاز تقول هو يقضي وانا اقضي فيثبت اليا ولا يحذف قوله تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر فيه مسئلتان
المسئلة الاولى الحجر العقل سمي به لانه يمنع عن الوقوع فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يمنع ويعقل وحصاة من الاحصا
وهو الضبط قال الفرا والعرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من قولهم حجرت على الرجل
وعلى هذا سمي العقل حجرا لانه يمنع من القبيح من الحجر وهو المنع من الشيء بالتضييق فيه المسئلة الثانية قوله هل في ذلك
قسم استفهام والمراد منه التأكيد كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما اقسم
الله تعالى به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قال
القاضي وهذه الآية تدل على ما قلنا ان القسم واقع برب هذه الامور لان هذه الآية دالة على ان هذا مبالغة في القسم
ومعلوم ان المبالغة في القسم لا تحصل الا في القسم بالله ولان النهي قد ورد بان يحلف العاقل بهذه الامور قوله تعالى
الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي
الاوتاد الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد اعلم
ان في جواب القسم وجهان الاول ان جواب القسم هو قوله ان ربك لبالمرصاد وما بين الموضعين معترض بينهما
الثاني قال صاحب الكشاف المقسم عليه محذوف وهو لنعذبن الكافرين يدل عليه قوله تعالى الم تر الى قوله فصب عليهم
ربك سوط عذاب وهذا اولى من الوجه الاول لانه لما لم يتعين المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب فكان ادخل في
التخويف فلما جا بعده بيان عذاب الكافرين دل على ان المقسم عليه اولا هو ذلك اما قوله تعالى الم تر ففيه مسئلتان
المسئلة الاولى
الم تر الم تعلم لان ذلك مما لا يصح ان يراه الرسول وانما اطلق لفظ الرؤية ههنا على العلم وذلك لان اخبار
عاد وثمود وفرعون كانت منقولة بالتواتر اما عاد وثمود فقد كانا في بلاد العرب واما امر فرعون فقد كانوا يسمعونه
من اهل الكتاب وبلاد فرعون ايضا متصلة ببلاد العرب وخبر التواتر يفيد العلم الضروري والعلم الضروري
جار مجرى الرؤية في القوة والجلاء والبعد عن الشبهة فلذلك قال الم تر بمعنى الم تعلم المسئلة الثانية
قوله الم تر وان كان في الظاهر خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه عام لكل من علم ذلك والمقصود من ذكر الله
تعالى حكايتهم ان يكون زجرا للكفار عن الاقامة على مثل ما ادى الى هلاك عاد وثمود وقوم فرعون وليكون بعثا
للمؤمنين على الثبات على الايمان اما قوله تعالى بعاد ارم ذات العماد ففيه مسائل المسئلة الاولى
انه تعالى ذكر ههنا قصة ثلث فرق من الكفار المتقدمين وهي عاد وثمود وقوم فرعون على سبيل الاجمال حيث قال
فصب عليهم ربك سوط عذاب ولم يبين كيفية ذلك العذاب وذكر في سورة الحاقة بيان ما ابهم في هذه السورة
فقال فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر الى قوله وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات
بالخاطئة الآية المسئلة الثانية عاد هو عاد بن ارم بن سام بن نوح ثم انهم جعلوا لفظ عاد اسما للقبيلة

كما يقال لبني هاشم



كما يقال لبني هاشم هاشم ولبني تميم تميم ثم قالوا للمتقدمين من هذه القبيلة عاد الاولى قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى
وللمتأخرين عاد الاخيرة واما ارم فهو جد لعاد وفي المراد منه في هذه الآية اقوال احدها ان المتقدمين من قبيلة
عاد كانوا يسمون بعاد الاولى فلذلك يسمون بارم تسمية لهم باسم جدهم والثاني ان ارم اسم بلدتهم التي كانوا فيها
ثم قيل تلك المدينة هي الاسكندرية وقيل دمشق والثالث ان ارم اعلام قوم عاد كانوا يبنونها على هيئة المنارة وعلى
هيئة القبور قال ابو الدقيش الاروم قبور عاد وانشد بها اروم كهوادي البخت ومن الناس من طعن في قول
من قال ان ارم هي الاسكندرية او دمشق قال لان منازل عاد كانت بين عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف
كما قال تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف واما الاسكندرية ودمشق فليستا من بلاد الرمال المسئلة الثالثة
ارم لا تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف والتانيث المسئلة الرابعة في قوله ارم وجهان وذلك لانا ان جعلناه اسم
القبيلة كان قوله ارم عطف بيان لعاد وايذانا بانهم عاد الاولى القديمة وان جعلناه اسم البلدة او الاعلام كان التقدير
بعاد اهل ارم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله واسئل القرية ويدل عليه قراة ابن الزبير بعاد ارم
على الاضافة المسئلة الخامسة قرا الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الرا على التخفيف كما قرئ بورقكم
وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات وقرئ بعاد ارم ذات العماد بدلا من فعل ربك والتقدير الم تر كيف فعل
ربك بعاد جعل ذات العماد رميما اما قوله تعالى ذات العماد ففيه مسئلتان المسئلة الاولى في اعرابه وجهان وذلك
لانا ان جعلنا ارم اسم القبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين يسكنون الاخبية والخيام والخبا لا بد فيها من العمود والعماد بمعنى
العمود وقد يكون جمع العمد او يكون المراد بذات العماد انهم طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وقيل ذات البنا الرفيع
وان جعلناه اسم البلد فالمعنى انها ذات اساطين اي ذات ابنية مرفوعة على العمد وكانوا يعالجون الاعمدة فينصبونها ويبنون فوقها
القصور قال تعالى في وصفهم اتبنون بكل ريع آية تعبثون اي علامة وبنا رفيعا المسئلة الثانية روي انه كان لعاد
ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر
الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها
من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار فلما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته
فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه صيحة من السما فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع
الى جنة شداد فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هي
ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له
ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل اما قوله لم يخلق مثلها في البلاد فالضمير في مثلها الى ماذا يعود
فيه وجوه الاول لم يخلق مثلها اي مثل عاد في البلاد في عظم الجثة وشدة القوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع
وكان يحمل الصخرة العظيمة فيلقيها على الجمع فيهلكهم الثاني لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرا ابن الزبير
لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله مثلها الثالث ان الكناية عائدة الى العماد اي لم يخلق مثل تلك الاساطين في البلاد وعلى هذا
فالعماد جمع عمد والمقصود من هذه الحكاية زجر الكفار فانه تعالى بين انه اهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذي اختصوا
به من هذه الوجوه فلان تكونوا خائفين من مثل ذلك ايها الكفار اذا اقمتم على كفركم مع ضعفكم كان اولى اما قوله تعالى وثمود
الذين جابوا الصخر بالواد فقال الليث الجوب قطعك الشي كما يجاب الجيب يقال جاب يجوب جوبا وزاد الفرا جيبا
ويقال جبت البلاد جوبا اي جلت فيها وقطعتها قال ابن عباس كانوا يجوبون الجبال فيجعلون منها بيوتا واحواضا وما ارادوا
من الابنية كما قال وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من
الحجارة وقوله بالواد قال مقاتل بوادي القرى اما قوله وفرعون ذي الاوتاد والاستقصاء فيه مذكور في سورة ص ونقول
الآن فيه وجوه احدها انه سمي ذا الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا وثانيها انه كان يعذب
الناس ويشدهم بها الى ان يموتوا روي عن ابي هريرة ان فرعون وتد لامراته اربعة اوتاد وجعل على صدرها رحا
واستقبل بها عين الشمس فرفعت راسها الى السما وقالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ففرج الله عن بيتها في الجنة
فرأته وثالثها ذي الاوتاد اي ذي الملك والرجال كما قال الشاعر شعر في ظل ملك راسخ الاوتاد ورابعها روى
قتادة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان تلك الاوتاد كانت ملاعب يلعبون بها لاجله واعلم ان الكلام محتمل لكل ذلك فبين
تعالى لرسوله ان كل ذلك مما يعظم به الشدة والقوة والكثرة لم يمنع من ورود هلاك عظيم بهم ولذلك قال تعالى الذين
طغوا في البلاد وفيه مسائل المسئلة الاولى يحتمل انه يرجع الضمير الى فرعون خاصة لانه يليه ويحتمل
ان يرجع الى جميع من تقدم ذكرهم وهذا هو الاقرب المسئلة الثانية احسن الوجوه في اعرابه ان يكون في محل النصب

والمقصود من هذه الحكاية زجر الكفار

على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون **المسئلة الثالثة** طغوا في البلاد اي عملوا المعاصي وتجبروا على انبيا الله تعالى والمومنين • ثم فسر طغيانهم بقوله فاكثروا فيها الفساد والفساد ضد الصلاح • فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر • والفساد يتناول جميع اقسام الاثم • فمن عمل بغير امر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد • ثم قال فصب عليهم ربك سوط عذاب **فاعلم** انه يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه • وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به قال القاضي وشبهه بصب السوط الذي يتواتر على المضروب فيهلكه • وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال ان عند الله اسواطا كثيرة واخذهم بسوط منها **فان قيل** اليس ان قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة يقتضي تاخير العذاب الى الاخرة فكيف الجمع بين هاتين الايتين **قلنا** هذه الاية تقتضي تاخير تمام الجزا الى الاخرة والواقع في الدنيا شي من ذلك ومقدمة من مقدماته **ثم قال** ان ربك لبالمرصاد • ذكرنا تفسير المرصاد عند قوله ان جهنم كانت مرصادا • ونقول المرصاد المكان الذي يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه • وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد • وللمفسرين فيه وجوه • احدها قال الحسن يرصد اعمال بني ادم • وثانيها قال الفرا اليه المصير وهذان الوجهان عامان للمومنين والكافرين • ومن المفسرين من يخص هذه الاية • اما بوعيد الكفار او بوعيد العصاة • اما الاول فقال الزجاج يرصد من كفر به وعند عن طاعته بالعذاب • واما الثاني فقال الضحاك يرصد لاهل الظلم والمعصية • وهذه الوجوه متقاربة **قوله تعالى** فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن **اعلم** ان قوله فاما الانسان متعلق بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه تعالى لبالمرصاد في الاخرة فلا يريد الا السعي للاخرة • فاما الانسان فانه لا يهمه الا الدنيا ولذاتها وشهواتها • فان وجد الراحة في الدنيا يقول ربي اكرمني وان لم يجد هذه الراحة يقول ربي اهانن • ونظيره قوله تعالى في صفة الكفار يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون • وقال ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وهذا خطا من وجوه • احدها ان سعادة الدنيا وشقاوتها في مقابلة ما في الاخرة من السعادة والشقاوة كالقطرة في البحر فالمتنعم في الدنيا لو كان شقيا في الاخرة فذاك التنعم ليس بسعادة والمتالم المحتاج في الدنيا لو كان سعيدا في الاخرة فذلك ليس باهانة ولا شقاوة فثبت ان المتنعم في الدنيا لا يجوز ان يحكم على نفسه بالسعادة والهوان • وثانيها ان حصول النعمة في الدنيا وحصول الالم في الدنيا لا يدل على الاستحقاق فانه تعالى كثيرا ما يوسع على العصاة والكفرة اما لانه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد • واما بحكم المصلحة واما على سبيل الاستدراج والمكر وقد يضيق على الصديقين لاضداد ما ذكرنا فلا ينبغي للعبد ان يظن ان ذلك مجازاة • وثالثها ان المتنعم لا ينبغي ان يغفل عن العاقبة • فان الامور بخواتيمها والفقير والمحتاج لا ينبغي ان يغفل عما قدر عليه من النعم التي لا حد لها ولا حصر ولا ينبغي ان يقضي على نفسه بالاهانة مطلقا • ورابعها ان النفس قد الفت هذه المحسوسات فمتى حصلت هذه المشتهيات والملذات • صعب عليها الانقطاع عنها وعدم الاستغراق فيها • اما اذا لم يحصل للانسان شي من هذه المحسوسات رجعت شاءت ام ابت الى الله واشتغلت بعبودية الله فكان وجدان الدنيا سببا للحرمان عن الله فكيف يجوز القضا بالشقاوة والاهانة عند عدم الدنيا مع ان ذلك اعظم الوسايل الى اعظم السعادات • وخامسها ان كثرة الممارسة سبب لتاكيد المحبة • وتاكد المحبة سبب لتاكد الالم عند الفراق فكل من كان وجدانه للدنيا اكثر وادوم كانت محبته لها اشد فكان تالمه بمفارقتها عند الموت اشد • والذي بالضد فبالضد • فاذن حصول لذات الدنيا سبب موجب للالم الشديد بعد الموت • فكيف يقال ان وجدان الدنيا سعادة وفقدانها شقاوة **واعلم** ان هذه الوجوه انما تصح مع القول باثبات البعث • روحانيا كان او جسمانيا • فاما من ينكر البعث من جميع الوجوه فلا يستقيم على قوله شي من هذه الوجوه بل يلزمه القطع بان وجدان الدنيا هو السعادة وفقدانها هو الشقاوة ولكن فيه دقيقة اخرى وهي انه ربما كان وجدان الدنيا الكثيرة سببا للقتل والنهب والوقوع في انواع العذاب • وربما كان الحرمان سببا لبقا السلامة فعلى هذا التقدير لا يجوز ايضا لمنكر البعث من جميع الوجوه ان يقضي على صاحب الدنيا بالسعادة وعلى فاقدها بالهوان فربما ينكشف ان الحال بخلاف ذلك بالضد • وفي الاية سؤالات • الاول قوله فاما الانسان المراد منه شخص معين او الجنس فيه قولان • الاول ان المراد منه شخص معين • فروي عن ابن عباس انه عتبة بن ربيعة وابو حذيفة بن المغيرة وقال الكلبي هو ابي بن خلف • وقال مقاتل هو امية بن خلف • والقول الثاني ان المراد كل من كان موصوفا بهذا الوصف وهو الكافر الجاحد ليوم الجزا • السؤال الثاني كيف سمى بسط الرزق وتقديره ابتلاء • الجواب لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر • واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة • السؤال الثالث ان كلمة الانكار هي قوله كلا ولم لا يجوز ان يقال انها مختصة بقوله ربي اهانن سلمنا ان الانكار عايد اليهما معا ولكن فيه وجوه ثلاثة • احدها انه اعتقد حصول الاستحقاق في ذلك الاكرام • الثاني ان نعم الله تعالى كانت حاصلة قبل وجدان المال وهي نعمة سلامة البدن والعقل والدين فلما لم يعترف بالنعمة الا عند وجدان المال علمنا انه ليس غرضه من ذلك شكر نعمة الله بل التصلف بالدنيا والتكبر بالاموال والاولاد • الثالث ان تعلقه بنعمة الدنيا واعراضه عن ذكر نعمة الاخرة يدل على كونه منكرا للبعث فلا جرم استحق الذم على ما حكى الله تعالى ذلك فقال ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة الى قوله اكفرت بالذي خلقك من تراب • السؤال الرابع لم قال في القسم الاول اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه • وفي القسم الثاني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فذكر الاول بالفا والثاني بالواو والجواب لان رحمة الله سابقة على غضبه • فابتلاؤه بالنعم سابق على ابتلائه بانزال الالام • فالفايدة على كثرة ذلك القسم وقلة الثاني على ما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها • السؤال الخامس لما قال في القسم الاول فاكرمه فيقول ربي اكرمني يجب ان يقول في القسم الثاني فاهانه فيقول ربي اهانن لكنه لم يقل ذلك والجواب لانه في قوله اكرمن صادق وفي قوله اهانن غير صادق فهو ظن قلة الدنيا وتقتيرها اهانة • وهذا جهل واعتقاد فاسد فكيف يحكي الله سبحانه ذلك منه • السؤال السادس ما معنى قوله قدر عليه رزقه الجواب ضيق عليه بان جعله على مقدار البلغة • وقرئ فقدر على التخفيف وبالتشديد وقرئ اكرمن واهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك اليا في الدرج مكتفيا منها بالكسرة **قوله تعالى** كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما **اعلم** انه تعالى لما حكى عنهم تلك الشبهة قال كلا وهو ردع للانسان عن تلك المقالة قال ابن عباس المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك اما على مذهب اهل السنة فمن محض القضا والقدر والمشية والحكم الذي تنزه عن التعليل بالعلل • واما على مذهب المعتزلة فبسبب مصالح خفية لا يطلع عليها الا هو فقد يوسع على الكافر لا لكرامته • ويقتر على المومن لا لهوانه • ثم انه تعالى لما حكى عن اقوالهم تلك الشبهة فكانه قال بل لهم فعل شر من هذا القول وهو ان الله تعالى يكرمهم بكثرة المال فلا يودون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم فقال بل لا تكرمون اليتيم • وفيه مسايل **المسئلة الاولى** قرا ابو عمرو يكرمون وما بعده باليا المنقوط من تحت وذلك انه لما تقدم ذكر الانسان وكان يراد به الجنس والكثرة وهو على لفظ الغيبة حمل يكرمون ويحضون عليه • ومن قرا بالتا فالتقدير قل لهم يا محمد ذلك **المسئلة الثانية** قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف فكان يدفعه في حقه **واعلم** ان ترك اكرام اليتيم على وجوه • احدها ترك بره واليه الاشارة بقوله ولا تحضون على طعام المسكين الثاني دفعه عن حقه الثابت له في الميراث واكل ماله • واليه الاشارة بقوله تعالى وتاكلون التراث اكلا لما وتحبون المال حبا جما اي تاخذون اموال اليتامى وتضمونها الى اموالكم **اما قوله** ولا تحضون على طعام المسكين فقال مقاتل ولا تطعمون مسكينا والمعنى لا يامرون باطعامه • كقوله تعالى انه كان لا يومن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين • ومن قرا ولا تحاضون اراد تتحاضون فحذف تا تتفاعلون • والمعنى لا يحض بعضكم بعضا • وفي قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التا من المحاضة **اما قوله تعالى** وتاكلون التراث اكلا لما ففيه مسايل **المسئلة الاولى** قالوا اصل التراث وراث • والتا تبدل من الواو المضمومة نحو تجاه ووجاه **المسئلة الثانية** قال الليث اللم الجمع الشديد • ومنه كتيبة ملمومة وحجر ملموم والاكل يلم الثريد فيجعله لقما ثم ياكله • ويقال لممت ما على الخوان اجمع اي اكلته اجمع فمعنى اللم في اللغة الجمع • **واما التفسير** ففيه وجوه • احدها قال الواحدي والمفسرون يقولون في قوله اكلا لما اي شديدا وهو معنى وليس بتفسير • وتفسيره ان اللم مصدر جعل نعتا للاكل والمراد به الفاعل اي اكلا لاما اي جامعا كانهم يستوعبونه بالاكل قال الزجاج كانوا ياكلون اموال اليتامى لما اي يلمون جميعه • وقال الحسن اي ياكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم يجمعون نصيب غيرهم الى نصيبهم وثانيها ان المال الذي يبقى من الميت بعضه حلال وبعضه شبهة وبعضه حرام • فالوارث يلم الكل اي يضم البعض الى البعض وياخذ الكل وياكله • وثالثها قال صاحب الكشاف ويجوز ان يكون الذم متوجها الى الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه وياكله اكلا لما واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعله الوراث البطالون **اما قوله تعالى** وتحبون المال حبا جما **اعلم** ان الجم هو الكثير • يقال جم الشي يجم جموما يقال ذلك في الماء وغيره فهو شي جم وجام • وقال ابو عمرو جم يجم اي يكثر • والمعنى وتحبون المال حبا كثيرا شديدا فبين ان حرصهم على الدنيا فقط وانهم عادلون عن امر الاخرة **قوله تعالى** كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى **اعلم** ان قوله كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم اي ما ينبغي ان يكون الامر هكذا في الحرص على الدنيا وقصر الهمة والجهد على تحصيلها والاتكال عليها وترك المواساة منها وجمعها من حيث تهيا من حل وحرام وتوهم ان لا حساب ولا جزا فان من كانت هذه حاله يندم حين لا ينفعه الندم ويتمنى ان لو كان افنى عمره في التقرب بالاعمال الصالحة والمواساة من المال الى الله تعالى ثم بين

اذا جا يوم موصوف بصفات ثلاثة فانه يحصل ذلك التمني وتلك الندامة **الصفة الاولى** من صفات ذلك اليوم قوله
اذا دكت الارض دكا دكا قال الخليل الدك كسر الحائط والجبل والدكداك رمل متلبد ورجل مدك شديد الوطء على الارض وقال
المبرد الدك حط المرتفع بالبسط واندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقة دكا اذا كانت كذلك ومنه الدكان لاستوائه
في الانفراش فمعنى الدك على قول الخليل الكسر لكل شي على وجه الارض من جبل او شجر حين زلزلت فلم يبق على ظهرها شي وعلى قول
المبرد معناه انها استوت في الانفراش فذهبت دورها وقصورها وسائر ابنيتها حتى تصير كالصخرة الملساء وهذا معنى قول
ابن عباس تمد الارض يوم القيمة فاعلم ان التكرار في قوله دكا دكا معناه دكا يعقبه دك كقوله بابا بابا وعلمته حرفا حرفا اي كرر
عليها الدك حتى عادت هبا منثورا **واعلم** ان هذا التدكاك لابد وان يكون متاخرا عن الزلزلة فاذا زلزلت الارض زلزلة بعد
زلزلة وحركت تحريكا بعد تحريك انكسرت الجبال التي عليها وانهدمت التلال وامتلات الاغوار وصارت ملسا وذلك عند انتقاض
الدنيا وقد قال تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وقال وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقال اذا رجت
الارض رجا وبست الجبال بسا **الصفة الثانية** من صفات ذلك اليوم قوله وجاء ربك والملك صفا صفا **واعلم**
انه ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله تعالى محال لان كل ما كان كذلك كان جسما والجسم يستحيل ان يكون ازليا فلابد فيه من التاويل
وهو ان هذا من باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم ذلك المضاف ما هو فيه وجوه احدها وجاء امر ربك
بالمحاسبة والمجازاة وثانيها وجاء قهر ربك كما يقال جاءتنا بنو امية اي قهرهم وثالثها وجاء جلائل ايات ربك لان هذا
يكون يوم القيمة وفي ذلك اليوم تظهر العظائم وجلائل الايات فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لشان تلك الايات ورابعها
وجاء ظهوره وذلك لان معرفة الله تصير في ذلك اليوم ضرورية فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقيل وجاء ربك اي زالت
الشبهة وارتفعت الشكوك وخامسها ان هذا تمثيل لظهور ايات الله وتبيين اثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك
بحال الملك اذا حضر بنفسه فانه يظهر بمجرد حضوره من اثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها وسادسها
ان الرب هو المربي ولعل ملكا هو اعظم الملائكة هو مربي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء فكان هو المراد من قوله وجاء ربك **اما قوله**
والملك صفا صفا فالمعنى انه تنزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس **الصفة الثالثة**
من صفات ذلك اليوم قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم ونظيره قوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين قال جماعة من المفسرين
جي بها يوم القيمة مزمومة بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فتشرد
شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع قال الاصوليون معلوم انها لا تنفك عن مكانها فالمراد وبرزت واظهرت حتى
راها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها ثم قال يومئذ يتذكر الانسان واعلم ان تقدير الكلام اذا دكت الارض وحصل
كذا وكذا فيومئذ يتذكر الانسان وفيه وجوه الاول [illegible]
[illegible]
ثم قال تعالى وانى له الذكرى [illegible]
[illegible] **المسئلة الاولى** [illegible]
[illegible] **المسئلة الثانية** [illegible]

والمعنى

وارادتهم وانهم ما كانوا يحجبون عن الطاعات مجبرين على المعاصي وجوابه ان فعلهم كان معلقا بقصدهم فقصدهم
ان كان معلقا باخر لزم التسلسل وان كان معلقا بقصد الله بطل الاعتزال **ثم قال تعالى** فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق
وثاقه احد وفيه مسائل **المسئلة الاولى** قراءة العامة يعذب ويوثق بكسر العين فيهما والمعنى معناه فيومئذ
لا يعذب عذاب الله احد من الخلق ولا يوثق وثاق الله احد من الخلق والمعنى لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله في العذاب
والوثاق قال ابو عبيد هذا التفسير ضعيف ليس يوم القيمة معذب سوى الله فكيف يقال لا يعذب احد مثل عذابه
واجيب عن هذا الاعتراض من وجوه الاول ان التقدير لا يعذب احد في الدنيا عذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق احد
في الدنيا وثاق الله الكافر يومئذ والمعنى مثل عذابه ووثاقه في الشدة والمبالغة الثاني ان المعنى لا يتولى يوم القيمة عذاب
الله احد اي الامر يومئذ امره ولا امر لغيره الثالث وهو قول ابي علي الفارسي ان يكون التقدير لا يعذب احد من الزبانية
مثل ما يعذبونه فالضمير في عذابه عائد الى الانسان وقرا الكسائي لا يعذب ولا يوثق بفتح العين فيهما واختاره ابو عبيد
وعن ابي عمرو انه رجع اليها في اخر عمره لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراهما بالفتح والضمير للانسان الموصوف وقيل
هو ابي بن خلف ولهذه القراءة تفسيران احدهما لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه
لتناهيه في كفره وفساده والثاني انه لا يعذب احد من الناس بعذاب الكافر كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال
الواحدي وهذا اولى الاقوال **المسئلة الثانية** العذاب في القرآن بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق كالعطاء بمعنى
الاعطاء في قوله **شعر** وبعد عطائك المائة الرتاعا **قوله تعالى** يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك
راضية مرضية **اعلم** انه تعالى لما وصف حال من اطمان الى الدنيا وصف حال من اطمان الى معرفته وعبوديته فقال يا ايتها
النفس وفيه مسائل **المسئلة الاولى** تقدير هذا الكلام يقول الله للمؤمن يا ايتها النفس فاما ان يكلمه اكراما له كما كلم
موسى عليه السلام او على لسان ملك وقال القفال هذا وان كان امرا في الظاهر لكنه خبر في المعنى والتقدير ان النفس
اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله وقال الله لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال ومجي الامر بمعنى الخبر كثير في كلامهم
كقولهم اذا لم تستحي فاصنع ما شئت **المسئلة الثانية** الاطمينان هو الاستقرار والثبات وفي كيفية هذا الاستقرار
وجوه احدها ان تكون متيقنة بالحق فلا يخالجها شك وهو المراد من قوله ولكن ليطمئن قلبي وثانيها النفس الامنة التي
لا يستفزها خوف ولا حزن ويشهد لهذا التفسير قراءة ابي بن كعب وثالثها النفس الامنة المطمئنة وهذه الخاصية
قد تحصل عند الموت عند قوله الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة وتحصل عند البعث وعند دخول الجنة لا محالة
ورابعها وهو تاويل مطابق للحقائق العقلية فنقول القرآن والبرهان تطابقا على ان هذا الاطمينان لا يحصل الا بذكر
الله اما القرآن فقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب واما البرهان فمن وجهين الاول ان القوة العاقلة اذا اخذت
تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات فكل ما وصل الى سبب يكون هو ممكنا لذاته طلب العقل له سببا اخر فلم يقف
العقل عنده واطمان اليه ولم ينتقل عنه الى غيره فاذن كلما كانت القوة العاقلة ناظرة الى شي من الممكنات ملتفتة
اليه استحال ان يستقر عنده واذا انتهت الى الجلال واجب الوجود وعرفت ان الكل منه استحال ان تنتقل عنه فثبت ان
الاطمينان لا يحصل الا بذكر واجب الوجود الثاني ان حاجات العبد غير متناهية وكل ما سوى الله تعالى فهو متناهي
البقاء والقوة الا ما هو اراد الله وغير المتناهي لا يصير مجبورا بالمتناهي فلا بد في مقابلة حاجة العبد التي لا نهاية
لها من كمال الله الذي لا نهاية له حتى يحصل الاستقرار فثبت ان كل من اثر معرفة الله بشي غير الله فهو غير مطمين وليست
نفسه نفسا مطمئنة اما من اثر معرفة الله لا لشي سواه فنفسه هي النفس المطمئنة وكل ما كان كذلك كان انسه بالله
وشوقه الى الله وبقاؤه بالله وكلامه مع الله فلا جرم يخاطب عند مفارقة الدنيا بقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية
وهذا كلام لا ينتفع الانسان به الا اذا كان كاملا في القوة الفكرية الالهية او في التجريد والتفريد **المسئلة الثالثة**
اعلم ان الله تعالى ذكر مطلق النفس في القرآن فقال ونفس وما سواها وقال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
وقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وتارة وصفها بكونها امارة بالسوء فقال ان النفس لامارة بالسوء
وتارة بكونها لوامة فقال في النفس اللوامة وتارة بكونها مطمئنة كما في هذه الاية واعلم ان نفسك ذاتك
وحقيقتك وهي التي تشير اليها بقولك انا حين تخبر عن نفسك بقولك فعلت ورايت وسمعت وغضبت واشتهيت
وتخيلت وتذكرت الا ان المشار اليه بهذه الاشارة ليس هو هذه البنية لوجهين الاول ان المشار اليه بقولك انا قد يكون
معلوما حال ما يكون هذه البنية المخصوصة غير معلومة والمعلوم غير ما هو غير معلوم والثاني ان هذه
البنية متبدلة الاجزاء والمشار اليه بقولك انا غير متبدل فاني اعلم بالضرورة اني انا الذي كنت موجودا
قبل هذا اليوم بعشرين سنة والمتبدل غير ما هو غير متبدل فاذن ليست النفس عبارة عن هذه البنية ونقول

فثبت ان كل من اثر معرفة الله بشي

قال قوم ان النفس ليست بجسم لانا قد نعقل المشار اليه بقولي انا حال ما اكون غافلا عن الجسم الذي حقيقته المختص بالحيز الذاهب
في الطول والعرض والعمق والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم وجواب المعارض للنفس مذكور في كتابنا المسمى بلباب الاشارات
وقال آخرون بل هو جوهر جسماني لطيف صاف بعيد عن مشابهة الاجرام العنصرية نوراني سماوي مخالف لهذه الاجسام
السفلية بالماهية فاذا صارت مشابكة لهذا البدن الكثيف صار البدن حيا واذا فارقه صار البدن ميتا وعلى التقدير
الاول يكون وصفها بالمجيء والرجوع بمعنى التدبير وتركه وعلى التقدير الثاني يكون ذلك الوصف حقيقيا **المسألة الرابعة**
من القدماء من زعم ان النفوس ازلية واحتجوا بهذه الآية وهي قوله ارجعي الى ربك فان هذا انما يقال لما كان موجودا قبل
هذا البدن واعلم ان هذا الكلام يتفرع على ان هذا الخطاب متى يوجد وفيه وجهان الاول انه انما يوجد عند الموت
وهاهنا يقوى حجة القائلين بتقدم الارواح على الاجساد الا انه لا يلزم من تقدمها عليها قدمها الثاني انما يوجد عند البعث
والقيمة والمعنى ارجعي الى ثواب ربك فادخلي في عبادي اي ادخلي في الجسد الذي خرجت منه **المسألة الخامسة**
المجسمة تمسكوا بقوله الى ربك او الى احسان ربك والجواب الحقيقي المفرع على القاعدة العقلية التي قررناها ان القوة العقلية
بسيرها العقلي ترقى من موجود الى موجود ومن مسبب الى سبب حتى تنتهي الى الحضرة واجب الوجود فهناك انتهاء الغايات
وانقطاع الحركات اما قوله تعالى راضية مرضية فالمعنى راضية بالثواب مرضية عنك في الاعمال التي عملتها في الدنيا
ويدل على صحة هذا التفسير ما روي ان رجلا قرأ عند النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات فقال ابو بكر ما احسن هذا فقال عليه
الصلاة والسلام اما ان الملك سيقولها لك ثم قال تعالى فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وفيه مسألتان **المسألة الاولى**
قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك
خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحوله وانت قد عرفت ان العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب **المسألة الثانية** قوله ادخلي في عبادي اي انضمي الى عبادي المقربين وهذه حالة شريفة وذلك لان الارواح
الشريفة القدسية تكون كالمرايا المصقولة فاذا انضم بعضها الى البعض حصلت فيما بينها حالة شبيهة بالحالة الحاصلة عند تقابل
المرايا المصقولة من انعكاس الاشعة من بعضها على بعض فيظهر في كل واحد منها كل ما ظهر في كلها وبالجملة فيكون ذلك الانضمام
سببا لتكامل تلك السعادات وتعاظم تلك الدرجات الروحانية وهذا هو المراد من قوله فاما ان كان من اصحاب اليمين
فسلام لك من اصحاب اليمين وذلك هو السعادة الروحانية ثم قال وادخلي جنتي وهذا اشارة الى السعادة الجسمانية
ولما كانت الجنة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق السعداء لا جرم قال فادخلي في عبادي فذكره بفاء التعقيب
ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الفوز بها الا بعد قيام القيمة الكبرى لا جرم قال وادخلي جنتي فذكره بالواو لا بالفاء والله اعلم

## سورة البلد عشرون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد
لقد خلقنا الانسان في كبد اجمع المفسرون على ان ذلك البلد هو مكة وفضل مكة معروف فان الله تعالى جعله حرما آمنا
وقال في المسجد الذي فيه ومن دخله كان آمنا وجعل ذلك المسجد قبلة لاهل المشرق والمغرب فقال وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وشرف مقام ابراهيم بقوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وامر الناس بحج ذلك البيت فقال ولله على الناس حج البيت وقال
في البيت واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقال واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وقال وعلى كل ضامر يأتين
من كل فج عميق وحرم فيه الصيد وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت الدنيا من تحته فهذه الفضائل واكثرها لما اجتمعت في مكة
لا جرم اقسم الله تعالى بها فاما قوله وانت حل بهذا البلد فالمراد منه امور احدها وانت مقيم بهذا البلد نازل فيه
حال به كانه تعالى عظم مكة من جهة انه عليه الصلاة والسلام مقيم بها وثانيها الحل بمعنى الحلال اي ان الكفار يحرمون هذا البلد
ولا ينتهكون فيه الحرمات ثم انهم مع ذلك ومع اكرام الله تعالى اياك يستحلون ايذاك ولو تمكنوا منك لقتلوك فانت حل
لهم في اعتقادهم لا يرون لك من الحرمة ما يرونه لغيرك عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ويستحلون
اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم من عداوته
وثالثها قال قتادة انت حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على
احد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء وقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان
ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي
ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس الا

الاذخر

الاذخر يا رسول الله فانه لبيوتنا وقبورنا فقال الا الاذخر فان قيل هذه السورة مكية وقوله وانت حل اخبار عن الحال والواقعة
التي ذكرتم انما حدثت في آخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين قلنا قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلا كقوله تعالى
انك ميت وكما اذا قلت لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهذا من الله احسن لان المستقبل عنده كالحاضر بسبب انه لا يمنعه
عن وعده مانع ورابعها وانت حل بهذا البلد اي وانت غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه تعظيما منك لهذا البيت
لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر بالله وتكذيب الرسول وخامسها انه تعالى لما اقسم بهذا البلد دل ذلك على غاية
فضل هذا البلد ثم قال تعالى وانت حل بهذا البلد اي وانت من اهل هذه البلدة المعظمة المكرمة واهل هذا البلد يعرفون
اصلك ونسبك وطهارتك وبراءتك طول عمرك عن الافعال القبيحة وهذا هو المراد بقوله تعالى هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم وقال لقد جاءكم رسول من انفسكم وقوله فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فيكون الغرض شرح منصب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكونه من هذا البلد اما **قوله تعالى** ووالد وما ولد فاعلم ان هذا معطوف على قوله لا اقسم بهذا البلد
وقوله وانت حل بهذا البلد معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وللمفسرين فيه وجوه احدها الوالد آدم وما ولد
ذريته اقسم بهم لانهم اعجب من خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة
الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض مخلوق لهم وامر الملائكة بالسجود لادم وعلمه الاسماء كلها وقد قال الله تعالى
ولقد كرمنا بني آدم فيكون القسم بجميع الآدميين صالحهم وطالحهم لما ذكرنا من اظهار العجائب في هذه البنية والتركيب وقيل
هو قسم بادم والصالحين من اولاده اما الطالحون فكانهم ليسوا من اولاده وكانهم بهائم كما قال ان هم الا كالانعام بل هم اضل
صم بكم عمي فهم لا يرجعون وثانيها الوالد ابراهيم واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لانه اقسم بمكة وابراهيم بانيها
واسمعيل ومحمد عليهما السلام سكانها وفائدة التنكير الابهام المستقل بالمدح والتعجب وانما قال وما ولد ولم يقل ومن ولد للفائدة
الموجودة في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشان وثالثها الوالد ابراهيم والولد جميع
ما ولد ابراهيم بحيث يحتمل العرب والعجم فان جملة ولد ابراهيم هم سكان البقاع الفاضلة من ارض الشام ومصر وبيت المقدس
وارض العرب ومنهم الروم لانهم ولد عيص بن اسحق ومنهم من خص ذلك بولد ابراهيم من العرب ومنهم من خص ذلك بالعرب
المسلمين وانما قلنا ان هذا القسم واقع بولد ابراهيم لانه قد شرع في التشهد ان نقول كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وهم
المؤمنون ورابعها روي عن ابن عباس انه قال الوالد الذي يلد وما ولد الذي لا يلد فما هاهنا تكون للنفي وعلى هذا لا بد
من اضمار الموصول اي ووالد والذي ما ولد وذلك لا يجوز عند البصريين وخامسها يعني كل والد ومولود وهذا مناسب
لان حرمة الخلق كلهم داخل في هذا الكلام **واما قوله تعالى** لقد خلقنا الانسان في كبد ففيه مسائل **المسألة الاولى**
في الكبد وجهان احدهما قال صاحب الكشاف اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو كبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى
استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة واصله كبده اذا اصاب كبده وقال آخرون الكبد شدة الامر ومنه تكبد
اللبن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد كانه دم يغلظ ويشتد والفرق بين القولين ان الاول جعل اسم الكبد موضوعا للكبد
ثم اشتقت منه الشدة وفي الثاني اللفظ موضوع للشدة والغلظ ثم اشتق منه اسم العضو والوجه الثاني ان الكبد
هو الاستواء والاستقامة الوجه الثالث ان الكبد شدة الخلق والقوة اذا عرفت ذلك فنقول اما على الوجه الاول
فيحتمل ان يكون المراد شدائد الدنيا فقط وان يكون المراد شدائد التكاليف فقط وان يكون المراد شدائد الآخرة فقط وان
يكون المراد كل ذلك اما الاول فقوله لقد خلقنا الانسان في كبد اي خلقناه اطوارا كلها شدة ومشقة تارة في بطن
الام ثم زمان الارضاع ثم اذا بلغ ففي الكد في تحصيل المعاش ثم بعد ذلك الموت واما الثاني وهو الكد في الدين فقال
الحسن يكابد الشكر على السراء والصبر على الضراء ويكابد المحن في اداء العبادات واما الثالث وهو الآخرة فالموت
ومسائلة الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الله الى ان يستقر به القرار اما في الجنة واما في النار واما الرابع
وهو ان يكون اللفظ محمولا على الكل فهو الحق وعندي فيه وجه آخر وهو انه ليس في هذه الدنيا لذة البتة بل ذلك
الذي يظن انه لذة فهو خلاص عن الالم فانه ما يتخيل من اللذة عند الاكل فهو خلاص عن الم الجوع وما يتخيل من اللذة عند
اللبس فهو خلاص عن الم الحر والبرد فليس للانسان الا الم او خلاص عن الم وانتقال الى آخر فهذا معنى قوله لقد خلقنا الانسان
في كبد ويظهر منه انه لا بد للانسان من البعث والقيمة لان الحكيم الذي دبر خلقة الانسان ان كان مطلوبه منه ان يتألم فهذا
لا يليق بالرحمة وان كان مطلوبه ان لا يتألم ولا يتلذذ ففي تركه على العدم كفاية في هذا المطلوب وان كان مطلوبه ان يتلذذ
فقد بينا انه ليس في هذه الحياة لذة وانه خلق الانسان في هذه الدنيا في كبد ومشقة ومحنة فاذن لا بد بعد هذه
الدار من دار اخرى لتكون تلك الدار دار السعادات واللذات والكرامات واما على الوجه الثاني وهو ان يفسر الكبد بالاستواء
فقال ابن عباس في كبد اي قائما منتصبا والحيوانات الاخر تمشي منكبة فهذا امتنان عليه بهذه الخلقة واما

فيحتمل ان يكون المراد شدائد الدنيا فقط

على الوجه الثالث وهو أن يفسر الكبد بشدة الخلقة فقد قال الكلبي نزلت هذه الآية في رجل من بني جمح يكنى أبا الأشد وكان يجعل
تحت قدميه الأديم العكاظي فيجتذبونه من تحت قدميه فيتمزق الأديم ولم تزل قدماه واعلم أن الأليق بالآية هو
الوجه الأول المسألة الثانية حرف في واللام متقاربان تقول إنما أنت للعناء والنصب وإنما أنت في العناء والنصب
وفيه وجه آخر وهو أن قوله في كبد يدل على أن الكبد قد أحاط به إحاطة الظرف بالمظروف وفيه إشارة إلى ما ذكرنا أنه
ليس في الدنيا إلا الكبد والمحنة المسألة الثالثة منهم من قال المراد بالإنسان إنسان معين وهو الذي وصفناه
بالقوة والأكثرون على أنه عام يدخل فيه كل أحد وإن كان لا يمتنع من أن يكون ورد عند فعل فعله ذلك الرجل قوله تعالى
أيحسب أن لن يقدر عليه أحد اعلم أنا إن فسرنا الكبد بالشدة في القوة فالمعنى أيحسب ذلك الإنسان الشديد أنه لشدته
لا يقدر عليه أحد وإن فسرناه بالمحنة والبلاء كان المعنى تسهيل ذلك على القلب كأنه يقول وهب أن الإنسان كان في
النعمة والقدرة أفيظن أنه في تلك الحالة لا يقدر عليه أحد ثم اختلفوا فقال بعضهم لن يقدر على بعثه ومجازاته
فكأنه خطاب مع من ينكر البعث وقال آخرون المراد لن يقدر على تغيير أحواله ظنا منه أنه قوي على الأمور لا يدافع
عن مراده وقوله أيحسب استفهام على سبيل الإنكار قوله تعالى يقول أهلكت مالا لبدا قال أبو عبيدة
لبد فعل من التلبيد وهو المال الكثير بعضه على بعض قال الزجاج فعل للكثرة يقال رجل حطم إذا كان كثير الحطم
قال الفراء واحدته لبدة ولبد جمع وجعله بعضهم واحدا كحطم وحطم وهو في الوجهين جميعا الكثير قال الليث
مال لبد لا يخاف فناؤه من كثرته وذكرنا تفسير هذا الحرف عند قوله كادوا يكونون عليه لبدا والمعنى أن هذا الكافر
يقول أهلكت في عداوة محمد مالا كثيرا والمراد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونه مكارم ويدعونه معالي
ومفاخر ثم قال أيحسب أن لم يره أحد فيه وجهان الأول قال قتادة أيظن أن الله لم يره ولم يسأله عن
ماله من أين كسبه وأين أنفقه الثاني قال الكلبي كان كاذبا لم ينفق شيئا فقال الله تعالى أيظن أن الله تعالى ما رأى ذلك
منه فعل أو لم يفعل أنفق أو لم ينفق بل رآه وعلم منه خلاف ما قال واعلم أنه تعالى لما حكى عن ذلك الكافر قوله
أيحسب أن لن يقدر عليه أحد أقام الدلالة على كمال قدرته فقال ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين
وعجائب هذه الأعضاء مذكورة في كتب التشريح قال أهل العربية النجد الطريق في ارتفاع فكأنه لما وضحت
الدلائل جعلت كالطرق المرتفعة العالية بسبب أنها واضحة للعقول كوضوح الطريق العالي للأبصار وإلى
هذا التأويل ذهب عامة المفسرين في النجدين وهو أنهما سبيلا الخير والشر وعن أبي هريرة أنه عليه السلام
قال إنما هما النجدان نجد الخير ونجد الشر ولا يكن نجد الشر أحب إلى أحدكم من نجد الخير وهذه الآية كالآية في هل
أتى على الإنسان إلى قوله تعالى فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا وقال الحسن
قال أهلكت مالا لبدا فمن الذي يحاسبني عليه فقيل الذي قدر على أن يخلق لك هذه الأعضاء قادر على محاسبتك
وروي عن ابن عباس وسعيد بن المسيب أنهما الثديان ومن قال ذلك ذهب إلى أنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه
والله تعالى هدى الطفل الصغير حتى ارتضعهما قال القفال والتأويل هو الأول ثم قرر وجه الاستدلال به
فقال إن من قدر على أن يخلق من الماء المهين قلبا عقولا ولسانا قؤولا فهو على إهلاك ما خلق قادر وبما يخفيه المخلوق عالم
فما العذر في الذهاب عن هذا مع وضوحه وما الحجة في الكفر به مع تظاهر نعمه وما العلة في التعزز على الله وعلى
أنصار دينه بالمال وهو المعطي له وهو الممكن من الانتفاع به ثم إنه سبحانه وتعالى حث عباده على الوجوه الفاضلة التي
ينفقون فيها الأموال وعرف هذا الكافر أن إنفاقه كان فاسدا وغير مفيد فقال فلا اقتحم العقبة وفيه مسائل
المسألة الأولى الاقتحام الدخول في الأمر الشديد يقال قحم يقحم قحوما واقتحم اقتحاما وتقحم تقحما إذا ركب القحم وهي
المهالك والأمور العظام والعقبة طريق في الجبل وعر والجمع العقب والعقاب ثم ذكر المفسرون في العقبة هاهنا
وجهين الأول أنها في الآخرة قال عطاء يريد عقبة جهنم وقال الكلبي هي عقبة بين الجنة والنار وقال ابن عمر هي جبل
زلال في جهنم وقال مقاتل والضحاك هي الصراط يضرب على جهنم وهو معنى قول الكلبي هي عقبة بين الجنة والنار وقال
الواحدي وهذا تفسير فيه نظر لأن من المعلوم أن هذا الإنسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ولا جاوزوها فحمل الآية
عليه يكون إيضاحا للواضحات ويدل عليه أنه لما قال وما أدراك ما العقبة فسره بفك الرقبة وبالإطعام الوجه الثاني
تفسير العقبة هو أنه ذكر العقبة هاهنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر وهذا قول الحسن
ومقاتل قال الحسن عقبة الله شديدة وهي مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الإنس والجن وأقول
هذا التفسير هو الحق لأن الإنسان يريد أن يترقى من عالم الحس والخيال إلى يفاع عالم الأنوار الإلهية ولا شك أن بينه
وبينها عقبات سامية دونها صواعق حامية ومجاوزتها صعبة والترقي إليها شديد المسألة الثانية أن في الآية إشكالا

وهو أنه قلما

وهو أنه قلما توجد لا الداخلة على الماضي إلا مكررة تقول لا جئتني ولا زرتني قال الله تعالى فلا صدق ولا صلى وفي هذه الآية
ما جاء التكرير فما السبب فيه أجيب عنه من وجوه الأول قال الزجاج إنها متكررة في المعنى لأن معنى فلا اقتحم العقبة
ولا آمن الثاني قال أبو علي الفارسي معنى فلا اقتحم العقبة لم يقتحمها وإذا كانت لا بمعنى لم كان التكرير غير واجب
كما لا يجب التكرير مع لم فإن تكررت في موضع نحو فلا صدق ولا صلى فهو كتكرر لم نحو لم يسرفوا ولم يقتروا المسألة الثالثة
قال القفال قوله فلا اقتحم العقبة أي هلا أنفق ماله فيما فيه اقتحام العقبة وأما الباقون فإنهم أجروا اللفظ على ظاهره
وهو الإخبار بأنه ما اقتحم العقبة ثم قال وما أدراك ما العقبة لا بد من تقدير محذوف لأن العقبة لا تكون فك رقبة فالمراد
وما أدراك ما اقتحام العقبة وهذا تعظيم لأمر التزام الدين ثم قال فك رقبة والمعنى أن اقتحام العقبة هو الفك
أو الإطعام وفيه مسائل المسألة الأولى الفك فرق يزيل المنع كفك القيد والغل وفك الرقبة فرق بينها وبين صفة الرق
بإيجاب الحرية وإبطال العبودية ومنه فك الرهن وهو إزالة غلق الرهن وكل شيء أطلقته فقد فككته ومنه فك الكتاب
قال الفراء في المصادر فككتها أفكها فكا بفتح الفاء في المصدر ولا يقال بكسرها وتقال كانت عادة العرب في الأسارى شد
رقابهم وأيديهم فجرت لفظة في فكهم وإطلاقهم ثم سمي إطلاق الأسير فكا قال الأخطل شعر
أبني كليب إن عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا المسألة الثانية فك الرقبة قد يكون بأن يعتق الرجل
رقبة من الرق وقد يكون بأن يعطي مكاتبا ما يصرفه إلى جهة فكاك نفسه روى البراء بن عازب قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال عتق النسمة وفك الرقبة قال يا رسول الله أليسا واحدا قال لا
عتق النسمة أن تنفرد بعتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها وفيه وجه آخر وهو أن يكون المراد أن يفك المرء رقبة نفسه
بما يتكلفه من العبادة التي يصير بها إلى الجنة فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار المسألة الثالثة قرئ فك
رقبة أو إطعام والتقدير هي فك رقبة أو إطعام وقرئ فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم العقبة وقوله
وما أدراك ما العقبة اعتراض قال الفراء وهو أشبه الوجهين بصحيح العربية لقوله ثم كان لأن فك وأطعم فعل وقوله كان فعل
وينبغي أن يكون الذي يعطف عليه الفعل فعلا أما لو قيل ثم إن كان لكان ذلك مناسبا لقوله فك رقبة بالرفع لأنه يكون
عطفا للاسم على الاسم المسألة الرابعة عند أبي حنيفة العتق أفضل أنواع الصدقات وعند صاحبيه الصدقة
أفضل والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقدم العتق على الصدقة قوله تعالى أو إطعام في يوم ذي مسغبة فيه مسائل
المسألة الأولى يقال سغب سغبا إذا جاع فهو ساغب وسغبان قال صاحب الكشاف المسغبة والمقربة والمتربة
مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب إذا افتقر ومعناه التصق بالتراب
وأما أترب فاستغنى أي صار ذا مال كالتراب في الكثرة قال الواحدي المتربة مصدر من قولهم ترب يترب تربا ومتربة مثل
مسغبة إذا افتقر حتى لصق بالتراب المسألة الثانية حاصل القول في تفسير يوم ذي مسغبة ما قاله الحسن وهو أنه
يوم محروص فيه على الطعام قال أبو علي ومعناه ما يقول النحويون في قولهم ليل نائم ونهار صائم أي ذو نوم وصوم
واعلم أن إخراج المال في وقت القحط والضرورة أثقل على النفس وأوجب للأجر وهو كقوله وآتى المال على حبه مسكينا
ويتيما وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه بإطعام ومعناه أو إطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة أما قوله يتيما ذا مقربة
قال الزجاج ذا قرابة تقول زيد ذو قرابتي وذو مقربتي وزيد قرابتي قبيح لأن القرابة مصدر وقال مقاتل يعني يتيما
بينه وبينه قرابة فقد اجتمع فيه حقان يتم وقرابة فإطعامه أفضل وقيل يدخل فيه القرب بالجوار كما يدخل فيه القرب
بالنسب أما قوله أو مسكينا ذا متربة أي مسكينا قد لصق بالتراب من فقره وضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه
روي أن ابن عباس مر بمسكين لاصق بالتراب فقال هذا الذي قال الله تعالى أو مسكينا ذا متربة واحتج الشافعي على
أن المسكين قد يكون بحيث يملك شيئا لأنه لو كان لفظ المسكين دليلا على أنه لا يملك شيئا البتة لكان تقييده بقوله ذا متربة
تكريرا وهو غير جائز أما قوله ثم كان من الذين آمنوا أي كان مقتحم العقبة من الذين آمنوا أي كان مقتحم العقبة من الذين
آمنوا فإنه إن لم يكن منهم لم ينتفع بشيء من هذه الطاعات ولا مقتحما للعقبة فإن قيل لما كان الإيمان شرطا للانتفاع
بهذه الطاعات وجب كونه مقدما عليها فما السبب في أن الله تعالى أخره عنها بقوله ثم كان من الذين آمنوا والجواب
من وجوه أحدها أن هذا التراخي في الذكر لا في الوجود كقوله شعر إن من ساد ثم ساد أبوه
ثم قد ساد قبل ذلك جده لم يرد بقوله ثم ساد أبوه التأخر في الوجود وإنما المعنى ثم اذكر أنه ساد أبوه وكذا
في الآية وثانيها أن يكون المراد ثم كان في عاقبة أمره من الذين آمنوا وهو أن يموت على الإيمان فإن الموافاة
شرط الانتفاع بالطاعات وثالثها أن من أتى بهذه القرب تقربا إلى الله تعالى قبل إيمانه بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم آمن
بعد ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم فعند بعضهم أنه يثاب على تلك الطاعات قالوا ويدل عليه ما روي أن حكيم

واعلم ان اخراج المال في وقت القحط اثقل

بيده

ابن حزام بعدما اسلم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ناتي باعمال الخير في الجاهلية فهل لنا منها شيء فقال عليه الصلاة والسلام اسلمت على ما قدمت عليه من الخير • ورابعها ان المراد من قوله ثم كان من الذين امنوا تراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لان درجة ثواب الايمان اعظم بكثير من درجة ثواب سائر الاعمال اما قوله وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة • فالمعنى انه كان يوصي بعضهم بعضا على ان يرحم المظلوم او الفقير او يرحم المقدم على منكر فيمنعه منه لان كل ذلك داخل في الرحمة • وهذا يدل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الحق ويمنعه من طريق سلوك الشر ما امكنه واعلم ان قوله ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة يعني يكون مقتحما للعقبة من هذه الزمرة الطائفة • وهذه الطائفة هم اكابر الصحابة كالخلفاء الاربعة وغيرهم فانهم كانوا مبالغين في الصبر على شدائد الدين والرحمة على الخلق وبالجملة فقوله وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله • ومدار امر الطاعة ليس الا على هذين الاصلين وهو الذي قاله بعض المحققين ان الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وخلق مع الخلق • ثم انه سبحانه لما وصف هؤلاء المؤمنين بين انهم من هم في القيمة فقال اولئك اصحاب الميمنة • وانما ذكر ذلك لانه تعالى بين حالهم في سورة الواقعة وانهم في سدر مخضود • وطلح منضود قال صاحب الكشاف الميمنة والمشئمة اليمين والشمال واليمن والشوم اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليها ثم قال تعالى والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشئمة • فقيل المراد من يؤتى كتابه بشماله ووراء ظهره وقد تقدم وصف الله لهم بانهم في سموم وحميم وظل من يحموم الى غير ذلك ثم قال تعالى عليهم نار موصدة وفيه مسائل المسئلة الاولى قال الفراء والمبرد والزجاج يقال اصدت الباب واوصدته اذا اغلقته • فمن قرا موصدة بالهمز اخذها من اصدت فهمز اسم المفعول • ويجوز ان يكون من اوصدت ولكنه همز على لغة من يهمز الواو اذا كان قبلها ضمة نحو موسى ومن لم يهمز احتمل ايضا امرين • احدهما ان يكون من لغة من قال اوصدت فلم يهمز اسم المفعول كما يقال من اوعدت موعد • والاخر ان يكون اصد مثل امن ولكنه خفف كما في تخفيف جونة وبوس من جوته وبوس فيقلبهما في التخفيف واوا قال الفراء • ويقال من هذا الاصيد والوصيد وهو الباب المطبق واذا عرفت هذا فقول قال مقاتل عليهم نار موصدة يعني ابوابها مطبقة فلا تفتح لهم باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابد الاباد وقيل المراد احاطة النيران بهم • كقوله احاط بهم سرادقها المسئلة الثانية الموصدة هي الابواب وقد جرت صفة للنار على تقدير عليهم نار موصدة الابواب • فلما تركت الاضافة عاد التنوين لانهما يتعاقبان • والله اعلم

## سورة والشمس خمس عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها قبل الخوض في التفسير لابد من مسائل المسئلة الاولى المقصود من هذه الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي واعلم انه تعالى يرغب عباده اما بان يذكر في القسم انواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتامل المكلف فيها ويشكر عليها لان الذي يقسم الله تعالى به يحصل له وقع في القلب فيكون الدواعي الى تامله اقوى المسئلة الثانية قد عرفت ان جماعة من اهل الاصول قالوا التقدير ورب الشمس ورب سائر ما ذكره الى تمام القسم • فاحتج قوم على بطلان هذا المذهب فقالوا ان في جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيلزم ان يكون المراد ورب السماء وربها وذلك كالمتناقض اجاب القاضي عنه بان قوله وما بناها لا يجوز ان يكون المراد منه هو الله تعالى لان ما لا يستعمل في خالق السماء الا على ضرب من المجاز ولانه لا يجوز منه تعالى ان يقدم قسمه بغيره على قسمه بنفسه ولانه تعالى لا يكاد يذكر مع غيره على هذا الوجه فاذن لابد من التاويل هو ان ما مع ما بعده في حكم المصدر فيكون التقدير والسماء وبنائها • اعترض صاحب الكشاف عليه فقال لو كان الامر على هذا الوجه لزم من عطف قوله فالهمها عليه فساد النظم المسئلة الثالثة القراء مختلفون في فواصل هذه السورة وما اشبهها نحو والليل اذا يغشى والضحى والليل اذا سجى فقراوها تارة بالامالة وتارة بالتفخيم • وتارة بعضها بالامالة وبعضها بالتفخيم قال الفراء الكسر فيها والايات التي بعدها وان كان اصل بعضها الواو نحو تلاها وطحاها ودحاها فكذلك ايضا فانه لما ابتدئت السورة بحرف الياء اتبعها بما هو من الواو ولان الالف المنقلبة عن الواو قد توافق المنقلبة عن الياء • الا ترى ان تلوت وطحوت ونحوهما قد يجوز في افعالها ان تنقلب الى الياء نحو تلي ودحي • فلما حصلت هذه الموافقة استجازوا الامالة كما استجازوا الامالة مما كان من الياء • واما وجه من ترك الامالة مطلقا فهو ان كثيرا من العرب لا يميلون هذه الالفات ولا يجوزون فيها نحو

الياء ويقوى ترك

الياء ويقوى ترك الامالة [illegible] • [illegible] المسئلة الرابعة [illegible] قال الزجاج المعنى لقد افلح [illegible] قوله تعالى والشمس وضحاها [illegible] قال مجاهد والكلبي ضحاها ضوءها [illegible] وقال قتادة هو النهار كله [illegible] قال الليث الضحى [illegible] ارتفاع النهار [illegible]

[illegible] اهل العالم كانوا كالاموات في الليل • فلما ظهر اثر الصبح في المشرق صار ذلك كالصور الذي ينفخ قوة الحياة فصارت الاموات احياء ولا تزال تلك الحياة في الازدياد والقوة والتكامل وتكون غاية كمالها وقت الضحوة فهذه الحالة تشبه استقرار اهل الجنة فيها قوله تعالى والقمر اذا تلاها قال الليث تلا يتلو اذا تبع شيئا وفي كون القمر تاليا وجوه • احدها بقاء القمر طالعا عند غروب الشمس وذلك انما يكون في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس فان القمر يتبعها في الاضاءة وهو قول عطاء عن ابن عباس • وثانيها ان الشمس اذا غربت فالقمر يتبعها ليلة الهلال في الغروب وهو قول قتادة والكلبي وثالثها قول الفراء المراد من هذا التلو هو ان القمر ياخذ الضوء من الشمس • يقال فلان يتبع فلانا في كذا اي ياخذ منه • ورابعها قال الزجاج تلاها حين استدار وكمل فكانه يتلو الشمس في الضياء والنور يعني اذا كمل ضوءه فصار كالقائم مقام الشمس في الانارة وذلك في الليالي البيض • وخامسها انه يتلوها في كبر الجرم بحسب الحس وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركته ولقد ظهر في علم النجوم ان بينهما من المناسبة ما ليس بين الشمس وبين غيرها قوله تعالى والنهار اذا جلاها • معنى التجلية الاظهار والكشف والضمير في جلاها الى ماذا يعود فيه وجهان • احدهما وهو قول الزجاج انه عائد الى الشمس وذلك لان النهار عبارة عن نور الشمس فكلما كان النهار اجلى ظهورا كانت الشمس اجلى ظهورا لان قوة الاثر وكماله يدل على قوة المؤثر فكان النهار يبرز الشمس ويظهرها كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يجليها • الثاني وهو قول الجمهور انه عائد الى الظلمة او الى الدنيا او الى الارض وان لم يجر لها ذكر • تقول اصبحت باردة يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء قوله تعالى والليل اذا يغشاها • يعني يغشى الليل الشمس فيزيل ضوءها • وهذه الاية تقوي القول الاول في الاية التي قبلها من وجهين • الاول انه لما جعل الليل يغشى الشمس ويزيل ضوءها حسن ان يقال النهار يجليها على ضد ما ذكر في الليل • والثاني ان الضمير في يغشاها الشمس بالاتفاق • فكذا في جلاها يجب ان يكون للشمس حتى يكون الضمير في الفواصل من اول السورة الى هنا للشمس قال القفال وهذه الاقسام الاربعة ليست الا بالشمس في الحقيقة لكن بحسب اوصاف اربعة • اولها الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار • وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان واضطراب الناس للمعاش • ومنها تلو القمر لها واخذه الضوء عنها • ومنها تكامل طلوعها وبروزها بمجيء النهار • ومنها وجود خلاف ذلك بمجيء الليل • ومن تامل قليلا في عظمة الشمس ثم شاهد بعين عقله فيها اثر المصنوعية والمخلوقية من المقدار المتناهي والتركيب من الاجزاء انتقل منه الى عظمة خالقها فسبحانه ما اعظم شانه قوله تعالى والسماء وما بناها • فيه مسائل المسئلة الاولى ان الذي ذكره صاحب الكشاف ان ما ها هنا لو كانت مصدرية لكان عطف فالهمها عليه يوجب فساد النظم وهو الذي ذكره القاضي من انه لو كان هذا قسما بخالق السماء لما كان يجوز تاخيره عن ذكر الشمس فهو اشكال جيد • والذي خطر ببالنا في الجواب عنه ان اعظم المحسوسات هو الشمس فذكرها سبحانه مع اوصافها الاربعة الدالة على عظمها ثم ذكر ذاته المقدسة بعد ذلك ووصفها بصفات ثلاثة وهي تدبيره سبحانه للسماء والارض والمركبات • ونبه على المركبات بذكر اشرفها وهو النفس • والغرض من هذا الترتيب هو ان يتوانى العقل والحس على عظمة جرم الشمس ثم يخرج العقل الساذج بالشمس بل بجميع السماويات والارضيات والمركبات على اثبات مبدئها فحينئذ يخطي العقل ها هنا بادراك جلال الله وعظمته على ما يليق به الحسن لا ينازعه فيه فكان ذلك كالطريق الجاذب للعقل من حضيض عالم المحسوسات الى ايقاع عالم الربوبية

تقول اصبحت باردة يريدون الغداة

وبيد الكبريا الصمدية. فسبحان من عظمت حكمته وكملت كلمته. السؤال الثاني ما الفائدة في قوله والسما وما بناها
الجواب انه سبحانه لما وصف الشمس بالصفات الاربعة الدالة على عظمها اتبعه ببيان ما يدل على حدوثها
وحدوث جميع الاجرام السماوية. فنبه بهذه الاية على تلك الدلالة وذلك لان الشمس والسما متناهية وكل متناه
مختص بمقدار معين مع انه كان يجوز في العقل ما هو اعظم منه وما هو اصغر منه فاختصاص الشمس وساير
السماويات بالمقدار المعين لا بد وان يكون لتقدير مقدر وتدبير مدبر وكما ان باني البيت يبنيه بحسب مشيته فكذا مدبر
الشمس وساير السموات قدرها بحسب مشيته. فقوله وما بناها كالتنبيه على هذه الدقيقة الدال على حدوث
الشمس وساير السماويات. السؤال الثالث لم قال وما بناها ولم يقل ومن بناها. الجواب من وجهين الاول
ان المراد هو الاشارة الى الوصفية كانه قيل والسما وذلك الشي العظيم القادر الذي بناها. والحكيم الباهر
الحكمة الذي سواها. والثاني ان ما يستعمل في موضع من كقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا والاعتماد على
الاول. السؤال الرابع لم ذكر في تعريف ذات الله تعالى هذه الاشيا الثلاثة وهي السما والارض والنفس
والجواب لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم الجسماني وهو قسمان بسيط
ومركب والبسيط قسمان العلوية واليه الاشارة بقوله والسما. والسفلية واليه الاشارة بقوله والارض
والمركب وهو اقسام واشرفها ذوات الانفس واليه الاشارة بقوله ونفس وما سواها. اما قوله والارض وما طحاها
ففيه مسئلتان. المسئلة الاولى انما اخر هذا عن قوله والسما وما بناها كقوله والارض بعد ذلك دحاها. المسئلة الثانية
قالوا الطحو كالدحو وهو البسط. وابدال الطا من الدال جايز. والمعنى وسعها. قال عطا والكلبي بسطها
على الما. اما قوله ونفس وما سواها ان حملنا النفس على الجسد فتسويتها تعديل اعضايها على ما يشهد به علم التشريح
وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها اعطاوها القوى الكثيرة كالقوة السامعة والباصرة والمخيلة والمفكرة
والمذكرة على ما يشهد به علم النفس. فان قيل لم نكرت النفس قلنا فيه وجهان. احدهما ان يريد به نفسا خاصة
من بين النفوس وهي النفس القدسية النبوية وذلك لان كل كثرة فلا بد فيها من واحد يكون هو الرئيس. فالمركبات
جنس تحته انواع ورئيسها الانسان والانسان انواع واصناف. ورئيسها النبي والانبيا كانوا كثيرين فلا بد ان يكون هناك
واحد يكون هو الرئيس المطلق. فقوله ونفس اشارة الى تلك النفس التي هي رئيسة لعالم المركبات رياسة بالذات. الثاني
ان يريد كل نفس. ويكون المراد من التنكير التكثير على الوجه المذكور في قوله علمت نفس ما احضرت وذلك لان الحيوانات
انواع لا يحصي عددها الا الله على ما قال ويخلق ما لا تعلمون ولكل نوع نفس مخصوصة متميزة
عن سايرها بالفصل المقوم لماهيته والخواص اللازمة لذلك الفصل فمن الذي يحيط عقله بالقليل من خواص
نفس البق والبعوض فضلا عن التوغل في بحار اسرار الله. اما قوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها. فالمعنى
المحصل فيه وجهان. الاول ان الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالها. وان احدهما حسن والاخر قبيح
وتمكينه من اختيار ما شاء منهما وهو كقوله وهديناه النجدين. وهذا التاويل مطابق لمذهب المعتزلة قالوا ويدل
عليه قوله بعد ذلك قد افلح من زكاها. وقد خاب من دساها. وهذا الوجه مروي عن ابن عباس وعن جمع من
اكابر المفسرين. والوجه الثاني انه تعالى الهم المومن المتقي تقواه. والهم الكافر فجوره. قال سعيد بن جبير
الزمها فجورها وتقواها. وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور. واختار
الزجاج والواحدي ذلك قال الواحدي التعليم والتعريف والتبيين غير الالهام فان الالهام هو ان يوقع الله في قلب
العبد شيا واذا اوقع في قلبه شيا فقد الزمه اياه. واصل معنى الالهام من قولهم لهم الشي والتهمه اذا ابتلعه والهمته
ذلك الشي اي ابلعته هذا هو الاصل ثم استعمل ذلك فيما يقذفه الله تعالى في قلب العبد لانه كالابلاع فالتفسير
الموافق لهذا الاصل قول ابن زيد وهو صريح في ان الله تعالى خلق في المومن تقواه وفي الكافر فجوره. واما التمسك
بقوله قد افلح من زكاها فضعيف لان المروي عن سعيد بن جبير وعطا وعكرمة والكلبي ومقاتل ان المعنى قد افلحت
وسعدت نفس زكاها الله تعالى واصلحها وطهرها. والمعنى وفقها للطاعة هذا اخر كلام الواحدي وهو تام
واقول قد ذكرنا ان الايات الثلاثة ذكرت للدلالة على كونه سبحانه مدبرا للاجسام العلوية والسفلية البسيطة
والمركبة فهاهنا لم يبق شي مما في عالم المحسوسات الا وقد ثبت مقتضى للتنبيه انه واقع بتخليقه وتدبيره
بقي شي واحد يختلج في القلب انه هل هو بقضايه وقدره وهو الافعال الحيوانية الاختيارية. فنبه سبحانه
بقوله فالهمها فجورها وتقواها على ان ذلك ايضا منه وبه وبقضايه وقدره وحينيذ ثبت ان كل ما سوى الله فهو
واقع بقضايه وقدره وداخل تحت ايجاده وتصرفه. ثم الذي يدل عقلا على ان المراد من قوله فالهمها فجورها وتقواها

هو الخذلان

هو الخذلان وان التوفيق ما ذكرنا مرارا ان الافعال الاختيارية موقوفة على حصول الاختيارات فحصولها ان كان لا عن فاعل
فقد استغنى المحدث عن الفاعل. وفيه نفي الصانع. وان كان عن فاعل هو العبد لزم التسلسل. وان كان عن الله فهو المقصود
وايضا فالمجرب العاقل بنفسه فانه ربما كان الانسان غافلا عن شي فتقع صورته في قلبه دفعة ويترتب على وقوع تلك الصورة
في القلب ميل اليه ويترتب على ذلك الميل حركة الاعضا وصدور الفعل وذلك يفيد القطع بان المراد من قوله فالهمها
ما ذكرناه لا ما ذكره المعتزلة. اما قوله تعالى قد افلح من زكاها فاعلم ان التزكية عبارة عن التطهير او عن الانما وفي الاية
قولان. احدهما انه قد ادرك مطلوبه من زكى نفسه بان طهرها من الذنوب بفعل الطاعة ومجانبة المعصية. والثاني
قد افلح من زكاها. وقبل القاضي هذا التاويل وقال المراد منه ان الله حكم بتزكيتها وسماها بذلك كما يقال في العرف ان فلانا
يزكي فلانا ثم قال. والاول اقرب لان ذكر النفس قد تقدم ظاهرا فرد الضمير عليه اولى من رده على ما هو في حكم المذكور لا انه
مذكور. واعلم انا قد دللنا بالبرهان القاطع ان المراد بالهمها ما ذكرناه فوجب حمل اللفظ عليه. واما قوله بان هذا محمول على
الحكم والتسمية فهو ضعيف لان هذا التفسيرات على التكوين. ثم ان سلمنا ذلك لكن ما حكم الله به يمتنع تغيره لان تغير المحكوم به
يستلزم تغير الحكم من الصدق الى الكذب وتغير العلم الى الجهل وذلك محال والمفضي الى المحال محال. اما قوله ذكر النفس قد
تقدم. قلنا هذا بالعكس اولى. فان اهل اللغة اتفقوا على ان عود الضمير الى الاقرب اولى من عوده الى الابعد. وقوله فالهمها
اقرب الى قوله ما منه الى قوله ونفس فكان الترجيح لما ذكرناه. ومما يوكد هذا التاويل ما رواه الواحدي في البسيط عن سعيد
ابن ابي هلال انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرا قد افلح من زكاها وقف ثم قال اللهم ات نفسي تقواها انت وليها ومولاها
وزكها انت خير من زكاها. اما قوله تعالى وقد خاب من دساها. فقالوا دساها اصله دسسها من التدسيس
وهو اخفا الشي في الشي فابدلت احدى السينات يا. فاصل دسى دسس كما ان اصل تقضى البازي تقضض البازي
وكما قالوا التبت والاصل التبث. وتلبى والاصل تلبب. ثم نقول اما المعتزلة فذكروا وجوها توافق قولهم احدها
ان اهل الصلاح يظهرون انفسهم. واهل الفسوق يخفون انفسهم ويدسونها في المواضع الخفية كما ان اجواد
العرب ينزلون الربى حتى تشتهر اماكنهم ويقصدهم المحتاجون ويوقدون النيران بالليل للطارقين. واما اللئام
فانهم يخفون اماكنهم على الطالبين. وثانيها خاب من دساها اي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم. وثالثها
من دساها في المعاصي حتى انغمس فيها. ورابعها من دساها من دس في نفسه الفجور وذلك بسبب مواظبته عليها
ومجالسته مع اهلها. وخامسها ان من اعرض عن الطاعات واشتغل بالمعاصي صار خاملا متروكا منسيا فصار كالشي
المدسوس في الاخفا والخمول. واما اصحابنا فقالوا المعنى خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى واغواها
وافجرها. وابطلها واهلكها. هذه المعاظم في تفسير دساها قال الواحدي رحمه الله كانه سبحانه اقسم باشرف مخلوقاته
على فلاح من طهره وخسار من خذله حتى لا يظن احد انه هو الذي يتولى تطهير نفسه او اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم
وقضا سابق. اما قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها قال الفرا الطغيان والطغوى مصدران الا ان الطغوى اشبه برؤس
الايات فاختير لذلك وهو كالدعوى من الدعا. وفي التفسير وجهان. احدهما انها فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول
ظلمني بجراته على الله تعالى والمعنى ان طغيانهم حملهم على التكذيب هذا هو المشهور. والثاني ان الطغوى اسم لعذابهم
الذي اهلكوا به. والمعنى كذبت بعذابها اي لم تصدق قول رسولهم فيما انذرهم به من العذاب. وهذا ليس ببعيد لان معنى
الطغيان في اللغة مجاوزة العدد فيجوز ان يسمى العذاب الذي جاءهم طغوى لانه كان صيحة مجاوزة للقدر المعتاد او
يكون التقدير كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى. ويدل على هذا التاويل قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة
اي بالعذاب الذي حل بها ثم قال فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب طاغية. قوله تعالى اذ انبعث
اشقاها. انبعث مطاوع بعث. يقال بعثت فلانا على الامر فانبعث له. والمعنى انه كذبت ثمود بسبب طغيانهم
حين انبعث اشقاها وهو عاقر الناقة وفيه قولان. احدهما انه شخص معين واسمه قدار بن سالف. ويضرب به المثل فيقال
اشام من قدار وهو اشقى الاولين بفتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم. والثاني يجوز ان يكونوا جماعة وانما جا
على لفظ الوحدان لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمونث. تقول هذان افضل
الناس وهولا افضلهم. وهذا يتاكد بقوله فكذبوه فعقروها وكان يجوز ان يقول اشقوها كما تقول افاضلهم. اما قوله
فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها. ففيه مسايل المسئلة الاولى المراد من الرسول صالح عليه السلام
ناقة الله اي انه اشار اليها لما هموا بعقرها وبلغه ما عزموا عليه وقال لهم هي ناقة الله واية الدالة على توحيده
وعلى نبوتي. فاحذروا ان تقدموا عليها بسوء. واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها وقد بينا في مواضع من هذا
الكتاب انه كان لها شرب يوم وكانوا يستضرون بذلك في امر مواشيهم فهموا بعقرها وكان صالح عليه السلام يحذرهم

واما اصحابنا فقالوا المعنى خابت وخسرت

حالا بعد حال من عذاب ينزل بهم ان اقدموا على ذلك وكانت هذه الحالة متصورة في نفوسهم فاقتصر على
ان قال لهم ناقة الله وسقياها لان هذه الاشارة كافية مع الامور المتقدمة التي ذكرناها المسئلة الثانية
ناقة الله نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضمار ذروا عقرها واحذروا سقياها فلا
تمنعوها عنها ولا تستاثروا بها عليها ثم بين تعالى ان القوم لم يمتنعوا عن تكذيب صالح وعن عقر الناقة بسبب العذاب
الذي انذرهم الله تعالى به وهو المراد بقوله فكذبوه فعقروها ثم يجوز ان يكون المباشر للعقر واحدا وهو قدار فيضاف
الفعل اليه بالمباشرة كما قال تعالى فتعاطى فعقر ويضاف الفعل الى الجماعة لرضاهم بما فعل ذلك الواحد قال قتادة
ذكر لنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم وهو قول اكثر المفسرين وقال الفراء قيل انهما كانا اثنين
اما قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها فاعلم ان في الدمدمة وجوها احدها قال الزجاج معنى دمدم
اطبق عليهم العذاب يقال دممت على الشيء اذا اطبقت عليه ويقال ناقة مدمومة اي قد البسها الشحم
فاذا كررت الاطباق قلت دمدمت عليه قال الواحدي الدم في اللغة اللطخ ويقال للشيء السمين كانما دم بالشحم دما
فجعل الزجاج دمدم من هذا الحرف على التضعيف نحو كبكبوا وبابه فعلى هذا معنى دمدم عليهم اطبق عليهم العذاب
وعمهم كالشيء الذي يلطخ به من جميع الجوانب الوجه الثاني تقول للشيء يدفن دمدمت عليه اي سويت عليه فيجوز ان يكون
معنى فدمدم عليهم سوى عليهم الارض بان اهلكهم فجعلهم تحت التراب الوجه الثالث قال ابن الانباري دمدم غضب
والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل ورابعها دمدم عليهم ارجف الارض بهم رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وهو قول
الفراء اما قوله تعالى فسواها يحتمل وجهين وذلك لانا اذا فسرنا الدمدمة كان المعنى فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها وذلك
انه هلاكهم كان بصيحة جبريل عليه السلام وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا فاستوت على صغيرهم وكبيرهم وان فسرناها بالتسوية
كان المراد فسوى عليهم الارض اما قوله تعالى ولا يخاف عقباها ففيه وجوه اولها انه كناية عن الرب تعالى اذ هو اقرب
المذكورات ثم اختلفوا فقال بعضهم لا يخاف تبعة في العاقبة اذ العقبى والعاقبة سواء كانه بين انه تعالى يفعل ذلك بحق
وكل من فعل ما يكون حكمة وحقا فانه لا يخاف عاقبة فعله وقال بعضهم ذكر ذلك لا على وجه التحقيق بل على وجه التحقير
لهذا الفعل اي هو اهون من ان يخشى فيه عاقبة والله تعالى يجل ان يوصف بذلك ومنهم من قال المراد منه التنبيه على انه
بالغ في التعذيب فان كل ملك يخشى عاقبة فانه يبقي بعض الابقاء والله تعالى لما لم يخف شيئا من العواقب لا جرم ما ابقى
شيئا وثانيها انه كناية عن صالح الذي هو الرسول ولا يخاف صالح عقبى هذا العذاب الذي ينزل بهم وذلك للوعد بنصرته
ودفع المكاره عنه لو حاول محاول ان يؤذيه لاجل ذلك وثالثها المراد ان ذلك الاشقى الذي هو احيمر ثمود فيما اقدم من عقر
الناقة لا يخاف عقباها وهذه الاية وان كانت متاخرة لكنها على هذا التفسير في حكم المتقدم كانه قال اذ انبعث
اشقاها ولا يخاف عقباها والمراد بذلك انه اقدم على عقرها وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه فنفعل مع هذا
الخوف الشديد فعل من لا يخاف البتة فينسب ذلك الى الجهل والحمق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف وفي
مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف والله اعلم روي ان صالحا لما وعدهم العذاب بعد ثلاث قال التسعة الذين عقروا
الناقة هلموا نقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا الحقناه بناقته فاتوه ليبيتوه فدمغتهم الملائكة
بالحجارة فلما ابطاوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت
عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه قد وعدكم ان العذاب نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا
زدتم ربكم عليكم غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك الليلة فاصبحوا ووجوههم مصفرة
فايقنوا بالعذاب فطلبوا صالحا ليقتلوه فهرب صالح فالتجأ الى سيد بعض بطون ثمود وكان مشركا فغيبه عنهم فلم
يقدروا عليه ثم شغلهم عنه ما نزل بهم من العذاب فهذا هو قوله ولا يخاف عقباها والله اعلم واحكم

## سورة الليل احدى وعشرون مكية

قال القفال رحمه الله نزلت هذه السورة في ابي بكر وانفاقه على المسلمين وفي امية بن خلف وبخله وكفره بالله
الا انها وان كانت كذلك لكن معانيها عامة للناس الا ترى ان الله تعالى قال ان سعيكم لشتى وقال تعالى فانذرتكم نارا تلظى
ويروى عن علي عليه السلام انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقعدنا حوله فقال ما منكم نفس منفوسة الا وقد علم مكانها من الجنة والنار فقلنا يا رسول الله افلا نتكل قال
اعملوا فكل ميسر لما خلق له فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى فان هذا الحديث عموم هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى اعلم
انه تعالى اقسم بالليل الذي ياوي فيه كل حيوان الى ماواه ويسكن الخلق عن الاضطراب ويجيئهم النوم الذي جعله الله راحة
لابدانهم وغذاء لارواحهم ثم اقسم بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت
الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم وتتحرك الطير من اوكارها والهوام من مكامنها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش
ولو كان كله نهارا لبطلت الراحة لكن المصلحة كانت في تعاقبهما على ما قال وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وسخر لكم الليل
والنهار واما قوله والليل اذا يغشى فاعلم انه تعالى لم يذكر مفعول يغشى فهو اما الشمس من قوله والليل اذا
يغشاها واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب وقوله والنهار
اذا تجلى اي ظهر بزوال ظلمة الليل او ظهر وانكشف بطلوع الشمس وقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى فيه مسائل
المسئلة الاولى في تفسيره وجوه احدها اي والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء
واحد وقيل هما آدم وحواء وثانيها اي وخلقه الذكر والانثى وثالثها ما بمعنى من اي ومن خلق الذكر والانثى
او والذي خلق الذكر والانثى المسئلة الثانية قرا النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرا ابن مسعود
والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر ووجهه ان يكون في معنى وما خلقه اي وما خلق الله
تعالى اي ومخلوق الله ثم يجعل الذكر والانثى بدلا منه اي ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم
انه لا خالق الا هو المسئلة الثالثة القسم بالذكر والانثى يتناول القسم بجميع ذوي الارواح الذين هم اشرف
المخلوقات لان كل حيوان فهو اما ذكر واما انثى والخنثى فهو في نفسه لا بد وان يكون اما ذكرا او انثى بدليل انه
لو حلف بالطلاق انه لم يلق في هذا اليوم ذكرا ولا انثى وكان قد لقي خنثى فانه يحنث في يمينه قوله تعالى
ان سعيكم لشتى هذا جواب القسم فاقسم تعالى بهذه الاشياء ان اعمال عباده لشتى اي مختلفة في الجزاء وشتى جمع شتيت
مثل مرضى ومريض وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه والشتات هو التباعد والافتراق
فكانه قيل ان عملكم لمتباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلال وبعضه هدى وبعضه يوجب الجنان وبعضه يوجب
النيران فشتان ما بينهما ويقرب من هذه الاية قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقوله افمن كان مؤمنا
كمن كان فاسقا لا يستوون وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء
محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى ولا الظل ولا الحرور قال المفسرون نزلت هذه الاية في ابي بكر وابي سفيان
ثم انه سبحانه بين معنى اختلاف الاعمال فيما قلناه من العاقبة المحمودة والمذمومة والثواب والعقاب فقال
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي قوله اعطى وجهان احدهما ان يكون المراد انفاق
المال في جميع وجوه الخير من عتق الرقاب وفك الاسارى وتقوية المسلمين على عدوهم كما كان يفعله ابو
بكر سواء كان ذلك واجبا او نفلا واطلاق هذا كالاطلاق في قوله سواء كان واجبا او نفلا وقد مدح الله
قوما فقال ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا وقال في اخر هذه السورة وسيجنبها الاتقى
الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وثانيها ان قوله اعطى
يتناول اعطاء حقوق المال واعطاء حقوق النفس في طاعة الله تعالى يقال فلان اعطى الطاعة واعطى البيعة وقوله
واتقى فهو اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وقد ذكرنا انه هل من شرط كونه متقيا ان يكون محترزا عن الصغائر
ام لا في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقوله تعالى وصدق بالحسنى فيه وجوه احدها انها
قول لا اله الا الله والمعنى فاما من اعطى واتقى وصدق بالتوحيد والنبوة حصلت له الحسنى وذلك
لانه لا ينفع مع الكفر اعطاء مال ولا اتقاء محارم وهو كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة الى قوله ثم كان من الذين
آمنوا وثانيها ان الحسنى عبارة عما فرضه الله تعالى من العبادات على الابدان وفي الاموال كانه قيل اعطى في
سبيل الله واتقى المحارم وصدق بالشرائع فعلم انه تعالى لم يشرعها الا لما فيها من وجوه الصلاح والحسن وثالثها
ان الحسنى هو الخلف الذي وعده الله في قوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فالمعنى اعطى من ماله في طاعة
الله مصدقا بما وعده الله من الحسنى وذلك انه قال مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فكان الخلف
لما كان زائدا صح اطلاق لفظ الحسنى عليه وعلى هذا المعنى وكذب بالحسنى اي لم يصدق بالخلف فبخل بماله
لسوء ظنه بالمعبود كما قال بعضهم منع الموجود سوء الظن بالمعبود وروي عن ابي الدرداء انه قال
ما من يوم غربت فيه شمسه الا وملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين اللهم اعط منفقا خلفا
و[اعط] ممسكا تلفا ورابعها ان الحسنى هو الثواب وقيل انه الجنة والمعنى واحد قال قتادة صدق

موعود الله فيحمل لذلك الموعود قال القفال وبالجملة ان الحسنى لفظة تسع كل خصلة حسنة قال الله تعالى
قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يعني النصر او الشهادة وقال تعالى ومن يقترف حسنة نزد له
فيها حسنا فسمى مضاعفة الاجر حسنى وقال ان لي عنده للحسنى اما قوله تعالى فسنيسره لليسرى
ففيه مسائل المسألة الاولى في تفسير هذه اللفظة وجوه احدها انها الجنة وثانيها
انها الخير وقالوا في العسرى انها الشر وثالثها ان المراد منه ان يسهل عليه كل ما كلف به من الافعال
والتروك والمراد من العسرى تعسير كل ذلك عليه ورابعها اليسرى هي العود الى الطاعة التي اتى بها
اولا فكانه قال فسنيسره لانه يعود الى الاعطاء في سبيل الله وقالوا في العسرى ضد ذلك اي نيسره
لان يعود الى البخل والامتناع من اداء الحقوق المالية قال القفال وكل هذه الوجوه مجاز من اللغة وذلك
لان الاعمال بالعواقب فكل ما ادت عاقبته الى يسر وراحة وامور محمودة فان ذلك من اليسرى وذلك وصف
كل الطاعات وكل ما ادت عاقبته الى عسر وتعب فهو من العسرى وذلك وصف كل المعاصي المسألة الثانية
التانيث في لفظ اليسرى ولفظ العسرى فيه وجوه احدها ان المراد من اليسرى والعسرى ان كان جماعة الاعمال
فوجه التانيث ظاهر وان كان المراد عملا واحدا رجع التانيث الى الحالة او الفعلة وعلى هذا من جعل اليسرى
هو تيسير العود الى ما فعله الانسان من الطاعة رجع التانيث الى الطريقة فكانه قال للطريقة اليسرى والعسرى
وثانيها ان العبادات امور شاقة على البدن فاذا علم المكلف انها تفضي الى الجنة سهلت تلك الافعال الشاقة عليه
بسبب توقع الجنة فسمى الله تعالى الجنة يسرى ثم علل حصول التيسير في اداء الطاعات بهذه اليسرى وقوله
فسنيسره للعسرى من ذلك المسألة الثالثة في معنى التيسير لليسرى والعسرى وجوه وذلك لان
من فسر اليسرى بالجنة فسر التيسير لليسرى بادخال الله تعالى اياهم في الجنة بسهولة واكرام على ما اخبر الله تعالى
عنه بقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقوله طبتم فادخلوها خالدين وقوله سلام عليكم بما
صبرتم فنعم عقبى الدار واما من فسر اليسرى باعمال الخير فالتيسير لها هو تسهيلها على من اراد حتى لا يعتريه من التثاقل
ما يعتري المرائين والمنافقين من الكسل قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال تعالى واذا قاموا الى الصلاة
قاموا كسالى وقال تعالى ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض فكان التيسير هو التنشيط المسألة الرابعة
استدل الاصحاب بهذه الاية على صحة قولهم في التوفيق والخذلان فقالوا ان قوله تعالى فسنيسره لليسرى
يدل على انه تعالى خص المؤمن بهذا وهو انه جعل الطاعة بالنسبة اليه ارجح من المعصية وقوله تعالى فسنيسره
للعسرى يدل على انه خص الكافر بهذا الخذلان وهو انه جعل المعصية بالنسبة اليه ارجح من الطاعة واذا دلت الاية
على حصول الرجحان لزم القول بالوجوب لانه لا واسطة بين الفعل والترك ومعلوم ان حال الاستواء يمتنع الرجحان
فحال المرجوحية اولى بالامتناع واذا امتنع حصول احد الطرفين وجب حصول الطرف الاخر ضرورة انه لا خروج
عن طرفي النقيض اجاب القفال رحمه الله عن وجه التمسك بالاية من وجوه احدها ان تسمية احد الضدين
باسم الاخر مجاز مشهور قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال فبشرهم بعذاب اليم فلما سمى الله فعل الالطاف
الداعية الى الطاعات تيسيرا لليسرى سمى ترك هذه الالطاف تيسيرا للعسرى وثانيها ان يكون ذلك على جهة اضافة
الفعل الى المسبب له دون الفاعل كما قيل في الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس وثالثها ان يكون ذلك على سبيل
الحكم به والاخبار عنه والجواب عن الكل انه عدول عن الظاهر وذلك غير جائز لا سيما اذا بينا ان الظاهر
من جانبنا متاكد بالدليل العقلي القاطع ثم ان اصحابنا اكدوا ظاهر هذه الاية بما روي عن علي عليه السلام
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس منفوسة الا وقد علم الله مكانها من الجنة والنار قلنا افلا نتكل
قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اجاب القفال عنه بان الناس كلهم خلقوا ليعبدوا الله كما قال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون واعلم ان هذا ضعيف لانه عليه السلام انما ذكر هذا جوابا عن سؤالهم يعني اعملوا فكل ميسر
لما وافق معلوم الله وهذا يدل على قولنا ان ما قدره الله على العبد وعلمه منه فانه ممتنع التغير والله اعلم
المسألة الخامسة في دخول السين في قوله فسنيسره وجوه احدها انه على سبيل الترفيق والتلطيف
وهو من الله تعالى يقين كما في قوله اعبدوا ربكم لعلكم تتقون وثانيها ان يحمل ذلك على ان المطيع قد يصير
عاصيا والعاصي قد يصير بالتوبة مطيعا فلهذا السبب كان التغير فيه محالا وثالثها ان الثواب لما كان اكثره واقعا
في الاخرة وكان ذلك مما لم ياتي وقته ولا يقف على وقته احد الا الله لا جرم دخله تراخ فادخلت السين لانه
حرف التراخي ليدل بذلك على ان الوعد اجل غير حاضر والله اعلم قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى فاعلم

انما ها هنا

انما ها هنا يحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار ويحتمل ان يكون نفيا واما تردى ففيه وجهان الاول ان يكون ذلك
ماخوذا من قولك تردى في الجبل قال الله تعالى والمتردية والنطيحة فيكون المعنى تردى في الحفيرة والنطيحة فيكون
المعنى تردى في الحفيرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم وتقدير الاية انا اذا يسرناه للعسرى وهي النار تردى في جهنم فما تغني
عنه ماله الذي بخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه منه الى آخرته التي هي موضع فقره وحاجته شيء كما قال ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وقال ونرثه ما يقول وياتينا فردا اخبر ان الذي ينتفع به الانسان
هو ما يقدمه الانسان من اعمال البر واعطاء الاموال في حقوقها دون المال الذي يخلفه على ورثته الثاني ان تردى
تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت اما قوله تعالى ان علينا للهدى فاعلم انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم
شتى في العواقب وبين ما للمحسن من اليسرى وللمسيء من العسرى اخبرهم انه قد قضى ما عليه من البيان والدلالة
والترغيب والترهيب والارشاد والهداية فقال ان علينا للهدى اي ان الذي يجب علينا في الحكمة اذا خلقنا
الخلق للعبادة ان نبين لهم وجوه التعبد ونشرح ما يكون المتعبد به مطيعا مما يكون به عاصيا
اذ كنا انما خلقناهم لننفعهم ونرحمهم ونعرضهم للنعيم المقيم فقد فعلنا ما كان فعله واجبا علينا في الحكمة والمعتزلة
احتجوا بهذه الاية على صحة مذهبهم في مسائل احدها انه تعالى ازاح الاعذار وما كلف المكلف الا ما في وسعه
وطاقته فثبت انه تعالى لا يكلف ما لا يطاق وثانيها ان كلمة على للوجوب فيدل على انه يجب للعبد على الله شيء وثالثها
انه لو لم يكن العبد مستقلا بالايجاد لما كان في وضع الدلائل فائدة واجوبة اصحابنا عن مثل هذه الوجوه مشهورة وذكر
الواحدي وجها اخر نقله عن الفراء فقال المعنى ان علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال كما قيل سرابيل
تقيكم الحر وهي تقي الحر والبرد وهذا يعني قول ابن عباس في رواية عطا كما قال يريد ارشد اوليائي الى العمل بطاعتي
واحول اعدائي ان يعملوا بطاعتي فذكر معنى الاضلال قالت المعتزلة هذا التاويل ساقط لقوله تعالى وعلى الله قصد
السبيل ومنها جائر فبين ان قصد السبيل على الله واما جور السبيل فبين انه ليس على الله ولا منه واعلم ان الاستقصاء
قد سبق في هذه الاية اما قوله تعالى وان لنا للاخرة والاولى ففيه وجهان الاول ان لنا كل ما في الدنيا والاخرة
فليس يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا ولا يزيد في ملكنا اهتداؤكم بل نفع ذلك وضره عائدان عليكم ولو شئنا لمنعناكم
من المعاصي قهرا اذ لنا الدنيا والاخرة ولكنا لا نمنعكم من هذا الوجه لان هذا الوجه يخل بالتكليف بل نمنعكم بالبيان
والتعريف والوعد والوعيد الثاني ان لنا ملك الدارين نعطي ما نشاء من نشاء فليطلب سعادة الدارين منا والاول
اوفق لقول المعتزلة والثاني اوفق لقولنا اما قوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى اي تتوقد وتتلهب وتتوهج يقال
تلظت النار تلظيا ومنه سميت جهنم لظى ثم بين انه لمن هي بقوله لا يصلاها الا الاشقى قال ابن عباس نزلت في
امية بن خلف وامثاله الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله وقيل ان الاشقى بمعنى الشقي كما يقال لست فيها
باوحد اي بواحد فالمعنى لا يدخلها الا الكافر الذي هو شقي لانه كذب بايات الله وتولى اي اعرض عن طاعة الله
واعلم ان المرجئة يتمسكون بهذه الاية في انه لا وعيد الا على الكفار قال القاضي ولا يمكن اجراء هذه الاية على ظاهرها
ويدل على ذلك ثلاثة اوجه احدها انه يقتضي ان لا يدخل النار الا الاشقى الذي كذب وتولى فوجب في الكافر الذي
لم يكذب ولم يتول ان لا يدخل النار وثانيها ان هذا اغراء بالمعاصي لانه بمنزلة ان يقول الله تعالى لمن صدق بالله
ورسوله ولم يكذب ولم يتول اي معصية اقدمت عليها فلن يضرك وهذا يتجاوز حد الاغراء الى ان يصير كالاباحة
وتعالى الله عن ذلك وثالثها ان قوله تعالى من بعد وسيجنبها الاتقى يدل على ترك هذا الظاهر لانه معلوم
من حال الفاسق انه ليس باتقى لان ذلك مبالغة في التقوى ومن يرتكب عظائم الكبائر لا يوصف بانه اتقى فان
كان الاول يدل على ان الفاسق لا يدخل النار فهذا الثاني يدل على ان الفاسق لا يجنب النار وكل مكلف لا يجنب النار
فلا بد وان يكون من اهلها ولما ثبت انه لا بد من التاويل فنقول فيه وجهان الاول ان يكون المراد بقوله نارا تلظى
نارا مخصوصة من النيران لانها دركات لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فالاية تدل على
ان تلك النار المخصوصة لا يصلاها سوى هذا الاشقى ولا يدل على ان الفساق وغير من هذه صفته من الكفار
لا يدخل سائر النيران الثاني ان المراد بقوله نارا تلظى النيران اجمع ويكون المراد بقوله لا يصلاها الا الاشقى
اي هذا الاشقى به احق وثبوت هذه الزيادة في الاستحقاق غير حاصل الا لهذا الاشقى واعلم ان وجوه القاضي
ضعيفة اما قوله اولا يلزم في غير هذا الكافر ان لا يدخل النار فجوابه ان كل كافر فلا بد وان يكون مكذبا للنبي
في دعواه ويكون في دعواه متوليا عن النظر في دلالة صدق ذلك النبي فيصدق عليه انه اشقى من سائر
العصاة وانه كذب وتولى فاذا كان كل كافر داخلا في الاية سقط ما قاله القاضي واما قوله ثانيا

احدها انه يقتضي ان لا يدخل النار الا الاشقى

ان هذا اغرا بالمعصية فضعيف ايضا لانه يكفي في الزجر عن المعصية حصول الذم في العاجل وحصول غضب الله بمعنى
انه لا يكرمه ولا يعظمه ولا يعطيه الثواب ولعله يعذبه بطريق اخر فلم يدل دليل على انحصار طرق التعذيب في ادخال
النار • واما قوله ثالثا وسيجنبها الاتقى فهذا لا يدل على حال غير الاتقى الا على سبيل المفهوم والتمسك به بدليل الخطاب
وهو ينكر ذلك فكيف تمسك به • والذي يؤكد هذا ان هذا يقتضي فيمن ليس باتقى دخول النار فيلزم في الصبيان والمجانين
ان يدخلوا النار وذلك باطل • واما قوله رابعا المراد منه نار مخصوصة وهي النار التي تتلظى فضعيف ايضا لان
قوله نارا تلظى يحتمل ان يكون ذلك صفة لكل النيران وان يكون صفة لنار مخصوصة لكنه تعالى وصف كل نار جهنم
بهذا الوصف في اية اخرى فقال انها لظى نزاعة للشوى • واما قوله المراد ان هذا الاشقى اخص به فضعيف لانه
ترك للظاهر من غير دليل فثبت ضعف الوجوه التي ذكرها القاضي • فان قيل فما الجواب عنه على قولكم فانكم لا تقطعون
بعدم وعيد الفساق الجواب من وجهين • الاول ما ذكره الواحدي وهو ان معنى لا يصلاها لا يلزمها في حقيقة
اللغة • يقال صلي النار اذا لزمها مقاسيا شدتها وحرها وعندنا ان هذه الملازمة لا تثبت الا للكافر اما الفاسق
فاما ان لا يدخلها او ان دخلها يخلص منها • الثاني ان يخص عموم هذا الظاهر بالايات الدالة على وعيد الفساق والله اعلم
اما قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى معنى سيجنبها اي سيبعدها ويجعل منها على جانب يقال
جنبته الشي اي بعدته وجنبته عنه • وفيه مسايل المسئلة الاولى اجمع المفسرون منا على ان المراد منه ابو بكر
واعلم ان الشيعة باسرهم ينكرون هذه الرواية ويقولون انها نزلت في حق علي بن ابي طالب عليه السلام والدليل عليه
قوله تعالى ويؤتون الزكاة وهم راكعون • فقوله الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى • اشارة الى ما في تلك الاية من قوله
ويؤتون الزكاة وهم راكعون • ولما ذكر ذلك بعضهم في محضري • قلت اقيم الدلالة العقلية على ان المراد من هذه الاية
ابو بكر وتقريرها ان المراد من هذا الاتقى هو ابو بكر • فهاتان المقدمتان متى صحتا صح المقصود • واما قلنا ان المراد من
هذا الاتقى افضل الخلق لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم • والاكرم هو الافضل فدل على ان كل من كان اتقى وجب
ان يكون افضل فان قيل الاية دلت على ان كل من كان اكرم اتقى وذلك لا يقتضي ان كل من كان اتقى كان اكرم قلنا وصف كون
الانسان اتقى معلوم مشاهد ووصف كونه افضل غير مشاهد ولا معلوم • والاخبار عن المعلوم بغير المعلوم هو الطريق
الحسن اما عكسه فغير مفيد فتقدير الاية كانه وقعت الشبهة في ان الاكرم عند الله من هو فقيل هو الاتقى واذا كان كذلك
كان التقدير اتقاكم اكرمكم عند الله فثبت ان الاتقى المذكور هاهنا لا بد وان يكون افضل الخلق عند الله فنقول لا بد وان
يكون المراد ابو بكر لان الامة مجمعة على ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو بكر او علي ولا يمكن حمل هذه
الاية على علي بن ابي طالب لانه كان في تربية النبي صلى الله عليه وسلم لانه اخذه من ابيه وكان يطعمه ويسقيه ويكسوه ويربيه
وكان الرسول منعما عليه نعمة يجب جزاؤها • اما ابو بكر فلم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم عليه نعمة دنيوية بل ابو بكر كان ينفق على
الرسول صلى الله عليه وسلم • بلى كان للرسول صلى الله عليه وسلم عليه نعمة الهداية والارشاد الى الدين الا ان هذا لا يجزى لقوله تعالى
ما اسئلكم عليه من اجر • والمذكور هاهنا ليس مطلق النعمة بل نعمة تجزى فعلمنا ان هذه الاية لا تصلح لعلي بن ابي طالب
واذا ثبت ان المراد بهذه الاية من كان افضل الخلق وثبت ان ذلك الافضل من الامة اما ابو بكر او علي • وثبت ان الاية غير
صالحة لعلي تعين حملها على ابي بكر وثبت دلالة الاية ايضا على ان ابا بكر افضل الامة • واما الرواية فهي انه كان بلال
لعبد الله بن جدعان فسلح على الاصنام فشكى اليه المشركون فعله فوهب لهم ومائة من الابل ينحرونها لالهتهم فاخذوه
وجعلوا يعذبونه في الرمضاء وهو يقول احد احد فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ينجيك احد احد • ثم اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان بلالا يعذب في الله فحمل ابو بكر رطلا من ذهب فابتاعه به فقال المشركون ما فعل ذلك
ابو بكر الا ليد كانت لبلال عنده فنزل وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى وقال ابن الزبير وهو
على المنبر كان ابو بكر يشتري الضعفة من العبيد فيعتقهم فقال له ابوه يا بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال
منع ظهري اريد فنزلت هذه الاية المسئلة الثانية قال صاحب الكشاف في محل يتزكى وجهان ان جعلته
بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة • والصلات لا محل لها • وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب
قوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى • فيه مسايل المسئلة الاولى ابتغاء وجه ربه مستثنى من
غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمارا • وذكر الفراء فيه
وجها اخر وهو ان تضمر الانفاق على تقدير ما ينفق الا ابتغاء وجه ربه الاعلى • والتقدير وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله
المسئلة الثانية اعلم انه تعالى بين ان هذا الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى لا يؤتيه مكافاة على هدية او نعمة سالفة
لان ذلك يجري مجرى اداء الدين فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب بل انما يستحق الثواب اذا فعله لاجل ان الله امره به

وحثه عليه

[illegible]

ولسوف يرضى [illegible] والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

## سورة والضحى احدى عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى لاهل التفسير في قوله
والضحى وجهان • احدهما ان المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها • وثانيها الضحى
هو النهار كله بدليل انه جعل في مقابلة الليل • واما قوله والليل اذا سجى فذكر اهل اللغة في سجى ثلاثة اوجه متقاربة
سكن واظلم وغطى • اما الاول فقال ابو عبيدة والمبرد والزجاج سجى اي سكن • يقال ليلة ساجية اي ساكنة الريح
وعين ساجية اي فاترة الطرف • وسجى البحر اذا سكنت امواجه • وقال في الدعاء يا مالك البحر اذا البحر سجى • واما الثاني
وهو تفسير سجى باظلم فقال الفراء سجى اي اظلم • وركد في طوله • واما الثالث وهو تفسير سجى بغطى فقال الاصمعي
وابن الاعرابي سجو الليل تغطيته النهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب • واعلم ان اقوال المفسرين غير خارجة عن هذه الوجوه الثلاثة
فقال ابن عباس غطى الدنيا بالظلمة وقال الحسن البس الناس ظلامه • وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير
اذا اقبل الليل غطى كل شي • وقال مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد سكن بالناس ولسكونه معنيان • احدهما سكون الناس
فنسب اليه كما يقال ليل نايم • ونهار صايم • والثاني هو ان سكونه عبارة عن استقرار ظلامه واستوايه فلا يزداد
بعد ذلك • وهاهنا سوالات الاول ما الحكمة في انه تعالى في السورة الماضية قدم ذكر الليل • وفي هذه السورة اخره
قلنا فيه وجوه • احدها ان بالليل والنهار ينتظم مصالح المكلفين والليل له فضيلة السبق لقوله وجعل الظلمات
والنور • والنهار فضيلة النور بل الليل كالدنيا والنهار كالاخرة • فلما كان لكل واحد فضيلة ليست للاخر لا جرم
قدم هذا على ذاك تارة وذاك على هذا اخرى ونظيره انه تعالى قدم السجود على الركوع في قوله واسجدي واركعي • ثم قدم
الركوع على السجود في قوله واركعوا واسجدوا • وثانيها انه تعالى قدم الليل على النهار في سورة ابي بكر لان ابا بكر سبقه
كفر • وهاهنا قدم الضحى لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سبقه ذنب • وثالثها سورة والليل سورة ابي بكر وسورة
والضحى سورة محمد عليه الصلاة والسلام ما جعل بينهما واسطة ليعلم انه لا واسطة بين محمد وابي بكر فاذا ذكرت الليل
اولا وهو ابو بكر ثم صعدت وجدت بعده النهار وهو محمد صلى الله عليه وسلم • وان ذكرت والضحى اولا وهو محمد عليه الصلاة
والسلام • ثم نزلت وجدت بعده والليل وهو ابو بكر ليعلم انه لا واسطة بينهما السوال الثاني ما الحكمة هاهنا
في الحلف بالضحى والليل فقط والجواب لوجوه • احدها كانه تعالى يقول الزمان ساعة فساعة • ساعة ليل
وساعة نهار • ثم تارة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار • ومرة بالعكس فلا تكون الزيادة لهوى • ولا
النقصان لقلى بل للحكمة • كذا الرسالة وانزال الوحي بحسب المصالح • فمرة انزال ومرة حبس • فلا كان الانزال
عن هوى • ولا كان الحبس عن قلى • وثانيها ان العالم لا يؤثر كلامه حتى يعمل به • فلما امر تعالى بان البينة على المدعي واليمين
على من انكر لم يكن بد من ان يعمل به • فالكفار لما ادعوا ان ربه ودعه وقلاه قال هاتوا الحجة فعجزوا فلزمه اليمين

واعلم ان اقوال المفسرين غير خارجة عن هذه الوجوه الثلثة

بالله بانه ما ودعه ربه وما قلاه • وثالثها كانه تعالى يقول انظر الى جوار الليل مع النهار لا يسلم احدهما عن الاخر بل
الليل تارة يغلب وتارة يغلب فكيف تطمع ان تسلم عن الخلق السؤال الثالث لم خص وقت الضحى بالذكر الجواب
فيه وجوه • احدها انه وقت اجتماع الناس وكمال الانس بعد الاستيحاش في زمان الليل فبشرهم ان بعد استيحاشهم
بسبب احتباس الوحي فظهر ضحى نزول الوحي • وثانيها انها الساعة التي كلم فيها موسى ربه • والقى فيها السحرة
سجدا • فاكتسى الزمان صفة الفضيلة لكونه ظرفا • فكيف فاعل الطاعة • وافاد ذا ايضا ان الذي اكرم موسى
لا يدع اكرامك والذي قلب قلوب السحرة حتى سجدوا يقلب قلوب اعدائك السؤال الرابع ما السبب في انه ذكر
الضحى وهو ساعة من النهار • وذكر الليل بكليته الجواب فيه وجوه • احدها انه اشارة الى ان ساعة من
من النهار توازي جميع الليل كما ان محمدا اذا وزن توازي جميع الانبيا • والثاني ان النهار وقت السرور والراحة
والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم الدنيا ادوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل
ساعات • يروى ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت غمامة سودا عن يساره ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري
الهموم والاحزان مائة سنة • ثم انكشف فامرت مرة اخرى بذلك • وهكذا الى تمام ثلثمائة سنة • ثم بعد ذلك اظلت
عن يمين العرش غمامة بيضا فنادت ماذا امطر فاجيبت ان امطري السرور ساعة • فلهذا السبب ترى الهموم والاحزان
دايمة والسرور قليلا ونادرا • وثالثها ان وقت الضحى وقت حركة الناس وتعارفهم فصارت نظير وقت الحشر والليل
اذا سكن نظير سكون الناس في ظلمة القبور فكلاهما نعمة وحكمة لكن الفضيلة للحياة على الموت ولما بعد الموت على ما قبله
فلهذا السبب قدم ذكر الضحى على ذكر الليل • ورابعها ذكر الضحى حتى لا يحصل الياس من روحه • ثم عقبه بالليل حتى لا
يحصل الامن من مكره السؤال الخامس هل احد من المذكورين فسر الضحى بوجه محمد صلى الله عليه وسلم والليل بشعره والجواب
نعم ولا استبعاد فيه • ومنهم من زاد عليه فقال والضحى ذكور اهل بيته والليل اناثهم • ويحتمل الضحى رسالته والليل
زمان احتباس الوحي لان في حال النزول حصل الاستيناس وفي زمان الاحتباس حصل الاستيحاش • ويحتمل والضحى
نور علمه به يعرف المستور من الغيوب • والليل عفوه الذي به يستر جميع العيوب • ويحتمل ان الضحى اقبال الاسلام بعد
ان كان غريبا • والليل اشارة الى انه سيعود غريبا • ويحتمل والضحى كمال العقل والليل حال الموت • ويحتمل اقسم بعلانيتك
التي لا يرى عليها الخلق وبسرك الذي لا يعلم عليه الا عالم الغيب غيبا قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى فيه مسايل
المسئلة الاولى قال ابو عبيدة والمبرد ودعك من التوديع كما يودع المفارق • وقرئ بالتخفيف اي ما تركك والتوديع
مبالغة في الوداع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك • والقلى البغض فقال قلاه يقليه قلى ومقلية اذا ابغضه
قال الفراء يريد وما قلاك • وفي حذف الكاف وجوه • احدها حذفت الكاف اكتفاء بالكاف الاولى في ودعك
ولان رؤس الايات بالياء فاوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف • وثانيها فائدة الاطلاق انه ما قلاك ولا احدا من اصحابك
ولا احدا ممن احبك الى قيام القيمة تقريرا لقوله المرء مع من احب المسئلة الثانية قال المفسرون ابطا جبريل عن النبي
صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قد قلاه الله وودعه فانزل الله تعالى عليه هذه الاية وقال السدي ابطا عليه اربعين
ليلة فشكا ذلك الى خديجة فقالت لعل ربك نسيك او قلاك • وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب قالت له يا محمد ما
ارى شيطانك الا قد تركك • وروي عن الحسن انه قال ابطا على الرسول صلى الله عليه وسلم الوحي فقال لخديجة
ان ربي ودعني وقلاني يشكو اليها فقالت كلا والذي بعثك بالحق ما ابتداك الله بهذه الكرامة الا وهو يريد ان يتمها لك
فنزل ما ودعك ربك وما قلى وطعن الاصوليون في هذه الرواية وقالوا انه لا يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم
ان يظن ان الله تعالى ودعه وقلاه بل يعلم ان عزل النبي عن النبوة غير جائز في حكمة الله تعالى ويعلم ان نزول الوحي بحسب
المصلحة وربما كان الصلاح تاخيره وربما كان بخلاف ذلك فثبت ان هذا الكلام غير لائق بالرسول عليه الصلاة والسلام
ثم ان صح ذلك لكن كان مقصوده عليه السلام ان يحزنها ليعرف قدر علمها او ليعرف الناس قدر علمها • واختلفوا في قدر
مدة انقطاع الوحي فقال ابن جريج اثني عشر يوما وقال الكلبي خمسة عشر يوما وقال ابن عباس خمسة
وعشرون يوما وقال السدي ومقاتل اربعين يوما • واختلفوا في سبب احتباس جبريل عليه السلام فذكر اكثر
المفسرين ان اليهود سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف فقال سأخبركم
غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي وقال ابن زيد السبب فيه كون جرو في بيته للحسن والحسين فلما نزل جبريل
عليه السلام عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وقال جندب
ابن سفيان رمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر في اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فابطا
عنه الوحي • وروي انه كان فيهم من لا يقلم الاظفار • وهاهنا سؤالات الاول الروايات التي ذكرتم تدل على احتباس

غيبا

الوحي كان

الوحي كان عن قلى قلنا اقصى ما في الباب ان ذلك كان تركا للافضل والاولى وصاحبه لا يكون ممقوتا ولا مبغوضا • وروي انه
عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه السلام ما جئتني حتى اشتقت اليك فقال جبريل عليه السلام كنت اليك اشوق ولكني
عبد مامور وتلا وما نتنزل الا بامر ربك السؤال الثاني كيف يحسن من السلطان ان يقول لاعظم الخلق قربة عنده اني لا ابغضك
تشريفا له الجواب ان ذلك لا يحسن ابتداء لكن الاعدا اذا القوا في الالسنة ان السلطان يبغضه ثم ياسف لذلك المقرب
فلا لفظ اقرب الى تشريفه من ان يقول له اني لا ابغضك ولا ادعك وسوف ترى منزلتك عندي المسئلة الثالثة
هذه الواقعة تدل على ان القرآن من عند الله اذ لو كان من عنده لما امتنع قوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى واعلم
ان في اتصاله بما تقدم وجوه • احدها ان يكون المعنى ان انقطاع الوحي لا يجوز ان يكون لانه عزل عن النبوة بل اقصى ما في
الباب ان يكون ذلك لانه حصل الاستغنا عن الرسالة وذلك امارة الموت فكانه يقال انقطاع الوحي متى حصل دل
على الموت لكن الموت خير لك فان ما لك عند الله في الاخرة خير وافضل مما لك في الدنيا • وثانيها لما نزل ما ودعك ربك حصل
له بهذا تشريف عظيم فكانه استعظم هذا التشريف فاكان عظيما الا ان ما لك عند الله في الاخرة خير واعظم • وثالثها
ما يخطر ببالي وهو ان يكون المعنى وللاحوال الاتية خير لك من الماضية كانه تعالى وعده بانه سيزيده كل يوم عزا
الى عزه ومنصبا الى منصبه فيقول لا تظن اني قليتك بل تكون كل يوم ياتي فاني ازيدك منصبا وجلالا • وهاهنا سؤالات
الاول باي طريق يعرف ان الاخرة كانت له خيرا من الاولى الجواب لوجوه • احدها كانه تعالى يقول له انك في الدنيا
على خير لانك تفعل فيها ما تريد ولكن الاخرة خير لك لانا نفعل فيها ما تريد • وثانيها الاخرة خير لك تجتمع عندك امتك
اذ الامة كالاولاد قال تعالى وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وامته في الجنة فيكون كان اولاده في الجنة ثم سمي الولد قرة
عين هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين • وثالثها الاخرة خير لك لانك اشتريتها • اما هذه ليست لك فعلى تقدير
ان لو كانت الاخرة اقل من الدنيا لكانت الاخرة خيرا لك لان مملوكك خير لك مما لا يكون مملوكا لك فكيف ولا نسبة للاخرة
الى الدنيا في الفضل • ورابعها الاخرة خير لك من الاولى لان في الدنيا الكفار يطعنون فيك • اما في الاخرة فاجعل امتك
شهداء على الامم واجعلك شهيدا على الانبياء ثم اجعل ذاتي شهيدا لك كما قال تعالى وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله • وخامسها
ان خيرات الدنيا قليلة مشوبة منقطعة ولذات الاخرة كثيرة خالصة دائمة السؤال الثاني لم قال وللاخرة خير لك
ولم يقل خير لكم الجواب لانه كان في جماعته من كانت الاخرة شرا له • فلو انه سبحانه عمم لكان كذبا ولو خصص المطيعين
بالذكر لافتضح المذنبون والمنافقون • ولهذا السبب قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين • واما محمد صلى الله
عليه وسلم فالذي كان معه لما كان من اهل السعادة قطعا لا جرم قال ان الله معنا اذ لم يكن ثم الا نبي وصديق • وروي

[illegible]

أو فوق مقدمة الآية ۔ والثالث الأحاديث الكثيرة الواردة في الشفاعة دالة على أن رضى الرسول عليه الصلاة والسلام
في العفو عن المذنبين وهذه الآية دلت على أنه تعالى يفعل ما كان برضاه الرسول فيحصل من مجموع الآية والخبر
حصول الشفاعة ۔ وعن جعفر الصادق عليه السلام رضي جدي أن لا يدخل النار موحد ۔ وعن الباقر أهل القرآن يقولون
أرجى آية قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ۔ وإنا أهل البيت نقول قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى
والله إنها الشفاعة ليعطيها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول رضيت هذا كله إذا حملنا الآية على أحوال الآخرة أما
لو حملنا هذا الوعد على أحوال الدنيا فهو إشارة إلى ما أعطاه الله تعالى من الظفر يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول
الناس في الدين أفواجا ۔ والغلبة على قريظة والنضير وإجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على
خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة ۔ وأنهبهم من كنوز الأكاسرة
وما قذف في أهل الشرق والغرب من الرعب وتهييب الإسلام وفشو الدعوة ۔ واعلم أن الأولى حمل الآية على خيرات
الدنيا والآخرة ۔ وهاهنا سؤالات الأول لم لم يقل يعطيكم مع أن هذه السعادات حصلت للمؤمنين أيضا
الجواب لوجوه ۔ أحدها أنه المقصود وهم أتباع ۔ وثانيها إني إذا أكرمت أصحابك فذاك في الحقيقة إكرام لك
لأني أعلم أنك بلغت في الشفقة عليهم إلى حيث تفرح بإكرامهم فوق ما تفرح بإكرام نفسك ومن ذلك حيث تقول الأنبياء
نفسي نفسي أي ابدأ بجزائي وثوابي قبل أمتي لأن طاعتي كانت قبل طاعة أمتي والرسول يقول أمتي أمتي أي ابدأ بهم فإن سروري
أن أراهم فائزين بثوابهم ۔ وثالثها أنك عاملتني معاملة حسنة فإنهم حين شجوا وجهك قلت اللهم اهد قومي وحين شغلوك
يوم الخندق عن الصلاة قلت اللهم املأ بطونهم نارا فتحملت الشجة الحاصلة في وجه جسدك وما تحملت الشجة الحاصلة
في وجه دينك فإن وجه الدين هو الصلاة فرجحت حقي على حقك لا جرم فضلتك فقلت من ترك الصلاة سنين أو حبس
غيره عن الصلاة سنين لا أكفره ۔ ومن آذى شعرة من شعراتك أو جزءا من نعلك أكفره السؤال الثاني ما الفائدة في قوله ولسوف
ولم يقل وسيعطيك ربك الجواب فيه فوائد أحدها أنه يدل على أنه ما قرب أجله بل يعيش بعد ذلك زمانا ۔ وثانيها
أن المشركين لما قالوا ودعه ربه وقلاه ۔ فالله تعالى رد عليهم بعين تلك اللفظة فقال ما ودعك ربك وما قلى ۔ ثم لما قال المشركون
سوف يموت محمد فرد الله عليهم ذلك بهذه اللفظة فقال ولسوف يعطيك ربك فترضى السؤال الثالث كيف يقول الله
ولسوف يعطيك ربك فترضى الجواب هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام جبريل عليه السلام معه لأنه كان شديد الاشتياق
إليه وإلى كلامه كما ذكرناه فأراد الله تعالى أن يكون هو المخاطب له بهذه الإشارات السؤال الرابع ما هذه اللام الداخلة على سوف
الجواب قال صاحب الكشاف هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة ۔ والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك
ربك والدليل على ما قلناه أنها إما أن تكون لام قسم أو لام ابتداء ولام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة فبقي أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ
وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك فإن قيل ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير قلنا معناه أن العطاء كائن لا محالة
وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة قوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى ۔ فيه مسائل المسألة الأولى أن اتصاله بما تقدم
هو أنه تعالى ألم يجدك يتيما فآوى ۔ فيقول الرسول بلى يا رب فيقول انظر أكانت طاعات في ذلك الوقت إكرام السا
فلا بد من أن ننقل إلى الساعة فيقول الله تعالى حين كنت صبيا ضعيفا ما تركناك بل ربيناك ورقيناك إلى حيث صرت
مشرفا على شرفات العرش وقلنا لك لولاك لما خلقت الأفلاك أتظن أنا بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك المسألة الثانية
ألم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم ۔ والمنصوبات مفعولات وجد ۔ والوجود من الله ۔ والمعنى ألم يعلمك الله يتيما
فآوى وذكروا في تفسير اليتيم أمورا الأول أن عبد الله بن عبد المطلب فيما ذكره أهل الأخبار توفي وأم رسول الله صلى
الله عليه وسلم حامل به ۔ ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مع جده عبد المطلب ومع أمه آمنة فهلكت أمه آمنة
وهو ابن ست سنين فكان مع جده ۔ ثم هلك جده بعد أمه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين ۔ وكان عبد المطلب
يوصي أبا طالب به لأن عبد الله وأبا طالب كانا من أم واحدة ۔ فكان أبو طالب هو الذي يكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد جده إلى أن بعثه الله للنبوة فقام بنصرته مدة مديدة ۔ ثم توفي أبو طالب بعد ذلك فلم يظهر على رسول الله يتم البتة
فأذكره الله تعالى هذه النعمة روي أنه قال أبو طالب يوما لأخيه العباس ألا أخبرك عن محمد بما رأيت منه فقال بلى فقال
إني ضممته إلي فكنت لا أفارقه ساعة من ليل ولا نهار ولم أأتمن عليه أحدا حتى إني كنت أنومه في فراشي فأمرته ليلة أن يخلع
ثيابه وينام معي فرأيت الكراهة في وجهه وكره أن يخالفني وقال يا عماه اصرف بوجهك عني حتى أخلع ثيابي إذ لا ينبغي لأحد أن
ينظر إلى جسدي فتعجبت من قوله وصرفت بصري حتى دخل الفراش ۔ فلما دخلت معه الفراش إذا بيني وبينه ثوب والله
ما أدخلته فراشي فإذا هو في غاية اللين وطيب الرائحة كأنه غمس في المسك فجهدت لأنظر إلى جسده فما كنت أرى شيئا
وكثيرا ما كنت أفتقده في فراشي فإذا قمت لأطلبه ناداني ها أنا يا عم فارجع ۔ ولقد كنت كثيرا ما أسمع منه كلاما يعجبني

وذلك عند مضي

وذلك عند مضي بعض الليل وكنا لا نسمي على الطعام والشراب ولا نحمد بعده وكان يقول في أول الطعام بسم الله الأحد فإذا فرغ من
طعامه قال الحمد لله ۔ فتعجبت منه ۔ ثم لم أر منه كذبة ولا ضحكا ولا جاهلية ولا وقف مع صبيان يلعبون واعلم أن العجائب
المروية في حقه في حديث بحيرا الراهب وغيره مشهورة ۔ التفسير الثاني لليتيم أنه من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا
في قريش عديم النظير فآواك أي جعل لك من تأوي إليه وهو أبو طالب ۔ وقرئ فأوى وهو على معنيين ۔ أما من أواه بمعنى آواه
وأما من أوى له إذا رحمه ۔ وهاهنا سؤالات الأول كيف يحسن من الجواد أن يمتن بنعمته فيقول ألم يجدك يتيما ۔ والذي يؤكد
هذا السؤال أن الله تعالى حكى عن فرعون أنه قال ألم نربك فينا وليدا في معرض الذم لفرعون فما كان مذموما من فرعون
كيف يحسن من الله الجواب أن ذلك يحسن إذا قصد بذلك أن يقوي قلبه ويعده بدوام النعمة ۔ وبهذا ظهر الفرق بين هذا
الامتنان وبين امتنان فرعون لأن امتنان فرعون محبط لأن الغرض فما بالك لا تخدمني وامتنان الله لأجل زيادة نعمه كأنه يقول
ما لك تقطع عني رجاءك ألست شرعت في تربيتك أتظنني تاركا لما صنعت بل لا بد وأن أتم النعمة كما قال ولأتم نعمتي عليك أما علمت
أن الحامل التي تسقط الولد قبل التمام معيبة ترد ۔ ولو أسقطته والرجل أسقط عنها بعلاج يجب الغرة ويستحق الذم فكيف
يحسن ذلك من الحي القيوم ۔ فما أعظم الفرق بين من هو الله وبين من هو فرعون ۔ نظيره ما قاله بعضهم في قوله ثلاثة رابعهم كلبهم
الآية ۔ وفي أمة محمد ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ۔ فشتان بين أمة رابعهم كلبهم ۔ وبين أمة رابعهم ربهم السؤال
الثاني أنه تعالى من عليه بثلاثة أشياء ثم أمره بأن يذكر نعمة ربه ۔ فما وجه المناسبة بين هذه الأشياء الجواب وجه المناسبة أن
تقول قضاء الدين واجب ۔ ثم الدين نوعان مالي وإنعامي ۔ والثاني أقوى وجوبا لأن المالي قد يسقط بالإبراء ۔ والثاني يتأكد
بالإبراء ۔ والمالي يقضى مرة فينجو الإنسان منه ۔ والثاني يجب عليك قضاؤها طول عمرك ۔ ثم إذا تعذر قضاء النعمة القليلة من منعم
هو مملوك فكيف حال النعمة العظيمة من المنعم العظيم فكأن العبد يقول إلهي أخرجتني من العدم إلى الوجود بشرا سويا طاهر الظاهر
نجس الباطن بشارة منك أنك تستر على ذنوبي بستر عفوك كما سترت نجاستي بالجلد الظاهر فكيف يمكنني قضاء نعمك التي لا حد لها ولا
حصر فيقول تعالى الطريق إليه أن تفعل في حق عبيدي ما فعلته في حقك كنت يتيما فآويتك فافعل في حق الأيتام ذلك ۔ وكنت
ضالا فهديتك فافعل في حق عبيدي ذلك ۔ وكنت عائلا فأغنيتك فافعل في حق عبيدي ذلك ۔ ثم إذا فعلت كل ذلك فاعلم
أنك إنما فعلته بتوفيقي ولطفي وإرشادي فكن أبدا ذاكرا لهذه النعم والألطاف أما قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى
... واحتجوا على هذا بآيات
أخر منها قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ۔ وقوله وإن كنت من قبله لمن الغافلين ۔ وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك فتقتضي
صحة ذلك منه وإذا دلت هذه الآية على الصحة وجب حمل قوله ووجدك ضالا عليه ۔ وأما الجمهور من العلماء فقد اتفقوا على
أنه عليه الصلاة والسلام ما كفر بالله لحظة واحدة ۔ ثم قالت المعتزلة هذا غير جائز عقلا لما فيه من التنفير ۔ وعند أصحابنا
هذا غير ممتنع عقلا لأنه جائز في العقول أن يكون الشخص كافرا فيرزقه الله الإيمان ويكرمه بالنبوة إلا أن الدليل السمعي قام
على أن هذا الجائز لم يقع وهو قوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى ثم ذكروا في تفسير هذه الآية وجوها كثيرة ۔ أحدها ما روي
عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ووجدك ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلا عنها فهداك إليها
وهو المراد من قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ۔ وقوله وإن كنت من قبله لمن الغافلين ۔ وثانيها ضل عن مرضعته حليمة
حين أرادت أن ترده إلى جده حتى دخلت إلى هبل وشكت ذلك إليه فتساقطت الأصنام وسمعت صوتا يقول إنما هلاكنا بيد هذا
الصبي وفيه حكاية طويلة ۔ وثالثها ما روي مرفوعا أنه قال ضللت عند جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع كاد الجوع يقتلني
فهداني الله ذكره الضحاك وذكر تعلقه بأستار الكعبة ۔ وقوله يا رب رد إلي محمدا اردده ربي واصطنع عندي يدا فما زال يردد
هذا البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد بين يديه وهو يقول لا ندري ماذا نرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم قال
إني أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت الناقة أن تقوم ۔ فلما أركبته أمامي قامت الناقة كأن الناقة تقول يا أحمق هو الإمام
فكيف يقوم خلف المقتدي ۔ وقال ابن عباس رده إلى جده بيد عدوه كما فعل بموسى حين حفظه على يد عدوه ۔ ورابعها أنه
عليه الصلاة والسلام لما خرج مع غلام خديجة ميسرة أخذ كافر بزمام بعيره حتى ضل فأنزل الله تعالى جبريل عليه السلام
في صورة آدمي فهداه إلى القافلة ۔ وقيل إن أبا طالب خرج به إلى الشام فضل عن الطريق فهداه الله تعالى ۔ وخامسها
يقال ضل الماء في اللبن إذا صار مغمورا فمعنى الآية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى أظهرت دينه ۔ وسادسها
العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة كأنه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الإيمان بالله ومعرفته
إلا أنت فأنت شجرة فريدة في مفازة الجهل فوجدتك ضالا فهديت بك الخلق ۔ ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة
المؤمن ۔ وسابعها ووجدك ضالا عن معرفة الله تعالى حين كنت طفلا صبيا كما قال تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا

ما ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع كاد الجوع يقتلني

خلق فيك العقل والهداية والمعرفة . والمراد من الضال الخالي عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد والخطا . وثامنها كنت
ضالا عن النبوة ما كنت تطمع في ذلك ولا خطر شي من ذلك في قلبك فان اليهود والنصارى كانوا يزعمون ان النبوة في بني اسرائيل
فهديتك الى النبوة التي ما كنت تطمع فيها البتة . وتاسعها انه قد يخاطب السيد ويكون المراد قومه . وقوله ووجدك ضالا
اي وجد قومك ضالا فهداهم بك وبشرعك . وعاشرها وجدك ضالا عن الضالين منفردا عنهم مجانبا لدينهم فكلما كان
بعدك عنهم اشد كان ضلالهم اشد فهداك الى ان اختلطت بهم ودعوتهم الى الدين المبين . الحادي عشر وجدك ضالا عن الهجرة
متحيرا في يد قريش متمنيا فراقهم وكان لا يمكنك الخروج بدون اذنه تعالى فلما اذن له ووافقه الصديق عليه وهداه الى خيمة
ام معبد وكان ما كان من حديث سراقة وظهور القوة في الدين كان ذلك المراد بقوله فهدى . الثاني عشر ضالا
عن القبلة فانه كان يتمنى ان تحصل الكعبة قبلة له وما كان يعرف ان ذلك هل يحصل ام لا . فهداه الله بقوله فلنولينك قبلة
ترضاها فكانه سمي ذلك التحير بالضلال . الثالث عشر انه حين ظهر له جبريل عليه السلام في اول امره ما كان يعرف اهو
جبريل ام لا وكان يخافه خوفا شديدا . وربما اراد ان يلقي نفسه من الجبل فهداه حتى عرف انه جبريل عليه السلام
الرابع عشر الضلال بمعنى المحبة كما في قوله انك لفي ضلالك القديم اي محبتك ومعناه انك محب فهديتك الى الشرايع
التي بها تتقرب الى خدمة محبوبك . الخامس عشر ضالا عن امور الدنيا اي لا تعرف التجارة ونحوها ثم هديتك حتى ربحت
تجارتك وعظم ربحك حتى رغبت خديجة فيك . والمعنى انه ما كان لك وقوف على الدنيا وما كنت تعرف سوى الدين فهديناك
الى مصالح الدنيا بعد ذلك . السادس عشر ووجدك ضالا اي ضايعا في قومك كانوا يؤذونك ولا يرضون بك
رغبة فقوى امرك وهداك الله الى ان صرت واليا عليهم . السابع عشر كنت ضالا ما كنت تهتدي على طريق السموات فهديتك
اذ عرجت بك ليلة المعراج . الثامن عشر ووجدك ضالا اي ناسيا لقوله تعالى ان تضل احداهما فهديتك اي
ذكرتك وذلك انه ليلة المعراج نسي ما يجب ان يقال بسبب الهيبة فهداه الله تعالى الى كيفية الثناء حتى قال لا احصي
ثناء عليك . التاسع عشر انه وان كان عارفا بالله بقلبه الا انه كان في الظاهر لا يظهر لهم خلافا فعبر عن ذلك
بالضلال . العشرون روى علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك . ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله برسالته
فاني قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي باعلى مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت
اريد ذلك حتى اتيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقالوا فلان بن فلان يزوج بفلانة فجلست انظر اليهم
وضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس . ثم ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله تعالى برسالته اما قوله تعالى
ووجدك عائلا فاغنى ففيه مسائل المسألة الاولى العائل هو ذو العيلة ذكرنا ذلك عند قوله الا تعولوا ويدل
عليه قوله تعالى وان خفتم عيلة . ثم اطلق العائل على الفقير وان لم يكن له عيال . وهاهنا في تفسير العائل قولان
الاول وهو المشهور ان المراد هو الفقير ويدل عليه ما روي ان في مصحف عبد الله ووجدك عديما . وقرئ عيلا كما
قرئ سيحات . ثم في كيفية الاغناء وجوه . الاول ان الله تعالى اغناه بتربية ابي طالب . ولما اختلت احوال ابي طالب
اغناه بمال خديجة . ولما اختل ذلك اغناه بمال ابي بكر . ولما اختل ذلك امره بالهجرة واغناه باعانة الانصار . ثم
امره بالجهاد واغناه بالغنائم وان كان انما حصل بعد نزول هذه السورة لكن لما كان ذلك معلوم الوقوع كان كالواقع . روي
انه عليه الصلاة والسلام دخل على خديجة وهو مغموم فقالت له ما لك فقال الزمان زمان قحط فان انا بذلت
المال ينفد مالك فاستحيي منك وان انا لم ابذل اخاف الله فدعت قريشا وفيهم الصديق قال الصديق فاخرجت
دنانير وصبت حتى بلغت مبلغا لم يقع بصري على من كان جالسا قدامي لكثرة المال ثم قالت اشهدوا ان هذا المال ماله
ان شاء انفقه وان شاء امسكه [illegible]
[illegible]

ضلالهم

علي السلام



عليه السلام اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس . وثالثها ان من كان له اب او ام كان اعتماده عليهما فسلب عنه الوالدان
حتى لا يعتمد من اول صباه الى اخر عمره على احد سوى الله فيصير في طفوليته متشبها بابراهيم عليه السلام في قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي
او كجواب مريم عليها السلام انى لك هذا قالت هو من عند الله . ورابعها ان العادة جارية بان اليتيم لا تخفى عيوبه بل تظهر وربما
زادوا على الموجود . واختار تعالى له اليتم ليتامل كل احد في احواله ثم لا يجدوا عليه عيبا فيتفقون على نزاهته فاذا اختاره
الله للرسالة لم يجدوا عليه مطعنا . وخامسها جعله يتيما ليعلم كل احد ان فضيلته من الله ابتداء لان الذي له
اب فان اباه يسعى في تعليمه وتاديبه . وسادسها ان اليتم والفقر نقص في حق الخلق فلما صار محمد عليه الصلاة والسلام
مع هذين اكرم الخلق كان ذلك قلبا للعادة فكان من جنس المعجزات . السؤال الثاني ما الحكمة في ان الله تعالى ذكر هذه الاشياء
الجواب الحكمة انه لا ينسى نفسه فيقع في العجب . السؤال الثالث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سالت
ربي مسالة لوددت اني لم اسالها قلت اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال واعطيت سليمان كذا وكذا
فقال الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك . قلت بلى فقال الم اشرح لك صدرك قلت
بلى قال الم ارفع لك ذكرك . قلت بلى قال الم اضع عنك وزرك قلت بلى قال الم اوتك ما لم اوت نبيا قبلك
وهي خواتيم سورة البقرة الم اتخذك خليلا كما اتخذت ابراهيم خليلا فهل يصح هذا الحديث . قلنا طعن القاضي في هذا الخبر
فقال ان الانبياء عليهم السلام لا يسالون مثل ذلك الا عن اذن فكيف يصح ان يقع من الرسول مثل هذا السؤال ويكون منه تعالى
ما يجري مجرى المعاتبة اما قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر . وقرئ فلا تكهر اي لا تعبس في وجهه اليه . والمعنى عامله
بمثل ما عاملتك به . ونظيره من وجه احسن كما احسن الله اليك . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الله الله فيمن ليس له
الا الله . وروي انها نزلت حين صاح النبي صلى الله عليه وسلم على ولد خديجة ومنه حديث موسى عليه السلام حين قال الهي بم نلت
ما نلت قال اتذكر حين هربت منك السخلة فلما قدرت عليها قلت اتعبت نفسك ثم حملتها . فلهذا السبب جعلتك وليا على
الخلق . فلما نال موسى عليه السلام النبوة بالاحسان الى الشاة فكيف بالاحسان الى اليتيم . واذا كان هذا هو العتاب بمجرد
الصياح او العبوسة في الوجه . فكيف اذا اذله او اكل ماله . عن انس عن النبي عليه الصلاة والسلام اذا بكى اليتيم وقعت دموعه
في كف الرحمن ويقول تعالى من ابكى هذا اليتيم الذي واريت والده في التراب من اسكته فله الجنة ثم قال تعالى واما السائل
فلا تنهر يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره . وفي المراد من السائل قولان . احدهما وهو اختيار الحسن ان المراد
منه من يسال العلم . ونظيره من وجه عبس وتولى ان جاءه الاعمى وحينئذ يحصل الترتيب لانه تعالى قال له اولا الم يجدك
يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى . ثم اعتبر هذا الترتيب فاوصاه برعاية حق اليتيم ثم برعاية حق من يسأله
عن العلم والهداية . ثم اوصاه بشكر نعم الله عليه . والقول الثاني ان المراد مطلق السائل . ولقد عاتب الله رسوله
في القران في شان الفقراء في ثلاث مواضع . احدها انه كان جالسا وحوله صناديد قريش اذ جاء ابن ام مكتوم الضرير فتخطى رقاب
الناس حتى جلس بين يديه وقال علمني مما علمك الله فشق ذلك عليه وعبس وجهه فنزل قوله تعالى عبس وتولى . والثاني
حين قالت له قريش لو جعلت لنا مجلسا وللفقراء مجلسا اخر فهم ان يفعل ذلك فنزل قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
والثالث كان جالسا فجاءه عثمان بعذق من تمر فوضعه بين يديه . فاراد ان ياكل فوقف سائل بالباب فقال رحم الله عبدا
يرحمنا فامر بدفعه الى السائل فكره عثمان ذلك واراد ان ياكله النبي صلى الله عليه وسلم فخرج واشتراه من السائل . ثم رجع
السائل ففعل ذلك ثلاث مرات . وكان يعطيه النبي صلى الله عليه وسلم الى ان قال له النبي صلى الله عليه وسلم اسائل انت ام بائع . فنزل
واما السائل فلا تنهر ثم قال واما بنعمة ربك فحدث . وفيه وجوه . احدها قال مجاهد تلك النعمة هي القران
فان القران اعظم ما انعم الله به على محمد صلى الله عليه وسلم . والتحدث به ان يقراه ويقرئ غيره ويبين حقائقه لهم . وثانيها
روي ايضا عن مجاهد ان تلك النعمة هي النبوة اي بلغ ما انزل اليك من ربك . وثالثها اذا وفقك الله فراعيت حق اليتيم
والسائل وذلك التوفيق نعمة من الله عليك فحدث بها ليقتدي بك غيرك . ومنه ما روي عن الحسين بن علي عليه السلام
انه قال اذا عملت خيرا فحدث اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا انما يحسن اذا لم يتضمن رياء وظن ان غيره يقتدي به . ومن
ذلك لما سئل امير المؤمنين علي عليه السلام عن الصحابة فاثنى عليهم وذكر خصالهم فقالوا له فحدثنا عن نفسك فقال
مهلا فقد نهى الله عن التزكية فقيل له اليس الله تعالى يقول واما بنعمة ربك فحدث . فقال فاني احدث كنت اذا سالت
اعطيت واذا سكت ابتديت وبين الجوانح علم جم فاسالوني . فان قيل فما الحكمة في ان اخر الله تعالى حق نفسه عن حق اليتيم
والسائل . قلنا فيه وجوه . احدها كانه تعالى يقول انا غني وهما محتاجان وتقديم حق المحتاج اولى . وثانيها انه وضع
في حظهما الفعل ورضي لنفسه بالقول . وثالثها ان المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب في ذكر الله تعالى فجعل
خاتمة هذه الطاعات تحدث القلب واللسان بنعم الله تعالى حتى يكون ختم الطاعات على ذكر الله . واختار قوله فحدث

الم تقصير

اليتيم

فاراد ان ياكل فوقف سائل بالباب

على قوله فحيّوا ليكون ذلك حجرا شيئا عنده لا ينساه ويعيده مرة بعد اخرى والله اعلم تم الكلام في سورة والضحى

## سورة الم نشرح ثماني آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يروى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان
هذه السورة وسورة والضحى سورة واحدة وكانا يقرآنهما في الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم
والذي دعاهما الى ذلك هو ان قوله تعالى الم نشرح كالعطف على قوله تعالى الم يجدك يتيما وليس كذلك لان الاول كان نزوله حال
اغتمام الرسول صلى الله عليه وسلم من ايذاء الكفار فكانت حال محنة وضيق صدر والثاني يقتضي ان يكون حال النزول منشرح الصدر
طيب القلب فانى يجتمعان بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم نشرح لك صدرك استفهم
عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك وفي شرح الصدر قولان
الاول ما روي ان جبريل عليه السلام اتاه وشق صدره واخرج قلبه وغسله ونقاه من المعاصي ثم ملاه علما وايمانا ووضعه
في صدره واعلم ان القاضي طعن في هذه الرواية من وجوه احدها ان الرواية ان هذه الواقعة انما وقعت في حال صغره
عليه الصلاة والسلام وذلك من المعجزات فلا يجوز ان يتقدم نبوته وثانيها ان تاثير الغسل في ازالة الاجسام والمعاصي
ليست باجسام فلا يكون للغسل فيها اثر وثالثها انه لا يصح ان يملأ القلب علما بل الله تعالى يخلق فيه العلوم والجواب
عن الاول ان تقديم المعجز على زمان البعثة جائز عندنا وذلك هو المسمى بالارهاص ومثله في حق الرسول عليه الصلاة والسلام
كثير واما الثاني والثالث فلا يبعد ان يكون حصول ذلك الدم الاسود الذي غسلوه من قلب الرسول عليه السلام علامة للقلب
الذي يميل الى المعاصي ويحجم عن الطاعات فاذا ازالوه عنه كان ذلك علامة لكون صاحبه مواظبا على الطاعة محترزا
عن السيئات فكان ذلك كالعلامة للملائكة على كون صاحبه معصوما وايضا فلان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
والقول الثاني ان المراد من شرح الصدر ما يرجع الى المعرفة والطاعة ثم ذكروا فيه وجوها احدها انه عليه الصلاة
والسلام لما بعث الى الجن والانس فكان يضيق صدره عن منازعة الجن والانس والبراءة من كل عابد ومعبود سوى الله
فاتاه الله من آياته ما اتسع لكل ما حمله وصغر عنده كل شيء احتمله من المشاق وذلك بان اخرج عن قلبه جميع الهموم
وما ترك فيه الا هذا الهم الواحد فما كان يخطر بباله هم النفقة والعيال ولا يبالي بما يتوجه اليه من ايذائهم حتى صاروا
في عينه دون الذباب لم يجبن خوفا منهم وعندهم ولم يمل الى مالهم وبالجملة فشرح الصدر عبارة عن علمه بحقارة الدنيا
وكمال الآخرة ونظيره قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا وروي انهم قالوا يا رسول الله اينشرح الصدر قال نعم قالوا وما علامة ذلك قال التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاعداد للموت قبل نزوله وتحقيق القول فيه ان صدق الايمان بالله ووعده ووعيده يوجب للانسان
الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والاستعداد للموت وثانيها انه انفسح صدره حتى انه كان يتسع لجميع المهمات
لا يقلق ولا يضجر ولا يتحير بل هو في حالتي البؤس والفرج منشرح الصدر مشتغل باداء ما كلف والشرح التوسعة ومعناه
الاراحة من الهموم والعرب تسمي الهم والغم ضيق صدر كقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك وها هنا سؤالات
السؤال الاول لم ذكر الصدر ولم يذكر القلب الجواب لان محل الوسوسة هو الصدر على ما قال الذي يوسوس في صدور
الناس فازالة تلك الوسوسة وابدالها بدواعي الخير هي الشرح فلا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب
وقال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة وهو الذي يقصده الشيطان فالشيطان يجيء الى الصدر الذي
هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا اغار فيه ونزل جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص فيضيق القلب
حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء منع حصول الامن ويزول الضيق
وينشرح الصدر ويتيسر له القيام باداء العبودية السؤال الثاني لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل
الم نشرح صدرك والجواب من وجهين احدهما كانه تعالى يقول لام بلام فانت انما تفعل جميع الطاعات لاجلي كما
قال الا ليعبدون اقم الصلاة لذكري فانا ايضا جميع ما افعله لاجلك وثانيهما ان فيه تنبيها على ان منافع الرسالة
عائدة اليه عليه السلام كانه تعالى قال انما شرحنا صدرك لاجلك لا لاجلي السؤال الثالث قال الم نشرح ولم
يقل الم اشرح والجواب ان حملناه على نون التعظيم فالمعنى ان عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة فدل ذلك على ان
ذلك الشرح نعمة لا تصل العقول الى كنه جلالتها وان حملناه على نون الجمع فالمعنى كانه تعالى يقول الم اشرح وحدي
بل عملت فيه ملائكتي فكنت ترى الملائكة حواليك وبين يديك حتى يقوى قلبك فاديت الرسالة وانت قوي القلب ففعلتهم

معصوما

هيبة

هيبة فلم تتحير والك جوابا فلو كنت ضيق القلب لضحكوا منك فسبحان من جعل قوة قلبك جبنا فيهم وشرح صدرك ضيقا
فيهم ثم قال تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وفيه مسائل المسئلة الاولى قال المبرد هذا المعنى محمول
على معنى الم نشرح لا على لفظه لانك لا تقول الم وضعنا ولكن معنى الم نشرح قد شرحنا فحمل الثاني على معنى الاول لا على ظاهر
اللفظ لانه لو كان معطوفا على ظاهره لوجب ان يقال ونضع عنك وزرك المسئلة الثانية معنى الوزر ثقل الذنب
وقد مر تفسيره عند قوله وهم يحملون اوزارهم وهو كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واما قوله انقض
ظهرك فقال علماء اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع له نقيض اي صوت خفي وهو صوت المحامل والرحال او
الاضلاع او البعير اذا اثقله الحمل فهو مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوزاره المسئلة الثالثة
احتج بهذه الآية من اثبت المعصية للانبياء عليهم السلام والجواب عنه من وجهين الاول ان الذين يجوزون الصغائر على الانبياء
عليهم السلام حملوا هذه الآية عليها لا يقال ان قوله الذي انقض ظهرك يدل على كونه عظيما فكيف يليق ذلك بالصغائر
لانا نقول انما وصف ذلك بانقاض الظهر مع كونها مغفورة لشدة اغتمام النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعه منه وتحسره
مع ندمه عليه او انما وصفه بذلك لان تاثيره فيما يزول به من الثواب عظيم فيجوز لذلك ما ذكره الله تعالى هذا تقرير الكلام
على قول المعتزلة وفيه اشكال وهو ان العفو عن الصغيرة واجب على الله تعالى عند القاضي والله تعالى ذكر هذه الآية
في معرض الامتنان بفعل الواجب غير جائز الوجه الثاني ان يحمل ذلك على غير الذنب وفيه وجوه احدها قال قتادة كان
للنبي صلى الله عليه وسلم ذنوب سلفت منه في الجاهلية قبل النبوة وقد اثقلته فغفرها له وثانيها ان المراد منه تخفيف
اعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط
عنه ثقلها بان يسرها عليه حتى تيسرت له وثالثها الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل وكان لا يقدر على منعهم الى
ان قواه وقال له ان اتبع ملة ابراهيم ورابعها انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه ماذا يصنع في حقهم الى ان قال
وما كان الله ليعذبهم فامنه من العذاب في العاجل ووعده الشفاعة في الآجل وخامسها معناه عصمناك عن الوزر
الذي انقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا فمن ذلك ما روي انه حضر وليمة فيها دف ومزامير
قبل البعثة ليسمع فضرب الله على اذنه فلم يوقظه الا حر الشمس من الغد وسادسها الوزر ما اصابه من الهيبة والفزع
في اول ملاقاة جبريل عليه السلام حين اخذته الرعدة وكاد يرمي نفسه من الجبل لشدة اشتياقه وسابعها الوزر ما كان
يلحقه من الاذى والشتم حتى كاد ينقض ظهره وتاخذه الرعدة ثم قواه الله تعالى حتى صار بحيث كانوا يدمون وجهه
ويقول اللهم اهد قومي وثامنها لعل ان نزول السورة بعد موت ابي طالب وخديجة فلقد كان فراقهما عليه وزرا عظيما
فوضع عنه الوزر برفعه الى السماء حتى لقيه كل ملك وحياه فارتفع له الذكر فلذلك قال ورفعنا لك ذكرك وتاسعها
ان المراد من الوزر والثقل الحيرة التي كانت له قبل المبعث وذلك انه بكمال عقله لما نظر لعظيم نعم الله تعالى عليه
حين اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه الحياة والعقل وانواع النعم ثقل عليه نعم الله وكاد ينقض ظهره من الحياء لانه
عليه الصلاة والسلام كان يرى ان نعم الله عليه لا تنقطع وما كان يعرف انه كيف يطيع ربه فلما جاءته النبوة والتكاليف
وعرف انه كيف ينبغي له ان يطيع ربه فلما جاءه النبوة تجنبه ثقل حياءه وسهلت عليه تلك الاحوال فان اللئيم لا يستحيي من زيادة النعم
بدون مقابلتها بالخدمة والانسان الكريم النفس اذا كثر الانعام عليه وهو لا يقابلها بنوع من انواع الخدمة فانه يثقل عليه
ذلك جدا بحيث يميته الحياء فاذا كلفه المنعم بنوع خدمة سهل ذلك عليه وطاب قلبه ثم قال تعالى ورفعنا لك ذكرك
واعلم انه عام في كل ما ذكروه من النبوة وشهرته في الارض والسموات اسمه مكتوب على العرش وانه يذكر معه في الشهادة والتشهد
وانه تعالى ذكره في الكتب المتقدمة وانتشار ذكره في الآفاق وانه ختمت به النبوة وانه يذكر في الخطب والاذان ومفاتيح
الرسائل وعند الختم وجعل القرآن ذكره مقرونا بذكره والله ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله
واطيعوا الرسول وينادي باسم الرسول والنبي حين ينادي غيره بالاسم يا موسى يا عيسى وايضا جعله في القلوب بحيث
يستطيبون ذكره وهو معنى قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا كانه تعالى يقول املأ العالم من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون
عليك ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرائض الصلاة الا ومعها سنة فهم يمتثلون في الفريضة امري وفي السنة
امرك وجعلت طاعتك طاعتي وبيعتك بيعتي من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لا تانف
السلاطين من اتباعك بل لا جراة لاكمل الملوك ان ينصب خليفة من غير قبيلتك فالقراء يحفظون الفاظ منشورك والمفسرون
يفسرون معاني فرقانك والوعاظ يبلغون وعظك بل العلماء والسلاطين يصلون الى خدمتك ويسلمون من وراء الباب
عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق الى يوم القيمة ثم قال تعالى ان مع العسر يسرا
فيه مسائل المسئلة الاولى وجه تعلق هذه الآية بما قبلها ان المشركين كانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم

والانسان الكريم النفس اذا كثر الانعام عليه فانه يثقل عليه ذلك

بالفقر ويقولون ان كان غرضك من هذا الذي تدعيه طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كايسر اهل مكة فشق ذلك
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سبق الى فهمه انهم انما رغبوا عن الاسلام لكونه فقيرا حقيرا عندهم فعدد الله تعالى
عليه منته في هذه السورة وقال الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك اي ما كنت فيه من امر الجاهلية
قبل النبوة وعدم التقلب [illegible] له وثانيها ان المراد منه تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بامرها
ثم وعده بالغنى في الدنيا ليزيل عن قلبه ما حصل فيه من التأذي بسبب انهم عيروه بالفقر والدليل عليه دخول الفاء في قوله
فان مع العسر يسرا كانه تعالى قال لا يحزنك ما يقولون وما انت فيه من القلة فانه يحصل في الدنيا يسر كامل له
قال ابن عباس يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الآية وفي تقرير
هذا المعنى وجهان الاول قال الفراء والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هناك معهود سابق فينصرف
الى الحقيقة فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئا واحدا واما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان احدهما
غير الآخر وزيف الجرجاني هذا وقال اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا يلزم ان يكون فارس
واحد معه سيفان ومعلوم ان ذلك غير لازم من وضع العربية الوجه الثاني ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى
كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين ويكون الغرض تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني
زيد زيد والمراد من اليسرين يسر الدنيا وهو ما تيسر من استفتاح البلاد ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة لقوله تعالى
هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فالمراد من قوله لن يغلب عسر يسرين هذا
وذلك لان عسر الدنيا بالنسبة الى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالمغمور القليل وهاهنا سؤالان الاول ما معنى
التنكير في اليسر جوابه التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر السؤال الثاني اليسر لا يكون مع العسر لانهما ضدان
لا يجتمعان الجواب لما كان وقوع اليسر بعد العسر بزمان قليل كان مقطوعا حاصلا كالمقارن له ثم قال تعالى فاذا فرغت
فانصب وجه تعلق هذا بما قبله انه تعالى لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده بالنعم الآتية لا جرم بعثه على الشكر
والاجتهاد في العبادة فقال فاذا فرغت فانصب اي فاتعب يقال نصب ينصب قال قتادة والضحاك ومقاتل اذا فرغت
من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسألة يعطك وقال الشعبي اذا فرغت من التشهد
فادع لدنياك وآخرتك وقال مجاهد اذا فرغت من امر دنياك فانصب فصل وقال عبد الله اذا فرغت من الفرائض
فانصب في قيام الليل وقال الحسن اذا كنت صحيحا فانصب يعني اجعل فراغك نصبا في العبادة يدل عليه
ما روي ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال ليس بهذا امر الفارغ انما قال الله تعالى فاذا فرغت فانصب
وبالجملة فالمعنى ان يواصل بين بعض العبادات وبعض وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة
اتبعها باخرى والى ربك فارغب اي اجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وثانيها ارغب في سائر ما تلتمسه دينا
ودنيا ونصرة على الاعداء الى ربك وقرئ فرغب اي رغب الناس الى ما عنده والله سبحانه وتعالى اعلم

## سورة التين ثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين
اعلم ان الاشكال هو ان التين والزيتون ليسا من الامور الشريفة فكيف يليق ان يقسم الله تعالى بهما فلاجل
هذا السؤال حصل فيه قولان الاول ان المراد من التين والزيتون هذان الشيئان المشهوران قال ابن عباس هو
تينكم وزيتونكم هذا ثم ذكروا من خواص التين والزيتون اشياء اما التين فقالوا انه غذاء وفاكهة ودواء اما
كونه غذاء فالاطباء زعموا انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الرشح
ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير
الفواكه واحمدها وروي انه اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه ثم قال لاصحابه
فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من
النقرس وعن علي بن موسى الرضا عليه السلام التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما
كونه دواء فلانه يتداوى به في اخراج فضول البدن واعلم ان لها بعد ما ذكرنا خواص احدها ان ظاهرها
كباطنها ليست كالجوز ظاهره قشر ولا كالتمر باطنه قشر بل نقول ان من الثمار ما يخبث ظاهره ويطيب باطنه
كالجوز والبطيخ ومنه ما يطيب ظاهره دون باطنه كالتمر والاجاص اما التين فانه طيب الظاهر والباطن

وثانيها

وثانيها ان الاشجار ثلاثة شجرة تعد وتخلف وهي شجرة الخلاف وثانيها تعد وتفي وهي التي تأتي بالنور اولا وبعده بالثمر
كالتفاح وغيره وشجرة تبذل قبل الوعد وهي التين لانها تخرج الثمرة قبل ان تعد بالورد بل لو غيرت العبارة لقلت
هي شجرة تظهر المعنى قبل الدعوى بل لك ان تقول انها شجرة تخرج الثمرة قبل ان تلبس نفسها بورد او بورق والتفاح
والمشمش وغيرهما يبدأ بنفسهما ثم بغيرهما اما شجرة التين فانها تهتم بغيرها قبل اهتمامها بنفسها فسائر الاشجار
كارباب المعاملة في قوله عليه الصلاة والسلام ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وشجرة التين كالمصطفى عليه الصلاة والسلام
كان يبدأ بغيره فان فضل صرفه الى نفسه بل من الذين اثنى الله عليهم في قوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وثالثها ان من خواص هذه الشجرة ان سائر الاشجار اذا سقطت الثمرة عن موضعها لم تعد في تلك السنة الا التين فانه
يعد الدور بما سقط ثم يعود مرة اخرى ورابعها ان التين في النوم رجل خير غني فمن نالها في المنام نال مالا وسعة
ومن اكلها رزقه الله اولادا وخامسها روي ان آدم عليه السلام لما عصى وفارقته ثيابه صار يستتر بورق التين
وروي انه لما نزل وكان متزرا بورق التين استوحش فطاف الظباء حوله فاستأنس بها فاطعمها بعض ورق التين فرزقها
الله الجمال صورة والملاحة معنى وغير دمها مسكا فلما تفرقت الظباء الى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما اعجبها فلما
كان من الغد جاءت الظباء على اثر الاولى الى آدم فاطعمها من الورق فغير الله حالها الى الجمال دون المسك وذلك لان الاولى جاءت
الى آدم لا لاجل الطمع والطائفة الاخرى جاءت للطمع سرا والى آدم ظاهرا فلا جرم غير الظاهر دون الباطن واما الزيتون
فشجرته هي الشجرة المباركة فاكهة من وجه وادام من وجه وهي في اغلب البلاد لا تحتاج الى تربية الناس ثم
لا تقتصر منفعتها على غذاء بدنك بل هي غذاء السراج ايضا وتولدها في الجبال التي لا توجد فيها شيء من الدهنية البتة وقيل
من اخذ ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى وقال مريض لابن سيرين رأيت في المنام كانه قيل لي كل اللائين
تشف فقال كل الزيتون فانه لا شرقية ولا غربية ثم قال المفسرون التين والزيتون اسم لهذين المأكولين وفيهما
هذه المنافع الجليلة فوجب اجراء اللفظ على الظاهر والجزم بان الله تعالى اقسم بهما لما فيهما من المصالح والمنافع القول
الثاني انه ليس المراد هاتان الثمرتان ثم ذكروا وجوها احدها قال ابن عباس هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما
بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون فكانه تعالى اقسم بمنابت الانبياء فالجبل المختص بالتين لعيسى
عليه السلام والزيتون الشام مبعث اكثر انبياء بني اسرائيل والطور مبعث موسى عليه السلام والبلد الامين مبعث محمد صلى الله
عليه وسلم فيكون المراد من القسم في الحقيقة تعظيم الانبياء واعلاء درجاتهم وثانيها ان المراد من التين والزيتون مسجدان
ثم قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقال آخرون التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون
مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه السلام المبني على الجودي والزيتون بيت المقدس والقائلون بهذا القول
انما ذهبوا اليه لان القسم بالمسجد حسن لانه موضع العبادة والطاعة فلما كانت هذه المساجد في هذه المواضع التي
يكثر فيها التين والزيتون لا جرم اكتفى بذكر التين والزيتون وثالثها المراد من التين والزيتون بلدان فقال كعب التين دمشق
والزيتون بيت المقدس وقال شهر بن حوشب التين الكوفة والزيتون الشام وعن الربيع هما جبلان بين همدان وحلوان
والقائلون بهذا القول انما ذهبوا اليه لان اليهود والنصارى والمسلمين ومشركي مكة من قريش كل واحد منهم يعظم بلدة
من هذه البلاد فالله تعالى اقسم بهذه البلاد باسرها او يقال ان دمشق وبيت المقدس فيهما نعم الدنيا والطور
ومكة فيهما نعم الدين اما قوله تعالى وطور سينين فالمراد من الطور الجبل الذي كلم الله تعالى موسى
عليه السلام عليه واختلفوا في سينين فالاولى عند النحويين ان تكون سينين وسينا اسما للمكان الذي حصل فيه الجبل
اضيف الى ذلك المكان واما المفسرون فقال ابن عباس في رواية عكرمة الطور الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة
وقال مجاهد سينين المبارك وقال الكلبي هو الجبل المشجر ذو الشجر وقال مقاتل كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين
وسينا بلغة النبط قال الواحدي والاولى ان يكون سينين اسما للمكان الذي به الجبل ثم لذلك المكان سمي سينين او سينا
لحسنه او لكونه مباركا ولا يجوز ان يكون سينين نعتا للطور لاضافته اليه اما قوله تعالى وهذا البلد الامين فالمراد
الامين قال صاحب الكشاف من امن الرجل امانة فهو امين وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه
ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله حرما آمنا يعني ذي امن وذكروا في
كونه امينا وجوها احدها ان الله تعالى حفظه من الفيل على ما يأتيك شرحه ان شاء الله تعالى وثانيها انها تحفظ جميع
الاشياء فمباح الدم عند الالتجاء اليها آمن من السباع والصيود تستفيد منها الحفظ عند الالتجاء اليها وثالثها ما روي
ان عمر كان يقبل الحجر ويقول انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك لما قبلتك فقال
له علي عليه الصلاة والسلام اما انه يضر وينفع ان الله تعالى لما اخذ على ذرية آدم الميثاق كتبه في

المراد من التين والزيتون بلدان التين دمشق والزيتون بيت المقدس

ورق ابيض وكان لهذا الركن يوم بدء لسان وشفتان وعينان فقال الافتح فاك فالقمه ذلك الورق . وقال اشهد لمن وافاك
بالموافاة الى يوم القيمة فقال عمر لا بقيت في قوم لست فيهم يا ابا الحسن ثم قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم . المراد من الانسان هذه الماهية . والتقويم تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون في التاليف والتعديل يقال قومته
تقويما فاستقام وتقوم وذكروا في شرح ذلك الحسن وجوها . احدها انه تعالى خلق كل ذي روح مكبا على وجهه الا الانسان
فانه تعالى خلقه مديد القامة يتناول ماكوله بيده . وقال الاصم في اكمل عقل وفهم وادب وعلم وبيان . والحاصل
ان القول الاول راجع الى الصورة الظاهرة . والثاني الى السيرة الباطنة . وعن يحيى بن اكثم القاضي انه فسر التقويم
بحسن الصورة . فانه حكي ان ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال ان لم تكوني احسن من القمر فانت كذا . فافتى الكل
بالحنث الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يحنث فقيل له خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم . ولقد افتى من هو اعلم منا
وهو الله تعالى يقول لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم . وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا في الاولى احسن
الاشكال . فاعطنا في الآخرة احسن الفعال . وهو العفو عن الذنوب . والتجاوز عن العيوب اما قوله تعالى
ثم رددناه اسفل سافلين ففيه وجهان . الاول قال ابن عباس يريد ارذل العمر قال ابن قتيبة السافلون هم الضعفاء
والزمنى ومن لا يستطيع حيلة . ولا يجد سبيلا . يقول سفل يسفل فهو سافل وهم سافلون . كما تقول علا يعلو فهو عال
وهم عالون اراد ان الهرم يخرف ويضعف سمعه وبصره وعقله وتقل حيلته ويعجز عن عمل الصالحات فيكون اسفل الجميع
قال الفراء ولو كانت اسفل سافل لكان صوابا لان لفظ الانسان واحد . وانت تقول هذا افضل قائم ولا تقول
افضل قائمين الا انه قيل سافلين على الجمع لان الانسان في معنى جمع فهو كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك
هم المتقون . وقالوا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم . والقول الثاني ما ذكره مجاهد والحسن
ثم رددناه الى النار قال علي عليه السلام وضع ابواب جهنم بعضها اسفل من بعض فيبدأ بالاسفل فيملأ وهو اسفل
سافلين . وعلى هذا التقدير ثم رددناه الى اسفل سافلين . اما قوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فاعلم ان هذا الاستثناء على القول الاول منقطع . والمعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم
على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله لهم بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل
نهوضهم . واما على القول الثاني فالاستثناء ظاهر الاتصال . اما قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون . ففيه قولان
احدهما غير منقوص ولا مقطوع . والآخر غير ممنون اي لا يمن به عليهم . فاعلم ان كل ذلك من صفات الثواب لانه يجب ان يكون
غير منقطع وان لا يكون منغصا بالمنة ثم قال تعالى فما يكذبك بعد بالدين . وفيه سؤالات الاول من المخاطب
بقوله فما يكذبك الجواب فيه قولان . احدهما انه خطاب للانسان على طريقة الالتفات . والمراد من قوله فما
يكذبك ان كل من اخبر عن الواقع فانه لا يقع فهو كاذب . والمعنى فما الذي يلجئك الى هذا الكذب . والثاني وهو اختيار
الفراء انه خطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم . والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل بالدين السؤال
الثاني ما وجه التعجب الجواب ان خلق الانسان من النطفة وتقويمه بشرا سويا . وتدريجه في مراتب الزيادة
الى ان يكمل ويستوي ثم ينكسه الى ان يبلغ ارذل العمر دليل واضح على قدرة الخالق على الحشر والنشر فمن شاهد هذه الحالة
ثم بقي مصرا على انكار الحشر فلا شيء اعجب منه ثم قال تعالى اليس الله باحكم الحاكمين فيه مسئلتان المسألة الاولى
ذكروا في تفسيره وجهين . احدهما ان هذا تحقيق لما ذكر من خلق الانسان ثم رده الى ارذل العمر يقول الله تعالى اليس الذي فعل
ذلك باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا . واذا اثبت الحكمة والقدرة بهذه الدلالة صح القول بامكان الحشر ووقوعه . اما الامكان
فبالنظر الى القدرة . واما الوقوع فبالنظر الى الحكمة لان عدم ذلك يقدح في الحكمة كما قال تعالى وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا . والثاني ان هذا تنبيه من الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بان يحكم بينه
وبين خصومه يوم القيمة بالعدل المسألة الثانية قال القاضي هذه الآية من اقوى الدلائل على انه لا يفعل القبيح
ولا يخلق افعال العباد مع ما فيها من السفه والظلم فانه لو كان الفاعل لافعال العباد هو الله تعالى لكان كل سفه وكل امر
بسفه وكل ترغيب فيه سفه فهو من الله تعالى ومن كان كذلك فهو اسفه السفهاء كما انه لا حكمة ولا امر بالحكمة ولا ترغيب في الحكمة الا
من الله تعالى ومن كان كذلك فهو احكم الحكماء . ولما ثبت في حقه تعالى الامران لم يكن وصفه بانه احكم الحكماء اولى من وصفه بانه
اسفه السفهاء . ولما امتنع هذا الوصف في حقه علمنا انه ليس خالقا لافعال العباد والجواب المعارضة بالعلم والدواعي

## سورة القلم تسع عشرة آية مكية





زعم المفسرون ان هذه السورة اول ما نزل من القرآن . وقال آخرون الفاتحة اول ما نزل . ثم سورة القلم
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق اعلم ان في الباء من قوله باسم
ربك قولين . احدهما قال ابو عبيدة الباء زائدة . والمعنى اقرأ اسم ربك كما قال الاخطل شعر
من الحرائر لا ربات اخمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور . ومعنى اقرأ اسم ربك اي اذكر اسمه . وهذا القول ضعيف
لوجوه . احدها انه لو كان معناه اذكر اسم ربك ما حسن منه ان يقول ما انا بقارئ . اي لا اذكر اسم ربي . وثانيها
ان هذا الامر لا يليق بالرسول لانه ما كان له شغل سوى ذكر الله فكيف يامره بما كان مشغولا به ابدا . وثالثها ان فيه تضييع
الباء من غير فائدة . القول الثاني ان المراد من قوله اقرأ اي اقرأ القرآن اذ القراءة لا تستعمل الا فيه قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه
وقال وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث . وقوله باسم ربك يحتمل وجوها . احدها ان يكون محل باسم ربك النصب على
الحال فيكون التقدير اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك اي قل باسم الله . ثم اقرأ وفي هذا دلالة على انه يجب قراءة التسمية
في ابتداء كل سورة كما انزل الله تعالى وامر به . وفي هذه الآية رد على من لا يرى ذلك واجبا ولا يبتدئ بها . وثانيها ان
يكون المعنى اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك كانه يجعل الاسم آلة فيما يحاوله من امر الدين والدنيا . نظيره كتبت بالقلم
وتحقيقه انه لما قال له اقرأ فقال له لست بقارئ فقال اقرأ باسم ربك اي استعن باسم ربك واتخذه آلة في تحصيل
هذا الذي عسر عليك . وثالثها ان قوله اقرأ باسم ربك اي اجعل هذا الفعل لله وافعله لاجله كما تقول بنيت هذه الدار باسم الامير
وصنفت هذا الكتاب باسم الوزير ولاجله . فان العبادة اذا صارت لله تعالى فكيف يجترئ الشيطان ان ينصرف فيما هو لله
تعالى . فان قيل كيف يستمر هذا التاويل في قولك قبل الاكل بسم الله . وكذا قبل كل فعل مباح . قلنا فيه وجهان . احدهما
ان ذلك اضافة مجازية كما تضيف ضيعتك الى بعض الكبار ليندفع بذلك الظلم الظلمة . كذا تضيف فعلك الى الله ليقطع
الشيطان طمعه عن مشاركتك . فقد روي ان من لم يذكر اسم الله شاركه الشيطان في ذلك الطعام . والثاني انه ربما استعان
بذلك المباح على التقوى على طاعة الله فيصير المباح طاعة . فيصح ذلك التاويل فيه . اما قوله ربك ففيه سؤالان . احدهما
وهو ان الرب من صفات الفعل والله من اسماء الذات . واسماء الذات اشرف من اسماء الفعل ولانا قد دللنا بالوجوه الكثيرة على
ان اسم الله اشرف من اسم الرب . ثم انه تعالى قال هاهنا باسم ربك ولم يقل باسم الله كما قال في التسمية المعروفة
بسم الله الرحمن الرحيم . وجوابه انه امر بالعبادة وصفات الذات وهو لا يستوجب شيئا وانما يستوجب العبادة بصفات الفعل
فكان ذلك ابلغ في الحث على الطاعة . ولان هذه السورة كانت من اوائل ما نزل على ما كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد فزع فاستماله
لزوال الفزع فقال هو الذي رباك فكيف يفزعك فافاد هذا الحرف معنيين . احدهما ربيتك فلزمك القضاء فلا تتكاسل
والثاني ان الشروع ملزم للاتمام وقد ربيتك منذ كذا فكيف اضيعك حين كنت علقا لم ادع تربيتك فبعد ان صرت خلقا نفيسا
موحدا عارفا فكيف اضيعك . السؤال الثاني ما الحكمة في انه اضاف ذاته اليه فقال باسم ربك . الجواب تارة يضيف ذاته
اليه بالربوبية كما هاهنا . وتارة يضيفه الى نفسه بالعبودية اسرى بعبده . نظيره قوله عليه الصلاة والسلام علي مني
وانا منه كانه تعالى يقول هو لي وانا له . تقريره قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله . او نقول اضافة ذاته الى العبد
احسن حاله من اضافة العبد اليه اذ قد علم في الشاهد ان من له ابنان ينفعه اكبرهما دون الاصغر يقول هو ابن الكبير تحسب
لما انه ينال منه المنفعة فيقول الرب تعالى المنفعة تصل مني اليك ولم تصل منك الي خدمة ولا طاعة الى الآن فاقول انت لي ثم اذا
اتيت بما طلبته منك من طاعة او توبة اضيفك الى نفسي فقلت انزل على عبده يا عبادي الذين اسرفوا . السؤال الثالث لم ذكر عقيب
قوله ربك الذي خلق الجواب كان العبد يقول ما الدليل على انك ربي فيقول لانك كنت بذاتك وصفاتك معدوما . ثم
صرت موجودا فلا بد لك في ذاتك وصفاتك من خالق . وهذا الخلق والايجاد تربية فدل على اني ربك وانت مربوبي
اما قوله تعالى الذي خلق الانسان من علق . ففيه مسائل المسألة الاولى في تفسير هذه الآية ثلاثة اوجه احدها
ان يكون قوله الذي خلق لا يقدر له مفعول . ويكون المعنى انه الذي حصل منه الخلق واستاثر به لا خالق سواه . والثاني ان يقدر
له مفعول . ويكون المعنى ان الذي خلق كل شيء فيتناول كل شيء مخلوق لانه مطلق فليس حمله على البعض اولى من حمله على الباقي
كقولنا الله اكبر اي من كل شيء . ثم قوله بعده خلق الانسان من علق تخصيصا للانسان بالذكر من بين جملة المخلوقات . اما
لان التنزيل اليه واما لانه اشرف ما على وجه الارض . والثالث ان يكون قوله اقرأ باسم ربك الذي خلق مبهما . ثم فسره بقوله خلق الانسان
من علق تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته . المسألة الثانية احتج الاصحاب بهذه الآية على انه لا خالق غير الله
تعالى قالوا لانه سبحانه جعل الخالقية صفة مميزة لذات الله تعالى عن سائر الذوات وكل صفة هذا شانها فانه يستحيل وقوع
الشركة فيها قالوا وبهذا الطريق عرفنا ان خاصية الالهية هي القدرة على الاختراع ومما يؤكد ذلك ان فرعون لما طلب
حقيقة الاله فقال وما رب العالمين قال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين . والربوبية اشارة الى الخالقية التي ذكرها هاهنا

ما الحكمة في انه اضاف ذاته اليه فقال باسم ربك

وكل ذلك يدل على [illegible] المسئلة الثالثة اتفق المتكلمون على ان اول الواجبات معرفة الله تعالى او النظر في معرفة الله او القصد الى ذلك النظر على الاختلاف المشهور فيما بينهم ثم ان الحكيم سبحانه لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين لو قال له اقرا باسم ربك الذي لا شريك له لابوا ان يقبلوا ذلك منه لكنه قدم في ذلك مقدمة تلجئهم الى الاعتراف به كما يحكى [illegible] ابو حنيفة [illegible] لتقرير مذهبه [illegible]

[illegible]

[illegible] ففيه مسائل المسئلة الاولى [illegible] اقرا اولا لنفسك والثاني للتبليغ [illegible] في صلاتك والثاني خارج صلاتك المسئلة الثانية الاكرم [illegible]

[illegible] المسئلة الثالثة [illegible] الانسان من علق • وثانيها بانه الذي علم بالقلم ولا مناسبة في الظاهر بين الامرين • لكن التحقيق ان اول احوال الانسان كونه علقة وهي اخس الاشياء • وآخر امره هو صيرورته عالما بحقائق الاشياء وهو اشرف مراتب المخلوقات فكانه تعالى يقول انتقلت من اخس المراتب الى اعلى المراتب فلا بد لك من مدبر مقدر ينقلك من تلك الحالة الخسيسة الى هذه الحالة الشريفة • ثم فيه تنبيه على ان العلم اشرف الصفات كانه تعالى يقول الايجاد والاحياء والاقدار والرزق كرم وربوبية • اما الاكرم هو الذي اعطاك العلم لان العلم هو النهاية في الشرف المسئلة الرابعة قوله اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اشارة الى الدلائل العقلية الدالة على كمال القدرة والحكمة والعلم والرحمة وقوله الذي علم بالقلم اشارة الى الاحكام المكتوبة التي لا سبيل الى معرفتها الا بالسمع • فالاول كانه اشارة الى معرفة الربوبية والثاني الى النبوة • وقدم الاول على الثاني تنبيها على ان معرفة الربوبية غنية عن النبوة • واما النبوة فانها محتاجة الى معرفة الربوبية المسئلة الخامسة في قوله علم بالقلم وجهان • احدهما ان المراد من القلم الكتابة التي بها تعرف الامور الغائبة وجعل القلم كناية عنها • والثاني ان المراد علم الانسان الكتابة بالقلم وكلا القولين متقارب اذ المراد التنبيه على فضيلة الكتابة • يروى ان سليمان عليه السلام سال عفريتا عن الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة فالقلم صياد يصيد العلوم • يبكي ويضحك • بركوعه يسجد الانام • وبحركته تبقى العلوم على مر الليالي والايام • نظيره قوله اذ نادى ربه نداء خفيا فاسمع فكذا القلم لا ينطق ثم يسمع الشرق والغرب • فسبحانه من قادر بسواده جعل الدين منورا كما انه جعل السواد مبصرا • والقلم قوام الانسان • والانسان قوام العين • ولا يقال القلم نائب اللسان • فان القلم ينوب عن اللسان • واللسان لا ينوب عن القلم • التراب طهور ولو الى عشر حجج • والقلم بدل لو الى



المشرق والمغرب اما قوله علم الانسان ما لم يعلم فيحتمل ان يكون المراد علمه بالقلم وعلمه ايضا غير ذلك ولم يذكروا واو النسق وقد يجري مثل هذا في الكلام • تقول اكرمتك احسنت اليك ملكتك الاموال • وليتك الولايات • ويحتمل ان يكون المراد من اللفظين واحدا ويكون المعنى علم الانسان بالقلم ما لم يعلمه فيكون قوله علم الانسان ما لم يعلم بيانا لقوله علم بالقلم ثم قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى • وفيه مسائل المسئلة الاولى اكثر المفسرين على ان المراد من الانسان ها هنا انسان واحد وهو ابو جهل ثم منهم من قال نزلت السورة من ها هنا الى آخرها في ابي جهل • وقيل نزلت من قوله ارايت الذي ينهى عبدا الى آخر السورة في ابي جهل قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال الم انهك عن هذا فزبره النبي عليه الصلاة والسلام فقال ابو جهل والله انك لتعلم ما بها نادي اكبر مني • فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية وقال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله فكانه تعالى لما عرفه انه مخلوق من علق فلا يليق به التكبر فهو عند ذلك ازداد طغيانا وتعززا بماله ورياسته في مكة • ويروى انه قال ليس بمكة اكرم مني • ولعله لعنه الله قال ذلك ردا لقوله وربك الاكرم • ثم القائلون بهذا القول منهم من زعم انه ليست هذه السورة من اوائل ما نزل • ومنهم من قال يحتمل ان يكون خمس آيات من اول السورة نزلت اولا • ثم نزلت البقية بعد ذلك في شان ابي جهل ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك الى اول السورة لان تاليف الآيات انما كان بامر الله تعالى الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر ما نزل عند المفسرين ثم هو مضموم الى ما نزل قبله بزمان طويل • القول الثاني ان المراد من الانسان المذكور في هذه الآية جملة الانسان • والقول الاول وان كان اظهر بحسب الروايات الا ان هذا القول اقرب بحسب الظاهر لانه تعالى بين ان الله سبحانه مع انه خلقه من علقة وانعم عليه بالنعم التي قدمنا ذكرها اذا اغنيناه وزدنا في النعمة عليه فانه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي واتباع هوى النفس وذلك وعيد وزجر عن هذه الطريقة • ثم انه تعالى اكد هذا الزجر بقوله ان الى ربك الرجعى اي الى حيث لا مالك سواه فتقع المحاسبة على ما كان منه من العمل والمؤاخذة بحسب ذلك المسئلة الثانية قوله كلا فيه وجوه • احدها انه ردع وزجر لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه • وثانيها قال مقاتل كلا لا يعلم الانسان ان الله هو الذي خلقه من العلقة وعلمه بعد الجهل وذلك لانه عند صيرورته غنيا يطغى ويتكبر ويصير مستغرق القلب في حب الدنيا فلا يتفكر في هذه الاحوال ولا يتامل فيها • وثالثها ذكر الجرجاني صاحب النظم ان كلا ها هنا بمعنى حقا لانه ليس قبله ولا بعده شيء يكون كلا ردا له • وهذا كما قالوا كلا والقمر فانهم زعموا انه بمعنى اي والقمر المسئلة الثالثة الطغيان هو التكبر والتمرد وتحقيق الكلام في هذه الآية ان الله تعالى لما ذكر في مقدمة السورة دلائل ظاهرة على التوحيد والقدرة والحكمة بحيث يبعد من العاقل ان لا يطلع عليها ولا يقف على حقائقها اتبعها بما هو السبب الاصلي في الغفلة عنها وهو حب الدنيا والاشتغال بالمال والجاه والثروة والقدرة فانه لا سبب لعمى القلب في الحقيقة الا ذلك • فان قيل ان فرعون ادعى الربوبية فقال الله تعالى في حقه اذهب الى فرعون انه طغى • وها هنا ذكر في ابي جهل ليطغى فاكده بهذا اللام فما السبب في هذه الزيادة • قلنا فيه وجوه احدها انه قال لموسى اذهب الى فرعون انه طغى وذلك قبل ان يلقاه موسى وقبل ان يعرض عليه الادلة وقبل ان يدعي الربوبية واما ها هنا فانه تعالى ذكر هذه الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين رد عليه اقبح الرد • وثانيها ان فرعون مع كمال سلطنته ما كان يزيد كفره على القول • وما كان يتعرض لقتل موسى عليه السلام ولا لايذائه • واما ابو جهل فمع قلة جاهه كان يقصد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وايذاءه • وثالثها ان فرعون احسن الى موسى اولا • وقال آخرا آمنت • واما ابو جهل فكان يحسد النبي صلى الله عليه وسلم في صباه وقال في آخر رمقه بلغوا عني محمدا اني اموت ولا احد ابغض الي منه • ورابعها انهما وان كانا رسولين لكن الحبيب في مقابلة الكليم كاليد في مقابلة العين والعاقل يصون عينه فوق ما يصون يده بل يصون عينه باليد • فلهذا السبب كانت المبالغة ها هنا اكثر اما قوله تعالى ان رآه استغنى ففيه مسائل المسئلة الاولى قال الاخفش لان رآه فحذف اللام كما يقال انكم لتطغون ان رايتم غناكم المسئلة الثانية قال الفراء انما قال ان رآه ولم يقل راى نفسه كما يقال قتل نفسه لان راى من الافعال التي تستدعي اسما وخبرا نحو الظن والحسبان • والعرب تطرح النفس من هذا الجنس تقول رايتني وظننتني وحسبتني فقوله ان رآه استغنى من هذا الباب المسئلة الثالثة في قوله استغنى وجهان احدهما بماله عن ربه • والمراد من الآية ليس هو الاول لان الانسان قد ينال الثروة فلا يزيد الا تواضعا كسليمان عليه السلام فانه كان يجالس المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا • وعبد الرحمن بن عوف ما طغى مع كثرة امواله بل العاقل يعلم انه عند الغنى يكون اكثر حاجة الى الله تعالى منه حال الفقر لانه حال الفقر لا يتمنى الا سلامة نفسه • واما في حال الغنى فانه يتمنى سلامة نفسه وماله ومماليكه • وفي الآية وجه ثالث • وهو ان سين استغنى سين الطلب • والمعنى ان الانسان راى ان نفسه انما نالت الغنى لانها طلبته وبذلت الجهد في الطلب فنالت الثروة والغنى بسبب ذلك الجهد والغنى لانه نالها باعطاء الله وتوفيقه وهذا جهل وحمق فكم من باذل وسعه في الحرص والطلب وهو يموت جوعا • ثم ترى اكثر الاغنياء في الآخرة يصيرون مدبرين خائفين

وقال في آخر عمره بلغوا عني محمدا اني اموت ولا احد ابغض الي منه

يرتهم الله ان ذلك الغنى ما كان بفعلهم وقوتهم • المسئلة الرابعة اول السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة المال
وكفى بذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال • ثم قال تعالى ان الى ربك الرجعى • وفيه مسائل المسئلة الاولى
هذا الكلام واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان المسئلة الثانية الرجعى المرجع والرجوع
وهي بأجمعها مصادر • يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا ورجعى على وزن فعلى • وفي معنى الآية وجهان • احدهما انه يرى ثواب طاعته
وثواب تمرده وتكبره وطغيانه • ونظيره قوله ولا تحسبن الله غافلا الى قوله انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار • وهذه
الموعظة لا تؤثر الا في قلب من له قدم صدق • اما الجاهل فيغضب ولا يعتقد الا الفرح العاجل • والقول الثاني انه تعالى
يرده ويرجعه الى النقصان والفقر والموت كما رده من النقصان الى الكمال حيث نقله من الجمادية الى الحياة ومن الفقر
الى الغنى ومن الذل الى العز فما هذا التعزز والقوة • المسئلة الثالثة روي ان ابا جهل قال للرسول عليه الصلاة
والسلام اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك
فنزل جبريل عليه السلام وقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم مثل ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم • قوله تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا • وفيه مسائل المسئلة الاولى روي عن
ابي جهل انه قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاء ثم
انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة فنكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا
من نار وهولا شديدا • وعن الحسن ان امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة • واعلم ان ظاهر الآية ان المراد في هذه الآية
هو الانسان المتقدم ذكره • فلذلك قالوا انه ورد في ابي جهل وذكروا ما كان منه من التوعد لمحمد عليه الصلاة والسلام
حتى رآه يصلي ولا يمتنع ان يكون نزوله في ابي جهل • ثم يعم في الكل لكن ما بعده يقتضي انه في رجل بعينه • المسئلة الثانية
قوله ارأيت خطاب مع الرسول على سبيل التعجب • ووجه التعجب فيه امور • احدها انه عليه الصلاة والسلام قال اللهم
اعز الاسلام اما بابي جهل بن هشام او بعمر فكأنه تعالى قال له كنت تظن انه يعز به الاسلام امثله يعز به الاسلام وهو
ينهى عبدا اذا صلى • وثانيها انه كان يلقب بابي الحكم فكأنه تعالى يقول كيف يليق به هذا اللقب وهو ينهى العبد عن خدمة
ربه ايوصف بالحكمة من يمنع عن طاعة الرحمن ويسجد للاوثان • وثالثها ان ذلك الاحمق يأمر وينهى ويعتقد انه يجب
على الغير طاعته مع انه ليس بخالق ولا رب • ثم انه ينهى عن طاعة الرب والخالق الا يكون هذا غاية الحماقة • المسئلة الثالثة
قال ينهى عبدا ولم يقل ينهاك • وفيه فوائد • احدها ان التنكير في عبدا يدل على كونه كاملا في العبودية كقول ابي
حنيفة • واما عبد الله فعبد الله كان يقول انه عبد لا يفي العالم بشرح بيانه وصفة اخلاصه في عبوديته • يروى
في هذا المعنى ان يهوديا من فصحاء اليهود جاء الى عمر في ايام خلافته وقال اخبرني عن اخلاق رسولكم فقال عمر اطلبه
من بلال فانه اعلم به مني • ثم ان بلالا دله على فاطمة • ثم فاطمة دلته على علي عليه السلام فلما سأل عليا عليه السلام قال صف
لي متاع الدنيا حتى اصف لك اخلاقه فقال الرجل هذا لا يتيسر فقال علي عليه السلام عجزت عن وصف الدنيا وقد شهد
الله على قلته حيث قال قل متاع الدنيا قليل فكيف اصف اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وقد شهد الله تعالى بانه عظيم
حيث قال وانك لعلى خلق عظيم فكأنه قال ينهى اشد الخلق عبودية عن العبودية وذلك عين الجهل والحمق • وثانيها
ان هذا ابلغ في الذم لان المعنى ان هذا دأبه وعادته فينهى كل من يرى • وثالثها ان هذا التخويف لكل من نهى عن الصلاة
روي عن علي عليه السلام انه رأى في المصلى اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل تحت قوله ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي
عن الصلاة • واخذ ابو حنيفة منه هذا الادب الجميل حين قال له ابو يوسف ايقول المصلي حين يرفع رأسه
من الركوع اللهم اغفر لي قال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي • ورابعها ايظن ابو جهل انه لو لم يسجد
محمد لي لا اجد ساجدا غيره ان محمدا عبد واحد ولي من الملائكة المقربين ما لا يحصيهم الا انا وهم دائما في الصلاة
والتسبيح • وخامسها انه تفخيم لشأن النبي صلى الله عليه وسلم • يقول انه مع التنكير معرف ونظيره الكناية في سورة القدر
حملت على القرآن ولم يسبق له ذكر وانه عبده انزل على عبده • وانه لما قام عبد الله • ثم قال تعالى ارأيت ان كان على
الهدى او امر بالتقوى • وفيه مسائل المسئلة الاولى قوله ارأيت خطاب لمن فيه وجهان • الاول انه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم • والدليل عليه ان الاول وهو قوله ارأيت الذي ينهى عبدا للنبي صلى الله عليه وسلم
والثالث وهو قوله ارأيت ان كذب وتولى للنبي عليه الصلاة والسلام • فلو جعلنا الاوسط لغير النبي صلى الله عليه وسلم
لخرج الكلام عن النظم الحسن • يقول الله تعالى يا محمد ارأيت ان كان هذا الكافر ولم يقل لو كان اشارة الى المستقبل كأنه
يقول ارأيتك ان صار على الهدى واشتغل بامر نفسه ما كان يليق به ذلك اذ هو رجل عاقل ذو ثروة فلو اختار الدين والهدى

الجاهل

والهدى

والامر بالتقوى



والامر بالتقوى اما كان ذلك خيرا له من الكفر بالله والنهي عن خدمته وطاعته كأنه تعالى يقول تلهف عليه كيف فوت على نفسه
المراتب العالية وقنع بالمراتب الردية • القول الثاني انه خطاب للكافر لان الله تعالى كالمشاهد للظالم والمظلوم وكالمولى
الذي قام بين يديه عبدان • وكالحاكم الذي حضر عنده المدعي والمدعى عليه فخاطب هذا مرة وهذا مرة فلما قال للنبي ارأيت
الذي ينهى عبدا اذا صلى التفت بعد ذلك الى الكافر فقال ارأيت يا كافر ان كانت صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى
اتنهاه مع ذلك • المسئلة الثانية ها هنا سؤال وهو ان المذكور في اول الآية هو الصلاة وهو قوله ارأيت ان
كان على الهدى في فعل الصلاة فلم ضم شيئا ثانيا وهو قوله او امر بالتقوى • جوابه من وجوه • احدها ان الذي
شق على ابي جهل من افعال الرسول عليه الصلاة والسلام هو هذان الامران الصلاة والدعاء الى الله فلا جرم ذكرهما
ها هنا • وثانيها ان النبي عليه الصلاة والسلام كان لا يوجد الا في احد امرين • اما في اصلاح نفسه وذلك بفعل الصلاة
او في اصلاح غيره • وذلك الامر بالتقوى • وثالثها انه عليه الصلاة والسلام كان في صلاته على الهدى وآمرا بالتقوى
لان كل من رآه وهو في الصلاة كان يرق قلبه فيميل الى الايمان فكان فعل الصلاة دعوة بلسان الفعل وهو اقوى من
الدعوى بلسان القول • ثم قال تعالى ارأيت ان كذب وتولى • وفيه قولان • الاول انه خطاب مع الرسول عليه السلام
وذلك لان الدلائل التي ذكرها في اول هذه السورة جلية ظاهرة وكل احد يعلم ببديهة عقله ان منع العبد من خدمة مولاه
فعل باطل وسفه ظاهر فاذن كل من كذب بتلك الدلائل وتولى عن خدمة مولاه بل منع غيره عن خدمة مولاه يعلم بعقله السليم
انه على الباطل فانه لا يفعل ذلك الا عنادا فلهذا قال تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام ارأيت يا محمد ان كذب هذا الكافر
عن تلك الدلائل الواضحة وتولى عن خدمة خالقه الم يعلم بعقله ان الله يرى منه هذه الاعمال القبيحة فكيف لا يزجره
ذلك عن هذه الاعمال القبيحة • والثاني انه خطاب للكافر • والمعنى ان كان محمد كاذبا او متوليا الا يعلم بان الله يرى حتى ينتهي
بل احتيج الى نهيك • اما قوله تعالى الم يعلم بان الله يرى • ففيه مسئلتان المسئلة الاولى المقصود من الآية
التهديد بالحشر والنشر • والمعنى انه تعالى عالم بجميع المعلومات حكيم لا يهمل عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء ولا تدرون ان توصل جزاء كل احد اليه بتمامه فيكون هذا تخويفا شديدا للعصاة وترغيبا عظيما لاهل الطاعة
المسئلة الثانية هذه الآية وان نزلت في حق ابي جهل فكل من نهى عن طاعة الله فهو شريك ابي جهل في هذا الوعيد ولا
يلزم عليه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة والاوقات المكروهة لان المنهي عنه غير الصلاة وهو المعصية ولا يلزم المولى يمنع عبده
عن قيام الليل وصوم التطوع وزوجته عن الاعتكاف لان ذلك لاستيفاء مصلحته باذن ربه لا بغضا لعبادة ربه • ثم قال تعالى
كلا وفيه وجوه • احدها انه ردع لابي جهل ومنع له عن نهيه عن عبادة الله تعالى وامره بعبادة اللات • وثانيها كلا لن يصل ابو جهل
[illegible]

وبالجملة فتسويد الوجه علامة الاذلال والاهانة

النبي عليه الصلاة والسلام رق قلبه واطرق راسه مغموما فاذا جبريل عليه السلام يجي ضاحكا مستبشرا فقال يا جبريل
تضحك وابن مسعود يبكي فقال ستعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في الجهاد فقال عليه
الصلاة والسلام خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى
فاذا ابو جهل مصروع يخور فخاف ان يكون به قوة فيوذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا معنى قوله
سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر على ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى اليه بحيلة فلما راه ابو جهل قال
يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك
انه لم يكن احد ابغض الي منه في حياتي ولا احد ابغض الي منه في حال مماتي فروي انه عليه الصلاة والسلام لما سمع ذلك قال
فرعوني اشد من فرعون موسى فانه قال آمنت وهو قد زاد عتوا ثم قال لابن مسعود اقطع راسه بسيفي هذا
لانه احد واقطع فلما قطع راسه لم يقدر على حمله ولعل الحكيم سبحانه انما خلقه ضعيفا لاجل ان لا يقوى على الحمل لوجوه احدها
انه كلب والكلب يجر والثاني لشق الاذن فيقتص الاذن بالاذن والثالث ليحقق الوعيد المذكور بقوله لنسفعا بالناصية
فيجر تلك الراس على مقدمها ثم ان ابن مسعود لما لم يطقه شق اذنه وجعل الخيط فيه وجعل يجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجبريل بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن لكن الراس هاهنا مع الاذن فهذا ما روي في مقتل ابي جهل نقلته معنى
لا لفظا وهو معنى قوله لنسفعا بالناصية المسألة الرابعة الناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر
ناصية ثم انه تعالى كنى هاهنا عن الوجه والراس بالناصية ولعل السبب فيه ان ابا جهل كان شديد الاهتمام
بترجيل تلك الناصية وتطييبها وربما كان يهتم ايضا بتسويدها فاخبر تعالى انه يسودها مع الوجه المسألة الخامسة
انه تعالى عرف الناصية بحرف التعريف كانه تعالى يقول الناصية المعروفة عندكم ذاتها لكنها مجهولة عندكم صفاتها
ناصية واي ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا وانما وصف بالكذب لانه كان كاذبا على الله في انه لم يرسل محمدا وكاذبا
على رسوله في انه ساحر وكذاب وليس بنبي وقيل كذبه انه قال انا اكثر اهل الوادي ناديا ووصف الناصية بالخاطئة
خاطئة لان صاحبها متمرد على الله تعالى قال الله تعالى لا ياكله الا الخاطئون والفرق بين الخاطئ والمخطئ ان الخاطئ معاقب
والمخطئ غير ماخوذ ووصف الناصية بالخاطئة الكاذبة كما وصف الوجوه بانها ناظرة في قوله تعالى الى ربها ناظرة
المسألة السادسة ناصية بدل من الناصية وجاز بدلها من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت فاستقلت
بفائدة المسألة السابعة قرئ ناصية بالرفع والتقدير هي ناصية وناصية بالنصب وكلاهما
على الشتم واعلم ان الرسول عليه السلام لما اغلظ في القول لابي جهل وتلا عليه هذه الآيات قال يا محمد بمن تهددني وانا
اكثر هذا الوادي ناديا فافتخر بجماعته الذين كانوا ياكلون حطامه فنزل قوله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية
وفيه مسائل المسألة الاولى قد مر تفسير النادي عند قوله وتاتون في ناديكم المنكر قال ابو عبيدة ناديه اي اهل
مجلسه وبالجملة فالمراد من النادي اهل النادي ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله ويسمى ناديا لان القوم يندون
الندو والندوة ومنه قولهم دار الندوة بمكة وكانوا يجتمعون فيها للتشاور وقيل سميت ناديا لانه مجلس الندى
والجود ذكر ذلك على سبيل التهكم اي اجمع اهل الكرم والدفاع على زعمك فينصرونك المسألة الثانية قال ابو عبيدة
والمبرد واحد الزبانية زبنية واصله من زبنته اذا دفعته وهو كل متمرد من انس او جن ومثله في المعنى والتقدير
عفرية يقال فلان زبنية عفرية وقال الاخفش قال بعضهم واحدها الزباني وقال آخرون هذا من الجمع الذي
لا واحد له في لغة العرب مثل ابابيل وعباديد وبالجملة فالمراد ملائكة العذاب ولا شك انهم مخصوصون بقوة شديدة
قال مقاتل هم خزنة جهنم ارجلهم في الارض ورؤسهم في السماء وقال قتادة الزبانية هم الشرط في كلام العرب وهم الملائكة
الغلاظ الشداد وملائكة النار سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار اي يدفعونهم في جهنم المسألة الثالثة
في الآية قولان الاول فليفعل ما ذكر من انه يدعو انصاره ويستعين بهم في مباطشة محمد فانه لو فعل ذلك فنحن ندعو
الزبانية الذين لا طاقة لناديه وقومه بهم قال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته الزبانية من ساعته معاينة وقيل هذا
اخبار من الله تعالى بانه يجره في الدنيا كالكلب وقد فعل به ذلك يوم بدر وقيل بل هذا اخبار بان الزبانية يجرونه في
النار القول الثاني في الآية تقديما وتاخيرا اي لنسفعا بالناصية سندع الزبانية في الآخرة فليدع
هو ناديه حينئذ فليمنعوه المسألة الرابعة الفاء في قوله فليدع ناديه يدل على المعجز لان هذا يكون تحريضا
للكافر على دعوة ناديه وقومه ومتى فعل الكافر ذلك ترتب عليه دعوة الزبانية فلما لم يجترئ الكافر على ذلك
دل على ظهور معجزة الرسول المسألة الخامسة قرئ ستدعى على المجهول وهذا السين ليس للشك فانه
عسى من الله واجب وخصوصا عند بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم بانه ينتقم له من عدوه ولعل فائدة السين

ماخوذ

هو المراد من قوله

هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام لا يبصرك ولو بعد حين ثم قال تعالى كلا وهو ردع لابي جهل وقيل معناه
لن يصل الى ما يتصلف من انه يدعو ناديه ولئن دعاهم لن ينفعوه ولن ينصروه وهو اذل واحقر من ان يقاومك ويحتمل ان
يقال لما يتمنى من طاعتك له حين نهاك عن الصلاة وقيل معناه الا لا تطعه وهو كقوله فلا تطع المكذبين واسجد وعند
اكثر اهل التاويل اراد به صل وتوفر على عبادة الله تعالى فعلا وابلاغا وليقل فكرك في هذا العدو فان الله مقويك
وناصرك وقال بعضهم بل المراد الخضوع وقال آخرون بل المراد نفس السجود في الصلاة ثم قال واقترب والمراد
وابتغ بسجودك قرب المنزلة من ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد وقال بعضهم المراد واسجد
يا محمد واقترب يا ابا جهل منه حتى تبصر ما ينالك من اخذ الزبانية اياك فكانه تعالى امره بالسجود ليزداد غيظ
الكافر كقوله ليغيظ بهم الكفار والسبب الموجب لازدياد الغيظ هو ان الكافر كان يمنعه من القيام فيكون غيظه
وغضبه عند مشاهدة السجود اتم ثم قال عند ذلك واقترب منه يا ابا جهل وضع قدمك عليه فان الرجل ساجد مشغول
بنفسه وهذا تهكم به واستحقار لشانه والله اعلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد

## سورة القدر خمس آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر فيه مسائل
المسألة الاولى اجمع المفسرون على ان المراد انا انزلنا القرآن في ليلة القدر ولكنه تعالى ترك التصريح بالذكر لان هذا
التركيب يدل على عظم القرآن من ثلاثة اوجه احدها انه اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني انه جاء بضميره
دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التصريح الا ترى انه في السورة المتقدمة لم يذكر اسم ابي جهل ولم
يخف على احد لاشتهاره وقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم لم يذكر الموت لشهرته فكذا هاهنا والثالث تعظيم الوقت
الذي انزل فيه المسألة الثانية انه تعالى قال في بعض المواضع اني كقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة
وفي بعض المواضع انا كقوله انا انزلناه في ليلة القدر انا نحن نزلنا الذكر انا ارسلنا نوحا انا اعطيناك الكوثر واعلم
ان قوله انا تارة يراد به الجمع وتارة يراد به التعظيم وحمله على الجمع محال لان الدلائل دلت على وحدة الصانع ولانه لو كان
في الالهة كثرة لانحطت رتبة كل واحد منهم عن الالهية لانه لو كان كل واحد منهم قادرا على الكمال لاستغنى بكل واحد منهم
عن كل واحد منهم وكونه مستغنى عنه نقص في حقه فيكون الكل ناقصا وان لم يكن كل واحد منهم قادرا على الكمال كان ناقصا
فعلمنا ان قوله انا محمول على التعظيم لا على الجمع المسألة الثالثة ان قيل ما معنى انه انزل في ليلة القدر مع العلم بانه انزل
نجوما قلنا فيه وجوه احدها قال الشعبي ابتدأ بانزاله ليلة القدر لان المبعث كان في رمضان والثاني قال ابن عباس
انزل الى سماء الدنيا جملة ليلة القدر ثم الى الارض نجوما كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وقد ذكرنا هذه المسألة في
قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن لا يقال فعلى هذا القول لم يقل انزلناه الى السماء لان اطلاقه يوهم الانزال الى الارض لانا نقول
لان انزاله الى السماء كانزاله الى الارض لانه لم يكن ليشرع في امر ثم لا يتمه وهو كغائب جاء الى نواحي البلد يقال جاء فلان وبقي
الغرض في تقريبه وانزاله الى سماء الدنيا ان يشوقهم الى نزوله كمن يسمع الخبر بمجيء منشوره لوالده وامامه فانه يزداد
شوقه الى مطالعته كما قال شعر وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار
وهذا لان السماء كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهي لهم مسكن ولنا سقف وزينة كما قال وجعلنا السماء سقفا فانزاله
القرآن هناك كانزاله هاهنا والوجه الثالث في الجواب ان التقدير انزلنا هذا الذكر في ليلة القدر اي في فضل ليلة
القدر وبيان شرفها المسألة الرابعة القدر مصدر قدرت اقدر قدرا والمراد به ما يمضيه الله من الامور وقال
انا كل شيء خلقناه بقدر والقدر والقدر واحد الا انه بالتسكين مصدر وبالفتح اسم قال الواحدي القدر في اللغة
بمعنى التقدير وهو جعل الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان واختلفوا في انه لم سميت هذه الليلة
ليلة القدر على وجوه احدها انها ليلة تقدير الامور والاحكام قال عطاء عن ابن عباس ان الله قدر ما يكون في كل تلك
السنة من مطر ورزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة من السنة الآتية ونظيره قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم
واعلم ان تقدير الله لا يحدث في تلك الليلة فانه تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض في الازل بل المراد
اظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة بان يكتبها في اللوح المحفوظ وهذا القول اختيار عامة العلماء الثاني نقل عن
الزهري انه قال ليلة القدر ليلة العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان اي منزلة وشرف ويدل عليه قوله ليلة
القدر خير من الف شهر ثم هذا يحتمل وجهين احدهما ان يرجع ذلك الى الفاعل اي من اتى فيها بالطاعات صار ذا قدر وشرف

ان قيل ما معنى انه انزل ليلة القدر مع العلم

القدر

وثانيها الى الفعل اي الطاعات لها في تلك الليلة قدر زايد وشرف زايد ، وعن ابي بكر الوراق سميت ليلة القدر لانه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذي قدر على امة لها قدر ، ولعل الله تعالى انما ذكر لفظة القدر في هذه السورة ثلث مرات لهذا السبب ، القول الثالث ليلة القدر اي التضييق فان الارض تضيق عن الملائكة **المسئلة الخامسة** انه تعالى اخفى هذه الليلة لوجوه ، احدها انه تعالى اخفاها كما اخفى ساير الاشيا فانه اخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل ، واخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل ، واخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل ، واخفى الاجابة في الدعا ليبالغوا في كل الدعوات ، واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل الاسما ، واخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل ، واخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع اقسام التوبة ، واخفى وقت الموت ليخاف المكلف فكذا اخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان ، وثانيها كانه تعالى يقول لو عينت ليلة القدر وانا عالم بتجاسرك على المعصية فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة الى المعصية فوقعت في الذنب فكانت معصيتك مع علمك اشد من معصيتك لا مع علمك ، فلهذا السبب اخفيته عليك ، روي انه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد فراى نايما فقال يا علي نبهه ليتوضا فايقظه علي ثم قال علي يا رسول الله انك سباق الى الخيرات فلم لم تنبهه قال لان رده علي كفر ورده عليك ليس بكفر ففعلت ذلك لتخف جنايته لو ابى فاذا كان هذا رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم فقس عليه رحمة الرب تعالى ، وكانه تعالى يقول اذا علمت ليلة القدر فان اطعت فيها اكتسبت ثواب الف شهر وان عصيت فيها اكتسبت عقاب الف شهر ودفع العقاب اولى من جلب الثواب ، وثالثها اني اخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها فيكتسب ثواب الاجتهاد ، ورابعها ان العبد اذا لم يتيقن ليلة القدر فانه يجتهد في الطاعة في جميع ليالي رمضان على رجا انه ربما كانت هذه الليلة هي ليلة القدر فيباهي الله تعالى ملائكته ويقول كنتم تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدما فهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة فكيف لو جعلتها معلومة له فحينئذ يظهر سر اني اعلم ما لا تعلمون

**المسئلة السادسة** اختلفوا في ان هذه الليلة هل يستتبع اليوم قال الشعبي نعم يومها كليلها ولعل الوجه فيه ان ذكر الليالي يستتبع الايام ومنه اذا نذر اعتكاف ليلتين لزمه بيومهما وقال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي اليوم يخلف ليلة وبالضد **المسئلة السابعة** هذه الليلة هل هي باقية قال الخليل من قال ان فضلها لنزول القران يقول انقطعت وكانت مرة ، فالجمهور على انها باقية ، وعلى هذا هل هي مختصة برمضان ام لا ، روي عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها ، وفسرها عكرمة بليلة البراة في قوله انا انزلناه في ليلة مباركة ، والجمهور على انها مختصة برمضان واحتجوا عليه بقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران ، وقال انا انزلناه في ليلة القدر فوجب ان تكون ليلة القدر في رمضان لئلا يلزم التناقض ، وعلى هذا القول اختلفوا في تعيينه على ثمانية اقوال فقال ابن رزين ليلة القدر هي الليلة الاولى من رمضان ، وقال الحسن البصري السابعة عشر وعن انس مرفوعا التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق الحادية والعشرون وقال بعضهم التاسعة والعشرون ، اما الذين قالوا انها الليلة الاولى فقالوا روى وهب ان صحف ابراهيم انزلت في الليلة الاولى من رمضان والتوراة لست ليال مضين من رمضان بعد صحف ابراهيم بسبعماية سنة وانزل الزبور على داود لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التوراة بخمسماية عام ، وانزل الانجيل على عيسى لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بستماية عام وعشرين عاما ، وكان القران ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في كل ليلة قدر من السنة الى السنة كان جبريل عليه السلام ينزل به من بيت العزة في السما السابعة الى سما الدنيا فانزل الله القران في عشرين شهرا في عشرين سنة ، فلما كان هذا الشهر هو الشهر الذي حصلت فيه هذه الخيرات العظيمة لا جرم كان في غاية الشرف والقدر والرتبة فكانت الليلة الاولى منه ليلة القدر ، واما الحسن البصري فانه قال هي الليلة السابعة عشر لانها ليلة كانت صبيحتها وقعة بدر ، واما التاسعة عشر فقد روى انس فيها خبرا ، واما الليلة الحادي والعشرين فقد مال الشافعي اليه لحديث الما والطين ، والذي عليه المعظم انها الليلة السابع والعشرين ، وذكروا فيه امارات ضعيفة ، احدها حديث ابن عباس ان السورة ثلثون كلمة ، وقوله هي السابعة والعشرون منها ، وثانيها روي ان عمر سال الصحابة ثم قال لابن عباس غص يا غواص فقال زيد بن ثابت احضرت اولاد المهاجرين وما احضرت اولادنا فقال عمر لعلك تقول ان هذا غلام ، ولكن عنده ما ليس عندكم فقال ابن عباس احب الاعداد الى الله تعالى الوتر ، واحب الوتر اليه السبعة ، فذكر السموات السبع والارضين السبع والاسبوع ، ودركات النار وعدد الطواف ، والاعضا السبعة ، فدل على انها السابعة والعشرون ، وثالثها نقل ايضا عن ابن عباس انه قال ليلة القدر تسعة احرف وهو مذكور ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرين ، ورابعها انه كان لعثمان ابن ابي العاص غلام فقال يا مولاي ان البحر يعذب ماوه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرون من رمضان ، واما من قال انها هي الليلة الاخيرة قال لانها هي الليلة التي فيها طاعات هذا



الشهر بل اول رمضان كادم واخره كمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلك روي في الحديث يعتق في اخر رمضان بعدد ما اعتق من اول الشهر بل الليلة الاولى كمن ولد له ذكر فهي ليلة شكر ، والاخرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر ، وقد علمت فرق ما بين الصبر والشكر **ثم قال تعالى** وما ادراك ما ليلة القدر ، يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ، ومنتهى علو قدرها ، ثم انه تعالى بين فضيلتها من ثلاثة اوجه ، الاول قوله ليلة القدر خير من الف شهر ، وفيه مسايل **المسئلة الاولى** في تفسير الاية وجوه ، احدها ان العبادة فيها خير من الف شهر ليس فيها هذه الليلة لانه كان يستحيل ان يقال انها خير من الف شهر فيها هذه الليلة ، وانما كان كذلك لما يوتي الله فيها من المنافع والارزاق ، وانواع الخير ، وثانيها قال مجاهد كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد حتى يمسي فعل ذلك الف شهر فتعجب رسول الله والمسلمون من ذلك ، فانزل الله هذه الاية اي ليلة القدر لامتك خير من الف شهر لذلك الاسرائيلي الذي حمل السلاح الف شهر ، وثالثها قال مالك بن انس ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار الناس فاستقصر اعمار امته وخاف ان لا يبلغوا من الاعمار مثل ما بلغه ساير الامم فاعطاه الله ليلة القدر وهي خير من الف شهر لساير الامم ، ورابعها روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال قلت للحسن ابن علي عليه السلام يا مسود وجوه المومنين عمدت الى هذا الرجل فبايعت له يعني معاوية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في منامه بني امية يطاوون منبره واحدا بعد واحد ، وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة فشق ذلك عليه فانزل الله تعالى في ليلة القدر الى قوله خير من الف شهر يعني ملك بني امية قال القاسم فحسبنا ملك بني امية فاذا هو الف شهر طعن القاضي في هذه الوجوه فقال ما ذكر من الف شهر في ايام بني امية بعيد لانه تعالى لا يذكر فضلها بالف شهر مذمومة فايام بني امية كانت مذمومة ، واعلم ان هذا الطعن ضعيف وذلك لان ايام بني امية كانت ايام عظيمة بحسب السعادات الدنيوية فلا يمتنع ان يقول الله اني اعطيتك ليلة هي في السعادات الدينية افضل من تلك السعادات الدنيوية **المسئلة الثانية** هذه الاية فيها بشارة عظيمة ، وفيها تهديد عظيم ، اما البشارة فهي انه تعالى ذكر ان هذه الليلة خير ولم يبين قدر الخيرية ، وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام لمبارزة علي عليه السلام مع عمرو بن ود افضل من عمل امتي الى يوم القيمة فلم يقل مثل عمله بل قال افضل كانه يقول حسبك هذا من الوزن ، والباقي جزاف ، واعلم ان من احياها فكانه عبد الله تعالى نيفا وثمانين سنة ، ومن احياها كل سنة فكانما رزق اعمارا كثيرة ومن احيا الشهر لينالها بيقين فكانه احيا ثلاثين قدرا ، يروى انه يجا يوم القيمة بالاسرائيلي الذي عبد الله اربعماية سنة ، ويجا برجل من هذه الامة وقد عبد الله اربعين سنة فيكون ثوابه اكثر ، فيقول الاسرائيلي انت العدل ، وارى ثوابه اكثر فيقول لانكم كنتم تخافون العقوبة المعجلة فتعبدون وامة محمد كانوا امنين لقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ، ثم انهم كانوا يعبدونني فلهذا السبب كانت عباداتهم افضل ، واما التهديد فهو انه تعالى توعد صاحب الكبيرة بالدخول في النار وان احيا ماية ليلة من القدر لا يخلصه عن ذلك العذاب المستحق بتطفيف حبة واحدة ، فهذا فيه اشارة الى تعظيم الذنب والمعصية **المسئلة الثالثة** لقايل ان يقول صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اجرك على قدر مصيبتك ، ومن المعلوم ان الطاعة في الف شهر اشق من الطاعة في ليلة واحدة فكيف يعقل استواوهما والجواب من وجوه ، احدها ان الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن والقبح بسبب اختلاف الوجوه المنضمة اليه ، الا ترى ان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بكذا درجة مع ان الصورة قد تنقص فان المسبوق سقطت عنه ركعة واحدة ، وايضا فانك تقول لمن يرجم انه انما يرجم لانه زان فهو قول حسن ولو قلته للنصراني فقذف يوجب التعزير ولو قلته للمحصن فهو يوجب الحد فقد اختلفت الاحكام في هذه المواضع مع ان الصورة واحدة في الكل ، بل لو قلته في حق عايشة كان كفرا ، ولذلك قال وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، وذلك لانه طعن في حق عايشة التي كانت رحلة في العلم لقوله عليه الصلاة والسلام خذوا ثلثي دينكم عن الحميرا ، وطعن في صفوان مع انه كان رجلا بدريا وطعن في كافة المومنين لانها ام المومنين ، وللولد حق المطالبة بقذف الام وان كان كافرا بل طعن في النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان اشد الناس غيرة بل طعن في حكمة الله اذ لا يجوز ان يتركه حتى يتزوج بامراة زانية بل القايل بقوله هذا زان فقد ظن ان هذه اللفظة سهلة مع انها اثقل من الجبال فقد ثبت بهذا ان الافعال تختلف اثارها في الثواب والعقاب لاختلاف وجوهها فلا يبعد ان تكون الطاعة القليلة في الصورة مساوية في الثواب للطاعات الكثيرة ، والوجه الثاني في الجواب ان مقصود الحكيم سبحانه ان يجر الخلق الى الطاعات ، فتارة يجعل ثمن الطاعة ضعفين فقال ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ، ومرة عشرا ، ومرة سبعماية ، وتارة بحسب الازمنة ، وتارة بحسب الامكنة ، والمقصود الاصلي من الكل جر المكلف الى الطاعة ، وصرفه عن الاشتغال بالدنيا ، فتارة يرجح البيت وزمزم على ساير البلاد ، وتارة يفضل رمضان على ساير الشهور ، وتارة يفضل الجمعة على ساير الايام ، وتارة يفضل ليلة القدر على ساير الليالي ، والمقصود ما ذكرنا ، الوجه الثاني من فضايل هذه الليلة **قوله تعالى** تنزل الملائكة والروح فيها ، فيه مسايل **المسئلة الاولى** اعلم ان نظر الملائكة الى الارواح ، ونظر البشر على الاشباح ، ثم ان الملائكة لما راوك محلا للصفات الذميمة من الشهوة والغضب ما قبلوك فقالوا اتجعل فيها من يفسد

ان الفعل الواحد قد يختلف حاله في الحسن والقبح

فيها ويسفك الدماء والابوان لما راوا اقبح صورتك في اول الامر حين كنت منيا ما قبلوك ايضا بل اظهروا النفرة واستقذروا
ذلك المني والعلقة وغسلوا ثيابهم عنه ثم كما احالوا للاسقاط والابطال ثم انه تعالى لما اعطاك الصورة الحسنة
فالابوان لما راوا تلك الصورة الحسنة قبلوك ومالوا اليك فكذا الملائكة لما راوا في روحك الصورة الحسنة وهي
معرفة الله وطاعته احبوك فنزلوا اليك معتذرين على ما قالوه اولا فهذا هو المراد من قوله تنزل الملائكة فاذا
نزلوا اليك راوا روحك في ظلمة ليل البدن وظلمة القوى الجسمانية فحينئذ يعتذرون عما تقدم ويستغفرون للذين
امنوا **المسألة الثانية** ان قوله تعالى تنزل الملائكة يقتضي ظاهره نزول كل الملائكة ثم ان الملائكة لهم كثرة عظيمة
لا يحتمل كلهم الارض فلهذا السبب اختلفوا فقال بعضهم انها تنزل باسرهم الى السماء الدنيا فان قيل الاشكال بعد
باق لان السماء مملوءة بحيث لا يوجد فيه موضع اهاب الا وفيه ملك فكيف تسع الجمع سماء واحدة قلنا يقضي بعموم الكتاب على
خبر الواحد كيف والمروي انهم ينزلون فوجا فوجا فمن نازل وصاعد كاهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة بالكلية
لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مده الى غاية طلوع الفجر ولذلك ذكره بلفظ تنزل الذي يفيد المرة بعد المرة
والقول الثاني وهو اختيار الاكثرين انهم ينزلون الى الارض وهو الاوجه لان الغرض هو الترغيب في احياء هذه الليلة
ولانه دلت الاحاديث على ان الملائكة ينزلون في سائر الايام الى مجالس الذكر والدين فلان يحصل ذلك في هذه الليلة مع
علو شأنها اولى ولان النزول المطلق لا يفيد الا النزول من السماء الى الارض ثم اختلف من قال ينزلون الى الارض
على وجوه احدها قال بعضهم ينزلون ليروا عبادة البشر وجدهم واجتهادهم في الطاعة وثانيها ان الملائكة
قالوا وما نتنزل الا بامر ربك فهذا يدل على انهم كانوا مأمورين بذلك النزول فلا يدل على غاية المحبة اما هذه الاية
وهو قوله باذن ربهم فانها تدل على انهم استأذنوا اولا فأذنوا وذلك يدل على غاية المحبة لانهم كانوا يرغبون
الينا ويتمنون لقاءنا لكن كانوا ينتظرون الاذن فان قيل قوله وانا لنحن الصافون ينافي قوله تنزل الملائكة
قلنا نصرف الحالتين الى وقتين مختلفين وثالثها انه تعالى وعد في الاخرة ان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم فههنا في الدنيا لو اشتغلت بعبادة ربي لنزلت الملائكة عليك حتى يدخلوا عليك للتسليم والزيارة
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم ينزلون ليسلموا علينا وليشفعوا لنا فمن اصابته التسليمة غفر له ذنبه ورابعها
ان الله تعالى جعل فضيلة هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الارض فهم ينزلون الى الارض لتصير طاعاتهم
اكثر ثوابا كما ان الرجل يذهب الى مكة لتصير طاعاته هناك اكثر ثوابا وكل ذلك ترغيب للطاعة وخامسها ان الانسان
يأتي بالطاعات والخيرات عند حضور الاكابر من العلماء والزهاد احسن مما يكون في الخلوة فالله تعالى
انزل الملائكة المقربين حتى ان المكلف يعلم انه انما يأتي بالطاعات في حضور اولئك العلماء العباد الزهاد فيكون اتم وعن النقصان
ابعد وسادسها ان من الناس من خص لفظ الملائكة ببعض فرق الملائكة عن كعب ان سدرة المنتهى على حد السماء السابعة
مما يلي الجنة فهي على حد هواء الدنيا وهواء الاخرة وساقها في الجنة واغصانها تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عددهم
الا الله يعبدون الله ومقام جبريل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبريل
ليلة القدر فلا يبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجد او قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع احدا
من الناس الا صافحه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحة جبريل عليه السلام
من قال فيها لا اله الا الله غفر له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وادخله الجنة بواحدة واول من يصعد جبريل
حتى يصير امام الشمس فيبسط جناحين اخضرين لا ينشرهما الا تلك الساعة من يوم تلك الليلة ثم يدعو ملكا ملكا
فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكة ونور جناح جبريل عليه السلام فيقيم جبريل ومن معه من الملائكة بين الشمس وسماء الدنيا
يومهم ذلك مشتغلين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين ولمن صام رمضان احتسابا فاذا امسوا دخلوا السماء
الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فيجتمع اليهم ملائكة السماء فيسألونهم عن رجل رجل وعن امراة امراة حتى يقولوا ما فعل
فلان وكيف وجدتموه فيقولون وجدناه عام اول متعبدا وفي هذا العام مبتدعا وفلان كان عام اول
مبتدعا وهذا العام متعبدا فيكفون عن الدعاء للاول ويشتغلون بالدعاء للثاني ووجدنا فلانا تاليا
وفلانا راكعا وفلانا ساجدا فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدوا الى السماء الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء
حتى ينتهوا الى السدرة فتقول لهم السدرة يا سكاني حدثوني عن الناس فان لي عليكم حقا واني احب من احب الله
فذكر كعب انهم يعدون لها الرجل والمراة باسمائهم واسماء ابائهم ثم يصل ذلك الخبر الى الجنة فتقول الجنة اللهم عجلهم
الي والملائكة واهل السدرة يقولون امين امين واذا عرفت ذلك فنقول كلما كان المجمع اعظم كان نزول الرحمة
هناك اكثر ولذلك فان اعظم الجموع في موقف الحج لا جرم كان نزول الرحمة هناك اكثر **المسألة الثالثة**






ذكروا في الروح اقوالا احدها انه ملك عظيم لو التقم السموات والارضين كان ذلك له لقمة واحدة وثانيها طائفة
من الملائكة لا تراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم الا يوم العيد وثالثها خلق من خلق الله يأكلون
ويلبسون ليسوا من الملائكة ولا من الانس ولعلهم خدم اهل الجنة ورابعها يحتمل انه عيسى عليه السلام لانه اسمه
ثم انه ينزل في موافقة الملائكة ليطالع امة محمد صلى الله عليه وسلم وخامسها انه القرآن وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا وسادسها الرحمة قرئ لا تيأسوا من روح الله كأنه تعالى يقول الملائكة ينزلون ورحمتي تنزل في اثرهم
فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الاخرة وسابعها الروح اشرف الملائكة وثامنها عن ابي نجيح الروح هم الحفظة
الكرام الكاتبون فصاحب اليمين يكتب اتيانه بالواجب وصاحب الشمال يكتب تركه القبيح والاصح ان الروح ههنا جبريل
وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه كأنه تعالى يقول الملائكة في كفة والروح في كفة **اما قوله تعالى** باذن ربهم فقد ذكرنا ان
هذا يدل على انهم كانوا مشتاقين الينا فان قيل كيف يرغبون الينا مع علمهم بكثرة معاصينا قلنا لا يقفون على تفصيل
المعاصي روي انهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة فاذا وصلوا الى معاصيه ارخي الستر فلا يرونه
فحينئذ يقولون سبحان من اظهر الجميل وستر القبيح ثم قد ذكرنا فوائد في نزولهم ونذكر الان فوائد اخرى وهاهنا انهم
يرون في الارض من انواع الطاعات اشياء ما رأوها في عالم السموات احدها ان الاغنياء يجيئون بالطعام من بيوتهم فيجعلونه
ضيافة للفقراء والفقراء ياكلون طعام الاغنياء ويعبدون الله وهذا نوع من الطاعة لا يرونه في السموات
وثانيها انه تعالى قال لانين المذنبين احب الي من زجل المسبحين فقالوا تعالوا نذهب الى الارض فنسمع صوتا هو احب الى ربنا
من صوت تسبيحنا وكيف لا يكون احب وزجل المسبحين اظهار لكمال حال المطيعين وانين العصاة لعبادة رب الارض والسموات
**المسألة الثانية** هذه الاية دالة على عصمة الملائكة ونظيرها قوله وما نتنزل الا بامر ربك وقوله لا يسبقونه
بالقول وفيها دقيقة وهي انه تعالى لم يقل مأذونين بل قال باذن ربهم وهو اشارة الى انهم لا يتصرفون تصرفا الا باذنه ومن ذلك
قول الرجل لامرأته ان خرجت الا باذني فانه يعتبر الاذن في كل خرجة **المسألة الثالثة** قوله ربهم يفيد تعظيما للملائكة
وتحقيرا للعصاة كأنه تعالى قال كانوا لي فكنت لهم ونظيره في حقنا ان ربكم الله الذي خلق السموات وقال لمحمد عليه الصلاة
والسلام واذ قال ربك ونظيره ما روي ان داود لما مرض مرض الموت قال الهي كن لسليمان كما كنت لي فنزل الوحي وقال قل
لسليمان ان يكن لي كما كنت لي وروي عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه فقد الضيف اياما فخرج بالسفرة ليلتمس ضيفا فاذا بخيمة فنادى
اتريدون الضيف فقيل نعم فقال للمضيف ايوجد عندك ادام لبن او عسل فرفع الرجل صخرتين وضرب احداهما بالاخرى فانشقتا
فخرج من احداهما لبن ومن الاخرى العسل فتعجب ابراهيم وقال انا خليلك ولم اجد مثل ذلك الاكرام فما له فنزل الوحي يا خليلي كان لنا
نكالة **اما قوله تعالى من كل امر** فمعناه تنزل الملائكة والروح فيها من اجل كل امر والمعنى ان كل واحد منهم انما نزل لمهم
اخر ثم ذكروا فيه وجوها احدها انهم كانوا في اشغال كثيرة فبعضهم بالركوع وبعضهم بالسجود وبعضهم بالدعاء وكذا القول
في التفكر والتعليم وابلاغ الوحي وبعضهم لادراك فضيلة الليلة او ليسلموا على المؤمنين وثانيها وهو قول الاكثرين من اجل
كل امر قدر في تلك السنة من خير او شر وفيه اشارة الى ان نزولهم انما كان عبادة فكأنهم قالوا ما نزلنا الى الارض لهوى لكن
كل امر فيه مصلحة المكلفين وعم لفظ الامر ليعم خير الدنيا والاخرة بيانا منه انهم ينزلون بما هو صلاح المكلف في دينه ودنياه
كان السائل يقول من اين جئت فيقول ما لك وهذا الفضول ولكن قل لاي امر جئت لانه حظك وثالثها قرأ بعضهم من كل امرئ
اي من اجل كل انسان وروي انهم لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه فان قيل اليس انه قد روي انه تقسم الاجال
والارزاق ليلة النصف من شعبان والان تقولون ان ذلك يكون ليلة القدر قلنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله يقدر المقادير في ليلة البراءة فاذا كان ليلة القدر يسلمها الى اربابها وقيل يقدر ليلة البراءة الاجال والارزاق وليلة
القدر يقدر الامور التي فيها الخير والبركة والسلامة وقيل يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به اعزاز الدين وما فيه النفع
العظيم للمسلمين واما ليلة البراءة فيكتب فيها اسماء من يموت وتسلم الى ملك الموت الوجه الثالث من فضائل هذه الليلة
**قوله تعالى** سلام هي حتى مطلع الفجر وفيه مسائل **المسألة الاولى** في قوله سلام وجوه احدها ان ليلة
القدر الى طلوع الفجر سلام اي تسلم الملائكة على المطيعين وذلك لان الملائكة ينزلون فوجا فوجا من ابتداء الليل الى طلوع
الفجر فترادف النزول لكثرة السلام وثانيها وصفت الليلة بانها سلام ثم يجب ان لا يستحقر هذا السلام لان سبعة
من الملائكة سلموا على الخليل في قصة العجل فازداد فرحه بذلك على فرحه بملك الدنيا بل الخليل لما سلم الملائكة عليه صارت نار نمرود عليه
بردا وسلاما افكي ضيافة الخليل لم كانت عجلا مشويا وهم يريدون ان يخلا مشويا بل فيه دقيقة وهي اظهار فضل هذه
الامة فان هناك الملائكة نزلوا على الخليل وههنا نزلوا على امة محمد صلى الله عليه وسلم وثانيها انها سلام من الشرور والافات
اي سلامة وهذا كما يقال انما فلان حج وغزو اي هو ابدا مشغول بهما ومثله فانما هي اقبال وادبار وقال الاخر

قيل اليس انه قد روي انه تقسيم الاجال والارزاق
ليله نصف من شعبان

الملئكة والروح في ليلة القدر بالخيرات والسعادات ولا ينزل فيها من تقدير المضار شيء فما ينزل في هذه الليلة فهو سلام
اي سلامة ونفع وخير • وثالثها قال ابو مسلم سلام اي الليلة سالمة عن الرياح والاذى والصواعق الى ما اشبه ذلك • ورابعها
سلامة لا يستطيع الشيطان فيها سوءا • وخامسها ان الوقف عند قوله من كل امر سلام فيتصل السلام بما قبله • ومعناه ان
تقدير الخير والبركة والسلام يدوم الى طلوع الفجر وهذا الوجه ضعيف • وسادسها انها من اولها الى مطلع الفجر سالمة
في ان العبادة في كل واحد من اجزائها خير من الف شهر ليست كسائر الليالي في انه يستحب للفرض الثلث الاول • وللعبادة النصف
وللدعاء السحر بل هي متساوية الاوقات والاجزاء • وسابعها سلام هي اي جنة هي لان السلام من اسماء الجنة لم دار السلام اي
دار الجنة المصونة من السلامة المسئلة الثانية المطلع الطلوع • يقال طلع الفجر طلوعا ومطلعا والمعنى انه يدوم
ذلك السلام الى طلوع الفجر • ومن قرأ بكسر اللام فهو اسم لوقت الطلوع • وكذا مكان الطلوع مطلع قاله الزجاج • اما ابو عبيدة
والفراء وغيرهما فانهم اختاروا فتح اللام لانه بمعنى المصدر • وقالوا الكسر اسم نحو المشرق ولا معنى لاسم موضع الطلوع ههنا
بل ان حمل على ما ذكره الزجاج من اسم وقت الطلوع صح قال ابو علي ويمكن حمله على المصدر ايضا لان من المصادر التي ينبغي ان تكون
على المفعل ما قد كسر كقولهم علاه المكبر والمجبر • وقوله ويسئلونك عن المحيض فكذلك كسر المطلع جاء شاذا عما عليه بابه • والله اعلم

## سورة لم يكن ثمان آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة
اعلم ان في الآية مسائل المسئلة الاولى قال الواحدي في كتاب البسيط هذه الآية اصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا
وقد تخبط فيها الكبار من العلماء ثم انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها • وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا
منفكين حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول • ثم انه تعالى لم يذكر انهم منفكون عما ذا لكنه معلوم ان المراد هو الكفر الذي كانوا
عليه • فصار التقدير لم يكن الذين منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضي
انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول • ثم قال بعد ذلك وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة
وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام فحينئذ يحصل بين الآية الاولى والآية الثانية مناقضة
في الظاهر • هذا منتهى الاشكال فيما اظن • والجواب عنه من وجوه • اولها واحسنها الذي لخصه صاحب الكشاف
هو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن
عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم
فحكى الله تعالى ما كانوا يقولون • ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق
اذا جاءهم الرسول • ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول • ونظيره في الكلام ان يقول الفاسق لمن يعظه
لست بممتنع مما انا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقني الله الغنى فلما رزقه الله الغنى ازداد فسقا فيقول واعظه
لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما
وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة حكاية عنهم وقوله
تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب هو اخبار عن الواقع • والمعنى ان الذي وقع كان بخلاف ما ادعوا • وثانيها ان تقدير الآية
لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة • وعلى هذا التقدير يزول الاشكال • هكذا ذكره القاضي الا ان تفسير
لفظة حتى بهذا ليس من اللغة في شيء • وثالثها انا لا نحمل قوله منفكين عن كفرهم بل عن ذكر محمد بالمناقب والفضائل والمعنى لم يكن الذين
كفروا منفكين عن ذكر محمد صلى الله عليه وسلم بالمناقب والفضائل حتى تأتيهم البينة قال ابن عرفة اي اتتهم فاللفظ لفظ
المضارع ومعناه الماضي • وهو كقوله تعالى ما تتلوا الشياطين اي ما تلت • والمعنى انهم ما كانوا منفكين عن ذكر مناقبه
ثم لما جاءهم محمد تفرقوا فيه وقال كل احد قولا آخر رديا • ونظيره قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا • فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به • والقول المختار في هذه الآية هو الاول • وفي الآية وجه رابع وهو انه تعالى حكم على الكفار انهم
ما كانوا منفكين عن كفرهم الى وقت مجيء الرسول وكلمة حتى تقتضي ان تكون الحال بعد ذلك بخلاف ما كان قبل ذلك والامر هكذا
كان لان ذلك المجموع ما بقوا على الكفر بل تفرقوا • فمنهم من صار مؤمنا ومنهم من صار كافرا ولما لم يبق حال اولئك الجمع بعد مجيء
الرسول كما كان قبل مجيئه كفى ذلك في اعمال لفظ حتى • وفيها وجه خامس وهو ان الكفار كانوا قبل مبعث الرسول منفكين
عن التردد في كفرهم بل كانوا جازمين به معتقدين في حقيته ثم زال ذلك الجزم بعد مبعث الرسول بل بقوا شاكين متحيرين

الفريقين

في ذلك الدين

في ذلك الدين وفي عبادة الاوثان • ونظيره قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين والمعنى ان الناس
[illegible] • وكذا النصارى في [illegible] • فلما بعث الله محمدا
عليه الصلاة والسلام اضطربت الاهواء والافكار [illegible] • وقوله منفكين [illegible]
[illegible]
المسئلة الثانية [illegible]
[illegible] السؤال الاول [illegible]
[illegible] الجواب [illegible]
[illegible] السؤال الثاني [illegible]
[illegible]
قال تعالى حكاية عنهم ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا • والطائفتان هما اليهود والنصارى السؤال الثالث
ما الفائدة في تقديم اهل الكتاب في الكفر على المشركين حيث قال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الجواب ان الواو لا تفيد الترتيب
ومع هذا ففيه فوائد • احدها ان السورة مدنية فكان اهل الكتاب هم المقصودون بالذكر • وثانيها انهم كانوا علماء بالكتب
فكانت قدرتهم على معرفة صدق محمد صلى الله عليه وسلم اتم فكان اصرارهم على الكفر اقبح • وثالثها انهم لكونهم علماء يقتدي غيرهم
بهم فكان كفرهم اصلا لكفر غيرهم • فلهذا قدموا في الذكر • ورابعها انهم لكونهم اشرف من غيرهم فقدموا في الذكر • ~~ورابعها
انهم لكونهم علماء اشرف من غيرهم فقدموا في الذكر~~ السؤال الرابع لم قال من اهل الكتاب ولم يقل من اليهود والنصارى
الجواب لان قوله اهل الكتاب يدل على كونهم علماء وذلك يقتضي اما مزيد تعظيم فلا جرم ذكروا بهذا اللقب دون اليهود والنصارى
او لان كونه عالما يقتضي مزيد قبح في كفره فذكروا بهذا الوصف تنبيها على تلك الزيادة من العقاب • المسئلة الثالثة هذه
الآية فيها احكام تتعلق بالشرع • احدها انه تعالى فسر قوله الذين كفروا باهل الكتاب وبالمشركين • فهذا يقتضي كون الكل واحدا
في الكفر فمن ذلك قال العلماء الكفر كله ملة واحدة فالمشرك يرث اليهودي وبالعكس • والثاني ان العطف اوجب المغايرة فلذلك
نقول الذمي ليس بمشرك وقال عليه الصلاة والسلام غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم • فاثبت التفرقة بين الكتابي والمشرك
الثالث نبه بذكر اهل الكتاب انه لا يجوز الاغترار باهل العلم اذ قد حدث في اهل القرآن ما حدث في الامم الماضية المسئلة الرابعة
قال القفال الانفكاك هو انفراج الشيء عن الشيء • واصله من الفك وهو الفتح والزوال • ومنه فككت الكتاب اذا ازلت ختمه
ففتحته ومنه فكاك الرهن وهو زوال الانغلاق الذي كان عليه الا ترى ان ضد قوله انفك الرهن غلق الرهن ومنه فكاك الاسير
وفكه فثبت ان انفكاك الشيء من الشيء هو ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك عن مفصله • والمعنى انهم متشبثون بدينهم
تشبثا قويا لا يزايلونه الا عند مجيء البينة • واما البينة فهي الحجة الظاهرة التي بها يتميز الحق من الباطل وهي من البيان او البينونة
لانها تبين الحق من الباطل ~~وهو من البيان او البينونة~~ • وفي المراد من البينة في هذه الآية اقوال • الاول انها هي الرسول • ثم ذكروا
في انه لم سمي الرسول بالبينة وجوها • الاول ان ذاته كانت بينة على نبوته وذلك لانه عليه الصلاة والسلام كان في نهاية
الجد في تقرير النبوة والرسالة • ومن كان كذا اما ان كان مضيعا فانه لا يأتي منه ذلك الجد المتناهي فلم يبق فيه الا ان يكون صادقا في
معنوها • والثاني معلوم البطلان لانه كان في غاية كمال العقل فلم يبق الا انه كان صادقا • والثاني ان مجموع الاخلاق الحاصلة
فيه كان بالغا الى حد الاعجاز • والجاحظ قرر هذا المعنى والغزالي نصره في كتاب المنقذ فاذن لهذين الوجهين سمي في نفسه
بانه بينة • الثالث ان معجزاته عليه الصلاة والسلام كانت في غاية الظهور وكانت ايضا في غاية الكثرة فلاجتماع هذين
الامرين جعل كانه عليه الصلاة والسلام في نفسه بينة وحجة ولذلك سماه الله تعالى سراجا منيرا • واحتج القائلون بان
المراد من البينة هو الرسول • بقوله تعالى بعد هذه الآية رسول من الله فهو رفع على البدل من البينة • وقرأ عبد الله رسولا

ومن ذلك قال العلماء الكفر ملة واحدة فالمشرك يرث اليهودي

خالامن البينة • قالوا واللام في قوله البينة للتعريف اي هو الذي سبق ذكره في التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى او
يقال انها للتفخيم اي هو البينة التي لا مزيد عليها او البينة كل البينة • والتعريف قد يكون للتفخيم وكذا التنكير وقد جمعهما الله
هاهنا في حق الرسول عليه السلام فبدا بالتعريف وهو لفظ البينة • ثم ثنى بالتنكير فقال رسول من الله اي هو رسول
واي رسول • ونظيره ما ذكره الله تعالى في الثنا على نفسه فقال ذو العرش المجيد • ثم قال فعال فنكر بعد التعريف
القول الثاني ان المراد من البينة مطلق الرسل وهو قول ابي مسلم قال المراد من قوله حتى تاتيهم البينة اي حتى تاتيهم رسل
من ملايكة الله تتلو عليهم صحفا مطهرة وهو كقوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء • وكقوله بل يريد كل
امرء منهم ان يؤتى صحفا منشرة • القول الثالث وهو قول قتادة وابن زيد البينة هي القران • ونظيره قوله اولم تاتهم
بينة ما في الصحف الاولى • ثم قوله بعد ذلك رسول من الله لا بد فيه من مضاف محذوف • والتقدير وتلك البينة وحي
رسول من الله يتلو صحفا مطهرة • اما قوله تعالى يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة • فاعلم ان الصحف جمع صحيفة وهي ظرف
للمكتوب • وفي المطهرة وجوه • احدها انها مطهرة وهي كقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • وقوله
مرفوعة مطهرة • وثانيها مطهرة عن الذكر القبيح • فان القران يذكر باحسن الذكر ويثني عليه احسن الثنا • وثالثها
ان يقال مطهرة اي ينبغي ان لا يمسها الا المطهرون • كقوله تعالى في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون • واعلم ان المطهرة
وان جرت نعتا للصحف في الظاهر فهي نعت لما في الصحف وهو القران • وقوله كتب قيمة فيه قولان • احدهما المراد من الكتب
الايات المكتوبة في الصحف • والثاني قال صاحب النظم الكتب قد تكون بمعنى الحكم كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي • ومنه
حديث العسيف لاقضين بينكما بكتاب الله اي بحكم الله • فيحتمل ان يكون المراد من قوله كتب قيمة • اما القيمة ففيها قولان
الاول قال الزجاج مستقيمة لا عوج فيها تبين الحق من الباطل من قام يقوم كالسيد والميت وهو كقولهم قام الدليل
على كذا اذا ظهر واستقام • الثاني ان تكون القيمة بمعنى القايمة اي هي قايمة مستقلة بالحجة والدلالة من قولهم قام فلان بالامر
يقوم به اذا اجراه على وجهه • ومنه يقال القايم بامر القوم القيم • فان قيل كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة الى
الرسول مع انه كان اميا • قلنا اذا تلا مثل المسطور في تلك الصحف كان تاليا ما فيها • وقد جا في كتاب منسوب الى جعفر الصادق
انه عليه السلام كان يقرا من الكتاب وان كان لا يكتب ولعل هذا كان من معجزاته • اما قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاتهم البينة • ففيه مسايل المسلة الاولى في هذه الاية سوال وهو انه تعالى ذكر في اول السورة
اهل الكتاب والمشركين • وهاهنا ذكر اهل الكتاب فقط فما السبب فيه • وجوابه من وجوه • احدها ان المشركين لم
يبقوا على دينهم فمن امن فهو المراد ومن لم يومن قتل بخلاف اهل الكتاب الذين يقرون على كفرهم ببذل الجزية • وثانيها ان
اهل الكتاب كانوا عالمين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب انهم وجدوها في كتبهم • فاذا وصفوا بالتفرق مع العلم كان
من لا كتاب له ادخل في هذا الوصف المسلة الثانية قال الجبائي هذه الاية تبطل قول القدرية الذين قالوا ان الناس
تفرقوا في الشقاوة والسعادة في اصلاب الابا • وقبل ان تاتيهم البينة والجواب انه هذا ركيك لان المراد منه
علم الله بذلك وارادته له حاصل في الازل اما ظهوره من المكلف فانما وقع بعد الحالة المخصوصة المسلة الثالثة
قالوا هذه الاية دالة على ان الكفر والتفرق فعلهم لا انه مقدر عليهم لانه قال الا من بعد ما جاتهم البينة ثم قال واوتوا الكتاب
اي ان الله ومكنه انما هو ذلك بالخير والتوفيق مضاف الى الله والشر والتفرق والكفر مضاف اليهم المسلة الرابعة
المقصود من هذه الاية تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم اي لا يغمنك تفرقهم فليس ذلك لقصور في الحجة بل لعنادهم
فسلفهم هكذا كانوا لم يتفرقوا في السبت وعبادة العجل الا من بعد ما جاتهم البينة فهي عادة قديمة لهم قال تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين [illegible] وفيه مسايل المسلة الاولى [illegible]
[illegible]

الصحف جمع صحيفة

افتقر الى غرض آخر فيلزم التسلسل وهو محال • ولانه ان عجز عن تحصيل ذلك الغرض الا بتلك الواسطة فهو عاجز وان كان
قادرا عليه فتوسط تلك الواسطة يكون عبثا فثبت انه لا يمكن حمله على ظاهره فلا بد فيه من التاويل • ثم قال الفرا العرب
تجعل اللام في موضع ان في الامر والارادة كثيرا من ذلك قوله تعالى يريد الله ليبين لكم • ويريدون ليطفيوا • وقال
في الامر وامرنا لنسلم لرب العالمين وهي في قراة عبد الله وما امروا الا ان يعبدوا الله فثبت ان المراد وما امروا الا ان يعبدوا
الله مخلصين له الدين • والاخلاص عبارة عن النية الخالصة والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد
دلت الاية على ان كل مامور به فلا بد وان يكون منويا • ثم قالت الشافعية الوضوء مامور به في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم ودلت هذه الاية على ان كل مامور به يجب ان يكون منويا فيلزم من مجموع الايتين وجوب كون الوضوء منويا
واما المعتزلة فانهم يوجبون تعليل افعال الله واحكامه بالاغراض لا جرم اجروا الاية على ظاهرها فقالوا معنى الاية وما
امروا بشي الا لاجل ان يعبدوا الله • والاستدلال على هذا القول ايضا قوي لان التقدير وما امروا بشي الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين في ذلك الشي وهذا ايضا يقتضي اعتبار النية في جميع المامورات • فان قيل النظر في معرفة الله مامور به
ويستحيل اعتبار النية فيه لان النية لا يمكن اعتبارها الا بعد المعرفة فما كان قبل المعرفة لا يمكن اعتبار النية فيه • قلنا هب
انه خص عموم الاية في هذه الصورة بحكم الدليل العقلي الذي ذكرتم فيبقى في الباقي حجة المسلة الثالثة قوله امروا
مذكور بلفظ ما لم يسم فاعله وهو كقوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص قالوا فيه وجوه • احدها كانه تعالى يقول
العبادة شاقة ولا اريد مشقتك ارادة اصلية بل ارادتي لعبادتك كارادة الوالدة لحجامتك • ولهذا امال الامر الى الرحمة
قال كتب ربكم على نفسه الرحمة كتب في قلوبهم الايمان • وذكر في الواقعات اذا اراد الاب من ابنه عملا يقول ينبغي ان تفعل
هذا ولا يامره صريحا لانه ربما يرد عليه فتغلظ جنايته • فهاهنا ايضا لم يصرح بالامر لتخف جناية الرد • وثانيها انا على الحسن
والقبح العقلي نقول كانه تعالى يقول لست انا الامر للعبادة فقط بل عقلك يامرك لان النهاية في التعظيم لمن وصل اليك
نهاية الانعام واجبة في العقول المسلة الرابعة اللام في قوله وما امروا الا ليعبدوا الله يدل على مذهب اهل
السنة حيث قالوا العبادة ما وجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة او الى البعد عن عقاب النار بل لاجل انك عبد وهو رب
فلو لم يحصل في الدين ثواب ولا عقاب البتة ثم امرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية • وفيه ايضا اشارة الى انه من عبد الله
للثواب والعقاب • فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة ونعم ما قيل من اثر العرفان للعرفان فقد قال
بالثاني • ومن اثر العرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض لجة الوصول المسلة الخامسة العبادة هي التذلل ومنه
طريق معبد اي مذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطا لان جماعة عبدوا الملايكة والمسيح والاصنام وما اطاعوهم ولكن في
الشرع صارت اسما لكل طاعة لله اديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم واعلم ان العبادة بهذا المعنى لا يستحقها الا من
يكون واحدا في صفاته الذاتية والفعلية • فان كان له مثل لم يجز ان يصرف اليه النهاية في التعظيم • ثم نقول لا بد في كون الفعل
عبادة من شيين • احدهما غاية التعظيم • ولذلك قلنا ان صلاة الصبي ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة الله تعالى فلا يكون فعله
غاية التعظيم • والثاني ان يكون مامورا به • ففعل اليهودي ليس بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لانه غير مامور به • والنكتة
الوعظية فيه ان فعل الصبي ليس بعبادة لفقد التعظيم • وفعل اليهودي ليس بعبادة لفقد الامر فكيف يكون ركوعك الناقص
عبادة ولا امر ولا تعظيم المسلة السادسة الاخلاص هو ان ياتي بالفعل خالصا لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من
الدواعي تاثير في الدعا الى ذلك الفعل والنكتة الوعظية فيه من وجوه • احدها كانه تعالى يقول عبدي لا تسع في اكثار الطاعة
بل في اخلاصها لاني ما بذلت كل مقدوري لك حتى اطلب منك كل مقدورك بل بذلت البعض فاطلب البعض نصفا من العشرين
وشاة من الاربعين لكن القدر الذي فعلته لم ارد بفعله سواك فلا ترد بطاعتك سواي فلا تستثن من طاعتك لنفسك حظا
من ان تستثنيه لغيرك • فمن ذلك المباح الذي يوجد منك في الصلاة كالحكة والتنحنح فهو حظ استثنيته لنفسك
فانتفى الاخلاص • واما الالتفات المكروه فذاك حظ الشيطان • وثانيها كانه تعالى قال يا عقل انت حكيم لا تميل الى الجهل
والسفه وانا حكيم لا افعل ذلك البتة فاذن لا تريد الا ما اريد ولا اريد الا ما تريد • ثم انه سبحانه ملك العالمين والعقل ملك
لهذا البدن فكانه تعالى بفضله قال الملك لا يخدم الملك لكن لا يصطلح اجعل جميع ما افعله لاجلك هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا فاجعل انت ايضا جميع ما تفعله لاجلي وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين • واعلم ان قوله مخلصين
نصب على الحال فهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتدا الفعل الى انتهايه والمخلص هو الذي ياتي بالحسن لحسنه
والواجب لوجوبه • فياتي بالفعل لوجهه مخلصا لربه لا يريد ريا ولا سمعة ولا غرضا اخر بل قالوا لا يجعل طلب الجنة مقصودا
ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لا بد من ذلك • وفي التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير • وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل
وقالوا من الاخلاص ان لا يزيد في العبادة عبادة اخرى لاجل الغير مثلا الواجب من الاضحية شاة فاذا ذبحت اثنين واحدة

لله وواحدة للأمير لم يجز لأنه شرك وإن زدت في الخشوع لأن الناس يرونه لم يجز فهذا إذا خلطت العبادة بعبادة أخرى فكيف ولو خلطت بها محظورا مثل أن تتقدم على إمامك بل لا يجوز دفع الزكاة إلى الوالدين والمولودين ولا العبيد ولا الإماء لأنه لم يخلص فإذا طلبت سرور والدك أو ولدك يزول الإخلاص فكيف إذا طلبت مسرة شهوتك كيف يبقى الإخلاص وقد اختلف ألفاظ السلف في معنى قوله مخلصين قال بعضهم مقرين لله بالعبادة وقال آخرون قاصدين بقلوبهم رضى الله في العبادة وقال الزجاج أي يعبدونه موحدين له لا يعبدون معه غيره ويدل على هذا قوله وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا أما

قوله تعالى حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ففيه أقوال الأول قال مجاهد متبعين دين إبراهيم عليه السلام ولذلك قال تعالى أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهذا التفسير فيه لطيفة كأنه سبحانه لما علم أن التقليد مستولي على الطباع لم يستحسن منعه عن التقليد بالكلية ولم يستحسن التعويل على التقليد أيضا بالكلية فلا جرم ذكر قوما أجمع الخلق بالكلية على تزكيتهم وهو إبراهيم ومن معه فقال لقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه وكأنه تعالى قال إن كنت تقلد أحدا في دينك فكن مقلدا إبراهيم حيث تبرأ من الأصنام وهذا غير عجيب فإنه تبرأ من نفسه حين سلمها إلى النيران وعن ماله حين بذله للضيفان وعن ولده حين بذله للقربان بل روي أنه سمع سبوح قدوس فاستطابه ولم ير شخصا فاستعاده فقال أما بغير أجر فلا فبذل كل ما ملكه فظهر له جبريل عليه السلام وقال حق لك حيث سماك خليلا فخذها لك فإن قال قائل كيف انقطع إلى الله حتى عن جبريل حين قال له أما إليك فلا فالحق سبحانه كأنه يقول إن كنت عابدا فاعبد كعبادته فإذا لم تترك الحلال وأبواب السلاطين أما تترك الحرام وموافقة الشياطين فإن لم تقدر على موافقة إبراهيم فاجتهد في متابعة ولده الصبي كيف انقاد لحكم ربه مع صغره فمد عنقه لحكم الرؤيا وإن كنت دون الرجل فاتبع الموسوم بنقصان العقل وهو أم الذبيح كيف تجرعت تلك الغصة ثم إن الحرة نصف الرجل فإن الثنتين تقومان مقام الرجل الواحد في الشهادة والإرث والرقيقة نصف الحرة بدليل أن للحرة ليلتين من القسم فهاجر كانت ربع الرجل ثم انظر إنها كيف أطاعت ربها فتحملت المحنة في ولدها ثم صبرت حين تركها الخليل وحيدة فريدة في جبال مكة بلا ماء ولا زاد وانصرف لا يكلمها ولا يعطف عليها قالت آلله أمرك بهذا فأومى برأسه نعم فرضيت بذلك وصبرت على تلك المشاق والقول الثاني المراد من قوله حنفاء أي مستقيمين والحنف هو الاستقامة وإنما سمي مائل القدم أحنف على سبيل التفاؤل كقولنا للأعمى بصير وللمهلكة مفازة ونظيره قوله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اهدنا الصراط المستقيم الثالث قال ابن عباس حجاجا وذلك لأنه ذكر العبادة أولا ثم قال حنفاء وإنما قدم الحج على الصلاة لأن في الحج صلاة وإنفاق مال الرابع قال أبو قلابة الحنيف الذي آمن بجميع الرسل ولم يستثن أحدا منهم فمن لم يؤمن بأفضل الأنبياء كيف يكون حنيفا الخامس حنفاء أي جامعين لكل الدين والحنيفية كل الدين قال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة السادس قال قتادة هي الختان وتحريم نكاح المحارم أي مختونين محرمين لنكاح الأم والمحارم فقوله حنفاء إشارة إلى النفي ثم أردفه بالإثبات وهو قوله ويقيموا الصلاة السابع قال أبو مسلم أصله من الحنف في الرجل وهو إدبار إبهامها عن أخواتها حتى تقبل على إبهام الأخرى فيكون الحنيف هو الذي يعدل عن الأديان كلها إلى الإسلام الثامن قال الربيع بن أنس الحنيف الذي يستقبل القبلة بصلاته وإنما قال ذلك لأنه عند التكبير يقول وجهت وجهي إلى قوله حنيفا وأما الكلام في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فقد مر مرارا كثيرة ثم قال تعالى وذلك دين القيمة وفيه مسائل المسألة الأولى قال المبرد والزجاج ذلك دين الملة القيمة والقيمة نعت لموصوف محذوف والمراد من القيمة إما المستقيمة أو القائمة وقد ذكرنا هذين القولين في قوله كتب قيمة وقال الفراء هذا من إضافة النعت إلى المنعوت كقوله إن هذا لهو حق اليقين والهاء للمبالغة في قوله كتب قيمة المسألة الثانية في هذه الآية لطائف أحدها أن الكمال في كل شيء إنما يحصل إذا حصل الأصل والفرع معا فقوم أطنبوا في الأعمال من غير إحكام الأصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فإنهم ربما أتعبوا أنفسهم في الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق وقوم حصلوا الأصول وأهملوا الفروع وهم المرجئة الذين قالوا لا يضر الذنب مع الإيمان والله تعالى خطأ الفريقين في هذه الآية وبين أنه لا بد من العلم والإخلاص في قوله مخلصين ومن العمل في قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ثم قال وذلك المجموع كله هو دين القيمة أي البينة المستقيمة المعتدلة فكما أن مجموع الأعضاء بدن واحد كذا هذا المجموع دين واحد فقلت دينك الاعتقاد ووجهه الصلاة ولسانه الواصف لحقيقة الزكاة لأن باللسان يظهر قدر فضلك وبالصدقة يظهر قدر دينك ثم القيم من يقوم بمصالح من يعجز عن إقامة مصالح نفسه فكأنه سبحانه يقول القائم بتحصيل مصالحك عاجلا وآجلا هو هذا المجموع ونظيره قوله تعالى دينا قيما وقوله تعالى في القرآن قيما لينذر بأسا شديدا لأن القرآن هو القيم بالإرشاد إلى الحق

فقوله عليه السلام من كان في عمل الله كان الله في عمله وأوحى الله تعالى يا دنيا من خدمك فاستخدميه ومن خدمني فاخدميه وثانيها أن المحسنين في أفعالهم هم الحق سبحانه وذلك بالإحسان إلى عبيده والملائكة وذلك بأن اشتغلوا بالتسبيح لما فهموا الإيجاد من الله لا من الملائكة والتعظيم والعبودية من الملائكة لا من الله ثم إن الإنسان إذا حضر عرصة القيامة فيقول الله مباهيا بهم ملائكتي هؤلاء أمثالكم سبحوا وهللوا بل في بعض الأفعال أمثالي أحسنوا وتصدقوا ثم إني أكرمكم يا ملائكتي بمجرد ما أتيتم من العبودية وأنتم تعظموني بمجرد ما فعلت من الإحسان فهؤلاء جمعوا بين الأمرين بيقيموا الصلاة أتوا بالعبودية وبيؤتوا الزكاة أتوا بالإحسان فأنتم صبرتم على أحد الأمرين وهم صبروا على الأمرين فيتعجب الملائكة منهم ويصبون لهم الزيارة فلهذا قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أفلا يكون هذا الدين قيما وثالثها أن الكمال للنفس في الدين بالمعرفة ثم النفس العالمة بلا قدرة كالزمن العاجز والقادرة بلا علم مجنونة فإذا اجتمع العلم والقدرة كانت النفس كاملة فكذا الصلاة للدين كالعلم والزكاة كالقدرة فإذا اجتمعا سمي الدين قيمة ورابعها وهو فائدة الترتيب أن الحكيم تعالى أمر رسوله أن يدعوهم إلى أسهل شيء وهو القول والاعتقاد فقال مخلصين ثم لما أجابوه زاد فسألهم الصلاة التي بعد أدائها تبقى النفس سالمة كما كانت ثم لما أجابوه وأراد منهم الصدقة وعلم أنها تشق عليهم قال لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول ثم لما ذكر الكل قال وذلك دين القيمة المسألة الثالثة احتج من قال الإيمان عبارة عن مجموع القول والاعتقاد والعمل بهذه الآية فقال مجموع القول والعقد والعمل هو الدين والدين هو الإسلام والإسلام هو الإيمان فإذن مجموع القول والعقد والعمل هو الإيمان لأنه تعالى ذكر في هذه الآية مجموع هذه الثلاثة ثم قال وذلك دين القيمة أي وذلك المذكور هو دين القيمة وإنما قلنا أن الدين هو الإسلام لقوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام وإنما قلنا أن الإسلام هو الإيمان لوجهين الأول أن الإيمان لو كان غير الإسلام لما كان مقبولا عند الله تعالى لقوله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه لكن الإيمان بالإجماع مقبول عند الله فهو إذن غير الإسلام والثاني قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فاستثنى المسلم من المؤمن فدل على أن الإسلام يصدق عليه وإذا ثبتت هذه المقدمات ظهر أن مجموع هذه الثلاثة أعني القول والعقد والعمل هو الإيمان وحينئذ يبطل قول من قال الإيمان اسم لمجرد المعرفة أو لمجرد الإقرار أو لهما معا والجواب لم لا يجوز أن يكون الإشارة بقوله وذلك إلى الإخلاص فقط والدليل عليه أنا على هذا التقدير لا نحتاج إلى الإضمار وأنتم تحتاجون إلى الإضمار فتقولون المراد وذلك المذكور ولا شك أن عدم الإضمار أولى سلمنا أن قوله وذلك إشارة إلى مجموع ما تقدم لكنه يدل على أن ذلك المجموع هو الدين الكامل المستقل بنفسه وذلك إنما يكون إذا كان الدين حاصلا وكانت آثاره ونتائجه أيضا حاصلة وهي الصلاة والزكاة وإذا لم يوجد هذا المجموع لم يكن الدين القيم حاصلا لكن لم قلتم إن أصل الدين لا يكون حاصلا والنزاع ما وقع إلا فيه والله أعلم

قوله تعالى إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية اعلم أنه تعالى لما ذكر حال الكفار أولا في قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ثم ذكر ثانيا حال المؤمنين في قوله وما أمروا إلا ليعبدوا الله أعاد في آخر هذه السورة ذكر هذين الفريقين فبدأ أيضا بحال الكفار فقال إن الذين كفروا واعلم أنه تعالى ذكر من أحوالهم أمرين أحدهما الخلود في نار جهنم والثاني أنهم شر الخلق وههنا سؤالات الأول لم قدم أهل الكتاب على المشركين في الذكر الجواب من وجوه أحدها أنه عليه الصلاة والسلام كان يقدم حق الله سبحانه على حق نفسه ألا ترى أن القوم لما كسروا رباعيته قال اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ولما فاتته صلاة العصر يوم الخندق قال اللهم املأ بطونهم وقبورهم نارا فكأنه عليه الصلاة والسلام قال كانت الضربة ثم على وجه الصورة وفي يوم الخندق على وجه السيرة التي هي الصلاة ثم إنه سبحانه قضاه ذلك فقال كما قدمت حقي على حقك فأنا أيضا أقدم حقك على حق نفسي فمن ترك الصلاة طول عمره لا يكفر ومن طعن في شعرة من شعرات نبيك يكفر إذا عرفت ذلك فنقول أهل الكتاب ما كانوا يطعنون في الله بل في الرسول وأما المشركون فإنهم كانوا يطعنون في الله فلما أراد الله تعالى في هذه الآية أن يذكر سوء حالهم بدأ أولا في الشكاية بذكر من طعن في محمد عليه الصلاة والسلام وهم أهل الكتاب ثم ثانيا بذكر من طعن فيه تعالى وهم المشركون وثانيها أن جناية أهل الكتاب في حق الرسول عليه الصلاة والسلام كانت أعظم لأن المشركين رأوه صغيرا ونشأ فيما بينهم ثم سفه أحلامهم وأبطل أديانهم وهذا أمر شاق أما أهل الكتاب فقد كانوا يستفتحون برسالته ويقرون بمبعثه فلما جاءهم أنكروه مع العلم به فكانت جنايتهم أشد السؤال الثاني لم ذكر كفروا بلفظ الفعل والمشركين باسم الفاعل والجواب تنبيها على أن أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أول الأمر لأنهم كانوا مصدقين بالتوراة والإنجيل ومقرين بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ثم إنهم كفروا بذلك بعد مبعثه عليه الصلاة والسلام بخلاف المشركين فإنهم ولدوا على عبادة الأوثان وإنكار الحشر والقيامة السؤال الثالث أن المشركين كانوا ينكرون الصانع وينكرون النبوة وينكرون القيامة

اما اهل الكتاب فكانوا مقرين بكل هذه الاشيا الا انهم كانوا منكرين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان كفر اهل الكتاب اخف
من كفر المشركين • واذا كان كذلك فكيف تجوز التسوية بين الفريقين في العذاب والجواب نقال بين جهنم اذا كان تحته
الفحم • فكانه تعالى يقول تكبروا وطلبوا الرفعة فصاروا الى اسفل السافلين ثم ان الفريقين وان اشتركا في ذلك لكنه
لا يبعد في اشتراكهم في هذا القدر تفاوتهم في مراتب العذاب • واعلم ان الوجه في حسن هذا العذاب ان الاساءة على قسمين اساءة
الى من اسا اليك • واساءة الى من احسن اليك • وهذا القسم الثاني هو اقبح القسمين • وللاحسان ايضا على قسمين احسان
الى من احسن اليك • واحسان الى من اسا اليك وهذا احسن القسمين فكان احسان الله الى هولاء الكفار اعظم انواع الاحسان
واساءتهم وكفرهم اقبح انواع الاساءة • ومعلوم ان العقوبة انما تكون بحسب الجناية • بالشتم تعزير • وبالقذف حد
وبالسرقة قطع • وبالزنا رجم • وبالقتل قصاص • بل شتم المماثل يوجب التعزير • والنظر الشزر الى الرسول يوجب
القتل • فلما كانت جناية هولاء الكفار اعظم الجنايات لا جرم استحقوا اعظم العقوبات وهو نار جهنم فانها نار في
موضع مظلم هايل لا مفر عنه البتة • ثم كانه قال قايل هب انه ليس هناك رجا الفرار فهل هناك رجا الاخراج فقال
لا بل يبقون خالدين فيها فكانه قيل فهل هناك احد يرق قلبه عليهم فقال بل يذمونهم ويلعنونهم لانهم شر البرية • السوال
الرابع ما السبب في انه لم يقل هاهنا خالدين فيها ابدا • وقال في صفة اهل الثواب خالدين فيها ابدا الجواب
من وجوه • احدها التنبيه على ان رحمته ازيد من غضبه • وثانيها ان العقوبات والحدود والكفارات تتداخل • اما الثواب
فاقسامه لا تتداخل • وثالثها روى حكاية عن الله انه قال يا داود حببني الى خلقي قال وكيف افعل قال اذكرهم سعة
رحمتي فكان هذا من هذا الباب • السوال الخامس كيف القراة في لفظ البرية الجواب قرا نافع البريئة بالهمز • وقراة
الباقين بغير همز وهو من برا الله الخلق • والقياس فيها الهمز الا انه ترك همزه كالنبي والذرية والخابية • والهمز
فيه كالرد الى الاصل المتروك في الاستعمال كما ان من همز النبي كان كذلك • وترك الهمز فيه اجود وان كان الهمز هو الاصل
لان ذلك كالشي المرفوض المتروك • وهمز من همز البرية يدل على فساد قول من قال انه من البرا الذي هو التراب • السوال
السادس ما الفايدة في قوله شر البرية الجواب انه يفيد النفي والاثبات اي هم دون غيرهم • واعلم ان شر البرية
جملة يطول تفصيلها شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد صلى الله عليه وسلم • وشر من قطاع الطريق لانهم
قطعوا طريق الحق على الخلق • وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون اقبح • واعلم ان هذا تنبيه
على ان وعيد علما السو اعظم من وعيد كل احد • السوال السابع هذه الاية هل هي مجراة على عمومها الجواب لا بل هو
مخصوص في صورتين • احديهما ان من تاب منهم واسلم خرج من الوعيد • والثاني قال بعضهم لا يجوز ان يدخل
في الاية من مضى من الكفار لان فرعون كان شرا منهم • فاما الاية الثانية وهي الاية الدالة على ثواب المومنين • فعامة
فيمن تقدم وتاخر لانهم افضل الامم **قوله تعالى** ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية • فيه مسايل
**المسئلة الاولى** الوجه في حسن تقديم الوعيد على الوعد وجوه • احدها ان الوعيد كالدوا والوعد كالغذا و
تقديم الدوا على الغذا حتى اذا صار البدن نقيا انتفع بالغذا • فان البدن غير النقي كلما غذوته زدته شرا هكذا قاله
بقراط في كتاب الفصول • وثانيها ان الجلد بعد الدبغ يصير صالحا للمداس والخف • اما قبله فلا • وكذلك فان الانسان
متى وقع في محنة او شدة رجع الى الله فاذا نال الدنيا اعرض على ما قال تعالى فلما نجاهم الى البر تولوا • وثالثها ان فيه بشارة
كانه تعالى يقول لما لم يكن بد من الامرين ختمت بالوعد الذي هو بشارة مني اني اختم امرك بالخير الست كنت نجسا
في مكان نجس ثم اخرجتك الى الدنيا طاهرا افلا اخرجك الى الجنة طاهرا **المسئلة الثانية** احتج من قال ان الطاعات
ليست داخلة في مسمى الايمان بان الاعمال الصالحة معطوفة في هذه الاية على الايمان والمعطوف غير المعطوف عليه
**المسئلة الثالثة** قال الذين امنوا ولم يقل المومنين تنبيها على انهم اقاموا سوق الاسلام حال كساده وبذلوا
الاموال والمهج لاجله • ولهذا السبب استحقوا الفضيلة العظمى كما قال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
ولفظة امنوا اي فعلوا الايمان مرة • واعلم ان الذين يعتبرون الموافاة يحتجون بهذه الاية وذلك لانها تدل على
ان من اتى بالايمان مرة واحدة فله هذا الثواب • والذي يموت على الكفر لا يكون له هذا الثواب • فعلمنا انه ما صدر
الايمان عنه في الحقيقة قبل ذلك **المسئلة الرابعة** قوله وعملوا الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فلا يكلف
الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ • فحظ الغني الاعطاء • وحظ الفقير الاخذ **المسئلة الخامسة**
احتج بعضهم بهذه الاية في تفضيل البشر على الملك • قالوا وروى ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال
اتعجبون من منزلة الملايكة من الله تعالى والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المومن عند الله يوم القيمة اعظم من ذلك
فاقروا ان شيتم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية • واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف

هذا

لوجوه احدها

لوجوه • احدها ما روى عن زيد النحوي ان البرية بنو ادم من البرا وهو التراب • فلا يدخل الملك فيه البتة • وثانيها
ان قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات مختص بالبشر [illegible] • وثالثها ان الملك [illegible]
[illegible]

فانه يشتري العبيد والجواري لينتفعوا بماله فهو سبحانه اشترى من دار العدم هذا الخلق لينتفعوا بملكه كما روى الخلق
عيال الله • واما اليوم فالنعمان يوجب الانعام بعد الشروع فالرحمن اولى • واما الغد فانا مدنون نتهم عكم الوعد والاخبار
فكيف لا في بذلك **المسئلة الثالثة** في قوله عند ربهم لطايف • احداها قال بعض الفقها لو قال لا شي لي على فلان
فهذا يختص بالديون • وله ان يدعي الوديعة • ولو قال لا شي لي عند فلان انصرف الى الوديعة دون الدين • ولو قال لا شي
لي قبل فلان انصرف الى الدين والوديعة معا اذا عرفت هذا فقوله عند ربهم يفيد انه وديعة • والوديعة عين فلو قال
لفلان علي كذا فهو اقرار بالدين والعين اشرف من الدين فقوله عند ربهم يفيد انه كالمال العين الحاضر العتيد • فان قيل
الوديعة امانة وغير مضمونة والدين مضمون والمضمون خير مما كان غير مضمون • قلنا المضمون خير اذا تصور

لو قال لا شي لي على فلان
ولو قال لا شي لي قبل فلان

الهلاك فيه هذا في حق الله تعالى بمحال فلاجرم قلنا الوديعة هناك خير من المضمون • وثانيها اذا وقعت الفتنة في البلدة
فوضعت مالك عند امام المحلة على سبيل الوديعة صرت فارغ القلب • فهاهنا تقع الفتنة في بلدة بدنك وحينئذ
يخاف الشياطين من ان يغيروا عليها فضع وديعة امانتك عندي فاني اكتب لك به كتابا يتلى في المحاريب الى يوم القيمة وهو
قوله جزاؤهم عند ربهم حتى اسلمه اليك احوج ما تكون اليه وهو في عرصة القيمة • وثالثها انه قال عند ربهم وفيه بشارة
عظيمة كانه تعالى يقول انا الذي ربيتك والاصل كنت معدوما صفر اليدين من الوجود والحياة والعقل والقدرة فخلقتك
واعطيتك كل هذه الاشيا حين كنت مطلقا اعطيتك هذه الاشيا وما ضيعتها فترى انا اذا اكتسبت شيئا وجعلته
وديعة عندي فانا اضيعها كلا ان هذا مما لا يكون **المسئلة الرابعة** قوله جزاؤهم جنات فيه قولان • احدهما انه
قابل الجمع بالجمع وهو يقتضي مقابلة المفرد بالمفرد كما لو قال لامرأتيه وعبديه ان دخلتما هاتين الدارين فانتما كذا فهذا
على ان يدخل كل واحد منهما دارا على حدة • وعن ابي يوسف لم يحنث حتى يدخل الدارين • وعلى هذا ان لكل من هذين العبدين
ودليل القول الاول لجعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم فعلى هذا القول الاول ليس الجزا لكل مكلف جنة واحدة
لكن ادنى تلك الجنان مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روي مرفوعا ويدل عليه قوله تعالى وملكا كبيرا • ويحتمل ان يراد لكل مكلف
جنات كما روي عن ابي يوسف وعليه يدل القرآن لانه لو قال ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر اربعا
للواحد فالسبب فيه انه بكى من خوف الله وذلك البكا انما نزل من اربعة اجفان اثنان ونوفي الاثنين فاستحق جنتين ودون الجنتين
فحصلت له اربع جنات بسبقه بالبكا اربعة اجفان • ثم انه تعالى قدم الخوف في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان • واخر الخوف
في هذه الاية لانه ختم السورة بقوله ذلك لمن خشي ربه • وفيه اشارة الى انه لابد من دوام الخوف • اما قبل العمل فالحاصل خوف
الاختلال • واما بعد العمل فالحاصل خوف الجلال اذ هذه العبادة لا تليق بتلك الحضرة **المسئلة الخامسة** قوله عدن
يفيد الاقامة لا يخرجون ولا يبغون عنها حولا • يقال عدن بالمكان اقام • وروي جنات عدن اي وسط الجنة • وقيل عدن
من المعدن اي هي معدن النعيم والامن والسلامة قال بعضهم انما سميت جنة • اما من الجن او الجنون او الجنة او الجنين
فان كانت من الجن فهم المخصوصون بسرعة الحركة يطوفون العالم في ساعة واحدة • فكانه تعالى قال انها في ايصال المكلف الى
مشتهياته في غاية الاسراع • ومثل حركة الجن مع انها دار اقامة وعدن • واما من الجنون فهو ان الجنة بحيث لو راها العاقل
يصير كالمجنون لولا ان الله بفضله يثبته • واما من الجنة فلانها جنة واقية تقيك من النار او من الجنين فان المكلف
يكون في الجنة في غاية التنعم ويكون كالجنين لا يمسه حر ولا برد ولا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا **المسئلة السادسة**
قوله تجري اشارة الى ان الماء الجاري الطف من الراكد ومن ذلك النظر الى الماء الجاري يزيد نورا بالبصر كانه تعالى قال طاعتك
كانت جارية ما دمت حيا على ما قال واعبد ربك حتى ياتيك اليقين • فوجب ان يكون انهار كرمي جارية الى الابد ثم قال
من تحتها وذلك لان التنغيص في البستان • اما بسبب عدم الماء فذكر الجري الدائم • واما بسبب الغرق لكثرته فذكر
تحتها • ثم الالف واللام في الانهار للتعريف فيكون منصرفا الى الانهار المذكورة في القرآن • نهر الماء واللبن والعسل والخمر
**واعلم** ان النهار والانهار من السعة والضيا فلا تسمى الساقية نهرا بل العظيم هو الذي يسمى نهرا بدليل قوله وسخر لكم الفلك
لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار فعطف ذلك على البحر **المسئلة السابعة** اعلم انه تعالى لما وصف الجنة اتبعه
بما هو افضل من الجنة • وهو الخلود اولا والرضا ثانيا • روي انه عليه الصلاة والسلام قال الخلود في الجنة خير من الجنة
ورضا الله في الجنة خير من الجنة **اما الصفة الاولى** وهي الخلود فاعلم ان الله سبحانه وصف الجنة مرة بجنات عدن
ومرة جنات النعيم • ومرة دار السلام • وهذه الاوصاف الثلاثة انما حصلت لانك ركبت ايمانك من امور ثلاثة • اعتقاد
وقول وعمل **الصفة الثانية** وهي الرضا فاعلم ان العبد مخلوق من جسد وروح فجنة الجسد هي الجنة الموصوفة • وجنة
الروح هي رضا الرب • والانسان مبتدا امره من عالم الجسد ومنتهى امره من عالم العقل والروح فلاجرم ابتدا بالجنة وجعل
المنتهى هو رضا الله • ثم انه قدم رضي الله عنهم على قوله ورضوا عنه لان الازلي هو المؤثر في المحدث والمحدث لا يؤثر
في الازلي **المسئلة الثامنة** انما قال رضي الله عنهم ولم يقل رضي الرب عنهم ولا سائر الاسما لان اشد الاسما هيبة
وجلالة لفظ الله لانه هو الاسم الدال على الذات والصفات باسرها اعني صفات الجلال وصفات الاكرام فلو قال
رضي الرب عنهم لم يشعر بذلك بكمال طاعة العبد لان المربي قد يكتفي بالقليل • اما لفظ الله فيفيد غاية الجلالة والهيبة في مثل
هذه الحضرة لا يحصل الرضا الا بالفعل الكامل والخدمة التامة • فقوله رضي الله عنهم يفيد تطرية فعل العبد من هذه
الجهة **المسئلة التاسعة** اختلفوا في قوله رضي الله عنهم فقال بعضهم معناه رضي اعمالهم وقال بعضهم المراد
رضي بان يمدحهم ويعظمهم قال لان الرضا عن الفاعل غير الرضا بفعله • وهذا هو الاقرب • واما قوله ورضوا عنه فالمراد
انهم رضوا بما جازاهم من النعيم والثواب **اما قوله تعالى** ذلك لمن خشي ربه • ففيه مسائل **المسئلة الاولى** الخوف في

الطاعة بالخشية

الطاعة بالخشية قال تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة [illegible] في صفات الملائكة يخافون
[illegible] وهم من خشيته مشفقون [illegible] والخشية [illegible] **المسئلة الثانية**
[illegible] انما يخشى الله من عباده العلماء [illegible]
[illegible]
[illegible] **المسئلة الثالثة** [illegible]
[illegible]
[illegible] فالله اعلم واحكم بالصواب • والله المرجع والمآب

## سورة الزلزلة ثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** اذا زلزلت الارض زلزالها فههنا مسائل **المسئلة الاولى**
ذكروا في المناسبة بين اول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة وجوها [illegible] جزاؤهم عند ربهم [illegible] المكلف
قال ومتى يكون ذلك يا رب فقال اذا زلزلت الارض زلزالها [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وتسود وجوه • ثم ذكر الطائفتين فقال فاما الذين اسودت وجوههم • واما الذين ابيضت وجوههم • ثم جمع بينهما
في آخر السورة بذكر الذرة من الخير والشر **المسئلة الثانية** في قوله اذا بحثان • احدهما ان لقائل ان يقول اذا للوقت
فكيف وجه البداية بها في السورة • جوابه من وجوه • الاول كانوا يسالونه متى الساعة فقال اذا زلزلت الارض كانه تعالى
قال لا سبيل الى تعيينه بحسب وقته • ولكني اعينه بحسب علاماته • الثاني انه تعالى اراد ان يخبر المكلف ان الارض تحدث
وتشهد يوم القيمة مع انها في هذه الساعة جماد فكانه قيل متى يكون ذلك • فقال اذا زلزلت الارض **البحث الثاني** قالوا كلمة
ان في المجوز • واذا في المقطوع به • تقول ان دخلت الدار فانت طالق لان الدخول يجوز • اما اذا اردت التعليق بما يوجد
قطعا لا تقول ان بل تقول اذا جاء غد فانت طالق لانه يوجد لا محالة هذا هو الاصل فان استعمل على خلافه فمجاز • فلما كان
الزلزال مقطوعا به قال تعالى اذا زلزلت **المسئلة الثالثة** قال الفرا الزلزال بالكسر المصدر • والزلزال بالفتح الاسم
وقد قرئ بهما • وكذلك الوسواس هو الاسم اي اسم الشيطان الذي يوسوس اليك • والوسواس بالكسر المصدر • والمعنى
حركت حركة شديدة كما قال اذا رجت الارض رجا • وقال قوم ليس المراد من زلزلت حركت بل المراد تحركت واضطربت • والدليل
عليه انه تعالى يخبر عنها في جميع السورة كما يخبر عن المختار القادر • ولان هذا ادخل في التهويل كانه تعالى يقول ان الجماد ليضطرب
لاوائل القيمة اما آن لك ان تضطرب وتعقبه عن غفلتك • ويقرب منه لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله **واعلم** ان زلزل
الحركة المعتادة • وزلزل الحركة الشديدة العظيمة لما فيه من معنى التكرير وهو كالصرصر من الريح • ولاجل شدة هذه الحركة
وصفها الله تعالى بالعظم فقال ان زلزلة الساعة شيء عظيم **المسئلة الرابعة** قال مجاهد المراد من الزلزلة المذكورة في
هذه الاية النفخة الاولى ثم تزلزل ثانيا فتخرج موتاها وهي الاثقال • وقال آخرون هذه الزلزلة هي الثانية بدليل انه تعالى جعل
من لوازمها انها تخرج الارض اثقالها وذلك انما يكون في الزلزلة الثانية **المسئلة الخامسة** في قوله زلزالها بالاضافة
وجوه • احدها القدر اللائق بها في الحكمة • كقولك اكرم التقي اكرامه • واهن الفاسق اهانته • تريد ما يستوجبانه من
الاكرام والاهانة • والثاني ان يكون المعنى زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه • والمعنى انه وجد من الزلزلة كل ما يحتمله المحل
والثالث زلزالها الموعود او المكتوب عليها اذا قدرت تقدير الحي تقريره ما روي انها تزلزل من شدة صوت اسرافيل لما انها
قدرت تقدير الحي **اما قوله تعالى** واخرجت الارض اثقالها • ففيه مسئلتان **المسئلة الاولى** في الاثقال قولان احدهما
انه جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في
بطن الارض فهو ثقل لها • واذا كان فوقها فهو ثقل عليها • وقيل سمي الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم اذا كانوا في بطنها وتثقل
عليها اذا كانوا فوقها • ثم قال المراد من هذه الزلزلة الزلزلة الاولى يقول اخرجت الارض اثقالها يعني الكنوز فيمتلي ظهر الارض
ذهبا ولا احد يلتفت اليه كان الذهب يصيح ويقول اما كنت تخرب دينك ودنياك لاجلي • او تكون الفائدة في اخراجها
كما قال تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم • ومن قال المراد منها الزلزلة الثانية وهي بعد القيمة قال تخرج الاثقال يعني الموتى
احيا كالام تلده حيا • وقيل تلفظه الارض ميتا كما دفن ثم يحييه الله تعالى • والقول الثاني في اثقالها اسرارها فيومئذ

قال قوم ليس المراد من زلزلت حركت بل المراد تحركت

تكشف الاسرار ولذلك قال يومئذ تحدث اخبارها فتشهد لك او عليك **المسألة الثانية** انه تعالى اخبر في صفة
الارض الم نجعل الارض كفاتا ثم صارت بحال يومئذ وهو تقرير لقوله تذهل كل مرضعة عما ارضعت يوم يفر المرء
**اما قوله تعالى** وقال الانسان ما لها ففيه مسائل **المسألة الاولى** ما لها تزلزل هذه الزلزلة الشديدة
ولفظت ما في بطنها وذلك اما عند النفخة الاولى حين تلفظ ما فيها من الكنوز والدفائن وعند النفخة الثانية
حين تلفظ ما فيها من الاموات **المسألة الثانية** قيل هذا قول الكافر وهو كما يقولون من بعثنا من مرقدنا فاما
المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقيل بل هو عام في حق المؤمن والكافر اي الانسان الذي هو كنود
جزوع ظلوم الذي من شانه الغفلة والجهالة يقول ما لها وهو ليس بسؤال بل هو للتعجب لما ترى من العجائب التي لم تسمع بها
الاذان ولا نطق بها لسان ولهذا قال الحسن انه للكافر والفاجر معا **المسألة الثالثة** انما قال ما لها على غير
المواجهة لانه يعاتب بهذا الكلام نفسه كانه يقول يا نفس ما للارض تفعل ذلك يعني يا نفس انت السبب فانه لولا
معاصيك لما صارت الارض كذلك فالكفار يقولون هذا الكلام والمؤمنون يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
**اما قوله تعالى** يومئذ تحدث اخبارها **فاعلم** ان ابن مسعود قرا تنبئ اخبارها وسعيد بن جبير تبين ثم فيه سؤالات
**الاول** اين مفعولا تحدث **الجواب** قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها
الا ان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما **السؤال الثاني** ما معنى تحديث الارض **قلنا** فيه وجوه احدها
وهو قول ابي مسلم يومئذ تبين لكل احد جزاء عمله فكانها حدثت بذلك كقولك الدار تحدثنا بانها كانت مسكونة
فكذا انتقاض الارض بسبب الزلزلة تحدث ان الدنيا قد انقضت وان الاخرة قد اقبلت وهو قول الجمهور ان الله تعالى
يجعل الارض حيوانا عاقلا ناطقا ويعرفها جميع ما عمل عليها فحينئذ تشهد لمن اطاع وعلى من عصى قال عليه الصلاة والسلام
ان الارض لتخبر يوم القيمة بكل من عمل عليها عملا ثم تلا هذه الاية وهذا على مذهبنا غير بعيد لان البنية عندنا
ليست شرطا لقبول الحياة فالارض مع بقائها على شكلها ويبسها وقشفها يخلق الله فيها الحياة والنطق والمقصود
كان الارض تشكو من العصاة وتشكر من اطاع فتقول ان فلانا صلى وزكى وصام وحج في وان فلانا كفر وزنا وسرق
وجار حتى يود الكافر ان يساق الى النار وكان علي عليه السلام اذا فرغ بيت المال صلى فيه ركعتين ويقول لتشهدن اني
ملأتك بحق وفرغتك بحق والقول الثالث وهو قول المعتزلة ان الكلام يجوز خلقه في الجماد فلا يبعد ان يخلق الله
تعالى في الارض حال كونها جمادا اصواتا مقطعة مخصوصة فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى
**السؤال الثالث** اذا ويومئذ ما ناصبهما **الجواب** يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث **السؤال الرابع** لفظ التحديث
يفيد الاستيناس وهناك لا استيناس فما وجه هذا اللفظ **الجواب** ان الارض كانها تبث شكواها الى اولياء الله
وملائكته **اما قوله تعالى** بان ربك اوحى لها ففيه سؤالان السؤال الاول بم تعلقت الباء في قوله بان ربك الجواب
بتحدث ومعناه تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها السؤال الثاني لم لم يقل اوحى اليها الجواب فيه وجهان
الاول قال ابو عبيدة اوحى لها اي اوحى اليها وانشد العجاج **شعر** اوحى لها القرار فاستقرت
الثاني لعله انما قال لها اي فعلنا ذلك لاجلها حتى تتوسل الارض بذلك الى التشفي من العصاة **قوله تعالى** يومئذ يصدر
الناس اشتاتا ليروا اعمالهم الصدور ضد الورود فالوارد الجائي والصادر المنصرف واشتاتا متفرقين ثم
فيحتمل ان يريد يصدرون عن الارض الى عرصة القيمة ويحتمل ان يردوا عرصة القيمة للمحاسبة ثم يصدرون عنها
الى موقف الثواب والعقاب فان كان قوله اشتاتا اقرب الى الوجه الاول ولفظة الصدر اقرب الى الوجه الثاني وقوله
ليروا اعمالهم اقرب الى الوجه الاول لان رؤيته علمهم مكتوبا في الصحائف هو اقرب الى الحقيقة من رؤية جزاء الاعمال وان صح
ايضا ان يحمل على رؤية جزاء الاعمال وقوله اشتاتا فيه وجوه احدها ان بعضهم يذهب به الى الموقف راكبا مع الثياب
الحسنة وبياض الوجه والمنادي ينادي بين يديه هذا ولي الله واخرون يذهب بهم سود الوجوه حفاة عراة مع
السلاسل والاغلال والمنادي ينادي بين يديه هذا عدو الله وثانيها اشتاتا اي كل فريق مع شكله اليهودي مع
اليهودي والنصراني وثالثها اشتاتا من اقطار الارض من كل ناحية ثم انه سبحانه ذكر المقصود وقال ليروا اعمالهم
قال بعضهم ليروا صحائف اعمالهم لان الكتاب يوضع بين يدي الرجل فيقول هذا طلاقك وبيعك هل تراه والمرئي هو الكتاب
وقال اخرون ليروا جزاء اعمالهم وهو الجنة او النار وانما اوقع اسم العمل على الجزاء لانه جزاؤه فكانه نفس العمل بل الجاري في ذلك
ادخل في الحقيقة وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح ثم **قال تعالى** فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره فيه مسائل **المسألة الاولى** مثقال ذرة اي زنة ذرة قال الكلبي الذرة اصغر
النمل وقال ابن عباس اذا وضعت راحتك على الارض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب مثقال ذرة فليس من

عنده عمل خيرا او شرا قليلا كان او كثيرا الا اراه الله تعالى اياه **المسألة الثالثة** في الاية اشكال وهو ان حسنات الكافر محبطة
بكفره وسيئات المؤمن معفوة اما ابتداء واما بسبب اجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر **واعلم** ان المفسرين اجابوا
عنه من وجوه احدها قال احمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثواب ذلك في الدنيا حتى يلقى الاخرة
وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر وهو مؤمن يرى عقوبته ذلك في الدنيا في نفسه واهله وماله حتى يلقى الاخرة وليس له فيها
شر وهذا مروي عن ابن عباس ايضا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لابي بكر يا ابا بكر ما رايت في الدنيا
مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل الخير حتى توفاها يوم القيمة وثانيها قال ابن عباس ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا
الا اراه الله اياه فاما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته وثالثها ان حسنات
الكافر وان كانت محبطة بكفره ولكن الموازنة معتبرة فتقدر تلك الحسنات انحبطت من عقاب كفره وكذا القول في الجانب الاخر فلا يكون
ذلك قادحا في عموم الاية ورابعها ان تخصيص عموم قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ونقول المراد فمن يعمل من السعداء مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل من الاشقياء مثقال ذرة شرا يره **المسألة الرابعة** لقائل ان يقول اذا كان الامر الى هذا الحد فاين
الكرم **والجواب** هذا هو الكرم لان المعصية وان قلت ففيها استخفاف والكريم لا يحتمله وفي الطاعة تعظيم وان قل فالكريم
لا يضيعه وكانه سبحانه يقول لا تحسب مثقال الذرة من الخير صغيرا فانك مع لؤمك وضعفك لم تضيع مني الذرة بل اعتبرتها
ونظرت فيها واستدللت بها على ذاتي وصفاتي واتخذتها مركبا به وصلت الي فاذا لم تضيع ذرتي فاضيع ذرتك ثم التحقيق
ان المقصود هو النية والقصد فاذا كان العمل قليلا لكن النية خالصة فقد حصل المطلوب وان كان العمل كثيرا والنية
دائرة فالمقصود فائت ومن ذلك ما روي عن كعب لا تحقروا شيئا من المعروف فان رجلا دخل الجنة باعارة ابرة في سبيل الله
وان امراة اعانت بحبة في بناء بيت المقدس فدخلت الجنة وعن عائشة كان بين يديها عنب قدمته الى نسوة بحضرتها فجاء سائل
فامرت له بحبة من ذلك العنب فضحك بعض من كان عندها فقالت ان فيما ترون مثاقيل الذر وتلت هذه الاية ولعله كان غرضها
التعليم والا فهي كانت في غاية السخاوة روي ان ابن الزبير بعث اليها بمائة الف وثمانين الف درهم في غرارتين فدعت بطبق
وجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فجاءت بخبز وزيت فقيل لها اما امسكت لنا درهما نشتري به لحما
نفطر عليه فقالت لو ذكرتني لفعلت ذلك وقال مقاتل نزلت هذه الاية في رجلين كان احدهما ياتيه السائل فيستقل ان يعطيه التمرة
والكسرة والجوزة ويقول ما هذا بشيء وانما نؤجر على ما نعطي وكان الاخر يتهاون بالذنب اليسير ويقول لا شيء علي من هذا انما الوعيد
بالنار على الكبائر فنزلت هذه الاية ترغيبا في القليل من الخير فانه يوشك ان يكثر وتحذيرا من اليسير من الذنب فانه
يوشك ان يكثر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة والله اعلم

## سورة والعاديات احدى عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** والعاديات ضبحا **اعلم** ان الضبح اصوات انفاس
الخيل اذا عدون وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة ولكنه صوت نفس [illegible]

[illegible]

ومجاهد وقتادة والضحاك وعطا واكثر المحققين انه الخيل ۔ وروى ذلك مرفوعا قال الكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
سرية الى اناس من كنانة فمكث ما شاء الله ان يمكث لا يأتيه منهم خبر فتخوف عليها فنزل جبريل عليه السلام بخبر مسيرها فان جعلنا
الالف واللام في والعاديات للمعهود السابق كان محل القسم خيل تلك السرية وان جعلناهما للجنس كان ذلك قسما بكل خيل
عدت في سبيل الله ۔ واعلم ان الفاظ هذه الايات تنادي ان المراد هو الخيل وذلك لان الضبح لا يكون الا للفرس واستعمال
هذا اللفظ في الابل يكون على سبيل الاستعارة كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر ۔ والعدول من الحقيقة
الى المجاز بغير ضرورة لا يجوز ۔ وايضا فالقدح يظهر بالحافر ما لا يظهر بخف الابل ۔ وكذا قوله تعالى فالمغيرات صبحا
لانه بالخيل اسهل منه بغيره ۔ وقد روينا انه ورد في بعض السرايا واذا كان كذلك فالاقرب ان السورة مدنية لان الاذن
بالقتال كان بالمدينة وهو الذي قاله الكلبي اذا عرفت ذلك فهاهنا مسائل **المسئلة الاولى** انه تعالى انما اقسم بالخيل
لان لها في العدو من الخصال الحميدة ما ليست لسائر الدواب ۔ فانها تصلح للطلب والهرب والكر والفر فاذا ظننت
ان النفع في الطلب عدوت الى الخصم لتفوز بالغنيمة ۔ واذا ظننت ان المصلحة في الهرب قدرت على اشد العدو ولا شك
ان السلامة احدى الغنيمتين فاقسم تعالى بفرس الغازي لما فيه من منافع الدنيا والدين وفيه تنبيه على ان الانسان يجب
ان يمسكه لا للزينة والتفاخر بل لهذه المنفعة ۔ وقد نبه تعالى على هذا المعنى في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ۔ فادخل لام التعليل على الركوب وما ادخله على الزينة ۔ وانما قال ضبحا لان الضبح امارة يظهر به التعب وانه
يبذل كل الوسع ولا يقف عند التعب ۔ فكانه تعالى يقول انه مع ضعفه لا يترك طاعتك فليكن العبد كذلك في طاعة مولاه
ايضا كذلك **المسئلة الثانية** ذكروا في انتصاب ضبحا وجوها ۔ احدها قال الزجاج والعاديات تضبح ضبحا ۔ وثانيها
ان تكون والعاديات في معنى والضابحات ۔ لان الضبح يكون مع العدو وهو قول الفراء ۔ وثالثها قال البصريون التقدير
والعاديات ضابحة ۔ فقوله ضبحا نصب على الحال **اما قوله تعالى** فالموريات قدحا فاعلم ان الايراء اخراج النار
والقدح الصك ۔ تقول قدح فاورى وقدح فاصلد ۔ ثم في تفسير الاية وجوه ۔ احدها قال ابن عباس يريد ضرب
الخيل بحوافرها الجبل فاورت منه النار مثل الزند اذا قدح ۔ وقال مقاتل يعني الخيل يقدحن بحوافرهن في الحجارة
نارا كنار الحباحب ۔ والحباحب اسم رجل كان بخيلا لا يوقد النار الا اذا نام الناس فاذا انتبه اطفا ناره لئلا ينتفع
بها فشبهت هذه النار التي تقدح من حوافر الخيل بتلك النار التي لم يكن فيها نفع ۔ ومن الناس من يقول انها نعل الحديد
يصك الحجر فيخرج النار ۔ والاول ابلغ لان على ذلك التقدير تكون السنابك نفسها كالحديد كما انتصب ضبحا ۔ وثانيها
قال قوم هذه الايات في الخيل ولكن ايراءها ان تهيج الحرب بين اصحابها وبين عدوهم كما قال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله ۔ ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس ۔ وثالثها هم الذين يغزون فيورون بالليل نيرانهم لحاجتهم وطعامهم
فالموريات هم الجماعة من الغزاة ۔ ورابعها انها هي الالسنة تورى نار العداوة بعظيم ما يتكلم به ۔ وخامسها هي افكار
الرجال تورى نار المكر والخديعة ۔ روى ذلك عن ابن عباس ۔ ويقال لاقدحن لك ثم لاورين لك اي لاهيجن عليك شرا
وحربا ومكرا ۔ وقيل هو المكر الا انه مكر بايقاد النار ليراهم العدو كثيرا ومن عادة العرب عند الغزو اذا قربوا من العدو
ان يوقدوا نيرانا كثيرة لكي اذا نظر العدو اليهم ظنهم كثيرا ۔ وسادسها قال عكرمة الموريات قدحا الالسنة
وسابعها الموريات قدحا هي المنجحات امرا يعني الذين وجدوا مقصودهم وفازوا بمطلوبهم من الغزو والحج يقال للمنجح
في حاجته وري زنده ۔ ثم يرجع هذا الى الجماعة المنجحة ويجوز ان يرجع الى الخيل تنجح ركابها قال جرير شعر
وجدنا الازد اكرمهم جوارا ۔ واوراهم اذا قدحوا زنادا ۔ ويقال فلان اذا قدح اورى واذا منح ازوى
واعلم ان الوجه الاول اقرب لان لفظ الايراء حقيقة في ايراء النار وفي غيره مجاز ۔ ولا يجوز ترك الحقيقة بغير دليل
**اما قوله تعالى** فالمغيرات صبحا ۔ يعني الخيل تغير على العدو وقت الصبح وكانوا يغيرون صباحا لانهم

الخيل اثرن الغبار لشدة العدو في الموضع الذي اغرن فيه **المسئلة الثانية** الضمير في قوله به الى ماذا يعود فيه وجوه
احدها وهو قول الفراء انه عائد الى المكان الذي انتهى اليه ۔ والموضع الذي تقع فيه الاغارة لان في قوله فالمغيرات صبحا دليلا
على ان الاغارة لابد لها من موضع واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما لم يجر ذكره بالتصريح كقوله انا انزلناه في ليلة القدر ۔ وثانيها انه
عائد الى ذلك الزمان الذي وقعت فيه الاغارة اي فاثرن في ذلك الوقت نقعا ۔ وثالثها وهو قول الكسائي انه عائد الى العدو
اي اثرن بالعدو نقعا وقد تقدم ذكر العدو في قوله والعاديات **المسئلة الثالثة** فان قيل على اي شيء عطف قوله فاثرن
قلنا على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه ۔ والتقدير واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن **المسئلة الرابعة**
قرا ابو حيوة فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار او قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة
**اما قوله تعالى** فوسطن به جمعا ففيه مسئلتان **المسئلة الاولى** قال الليث وسطت النهر والمفازة اسطها وسطا
وسطة اي صرت في وسطها وكذلك وسطتها وتوسطتها ۔ ونحو هذا قال الفراء ۔ والضمير في قوله به الى ماذا يرجع فيه وجوه
احدها قال مقاتل اي بالعدو وذلك ان العاديات تدل على العدو فجازت الكناية عنه ۔ وقوله جمعا يعني جمع العدو والمعنى
صرن بعدوهن وسط جمع العدو ۔ ومن حمل الايات على الابل قال يعني جمع منى ۔ وثانيها ان الضمير عائد الى النقع اي وسطن
بالنقع الجمع ۔ وثالثها المراد ان العاديات وسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعدا **المسئلة الثانية** قرى
فوسطن بالتشديد للتعدية ۔ والبا مزيدة للتوكيد كقوله واتوا به وهي مبالغة في وسطن ۔ واعلم ان الناس اكثروا في صفة
الفرس ۔ وهذا القليل الذي ذكره الله احسن ۔ وقال عليه الصلاة والسلام الخيل معقود بنواصيها الخير وقال ايضا ظهرها
حرز ۔ وبطنها كنز ۔ واعلم انه تعالى لما ذكر المقسم به ذكر المقسم عليه وهو امور ثلاثة ۔ احدها وهو قوله تعالى ان الانسان
لربه لكنود قال الواحدي اصل الكنود منع الحق والخير ۔ والكنود الذي يمنع ما عليه ۔ والارض الكنود هي التي لا تنبت شيئا ثم
للمفسرين عبارات فقال ابن عباس ومجاهد ۔ وعكرمة والضحاك وقتادة الكنود هو الكفور ۔ ومنه سمي الرجل المشهور كندة لانه
كند اباه ففارقه ۔ وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور ۔ وروى ابو امامة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الكنود الكفور الذي يمنع رفده وياكل وحده ويضرب عبده ۔ وقال الحسن الكنود اللوام لربه
يعد المحن والمصائب وينسى النعم والراحات وهو كقوله ۔ واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن ۔ واعلم
ان معنى الكنود لا يخرج عن ان يكون كفرا او فسقا ۔ وكيف كان فلا يمكن حمله على كل الناس فلابد من صرفه الى كافر معين او ان حملناه
على الكل لكن المعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله بلطفه وتوفيقه من ذلك ۔ والاول قول الاكثرين قالوا لان
ابن عباس قال انها نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي وايضا **فقوله تعالى** فلا يعلم اذا بعثر ما في القبور
لا يليق الا بالكافر لان ذلك كالدلالة على انه منكر لذلك الامر ۔ الثاني من الامور التي اقسم الله عليه قوله تعالى وانه
على ذلك لشهيد ۔ وفيه قولان ۔ احدهما ان الانسان على ذلك اي على كنوده لشهيد على نفسه بذلك ۔ اما لانه امر ظاهر
لا يمكنه ان يجحده او لانه يشهد على نفسه بذلك في الاخرة ويعترف بذنوبه ۔ القول الثاني المراد وان الله على ذلك لشهيد قالوا
وهذا اولى لان الضمير عائد الى اقرب المذكورات ۔ والاقرب هو لفظ الرب تعالى ويكون كالوعيد والزجر له عن المعاصي من حيث
انه يحصي عليه اعماله ۔ واما الناصرون للقول الاول فقالوا ان قوله بعد ذلك وانه لحب الخير لشديد الضمير عائد الى الانسان
فيجب ان يكون الضمير في الاية التي قبله عائدا الى الانسان ليكون النظم احسن الامر ۔ الثالث مما اقسم الله عليه قوله وانه لحب
الخير لشديد الخير المال لقوله تعالى واني احببت حب الخير ان ترك خيرا ۔ وقوله واذا مسه الخير منوعا ۔ وهذا لان الناس يعدون
المال فيما بينهم خيرا كما انه تعالى سمى ما يناله المجاهد من الجراح واذى الحرب سوءا في قوله لم يمسسهم سوء ۔ والشديد البخيل
الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة شعر اري الموت يعتام الكرام ويصطفي ۔ عقيلة مال الفاحش المتشدد
ثم في التفسير وجوه ۔ احدها انه لحب المال لبخيل ممسك ۔ وثانيها ان يكون المراد من الشديد القوي ويكون المعنى وانه لحب
المال وايثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف تقول هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان
مطيقا له ضابطا ۔ وثالثها اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض ۔ ورابعها قال الفراء يجوز ان يكون
المعنى وانه لحب الخير لشديد الحب يعني انه يحب المال ويحب كونه محبا له الا انه اكتفى بالحب الاول من الثاني كما قال تعالى
اشتدت به الريح في يوم عاصف اي في يوم عاصف الريح ۔ فاكتفى بالاولى عن الثانية ۔ وخامسها قال قطرب اي انه شديد
حب الخير كقولك انه لزيد ضروب اي انه ضروب زيد ۔ واعلم انه تعالى لما عد عليه قبائح افعاله خوفه فقال افلا يعلم اذا
بعثر ما في القبور ۔ وفيه مسائل **المسئلة الاولى** القول في بعثر مضى في قوله تعالى واذا القبور بعثرت ۔ وذكرنا
ان معنى بعثر بعث واثير واخرج ۔ وقرى بحثر **المسئلة الثانية** لقائل ان يسأل لم قال بعثر ما في القبور ولم يقل بعثر
من في القبور ۔ ثم انه لما قال ما في القبور فلم قال ان ربهم بهم ولم يقل ان ربها بها يومئذ لخبير والجواب عن السؤال

والاقرب هو لفظ الرب تعالى ويكون كالوعيد

الاول هو ان ما فى الارض من غير المكلفين اكثر فاخرج الكلام على الاغلب ويقال انهم حال ما يبعثرون لا يكونون احيا عقلا
بل بعد البعث يصيرون كذلك فلا جرم كان الضمير الاول ضمير غير العقلا والضمير الثانى ضمير العقلا ثم قال
وحصل ما فى الصدور قال ابو عبيدة اى ميز ما فى الصدور وقال الليث الحاصل من كل شى ما بقى وثبت وذهب
ما سواه والتحصيل تمييز ما يحصل والاسم الحصيلة قال لبيد شعر وكل امرء يوما سيعلم سعيه
اذا حصلت عند الاله الحصايل وفى التفسير وجوه احدها معنى حصل جمع فى الصحف اى اظهر محصلا
مجموعا وثانيها انه لا بد من التمييز بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حدة
فتمييز البعض عن البعض وتخصيص كل واحد منها بحكمه اللايق به هو التحصيل ومنه قيل للمنخل المحصل وثالثها
ان كثيرا ما يكون باطن الانسان بخلاف ظاهره اما فى يوم القيمة فانه تنكشف الاسرار وتنهتك الاستار ويظهر
ما فى البواطن كما قال يوم تبلى السراير واعلم ان حظ الوعظ منه ان يقال انك تستعد فيما لا فايدة لك فيه فتبنى
المقبرة وتشترى التابوت وتغسل الكفن وتغزل العجوز الكفن فيقال هذا كله للديدان فاين حظ الرحمن
بل المراة اذا كانت حاملة فانها تعد للطفل ثيابا فاذا قلت للطفل لك هذا الاستعداد فتقول لا ليس بمعثر
ما فى بطنى فيقول الرب لنا لا يبعثر ما فى بطن الارض فاين الاستعداد وقرى وحصل بالفتح والتخفيف بمعنى ظهر
ثم قال تعالى ان ربهم بهم يومئذ لخبير اعلم ان فيه سؤالات الاول انه يوهم ان علمه بهم فى ذلك اليوم انما حصل
بسبب الخبرة وذلك يقتضى سبق الجهل وهو على الله محال والجواب من وجوه احدها كانه تعالى يقول ان من لم يكن عالما
فانه يصير بسبب الاختبار عالما فمن كان لم يزل عالما لا يكون خبيرا ابا حوالك وثانيها ان فايدة تخصيص ذلك الوقت
قوله يومئذ مع كونه عالما لم يزل انه وقت الجزا وتقريره لمن الملك كانه يقول لا حاكم يروج حكمه ولا عالم يروج فتواه
يومئذ الا هو وكم عالم لا يعرف الجواب الواقعة ثم يتذكر بعد ذلك فكانه تعالى يقول كذلك السؤال الثانى
لم خص اعمال القلوب بالذكر بالذكر فى قوله وحصل ما فى الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح الجواب لان اعمال الجوارح
تابعة لاعمال القلب فانه لولا البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت افعال الجوارح ولذلك انه تعالى
جعلها الاصل فى الذم فقال آثم قلبه والاصل فى المدح فقال وجلت قلوبهم السؤال الثالث لم قال وحصل
ما فى الصدور ولم يقل وحصل ما فى القلوب الجواب لان القلب مطية الروح وهو بالطبع محب لمعرفة الله وخدمته
انما المنازع فى هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر ولذلك قال يوسوس فى صدور الناس وقال
افمن شرح الله صدره للاسلام فجعل الصدر موضعا للاسلام السؤال الرابع الضمير فى قوله ان ربهم بهم عايد
الى الانسان فهو واحد والجواب الانسان فى معنى الجمع لقوله تعالى ان الانسان لفى خسر ثم قال الا الذين امنوا
ولولا انه للجميع والا لما صح ذلك واعلم انه بقى من مباحث هذه الاية مسئلتان المسئلة الاولى هذه الاية
تدل على كونه تعالى عالما بالجزئيات الزمانيات لانه تعالى نص على كونه عالما بكيفية احوالهم فى ذلك اليوم فيكون
منكره كافرا المسئلة الثانية نقل ان الحجاج سبق على لسانه ان بالنصب فاسقط اللام من قوله لخبير حتى لا يكون
الكلام لحنا وهذا يذكر فى تقرير فصاحته ثم زعم بعض المشايخ ان هذا كفر لانه قصد لتغيير المنزل ونقل
عن ابى السمال انه قرا على هذا الوجه والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم

واعلم

## سورة القارعة احدى عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة
اعلم ان فيه مسايل المسئلة الاولى القرع الضرب بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر
قارعة قال الله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة ومنه قولهم العبد يقرع بالعصا ومنه المقرعة
وقوارع القرآن وقرع الباب وتقارعوا تضاربوا بالسيوف واتفقوا على ان القارعة اسم من اسما القيمة واختلفوا
فى لمية هذه التسمية على وجوه احدها ان سببه ان الله هو الصيحة التى تموت منها الخلايق لان فى الصيحة الاولى
تذهب العقول قال تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض وفى الثانية تموت الخلايق سوى اسرافيل ثم يميته
الله ثم يحييه فينفخ الثالثة فيقومون وروى ان الصور له ثقب على عدد الاموات لكل واحد ثقبة معلومة فيحيى الله كل
جسد بتلك النفخة الواصلة اليه من تلك الثقبة المعينة والذى يؤكد هذا الوجه قوله تعالى ما ينظرون الا
صيحة واحدة فانما هى زجرة واحدة وثانيها ان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب

العالم فبسبب

العالم فبسبب تلك القرعة سمى يوم القيمة بالقارعة وثالثها ان القارعة هى التى تقرع الناس بالاهوال والافزاع وذلك فى السموات
بالانشقاق والانفطار وفى الشمس والقمر بالتكوير وفى الكواكب بالانتثار وفى الجبال بالدك والنسف وفى الارض بالطى
والتبديل وهو قول الكلبى ورابعها انها تقرع اعدا الله بالعذاب والخزى والنكال وهو قول مقاتل وقال بعض المحققين وهذا
اولى من قول الكلبى لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ امنون المسئلة الثانية فى اعراب قوله القارعة وجوه احدها
انه تحذير وقد جا التحذير بالرفع والنصب لا سيما الاسد الاسد فيجوز الرفع والنصب وثانيها فيه اضمار اى ستاتيكم القارعة على
ما اخبرت عنه فى قوله اذا بعثر ما فى القبور وثالثها رفع بالابتدا وخبره ما القارعة وعلى قول قطرب الخبر وما ادراك ما القارعة
فان قيل اذا اخبرت عن شى بشى فلا بد وان يستفيد منه علما زايدا وقوله وما ادراك يفيد كونك جاهلا به فكيف يعقل ان
يكون هذا خبرا قلنا حصل لنا بهذا الخبر علم زايد لانا كنا نظن انها قارعة كساير القوارع فبهذا التجهيل علمنا انها قارعة
فاقت القوارع فى الهول والشدة المسئلة الثالثة قوله وما ادراك ما القارعة فيه وجوه احدها معناه لا علم
لك بكنهها لانها فى الشدة بحيث لا يبلغها وهم احد ولا فهمه وكيفما قدرته فهو اعظم من تقديرك كانه تعالى قال قوارع
الدنيا فى جنب تلك القارعة كانها ليست بقوارع ونار الدنيا فى جنب نار الاخرة كانها ليست بنار ولذلك قال فى آخر
السورة نار حامية تنبيها ان نار الدنيا فى جنب تلك ليست بحامية وصار آخر السورة مطابقا لاولها من هذا الوجه
فان قيل ههنا قال وما ادراك ما القارعة وقال فى آخر السورة فامه هاوية وما ادراك ما هيه ولم يقل
وما ادراك ما هاوية فما الفرق قلنا الفرق ان كونها قارعة امر محسوس اما كونها هاوية فليس كذلك فظهر الفرق
بين الموضعين وثانيها ان ذلك التفصيل لا سبيل لاحد الى العلم به الا باخبار الله تعالى وبيانه لانه بحث عن وقوع
الواقعات لا عن وجوب الواجبات فلا يكون الى معرفته دليل الا بالسمع المسئلة الرابعة نظير هذه الاية قوله
الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة ثم قال المحققون قوله القارعة ما القارعة اشد من قوله الحاقة ما الحاقة
لان النازل آخرا ابدا يكون ابلغ لان المقصود منه زيادة التنبيه وهذه الزيادة لا تحصل الا اذا كانت اقوى وما
بالنظر الى المعنى فالحاقة اشد لكونه راجعا الى معنى العدل والقارعة اشد لما انها تهجم على القلوب بالامر الهايل
قال الله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش قال صاحب الكشاف الظرف
نصب بمضمر دلت عليه القارعة اى تقرع يوم يكون الناس كذا واعلم انه تعالى وصف ذلك اليوم بامرين الاول كون الناس
فيه كالفراش المبثوث قال الزجاج الفراش هو الحيوان الذى يتهافت فى النار وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره
ثم انه تعالى شبه الخلق وقت البعث ههنا بالفراش المبثوث وفى آية اخرى بالجراد المنتشر اما وجه التشبيه
بالفراش فلان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة منها يذهب الى غير جهة الاخرى فدل هذا على انهم اذا بعثوا
فزعوا فاختلفوا فى المقاصد على جهات مختلفة غير معلومة والمبثوث المتفرق فقال بثثته اذا فرقته واما وجه
التشبيه بالجراد فهو فى الكثرة قال الفرا كغوغا الجراد يركب بعضه بعضا وبالجملة فالله سبحانه شبه الناس فى وقت
البعث بالجراد المنتشر وبالفراش لانهم لما بعثوا يموج بعضهم فى بعض كالجراد والفراش وبيانه كما ذكرنا بقوله فتاتون
افواجا وقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله فى قصة ياجوج وماجوج وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض
فان قيل الجراد بالنسبة الى الفراش كبار فكيف شبه الشى الواحد بالصغير والكبير معا قلنا شبه الواحد بالصغير
والكبير معا لكن فى وصفين اما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحد الى غير جهة الاخرى واما بالجراد فبالكثرة
والتتابع ويحتمل ان يقال انها تكون كبارا اولا كالجراد ثم يصير صغارا كالفراش بسبب احتراقهم بحر الشمس وذكروا
فى التشبيه بالفراش وجوها اخرى احدها ما روى انه عليه الصلاة والسلام قال الناس عالم ومتعلم وساير الناس
همج رعاع فجعلهم الله فى الآخرة كذلك جزاء وفاقا وثانيها انه تعالى انما ادخل حرف التشبيه فقال كالفراش لانهم يكونون
فى ذلك اليوم اذل من الفراش لان الفراش لا يعذب وهؤلاء يعذبون فنظيره كالانعام بل هم اضل سبيلا الصفة
الثانية من صفات ذلك اليوم قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش العهن الصوف ذو الالوان وقد مر تحقيقه
عند قوله وتكون الجبال كالعهن والنفش فدك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض وفى قراءة ابن مسعود كالصوف
المنفوش واعلم ان الله تعالى اخبر ان الجبال مختلفة الالوان على ما قال ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
وغرابيب سود ثم انه سبحانه يفرق اجزاءها ويزيل التاليف والتركيب عنها فيصير ذلك مشابها للصوف الملون
بالالوان المختلفة اذا جعل منفوشا وههنا مسايل المسئلة الاولى انما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه
تعالى نبه على ان تاثير تلك القرعة فى الجبال هو انها صارت كالعهن المنفوش فكيف يكون حال الانسان عند سماعها
فالويل ثم الويل لابن آدم ان لم تتداركه رحمة ربه ويحتمل ان يكون المراد ان جبال النار تصير كالعهن المنفوش لشدة حمرتها

قال النبى عليه السلام الناس عالم ومتعلم وسائر الناس همج

المسئلة الثانية قد وصف الله تعالى تغير الاحوال على الجبال من وجوه اولها ان تصير قطعا كما قال
ودكت الجبال دكا وثانيها ان تصير كثيبا مهيلا كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ثم تصير
كالعهن المنفوش وهي اجزاء كالذرة تدخل من كوة البيت لا تمسها الايدي ثم قال في الرابع تصير سرابا كما قال وسيرت
الجبال فكانت سرابا المسئلة الثالثة لم يقل يوم يكون الناس كالفراش والجبال كالعهن المنفوش بل قال وتكون الجبال
كالعهن المنفوش لان التكرير في هذا المقام ابلغ في التحذير واعلم انه تعالى لما وصف يوم القيمة قسم الناس فيه الى قسمين
فقال فاما من ثقلت موازينه واعلم ان في الموازين قولان احدهما انه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر
عند الله وهذا قول الفراء قال ونظيره يقال لك عندي درهم بميزان درهمك ووزن درهمك وداري بميزان دارك ووزن
دارك اي حذاها والثاني انه جمع ميزان قال ابن عباس الميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال فيوتى بحسنات
المطيع في احسن صورة فاذا رجح فالجنة له ويوتى بسيئات الكافر في اقبح صورة فيخف وزنه فيدخل النار وقال
الحسن في الميزان له كفتان ولا يوصف قال المتكلمون ان نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنها خصوصا وقد
نقضنا بل المراد ان الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن او يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات
او تصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة
ويكون الفايدة في ذلك ظهور الحسنات في الجمع العظيم فيزداد سرورا وظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة
له عند الخلايق اما قوله تعالى فهو في عيشة راضية فالعيشة مصدر بمعنى العيش كالخيفة بمعنى الخوف واما
الراضية فقال الزجاج معناه اي عيشة ذات رضى يرضاها صاحبها وهي كقولهم لابن وتامر بمعنى ذو تمر وذو لبن ولهذا
قال المفسرون تفسيرها مرضية على معنى يرضاها صاحبها ثم قال تعالى واما من خفت موازينه اي قلت حسناته ورجحت
السيئات على الحسنات قال ابو بكر انما ثقلت موازين من ثقلت باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان
يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل
ان يكون خفيفا وقال مقاتل انما كان كذلك لان الحق ثقيل والباطل خفيف اما قوله تعالى فامه هاوية ففيه
وجوه احدها ان الهاوية من اسماء النار وكانها النار العميقة يهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا والمعنى فماواه النار
وقيل للماوى ام على سبيل التشبيه بالام الذي لا يقع الفزع من الولد الا اليها وثانيها فام راسه هاوية في النار ذكره
الاخفش والكلبي وقتادة قال لانهم يهوون في النار على روسهم وثالثها انهم اذا دعوا على الرجل بالهلاك قالوا هوت
امه لانه اذا هوى اي سقط وهلك فقد هوت امه حزنا وثكلا فكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك
وما ادراك ما هيه قال صاحب الكشاف هيه ضمير الداهية التي دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير الثالث
او ضمير هاوية والهاء للسكت فاذا وصل جاز حذفها والاختيار الوقف بالهاء لاتباع المصحف والهاء ثابتة فيه
وذكرنا الكلام في هذه الهاء عند قوله لم يتسنه فبهداهم اقتده ما اغنى عني ماليه ثم قال تعالى نار حامية
والمعنى ان ساير النيران بالنسبة اليها كانها ليست حامية وهذا القدر كاف في التنبيه على قوة سخونتها نعوذ بالله منها
ومن جميع انواع العذاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد وصلى الله على سيدنا محمد

## سورة التكاثر ثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر فيه مسايل
المسئلة الاولى الالهاء الصرف الى اللهو واللهو الانصراف الى ما يدعو اليه الهوى ومعلوم ان الانصراف
الى الشي يقتضي الاعراض عن غيره فلهذا قال اهل اللغة الهاني فلان عن كذا اي انساني وشغلني ومنه الحديث ان الزبير
كان اذا سمع صوت الرعد لهى عن حديثه اي تركه واعرض عنه وكل شي تركته فقد لهيت عنه والتكاثر التباهي بكثرة المال
والجاه والمناقب يقال تكاثر القوم تكاثرا اذا تعادوا ما لهم من كثرة المناقب وقال ابو مسلم التكاثر تفاعل من الكثرة
والتفاعل يقع على احد وجوه ثلاثة يحتمل ان يكون بين الاثنين فيكون مفاعلة ويحتمل تكلف الفعل تقول تكارهت على كذا
اذا فعلته وانت كاره وتقول تعاميت عن الامر اذا تكلفت العمى عنه وتقول تغافلت ويحتمل ايضا الفعل بنفسه
كما تقول تباعدت عن الامر اي بعدت عنه ولفظ التكاثر في هذه الاية يحتمل الوجهين الاولين فيحتمل التكاثر بمعنى المفاعلة
لانه كم من اثنين يقول كل واحد منهما لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا ويحتمل تكلف الكثرة فان الحريص يتكلف جميع
عمره تكثير ماله واعلم ان التفاخر والتكاثر شي واحد ونظير هذه الاية قوله تعالى وتفاخر بينكم المسئلة الثانية

اعلم ان التفاخر

اعلم ان التفاخر انما يكون باثبات الانسان نوعا من انواع السعادة لنفسه واجناس السعادات ثلاثة فاحدها في النفس
والثانية في البدن والثالثة فيما يطيف بالبدن من خارج اما التي في النفس فهي العلوم والاخلاق الفاضلة وهما المرادان
بقوله حكاية عن ابرهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وبهما ينال البقا الابدي والسعادة السرمدية واما التي في البدن
فهي الصحة والجمال وهي في المرتبة الثانية واما التي تطيف بالبدن من خارج فقسمان احدهما ضروري وهو المال والجاه
والاخر غير ضروري وهو الاقربا والاصدقا وهذا الذي عددناه في المرتبة الثالثة انما يراد كلها للبدن بدليل انه اذا
تالم عضو من اعضايه فانه يجعل المال والجاه فداء له واما السعادة البدنية فالفضلاء من الناس انما يريدونها
للسعادة النفسانية فانه ما لم يكن صحيح البدن لم يتفرغ لاكتساب السعادات النفسانية الباقية اذا عرفت هذا
فنقول العاقل ينبغي ان يكون سعيه في تقديم الاهم على المهم والتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقربا تفاخر
باخس المراتب من اسباب السعادات والاشتغال به يمنع الانسان من تحصيل السعادة النفسانية بالعلم والعمل
فيكون ذلك ترجيحا لاخس المراتب في السعادات على اشرف المراتب وذلك يكون عكس الواجب ونقيض الحق فلهذا السبب
ذمهم الله تعالى فقال الهاكم التكاثر ويدخل فيه التكاثر بالعدد وبالمال والجاه والاقربا والانصار والحسن وبالجملة
فيدخل فيه التكاثر بكل ما يكون من الدنيا ولذاتها وشهواتها المسئلة الثالثة قوله الهاكم يحتمل ان يكون اخبارا
عنهم ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى التوبيخ والتقريع اي الهاكم كما قرئ أأنذرتهم أإذا كنا عظاما
المسئلة الرابعة الاية دلت على ان التكاثر والتفاخر مذموم والعقل دل على ان التكاثر والتفاخر في السعادات
الحقيقية غير مذمومة ومن ذلك ما روي من تفاخر العباس بان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان المفتاح بيده الى
ان قال علي عليه السلام وانا قطعت خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثلة فاسلمتم فشق ذلك عليهم فنزل قوله تعالى
اجعلتم سقاية الحاج الاية وذكرنا في تفسير قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث انه يجوز للانسان ان يفتخر بطاعاته
ومحاسن اخلاقه اذا كان يظن ان غيره يقتدي به فثبت ان مطلق التكاثر ليس بمذموم بل التكاثر في العلم والطاعة والاخلاق الحميدة
هو المحمود وهو اصل الخيرات فالالف واللام في التكاثر ليس للاستغراق بل للمعهود السابق وهو التكاثر في الدنيا ولذاتها
وعلايقها فانه هو الذي يمنع عن طاعة الله تعالى وعبوديته ولما كان ذلك مقررا في العقول ومتفقا عليه في الاديان
لا جرم حسن ادخال حرف التعريف عليه المسئلة الخامسة في تفسير الاية وجوه احدها الهاكم التكاثر بالعدد روي
انها نزلت في بني عبد شمس وبني عبد مناف تفاخروا ايهم اكثر فكان بنو عبد مناف اكثر فقال بنو عبد شمس عدوا مجموع احيانا
وامواتنا مع مجموع احيايكم وامواتكم ففعلوا فزاد بنو عبد شمس فنزلت الاية وهذه الرواية مطابقة لظاهر القرآن لان قوله
حتى زرتم المقابر يدل على امر مضى فكانه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول هب انكم اكثر عددا منهم فماذا ينفع والزيارة اتيان الموضع
وذلك يكون لاغراض كثيرة واهمها واولاها بالرعاية ترقيق القلب وازالة حب الدنيا فان مشاهدة القبور تورث ذلك على ما قال
عليه الصلاة والسلام كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فان زيارتها تذكرة ثم انكم زرتم القبور بسبب قساوة القلب
والاستغراق في حب الدنيا فلما انعكست هذه القضية لا جرم ذكر الله تعالى ذلك في معرض التعجب والقول الثاني ان
المراد هو التكاثر بالمال واستدلوا عليه بما روى مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه انه عليه الصلاة والسلام كان يقرا الهاكم
وقال ابن آدم يقول مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت والمراد
من قوله حتى زرتم المقابر حتى متم وزيارة القبر عبارة عن الموت يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه قال جرير للاخطل
زار القبور ابو مالك فاصبح الام زوارها اي مات فيكون معنى الاية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن
طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك لا يقال حمله على الوجه مشكل من وجهين الاول ان الزاير هو الذي يزور ساعة ثم
ينصرف والميت يبقى في قبره فكيف يقال انه زار القبر والثاني ان قوله حتى زرتم المقابر اخبار عن الماضي فكيف يحمل
على المستقبل والجواب عن السوال الاول انه قد يمكث الزاير لكن لا بد له من الرحيل وكذا اهل القبور يرحلون عنها الى
مكان الحساب والجواب عن السوال الثاني من وجوه احدها يحتمل ان يكون المراد من كان مشرفا على الموت بسبب الكبر
ولذلك يقال فيه انه على شفير قبره وثانيها ان الخبر عمن تقدم مضى وعظ لهم فهو كالخبر عنهم لانهم كانوا على طريقتهم ومنه قوله
تعالى فلم تقتلون انبياء الله وثالثها قال ابو مسلم ان الله تعالى يتكلم بهذه السورة يوم القيمة تعييرا للكفار وهم في ذلك
الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور القول الثالث الهاكم الحرص على المال وطلب تكثيره حتى منعتم الحقوق المالية الى حين
الموت ثم تقول في تلك الحالة اوصيت لاجل الزكاة بكذا ولاجل الحج بكذا القول الرابع الهاكم التكاثر فلا تلتفتوا الى الدين
بل قلوبكم كانها احجار لا تنكسر البتة الا اذا زرتم المقابر فكذا ينبغي ان يكون حالكم وهو ان يكون حظكم من دينكم ذلك القدر
القليل من الانكسار ونظيره قوله تعالى قليلا ما تشكرون الا انه منكم بهذا القدر القليل من الشكر المسئلة السادسة

قال النبي عليه السلام ابن آدم يقول مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت

انه تعالى لم يقل الهاكم التكاثر عن كذا وانما لم يذكره لان المطلق ابلغ في الذم لانه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع
ما يحتمله الموضع اي الهتكم عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات في المعرفة والطاعة والتفكر والتدبر او نقول ان نظرنا
الى ما قبل هذه الآية فالمعنى الهاكم التكاثر عن التدبر في امر القارعة والاستعداد لها قبل الموت • وان نظرنا الى الاسفل
فالمعنى الهاكم التكاثر فنسيتم القبر حتى زرتموه اما قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون فهو متصل
بما قبله وبما بعده • اما الاول فعلى وجه الرد والتكذيب اي ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء من ان السعادة الحقيقية بكثرة العدد
والاموال والاولاد • واما اتصاله بما بعده فعلى معنى القسم اي حقا سوف تعلمون لكن حين يصير الفاسق تائبا والكافر مسلما
والحريص زاهدا • ومنه قول الحسن لا يغرنك كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك
وتقريره بيوم يفر ويأتينا فردا ولقد جئتمونا فرادى وتركتم ما خولناكم وهذا يمنعك عن التكاثر وذكروا في التكرير وجوها
احدها انه للتاكيد وانه وعيد بعد وعيد كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل • وثانيها ان الاول عند الموت
حين يقال له لا بشرى • والثاني في سؤال القبر من ربك • والثالث عند النشور حين ينادي المنادي فلان شقي شقاوة لا سعادة
بعدها ابدا • وحين يقال وامتازوا اليوم • وثالثها عن الضحاك سوف تعلمون ايها الكفار • ثم كلا سوف تعلمون ايها المؤمنون
وكان يقرؤها كذلك • فالاول وعيد والثاني وعد • ورابعها ان كل احد يعلم قبح الظلم والكذب وحسن العدل والصدق لكن لا يعرف
قدر آثارها ونتائجها • ثم انه تعالى يقول سوف تعلم العلم المفصل لكن التفصيل يحتمل الزيادة فمهما حصلت زيادة لذة ازداد
علما • وكذا في جانب العقوبة تقسم ذلك على الاحوال فعند المعاينة يزداد • ثم عند السؤال ثم عند البعث ثم عند الحساب
ثم عند دخول الجنة والنار • فلذلك وقع التكرير • وخامسها ان عند احدى الحالتين عذاب القبر والاخرى عذاب النار
وانما قال ثم لان بين العالمين والحالتين موتا • ثم قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين وفيه
مسائل **المسئلة الاولى** اتفقوا على ان جواب لو محذوف • وانه ليس قوله لترون الجحيم جواب لو • ويدل عليه وجهان احدهما
انما كان جواب لو وفيه اثبات • واثباته نفي فلو كان قوله لترون الجحيم جوابا للو لوجب ان لا تحصل هذه الرؤية • وذلك باطل
فان هذه الرؤية واقعة قطعا • فان قيل المراد من هذه الرؤية رؤيتها بالقلب في الدنيا • ثم ان هذه الرؤية غير واقعة
قلنا ترك الظاهر خلاف الاصل • والثاني ان قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم اخبار عن امر سيقع قطعا • فعطفه على ما
لا يوجد لا يقع قبيح في النظم • واعلم ان ترك الجواب في مثل هذا الجواب احسن • يقول الرجل للرجل لو فعلت هذا اي لكان
كذا قال الله تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولم يجئ له جواب • وقال ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم اذا عرفت هذا فنقول ذكروا في جواب لو وجوها • احدها قال الاخفش لو تعلمون علم اليقين
ما الهاكم التكاثر • وثانيها قال ابو مسلم لو علمتم ماذا يجب عليكم لتمسكتم به او لو علمتم لاي امر خلقتم لاشتغلتم به • وثالثها
انه حذف الجواب ليذهب الوهم كل مذهب فيكون التهويل اعظم • وكانه قال لو علمتم علم اليقين لفعلتم ما لا يوصف
ولا يكتنف ولكنكم ضلال وجهلة • واما قوله لترون الجحيم فاللام يدل على انه جواب قسم محذوف • والقسم لتوكيد
الوعيد فان ما وعدوا به لا مدخل فيه للريب • وكرره معطوفا بثم تغليظا للتهديد • وزيادة في التهويل **المسئلة الثانية**
انه تعالى اعاد لفظ كلا وهو الزجر • وانما حسنت الاعادة لانه عقبه في كل موضع بغير ما عقب به الموضع الآخر
كانه تعالى قال لا تفعلوا هذا فانكم تستحقون به من العذاب • كذا لا تفعلوا هذا فانكم تستوجبون به ضررا آخر وهذا
التكرير ليس بالمكروه بل هو مرضي عندهم • وكان الحسن يجعل معنى كلا في هذا الموضع معنى حقا كانه قيل حقا لو تعلمون
علم اليقين **المسئلة الثالثة** في قوله علم اليقين وجهان • احدهما ان معناه علما يقينا فاضيف الموصوف الى الصفة
كقوله تعالى ولدار الآخرة • وكما يقال مسجد الجامع • وعام الاول • والثاني ان اليقين ها هنا هو الموت او البعث
وقد سمي الموت يقينا في قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ولانهما اذا وقعا جاء اليقين وزال الشك • فالمعنى لو تعلمون
علم الموت وما يلقى الانسان معه وبعده في القبر وفي الآخرة لم يلهكم التكاثر والتفاخر عن ذكر الله • وقد يقول
الانسان انا اعلم علم كذا اي اتحققه • وفلان يعلم علم الطب وعلم الحساب لان العلوم انواع فيصلح لذلك ان يقال
علمت علم كذا **المسئلة الرابعة** العلم من اشد البواعث على العمل فاذا كان وقت العمل لما مه كان وعدا وعظة
واذا كان بعد فوات وقت العمل فحينئذ يكون حسرة وندامة كما ذكر ان ذا القرنين لما دخل الظلمات فالذين كانوا معه
اخذوا من تلك الخرز فلما خرجوا من الظلمات وجدوها جواهر ثم الآخذون كانوا في الغم اي لم لم ياخذوا اكثر مما
اخذوا • والذين لم ياخذوا كانوا ايضا في الغم • فهكذا يكون احوال اهل القيامة **المسئلة الخامسة** في الآية تهديد
عظيم للعلماء فانها دلت على انه لو حصل اليقين بما في التكاثر من الآفة لتركوا التكاثر والتفاخر • وهذا يقتضي
ان من لم يترك التكاثر والتفاخر لا يكون اليقين حاصلا له • فالويل للعالم الذي لا يكون عاملا ثم الويل له **المسئلة السادسة**

في تكرار الرؤية



وتكرار الرؤية [illegible]

[illegible]

**المسئلة السابعة** [illegible]

[illegible]

قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم [illegible] **المسئلة الاولى** [illegible]

[illegible]

**المسئلة الثانية** [illegible]

من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه

وجوها احدها ما روى انه خمس شبع البطون وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق
وثانيها قال ابن مسعود انه الامن والصحة والفراغ وثالثها قال ابن عباس وجابر ملاذ المأكول والمشروب ورابعها قال
بعضهم الانتفاع بادراك السمع والبصر وخامسها قال الحسين بن الفضل تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وسادسها
قال ابن عمر انه الماء البارد وسابعها قال الباقر انه العافية ويروى ايضا عن جابر الجعفي قال دخلت على الباقر فقال
ما تقول ارباب التأويل في قوله ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فقلت يقولون الظل والماء البارد فقال لو انك ادخلت بيتك
احدا واقعدته في ظل واسقيته اتمن عليه فقلت لا قال فالله اكرم ان يطعم عبده ثم يسقيه ثم يسأله عنه فقلت ما تأويله
قال النعيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم انعم الله به على هذا العالم فاستنقذهم به من الضلالة اما سمعت قوله تعالى
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا القول الثامن انما يسألون عن الزائد مما لا بد منه من مطعم وملبس ومسكن
والتاسع وهو الاولى انه يجب حمله على جميع النعم ويدل عليه وجوه احدها ان الالف واللام يفيدان الاستغراق وثانيها
انه ليس صرف اللفظ الى البعض اولى من صرفه الى الباقي لا سيما وقد دل الدليل على ان المطلوب من منافع هذه الدنيا اشتغال
العبد بعبودية الله تعالى وثالثها انه تعالى قال يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم والمراد منه جميع النعم من فلق البحر
والانجاء من فرعون وانزال المن والسلوى فكذا ههنا ورابعها ان النعيم التام كالشيء الواحد الذي له ابعاض واعضاء فاذا
اشير الى النعيم فقد دخل فيه الكل كما ان الترياق اسم للمعجون المركب من الادوية الكثيرة فاذا ذكر الترياق فقد دخل فيه الكل
واعلم ان النعيم اقسام فمنها ظاهرة وباطنة ومنها متصلة ومنفصلة ومنها دينية ودنيوية وقد ذكرنا اقسام السعادات
بحسب الجنس في تفسير اول هذه السورة واما تعديدها بحسب النوع والشخص فغير ممكن على ما قال تعالى وان تعدوا
نعمت الله لا تحصوها فاستغن عن معرفة نعم الله عليك في صحة بدنك بالاطباء ثم هم اشد الخلق غفلة وفي معرفة نعم الله عليكم
بخلق السموات والكواكب بالمنجمين وهم اشد الناس جهلا بالصانع وفي معرفة سلطان الله بالملوك ثم هم اجهل الخلق
واما الذي يروى عن ابن عمر انه الماء البارد فمعناه هذا من جملته ولعله خصه بالذكر لانه اهون موجود واعز مفقود
ومنه قول ابن السماك للرشيد ارأيت لو احتجت الى شربة ماء في فلاة اكنت تبذل فيه نصف الملك قال اذا شربتها اكنت تبذل
نصف الملك وان احتبس بولك اكنت تبذل الملك فلا تغتر بملك كانت الشربة الواحدة من الماء قيمته مرتين اولان اهل
النار يطلبون الماء اشد من طلبهم لغيره قال تعالى ان افيضوا علينا من الماء اولان السورة في المترفين وهم المخصوصون بالماء البارد
والظل والحق ان السؤال يعم المؤمن والكافر عن جميع النعيم سواء كان مما لا بد منه او ليس كذلك لان كل ذلك يجب ان يكون مصروفا
الى طاعة الله لا الى معصيته فيكون السؤال واقعا عن الكل ويؤكده ما روى عنه عليه الصلاة والسلام لا تزول قدما العبد يوم القيمة
حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل به
فكل النعيم من الله تعالى داخل فيما ذكره عليه الصلاة والسلام **المسألة الثالثة** اختلفوا في ان هذا السؤال اين يكون
فالقول الاول ان هذا السؤال انما يكون في موقف الحساب فان قيل هذا لا يستقيم لانه تعالى اخبر ان هذا السؤال متأخر عن
مشاهدة جهنم بقوله ثم لتسئلن واقواها وموقف السؤال متوقف على مشاهدة جهنم قلنا المراد من قوله ثم اي ثم
اخبركم انكم تسألون يوم القيمة وهو كقوله فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة الى قوله ثم كان من الذين آمنوا القول الثاني
انهم اذا دخلوا النار سئلوا عن النعيم توبيخا لهم كما قال كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها وقال ما سلككم في سقر ولا شك ان مجيء
الرسول نعمة من الله فقد سئلوا عنه بعد دخولهم النار ويقال انهم صاروا الى الجحيم وشاهدوها يقال لهم انما حل بكم هذا
العذاب لانكم في دار الدنيا اشتغلتم بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من النار ولو صرفتم عمركم الى طاعة ربكم لكنتم اليوم من اهل
النجاة والفائزين بالدرجات فيكون ذلك من الملائكة سؤالا عن نعيمهم في الدنيا والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

## سورة والعصر ثلث آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والعصر اعلم انهم ذكروا في تفسير والعصر اقوالا الاول
انه الدهر واحتج هذا القائل بوجوه احدها ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عليه الصلاة والسلام اقسم بالدهر
وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ والعصر ونوائب الدهر الا انا نقول هذا مفسد للصلاة فلا نقول قراءة قرآنا بل تفسيرا
ولعله تعالى لم يذكر الدهر لعلمه بان الملحد مولع بذكره وتعظيمه ومن ذلك ذكره في هل اتى ردا على فساد قولهم بالطبع والدهر
وثانيها ان الدهر مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر بل فيه ما هو اعجب
من كل عجب وهو ان العقل لا يقوى على ان يحكم عليه بالعدم فانه مجزأ منقسم بالسنة والشهر واليوم والساعة ومحكوم عليه





بالزيادة والنقصان والمطابقة وكونه ماضيا ومستقبلا فكيف يكون معدوما ولا يمكنه ان يحكم عليه بالوجود لان الحاضر غير قابل
للقسمة والماضي والمستقبل معدومان فكيف يمكن الحكم عليه بالوجود وثالثها ان بقية عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت الف سنة ثم تبت
في اللمحة الاخيرة بقيت في الجنة ابد الآباد فعلمت حينئذ ان اشرف الاشياء حياتك في تلك اللمحة فكان الدهر والزمان من جملة اصول
النعم فلذلك اقسم به ونبه على ان الليل والنهار فرصة يضيعها المكلف والى الاشارة بقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا ورابعها وهو ان قوله تعالى في سورة الانعام قل لمن ما في السموات والارض قل لله اشارة
الى المكان والمكانيات ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار وهو اشارة الى الزمان والزمانيات وقد بينا هناك ان الزمان اعلى
واشرف من المكان فلما كان كذلك كان القسم بالعصر قسما باشرف النصفين من ملك الله وملكوته وخامسها انهم كانوا يضيفون
الخسران الى نوائب الدهر فكانه تعالى اقسم على ان الدهر والعصر نعمة حاصلة لا عيب فيها انما الخاسر المعيب هو الانسان وسادسها
انه تعالى ذكر العصر الذي بمضيه ينتقص عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك النقصان عين الخسران ولذلك قال لفي
خسر ومنه قول القائل **شعر** انا لنفرح بالايام نقطعها وكل يوم مضى نقص من الاجل فكان المعنى والعصر
العجيب امره حيث يفرح الانسان بمضيه لظنه انه وجد الربح مع انه هدم لعمره وانه لفي خسر القول الثاني وهو قول ابي مسلم
المراد بالعصر احد طرفي النهار والسبب فيه وجوه احدها انه اقسم تعالى بالعصر كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة
فان كل بكرة كانها القيمة يخرجون من القبور وتصير الاموات احياء وتقام الموازين وكل عشية تشبه تخريب الدنيا بالصعق والموت وكل
واحد من هاتين الحالتين شاهد عدل ثم اذا لم يحكم الحاكم عقيب الشاهدين عد خاسرا فكذا الانسان الغافل عنهما في خسر وثانيها قال
الحسن رحمه الله انما اقسم بهذا الوقت تنبيها على ان الاسواق قد دنا وقت انقطاعها وانتهاء التجارة والكسب فيها فاذا لم تكتسب ودخلت
الدار وطاف العيال عليك يسألك كل احد ما هو حقه فحينئذ تخجل فتكون من الخاسرين فكذا نقول والعصر اي عصر الدنيا فقد
دنت القيمة وبعد لم تستعد وتعلم انك تسأل غدا عن النعيم الذي كنت فيه في دنياك وتسأل عن معاملتك مع الخلق وكل احد
من المظلومين يدعي ما عليك فاذا انت خاسر ونظيره اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون وثالثها ان هذا الوقت
معظم والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام من حلف بعد العصر كاذبا لا يكلمه الله ولا ينظر اليه يوم القيمة فكما اقسم في حق الرابح
بالضحى فكذا اقسم في حق الخاسر بالعصر وذلك لانه اقسم بالضحى في حق الرابح وبشر الرسول ان امره الى الاقبال وههنا في حق
الخاسر نوعد ان امره الى الادبار ثم كانه يقول بعض النهار باق فيحثه على التدارك في البقية بالتوبة وعن بعض السلف تعلمت
معنى السورة من بائع الثلج كان يصيح ويقول ارحموا من يذوب رأس ماله ارحموا من يذوب رأس ماله فقلت هذا معنى ان الانسان لفي
خسر يمر به العصر فيمضي عمره ولا يكتسب فاذن هو خاسر القول الثالث وهو قول مقاتل اراد صلاة العصر وذكروا فيه
وجوها احدها انه تعالى اقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة
وقيل في قوله تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله انها صلاة العصر وقوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة
العصر فكانما وتر اهله وماله وثانيها ان التكليف في ادائها اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم
بمعايشهم ورابعها روى ان امرأة كانت تصيح في سكك المدينة وتقول دلوني على النبي عليه الصلاة والسلام فرآها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسألها ماذا حدث قالت يا رسول الله ان زوجي غاب عني فزنيت فجاءني ولد من الزنا فالقيت الولد في دن من الخل حتى مات
ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة فقال عليه الصلاة والسلام اما الزنا فعليك الرجم واما قتل الولد فجزاؤه جهنم واما
بيع الخل فقد ارتكبت كبيرا لكن ظننت انك تركت صلاة العصر ففي هذا الحديث اشارة الى تفخيم امر هذه الصلاة وخامسها ان صلاة
العصر بها يختم طاعات النهار فهي كالتوبة بها تختم الاعمال فكما تجب الوصية بالتوبة كذا بصلاة العصر لان الامور بخواتيمها فاقسم
بهذه الصلاة تفخيما لشانها وزيادة توصية المكلف على ادائها واشارة منه انك ان اديتها على وجهها عاد خسرانك ربحا كما قال
الا الذين آمنوا وسادسها قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة ولا يكلمهم ولا يزكيهم منهم رجل
حلف بعد العصر كاذبا فان قيل صلاة العصر فعلنا فكيف يجوز ان يقال اقسم الله تعالى به والجواب انه ليس قسما من
حيث انه فعلنا بل من حيث انها امر شريف تعبدنا الله تعالى بها القول الرابع انه قسم بزمان الرسول عليه الصلاة والسلام
واحتجوا عليه بقوله عليه الصلاة والسلام انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استأجر اجيرا فقال من يعمل من الفجر الى الظهر
بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى الغروب بقيراطين
فعملتم انتم فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله وهل نقصت من اجركم شيئا قالوا لا قال
فهذا فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا فهذا الخبر دل على ان العصر هو الزمان المختص به وبامته فلا جرم
اقسم الله به فقوله والعصر اي والعصر الذي انت فيه فهو تعالى اقسم بزمانه في هذه الآية وبمكانه في قوله وانت
حل بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك فكانه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف

تفسير حال المظروف ثم وجه القسم كانه تعالى يقول انت يا محمد حضرتهم ودعوتهم وهم اعرضوا عنك وما التفتوا اليك
فما اعظم خسرانهم وما اجل خذلانهم قوله تعالى ان الانسان لفي خسر وفيه مسائل المسئلة الاولى الالف واللام
في الانسان يحتمل ان يكون للجنس وان يكون للمعهود السابق فلهذا ذكر المفسرون فيه قولين الاول المراد منه الجنس
وهو كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس ويدل على هذا القول استثناء الذين امنوا من الانسان والقول الثاني المراد
منه شخص معين قال ابن عباس يريد جماعة من المشركين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد المطلب
وقال مقاتل نزلت في ابي لهب وفي خبر مرفوع انه ابو جهل وروى ان هؤلاء كانوا يقولون ان محمدا لفي خسر فاقسم تعالى
ان الامر بالضد مما يتوهمون المسئلة الثانية الخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران ومعناه النقصان وذهاب
راس المال ثم فيه تفسيران وذلك لانا اذا حملنا الانسان على الجنس كان معنى الخسر هلاك نفسه وعمره الا المؤ
العامل فانه ما هلك عمره وماله لانه اكتسب بهما سعادة ابدية وان حملنا لفظ الانسان على الكافر كان المراد
كونه في الضلالة والكفر الا من آمن هو لا محيد تخلص من ذلك الخسار الى الربح المسئلة الثالثة انما قال لفي خسر
ولم يقل لفي الخسر لان التنكير يفيد التهويل تارة والتحقير اخرى فان حملناه على الاول كان المعنى ان الانسان لفي خسر
عظيم لا يعلم كنهه الا الله وتقريره ان الذنب يعظم اما لعظم من في حقه الذنب او لانه وقع في مقابلة النعم العظيمه
وكلا الوجهين حاصلان في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك الذنب في غاية العظم وان حملناه على الثاني
كان المعنى ان خسر الانسان دون خسر الشيطان وفيه بشارة ان في خلقي من هو اعصى منك والتاويل الصحيح
هو الاول المسئلة الرابعة لقايل ان يقول قوله لفي خسر يفيد التوحيد مع انه في انواع من الخسر والجواب
ان الخسر الحقيقي هو حرمانه عن خدمة ربه واما البواقي وهو الحرمان عن الجنة والوقوع في النار فبالنسبة الى الاول
كالعدم وهذا كما ان الانسان في وجوده فوايد ثم قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي لما كان هذا المقصود
اجل المقاصد بالنسبة اليه كالعدم واعلم ان الله تعالى قرن بهذه الاية قراين تدل على مبالغته تعالى في بيان
كون الانسان في خسر فيفيد انه كالمغمور في الخسران وانه احاط به من كل جانب وثانيها كلمة ان فانها للتاكيد وثالثها
حرف اللام في لفي خسر وهاهنا احتمالات الاول في قوله تعالى لفي خسر اي في طريق الخسر وهذا كقوله
في اكل اموال اليتامى انما ياكلون في بطونهم نارا لما كانت عاقبته النار الاحتمال الثاني ان الانسان لا ينفك عن خسر
لان الخسر هو تضييع راس المال وراس ماله هو عمره وهو قلما ينفك عن تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر بالانسان
فان كانت مصروفة الى المعصية فلا شك في الخسران وان كانت مشغولة بالمباحات فالخسران ايضا حاصل لانه كما ذهب لم
يبق منها اثر مع انه كان متمكنا من ان يعمل فيه عملا يبقى اثره دايما وان كانت مشغولة بالطاعات فلا طاعة الا ويمكن الاتيان بها
او بغيرها على وجه احسن من ذلك لان مراتب الخضوع والخشوع لله غير متناهية فان مراتب جلال الله وقهره غير متناهية
وكلما كان علم الانسان بها اكثر كان خوفه منه تعالى اكثر فكان تعظيمه عند الاتيان بالطاعة اتم واكمل وترك الاعلى والاقتصار
بالادنى نوع خسران فثبت ان الانسان لا ينفك البتة عن نوع خسران واعلم ان هذه الاية كالتنبيه على ان الاصل في
الانسان ان يكون في الخسارة والخيبة وتقريره ان سعادة الانسان في حب الاخرة والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب
الداعية الى الاخرة والاخلاص خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة وهي الحواس الخمس والشهوة والغضب
فلهذا السبب صار اكثر الخلق مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في الخسار والبوار فان قيل انه تعالى
قال في سورة التين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فهناك يدل على ان الابتدا من الكمال
والانتها الى النقصان وهاهنا يدل على ان الابتدا من النقصان والانتها الى الكمال فكيف الجمع قلنا المذكور في سورة
التين احوال البدن وهاهنا احوال النفس فلا تناقض بين القولين قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
اعلم ان الايمان والاعمال الصالحة قد تقدم تفسيرها مرارا ثم هاهنا مسايل المسئلة الاولى احتج من قال العمل غير
داخل في مسمى الايمان بالله تعالى عطف عمل الصالحات على الايمان ولو كان عمل الصالحات داخلا في مسمى الايمان لكان ذلك
تكريرا ولا يمكن ان يقال هذا التكرير واقع في القرآن كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقوله
وملائكته وجبريل وميكال لانا نقول هناك انما حسن لان اعادته تدل على كونه اشرف انواع ذلك الكلي وعمل الصالحات ليس
اشرف انواع الامور المسماة بالايمان فبطل هذا التاويل قال الحليمي هذا التكرير واقع لا محالة لان الايمان وان لم يشتمل على عمل الصالحات
لكن قوله وعملوا الصالحات يشتمل على الايمان فيكون قوله وعملوا الصالحات مكتفيا عن ذكر قوله الذين امنوا وايضا فقوله وعملوا
الصالحات يشتمل على قوله وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فيكون ذلك تكريرا اجاب الاولون وقالوا انا لا نمنع ورود
التكرير لاجل التاكيد لكن الاصل عدمه وهذا القدر يكفي في الاستدلال المسئلة الثانية احتج القاطعون بوعيد

الفساق

الفساق بهذه الاية قالوا الاية دلت على ان الانسان في الخسار مطلقا الا الذين امنوا وعملوا الصالحات والمعلق على الشرط
معدوم عند عدمه فوجب ان يكون الخسار لازما لكل من لم يحصل له الايمان والاعمال الصالحة [illegible]
[illegible]
[illegible] المسئلة الثالثة
[illegible]
طاعة الله فهو الصالح [illegible]
[illegible]
[illegible] المسئلة الرابعة
[illegible]
[illegible] قوله تعالى وتواصوا بالحق
بالصبر [illegible]
[illegible]
عليه اهل الدين وعلى هذا الوجه قال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا فالتواصي بالحق يدخل فيه سائر الدين من علم
وعمل والتواصي بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب وفي اجتنابهم ما يحرم الاقدام على المكروه
والاحجام عن المراد كلاهما شاق شديد وهاهنا مسايل المسئلة الاولى هذه الاية فيها وعيد شديد وذلك لانه تعالى
حكم بالخسار على جميع الناس الا من كان آتيا بهذه الاشيا الاربعة وهي الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر
فدل ذلك على ان النجاة معلقة بمجموع هذه الامور وانه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره امور منها
الدعا الى الدين والنصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يحب له ما يحب لنفسه ثم كرر التواصي ليتضمن الاول الدعا الى الحق
والثاني الثبات عليه والاول الامر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر ومنه قوله تعالى وانه عن المنكر واصبر وقال عمر
رحم الله من اهدى الي عيوبي المسئلة الثانية دلت الاية على ان الحق ثقيل وان المحن تلازمه فلذلك قرن التواصي ه
المسئلة الثالثة انما قال وتواصوا ولم يقل ويتواصون لئلا يقع امرا بل الغرض مدحهم بما صدر عنهم في الماضي وذلك
وذلك يفيد رغبتهم الى الثبات عليه في المستقبل قرا ابو عمرو والصبر بشم الباء شيا من الحرف لا يشبع قال ابو علي وهذا
مما يجوز في الوقف ولا يكون في الوصل الا على اجرا الوصل مجرى الوقف وهذا لا يكاد يجوز في القراة وعلى هذا ما يروى عن
سلام بن المنذر انه قرا والعصر بكسر الصاد ولعله وقف لانقطاع نفس او لعارض منعه من ادراج القراة وعلى هذا يحمل الا على اجرا

(هامش: المسئلة الرابعة — انما قال وتواصوا ولم يقل ويتواصون — الوصل مجرى الوقف والله اعلم ٥)

## سورة الهمزة تسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الويل لفظة الذم والسخط
وهي كلمة كل مكروب يتولون فيدعو بالويل واصله وي لفلان ثم كثرت في كلامهم فوصلت باللام وروي انه جبل في جهنم ان قيل
لم قال هاهنا ويل وفي موضع آخر ولكم الويل قلنا لان ثمة قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فقال ولكم الويل وهاهنا نكره لانه
لا يعلم كنهه الا الله وقيل في ويل انها كلمة تقبيح وويس استصغار وويح ترحم فنبه بهذا على قبح هذا الفعل واختلفوا
في الوعيد الذي في هذه السورة هل يتناول كل من يتمسك بهذه الطريقة في الافعال الردية او هو مخصوص باقوام معينين
اما المحققون فقالوا انه عام لكل من يفعل هذا الفعل كاينا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ وقال
آخرون انه مختص باناس معينين ثم قال عطا والكلبي نزلت في الاخنس بن شريق كان يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورايه ويطعن عليه في وجهه
وقال محمد بن اسحق ما زلنا نسمع ان هذه السورة نزلت في امية بن خلف قال الفرا ويجوز ان يكون اللفظ عاما ويكون
المراد منه شخصا معينا كما قال انسان لو قال لك لا ازورك ابدا فتقول انت كل من لم يزرني لا ازوره وانت تريد بهذه العامة
وبالجملة هذا هو المسمى في اصول الفقه تخصيص العام بقرينة العرف المسئلة الثانية الهمز الكسر قال تعالى

همّاز مشّاء ❊ واللمز الطعن ❊ والمراد الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم قال تعالى ولا تلمزوا انفسكم ❊ وبناء فعلة
يدل على ان ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوها اللعنة والضحكة ❊ وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهي المسخرة
التي يأتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وللمفسرين الفاظ ❊ احدها قال ابن عباس الهمزة المغتاب
واللمزة العياب ❊ وثانيها قال ابو زيد الهمزة باليد واللمزة باللسان ❊ وثالثها قال ابو العالية الهمزة بالمواجهة
واللمزة بظهر الغيب ❊ ورابعها الهمزة جهرا واللمزة سرا بالحاجب والعين ❊ وخامسها الهمزة اللمزة الذي يلقب الناس
بما يكرهون وكان الوليد بن المغيرة يفعل ذلك لكنه لا يليق بمنصب الرياسة انما ذلك من عادة السقاط ويدخل فيه من يحاكي الناس
باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا ❊ وقد حكى الحكم بن العاص مشية النبي صلى الله عليه وسلم فنفاه ولعنه
وسادسها قال الحسن الهمزة الذي يهمز جليسه يكسر عليه عينه ❊ واللمزة الذي يذكر اخاه بالسوء ويعيبه ❊ وسابعها
عن ابي الجوزاء قال قلت لابن عباس ويل لكل همزة لمزة من هؤلاء الذين بدأهم الله بالويل فقال هم المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الاحبة الباغون للناس العيب ❊ واعلم ان جميع هذه الوجوه متقاربة راجعة الى اصل واحد وهو الطعن واظهار
العيب ❊ ثم هذا على قسمين فانه اما ان يكون في امر يتعلق بالدين وهو ما يتعلق بالدين والطاعات واما ان يتعلق بالدنيا وهو ما
يتعلق بالصورة او المشي او الجلوس وانواعه كثيرة وهي غير مضبوطة ثم اظهار العيب في هذه الاقسام الاربعة قد يكون
لغائب ❊ وعلى التقديرين فقد يكون باللفظ وقد يكون باشارة الرأس والعين وغيرهما وكل ذلك داخل تحت النهي والزجر انما البحث في
ان اللفظ بحسب اللغة موضوع لماذا فاما ان اللفظ موضوعا له كان منهيا بحسب اللفظ وما لم يكن اللفظ موضوعا له كان داخلا
تحت النهي بحسب القياس الجلي ❊ ولما كان الرسول عليه الصلاة والسلام اعظم الناس منصبا في الدين كان الطعن فيه عظيما
عند الله فلا جرم قال ويل لكل همزة لمزة ❊ ثم قال تعالى الذي جمع مالا وعدده ❊ وفيه مسئلتان المسئلة الاولى
الذي بدل من كل او نصب على الذم وانما وصفه الله تعالى بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز وهو
اعجابه بما جمع من المال وظنه ان الفضل فيه لاجل ذلك فيستنقص غيره ❊ المسئلة الثانية قرأ حمزة والكسائي وابن عامر
جمّع بالتشديد ❊ والباقون بالتخفيف ❊ والمعنى في جمع وجمّع واحد متقارب ❊ والفرق ان التشديد يفيد انه جمعه من ههنا
وههنا وانه لم يجمعه في يوم واحد ولا يومين ولا شهر ولا شهرين يقال فلان يجمّع الاموال اي يجمعها من ههنا وههنا ❊ واما بالتخفيف
فلا يفيد ذلك ❊ واما قوله مالا فالتنكير فيه يحتمل وجهين ❊ احدهما ان يقال المال اسم لكل ما في الدنيا كما قال المال والبنون زينة
الحياة الدنيا ❊ فمال الانسان الواحد بالنسبة الى مال كل الدنيا حقير فكيف يليق به ان يفتخر بذلك القليل ❊ والثاني ان يكون
المراد منه التعظيم اي مالا بلغ في الخبث والفساد اقصى النهايات فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر به ❊ اما قوله وعدده ففيه وجوه
احدها انه مأخوذ من العدة وهي الذخيرة ❊ يقال اعددت الشيء لكذا وعددته اذا امسكته له وجعلته عدة وذخيرة لحوادث
الدهر ❊ وثانيها عدده اي احصاه ❊ وجاء التشديد لكثرة المعدود كما يقال فلان يعدد فضائل فلان ❊ ولهذا قال السدي
عدده اي احصاه ❊ يقول هذا لي وهذا لي يلهيه ماله بالنهار فاذا جاء الليل كان جيفة ❊ وثالثها عدده اي كثره ❊ يقال في بني فلان
عدد اي كثرة ❊ وهذان القولان الاخيران راجعان الى معنى العدد ❊ والقول الثالث الى معنى العدة ❊ وقرأ بعضهم وعدده
بالتخفيف وفيه وجهان ❊ احدهما ان يكون المعنى جمع المال وضبط عدده واحصاه ❊ وثانيهما جمع ماله وقومه الذين ينصرونه
من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار ❊ والرجل منهم كان كذلك كان اذا دخل في التفاخر ❊ ثم وصفه تعالى
بضرب آخر من الجهل فقال يحسب ان ماله اخلده ❊ واعلم ان اخلده وخلده بمعنى واحد ❊ ثم في التفسير وجوه ❊ احدها
ان يكون المعنى طول المال امله حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان ماله تركه خالدا في الدنيا لا يموت ❊ وانما
قال اخلده ولم يقل يخلده لان المراد يحسب هذا الانسان ان المال ضمن له الخلود واعطاه الامان من الموت وكانه حكم قد
فرغ منه ولذلك ذكره على الماضي ❊ قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت ❊ وثانيها يعمل الاعمال
الاعمال المحكمة كتشييد البنيان بالآجر والجص عمل من يظن انه يبقى حيا او لاجل ان يذكر بسببه بعد الموت ❊ وثالثها احب المال
حبا شديدا حتى اعتقد انه ان انتقص مالي اموت فلذلك يحفظه عن النقصان ليبقى حيا وهذا غير بعيد من اعتقاد البخيل
ورابعها ان هذا تعريض بالعمل الصالح وانه هو الذي يخلد صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل ❊ وفي الآخرة في النعيم المقيم ❊ اما قوله
كلا ففيه وجهان ❊ احدهما انه ردع له عن حسبانه اي ليس كما يظن ان المال يخلده بل العلم والصلاح ❊ ومنه قول علي عليه السلام
مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ❊ والقول الثاني معناه حقا لينبذن ❊ واللام في لينبذن جواب
القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم في كلا ❊ اما قوله لينبذن فانما ذكره بلفظ النبذ الدال على الاهانة لان الكافر كان
يعتقد انه من اهل الكرامة ❊ وقرئ لينبذان اي هو وماله لينبذن بضم الذال اي هو وانصاره ❊ واما الحطمة فقال
المبرد انها النار التي تحطم كل من وقع فيها ورجل حطمة اي شديد الاكل يأتي على زاد القوم ❊ واصل الحطم في اللغة الكسر

ويقال للشره الاكول الحطمة ❊ يقال رجل حطمة وحطم بغير ها كانه يحطم الماشية اي يكسرها عند سوقها لعنفه قال المفسرون
الحطمة اسم من اسماء النار وهي الدركة الثانية من دركات النار وقال مقاتل هي تحطم العظام وتاكل اللحوم حتى تهجم على القلوب وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الملك ياخذ الكافر فيكسره على صلبه كما توضع الخشبة على الركبة فتكسر ثم يرمي به الى النار واعلم
ان الفائدة في ذكر جهنم بهذا الاسم ههنا وجوه ❊ احدها الاتحاد في الصورة كانه تعالى يقول ان كنت همزة لمزة فوراءك الحطمة وثانيها في
الحطم كسر فالحطمة تكسرك وتكملك في حضيض جهنم لكن الهمز ليس الا الكسر بالحاجب ❊ اما الحطمة فانها تكسر كسرا لا تبقي ولا تذر
الثالث ان الهماز اللماز ياكل لحم الناس ❊ والحطمة ايضا اسم للنار من حيث انها تاكل الجلد واللحم ❊ ويمكن ان يقال ذكر وصفين
الهمز واللمز ثم قابلهما باسم واحد وقال خذ واحدا مني بالاثنين منك فانه يفي ويكفي فكان السائل يقول
كيف يفي الواحد بالاثنين فقال انما تقول هذا لانك لا تعرف هذا الواحد فلذلك قال وما ادراك ما الحطمة اما قوله
نار الله فالاضافة للتفخيم اي هي نار لا كسائر النيران الموقدة التي لا تخمد ابدا او الموقدة بامره او بقدرته ❊ ومنه قول علي
عليه السلام عجبا ممن يعصي الله على وجه الارض والنار تسعر من تحته ❊ وفي الحديث اوقد عليها الف سنة حتى احمرت
ثم الف سنة حتى ابيضت ثم الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اما قوله تعالى تطلع على الافئدة فاعلم انه يقال
طلع الجبل واطلع عليه اذا علاه ❊ ثم في تفسير الآية وجهان ❊ الاول ان النار تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على
افئدتهم ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد مع استيلاء النار عليه لا يحترق اذ لو احترق لمات وهذا هو المراد من قوله
تعالى لا يموت فيها ولا يحيى ❊ ومعنى الاطلاع هو ان النار تنزل من اللحم الى الفؤاد ❊ والثاني ان سبب تخصيص الافئدة بذلك
هو انها مواطن الكفر والعقائد الخبيثة والنيات الفاسدة واعلم انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تأكل اهلها
حتى اذا اطلعت على افئدتهم انتهت ثم ان الله تعالى يعيد لحمهم وعظمهم مرة اخرى اما قوله تعالى انها عليهم مؤصدة قال
الحسن مؤصدة اي مطبقة ❊ اصدت الباب واوصدته لغتان ولم يقل مطبقة لان المؤصدة هي الابواب المغلقة والاطباق
لا يفيد معنى الباب ❊ واعلم ان الآية تفيد المبالغة في العذاب من وجوه ❊ احدها ان قوله لينبذن يقتضي انه موضع له
قعر عميق جدا كالبئر ❊ وثانيها انه لو شاء يجعل ذلك الموضع بحيث لا يكون له باب لكنه بالباب يذكرهم الخروج فيزيد
في حسرتهم ❊ وثالثها انه قال عليهم مؤصدة ولم يقل مؤصدة عليهم لان قوله عليهم مؤصدة يفيد ان المقصود اولا كونهم
بهذه الحالة ❊ وقوله مؤصدة عليهم لا يفيد هذا المعنى بالقصد الاول اما قوله تعالى في عمد ممددة ❊ ففيه مسائل
المسئلة الاولى [illegible]

يقال عمود البيت للذي يقوم به البيت

[illegible]

## سورة الفيل خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible]

عندنا أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهلكوا
في كل طريق ومنهل ودوى أبرهة فتساقطت أنامله وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه • وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر
يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه • وعن عائشة قالت رأيت قائد الفيل
وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان • ثم في الآية سؤالات السؤال الأول لم قال ألم تر مع أن الواقعة وقعت قبل المبعث
بزمان طويل الجواب المراد من الرؤية العلم والتذكير وهو إشارة إلى أن الخبر به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروريا
مساويا في القوة والجلاء للرؤية • ولهذا السبب قال لغيره على سبيل الذم أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون لا يقال
فلم قال ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير لأنا نقول الفرق أن ما لا يتصور إدراكه لا يستعمل فيه إلا العلم لكونه قادرا
وأما الذي يتصور إدراكه كفرار الفيل فإنه يجوز أن يستعمل فيه الرؤية السؤال الثاني لم قال ألم تر كيف فعل
ربك ولم يقل ألم تر ما فعل ربك الجواب لأن الأشياء لها ذوات ولها كيفيات • باعتبارها تدل على مدبرها ومنشئها وهذه
الكيفية هي التي يسميها المتكلمون وجه الدليل واستحقاق المدح إنما يحصل برؤية هذه الكيفيات لا برؤية الذوات
ولهذا قال أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ولا شك أن هذه الواقعة كانت دالة على قدرة الصانع وعلمه وحكمته
وكانت دالة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لأن مذهبنا أنه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تأسيسا لنبوتهم
وإرهاصا لها ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله • وعند المعتزلة أن ذلك لا يجوز فلا جرم زعموا أنه لا بد وأن يقال كان في
ذلك الزمان نبي كخالد بن سنان وقس بن ساعدة • ثم قالوا ولا يجب أن يشتهر وجودهما ويبلغ الحد التواتر لاحتمال أنه كان
مبعوثا إلى جمع قليلين فلا جرم لم يشتهر خبره • واعلم أن قصة الفيل واقعة على الملحدين جدا لأنهم ذكروا في الزلازل والرياح والصواعق
وسائر الأشياء التي عذب الله تعالى بها الأمم أعذارا ضعيفة • أما هذه الواقعة فلا تجري فيها الأعذار لأنه ليس في شيء من الطبائع
والحيل أن يقبل طير معها حجارة فتقصد قوما دون قوم فتقتلهم ولا يمكن أن يقال إنه كسائر الأحاديث الضعيفة لأنه لم يكن بين
عام الفيل ومبعث الرسول إلا نيف وأربعون سنة • ويوم تلا الرسول صلى الله عليه وسلم هذه السورة كان قد بقي بمكة جمع شاهدوا
تلك الواقعة • ولو كان النقل ضعيفا لشافهوه بالتكذيب • فلما لم يكن كذلك علمنا أنه لا سبيل للطعن فيه السؤال الثالث
لم قال فعل ولم يقل جعل ولا خلق ولا عمل الجواب لأن خلق يستعمل لابتداء الفعل وجعل للكيفيات قال تعالى خلق السموات
والأرض وجعل الظلمات والنور • وعمل بعد الطلب • وفعل عام فكان أولى لأنه تعالى خلق الطيور وجعل طبع الفيل على خلاف
ما كانت عليه وسألوا أن يحفظ البيت ولعله كان فيهم من يستحق الإجابة فلو ذكر الألفاظ الثلاثة لطال الكلام فذكر لفظا
يشمل الكل السؤال الرابع لم قال ربك ولم يقل الرب الجواب من وجوه • أحدها كأنه تعالى قال إنهم شاهدوا هذا الانتقام
ثم لم يتركوا عبادة الأوثان • وأنت يا محمد ما شاهدته ثم اعترفت بالشكر والطاعة فكأنك أنت الذي رأيت تلك الأنعام فلا
جرم تبرأت عنهم واخترتك من الكل فأقول ربك أي أنا لك ولست لهم بل عليهم • وثانيها كأنه تعالى قال إنما فعلت بأصحاب الفيل
تعظيما لك وتشريفا لمقدمك فأنا كنت مربيا لك قبل قدومك فكيف أترك تربيتك بعد ظهورك ففيه بشارة له عليه الصلاة والسلام
بأنه سيظفر السؤال الخامس قوله ألم تر كيف فعل ربك مذكور في معرض التعجب • وهذه الأشياء بالنسبة إلى قدرة الله
تعالى ليست عجيبة فما السبب لهذا التعجب الجواب من وجوه • أحدها أن الكعبة لمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك لأن العالم
يؤدي يرون المسجد إنما المسجد يرون العالم فالعالم هو الدر والمسجد هو الصدف • ثم الرسول الذي هو الدر همّ به الوليد
ولم حتى ضاق قلبه فكأنه تعالى يقول إن الملك العظيم طعن في المسجد فهو ممتو أفنيته فمن طعن فيك وأنت المقصود
من الكل ألا أفنيه وأعدمه إني في هذا التعجب • وثانيها الكعبة قبلة صلاتك وقلبك قبلة معرفتك ثم أنا حفظت قبلة
عملك عن الأعداء فلا تسعى في حفظ قبلة دينك عن الآثام والمعاصي السؤال السادس لم قال أصحاب الفيل ولم يقل
أرباب الفيل وملاك الفيل الجواب لأن الصاحب يكون من الجنس فقوله أصحاب الفيل يدل على أن أولئك الأقوام كانوا من جنس
الفيل في البهيمية وعدم الفهم والعقل بل فيه دقيقة وهي أنه إذا حصلت المصاحبة بين شخصين فيقال للأدون إنه صاحب
الأدون • ولذلك يقال لمن صحب الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة • فقوله أصحاب الفيل يدل على أن أولئك الأقوام
كانوا أقل حالا وأدون منزلة من الفيل وهو المراد من قوله تعالى بل هم أضل • ومما يؤكد ذلك أنهم كلما وجهوا الفيل إلى جانب
الكعبة كان يتحول عنه ويفر عنه كأنه كان يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فيرى محمد فلا أتركه وهم ما كانوا يتركون
تلك العزيمة الردية فدل ذلك على أن الفيل كان أحسن حالا منهم السؤال السابع أليس أن كفار قريش كانوا ملأوا الكعبة
من الأوثان من قديم الدهر ولا شك أن ذلك كان أقبح من تخريب جدران الكعبة فلم سلط الله العذاب على من قصد التخريب
ولم يسلط العذاب على من ملأها من الأوثان والجواب أن وضع الأوثان فيها تعدٍّ على حق الله تعالى وتخريبها تعدٍّ
على حق الخلق فنظيره قاطع الطريق والباغي والقاتل يقتلون مع أنهم مسلمون ولا يقتل الشيخ الكبير والأعمى وصاحب الصومعة

والمرأة

والمرأة وإن كانوا كفارا لأنه لا يتعدى ضررهم إلى الخلق السؤال الثامن كيف القول في إعراب هذه الآية الجواب قال الزجاج كيف
في موضع نصب بفعل لا بقوله ألم تر لأن كيف من حروف الاستفهام • فاعلم أنه تعالى ذكر ما فعل بهم فقال ألم يجعل كيدهم في
تضليل وفيه مسائل المسألة الأولى اعلم أن الكيد هو إرادة مضرة بالغير على الخفية إن قيل فلم سماه كيدا وأمره كان ظاهرا
فإنه كان يصرح أنه كان يهدم البيت • قلنا نعم لكن الذي كان في قلبه شر مما أظهر لأنه كان يضمر الحسد للعرب وكان يريد صرف الشرف
الحاصل لهم بسبب الكعبة • منهم ومن بلدهم إلى نفسه وإلى بلدته المسألة الثانية قال المعتزلة إضافة الكيد إليهم دليل
على أنه تعالى لا يرضى بالقبيح إذ لو رضي لأضافه إلى نفسه كقوله الصوم لي والجواب أنه ثبت في علم النحو أنه يكفي في حسن الإضافة
أدنى سبب فلم لا يكفي في حسن هذه الإضافة وقوعه مطابقا لإرادتهم واختيارهم المسألة الثالثة في تضليل أي
في تضييع وإبطال • يقال ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعا • ونظيره قوله تعالى وما كيد الكافرين إلا في ضلال • وقيل لامرئ القيس
الملك الضليل لأنه ضلل ملك أبيه أي ضيعه بمعنى أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس وأرادوا أن يفتنوا أمره بصرف وجوه
الحاج إليه فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه • ثم كادوه ثانيا بإرادة هدمه فضلل بإرسال الطير عليهم ومعنى حرف الظرف كما يقال
سعى فلان في ضلال أي سعيهم كان في أمر ظهر لكل عاقل أنه كان ضلالا وخطأ • ثم قال تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل • وفيه
سؤالات الأول لم قال طيرا على التنكير الجواب إما للتحقير فإنه مهما كان أحقر كان صنيع الله أعجب وأكبر • أو للتفخيم كأنه يقول
طيرا وأي طير يرمي بحجارة صغيرة فلا تخطئ المقتل السؤال الثاني ما الأبابيل الجواب أما أهل اللغة فقال أبو عبيدة أبابيل
جماعات في تفرقة • يقال جاءت الخيل أبابيل من هاهنا وهاهنا • وهل لهذه اللفظة واحد فيه قولان • الأول وهو قول الأخفش
والفراء أنه لا واحد لها وهو مثل الشماطيط والعباديد لا واحد لها • والثاني أن له واحدا ثم على هذا القول ذكروا ثلاثة أوجه •
أحدها زعم أبو جعفر الرؤاسي وكان ثقة مأمونا أنه سمع واحدها إبالة • وفي أمثالهم ضغث على إبالة وهي الحزمة الكبيرة سميت
الجماعة من الطير في نظامها بالإبالة • وثانيها قال الكسائي كنت أسمع النحويين يقولون أبول وأبابيل كعجول وعجاجيل • وثالثها قال الفراء
ولو قال قائل واحد الأبابيل إبيالة كان صوابا كما قال دينار ودنانير السؤال الثالث ما صفة تلك الطير الجواب
روى ابن سيرين عن ابن عباس قال كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الفيل وأكف كأكف الكلاب • وروى عطاء عنه قال طير سود
جاءت من قبل البحر فوجا فوجا • ولعل السبب أنها أرسلت إلى قوم كان في صورتهم سواد اللون • وفي سيرتهم سواد الكفر
والمعصية • وعن سعيد بن جبير أنها بيض صغار • ولعل السبب أن ظلمة الكفر انهزمت بها • والبياض ضد السواد
وقيل كانت خضرا • ولها رؤوس مثل رؤوس السباع وأقول إنها لما كانت أفواجا فلعل كل فوج منها كان على شكل
آخر فكل أحد وصف ما رأى • وقيل كانت بلقاء كالخطاطيف ثم قال تعالى ترميهم بحجارة من سجيل • وفيه مسائل الأولى
قرأ أبو حنيفة يرميهم أي الله أو الطير لأنه اسم جمع مذكر وإنما يؤنث على المعنى المسألة الثانية ذكروا في كيفية الرمي
وجوها • أحدها قال مقاتل كان كل طائر يحمل ثلاثة أحجار • واحد في منقاره واثنان في رجليه يقتل كل واحد رجلا
مكتوب على كل حجر اسم صاحبه • ما وقع منها حجر على موضع إلا خرج من الجانب الآخر • وإن وقع على رأسه خرج من دبره • وثانيها
روى عكرمة عن ابن عباس قال لما أرسل الله الحجارة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم إلا نفط جلده وثار به الجدري
وهو قول سعيد بن جبير وكانت تلك الأحجار أصغرها مثل العدسة وأكبرها مثل الحمصة • واعلم أن من الناس من أنكر ذلك
وقال لو جوزنا أن يكون في الحجارة الصغيرة التي تكون مثل العدسة من الثقل ما تقوى به على أن تنفذ من رأس الإنسان وتخرج
من أسفله لجوزنا أن يكون الجبل العظيم خاليا عن الثقل وأن يكون وزن التبنة وذلك يرفع الأمان عن المشاهدات فإنه متى جاز
ذلك فليجز أن يكون بحضرتنا شموس وأقمار ولا نراها • وأن يحصل الإدراك في عين الضرير حتى يكون هو بالمشرق ويرى بقعة في
الأندلس وكل ذلك محال • واعلم أن كل ذلك جائز على مذهبنا إلا أن العادة جارية بأنها لا تقع المسألة الثالثة ذكروا في
السجيل وجوها • أحدها أن السجيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم لديوان أعمالهم كأنه قيل بحجارة
من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال ومنه السجل الدلو المملوء ماء • وإنما سمي ذلك الكتاب
بهذا الاسم لأنه كتب فيه العذاب والعذاب موصوف بالإرسال لقوله تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل • وقوله فأرسلنا
عليهم الطوفان • فقوله من سجيل أي مما كتبه الله في ذلك الكتاب • وثانيها قال ابن عباس سجيل معناه سنك وكل يعني بعضه
حجر وبعضه طين • وثالثها قال أبو عبيدة السجيل الشديد • ورابعها السجيل اسم لسماء الدنيا • وخامسها السجيل حجارة
من جهنم • فإن سجيل اسم من أسماء جهنم • فأبدلت النون باللام • أما قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول • ففيه
مسائل المسألة الأولى ذكروا في تفسير العصف وجوها ذكرناها في قوله والحب ذو العصف • وذكروا ههنا وجوها
أحدها أنه ورق الزرع الذي يبقى في الأرض بعد الحصاد وتعصفه الرياح فتأكله المواشي • وثانيها قال أبو مسلم
العصف التبن لقوله ذو العصف والريحان كأنه ما تعصف به الريح عند الذر فتفرق عن الحب وهو إذا كان مأكولا فقد

واحد من منقاره واثنان في رجليه

بطل ولا رائحة له ولا منفعة فيه • وثالثها قال الفراء هو اطراف الزرع قبل ان يدرك السنبل • ورابعها هو الحب الذي اكل لبه
وبقي قشره • المسئلة الثانية ذكروا في تفسير الماكول وجوها • احدها انه الذي اكل وعلى هذا الوجه ففيه احتمالان
احدهما ان يكون المعنى كزرع وتبن قد اكله الدواب ثم القته روثا • ثم يجف وتتفرق اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق
اجزاء الروث الا ان العبارة عنه جاءت على ما عليه آداب القرآن كقوله تعالى كانا ياكلان الطعام وهو قول مقاتل وقتادة وعطا
عن ابن عباس • والاحتمال الثاني على هذا الوجه ان يكون التشبيه واقعا بورق الزرع اذا وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود
الوجه الثاني في تفسير قوله ماكول هو انه قد جعلهم كزرع اكل حبه وبقي تبنه • وعلى هذا التقدير يكون المعنى كعصف
ماكول الحب كما يقال فلان حسن اي حسن الوجه فاجري ماكول على العصف من اجل انه اكل حبه لان هذا المعنى معلوم
هذا قول الحسن • الوجه الثالث في التفسير ان يكون معنى ماكول انه مما يؤكل يعني ماكله الدواب • يقال لكل شي يصلح
للاكل هو ماكول • والمعنى جعلهم كتبن تاكله الدواب وهو قول عكرمة والضحاك • المسئلة الثالثة قال بعضهم ان
الحجاج خرب الكعبة ولم يحدث شي من ذلك فدل على ان قصة الفيل ما كانت على هذا الوجه • وان كانت هكذا الا ان السبب
لتلك الواقعة امر آخر سوى تعظيم الكعبة الجواب انا بينا ان ذلك وقع ارهاصا لامر محمد صلى الله عليه وسلم والارهاص
انما يحتاج اليه قبل قدومه • اما بعد قدومه وتاكد نبوته بالدلائل القاطعة فلا حاجة الى شي من ذلك • والله تعالى اعلم

## سورة قريش اربع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم اعلم ان فيها مسائل
المسئلة الاولى اللام في قوله لايلاف تحتمل وجوها ثلاثة • فانها اما ان تكون متعلقة بالسورة التي قبلها او بالآية
التي بعدها او لا تكون متعلقة لا بما قبلها ولا بما بعدها • اما الوجه الاول وهو ان تكون متعلقة بما قبلها ففيه احتمالات
الاول وهو قول الزجاج وابي عبيدة ان التقدير فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش اي اهلك الله اصحاب الفيل لتبقى قريش • قلنا هذا
السؤال ضعيف لوجوه • احدها انا لا نسلم ان الله تعالى انما فعل بهم ذلك لكفرهم فان الجزاء على الكفر مؤخر الى القيامة
قال تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت • وقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة لانه تعالى لو فعل
بهم ذلك لكفرهم لكان قد فعل ذلك بجميع الكفار بل انما فعل ذلك بهم لايلاف قريش • ولتعظيم منصبهم واظهار قدرهم
وثانيها هب ان زجرهم عن الكفر مقصود ولكن لا يبنافي كون الشي آخر مقصودا حتى يكون الحكم واقعا بمجموع الامرين • وثالثها
انهم اهلكوا لكفرهم فقط الا ان ذلك الاهلاك لما ادى الى ايلاف قريش جاز ان يقال اهلكوا لايلاف قريش كقوله تعالى
ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه لذلك لكن لما آل الامر اليه حسن ان يعتد عليه بالالتقاط • الاحتمال الثاني ان يكون
التقدير الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل لايلاف كانه تعالى قال كل ما فعلنا بهم فقد فعلناه لايلاف قريش فانه تعالى جعل
كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل حتى صاروا كعصف ماكول فكل ذلك انما كان لاجل ايلاف قريش • الاحتمال الثالث
ان يكون اللام في قوله لايلاف بمعنى الى كانه قال فعلنا كل ما فعلنا في السورة المتقدمة الى نعمة اخرى عليهم وهي ايلافهم
رحلة الشتاء والصيف تقول نعمة الى نعمة ونعمة لنعمة سواء في المعنى هذا قول الفراء فهذه احتمالات ثلاثة توجهت على تقدير
تعلق اللام بالسورة قبل هذه وبقي من مباحث هذا القول امران • الاول ان للناس في تعليق هذه اللام بالسورة
المتقدمة قولان • احدهما انه جعلوا السورتين سورة واحدة واحتجوا عليه بوجوه • احدها ان السورتين لا بد
وان تكون كل واحدة منهما مستقلة بنفسها ومطلع هذه السورة لما كان متعلقا بالسورة المتقدمة وجب ان لا تكون
سورة مستقلة • وثانيها ان ابي بن كعب جعلهما في مصحفه سورة واحدة • وثالثها ما روي ان عمر قرأ في صلاة المغرب
في الركعة الاولى والتين • وفي الثانية الم تر ولايلاف قريش معا من غير فصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم
والقول الثاني وهو المشهور المستفيض ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل • واما تعلق اول هذه السورة
بما قبلها فليس بحجة على ما قالوه لان القرآن كله كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضها معنى بعض • الا ترى
ان الآيات الدالة على الوعيد مطلقة • ثم انها متعلقة بآيات التوبة وبآيات العفو عند من يقول به • وقوله انا انزلناه
متعلق بما قبله من ذكر القرآن • واما قوله ان ابيا لم يفصل بينهما فهو معارض باطباق الكل على الفصل بينهما • واما قراءة عمر فانها
لا تدل على انهما سورة واحدة لان الامام قد يقرأ سورتين • البحث الثاني فيما يتعلق بهذا القول • بيان انه لم صار ما فعله الله
باصحاب الفيل سببا لايلاف قريش فنقول لا شك ان مكة كانت خالية عن الزرع والضرع على ما قال تعالى بواد غير ذي
زرع الى قوله فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات فكان اشراف اهل مكة يرتحلون للتجارة ما بين الرحلتين

ويأتون لانفسهم ولاهل بلدهم ما يحتاجون اليه من الاطعمة والثياب وهم انما كانوا يربحون في اسفارهم لان ملوك النواحي كانوا
يعظمون اهل مكة ويقولون هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة وحتى انهم كانوا يسمون اهل مكة اهل الله فلو تم للحبشة
ما عزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العز ولبطلت تلك المزايا في التعظيم والاحترام ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي
يتخطفون من كل جانب • ويتعرض لهم في نفوسهم واموالهم • فلما اهلك الله اصحاب الفيل ورد كيدهم في نحرهم ازداد وقع اهل
مكة في القلوب وازداد تعظيم ملوك الاطراف لهم فازدادت تلك المنافع والمتاجر فلهذا قال الله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل
لايلاف قريش رحلتي الشتاء والصيف • والوجه الثاني مما يدل على صحة هذا القول ان قوله تعالى في آخر السورة فليعبدوا رب
هذا البيت الذي اشارة الى اول سورة الفيل كانه قال فليعبدوا رب هذا البيت الذي قصده اصحاب الفيل • ثم ان رب البيت دفعهم
عن مقصودهم لاجل ايلافكم ونفعكم لان الامر بالعبادة انما يحسن مرتبا على ايصال المنفعة • فهذا يدل على تعلق اول هذه
السورة بالسورة المتقدمة • القول الثاني وهو ان اللام في لايلاف متعلقة بقوله فليعبدوا وهو قول الخليل وسيبويه
والتقدير فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة واعترافا بها • فان قيل فلم دخلت الفاء في قوله
فليعبدوا • قلنا لما في الكلام من معنى الشرط وذلك لان نعم الله عليهم لا تحصى فكانه قيل ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه
لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة • القول الثالث ان تكون هذه اللام غير متعلقة لا بما قبلها ولا بما بعدها قال الزجاج قال قوم
هذه اللام لام التعجب كان المعنى اعجبوا لايلاف قريش وذلك لانهم كل يوم يزدادون غيا وجهلا وانغماسا في عبادة الاوثان والله
تعالى يؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم وينظم اسباب معايشهم وذلك لا شك انه في غاية التعجب من عظيم حلم الله وكرمه ونظيره
في اللغة قولك لزيد وما صنعنا به ولزيد وكرامتنا اياه • وهذا اختيار الكسائي والاخفش والفراء المسئلة الثانية
ذكروا في الايلاف ثلاثة اوجه • احدها ان الايلاف هو الالف قال علماء اللغة الفت الشي والفته الفا والافا وايلافا بمعنى
واحد اي لزمته فيكون معنى الايلاف قريش لالف قريش • وقرأ الآخرون الالف قريش • وقرأ عكرمة ليلاف قريش • وثانيها
ان يكون هذا من قولك لزمت موضع كذا والزمنيه الله كذا تقول الفت كذا والفنيه الله • ويكون المعنى اثبات الالفة بالتدبير
الذي فيه لطف الف بنفسه الفا والفه غيره ايلافا • والمعنى ان هذه الالفة انما حصلت في قريش بتدبير الله وهو كقوله ولكن
الله الف بينهم وقال والف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقد تكون المسرة سببا للمؤانسة والاتفاق كما وقعت
عند انهزام اصحاب الفيل لقريش فيكون المصدر ههنا مضافا الى المفعول ويكون المعنى لاجل ان يجعل الله قريشا ملازمين
لرحلتيهم • وثالثها ان يكون الايلاف هو التهيئة والتجهيز وهو قول الفراء وابن الاعرابي فيكون المصدر على هذا القول مضافا
الى الفاعل والمعنى لتجهيز قريش رحلتيها حتى يتصلا ولا ينقطعا • وقرأ ابو جعفر ليلاف بغير همز فحذف همزة الافعال
حذفا كليا وهو كمذهبه في يستهزئون وقد مر تقريره • المسئلة الثالثة التكرير في قوله لايلاف قريش ايلافهم
هو انه اطلق الايلاف اولا • ثم جعل المقيد بدلا لذلك المطلق تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم المنة فيه • والاقرب
ان يكون قوله لايلاف قريش عاما يجمع كل مؤانسة وموافقة كانت بينهم فيدخل فيه مقامهم وسيرهم وجميع احوالهم
ثم خص ايلاف الرحلتين بالذكر لسبب انه قوام معاشهم كما في قوله وجبريل وميكائيل • وفائدة ترك واو العطف التنبيه على
انه كل النعمة • وتقول العرب الفت كذا اي لزمته والالزام ضربان الزام بالتكليف والامر والزام بالمودة والمؤانسة
فانه اذا احب المرء شيئا لزمه ومنه والزمهم كلمة التقوى كما ان الالجاء ضربان احدهما لدفع الضرر كالهرب من السبع • والثاني لطلب
النفع العظيم كمن يجد مالا عظيما ولا مانع من عقله لا عقلا ولا شرعا ولا حسا فانه يكون كالملجا الى الاخذ • وكذا الدواعي
التي تكون دون الالجاء مرة يكون لدفع الضرر واخرى لطلب النفع وهو المراد في قوله ايلافهم المسئلة الرابعة
اتفقوا على ان قريشا ولد النضر بن كنانة قال عليه الصلاة والسلام انا ابن النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتفي من ابينا وذكروا
في سبب هذه التسمية وجوها احدها انه تصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار • وعن
معاوية انه سأل ابن عباس لم سميت قريش قال لدابة في البحر تاكل ولا تؤكل تعلو ولا تعلى وانشد • وقريش هي التي تسكن البحر
بها سميت قريش قريشا • والتصغير للتعظيم • ومعلوم ان قريشا موصوفون بهذه الصفات لان الخلافة والامامة • فان الائمة
من قريش • وثانيها انه ماخوذ من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد • وثالثها قال الليث
كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا فسموا قريشا لان التقرش التجمع تقرش القوم
اجتمعوا ولذلك سمي قصي مجمعا قال الشاعر شعر ابوكم قصي كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر •
ورابعها انهم كانوا يسدون خلة محاويج الحاج فسموا بذلك قريشا لان القرش التفتيش قال ابن حلزة • شعر
ايها الشامت المقرش عنا • عند عمرو وهل لذاك بقاء • قوله تعالى رحلة الشتاء والصيف فيه مسائل المسئلة الاولى
قال الليث الرحلة اسم الارتحال من القوم للمسير • وفي المراد من هذه الرحلة قولان • الاول وهو المشهور قال المفسرون

فائدة ترك الواو والعطف للتنبيه على انه كل النعمة

في سورة واحدة

وثانيها لانفسهم

كانت لقريش رحلتان رحلة الشتاء الى اليمن لان اليمن ادفا ورحلة الصيف الى الشام • وذكر عطا عن ابن عباس ان السبب في ذلك
هو ان قريشا كانوا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى يموتوا الى ان جاء
هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه وكان له ابن يقال له اسد وكان له ترب من بني مخزوم يحبه ويلعب معه فشكا اليه الضر
والمجاعة فدخل اسد على امه يبكي فارسلت الى اولئك بدقيق وشحم فعاشوا فيه اياما • ثم اتى تربه اسد اليه مرة اخرى وشكا
من الجوع فقام هاشم خطيبا في قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشرف ولد آدم
والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني اب على الرحلتين في الشتاء الى اليمن • وفي الصيف الى الشام
الى التجارات فما ربح الغني قسم بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو اب
اكثر مالا ولا اعز من قريش وقال الشاعر فيهم • شعر • الخالطين فقيرهم بغنيهم • حتى يكون فقيرهم كالكافي •
واعلم ان وجه النعمة والمنة فيه انه لو تم لاصحاب الفيل ما ارادوا لترك اهل الاقطار تعظيمهم وايضا لتفرقوا وصار
حالهم كحال اليهود المذكور في قوله تعالى وقطعناهم في الارض امما • واجتماع القبيلة الواحدة في مكان واحد ادخل في النعمة
من ان يكون الاجتماع من قبايل شتى ونبه تعالى ان من شرط السفر المؤانسة والالفة • ومنه قوله تعالى ولا جدال في الحج والسفر
احوج الى مكارم الاخلاق من الاقامة • القول الثاني ان المراد رحلة الناس الى اهل مكة • ورحلة الشتاء والصيف عمرة رجب وحج
ذي الحجة لانه كان احدهما شتاء والآخر صيفا وموسم منافع مكة يكون بهما • ولو كان تم لاصحاب الفيل ما ارادوا لتعطلت هذه
المنفعة • المسلة الثانية نصب الرحلة بايلافهم مفعولا به • واراد رحلتي الشتاء والصيف فافرد لامن الالتباس كقوله
كلوا في بعض بطنكم • وقيل معناه رحلة الشتاء ورحلة الصيف • وقرى رحلة بضم الراء وهي الجهة • قوله تعالى فليعبدوا
رب هذا البيت • اعلم ان الانعام على قسمين • احدهما دفع الضرر • والثاني جلب النفع • والاول اهم واقدم • ولذلك قالوا دفع
الضرر عن النفس واجب • اما جلب النفع غير واجب • فلهذا السبب بين تعالى نعمة دفع الضرر في سورة الفيل • ونعمة جلب النفع
في هذه السورة • ولما تقرر ان الانعام لا بد وان يقابل بالشكر والعبودية لاجرم لاجرم اتبع ذكر النعمة بطلب العبودية فقال
فليعبدوا • وها هنا مسايل • المسلة الاولى ذكرنا ان العبادة هي التذلل والخضوع للمعبود على غاية ما يكون • ثم قال بعضهم
اراد فليوحدوا لانه هو الذي حفظ البيت دون الاوثان • ولان التوحيد مفتاح العبادات • ومنهم من قال المراد بالعبادات
المتعلقة باعمال الجوارح • ثم ذكر كل قسم من اقسام العبادة • والاولى حمله على الكل لان اللفظ متناول للكل الا ما اخرجه الدليل
وفي الآية وجه آخر وهو ان يكون معنى فليعبدوا اي فليتركوا رحلة الشتاء والصيف وليشتغلوا بعبادة رب البيت فانه يطعمهم
من جوع ويؤمنهم من خوف • ولعل تخصيص لفظ الرب تقرير لما قالوه لابرهة ان للبيت ربا سيحفظه ولم يعولوا في ذلك
على الاصنام فلزمهم لاقرارهم ان لا يعبدوا سواه كانه يقول لما عولتم في الحفظ علي فاصرفوا العبادة والخدمة الي • المسلة الثانية
الاشارة الى البيت في هذا النظم تفيد التعظيم فانه سبحانه تارة اضاف العبد الى نفسه فيقول يا عبادي • وتارة يضيف نفسه
الى العبد فيقول والهكم • كذا في البيت يضيف نفسه الى البيت وهو قوله فليعبدوا رب هذا البيت • وتارة يضيف البيت
الى نفسه فيقول طهر بيتي • ثم قال تعالى الذي اطعمهم من جوع • وفي هذا الاطعام وجوه • احدها انه تعالى لما
آمنهم بالحرم حتى لا يتعرض لهم في رحلتيهم كان ذلك سبب اطعامهم بعدما كانوا فيه من الجوع • وثانيها قال مقاتل شق عليهم
الذهاب الى اليمن والشام في الشتاء والصيف لطلب الرزق فقذف الله تعالى في قلوب الحبشة ان يحملوا الطعام في السفن
الى مكة فحملوه وجعل اهل مكة يخرجون اليهم بالابل والحمر يشترون طعامهم من جدة على مسيرة ليلتين وتتابع ذلك فكفاهم الله
مؤونة الرحلتين • وثالثها قال الكلبي هذه الآية معناها انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف • فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد فقالوا يا محمد ادع الله فانا مؤمنون • فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط فذاك قوله اطعمهم من جوع • ثم في الآية سؤالات الاول
العبادة انما وجبت لانه تعالى اعطى اصول النعم والاطعام ليس من اصول النعم • فلماذا علل وجوب العبادة بالاطعام والجواب
من وجوه • احدها انه تعالى لما ذكر انعامه عليهم بحبس الفيل وارسال الطير واهلاك الحبشة • وبين انه تعالى فعل
ذلك لايلافهم • ثم امرهم بالعبادة • فكان لسايل يقول لكن نحن محتاجون الى كسب الطعام والذب عن النفس فلو اشتغلنا
[illegible]



بالطعام الماكول فانك تعلم انه لا بد من الافلاك والكواكب ولا بد من العناصر الاربعة حتى يتم ذلك الطعام ولا بد من جملة العناصر
الاربعة حتى يتم ذلك الطعام ولا بد من جملة الاعضا على اختلاف اشكالها وصورها حتى يتم الانتفاع بالطعام وحينئذ نعلم ان
الاطعام يناسب الامر بالطاعة والعبادة • السوال الثالث المنة بالاطعام لا يليق بالجواد فكيف باكرم الاكرمين • الجواب
ليس الغرض منه المنة بل الارشاد الى الاصلح لانه ليس المقصود من الاكل تقوية الشهوة المانعة عن الطاعة بل تقوية البنية
على اداء الطاعات فكان المقصود من الامر بالعبادة ذلك • السوال الرابع ما الفايدة في قوله من جوع • الجواب فيه فوايد
احدها التنبيه على ان امر الجوع شديد • ومنه قوله تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا • وقوله صلى الله عليه وسلم
من اصبح آمنا في سربه الحديث • وثانيها ان يذكرهم الحالة الرديئة المولمة وهي الجوع حتى يعرفوا قدر النعمة الحاضرة • وثالثها التنبيه
على ان خير الطعام ما سد الجوعة لانه لم يقل واشبعهم لان الطعام يزيل الجوع • اما الاشباع فانه يورث البطر • اما قوله
تعالى وآمنهم من خوف • ففي تفسيره وجوه • احدها انهم كانوا يسافرون آمنين لا يتعرض لهم احد لا في سفرهم ولا في حضرهم
وكان غيرهم لا يامنون من الغارة في السفر والحضر • هذا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا • وثانيها انه آمنهم
من زحمة اصحاب الفيل • وثالثها قال الضحاك والربيع • وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدتهم الجذام • ورابعها آمنهم
من ان تكون الخلافة في غيرهم • وخامسها آمنهم بالاسلام فقد كانوا في الكفر يتفكرون فيعلمون ان الدين الذي هم عليه
ليس بشي الا انهم ما كانوا يعرفون الدين الذي يجب على العاقل ان يتمسك به • وسادسها اطعمهم من جوع الجهل بطعام الوحي
وآمنهم من خوف الضلال ببيان الهدى كانه تعالى يقول يا اهل مكة كنتم قبل مبعث محمد تسمون جهال العرب ومن كان يبارزكم كانوا
يسمون اهل الكتاب ثم انزلت الوحي عليكم وعلمتكم الكتاب حتى صرتم الآن تسمون اهل العلم والقرآن واولئك يسمون جهال اليهود
والنصارى • ثم اطعام الطعام الذي يكون غذا الجسد يوجب الشكر فاطعام الطعام الذي هو غذا الروح لا يكون موجبا
للشكر • وفي الآية سوالات الاول لم لم يقل عن جوع عن خوف • قلنا لان معنى عن انه جعل الجوع بعيدا عنهم • وهذا يقتضي
ان يكون ذلك التبعيد مسبوقا بمقاساة الجوع زمانا ثم يصرفه عنه • ومن لا يقتضي ذلك بل معناه انهم عندما يجوعون يطعمون
وحين يخافون يؤمنون • السوال الثاني لم قال من جوع من خوف على سبيل التنكير • الجواب من التنكير التعظيم • اما الجوع فلما
روينا انه اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة • واما الخوف فهو الخوف الشديد الحاصل من اصحاب الفيل ويحتمل
ان يكون المراد من التنكير التحقير ويكون المعنى انه تعالى لما لم يجوز لغاية كرمه ابقاهم في ذلك الجوع القليل والخوف القليل فكيف يجوز
في كرمه لو عبدوه ان يهمل امرهم ويحتمل ان يكون المراد انه اطعمهم من جوع دون جوع وآمنهم من خوف دون خوف ليكون الجوع الباقي
والخوف الباقي مذكرا لما كانوا فيه اولا من انواع الجوع والخوف حتى يكونوا شاكرين من وجه وصابرين من وجه آخر فيستحقوا ثواب
الخصلتين • السوال الثالث انه تعالى انما اطعمهم وآمنهم اجابة لدعوة ابرهيم عليه السلام • اما في الاطعام فهو قوله
وارزق اهله • واما الامان فهو قوله اجعل هذا البلد آمنا • واذا كان كذلك كان ذلك منة على ابرهيم عليه السلام • فكيف
جعله منة على اوليك الحاضرين • والجواب ان الله تعالى لما قال اني جاعلك للناس اماما قال ابرهيم ومن ذريتي فقال الله
تعالى لا ينال عهدي الظالمين • فتادب ابرهيم بهذا الادب • حين قال اجعل هذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات
قيده بقوله من آمن بالله فقال الله تعالى لا حاجة الى هذا التقييد بل من كفر فامتعه قليلا فكانه تعالى قال اما نعمة الامامة
فهي دينية فلا تحصل الا لمن كان تقيا • اما نعمة الدنيا فهي تصل الى البر والفاجر والصالح والطالح • واذا كان كذلك كان اطعام
الكافر من الجوع وامانه من الخوف انعاما من الله ابتداء عليه لا بدعوة ابرهيم فزال السوال • والله سبحانه وتعالى اعلم

## سورة الماعون سبع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين • فيه مسايل • المسلة الاولى
قرا بعضهم اريت بحذف الهمزة قال الزجاج وهذا ليس بالاختيار لان الهمزة انما طرحت من المستقبل نحو ترى وارى ونرى
فاما رايت فليس يصح عن العرب فيها ريت • ولكن حذف الاستفهام لما كان في اول الكلام سهل القاء الهمزة • ونظيره • شعر
صاح هل ريت او سمعت براع • رد في الضرع ما قرى في العلاب • وقرا ابن مسعود ارايتك بزيادة حرف الخطاب
كقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي • المسلة الثانية قوله ارايت معناه هل عرفت الذي يكذب بالجزا من هو فان
لم تعرفه فهو الذي يدع اليتيم واعلم ان هذا اللفظ وان كان في صورة الاستفهام لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب
كقولك ارايت فلانا ماذا ارتكب ولماذا عرض نفسه • ثم قيل انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم • وقيل بل خطاب لكل
عاقل اي ارايت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلايله ووضوح تبيانه ايفعل ذلك لا لغرض فكيف يليق بالعاقل

اما نعم الامانة فهي دينية فلا تحصل الا لمن كان تقيا

اجل العقوبة الابدية الى نفسه من غير عرض او لاجل الدنيا فكيف يليق بالعاقل ان يبيع الكثير بالقليل المسئلة الثالثة
في الاية قولان • احدهما انها مختصة بشخص معين وعلى هذا القول ذكروا اشخاصا فقال ابن جريج نزلت في ابي سفيان كان
ينحر جزورين في كل اسبوع فاتاه يتيم فساله لحما فقرعه بعصاه • وقال مقاتل نزلت في العاص بن وائل السهمي وكان من
صفته الجمع بين التكذيب بيوم القيمة والاتيان بالافعال القبيحة • وقال السدي نزلت في الوليد بن المغيرة • وحكى
الماوردي انها نزلت في ابي جهل • وروى انه كان وصيا ليتيم فجاءه وهو عريان يساله شيئا من مال نفسه فدفعه ولم يعبا
به فايس الصبي فقال له اكابر قريش قل لمحمد يشفع لك • وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم والتمس منه ذلك وهو عليه الصلاة والسلام ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابي جهل فقام ابو جهل ورحب به
وبذل المال لليتيم فعيره قريش فقالوا اصبوت فقال لا والله ما صبوت • لكن رايت عن يمينه وعن يساره حربة فخفت
ان لم اجبه يطعنها في • وروى عن ابن عباس انها نزلت في منافق جمع بين البخل والمراءاة • والقول الثاني انه عام لكل
من كان مكذبا بيوم الدين وذلك لان اقدام الانسان على الطاعات واحجامه عن المحظورات انما يكون للرغبة في الثواب والرهبة
عن العقاب • فاذا كان منكرا للقيمة لم يترك شيئا من المشتهيات واللذات فثبت ان انكار القيمة كالاصل لجميع انواع الكفر
والمعاصي المسئلة الرابعة في تفسير الدين وجوه • احدها ان يكون المراد من يكذب بنفس الدين والاسلام
اما لانه كان منكرا للصانع او لانه كان منكرا للنبوة او لانه كان منكرا للمعاد او لشيء من الشرائع • فان قيل كيف يمكن حمله على
هذا الوجه ولا بد وان يكون لكل احد دين والجواب من وجوه • احدها ان الدين المطلق في اصطلاح اهل الاسلام والقران
هو الاسلام قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام • اما سائر المذاهب فلا يسمى دينا الا بضرب من التقييد كدين النصارى
واليهود • وثانيها ان يقال هذه المقالات الباطلة ليست بدين لان الدين هو الخضوع لله • وهذه المذاهب انما هي خضوع
للشهوة او الشبهة • وثالثها وهو قول اكثر المفسرين ان المراد ارايت الذي يكذب بالحساب والجزاء قالوا وحمله على هذا الوجه
اولى لان من ينكر الاسلام قد ياتي بالافعال الحميدة ويحترز عن مقابحها اذا كان مقرا بالقيمة والبعث اما المقدم على كل قبيح
من غير مبالاة فليس هو الا المنكر للبعث والقيمة ثم قال تعالى فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين
واعلم انه تعالى ذكر في تعريف من يكذب بالدين وصفين • احدهما من باب الافعال وهو قوله فذلك الذي يدع اليتيم
والثاني من باب التروك وهو قوله ولا يحض على طعام المسكين • والفاء في قوله فذلك للسببية اي لما كان كافرا مكذبا
كان كفره سببا لدع اليتيم وانما اقتصر عليهما لا على معنى ان الصادر عمن يكذب بالدين ليس الا ذلك لانا نعلم ان المكذب
بالدين لا يقتصر على هذين بل على سبيل التمثيل كانه تعالى ذكر في كل واحد من القسمين مثالا واحدا تنبيها بذكره على سائر
القبائح او لاجل ان هاتين الخصلتين كما انهما قبيحان منكران بحسب الشرع فهما ايضا مستنكران بحسب المروءة والانسانية
اما قوله يدع اليتيم فالمعنى انه يدفعه بعنف وجفوة كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا • وحاصل الامر في دع اليتيم امور
احدها دفعه عن حقه وماله بالظلم • والثاني ترك المواساة معه وان لم تكن المواساة واجبة وقد يلزم المرء ترك النوافل
لا سيما اذا اسند الى النفاق وعدم الدين • والثالث ان يزجره ويضربه ويستخف به • وقرئ يدع اي يتركه ولا يدعو لجميع
الاجانب ويترك اليتيم مع انه عليه الصلاة والسلام قال ما من مائدة اعظم من مائدة عليها يتيم • وقرئ يدعو اليتيم
اي يدعوهم رياء لا يطعمه ولا يبغطه وانما يدعوهم استخداما او قهرا او استطالة • واعلم ان في قوله يدع بالتشديد فائدة
وهي ان يدع بالتشديد معناه انه يعتاد ذلك فلا يتناول الوعيد من وجد عنه ذلك وندم عليه • ومثله قوله تعالى الذين
يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم سمى ذنب المؤمن لمما لانه كالطيف والخيال يطرى ولا يبقى لان المؤمن كلما يقع من
الذنب يندم انما المكذب هو الذي يصر على الذنب اما قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين ففيه وجهان • احدهما انه لا
يحض نفسه على طعام المسكين فاضافة الطعام الى المسكين يدل على ان ذلك الطعام حق المسكين فكانه منع المسكين مما هو حقه وذلك
يدل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه • والثاني لا يحض غيره على اطعام ذلك المسكين بسبب انه لا يعتقد
في ذلك الفعل ثوابا • والحاصل انه تعالى جعل علم التكذيب بالقيمة الاقدام على ايذاء الضعيف ومنع المعروف
يعني انه لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لما صدر عنه ذلك فموضع الذنب هو التكذيب بالقيمة • وههنا سؤالان • السؤال
الاول اليس قد لا يحض المرء في كثير من الاحوال ولا يكون اثما الجواب لان غيره ينوب منابه او لانه لا يقبل قوله او لمفسدة
اخرى يتوهمها • اما ههنا فقد ذكر انه لا يفعل ذلك لما انه مكذب بالدين • السؤال الثاني لم لم يقل ولا يطعم المسكين
الجواب اذا منع عن اليتيم حقه فكيف يطعم المسكين من مال نفسه بل هو بخيل من مال غيره • وهذا هو النهاية في الخسة
فلان يكون بخيلا بمال نفسه اولى • وضده في مدح المؤمنين وتواصوا بالمرحمة وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ثم قال تعالى
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون • وفيه مسائل المسئلة الاولى في كيفية اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه

احدها انه لما كان ايذاء اليتيم والمنع من الاطعام دليلا على النفاق • فالصلاة لا مع الخشوع والخضوع اولى ان تدل على النفاق لان
الايذاء والمنع من النفع معاملة مع المخلوق • اما الصلاة فانها خدمة للخالق • وثانيها كانه لما ذكر ايذاء اليتيم وتركه للحث والسائل
قال اليس ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهي مصونة عنه من عين الرياء والشهوة • وثالثها كانه يقول اقدامه على ايذاء اليتيم
وتركه للحث تقصير فيما يرجع الى الشفقة على خلق الله وسهوه في الصلاة تقصير فيما يرجع الى التعظيم لامر الله • فلما وقع التقصير
في الامرين فقد كملت شقاوته • فلهذا قال الويل • واعلم ان هذا اللفظ انما يستعمل عند الجريمة الشديدة كقوله ويل للمطففين
فويل لهم مما كتبت ايديهم ويل لكل همزة لمزة • ويروى ان كل احد ينوح في النار بحسب جريمته فقائل يقول ويلي
من حب الشرف • واخر يقول ويلي من الحمية الجاهلية واخر يقول ويلي من صلاتي فلهذا يستحب عند سماع مثل هذه الاية
ان يقول المرء ويلي ان لم يغفر لي المسئلة الثانية لا شك ان الاية دالة على حصول التهديد العظيم بفعل ثلاثة امور • احدها
السهو عن الصلاة • وثانيها فعل المراياة • وثالثها منع الماعون وكل ذلك من باب الذنوب ولا يصير المرء به منافقا فلم حكم
الله بمثل هذا الوعيد على فاعل هذه الافعال • ولاجل هذا الاشكال ذكر المفسرون فيه وجوها • احدها ان قوله فويل
للمصلين اي فويل للمصلين من المنافقين الذين ياتون بهذه الافعال • وعلى هذا التقدير تدل الاية على ان الكافر له مزيد
عقوبة بسبب اقدامه على محظورات الشرع وتركه لواجبات الشرع وهو يدل على صحة قول الشافعي ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرائع وهذا الجواب هو المعتمد • وثانيها ما رواه عطاء عن ابن عباس انه لو قال الله في صلاتهم ساهون لكان
هذا الوعيد في المؤمنين لكنه قال عن صلاتهم ساهون • والساهي عن الصلاة هو الذي لا يتذكرها ويكون فارغا عنها
وهذا القول ضعيف لان السهو عن الصلاة لا يجوز ان يكون مفسرا بترك الصلاة لانه تعالى اثبت لهم الصلاة بقوله فويل
للمصلين • وايضا فالسهو عن الصلاة بمعنى الترك لا يكون نفاقا ولا كفرا فيعود الاشكال ويمكن ان يجاب عن الاعتراض الاول
بانه تعالى حكم عليهم بكونهم مصلين نظرا الى الصورة • وبانهم نسوا الصلاة بالكلية نظرا الى المعنى كما قال فاذا قاموا الى
الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ويجاب عن الاعتراض الثاني بان النسيان عن الصلاة هو ان
يبقى ناسيا لذكر الله في جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا عن المنافق الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة • اما المسلم
الذي يعتقد فيها فائدة دينية يمتنع ان لا يتذكر امر الدين والثواب والعقاب في شيء من اجزاء الصلاة بل قد يحصل له السهو في
الصلاة بمعنى انه يصير ساهيا في بعض اجزاء الصلاة فثبت ان السهو في الصلاة من افعال المؤمن والسهو عن الصلاة من
افعال الكافر • وثالثها ان يكون معنى ساهون اي لا يتعهدون اوقات صلواتهم ولا شرائطها • ومعناه انه لا يبالي سواء صلى
او لم يصل وهو قول سعد بن ابي وقاص ومسروق والحسن ومقاتل المسئلة الثالثة اختلفوا في سهو الرسول
عليه الصلاة والسلام في صلاته فقال كثير من العلماء انه عليه الصلاة والسلام ما سها لكن الله تعالى اذن له في ذلك الفعل
حتى يفعل ما يفعله الساهي فيصير ذلك بيانا لذلك الشرع بالفعل والبيان بالفعل اقوى • ثم نقول بتقدير وقوع السهو منه
فالسهو على اقسام • احدها سهو الرسول والصحابة وذلك منجبر تارة بسجود السهو وتارة بالسنن والنوافل والاخر
ما يكثر في الصلاة من الغفلة وعدم استحضار المعارف والنيات والاخر الترك لا الى قضاء والاخراج عن الوقت • ومن
ذلك صلاة المنافق وهي شر من ترك الصلاة لانه يستهزئ بالدين بتلك الصلاة اما قوله تعالى الذين هم يراؤون • واعلم
ان الفرق بين المنافق والمرائي • ان المنافق هو المظهر للايمان المبطن للكفر • والمرائي المظهر ما ليس في قلبه من زيادة خشوع
ليعتقد فيه من يراه انه متدين • او تقول المنافق لا يصلي سرا • والمرائي تكون صلاته عند الناس احسن • واعلم
انه يجب اظهار الفرائض من الصلاة والزكاة لانها شعائر الاسلام • وتاركها مستحق للعن فيجب نفي التهمة انما الاخفاء في النوافل
الا اذا اظهر النوافل ليقتدى به • وعن بعضهم انه راى في المسجد رجلا يسجد للشكر واطالها فقال ما احسن هذا لو كان في
بيتك لكن مع هذا قالوا لا يترك النوافل حياء ولا ياتي بها رياء • وقلما يتيسر اجتناب الرياء • ولهذا قال عليه الصلاة والسلام
الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على المسح الاسود • فان قيل ما معنى المراءاة • قلنا هي مفاعلة من الاراءة
لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به • واعلم ان قوله عن صلاتهم ساهون يفيد امرين اخراجها
عن الوقت • وكون الانسان غافلا فيها • وقوله الذين هم يراؤون يفيد المراءاة فظهر ان الصلاة يجب ان تكون خالية
عن هذه الاحوال الثلاثة • ثم لما شرح امر الصلاة اعقبه بذكر الزكاة فقال ويمنعون الماعون • وفيه اقوال
الاول وهو قول ابي بكر وعلي وابن عباس وابن الحنفية وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والضحاك
هو الزكاة • وفي حديث ابي من قرا سورة ارايت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا وذلك يوهم ان الماعون هو الزكاة ولان الله تعالى
ذكره عقيب الصلاة فالظاهر ان يكون ذلك هو الزكاة • والقول الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان الماعون اسم لما لا يمنع
في العادة ويسأله الفقير والغني وينسب مانعه الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو والمقدحة

واعلم ان الفرق بين المنافق والمرائي

والغربال والقدوم • ويدخل فيه الملح والماء والنار فانه روى ثلاثة لا يحل منعها الماء والنار والملح ومن ذلك ان يلتمس جارك
ان يخبز في تنورك او يضع متاعه عندك يوما او نصف يوم • واصحاب هذا القول قالوا الماعون فاعول من المعن وهو
الشيء القليل ومنه ماله سعنة ولا معنة اى كثير ولا قليل وسميت الزكاة ماعونا لانه يؤخذ من المال ربع العشر فهو قليل
من كثير ويسمى ما يستعار في العرف كالفاس والشفرة ماعونا وعلى هذا التقدير يكون معنى الاية الزجر عن البخل بهذه الاشيا
القليلة فان البخل بها يكون في نهاية الدناءة والركاكة • والمنافقون كانوا كذلك لقوله تعالى الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل وقال مناع للخير معتد اثيم قال العلما • ومن الفضائل ان يستكثر الرجل في منزله مما يحتاج اليه الجيران
فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على الواجب • والقول الثالث قال الفرا سمعت بعض العرب يقول الماعون هو الماء وانشدني
يمج صبيره الماعون مجا • ولعله خصه بذلك لانه اعز مفقود • وارخص موجود • واول شيء يساله اهل النار الماء كما قال
ان افيضوا علينا من الماء • واول لذة يجدها اهل الجنة هو الماء وسقاهم ربهم **القول الرابع** الماعون حسن الانقياد
يقال رض بعيرك حتى يعطيك الماعون اى حتى يعطيك الطاعة • واعلم ان الاولى ان يحمل على كل طاعة يخف فعلها لانه اكثر
فايدة • ثم قال المحققون في الملائمة بين قوله يراؤون وبين قوله ويمنعون الماعون كانه تعالى يقول الصلاة لي والماعون
للخلق فما يجب جعله لي يعرضونه على الخلق وما هو حق الخلق يسترونه عنهم فكانه لا يعامل الخلق والرب الاعلى بالعكس • فان قيل
لم لم يذكر الله اسم الكافر بعينه • فان قلت فلم لم يستر على آدم بل قال وعصى آدم ربه والجواب انه تعالى ذكر
زلة آدم لكن بعد موته مقرونا بالتوبة ليكون لطفا لاولاده انه اخرج من الجنة بسبب الصغيرة فكيف يطمعون الدخول
مع الكبيرة • وايضا فان وصف تلك الزلة رفعة له فانه رجل لم يصدر عنه الا تلك الزلة الوحيدة • ثم تاب عنها مثل هذه
التوبة • ولنختم تفسير هذه السورة بالدعا • الهنا هذه السورة في ذكر المنافقين • والسورة التي بعدها في صفة
محمد صلى الله عليه وسلم • فنحن وان لم نصل في الطاعة الى محمد صلى الله عليه وسلم والى اصحابه لم نصل في الافعال القبيحة
الى هؤلاء المنافقين • فاعف عنا بفضلك يا ارحم الراحمين • وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين وسلم

## سورة الكوثر ثلاث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر** اعلم ان هذه السورة
على اختصارها فيها لطايف • احداها ان هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وذلك لان في السورة المتقدمة وصف
الله تعالى المنافق بامور اربعة • اولها البخل وهو المراد من قوله يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين • والثاني ترك
الصلاة وهو المراد من قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون • والثالث الريا في الصلاة وهو المراد من قوله الذين هم
يراؤون • والرابع المنع من الزكاة وهو المراد من قوله ويمنعون الماعون • فذكر في هذه السورة في مقابلة
تلك الصفات الاربع صفات اربعة فذكر في مقابلة البخل قوله انا اعطيناك الكوثر • اى اعطيناك الكثير فاعط
الكثير • وذكر في مقابلة الذين هم عن صلاتهم ساهون قوله فصل اى دم على الصلاة • وذكر في مقابلة الذين هم
يراؤون • قوله لربك اى ايت بالصلاة لرضا ربك لا لمراياة الناس وذكر في مقابلة ويمنعون الماعون قوله وانحر
واراد به التصدق بلحم الاضاحي فاعتبر هذه المناسبة العجيبة • ثم ختم السورة بقوله ان شانئك هو الابتر اى المنافق
الذي ياتي بتلك الافعال القبيحة المذكورة في تلك السورة سيموت ولا يبقى من دنياه اثر ولا خبر • واما انت فيبقى لك
في الدنيا الذكر الجميل • وفي الاخرة الثواب الجزيل • والوجه الثاني في لطايف هذه السورة ان السالكين الى الله لهم
ثلاث درجات • اعلاها ان يكونوا مستغرقين بقلوبهم وارواحهم في نور جلال الله • وثانيها ان يكونوا مشتغلين
بالطاعات والعبادات البدنية • وثالثها ان يكونوا في مقام منع النفس عن الانصباب الى اللذات المحسوسة والشهوات
العاجلة • فقوله تعالى انا اعطيناك الكوثر اشارة الى المقام الاول وهو كون روحه القدسية متميزة عن ساير الارواح
البشرية بالكم والكيف اما بالكم فلانها اكثر مقدمات • واما بالكيف فلانها اسرع انتقالا من تلك المقدمات الى النتايج
من ساير الارواح • واما قوله فصل لربك فهو اشارة الى المرتبة الثانية فان منع النفس عن اللذات العاجلة جار مجرى
النحر والذبح • ثم قال تعالى ان شانئك هو الابتر • ومعناه ان النفس التي تدعوك الى طلب هذه المحسوسات
العاجلة انها داثرة فانية وانما الباقيات الصالحات خير عند ربك وهي السعادات الروحانية والمعارف الربانية
التي هي باقية ابدية • ولنشرع الان في التفسير **قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر** اعلم ان فيه فوايد
**الفايدة الاولى** انها كالمتمم لما قبلها من السور • وكالاصل لما بعدها من السور • اما انها كالمتمم لما قبلها

من السور فلان الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح محمد عليه الصلاة والسلام وتفصيل احواله فذكر في اول السورة ثلاثة
اشيا تتعلق بنبوته • اولها قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى • وثانيها قوله وللاخرة خير لك من الاولى • وثالثها قوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى • ثم ختم هذه السورة بذكر ثلاثة احوال من احواله فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله الم يجدك يتيما فاوى ووجدك
ضالا فهدى ووجدك عايلا فاغنى • ثم ذكر في سورة الم نشرح انه شرفه بثلاثة اشيا • اولها الم نشرح لك صدرك • وثانيها
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك • وثالثها ورفعنا لك ذكرك • ثم انه تعالى شرفه في سورة والتين بثلاثة انواع من
التشريف • اولها انه اقسم ببلده وهو قوله وهذا البلد الامين • وثانيها انه اخبر عن خلاص امته عن النار وهو قوله الا
الذين امنوا • وثالثها وصولهم الى الثواب وهو قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون • ثم شرفه في سورة اقرا بثلاثة انواع من التشريفات
اولها اقرا باسم ربك اى اقرا القران على الخلق مستعينا باسم ربك • وثانيها انه قهر خصمه بقوله فليدع ناديه سندع الزبانية •
وثالثها انه خصه بالقربة التامة وهو قوله واسجد واقترب • وشرفه في سورة القدر بليلة القدر التي لها ثلاثة انواع
من الفضيلة • اولها كونها خيرا من الف شهر • وثانيها نزول الملائكة والروح فيها • وثالثها كونها سلاما حتى مطلع الفجر
وشرفه في سورة لم يكن بان شرف امته بثلاث تشريفات • اولها انهم خير البرية • وثانيها ان جزاهم عند ربهم • وثالثها رضي
الله عنهم ورضوا عنه • وشرفه في سورة اذا زلزلت بثلاث تشريفات • اولها قوله يومئذ تحدث اخبارها • وذلك يقتضي
ان الارض تشهد يوم القيمة لامته بالطاعة والعبودية • والثاني قوله يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم وذلك يدل على انه
يعرض عليهم طاعاتهم فيحصل لهم الفرح والسرور • وثالثها قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومعرفة الله لا شك انها
اعظم من كل عظيم فلا بد وان يصلوا الى ثوابها • ثم شرفه في سورة والعاديات بان اقسم بخيل الغزاة من امته فوصف تلك
الخيل بصفات ثلاثة والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا • ثم شرف امته في سورة القارعة بامور ثلاثة • اولها
فمن ثقلت موازينه • وثانيها انهم في عيشة راضية • وثالثها انهم يرون اعداءهم في نار حامية • ثم شرفه في سورة الهاكم بان
بين ان المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون معذبين من ثلاثة اوجه • اولها انهم يرون الجحيم • وثانيها انهم يرونها عين اليقين
وثالثها انهم يسالون عن النعيم • ثم شرف امته في سورة والعصر بامور ثلاثة • اولها الايمان الا الذين امنوا • وثانيها عملوا الصالحات
وثالثها ارشاد الخلق الى الاعمال الصالحة وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر • ثم شرفه في سورة الهمزة بان ذكر ان من همز ولمز
فله ثلاثة انواع من العذاب • اولها انه لا ينتفع بدنياه البتة وهو قوله يحسب ان ماله اخلده • كلا • وثانيها انه ينبذ في الحطمة
وثالثها انه يغلق عليه تلك الابواب حتى لا يبقى له رجا الخروج وهو قوله انها عليهم مؤصدة • ثم شرفه في سورة الفيل بان رد كيد
اعدائه في نحرهم من ثلاثة اوجه • اولها جعل كيدهم في تضليل • وثانيها ارسل عليهم طيرا ابابيل • وثالثها جعلهم كعصف ماكول
ثم شرفه في سورة قريش بانه راعى مصالح اسلافه من ثلاثة اوجه • اولها جعلهم مؤتلفين متوافقين لايلاف قريش • وثانيها
اطعمهم من جوع • وثالثها امنهم من خوف • وشرفه في سورة الماعون بان وصف المكذبين بدينه بثلاثة انواع من الصفات
المذمومة • اولها الدناءة واللوم وهو قوله يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين • وثانيها ترك تعظيم الخالق وهو قوله
عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون • وثالثها ترك انتفاع الخلق • ويمنعون الماعون • ثم انه سبحانه لما شرفه في هذه السور
من هذه الوجوه العظيمة قال بعدها انا اعطيناك الكوثر اى اعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة في هذه السور
المتقدمة التي كل واحد منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها • فاشتغل انت بعبادة هذا الرب • وبارشاد عباده الى ما هو
الاصلح لهم • اما عبادة الرب • فاما بالنفس وهو قوله فصل لربك • واما بالمال وهو قوله وانحر • واما الارشاد عباده الى
ما هو الاصلح لهم في دينهم ودنياهم فهو قوله يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فثبت ان هذه السورة كالتتمة
لما قبلها من السور • واما انها كالاصل لما بعدها فهو انه تعالى يامره بعد هذه السورة بان يكفر جميع اهل الدنيا بقوله
يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون • ومعلوم ان عشق الناس على مذاهبهم واديانهم اشد من عشقهم على ارواحهم
واموالهم وذلك انهم يبذلون اموالهم وارواحهم في نصرة اديانهم فلا جرم كان الطعن في مذاهب الناس يثير من العداوة
والغضب ما لا يثيره ساير المطاعن فلما امره بان يكفر جميع اهل الدنيا ويبطل اديانهم لزم ان يصير جميع اهل الدنيا في
غاية العداوة وذلك مما يحترز عنه كل احد من الخلق فلا يكاد يقدم عليه • وانظر الى موسى عليه السلام
كيف كان يخاف من فرعون وعسكره • واما هاهنا فان محمدا لما كان مبعوثا الى جميع الدنيا كان كل واحد من الخلق كفرعون
بالنسبة اليه • فدبر تعالى في ازالة هذا الخوف الشديد تدبيرا لطيفا وهو انه قدم على تلك السورة هذه السورة
فان قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر اى الخير الكثير في الدنيا والدين فيكون ذلك وعدا من الله اياه بالنصرة والحفظ وهو
كقوله حسبك الله • والله يعصمك من الناس الا تنصروه فقد نصره الله • وكان الله تعالى ضامنا لحفظه فلا
لا تخشى احدا • وثانيها انه تعالى لما قال انا اعطيناك الكوثر • وهذا اللفظ يتناول خيرات الدنيا وخيرات الاخرة

وان خيرات الدنيا ما كانت واصلة اليه حين كان بمكة والخلف في كلام الله تعالى محال فوجب في حكمة الله تعالى ابقاؤه في الدنيا
الى حيث يصل اليه تلك الخيرات فكان ذلك بشارة له والوعد بانهم لا يقهرونه ولا يقتلونه ولا يصل اليه مكرهم بل يصير
امره كل يوم في الازدياد والقوة ❁ وثالثها انه عليه الصلاة والسلام لما كفروا وزيفوا اديانهم ودعاهم الى الايمان اجتمعوا
عنده وقالوا ان كنت تفعل هذا لطلب المال فنعطيك من المال ما تصير به اغنى الناس ❁ وان كان مطلوبك الزوجة نزوجك
اكرم نسائنا ❁ وان كان مطلوبك الرياسة فنحن نجعلك رئيسا على انفسنا فقال الله تعالى انا اعطيناك الكوثر اي لما
اعطاك خالق السموات والارض خيرات الدنيا والآخرة فلا تغتر بمالهم ومراعاتهم ❁ ورابعها ان قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر يفيد ان الله تعالى تكلم معه لا بواسطة ❁ فهذا يقوم مقام قوله وكلم الله موسى تكليما بل هذا اشرف
لان المولى اذا شافه عبده بالتزام التربية والاحسان كان ذلك اعلى مما اذا شافهه في غير هذا المعنى بل يفيد قوة القلب
ويزيل الجبن عن النفس فثبت ان مخاطبة الله اياه بقوله انا اعطيناك الكوثر مما يزيل الخوف عن القلب والجبن عن النفس فقدم
هذه السورة على سورة قل يا ايها الكافرون حتى يمكنه الاشتغال بذلك التكليف الشاق والاقدام على تكفير جميع العالم واظهار
البراءة عن معبودهم ودينهم ❁ ثم انه تعالى ذكر بعد سورة قل يا ايها الكافرون سورة اذا جاء نصر الله كانه تعالى ذكر
بعد سورة يقول وعدتك بالكوثر اولا ثم امرتك بابطال اديانهم والبراءة عن معبودهم فلما امتثلت امري فانظر كيف انجزت
لك الوعد ❁ واعطيتك كثرة الاتباع والاشياع ان اهل الدنيا يدخلون في دين الله افواجا ❁ ثم انه لما تم امر الدعوة
واظهار الشريعة شرع في بيان ما يتعلق باحوال القلب والباطن وذلك لان الطالب اما ان يكون طلبه مقصورا على الدنيا
او يكون طالبا للآخرة ❁ اما طالب الدنيا فليس له الا الخسار والذل والهوان ❁ ثم ان مصيره الى النار وهو المراد من سورة
تبت ❁ واما طالب الآخرة فاعظم احواله ان تصير نفسه كالمرآة التي ينتقش فيها صور الموجودات ❁ وقد ثبت في العلوم العقلية
ان طريق الخلق في معرفة الصانع على وجهين ❁ منهم من عرف الصانع ❁ ثم توسل بمعرفته الى معرفة مخلوقاته ❁ وهذا هو
الطريق الاشرف الاعلى ❁ ومنهم من عكس وهو طريق الجمهور ❁ ثم انه سبحانه ختم كتابه الكريم بتلك الطريقة التي هي اشرف
الطريقين فبدأ بذكر صفات الله وشرح جلاله وهو سورة قل هو الله احد ❁ ثم اتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في سورة قل اعوذ
برب الفلق ❁ ثم ختم الامر بذكر مراتب النفس الانسانية ❁ وعند ذلك ختم الكتاب وهذه الجملة انما يتضح تفصيلها عند تفسير هذه السور
على التفصيل فسبحان من ارشد العقول الى معرفة هذه الاسرار الشريفة المودعة في كتابه الكريم **الفائدة الثانية** في قوله
انا اعطيناك هي ان كلمة انا تارة يراد بها التعظيم ❁ وتارة يراد بها الجمع ❁ اما الاول فقد دل الدليل على ان الاله واحد
فلا يمكن حمله على الجمع الا اذا اريد ان هذه العطية مما سعى في تحصيلها الملائكة وجبريل وميكائيل والانبياء المتقدمون
حين سأل ابراهيم رسالته فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال موسى رب اجعلني من امة محمد وهو المراد من قوله
وما كنت بجانب الطور اذ قضينا الى موسى الامر ❁ وبشر به المسيح في قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد واما
الثاني وهو ان يكون ذلك محمولا على التعظيم ففيه تنبيه على عظمة العطية لان الواهب هو جبار السموات والارض والموهوب
منه هو المشار اليه بكاف الخطاب في قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر والهبة هي الشيء المسمى بالكوثر وهو ينبئ عن المبالغة
في الكثرة ❁ ولما اشعر اللفظ بعظم الواهب والموهوب منه والموهوب فيا لها من نعمة ما اعظمها وما اجلها ❁ ويا لها
من تشريف ما اعلاه **الفائدة الثالثة** ان الهدية وان كانت قليلة لكنها بسبب كونها واصلة من المهدي العظيم تصير
عظيمة ❁ ولذلك فان الملك العظيم اذا رمى تفاحة الى بعض عبيده على سبيل الاكرام يعد ذلك اكراما عظيما لا لان لذة
الهدية في نفسها عظيمة بل لان صدورها من المهدي العظيم يوجب كونها عظيمة ❁ فها هنا الكوثر وان كان في نفسه
غاية الكثرة لكنها بسبب صدورها من ملك الخلائق تزداد عظمة وكمالا **الفائدة الرابعة** انه لما قال انا اعطيناك قرن به قرينة
دالة على انه لا يسترجعها ❁ وذلك لان من مذهب ابي حنيفة انه يجوز للاجنبي ان يسترجع موهوبه فان اخذ عوضا
وان قل لم يجز له ذلك الرجوع فان من وهب ضيعة تساوي الف دينار انسانا ثم طلب منه مشطا تساوي فلسا فاعطاه
سقط حق الرجوع ❁ فها هنا لما قال انا اعطيناك الكوثر طلب منه الصلاة والنحر وفائدته اسقاط حق الرجوع
**الفائدة الخامسة** انه بنى الفعل على المبتدأ وذلك يفيد التأكيد ❁ والدليل عليه انك لما ذكرت الاسم المحدث عنه
عرف العقل انه اخبر عنه بامر فيصير مشتاقا الى معرفة انه بماذا يخبر عنه فاذا ذكر ذلك الخبر قبله قبول العاشق لمعشوقه
فيكون ذلك ابلغ في التحقيق ونفي الشبهة ❁ ومن ها هنا تعرف الفخامة في قوله فانها لا تعمى الابصار فانه اكثر فخامة مما لو قال
فان الابصار لا تعمى ❁ ومما يحقق قولنا قول الملك العظيم لمن يعده ويضمن له انا اعطيك انا اكفيك انا اقوم بامرك ❁ وذلك
اذا كان الموعود به امرا عظيما فلما تقع المسامحة به فعظمه يورث الشك في الوفاء به ❁ فاذا اسند الى المتكفل العظيم فح
يزول ذلك الشك ❁ وهذه الآية من هذا الباب لان الكوثر شيء عظيم ❁ فلما قدم المبتدأ وهو قوله صار ذلك الاسناد

مزيلا لذلك

مزيلا لذلك الشك ودافعا لتلك الشبهة **الفائدة السادسة** انه تعالى صدر الجملة بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم وكلام الصادق
مصون عن الخلف فكيف اذا بالغ في التأكيد **الفائدة السابعة** قال انا اعطيناك ولم يقل سنعطيك لان قوله اعطيناك
يدل على ان هذا الاعطاء كان حاصلا في الماضي وهذا فيه انواع من الفوائد ❁ احدها ان من كان في الزمان الماضي ابدا عزيزا
مرعي الجانب مقضي الحاجة اشرف ممن سيصير كذلك ❁ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ❁
وثانيها انه اشارة الى ان حكم الله بالاسعاد والاشقاء والاغناء والافقار ليس امرا يحدث الآن بل كان حاصلا في الازل
وثالثها كانه يقول انا قد هيأنا اسباب سعادتك قبل دخولك في الوجود فكيف نهمل امرك بعد وجودك واشتغالك
بالعبودية ❁ ورابعها كانه تعالى يقول نحن ما اخترناك وما فضلناك لاجل طاعتك والا كان يجب ان لا نعطيك الا بعد
اقدامك على الطاعة بل انما اخترناك بمجرد الفضل والاحسان منا اليك من غير موجب ❁ وهو اشارة الى قوله عليه السلام
قبل من قبل لا لعلة ورد من رد لا لعلة **الفائدة الثامنة** قال اعطيناك ولم يقل اعطينا الرسول او النبي او العالم او المطيع
لانه لو قال ذلك لاشعر ان تلك العطية وقعت معللة بذلك الوصف ❁ فلما قال اعطيناك علم ان تلك العطية غير معللة
بعلة اصلا بل هي محض الاختيار والمشيئة كما قال نحن قسمنا الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس **الفائدة التاسعة**
قال اولا انا اعطيناك ثم قال ثانيا فصل لربك وانحر ❁ وهذا يدل على ان اعطاءه للتوفيق والارشاد سابق على طاعاتنا
وكيف لا يكون كذلك واعطاؤه اياك صفته ❁ وطاعاتنا لها صفتنا ❁ وصفة الخلق لا تكون مؤثرة في صفة الخالق انما المؤثر
هو صفة الخالق في صفة الخلق ❁ ولهذا نقل عن الواسطي انه قال لا اعبد ربا ترضيه طاعتي ويسخطه معصيتي ومعناه
ان رضاه وسخطه قديمان ❁ وطاعتي ومعصيتي محدثتان ❁ والمحدث لا اثر له في القديم بل رضاه عن العبد هو الذي حمله
على طاعته والابدال ❁ وكذا القول في السخط والمعصية **الفائدة العاشرة** قال اعطيناك الكوثر ولم يقل آتيناك
الكوثر ❁ والسبب فيه امران ❁ الاول ان الايتاء يحتمل ان يكون واجبا وان يكون تفضلا ❁ واما الاعطاء فانه بالتفضل اشبه
فقوله انا اعطيناك الكوثر يعني هذه الخيرات الكثيرة وهي الاسلام والقرآن والنبوة والذكر الجميل في الدنيا ❁ والآخرة
محض التفضل منا اليك وليس فيه شيء على سبيل الاستحقاق والوجوب ❁ وفيه بشارة من وجهين ❁ احدهما ان الكريم اذا شرع
في التربية على سبيل التفضل ❁ فالظاهر انه لا يبطلها بل كان كل يوم يزيد فيها ❁ الثاني ان ما يكون سبب الاستحقاق فانه
يتقدر بقدر الاستحقاق وفعل العبد متناه ❁ فيكون الاستحقاق الحاصل بسببه متناهيا اما التفضل فانه نتيجة
كرم الله وكرم الله غير متناه فيكون تفضله ايضا غير متناه ❁ فلما دل قوله اعطيناك على انه تفضل لا استحقاق اشعر
ذلك بالدوام والتزايد ابدا ❁ فان قيل اليس قال آتيناك سبعا من المثاني ❁ قلنا الجواب من وجهين ❁ الاول ان الاعطاء
يوجب التمليك والملك سبب الاختصاص ❁ والدليل عليه انه لما قال سليمان هب لي ملكا فقال هذا عطاؤنا فامنن او امسك
ولهذا السبب من حمل الكوثر على الحوض قال لامته تكون اضيافا فاما الايتاء فانه لا يفيد الملك ❁ فلهذا قال في القرآن
آتيناك فانه لا يجوز للنبي ان يكتم شيئا منه ❁ الثاني ان الشركة في القرآن شركة في العلوم ولا عيب فيها اما الشركة في النهر فهي
شركة في الاعيان وهي عيب ❁ الوجه الثاني بيان ان الاعطاء اليق بهذا المقام من الايتاء هو ان الاعطاء يستعمل في
القليل والكثير قال الله تعالى اعطى قليلا واكدى ❁ اما الايتاء فلا يستعمل الا في الشيء العظيم قال الله تعالى وآتاه الله
الملك ❁ ولقد آتينا داود منا فضلا ❁ والاتي السيل المنصب اذا ثبت هذا فقوله انا اعطيناك الكوثر يفيد تعظيم
حال محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه ❁ احدها يعني هذا الحوض كالشيء القليل الحقير بالنسبة الى ما هو مدخر لك من
الدرجات العالية والمراتب الشريفة فهو يتضمن البشارة باشياء هي اعظم من هذا المذكور ❁ وثانيها ان الكوثر اشارة الى الماء
كانه تعالى يقول الماء في الدنيا دون الطعام فاذا كان نعيم الماء كوثرا فكيف سائر النعيم ❁ وثالثها ان نعيم الماء اعطاء ونعيم
الجنة ❁ ورابعها كانه تعالى يقول هذا الذي اعطيتك وان كان كوثرا لكنه في حقك اعطاء لا ايتاء لانه دون حقك ❁ وفي
العادة ان المهدي له اذا كان عظيما فالهدية وان كانت عظيمة الا انه يقال انها حقيرة اي هي حقيرة بالنسبة الى عظمة
المهدى له فكذا ها هنا ❁ وخامسها ان نقول انما قال فيما اعطاه من الكوثر اعطيناك لانه دنيا ❁ والقرآن ايتاء لانه دين ❁
وسادسها كانه يقول اجمع ما ملكت مني عطية وان كانت كوثرا الا ان الاعظم من ذلك الكوثر ان تبقى مظفرا وتصير ابترا فاتنا
اعطيناك بالتقدمة هذا الكوثر ❁ اما الذكر الباقي والظفر على العدو فلا يحسن اعطاؤه الا بعد التقدمة للطاعة يحصل
منك فصل وانحر اي فاعبد لي وسل الظفر بعد العبادة فاني وجبت على كرمي ان بعد كل فريضة دعوة مستجابة كما روي في
الحديث المسند فحينئذ استجيب فيصير خصمك ابتر وهو الابتر ❁ فهذا ما خطر بالبال في تفسير قوله تعالى انا اعطيناك ❁ اما
الكوثر فهو في اللغة فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة ❁ قيل لاعرابية رجع ابوها من السفر بم آب ابوك قالت آب بكوثر
اي بالعدد الكثير ❁ ويقال للرجل الكثير العطاء كوثر قال الكميت شعر وانت كثير يا ابن مروان طيب وكان ابوك ابن الفضائل كوثرا

الايتا

ان الاعطاء يستعمل في القليل والكثير

ويقال للغبار اذا سطع وكثر كوثر هذا معنى الكوثر في اللغة . واختلف المفسرون على وجوه . الاول وهو المشهور
المستفيض عند السلف والخلف انه نهر في الجنة . روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت نهرا في الجنة حافتاه
قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي الى مجرى الماء فاذا انا بمسك اذفر فقلت ما هذا قيل هو الكوثر الذي اعطاك الله
وفي رواية انس ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طيور خضر لها اعناق كاعناق البخت من اكل من ذلك الطير
وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان . ولعله انما سمي ذلك النهر كوثرا اما لانه اكثر انهار الجنة ماء وخيرا او لانه انفجر
منه انهار الجنة كما انه روي ما في الجنة بستان الا وفيه من الكوثر نهر جار او لكثرة الذين يشربون منها او لكثرة ما فيها
من المنافع على ما قال عليه الصلاة والسلام انه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير . القول الثاني انه حوض والاخبار فيه مشهورة
ووجه التوفيق بين هذا القول والقول الاول ان يقال لعل النهر ينصب في الحوض او لعل الانهار انما تسيل من ذلك الحوض فيكون
ذلك الحوض كالمنبع . القول الثالث الكوثر اولاده لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه السلام بعدم الاولاد
فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني امية
في الدنيا احد يعبأ به ثم انظر كم كان فيهم من الاكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا رضي الله عنهم
والنفس الزكية وامثالهم . القول الرابع الكوثر علماء امته وهو لعمري الخير الكثير لانهم كانبياء بني اسرائيل وهم يحيون ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشرون آثار دينه واعلام شرعه . ووجه التشبيه ان الانبياء كانوا متفقين على اصول
معرفة الله مختلفين في الشرائع رحمة على الخلق ليصل كل احد الى ما هو صلاحه . كذا علماء امته متفقون بأسرهم في اصول
شرعه لكنهم مختلفون في فروع الشريعة رحمة على الخلق . ثم الفضيلة من وجهين . احدهما انه يروى انه يجيء يوم
القيامة كل نبي ويتبعه امته فربما يجيء الرسول ومعه الرجل والرجلان . ويجيء كل عالم من امته ومعه الالوف الكثيرة
فيجتمعون عند الرسول فربما يزيد عدد بعض العلماء على عدد متبعي الف من الانبياء . الوجه الثاني انهم كانوا مصيبين
لاتباعهم النصوص الماخوذة من الوحي . وعلماء هذه الامة يكونون مصيبين مع كد الاستنباط والاجتهاد او على
قول البعض ان كان بعضهم مخطئا لكن المخطئ يكون ايضا ماجورا . القول الخامس الكوثر هو النبوة لا شك انها
الخير الكثير لانها المنزلة التي هي ثانية الربوبية . ولهذا قال من يطع الرسول فقد اطاع الله وهو شطر الايمان
بل هي كالنفس في معرفة الله تعالى لان معرفة النبوة لابد وان يتقدمها معرفة ذات الله وعلمه وقدرته وحكمته ثم اذا
حصلت معرفة النبوة فحينئذ يستفاد منها معرفة بقية الصفات كالسمع والبصر والصفات الخبرية والوحدانية
على قول بعضهم . ثم لرسولنا الحظ الاوفر من هذه المنقبة لانه المذكور قبل سائر الانبياء والمبعوث بعدهم . ثم هو
مبعوث الى الثقلين وهو الذي يحشر قبل كل الانبياء ولا يجوز ورود الشرع على نسخه وفضائله اكثر من ان تعد وتحصى
ولنذكرها هنا قليلا منها فنقول ان كتاب آدم عليه السلام كان كلمات على ما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات
وكتاب ابرهيم كان ايضا كلمات قال واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات . وكتاب موسى كان صحيفة قال تعالى صحف ابرهيم وموسى
اما كتاب محمد عليه الصلاة والسلام فانه هو الكتاب المهيمن على الكل قال تعالى ومهيمنا عليه وايضا فان آدم
عليه السلام انما تحدى بالاسماء المنثورة انبئوني باسماء هؤلاء . ومحمد عليه الصلاة والسلام انما تحدى بالمنظوم قال تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن . واما نوح عليه السلام فان الله اكرمه بان امسك سفينته على الماء وفعل
في محمد صلى الله عليه وسلم اعظم منه . روي ان النبي عليه الصلاة والسلام كان على شط ماء ومعه عكرمة بن ابي جهل
فقال لئن كنت صادقا فادع ذلك الحجر الذي هو في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فاشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليه فانقلع
الحجر الذي اشار اليه من مكانه وسبح حتى صار بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام وسلم عليه وشهد له بالرسالة فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا قال حتى يرجع الى مكانه فامره النبي فرجع الى مكانه واكرم ابرهيم فجعل النار عليه
بردا وسلاما وفعل في حق محمد صلى الله عليه وسلم اعظم من ذلك عن محمد بن حاطب قال كنت طفلا فانصبت علي القدر
من النار فاحترق جلدي كله فحملتني امي الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت هذا ابن حاطب احترق كما ترى فتفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في جلدي ومسح بيده على المحترق وقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بي واكرم موسى
ففلق له البحر في الارض واكرم محمدا صلى الله عليه وسلم ففلق له القمر فوق السماء ثم انظر الى فرق ما بين السماء والارض
وفجر له الماء من الحجر . وفجر لمحمد اصابعه عيونا واكرم موسى بان ظلل بالغمام واكرم محمدا بذلك فكان الغمام تظلله واكرم
موسى باليد البيضاء . واكرم محمدا باعظم من ذلك وهو القرآن العظيم الذي وصل نوره الى الشرق والغرب وقلب
الله عصا موسى ثعبانا . ولما اراد ابو جهل ان يرميه بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا . وسبحت الجبال
مع داود وسبحت الاحجار في يده ويد اصحابه . وكان داود اذا مسح الحديد لان وكان هو صلى الله عليه وسلم لما مسح الشاة الجرباء درت

واكرم داود عليه السلام بالطير المحشورة . ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالبراق . واكرم عيسى عليه السلام باحياء الموتى واكرمه
بجنس ذلك حين اضافه اليهود بالشاة المسمومة . فلما وضع اللقمة في فمه اخبرته . وابرأ الاكمه والابرص . روي ان امرأة
معاذ بن عفراء اتته وكانت برصاء وشكت ذلك الى الرسول صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بغصن فاذهب الله البرص . وحين سقطت حدقة
الرجل يوم احد فرفعها وجاء بها الى الرسول صلى الله عليه وسلم فردها الى الرسول وكان عيسى عليه السلام يعرف ما يخفيه
الناس في بيوتهم . فالرسول صلى الله عليه وسلم عرف ما اخفاه عمه مع ام الفضل فاخبره فاسلم العباس لذلك . واما سليمان
عليه السلام رد له الشمس مرة وفعل ذلك ايضا للرسول حين نام وراسه في حجر علي فانتبه وقد غربت الشمس فردها حتى
صلى وردها مرة اخرى لعلي فصلى العصر في وقته . وعلم سليمان منطق الطير . وفعل ذلك في حق محمد . روي ان طيرا فجع
بولده فجعل يرفرف على راسه ويكلمه ويقول ايكم فجع هذه بولدها فقال رجل انا فقال اردد ولدها وكلام الذئب معه مشهور
واكرم سليمان بمسير غدوه شهر . واكرمه بالمسير الى بيت المقدس في ساعة . وكان حماره يعفور يرسله الى من يريد فيجيء به
وقد شكوا اليه من ناقة انها اغتلمت وانهم لا يقدرون عليها فذهب اليها فلما رأته خضعت له . وارسل معاذا الى بعض
النواحي فلما وصل الى المفازة فاذا اسد جاثم فهاله ذلك ولم يستجرئ ان يرجع فتقدم وقال اني رسول رسول الله فتبصبص
وكما انقاد الجن لسليمان . فكذا انقادوا لمحمد عليه الصلاة والسلام . وحين جاء الاعرابي بالضب وقال لا اومن حتى يؤمن هذا
الضب فتكلم الضب معترفا برسالته . وحين كفل الظبية حين ارسلها الاعرابي حيث غدت حتى اخرجته من الكفالة وحنت
الحنانة بفراقه وحين لسعت الحية عقب الصديق في الغار قال كنت مشتاقا اليه منذ كذا سنين فلم حجبتني عنه واطعم الخلق
الكثير من الطعام القليل ومعجزاته اكثر من ان تحصى . فلهذا السبب قدمه الله تعالى على الذين اصطفاهم فقال تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح . فلما كانت رسالته كذلك جاز ان يمنه الله تعالى بالكوثر فقال انا اعطيناك
الكوثر . القول السادس الكوثر هو القرآن وفضائله لا تحصى . ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام . قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
القول السابع الكوثر الاسلام وهو الخير الكثير ولعمري فان به يحصل خير الدنيا والآخرة وبفواته يفوت خير الدنيا والآخرة
وكيف لا والاسلام عبارة عن المعرفة ولابد فيه من المعرفة قال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فهو الكوثر . واذا كان الاسلام
خيرا كثيرا فهو الكوثر . فان قيل لم خصه بالاسلام مع ان نعمه عمت الكل . قلنا لان الاسلام وصل منه الى غيره فكان هو عليه السلام
كالاصل فيه . القول الثامن الكوثر كثرة الاتباع والاشياع ولا شك ان له من الاتباع ما لا يحصيهم الا الله . روي انه عليه
الصلاة والسلام قال انا دعوة خليل الله ابرهيم وانا بشرى عيسى وانا مقبول الشفاعة يوم القيامة فبينا اكون مع الانبياء اذ
يظهر لنا امة من الناس فنبتدرهم بابصارنا . ما منا من نبي الا وهو يرجو ان تكون امته . فاذا هم غر محجلون من آثار الوضوء
فاقول امتي ورب الكعبة . فيدخلون الجنة بغير حساب . ثم يرفع لنا ثلاثة امثال ما قد رفع فنبتدرهم وذكر كما ذكر في
المرة الاولى والثانية . ثم قال ليدخلن ثلاث فرق من امتي قبل ان يدخلها من الناس ولقد قال عليه الصلاة والسلام تناكحوا تكثروا
فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط فاذا كان يباهي بمن لم يبلغ حد التكليف فكيف بمثل هذا الجم الغفير فلاجرم حسن
منه تعالى ان يذكره هذه النعمة الجسيمة فقال تعالى انا اعطيناك الكوثر . القول التاسع الكوثر الفضائل الكثيرة التي فيه فانه
باتفاق الامة افضل من جميع الانبياء قال المفضل بن سلمة يقال رجل كوثر اذا كان سخيا كثير الخير . وفي صحاح اللغة الكوثر
السيد الكثير الخير . فلما رزق الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم هذه الفضائل العظيمة حسن منه ان يذكره هذه النعم الجسيمة فيقول
انا اعطيناك الكوثر . القول العاشر الكوثر رفعة الذكر وقد مر تفسيره في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك . القول الحادي عشر انه العلم
قالوا وحمل الكوثر على هذا اولى لوجوه . احدها ان العلم هو الخير الكثير قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما . وامره بطلب العلم فقال تعالى وقل رب زدني علما وسمى الحكمة خيرا كثيرا فقال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وثانيها انا اما ان نحمل الكوثر على نعم الآخرة او على نعم الدنيا . والاول غير جائز لانه قال اعطيناك ونعم الجنة سيعطيها لا انه
اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور الواصلة اليه في الدنيا هو العلم والنبوة داخلة في العلم
فوجب حمل اللفظ على العلم . وثالثها انه لما قال انا اعطيناك الكوثر قال عقيبه فصل لربك وانحر والشيء الذي يكون متقدما
على العبادة هو المعرفة . ولذلك قال في سورة النحل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون . وقال في طه انني انا الله لا اله
الا انا فاعبدني . فقدم في السورتين المعرفة على العبادة ولان الفاء للتعقيب في قوله فصل يدل على ان اعطاء الكوثر
كالموجب لهذه العبادة . ومعلوم ان الموجب للعبادة ليس الا العلم . القول الثاني عشر ان الكوثر هو الخلق الحسن
قالوا والانتفاع بالخلق الحسن عام ينتفع به العالم والجاهل والبهيمة . فاما الانتفاع بالعلم فهو مختص بالعقلاء
فكان نفع الخلق الحسن اعم فوجب حمل الكوثر عليه . ولقد كان عليه الصلاة والسلام كذلك كان للاجانب كالوالد يحل
عقدهم ويكفي مهمهم . وبلغ حسن خلقه الى انهم لما كسروا اسنانه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون . القول الثالث عشر

قال النبي عليه السلام لتدخلن ثلاث فرق من امتي

الكوثر هو المقام المحمود الذي هو الشفاعة فقال في الدنيا وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم • وقال في الآخرة شفاعتي لاهل الكبائر من امتي • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام ان لكل نبي دعوة مستجابة واني خبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة • القول الرابع عشر ان المراد من الكوثر هو هذه السورة قال وذلك لانها مع قصورها وافية بجميع منافع الدنيا والآخرة وذلك لانها مشتملة على المعجز من وجوه • اولها انا اذا حملنا الكوثر على كثرة الاولاد وعدم انقطاع النسل كان هذا اخبارا عن الغيب وقد وقع مطابقا له فكان معجزا • وثانيها انه قال فصل لربك وانحر وهو اشارة الى زوال الفقر حتى يقدر على النحر وقد وقع فيكون هذا ايضا اخبارا عن الغيب • وثالثها قوله ان شانئك هو الابتر وكان الامر على ما اخبر فكان معجزا • ورابعها انهم عجزوا عن معارضتها مع صغرها فبان عجزوا عن معارضة كل القرآن اولى • ولما ظهر وجه الاعجاز فيها من هذه الوجوه فقد تقررت النبوة • واذا تقررت وتقرر التوحيد • ومعرفة الصانع وتقرر الدين والاسلام • وتقرر ان القرآن كلام الله تعالى • واذا تقررت هذه الاشياء تقرر جميع خيرات الدنيا والآخرة • فهذه السورة جارية مجرى النكتة المختصرة القوية الوافية باثبات جميع المقاصد فكانت صغيرة في الصورة كبيرة في المعنى ثم لها خاصية ليست لغيرها وهي انها ثلاث آيات وقد بينا ان كل واحد منها معجز فهي بكل واحد من آياتها معجز ومجموعها معجز وهذه الخاصية لا توجد في ساير السور فيحتمل ان يكون المراد من الكوثر هو هذه السورة • القول الخامس عشر ان المراد من الكوثر جميع نعم الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو المنقول عن ابن عباس لان لفظ الكوثر يتناول الكثرة الكثيرة فليس حمل الآية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل • روي ان سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه • وقال بعض العلماء ظاهر قوله انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان يكون الاولى حمله على ما اتاه الله من النبوة والقرآن والذكر العظيم والنصرة على الاعداء • واما الحوض وساير ما اعد له من الثواب • فهو وان جاز ان يقال انه داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع الا ان الواقع في الحقيقة ما قدمناه لان ذلك وان اعد له فلا يصح ان يقال على الحقيقة انه اعطاه في حال نزول هذه السورة بمكة • ويمكن ان يجاب عنه بان من اقر لولده الصغير بضيعة له يصح ان يقال انه اعطاه تلك الضيعة مع ان الصبي في تلك الحال لا يكون اهلا للتصرف والله اعلم

**قوله تعالى** فصل لربك وانحر في الآية مسايل **المسألة الاولى** في قوله فصل وجوه • الاول ان المراد هو الامر بالصلاة • فان قيل اللايق عند النعمة الشكر فلم قال فصل ولم يقل فاشكر الجواب من وجوه • الاول ان الشكر عبارة عن التعظيم وله ثلاثة اركان • احدها يتعلق بالقلب وهو ان يعلم ان تلك النعمة منه لا من غيره • والثاني باللسان وهو ان يمدحه • والثالث بالعمل وهو ان يخدمه ويتواضع له • والصلاة مشتملة على هذه المعاني وعلى ما هو ازيد منها • فالامر بالصلاة امر بالشكر وزيادة فكان الامر بالصلاة احسن • وثانيها انه لو قال فاشكر لكان ذلك يوهم انه ما كان شاكرا لكنه كان من اول امره عارفا بربه مطيعا له شاكرا لنعمه • اما الصلاة فانه انما عرفها بالوحي قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان • الثالث في اول ما امر بالصلاة قال محمد عليه الصلاة والسلام كيف اصلي ولست على الوضوء فقال الله انا اعطيناك الكوثر ثم ضرب جبريل بجناحه على الارض فنبع ماء الكوثر فتوضأ فقيل له عند ذلك فصل • فاما اذا حملنا الكوثر على الرسالة فكانه قال اعطيتك الرسالة لتامر نفسك وساير الخلق بالطاعات واشرفها الصلاة فصل لربك • القول الثاني فصل لربك اي فاشكر لربك وهو قول مجاهد وعكرمة • وعلى هذا القول ذكروا في فايدة قوله فصل وجوها • احدها التنبيه على ان شكر النعمة يجب على الفور لا على التراخي • وثانيها ان المراد من فا التعقيب هاهنا الارشاد الى ما مر بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • ثم انه خص محمدا صلى الله عليه وسلم في هذا الباب بمزيد مبالغة وهو قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولانه قال له فاذا فرغت فانصب اي تعلق باخرى عقيب الاولى فكيف بعد وصول نعمتي اليك ألا يجب عليك ان تشرع في الشكر عقيب ذلك • القول الثالث فصل اي فادع الله لان الصلاة هي الدعاء • فايدة الفا على هذا التقدير كانه تعالى يقول قبل سؤالك ودعائك ما بخلنا عليك بالكوثر فكيف بعد سؤالك لكن سل تعطه واشفع تشفع وذلك لانه كان ابدا في همّ امته • واعلم ان القول الاول اولى لانه اقرب الى عرف الشرع

**المسألة الثانية** في قوله وانحر قولان • الاول وهو قول عامة المفسرين ان المراد هو نحر البدن • والقول الثاني ان المراد بقوله وانحر فعل يتعلق بالصلاة اما قبلها او فيها او بعدها ثم ذكروا فيه وجوها احدها قال الفرا معناها استقبل القبلة • وثانيها روى الاصبغ بن نباتة عن علي عليه السلام قال لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذه النحيرة التي امرني بها ربي قال ليست بنحيرة ولكنه يامرك اذا تحرمت للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت راسك من الركوع • واذا سجدت فانه صلاتنا وصلاة الملايكة الذين في السموات السبع وان لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع الايدي عند كل تكبيرة • وثالثها روي عن علي بن ابي طالب انه فسر هذا

النحر بوضع

النحر بوضع اليدين على النحر في الصلاة وقال رفع اليدين قبل الصلاة عبادة المستجير العابد • ووضعها على النحر عادة الخاضع الخاشع • ورابعها قال عطا معناه اقعد بين السجدتين حتى يبدو نحرك • وخامسها روي عن الضحاك وسليمان التيمي انهما قالا وانحر معناه ارفع يديك عقيب الدعا الى نحرك قال الواحدي واصل هذه الاقوال كلها من النحر الذي هو الصدر • يقال النحير البعير النحر لان منحره في صدره حيث يبدو الحلقوم من اعلى الصدر فمعنى النحر في هذا الموضع اصابة النحر كما يقال راسه وبطنه اذا اصابه ذلك منه واما قول الفرا فانه عبارة عن استقبال القبلة فقال ابن الاعرابي النحر انتصاب الرجل في الصلاة بازاء المحراب وهو ان ينصب نحره بازاء الكعبة ولا يلتفت يمينا ولا شمالا وقال الفرا منازلهم تتناحر اي تتقابل وانشد **شعر** • ابا حكم هل انت عم مجالد • وسيد اهل الابطح المتناحر • والنكتة المعنوية فيه كانه تعالى يقول الكعبة بيتي وهي قبلة صلاتك • وقلبك قبلة رحمتي ونظر عنايتي فلتكن القبلتان متناحرتين قال الاكثرون حمله على نحر البدن اولى لوجوه • احدها وهو ان الله تعالى كلما ذكر الصلاة في كتابه ذكر الزكاة بعدها • وثانيها ان القوم كانوا يصلون وينحرون للاوثان فقيل له فصل وانحر لربك • وثالثها ان هذه الاشيا آداب الصلاة وابعاضها فكانت داخلة تحت قوله فصل لربك فوجب ان يكون المراد من النحر غيرها لانه يبعد ان يعطف بعض الشيء على جميعه • ورابعها ان قوله فصل اشارة الى التعظيم لامر الله • وقوله وانحر اشارة الى الشفقة على خلق الله وجملة العبودية لا تخرج عن هذين الاصلين • وخامسها ان استعمال لفظة النحر على نحر البدن اشهر من استعماله في ساير الوجوه المذكورة فيجب حمل كلام الله عليه • واذا ثبت هذا فنقول استدلت الحنفية على وجوب الاضحية بان الله تعالى امره بالنحر ولا بد وان يكون قد فعله لان ترك الواجب عليه غير جائز • واذا فعله النبي عليه الصلاة والسلام وجب علينا مثله لقوله فاتبعوه • ولقوله فاتبعوني يحببكم الله • واصحابنا قالوا الامر بالمتابعة مخصوص بقوله كتب علي ثلاث ولم تكتب عليكم الضحى والاضحى والوتر

**المسألة الثالثة** اختلف من فسر قوله فصل بالصلاة على وجوه • الاول انه اراد بالصلاة جنس الصلاة لانهم كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله • فامر ان لا يصلي ولا ينحر الا لله تعالى. واحتج من جوز تأخير بيان المجمل بهذه الآية • وذلك لانه تعالى امر بالصلاة مع انه ما بين كيفية هذه الصلاة اجاب ابو مسلم وقال اراد به الصلوات المفروضة اعني الخمس وانما لم يذكر الكيفية لان الكيفية كانت معلومة من قبل • القول الثاني اراد صلاة الاضحية والعيد لانهم كانوا يقدمون الاضحية على الصلاة فنزلت هذه الآية قال المحققون هذا القول ضعيف لان عطف الشيء على غيره بالواو لا يوجب الترتيب • القول الثالث عن سعيد بن جبير صل الفجر بالمزدلفة وانحر بمنى • والاقرب القول الاول لانه لا يجب اذا وقع ذكر النحر بالصلاة ان تحمل الصلاة على ما يقع يوم النحر

العيد والاضحية

**المسألة الرابعة** اللام في قوله لربك فيها فوايد • الفايدة الاولى هذه اللام للصلاة كالروح للبدن من الفرق الى القدم انما يكون حسنا ممدوحا اذا كان فيه روح • اما اذا كان ميتا فيكون مرميا كذا الصلاة والركوع والسجود وان حسنت في الصورة وطالت لكن لو لم يكن فيها لام لربك كانت ميتة مرمية وهو المراد من قوله تعالى لموسى اقم الصلاة لذكري • وقيل انه كان صلاتهم ونحرهم للصنم • فقيل له لتكن صلاتك ونحرك لله • الفايدة الثانية كانه تعالى يقول ذكرت في السورة المتقدمة انهم كانوا يصلون للمراياة فصل انت لا للرياء لكن على سبيل الاخلاص

**المسألة الخامسة** الفا في قوله فصل تفيد سببية امرين • احدهما سببية العبادة كانه قيل تكثير الانعام عليك يوجب عليك الاشتغال بالعبودية • والثاني سببية ترك المبالاة كانهم لما قالوا انه ابتر فقيل له كما انعمنا عليك بهذه النعم الكثيرة فاشتغل انت بطاعتك ولا تبال بقولهم وهذيانهم **واعلم** انه لما كانت النعم الكثيرة محبوبة ولازم المحبوب • والفا في قوله فصل اقتضت كون الصلاة من لوازم تلك النعم لا جرم صارت الصلوات احب الاشيا للنبي عليه الصلاة والسلام فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة ولقد صلى حتى تورمت قدماه فقيل اما وليس قد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا فقوله افلا اكون عبدا شكورا اشارة الى انه يجب الاشتغال بالطاعة بمقتضى الفا في قوله فصل

بكثرة الانعام عليك يوجب عليك الاشتغال بالعبادة

**المسألة السادسة** كان الاليق في الظاهر ان يقول انا اعطيناك الكوثر فصل لنا وانحر لكنه ترك ذلك الى قوله فصل لربك لفوايد • احدها ان وروده على طريق الالتفات من امهات ابواب الفصاحة • وثانيها ان صرف الكلام من المضمر الى المظهر يوجب نوع عظمة ومهابة • ومنه قول الخلفا لمن يخاطبونهم يامرك امير المؤمنين وينهاك امير المؤمنين • وثالثها ان قوله انا اعطيناك ليس في صريح لفظه ان هذا القايل هو الله او غيره وايضا كلمة انا تحتمل الجمع كما تحتمل الواحد المعظم • فلو قال صل لنا لبقي ذلك الاحتمال وهو انه ما كان يعرف ان هذه الصلاة لاجله والهالله فقط ام له ولغيره على سبيل التشريك • فلهذا ترك ذلك اللفظ وقال فصل لربك ليكون ذلك ازالة لذلك الاحتمال وتصريحا بالتوحيد في الطاعة والعمل لله تعالى

**المسألة السابعة** قوله صل لربك ابلغ من قوله صل لله لان لفظ الرب يفيد التربية المتقدمة المشار اليها بقوله انا اعطيناك الكوثر ويفيد الوعد الجميل في المستقبل انه يربيه ولا يتركه

**المسألة الثامنة** في الآية سؤالان • احدهما ان المذكور عقيب الصلاة هو الزكاة فلم كان المذكور هاهنا هو النحر والثاني لم لم يقل ضح حتى يشمل جميع الضحايا والجواب عن الاول • اما على قول من قال المراد من الصلاة صلاة العيد

فالامر ظاهر فيه • واما على قول من حمله على مطلق الصلاة فلوجوه • احدها ان المشركين كانت صلاتهم وقرابينهم للاوثان فقيل
له اجعلهما لله • وثانيها ان من الناس من قال انه عليه الصلاة والسلام ما كان يدخل في ملكه شيء من الدنيا بل كان يملك بقدر
الحاجة فلا جرم لم تجب الزكاة عليه • اما النحر فقد كان واجبا عليه لقوله ثلاث كتبت علي ولم تكتب عليكم الضحى والاضحى والوتر
وثالثها ان اعز الاموال عند العرب هو الابل فامره بنحرها وصرفها الى طاعة الله تنبيها على قطع العلائق النفسانية عن
لذات الدنيا وطيباتها • روي انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب فنحر هو عليه
السلام حتى اعيا • ثم امر عليا عليه السلام بذلك وكانت النوق يزدحمن على رسول الله • فلما اخذ علي السكين تباعدت منه
والجواب عن الثاني ان الصلاة اعظم العبادات البدنية فقرن بها اعظم انواع الضحايا وايضا فيه اشارة بانك بعد فقرك
تصير بحيث تنحر المائة من الابل • المسئلة التاسعة دلت الاية على وجوب تقديم الصلاة على النحر لا لان الواو توجب الترتيب
بل لقوله عليه الصلاة والسلام ابدأوا بما بدأ الله به • المسئلة العاشرة السورة مكية في اصح الاقوال فكان الامر بالنحر
جاريا مجرى البشارة بحصول الدولة وزوال الفقر والخوف • قوله تعالى ان شانئك هو الابتر • في الاية مسائل المسئلة الاولى
ذكروا في سبب النزول وجوها • احدها انه عليه الصلاة والسلام كان يخرج من المسجد والعاص بن وائل السهمي يدخل فالتقيا
فتحدثا وصناديد قريش في المسجد • فلما دخل قالوا من الذي كنت تحدثه قال ذلك الابتر • واقول ان ذلك من اشرار بعضهم
مع بعض مع ان الله تعالى اظهره وحينئذ يكون ذلك معجزا • وروي ايضا ان العاص بن وائل كان يقول ان محمدا ابتر لا ابن له
يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه • وكان قد مات ابنه عبد الله من خديجة وهذا قول ابن عباس
ومقاتل والكلبي وعامة اهل التفسير • القول الثاني روي عن ابن عباس لما قدم كعب بن الاشرف مكة اتاه جماعة قريش
فقالوا نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد المدينة فنحن خير ام هذا الابتر من قومه يزعم انه خير منا فقال بل انتم
خير منه • فنزل ان شانئك هو الابتر • ونزل ايضا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
القول الثالث قال عكرمة وشهر بن حوشب لما اوحى الله تعالى الى رسوله ودعا قريشا الى الاسلام قالوا بتر محمد اي خالفنا
وانقطع عنا فاخبر تعالى انهم هم المبتورون • القول الرابع نزلت في ابي جهل فانه لما مات ابن رسول الله قال ابو جهل
اني ابغضه لانه ابتر وهذا منه حماقة حيث ابغضه بامر لم يكن باختياره فان موت الابن لم يكن باختياره ولا بمراده
القول الخامس نزلت في عمه ابو لهب فانه لما شافهه بقوله تبا لك كان يقول في غيبته انه ابتر • والقول السادس انها نزلت
في عقبة بن ابي معيط وانه هو الذي كان يقول ذلك • واعلم انه لا يبعد في كل اولئك الكفرة ان يقولوا مثل ذلك فانهم كانوا يقولون
ما هو اسوأ من ذلك • ولعل العاص بن وائل كان اكثرهم مواظبة على هذا القول فلذلك اشتهرت الروايات بان الاية نزلت
فيه • المسئلة الثانية الشان هو البغض والشاني هو المبغض • واما البتر فهو في اللغة استئصال القطع يقال
بترته ابتره بترا وبترا اي صار ابتر وهو مقطوع الذنب • ويقال للذي لا عقب له ابتر ومنه الحمار الابتر الذي
لا ذنب له وكذلك لمن انقطع عنه الخير • ثم ان الكفار لما وصفوه بذلك بين تعالى ان الموصوف بهذه الصفة هو ذلك
المبغض على سبيل الحصر فيه فانك اذا قلت زيد هو العالم يفيد انه لا عالم غيره اذا عرفت هذا فقول الكفار فيه عليه السلام
انه ابتر لا شك انهم لعنهم الله ارادوا به انه انقطع الخير عنه ثم ذلك اما ان يحمل على خير معين او على جميع الخيرات
اما الاول فيحتمل وجوها • احدها قال السدي كانت قريش يقولون لمن مات الذكور من اولاده بتر • فلما مات ابنه القاسم
وعبد الله بمكة • وابراهيم بالمدينة قالوا بتر فليس له من يقوم مقامه • ثم انه تعالى بين ان عدوه هو الموصوف
بهذه الصفة فانا نرى نسل اولئك الكفرة قد انقطع ونسله عليه الصلاة والسلام كل يوم يزداد وينمو وهكذا يكون
الى قيام الساعة • وثانيها قال الحسن عنوا بكونه ابتر انه ينقطع عن المقصود قبل بلوغه والله تعالى بين ان خصمه
هو الذي يكون كذلك فانهم صاروا مدبرين مغلوبين مقهورين وصارت ايام الاسلام عالية واهل الشرق والغرب
لها متواضعة • وثالثها زعموا انه ابتر لانه ليس له ناصر ومعين وقد كذبوا لان الله تعالى هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
واما الكفرة فلم يبق لهم ناصر ولا حبيب • ورابعها الابتر هو الحقير الذليل روي ان ابا جهل اتخذ ضيافة لقوم ثم انه
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف ثم قال قوموا حتى نذهب الى محمد واصارعه واجعله ذليلا حقيرا فلما
وصلوا الى دار خديجة وتوافقوا على ذلك اخرجت خديجة بساطا فلما تصارعا جعل ابو جهل يجتهد في ان يصرعه
وبقي النبي عليه الصلاة والسلام واقفا كالجبل ثم بعد ذلك رماه النبي صلى الله عليه وسلم على اقبح الوجوه • فلما رجع اخذه
باليد اليسرى لان اليسرى للاستنجا فكان نجسا فصرعه على الارض مرة اخرى ووضع قدمه على صدره • فذكر بعض القصاص
ان المراد من قوله ان شانئك هو الابتر هذه الواقعة • وخامسها ان الكفرة لما وصفوه بهذا الوصف قيل ان شانئك
هو الابتر اي الذي قالوه فيك كلام فاسد يضمحل ويفنى • واما المدح الذي ذكرناه فيك فانه باق على وجه الدهر • وسادسها

ان رجلا



ان رجلا قام الى الحسن بن علي عليهما السلام وقال سودت وجوه المؤمنين بان تركت الامامة لمعاوية فقال لا تؤذيني يرحمك الله
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بني امية في المنام يصعدون منبره رجل فرجل فساءه ذلك فانزل الله تعالى انا
اعطيناك الكوثر وانا انزلناه في ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكان ملك بني امية كذلك ثم انقطعوا وصاروا مبتورين
المسئلة الثالثة الكفار لما شتموه فهو تعالى اجاب عنه من غير واسطة فقال ان شانئك هو الابتر وهكذا سنة الاحباب
فان الحبيب اذا سمع من يشتم حبيبه تولى بنفسه جوابه فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم وذكر مثل ذلك في مواضع حين قالوا هل
ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى على الله كذبا ام به جنة فقال هو سبحانه بل الذين لا يؤمنون
بالاخرة في العذاب والضلال البعيد وحين قالوا هو مجنون اقسم ثلاثا ثم قال ما انت بنعمة ربك بمجنون • ولما قالوا لست
مرسلا اجاب فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين • وحين قالوا ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون رد عليهم فقال
بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم • وحين قال حاكيا ام يقولون شاعر قال وما علمناه الشعر • ولما
حكى عنهم قولهم ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون • سماهم كاذبين بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا • ولما قالوا ما لهذا
الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق • اجابهم فقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق • فما اجل هذه الكرامة • المسئلة الرابعة اعلم انه تعالى لما بشره بالنعم العظيمة وعلم تعالى ان النعمة لا تهنا
الا اذا صار العدو مقهورا لا جرم وعده بقهر العدو فقال ان شانئك هو الابتر • وفيه لطائف • احدها كانه تعالى
يقول لا اقتله لكي يرى بعض اسباب دولتك وبعض اسباب محنة نفسه فيقتله الغيظ • وثانيها وصفه بكونه شانئا كانه
تعالى يقول هذا الذي يبغضك لا يقدر على شيء آخر سوى انه يبغضك • والمبغض اذا عجز عن الايذاء فحينئذ يحترق قلبه غيظا
وحسدا فتصير تلك العداوة من اعظم اسباب حصول المحنة لذلك العدو • وثالثها ان هذا الترتيب يدل على انه انما صار
ابتر لانه كان شانئا له ومبغضا والامر بالحقيقة كذلك • فان من عادى محمدا فقد عادى الله تعالى لاسيما من تكفل الله باعلاء
شانه وتعظيم مرتبته • ورابعها ان العدو وصف محمدا صلى الله عليه وسلم بالقلة والذلة ونفسه بالكثرة والدولة فقلب الله
الامر عليه وقال العزيز من اعزه الله والذليل من اذله الله • فالكثرة والكوثر لمحمد عليه الصلاة والسلام والابترية
والدناءة والذلة للعدو فحصل بين اول السورة وآخرها نوع من المطابقة لطيفة • المسئلة الخامسة اعلم ان من تامل
في مطالع هذه السورة ومقاطعها عرف ان الفوائد التي ذكرناها بالنسبة الى ما استاثر الله بعلمه من فوائد هذه السورة
كالقطرة في البحر • روي عن مسيلمة انه عارضها فقال انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل كافر
ولم يعرف المخذول انه محروم عن المطلوب لوجوه • احدها ان الالفاظ والترتيب ماخوذان عن هذه السورة • وهذا
لا يكون معارضة • وثانيها انا ذكرنا ان هذه كالمتممة لما قبلها • وكالاصل لما بعدها • فذكر هذه الكلمات وحدها يكون اهمالا
لاكثر لطائف هذه السورة • وثالثها التفاوت العظيم • الذي يقربه من له ذوق سليم بين قوله ان شانئك هو الابتر وبين
قوله ان مبغضك رجل كافر • ومن لطائف هذه السورة ان كل احد من الكفار وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوصف آخر فوصفه بانه لا ولد له • وآخر بانه لا معين له ولا ناصر له • وآخر بانه لا يبقى منه ذكر فالله سبحانه مدحه
مدحا ادخل فيه كل الفضائل وهو قوله انا اعطيناك الكوثر لانه لما لم يقيد ذلك الكوثر بشيء دون شيء لاجرم تناول جميع خيرات
الدنيا والاخرة • ثم امره حال حياته بمجموع الطاعات • لان الطاعة اما ان تكون طاعة البدن وطاعة القلب • اما طاعة
البدن فافضله شيئان لان طاعة البدن هي الصلاة وطاعة المال هي الزكاة • واما طاعة القلب فهو ان لا ياتي بشيء
له الا لاجل الله • واللام في قوله لربك تدل على هذه الحالة • ثم كانه نبه على ان طاعة القلب لا تحصل الا بعد حصول طاعة
البدن فقدم طاعة البدن في الذكر وهو قوله فصل • واخر اللام الدالة على طاعة القلب تنبيها على فساد مذهب اهل
الاباحة في ان العبد قد يستغني بطاعة قلبه عن طاعة جوارحه • فهذه اللام تدل على بطلان مذهب الاباحة وعلى انه
لا بد من الاخلاص • ثم نبه بلفظ الرب على علو حاله في المعاد كانه يقول كنت ربيتك قبل وجودك افلا اربيك بعد
مواظبتك على هذه الطاعات • ثم كما تكفل اولا بافاضة النعم عليه تكفل في آخر السورة بالذب عنه وابطال قول اعدائه
وفيه اشارة الى انه سبحانه هو الاول بافاضة النعم • والآخر بتكميل النعم في الدنيا والاخرة • وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ومن لطائف هذه السورة

## سورة الكافرون ست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم هذه السورة تسمى سورة المنابذة وسورة الاخلاص والمقشقشة
وروي ان من قرأها فكانما قرأ ربع القرآن والوجه فيه ان القرآن مشتمل على الامر بالمامورات • والنهي عن المحرمات • وكل

واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بالقلوب والى ما يتعلق بالجوارح وهذه السورة مشتملة على النهي عن المحرمات المتعلقة
بافعال القلوب فتكون ربعا للقرآن قوله تعالى قل يا ايها الكافرون اعلم ان قوله تعالى قل فيه فوائد
احدها انه عليه السلام كان مامورا بالرفق واللين في جميع الامور كما قال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك فبما رحمة من الله لنت لهم بالمؤمنين رؤف رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ثم كان مامورا بان يدعو
الى الله بالوجه الاحسن وجادلهم بالتي هي احسن ولما كان الامر كذلك ثم انه خاطبهم بيا ايها الكافرون فكانوا يقولون
كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فاجاب باني مامور بهذا الكلام لا اني ذكرته من عند نفسي فكان المراد من قوله
قل تقرير هذا المعنى وثانيها انه لما قيل له وانذر عشيرتك الاقربين وهو كان يحب اقرباءه لقوله قل لا اسألكم عليه
اجرا الا المودة في القربى فكانت القرابة ووحدة النسب كالمانع من اظهار الخشونة فامر بالتصريح بتلك الخشونة والتغليظ
فقيل له قل وثالثها انه لما قيل له يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالته فامر بتبليغ كل
ما انزل عليه فلما قال الله تعالى له قل يا ايها الكافرون نقل هو عليه الصلاة والسلام هذا الكلام بجملته كانه قال انه تعالى
امرني بتبليغ كل ما انزل الله علي والذي انزل علي هو مجموع قوله قل يا ايها الكافرون فانا ابلغه الى الخلق هكذا ورابعها
ان الكفار كانوا مقرين بوجود الصانع وانه هو الذي خلقهم ورزقهم على ما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله والعبد يتحمل من مولاه ما لا يتحمله من غيره فلو انه عليه الصلاة والسلام قال ابتداء يا ايها الكافرون لجوزوا ان يكون هذا
كلام محمد فلعلهم ما كانوا يتحملونه منه وكانوا يؤذونه اما لما سمعوا قوله قل علموا انه ينقل هذا التغليظ عن خالق السماء
والارض فكانوا يتحملونه ولا يعظم تاذيهم به وخامسها ان قوله قل يوجب كونه رسولا من عند الله فكلما قيل له قل كان ذلك
كالمنشور الجديد في ثبوت رسالته وذلك يقتضي المبالغة في تعظيم الرسول فان الملك اذا فوض مملكته الى بعض عبيده
فاذا كان يكتب له كل شهر وسنة منشورا جديدا دل ذلك على غاية اعتنائه بشأنه وانه على عزم ان يزيده كل يوم تعظيما وتشريفا
وسادسها ان الكفار لما قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة فكانه عليه الصلاة والسلام قال استأمرت الهي فيه
فقال قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وسابعها الكفار قالوا فيه السوء فهو تعالى زجرهم عن ذلك واجابهم وقال
ان شانئك هو الابتر وكانه تعالى قال حين ذكروك بسوء فانا كنت المجيب بنفسي فحين ذكروني بالسوء واثبتوا لي الشركاء فكن انت
المجيب قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وثامنها انهم سموك ابتر فان شئت ان تستوفي منهم القصاص فاذكرهم
بوصف ذم بحيث يكون صادقا فيه قل يا ايها الكافرون لكن الفرق انهم عابوك بما ليس من فعلك وانت تعيبهم بما هو فعلهم
وتاسعها ان تقدير ان يقول قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فالكفار يقولون هذا كلام ربك ام كلامك فان كان كلام
ربك فربك يقول انا لا اعبد هذه الاصنام ونحن لا نطلب بهذه العبادة من ربك انما نطلبها منك وان كان هذا كلامك فانت
قلته من عند نفسك اني لا اعبد هذه الاصنام فلم قلت ان ربك هو الذي امرك بذلك اما لما قال قل سقط هذا الاعتراض
لان قوله قل يدل على انه مامور من عند الله تعالى بان لا يعبدها ويتبرأ منها وعاشرها انه لو انزل قوله يا ايها الكافرون
لكان يقرؤها عليهم لا محالة لانه لا يجوز ان يخون في الوحي الا انه لما قال قل كان ذلك كالتأكيد في ايجاب تبليغ هذا الوحي اليهم
والتأكيد يدل على ان ذلك الامر امر عظيم فبهذا الطريق يدل هذه الكلمة على ان الذي قالوه وطلبوه من الرسول امر منكر
في غاية القبح ونهاية الفحش الحادي عشر كانه تعالى يقول كانت التقية جائزة عند الخوف فاما الان لما قوينا قلبك بقولنا
انا اعطيناك الكوثر وبقولنا ان شانئك هو الابتر فلا تبال بهم ولا تلتفت اليهم وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
الثاني عشر ان خطاب الله تعالى مع العبد من غير واسطة يوجب التعظيم الا ترى انه تعالى ذكر من اقسام اهانة الكفار
انه تعالى لا يكلمهم فلو قال يا ايها الكافرون لكان ذلك من حيث هو خطاب مشافهة يوجب التعظيم ومن حيث انه وصف
لهم بالكفر يوجب الاذلال فينجبر الايذاء بالاكرام اما لما قال قل يا ايها الكافرون فحينئذ يرجع تشريف المخاطبة الى محمد صلى
الله عليه وسلم ويرجع الاهانة الحاصلة لهم بسبب وصفهم بالكفر الى الكفار فيحصل فيه تعظيم الاولياء واهانة الاعداء وذلك
هو النهاية في الحسن الثالث عشر ان محمدا عليه الصلاة والسلام كان منهم وكان في غاية الشفقة عليهم والرأفة بهم
وكانوا يعلمون منه انه شديد الاحتراز عن الكذب والاب الذي يكون في غاية الشفقة بولده ويكون في نهاية الصدق
والبعد عن الكذب ثم انه يصف ولده بعيب عظيم فالولد ان كان عاقلا يعلم انه ما وصفه بذلك مع غاية شفقته عليه
الا لصدقه في ذلك ولانه بلغ مبلغا لا يقدر [illegible] تعالى قل يا محمد لهم يا ايها الكافرون ليعلموا انك لما
وصفتهم بذلك مع غاية شفقتك عليهم وغاية احترازك عن الكذب فهم موصوفون بهذه الصفة القبيحة فربما
يصير ذلك داعيا لهم الى البراءة من هذه الصفة والاحتراز عنها الرابع عشر ان الايذاء والايحاش من ذوي القربى اشد
واصعب من الغير فانت من قبيلتهم ونشأت فيما بين اظهرهم فقل لهم يا ايها الكافرون فلعله يصعب ذلك الكلام عليهم

فيصير ذلك

بصيرة [illegible] الخامس عشر كانه تعالى يقول [illegible] في سورة والعصر ان الانسان
لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وفي سورة الكوثر انا اعطيناك الكوثر
[illegible] فصل لربك وانحر [illegible]
[illegible] قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون السادس عشر كانه تعالى يقول
[illegible]
[illegible] لا اعبد ما تعبدون السابع عشر [illegible]
[illegible]
[illegible] يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثامن عشر [illegible]
[illegible]
عليه هيبة الحضرة الالهية تعالى لا احصي ثناء عليك فوقع ذلك السكوت منه في غاية الحسن فكانه قيل له ان سكت عن الثناء
رعاية لهيبة الحضرة فاطلق لسانك في مذمة الاعداء وقل يا ايها الكافرون حتى يكون سكوتك لله وكلامك لله وفيه
تقرير آخر وهو ان هيبة الحضرة سلبت عنك قدرة القول عن هؤلاء الكفار التاسع عشر لو قال له لا تعبد ما تعبدون
لم يلزم منه ان يقول بلسانه لا اعبد ما تعبدون اما لو امره بان يقول بلسانه لا اعبد ما تعبدون يلزمه ان لا يعبد
ما يعبدون اذ لو فعل ذلك لصار كلامه كذبا فثبت انه لما قال له قل لا اعبد ما تعبدون يلزمه ان يكون منكرا لذلك
بقلبه ولسانه وجوارحه ولو قال له لا تعبد ما يعبدون يلزمه تركه اما لا يلزمه اظهار انكاره باللسان ومن المعلوم
ان غاية الانكار انما يحصل اذا تركه في نفسه وانكره بلسانه فقوله قل يقتضي المبالغة في الانكار فلهذا قال لا اعبد ما تعبدون
العشرون ذكر التوحيد ونفي الانداد جنة للعارفين ونار للمشركين فاجعل لفظك جنة للموحدين ونارا على المشركين
وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الحادي والعشرون ان الكفار لما قالوا نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة
سكت محمد فقال لو شافهتهم بالرد لازدادوا وحصلت النفرة عن الاسلام في قلوبهم فكانه تعالى قال له يا محمد لم سكت عن الرد
اما الطمع فيما يعدون من قبول دينك فلا حاجة بك في هذا المعنى اليهم فانا اعطيناك الكوثر واما الخوف منهم فقد
ازلنا عنك هذا الخوف بقولنا ان شانئك هو الابتر فلا تلتفت اليهم ولا تبال بكلامهم وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون

فلا تلتفت اليهم ولا تبال في كلامهم

الثاني والعشرون كانك نسيت يا محمد اني قدمت حقك على حق نفسي فقلت لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فقدمت
اهل الكتاب في الكفر على المشركين لان طعن اهل الكتاب فيك وطعن المشركين في فقدمت حقك على حق نفسي وقدمت اهل
الكتاب في الذم على المشركين وانت ايضا هكذا كنت تفعل فانهم لما كسروا سنك قلت اللهم اهد قومي ولما شغلوك يوم الخندق
عن الصلاة قلت اللهم املأ قلوبهم نارا فههنا ايضا قدم حقي على حق نفسك سواء كنت خائفا منهم او لست خائفا منهم
فاظهر انكار قولهم وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الثالث والعشرون كانه تعالى يقول قصة امراة زيد واقعة
حقيرة بالنسبة الى هذه الواقعة ثم اني هناك ما رضيت منك ان تضمر في قلبك شيئا ولا تظهره بلسانك بل قلت لك على
سبيل العتاب وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فاذا كنت لم ارض منك في تلك الواقعة
الحقيرة الا بالاظهار وترك المبالاة باقوال الناس فكيف ارضى منك في هذه المسألة وهي اعظم المسائل خطرا بالسكوت
قل وصرح لسانك وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الرابع والعشرون الست قلت لك يا محمد ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا ثم اني مع هذه القدرة راعيت جانبك وطيبت قلبك وناديت في العالمين باني لا اجعل الرسالة مشتركة
بينك وبين غيرك بل الرسالة لك لا لغيرك حيث قلت ولكن رسول الله وخاتم النبيين فانت مع علمك بانه يستحيل عقلا
ان يشاركني غيري في المعبودية اولى ان تنادي في العالمين بنفي هذه الشركة فقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
الخامس والعشرون كانه تعالى يقول القوم جاؤك واطمعوك في متابعتهم لك ومتابعتك لدينهم فسكت عن
الانكار والرد الست انا جعلت بيعتك بيعتي حيث قلت ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وجعلت متابعتك
متابعة لي حيث قلت ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم اني ناديت في العالمين وقلت ان الله بريء من المشركين
ورسوله فصرح انت ايضا بذلك وقل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون السادس والعشرون كانه تعالى يقول

ألست رأيت بأن من الوالد بوالده ثم العري والجوع مع الوالد أحسن من الشبع مع الأجانب كيف والجوع لهم لأن أصنامًا فهم جايعة
عن الحياة عارية عن الصفات وهم جايعون عن العلم عارون عن التقوى فقد جربتني إلى أجرك يتيمًا عائلًا وضالًا ألم نشرح
لك ألم أعطك بالصديق نوح حبيبة وبالفاروق هيبة وبعثمان معونة وبعلي علمًا ألم أكف أصحاب الفيل حين جاءوا لحرب
تخريب بلدتك ألم أكف إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ألم أعطك الكوثر ألم أضمن أن خصمك أبتر ألم يقل جدك
في هذه الأصنام بعد تخريبها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا فصرح بالبراءة عنها وقل يا أيها الكافرون
لا أعبد ما تعبدون. السابع والعشرون كأنه تعالى يقول يا محمد ألست قد أنزلت عليك فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد
ذكرًا ثم إن واحدًا لو نسبك إلى والد غير أبيك لغضبت ولأظهرت الإنكار ولبالغت فيه حتى قلت ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح
فإذا لم تسكت عن التشريك في الولادة فكيف سكت عن التشريك في العبادة أظهر الإنكار وبالغ في التصريح به وقل يا أيها
الكافرون لا أعبد ما تعبدون. الثامن والعشرون كأنه تعالى يقول يا محمد ألست قد أنزلت عليك أفمن يخلق كمن لا يخلق
أفلا تذكرون فحكمت بأن من سوى بين الإله والخالق وبين الوثن والجماد في العبودية لا يكون عاقلا بل يكون مجنونًا ثم إني
أقسمت وقلت ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون والكفار يقولون إنك مجنون فصرح برد مقالتهم فإنها
تفيد براءتي عن عيب الشرك وبراءتك عن عيب الجنون فقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. التاسع والعشرون أن هؤلاء
الكفار سموا هذه الأوثان آلهة والمشاركة في الاسم لا توجب المشاركة في المعنى ألا ترى أن الرجل والمرأة يشتركان في الإنسانية
حقيقة ثم القيمة كلها حظ الزوج لأنه أعلم وأقدر ثم من كان أعلم وأقدر كان له كل الحق في القيمة فمن لا قدرة له ولا علم البتة
كيف يكون في القيومية بل هاهنا شيء آخر وهو أن امرأة لو ادعاها رجلان فاصطلحا عليها لا يجوز ولو أقام كل واحد منهما
بينة على أنها زوجته لم يقض لواحد منهما والجارية بين اثنين لا تحل لواحد منهما فإذا لم يجز حصول زوجة لزوجين ولا
أمة بين مولين في حل الوطء فكيف يعقل عابد واحد بين معبودين بل من جوز أن يصطلح الزوجان على أن تحل الزوجة لأحدهما
شهرًا ثم الثاني شهرًا آخر كان كافرًا فمن جوز الصلح بين الإله والصنم ألا يكون كافرًا فكأنه تعالى يقول لرسوله إن هذه المقالة
في غاية القبح فصرح بالإنكار وقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. الثلاثون كأنه تعالى يقول ألست أنا لما خيرت
نسوتك حين أنزلت عليك قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها إلى قوله أجرًا عظيمًا ثم خشيت من عائشة أن
لا تختار الدنيا فقلت لها لا تقولي شيئًا حتى تستأمري أبويك فقالت أفي هذا أستأمر أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة
فما نقصها العقل بما توقفت فيما يخالف رضاي وأمري مع أني جبار السموات والأرض قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون.
الحادي والثلاثون كأنه تعالى يقول يا محمد ألست أنت قلت من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم وحتى إن بعض
المشايخ قال للمريد الذي يريد أن يفارقه لا تخالط السلطان قال ولم قال لأنه يوقع الناس في أحد الخطائين إما أن يعتقدوا
أن السلطان متدين لأنه يخالطه العالم الزاهد ويعتقدوا أنك فاسق مثله وكلاهما خطأ فإذا ثبت أنه يجب البراءة عن
مواقف التهم فسكوتك يا محمد عن هذا الكلام يجر إليك تهمة الرضا بذلك لا سيما وقد سبق أن الشيطان ألقى فيما بين قراءتك
تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فأزل عن نفسك هذه التهمة وقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. الثاني والثلاثون
الحقوق في الشاهد نوعان حق من أنت تحت يده وهو مولاك وحق من هو تحت يدك وهو الولد ثم أجمعنا على أن خدمة
المولى مقدمة على تربية الولد فإذا كان هو حق المولى المجازي مقدمًا فبأن يكون حق المولى الحقيقي مقدمًا كان أولى ولهم
روي أن عليًا عليه السلام استأذن الرسول صلى الله عليه وسلم في التزوج بابنة أبي جهل فضجر وقال لا آذن لا آذن
لا آذن إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ويسرني ما يسرها والله لا يجمع بين بنت عدو الله وبين بنت حبيب الله
فكأنه تعالى يقول صرحت هناك بالرد وكررته على سبيل المبالغة رعاية لحق الولد فهاهنا أولى أن تصرح بالرد وتكرره
رعاية لحق المولى فقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أجمع في القلبين بين طاعة الحبيب وطاعة العدو. الثالث
والثلاثون يا محمد ألست قلت لعمر رأيت قصرًا في الجنة فقلت لمن فقيل لفتى من قريش فقلت من هو فقالوا عمر فخشيت غيرتك
فلم أدخلها حتى قال عمر أوأغار عليك فكأنه تعالى قال خشيت غيرة عمر فما دخلت قصره أفما تخشى غيرتي في أن يدخل قلبك
طاعة غيري ثم هناك أظهرت الامتناع فهاهنا أيضًا أظهر الامتناع وقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون.
الرابع والثلاثون أترى أن نعمتي عليك دون نعمة الوالدة ألم أربك ألم أخلقك ألم أرزقك ألم أعطك الحياة والقدرة
والعقل والهداية والتوفيق حين كنت طفلا عديم العقل وعرفت تربية الأم فلو أخذتك امرأة أجمل وأحسن
وأكرم من أمك لأظهرت النفرة ولبكيت ولو أعطتك الثدي لسددت فمك تقول لا أريد غير الأم لأنها أول منعم
علي فهاهنا أولى أن تظهر النفرة فتقول لا أعبد سوى ربي لأنه أول منعم فقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. الخامس
والثلاثون نعمة الإطعام دون نعمة العقل والنبوة ثم قد عرفت أن الشاة والكلب لا ينسيان نعمة الإطعام ولا يميلان

تعالوا

إلى غير من أطعمهما فكيف يليق بالعاقل أن ينسى نعمة الإيجاد والإحسان فكيف في حق أفضل قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون.
السادس والثلاثون مذهب الشافعي أنه يثبت حق الفرقة بواسطة الإعسار بالنفقة فإذا لم توجد من الأصنام تربية جعلت
لك حق الفرقة لو كنت متصلا بها أليق بك لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًا وبتقدير أن كنت متصلا بها
أما يليق بك أن تفرق الاتصال بها قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. السابع والثلاثون هؤلاء الكفار لفرط جهلهم
ظنوا أن الكثرة في الإلهية كالكثرة في المال يزيد بها الغنى وليس الأمر كذلك بل هو كالكثرة في العيال يزداد بها الحاجة فقل
يا محمد لي إله واحد أقوم له في الليل وأصوم له بالنهار ثم بعد لم أتفرغ من قضاء حق ذرة من ذرات نعمه فكيف ألتزم عبادة
آلهة كثيرة قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. الثامن والثلاثون أن مريم عليها السلام لما تمثل لها جبريل عليه السلام
قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا فاستعاذت أن تميل إلى جبريل دون الله أفتستجير مع كمال رجوليتك أن تميل إلى
الأصنام قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. التاسع والثلاثون مذهب أبي حنيفة أنه لا يثبت حق الفرقة بالعجز عن
النفقة ولا بالعنة الطارية تقول كان قيمًا فلا يحسن الإعراض عنه مع أنه يعيب فالحق سبحانه يقول كنت قيمًا
ولم أتعب فكيف يجوز الإعراض عني قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. الأربعون هؤلاء الكفار كانوا معترفين
بأن الله تعالى خالقهم ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقال في موضع آخر أروني ماذا خلقوا فكأنه
تعالى يقول هذه الشركة إما أن تكون مزارعة وذلك باطل لأن البذر مني والتربية والسقي مني والحفظ مني فأي شيء للصنم أو شركة
الوجوه وذلك أيضًا باطل أترى أن الصنم أكثر شهرة وظهورًا مني أو شركة الأبدان وذلك أيضًا باطل لأن ذلك يستدعي الجنسية
أو شركة العنان وذلك أيضًا باطل لأنه لا بد فيه من نصاب فما نصاب الأصنام أو نقول ليس هذا من باب الشركة لكن الصنم
يأخذ بالتغلب نصيبًا من الملك فكأن الرب يقول ما أشد جهلكم إن هذا الصنم أكثر عجزًا من الذبابة إن الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذبابًا فأنا خلقت البذر ثم ألقيته في الأرض فالتربية والسقي والحفظ مني ثم إن من هو أعجز من الذبابة
يأخذ بالقهر والتغلب نصيبًا مني ما هذا قول يليق بالعقلاء قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. الحادي والأربعون
أنه لا ذرة في عالم المحدثات إلا وهي تدعو العقول إلى معرفة الذات والصفات وأما الدعاة إلى معرفة أحكام الله
فهم الأنبياء عليهم السلام ولما كان كل بق وبعوضة داعيًا إلى معرفة الذات والصفات قال إن الله لا يستحيي أن يضرب
مثلا ما بعوضة فما فوقها وذلك لأن هذه البعوضة بحسب حدوث ذاتها وصفاتها تدعو إلى قدرة الله وبحسب
تركيبها العجيب تدعو إلى علم الله وبحسب تخصيص ذاتها وصفاتها بقدر معين تدعو إلى إرادة الله فكأنه تعالى يقول
مثل هذا الشيء كيف يستحيي منه روي أن عمر كان في أيام خلافته دخل السوق فاشترى كرشًا وحمله بنفسه فرآه علي
من بعيد فتنكب علي عن الطريق فاستقبله عمر وقال لم تنكبت عن الطريق فقال علي حتى لا تستحيي فقال كيف أستحيي من
حمل ما هو غذائي فكأنه تعالى يقول لما كان عمر لا يستحيي من الكرش الذي هو غذاؤه في الدنيا فكيف أستحيي عن ذكر البعوض
الذي يعطيك غذاء دينك ثم كأنه تعالى يقول يا محمد إن نمرود لما ادعى الربوبية صاح عليه البعوض بالإنكار فهؤلاء
الكفار لما دعوك إلى الشرك أفلا تصيح عليهم أفلا تصرح بالرد عليهم قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون وإن فرعون
لما ادعى الإلهية فجبريل ملأ فاه من الطين فإن كنت ضعيفًا فلست أضعف من بعوضة نمرود وإن كنت قويًا فلست أقوى
من جبريل فأظهر الرد عليهم والإنكار وقل يا أيها الكافرون. الثاني والأربعون كأنه تعالى يقول يا محمد قل بلسانك لا أعبد
ما تعبدون واتركه فرضًا علي فإني أقضيك هذا الفرض على أحسن الوجوه ألا ترى أن النصراني إذا قال أشهد أن محمدًا
رسول الله فإنا نقول لا نكتفي بهذا ما لم تصرح بالبراءة عن النصرانية فلما أوجبت على مخالفك أن يتبرأ بصريح لسانه عن
كل دين يخالف دينك فأنت أيضًا أوجب على نفسك أن تصرح برد كل معبود غيري فقل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون. الثالث
والأربعون أن موسى عليه الصلاة والسلام كان في طبعه الخشونة فلما أرسل إلى فرعون قيل له فقولا له قولا لينا وأما
محمد عليه الصلاة فلما أرسل إلى الخلق أمر بإظهار الخشونة تنبيهًا على أنه في غاية الرحمة فقيل له قل يا أيها الكافرون
لا أعبد ما تعبدون. أما قوله تعالى قل يا أيها الكافرون ففيه مسائل المسألة الأولى يا أيها قد تقدم القول
فيها في مواضع والذي نزيده هاهنا أنه روي عن علي عليه السلام أنه قال يا نداء النفس وأي نداء القلب وها
نداء الروح وقيل يا نداء الغائب وأي للحاضر وها للتنبيه كأنه يقول أدعوك ثلاثًا ولا تجيبني مرة واحدة ما هذا
إلا لجهلك الخفي ومنهم من قال إنه تعالى جمع بين يا الذي هو للبعيد وأي الذي هو للقريب كأنه تعالى يقول معاملتك
معي وفرارك عني يوجب البعد البعيد لكن إحساني إليك ووصول نعمتي إليك يوجب القرب القريب ونحن أقرب إليه من
حبل الوريد وإنما قدم يا الذي يوجب البعد على أي الذي يوجب القرب كأنه يقول التقصير منك والتوفيق مني ثم ذكرها
بعد ذلك لأنه لما يوجب البعد الذي هو كالموت وأي يوجب القرب الذي هو كالحياة فلما حصلا حصلت حالة

ان نمرود لما ادعى الربوبية صاح عليه البعوض

متوسطة بين الحياة والموت • وتلك الحالة هي النوم والنائم لا بد وأن ينبه • وهذه الكلمة تنبيه • فلهذا السبب ختمت حروفها بهذا الحرف **المسألة الثانية** روي في سبب نزول هذه السورة أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف قالوا لرسول الله تعالى حتى نعبد إلهك مرة وتعبد آلهتنا مرة فيحصل الصلح بيننا وبينك وتزول العداوة من بيننا فإن كان أمرك رشيدا أخذنا منه حظا وإن كان أمرنا رشيدا أخذت منه حظا فنزلت هذه السورة ونزل أيضا قوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون • فتارة وصفهم بالجهل وتارة بالكفر • واعلم أن الجهل كالشجرة والكفر كالثمرة • فلما نزلت السورة وقرأها على رؤوسهم شتموه وأيسوا منه • وها هنا سؤالات • السؤال الأول لم ذكرهم في هذه السورة بالكافرين • وفي الأخرى بالجاهلين الجواب لأن هذه السورة بتمامها نازلة فيهم فلا بد وأن تكون المبالغة ها هنا أشد وليس في الدنيا لفظ أشنع ولا أبشع من لفظ الكافر وذلك لأنه صفة ذم عند جميع الخلق سواء كان مطلقا أو مقيدا • أما لفظ الجهل فإنه عند التقييد قد لا يذم كقوله عليه الصلاة والسلام في علم الأنساب علم لا ينفع وجهالة لا تضر • السؤال الثاني قال تعالى في سورة لم تحرم يا أيها الذين كفروا ولم يذكر قل • وها هنا ذكر قل وذكره باسم الفاعل والجواب الآية المذكورة في سورة لم تحرم إنما يقال يوم القيمة وثمة لا يكون الرسول رسولا إليهم فأزال الواسطة • وفي ذلك الوقت يكونون مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره بلفظ الماضي وأما ها هنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول رسولا إليهم فلا جرم قال قل يا أيها الكافرون • السؤال الثالث قوله ها هنا قل يا أيها الكافرون خطاب مع الكل أو مع البعض الجواب لا يجوز أن يكون قوله لا أعبد ما تعبدون خطابا مع الكل لأن في الكفار من يعبد الله كاليهود والنصارى فلا يجوز أن يقول لهم لا أعبد ما تعبدون ولا يجوز أيضا أن يكون قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد خطابا مع الكل لأن في الكفار من آمن وصار بحيث يعبد الله • فإذا وجب أن يقال إن قوله يا أيها الكافرون خطاب مشافهة لم يرد بها ذلك فكان يحمل الآية على هذا المحمل أولى • **أما قوله تعالى** لا أعبد ما تعبدون • ففيه مسائل

**المسألة الأولى** في هذه الآية قولان أحدهما أنه لا تكرار فيها • والثاني أن فيها تكرارا • أما الأول فتقريره من وجوه أحدها أن الأول للمستقبل • والثاني للحال • والدليل على أن الأول للمستقبل أن لا لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال ألا ترى أن لن تأكيد فيما ينفيه لا وقال الخليل في لن أصله لا أن إذا ثبت هذا فقوله لا أعبد ما تعبدون أي لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهي **ثم قال** ولا أنا عابد ما عبدتم أي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا أنتم في الحال بعابدين لمعبودي • الوجه الثاني أن تقلب الأمر فتجعل الأول للحال • والثاني للاستقبال • والدليل على أن قوله ولا أنا عابد ما عبدتم ولا شك أن هذا للاستقبال بدليل أنه لو قال أنا قاتل زيدا فهم منه الاستقبال • الوجه الثالث قال بعضهم كل واحد منهما يصلح للحال وللاستقبال ولكنا نخص أحدهما بالحال • والثاني بالاستقبال دفعا للتكرار • فإن قلنا إنه أخبر عن الحال ثم عن الاستقبال فهو الترتيب • وإن قلنا أخبر أولا عن الاستقبال فلأنه هو الذي دعوه إليه فهو الأهم فبدأ به • فإن قيل ما فائدة الإخبار عن الحال وكان معلوما أنه ما كان يعبد الصنم • وأما الكفار فكانوا يعبدون الله في بعض الأحوال قلنا أما الحكاية عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل أنه يعبدها سرا خوفا منها أو طمعا • وأما نفيه عبادتهم فلأن فعل الكافر ليس بعبادة أصلا • الوجه الرابع وهو اختيار أبي مسلم أن المقصود من الأولين المعبود • وما بمعنى الذي فكأنه قال لا أعبد الأصنام ولا تعبدون الله • وأما في الأخيرين فما مع الفعل في تأويل المصدر أي لا أعبد عبادتكم المبنية على الشرك وترك النظر ولا أنتم تعبدون مثل عبادتي المبنية على اليقين • فإن زعمتم أنكم تعبدون إلهي كان ذلك باطلا لأن العبادة فعل مأمور به • وما تفعلونه أنتم فهو منهي عنه وغير مأمور به • الوجه الخامس أن تحمل الأولى على نفي الاعتبار الذي ذكروه • والثانية على النفي العام المتناول لجميع الجهات فكأنه أولا قال لا أعبد ما تعبدون • رجاء أن تعبدوا الله ولا أنتم تعبدون الله رجاء • ثم قال ولا أنا عابد صنمكم لغرض من الأغراض ومقصود من المقاصد البتة بوجه من الوجوه ولا أنتم عابدون ما أعبد بوجه من الوجوه واعتبار من الاعتبارات • ومثاله من يدعو غيره إلى الظلم لغرض التنعم فيقول لا أظلم لغرض التنعم بل لا أظلم أصلا لا لهذا الغرض ولا لسائر الأغراض • القول الثاني وهو أن يسلم حصول التكرار وعلى هذا القول العذر عنه من وجهين • الأول أن التكرير يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة إلى التأكيد أشد كان التكرير أحسن ولا موضع أحوج إلى التأكيد من هذا الموضع لأن أولئك الكفار رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجواب فوقع في قلوبهم أنه صلى الله عليه وسلم قد مال إلى دينهم بعض الميل فلا جرم دعت الحاجة إلى التأكيد والتكرير في هذا النفي والإبطال • الوجه الثاني أن كان القرآن ينزل شيئا بعد شيء وآية بعد آية جوابا عما يسألون • والمشركون قالوا استلم بعض آلهتنا حتى نؤمن بإلهك فأنزل الله تعالى ولا أنا عابد

ما عبدتم

ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد • ثم قالوا بعد مدة تعبد آلهتنا شهرا ونعبد إلهك شهرا فأنزل الله ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد • ولما كان هذا الذي ذكرناه محتملا لم يكن التكرار على هذا الوجه مضرا البتة • الوجه الثالث أن الكفار ذكروا تلك الكلمة مرتين تعبد آلهتنا شهرا ونعبد إلهك شهرا • وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فأتى بالجواب على التكرير على وفق قولهم وهو ضرب من التهكم فإن من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد يجازى بدفع تلك الكلمة على سبيل التكرار استخفافا

**المسألة الثانية** في الآية سؤال وهو أن كلمة ما لا تتناول من يعلم فهب أن معبودهم كان كذلك فصح التعبير عنه بلفظ ما لكن معبود محمد عليه الصلاة والسلام هو أعلم العالمين فكيف قال ولا أنتم عابدون ما أعبد أجابوا عنه من وجوه • أحدها أن المراد منه الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق • وثانيها أن ما مصدرية في الجملتين كأنه قال لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في الحال • وثالثها أن تكون ما بمعنى الذي وحينئذ يصح الكلام • ورابعها أنه لما قال أولا لا أعبد ما تعبدون حمل الثاني عليه ليتسق الكلام • كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها

**المسألة الثالثة** احتج أهل الجبر بأنه تعالى أخبر عنهم مرتين بقوله ولا أنتم عابدون ما أعبد • والخبر الصدق عن عدم الشيء يضاده وجود ذلك الشيء فالتكليف بتحصيل العبادة مع وجود الخبر الصدق بعدم العبادة تكليف بالجمع بين الضدين • واعلم أنه بقي في الآية سؤالات • الأول أليس أن ذكر الوجه الذي لأجله تقبح عبادة غير الله كان أولى من هذا التكرير الجواب بل قد يكون التأكيد والتكرير أولى من ذكر الحجة • أما لأن المخاطب بليد فينتفع بالمبالغة والتكرير ولا ينتفع بذكر الحجة أو لأجل أن محل النزاع يكون في غاية الظهور • فالمناظرة في مسألة الجبر والقدر حسنة أما القائل بالصنم فهو إما مجنون يجب شده أو عاقل معاند فيجب قتله وإن لم يقدر على قتله يجب شتمه والمبالغة في الإنكار عليه في هذه الآية • السؤال الثاني أن أول السورة اشتمل على التشديد وهو النداء بالكفر والتكرير وآخرها على اللطف وهو قوله لكم دينكم ولي دين فكيف وجه الجمع بين الأمرين الجواب كأنه يقول الحق قد بالغت في تحذيركم عن هذا الأمر القبيح وما قصرت فيه فإن لم تقبلوا قولي فاتركوني سواء بسواء • السؤال الثالث لما كان التكرير لأجل التأكيد والمبالغة فكان ينبغي أن يقول لن أعبد ما تعبدون لأن هذا أبلغ ألا ترى أن أصحاب الكهف لما بالغوا قالوا لن ندعو من دونه إلها والجواب المبالغة إنما يحتاج إليها في موضع التهمة وقد علم كل أحد من محمد عليه الصلاة والسلام أنه ما كان يعبد الصنم قبل الشرع فكيف يعبده بعد ظهور الشرع بخلاف أصحاب الكهف فإنه وجد منهم ذلك فيما قبل • **قوله تعالى** لكم دينكم ولي دين • وفيه مسائل

**المسألة الأولى** قال ابن عباس لكم كفركم بالله ولي التوحيد والإخلاص له • فإن قيل فهل يقال إنه أذن لهم في الكفر • قلنا كلا فإنه عليه الصلاة والسلام ما بعث إلا للمنع من الكفر فكيف يأذن فيه ولكن المقصود منه أمور • أحدها أن المقصود منه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم • وثانيها كأنه يقول إني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فاتركوني ولا تدعوني إلى الشرك • وثالثها لكم دينكم فكونوا عليه إن كان الهلاك خيرا لكم ولي ديني لأني لا أرفضه • القول الثاني في تفسير الآية أن الدين هو الحساب أي لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع إلى كل واحد منا من عمل صاحبه أثر البتة • القول الثالث أن يكون على حذف المضاف أي لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني وحسبهم جزاء دينهم وبالا وعقابا كما حسبك جزاء دينك تعظيما وثوابا • القول الرابع الدين العقوبة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله يعني الحد فلكم العقوبة من ربي ولي العقوبة من أصنامكم لكن أصنامكم جمادات • فأنا لا أخشى عقوبة الأصنام • وأما أنتم فيحق لكم عقلا أن تخافوا عقوبة جبار السموات والأرض • القول الخامس الدين الدعاء فادعوا الله مخلصين له الدين أي لكم دعاؤكم وما دعاء الكافرين إلا في ضلال • وإن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ثم إنها تبقى على هذه الحالة فلا يضرونكم بل يوم القيمة يجدون لسانا فيكفرون بشرككم • وأما ربي فيقول ويستجيب الذين آمنوا ادعوني أستجب لكم • أجيب دعوة الداع • القول السادس الدين العادة قال الشاعر **شعر**

تقول لها وقد درأت وضيني • أهذا دينه أبدا وديني •

يقول لكم عادتكم المأخوذة من أسلافكم ومن الشياطين ولي عادتي المأخوذة من الملائكة والوحي ثم يبقى كل واحد منا على عادته حتى تلقون الشياطين والنار وألقى الملائكة والجنة

**المسألة الثانية** قوله لكم دينكم يفيد الحصر ومعناه لكم دينكم لا لغيركم ولي ديني لا لغيري وهو إشارة إلى قوله وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولا تزر وازرة وزر أخرى أي أنا مأمور بالوحي والتبليغ وأنتم مأمورون بالامتثال والقبول فأنا ما كلفت خرجت عن عهدة التكليف • وأما إصراركم على كفركم فذلك مما لا يرجع إلي منه ضرر

**المسألة الثالثة** جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة وذلك غير جائز لأن الله تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به بل ليتدبر فيه ثم يعمل بموجبه والله أعلم

## سورة النصر ثلث آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا جاء نصر الله في الآية لطايف . احدها انه تعالى
لما وعد محمدا صلى الله عليه وسلم بالتربية العظيمة بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى . وقوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر لا جرم يزداد كل يوم امره كانه تعالى يا محمد لم يضيق قلبك الست حين لم يكن مبعوثا لم اضيعك بل نصرتك
بالطير الابابيل . وفي اول الرسالة زدت فجعلت الطير ملايكة الم يكفيكم ان يمدكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة . ثم الان
ازيد فاقول اني اكون ناصرا لك بذاتي اذا جاء نصر الله فقال الهي انما يتم النعمة اذا فتحت لي مولدي ومسكني فقال
والفتح فقال الهي لكن القوم اذا اخرجوا فاي لذة في ذلك فقال ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا ثم كانه
قال هل تعلم يا محمد باي سبب وجدت هذه التشريفات الثلاثة انما وجدتها لانك قلت في السورة المتقدمة يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون . وهذا يشتمل على امور ثلاثة اولها نصرتني باللسان فكان جزاؤه اذا جاء نصر الله
وثانيها فتح مكة قلبك بعسكر التوحيد . فاعطيناك فتح مكة وهو المراد من قوله والفتح . والثالث ادخلت رعية
جوارحك واعضائك في طاعتي وعبوديتي فانا ادخلت عبادي في طاعتك وهو المراد من قوله يدخلون في
دين الله افواجا . ثم انك بعد ان وجدت هذه الخلع الثلاثة فابعث الى حضرتي ثلاثة انواع من العبودية
تهادوا تحابوا ان نصرتك فسبح . وان فتحت مكة فاحمد . وان اسلموا فاستغفروا انما وضع في مقابلة نصر الله التسبيح
لان التسبيح هو تنزيه الله عن مشابهة المحدثات يعني تشاهد انه نصرك . فاياك ان تظن انما نصرك لانك تستحق منه ذلك
النصر بل اعتقد كونه منزها عن ان يستحق عليه احد من الخلق شيا . ثم جعل في مقابلة فتح مكة الحمد لان النعمة لا يمكن
ان تقابل الا بالحمد . ثم جعل في مقابلة دخول الناس في الدين الاستغفار وهو المراد من قوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات اي كثرة الاتباع مما يشغل القلب بلذة الجاه والقبول فاستغفر لهذا القدر من ذنبك
واستغفر لذنبهم فانهم كلما كانوا اكثر كانت ذنوبهم اكثر فكان احتياجهم الى استغفارك اكثر . الوجه الثاني
انه عليه الصلاة والسلام لما تبرا عن الكفر وواجههم بالسوء في قوله يا ايها الكافرون كانه خاف بعض القول
فقلل من تلك الخشونة فقال لكم دينكم ولي دين فقيل يا محمد لا تخف فاني لا اذهب بك الى النصر بل اجي بالنصر اليك
اذا جاء نصر الله . نظيره زويت لي الارض يعني لا تذهب الى الارض بل تجي بالارض اليك فان سئمت المقام واردت الرحلة
فمثلك لا يرتحل الا الى قاب قوسين سبحان الذي اسرى بعبده ازيد على هذا فافضل فقرا امتك على اغنيايهم ثم امر الاغنيا
بالضحايا بالتجد وها مطايا . واذا بقي الفقير من غير مطية اشوق الجنة اليه . وازلفت الجنة للمتقين . الوجه
الثالث كانه سبحانه قال يا محمد ان الدنيا لا يصفو كدرها ولا يدوم محنها ولا نعيمها فرحت بالكوثر تحمل مشقة سفاهة
السفها حيث قالوا اعبد الهنا حتى نعبد الهك . فلما تبرا عنهم وضاق قلبه من جهتهم قال ابشر فقد جا نصر الله
فلما استبشر قال الرحيل الرحيل اما علمت انه لا بد بعد الكمال من الزوال فاستغفره الهنا الانسان لا تحزن بسبب جوع
الربيع تعقيبه غنى الخريف . ولا تفرح بغنى الخريف فعقيبه وحشة الشتا فكذا من تم اقباله لا يبقى له الا القبر
ومنه شعر . اذا تم امر بدا نقصه ترقب زوالا اذا قيل تم . الهي لم فعلت ذلك قال حتى لا يضيع
قلبك على الدنيا بل تكون ابدا على جناح الارتحال والسفر . الوجه الرابع لما قال في اخر السورة المتقدمة لكم دينكم
ولي دين فكانه قال الهي وما جزاي فقال نصر الله فيقول فما جزاء عمي حين دعاني الى عبادة الاصنام
فقال تبت يدا ابي لهب . فان قيل فلم بدا بالوعد قبل الوعيد . قلنا لوجوه . احدها لان رحمته
سبقت غضبه . والثاني ليكون الجنس متصلا بالجنس فانه قال ولي دين وهو النصر كقوله تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه . فاما الذين اسودت وجوههم . وثالثها الوفا بالوعد لهم وفي الكرم من الوفا بالانتقام ثم تامل في هذه
المجانسات الحاصلة بين هذه السور من اول ما نزل بالمدينة . وتلك السور من اول ما نزل بمكة ليعلم ان ترتيب
هذه السور من الله وبامره . الوجه الخامس في السورة المتقدمة لم نذكر شيا من اسما الله بل قال لا اعبد بلفظ ما
كانه قال لا اذكر اسم الله حتى لا تستخفوا فتزدادوا عقوبتهم . وفي هذه السورة ذكر اعظم اساميه لانها
منزلة على الاحباب ليكون ثوابهم بقراءته اعظم فكانه سبحانه قال لا تذكر اسمي مع الكفار حتى لا تهينوه . واذكره
مع الاوليا حتى تكرموه . الوجه السادس قال النحويون اذا منصوب بسبح والتقدير فسبح بحمد ربك اذا جا نصر الله
كانه سبحانه يقول جعلت الوقت ظرفا لما تريده وهو النصر والفتح والظفر وملات ذلك الظرف من هذه الاشيا
وبعثته اليك فلا ترده علينا فارغا بل املاه من العبودية . ليتحقق معنى تهادوا تحابوا فكان محمدا عليه الصلاة والسلام
قال باي شي املا ظرف هديتك وانا فقير فيقول الله في المعنى ان لم تجد شيا اخر فلا اقل من تحريك اللسان بالتسبيح
والحمد والاستغفار فلما فعل محمد عليه الصلاة والسلام ذلك حصل معنى تهادوا والاجرام حصلت المحبة فلهذا كان محمد حبيب الله

الوجه السابع

الوجه السابع كانه تعالى يقول اذا جاك النصر والفتح ودخول الناس في دينك فاشتغل انت ايضا بالتسبيح والحمد والاستغفار
فاني قلت لين شكرتم لازيدنكم فيصير اشتغالك بهذه الطاعات سببا للمزيد درجاتك في الدنيا والاخرة ولا تزال تكون في الترقي
حتى يصير الوعد بقولي انا اعطيناك . فهذا الوجه الثامن ان الايمان انما يتم بامرين بالنفي والاثبات وبالبراة والولاية فالنفي
والبراة قوله لا اعبد ما تعبدون . والاثبات والولاية قوله اذا جا نصر الله واعلم ان في الاية اسرارا وانما يمكن بيانها
في معرض السوال والجواب . السوال الاول ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف الفتح على النصر الجواب من وجوه . احدها
النصر هو الاعانة على تحصيل المطلوب الذي كان معلقا . وظاهر ان النصر كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر . وعطف
الفتح عليه . وثانيها يحتمل ان يقال النصر كمال الدين . والفتح الاقبال الدنياوي الذي هو تمام النعمة . ونظير هذه الاية قوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي . وثالثها النصر هو الظفر في الدنيا على المنى والفتح بالجنة كما قال وفتحت ابوابها
واظهر الاقوال في النصر الغلبة على قريش او على جميع العرب . السوال الثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابدا منصورا
بالدلايل والمعجزات فما المعنى من تخصيص لفظ النصر بفتح مكة . والجواب من وجهين . احدهما المراد من هذا النصر هو النصر
الموافق للطبع . وانما جعل لفظ النصر المطلق دالا على هذا النصر المخصوص لان هذا النصر العظيم موقعه من قلوب اهل
الدنيا جعل ما قبله كالمعدوم كما ان المثاب عند دخول الجنة يتصور كانه لم يذق نعمة قط والى هذا المعنى الاشارة بقوله
تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله . وثانيهما لعل المراد نصر الله في امور الدنيا الذي حكم به
لانبيايه كقوله ان اجل الله اذا جا لا يوخر . السوال الثالث النصر لا يكون الا من الله قال الله تعالى وما النصر الا من عند الله
فما الفايدة في هذا التقييد وهو قوله نصر الله والجواب معناه نصر لا يليق الا بالله ولا يليق ان يفعله الا الله او لا يليق
الا بحكمته . ويقال هذا صنعة زيد اذا كان زيد مشهورا باحكام الصنعة . والمراد منه تعظيم حال تلك الصنعة فكذا هاهنا
او نصر الله لانه اجابة لدعايهم متى نصر الله فيقول هذا هو الذي سالتموه . السوال الرابع وصف النصر بالمجي مجاز
وحقيقته اذا وقع نصر الله . فما الفايدة في ترك الحقيقة وذكر المجاز الجواب فيه اشارات . احداها ان الامور
مربوطة باوقاتها وانه سبحانه قدر لحدوث كل حادث اسبابا معينة واوقاتا مقدرة يستحيل فيها التقدم والتاخر
والتغير والتبدل . فاذا حضر ذلك الوقت وجا ذلك الزمان حضر معه ذلك الاثر واليه الاشارة بقوله وان من شي الا
عندنا خزاينه . وما ننزله الا بقدر معلوم . وثانيها ان اللفظ دل على ان النصر كان كالمشتاق الى محمد صلى الله عليه وسلم
وذلك لان ذلك النصر كان مستحقا له بحكم الوعد . فالمقتضي كان موجودا الا ان تخلف الاثر كان لفقدان الشرط فكان
كالثقيل المعلق فان ثقيله يوجب الهوي الا ان العلاقة مانعة فالثقل يكون كالمشتاق الى الهوي فكذا هاهنا النصر
كان كالمشتاق الى محمد صلى الله عليه وسلم . وثالثها ان عالم العدم عالم ينبوع الجود والرحمة وهو لا نهاية له وهو
عالم الظلمات الا ان في قعرها ينبوع جود الله وايجاده . ثم تشعبت بحار الوجود والانوار واخذت في السيلان
وسيلانها يقتضي في كل جزء وصولها الى موضع ومكان معين . فبحر رحمة الله ونصرته كانت اخذة في السيلان من الازل
فكانه قيل يا محمد قرب وصولها اليك ومجيها اليك فاذا جاءتك امواج هذا البحر فاشتغل بالتسبيح والتحميد والاستغفار
فهذه الثلاثة هي السفينة التي لا يمكن الخلاص من بحار الربوبية الا بها . ولهذا السبب لما ركب نوح بحر الغمرة والكبريا
استعان بقوله بسم الله مجريها ومرسيها . السوال الخامس لا شك ان الذين اعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح
مكة هم الصحابة من المهاجرين والانصار ثم انه سمى نصرتهم لرسول الله نصر الله . فما السبب في ان صار الفعل الصادر عنهم
مضافا الى الله الجواب هذا بحر يتفجر منه بحر سر القضا والقدر وذلك لان فعلهم فعل الله . وتقريره ان افعالهم
مستندة الى ما في قلوبهم من الدواعي والصوارف . وتلك الدواعي والصوارف امور حادثة فلا بد لها من محدث وليس هو
العبد والا لزم التسلسل فلا بد وان يكون هو الله تعالى . فيكون المبدا الاول والموثر الابعد هو الله تعالى ويكون المبدا
الاقرب هو العبد . فمن هذا الاعتبار صارت النصرة المضافة الى الصحابة بعينها مضافة الى الله تعالى فان قيل فعلى هذا
التقدير الذي ذكرتم يكون فعل العبد مفرعا على فعل الله تعالى وهذا بخلاف النص لانه قال ان تنصروا الله ينصركم فجعل
نصرنا له مقدما على نصره لنا والجواب انه لا امتناع في ان يصدر عن الحق فعل فيكون ذلك سببا لصدور فعل عنا ثم الفعل عنا
ينساق الى فعل اخر يصدر عن الرب فان اسباب الحوادث ومسبباتها متسلسلة على ترتيب عجيب يعجز عن ادراك كيفيته
اكثر العقول البشرية . السوال السادس كلمة اذا للمستقبل . فهاهنا لما ذكر وعدا مستقبلا بالنصر قال اذا جا نصر الله فذكر
ذاته باسم الله . ولما ذكر النصر الماضي حين قال تعالى ولين جا نصر من ربك ليقولن فذكره بلفظ الرب . فما السبب في ذلك الجواب
لانه تعالى بعد وجود الفعل صار ربا . وقبله ما كان ربا لكن كان الها . السوال السابع انه تعالى قال ان تنصروا الله ينصركم
وان محمدا عليه الصلاة والسلام نصر الله حين قال يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فكان واجبا بحكم هذا الوعد

الاثر واليه

فالمقتضى كان موجودا الا ان تخلف الاثر

نصرنا له

أن ينصره الله فلا جرم قال إذا جاء نصر الله فعل يقول بأن هذا النصر كان واجبا عليه الجواب أن ما ليس بواجب قد
يصير واجبا بالوعد • ولهذا قال وعد الكريم ألزم من دين الغريم • كيف ويجب على الوالد نصر ولده وعلى المولى نصر
عبده • ويجب النصر على الأجنبي إذا تعين بأن كان واحدا اتفاقا وإن كان مشغولا بصلاة نفسه • ثم اجتمعت هذه الأسباب
في حقه تعالى فوعد مع الكرم وهو أرأف بعبيده من الوالد بولده والمولى بعبده وهو ولي بحسب الملك ومولى بحسب
السلطنة • وقيوم للتدبير • وواحد فرد لا ثاني له فوجب عليه وجوب الكرم نصر عبيده • فلهذا قال تعالى إذا جاء نصر الله
أما قوله تعالى والفتح ففيه مسائل المسألة الأولى نقل عن ابن عباس أن الفتح هو فتح مكة وهو الفتح الذي يقال له
فتح الفتوح • روي أنه لما كان صلح الحديبية • وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أغار بعض من كان في عهد قريش على
خزاعة وكانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فجاء سفير ذلك القوم وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعظم ذلك عليه • ثم قال أما إن هذا العارض ليخبرني أن الظفر يجيء من الله ثم قال لأصحابه انظروا فإن أبا سفيان
يجيء ويلتمس أن يجدد العهد فلم يمض ساعة أن جاء الرجل ملتمسا ذلك فلم يجبه الرسول ولا أكابر الصحابة •
فالتجأ إلى فاطمة فلم ينفعه ذلك ورجع إلى مكة آيسا • وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسير إلى مكة • ثم روي
أن سارة مولاة بعض بني هاشم أتت المدينة فقال لها عليه الصلاة والسلام جئت مسلمة قالت لا لكن كنتم الموالي
وبي حاجة فحث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب
بعشرة دنانير واستحملها كتابا إلى مكة نسخته اعلموا أن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم • فخرجت سارة ونزل
جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عليه السلام وعمارا في جماعة وأمرهم أن يأخذوا الكتاب وإلا
فاضربوا عنقها • فلما أدركوها جحدت وحلفت فسل علي عليه السلام سيفه وقال والله ما كذبنا فأخرجته من عقيصة
شعرها • واستحضر النبي صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه • فقال والله ما كفرت منذ أسلمت • ولا أحببتهم
منذ فارقتهم لكن كنت غريبا في قريش وكل من معك من المهاجرين والأنصار لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم فخشيت على
أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على
أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل
بمر الظهران • وقدم العباس وأبو سفيان إليه فاستأذنا فأذن لعمه خاصة فقال أبو سفيان إما أن تأذن لي وإلا أذهب
بولدي إلى المفازة فنموت جوعا وعطشا فرق قلبه فأذن له وقال له ألم يأن لك أن تسلم وتوحد فقال أظن أنه واحد
ولو كان هاهنا غير الله لنصرنا فقال ألم يأن أن تعرف أني رسوله فقال إن لي شكا في ذلك فقال العباس أسلم
قبل أن يقتلك عمر فقال وماذا أصنع بالعزى فقال عمر لولا أنك بين يدي رسول الله لضربت عنقك فقال
يا محمد أليس الأولى أن تترك هؤلاء الأوباش وتصالح قومك وعشيرتك • فسكان مكة عشيرتك وأقاربك تعرضهم
للشن والغارة فقال عليه الصلاة والسلام هؤلاء نصروني وأعانوني وذبوا عن حريمي • وأهل مكة أخرجوني
وظلموني • فإن هم أسروا فبسوء صنيعهم • وأمر العباس بأن يذهب به ويوقفه على المرصاد ليطالع العسكر
فكانت الكتيبة تمر عليه فيقول من هذا فيقول العباس هو فلان من أمراء الجند إلى أن جاءت الكتيبة الخضراء التي لا يرى
منها إلا الحدق فسأل عنهم فقال العباس هذا رسول الله فقال لقد أوتي ابن أخيك ملكا عظيما فقال العباس
النبوة فقال هيهات النبوة • ثم تقدم ودخل مكة وقال إن محمدا جاء بعسكر لا يطيقه أحد فصاحت هند وقالت
اقتلوا المبشر وأخذت بلحيته فصاح الرجل ودفعها عن نفسه • ولما سمع أبو سفيان أذان القوم للفجر وكانوا عشرة
آلاف فزع لذلك فزعا شديدا وسأل العباس فأخبره بأمر الصلاة • ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ولحيته
على قربوس سرجه كالساجد تواضعا وشكرا ثم التمس أبو سفيان الأمان فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن فقال
ومن تسع داري فقال ومن دخل المسجد فهو آمن فقال ومن يسع المسجد فقال من ألقى سلاحه فهو آمن ثم
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب المسجد وقال لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب
وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم فلذلك
سمي أهل مكة الطلقاء • ومن ذلك كان علي عليه السلام يقول لمعاوية أنى تستوي المولى والمعتق يعني أعتقناكم حين مكننا الله
من رقابكم • ولم يقل اذهبوا فأنتم معتقون بل قال الطلقاء لأن المعتق لا يجوز أن يرد إلى الرق • والمطلقة يجوز
أن تعاد إلى رق النكاح وكانوا بعد على الكفر فكان يجوز أن يخونوا فيستباح رقهم مرة أخرى • ولأن الطلاق يخص النسوان
وقد ألقوا السلاح وأخذوا المساكن كالنسوان • ولأن المعتق يخلى سبيله يذهب حيث يشاء والمطلقة تجلس في البيت
للعدة وهم أمروا بالجلوس بمكة كالنسوان • ثم إن القوم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فصاروا يدخلون

في دين الله أفواجا

في دين الله أفواجا • وروي أنه عليه الصلاة والسلام صلى ثماني ركعات أربعا صلاة الضحى وأربعا أخرى شكرا لله نافلة فهذا هو
فتح مكة • والمشهور عند المفسرين أن المراد من الفتح في هذه السورة هو فتح مكة • ومما يدل على أن المراد بالفتح فتح مكة أنه تعالى ذكره مقرونا
بالنصر وقد كان يجد النصر دون الفتح كبدر • والفتح دون النصر كإجلاء بني النضير فإنه فتح البلد لكن لم يأخذ القوم • أما يوم
فتح مكة اجتمع الأمران النصر والفتح وصار الخلق له كالأرقاء حتى أعتقهم • القول الثاني المراد فتح خيبر وكان ذلك على يد علي
رضي الله عنه والقصة مشهورة • وروي أنه استصحب خالد بن الوليد وكان يساميه في الشجاعة • فلما نصب السلم قال لخالد
أتتقدم قال لا فلما تقدم علي عليه السلام سأله كم صعدت فقال لا أدري لشدة الخوف • وروي أنه قال لعلي عليه السلام
الانصارعني فقال ألست صرعتك قال نعم لكن ذاك قبل إسلامي • ولعل عليا عليه السلام إنما امتنع عن مصارعته ليقع
صيته في الإسلام أنه رجل يمتنع عنه علي أو كان علي يقول صرعتك حين كنت كافرا أما الآن وأنت مسلم فلا أحسن أن أصرعك
القول الثالث أنه فتح الطائف وقصته طويلة • والقول الرابع المراد النصر على الكفار وفتح بلاد الشرك على الإطلاق
وهو قول أبي مسلم • والقول الخامس أراد بالفتح ما فتح الله عليه يكون مسبوقا بانشراح الصدر وصفاء القلب وذلك هو المراد
من قوله إذا جاء نصر الله • ويمكن أن يكون المراد بنصر الله إعانته على الطاعات والخيرات • والفتح هو انفتاح عالم المعقولات
والروحانيات المسألة الثانية إذا حملنا الفتح على فتح مكة فللناس في وقت نزول هذه السورة قولان • أحدهما
أن فتح مكة كان سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر • وروي أنه عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما
ولذلك سميت سورة التوديع • والقول الثاني أن هذه السورة نزلت قبل فتح مكة وهو وعد لرسول الله أن ينصره على أهل مكة
وأن يفتحها عليه • ونظيره قوله تعالى إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد • وقوله إذا جاء نصر الله والفتح يقتضي
الاستقبال إذ لا يقال فيما وقع إذا جاء وإذا وقع وإذا صح هذا القول صارت هذه الآية من جملة المعجزات من حيث إنه
خبر وجد مخبره بعد حين مطابقا له • والإخبار عن الغيب معجز • فإن قيل لم ذكر النصر مضافا إلى الله وذكر الفتح بالألف
واللام الجواب الألف واللام للمعهود السابق إلى فتح مكة قوله تعالى ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا
فيه مسائل الأولى رأيت يحتمل أن يكون أبصرت وأن يكون معناه علمت • فإن كان معناه أبصرت كان يدخلون في محل النصب
على الحال • والتقدير ورأيت الناس حال دخولهم في دين الله أفواجا • وإن كان معناه علمت كان يدخلون في دين الله مفعولا ثانيا
لعلمت • والتقدير علمت الناس داخلين في دين الله المسألة الثانية ظاهر لفظ الناس للعموم فيقتضي أن يكون كل الناس
كانوا قد دخلوا في الوجود مع أن الأمر ما كان كذلك الجواب من وجهين • الأول أن المقصود من الإنسانية والعقل إنما
هو الدين والطاعة على ما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فمن أعرض عن الدين الحق وبقي على الكفر فكأنه ليس بإنسان وهذا
المعنى هو المراد من قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل وقال آمنوا كما آمن الناس • وسئل الحسين بن علي عليهما السلام من الناس فقال
نحن الناس وأشياعنا أشباه الناس • وأعداؤنا النسناس فقبل علي عليه السلام بين عينيه وقال الله أعلم حيث يجعل رسالاته
فإن قيل إنهم إنما دخلوا في الإسلام بعد مدة طويلة وتقصير كثير فكيف استحقوا هذا المدح العظيم • قلنا هذا فيه إشارة إلى
سعة رحمة الله فإن العبد بعد أن أتى بالكفر والمعصية طول عمره فإذا أتى بالإيمان في آخر عمره يقبل إيمانه ويمدحه هذا المدح العظيم
ويروى أن الملائكة يقولون لمثل هذا الإنسان أتيت وإن كنت قد أبيت • ويروى أنه عليه السلام قال الله أفرح بتوبة
أحدكم من الضال الواجد • والظمآن الوارد • والمعنى كأن الرب تعالى يقول ربيته سبعين سنة • فإن مات على كفره
فلا بد وأن نبعثه إلى النار فحينئذ يضيع إحساني إليه في سبعين سنة فكلما كانت مدة الكفر والعصيان أكثر كانت
التوبة عنها أشد قبولا • الوجه الثاني في الجواب روي أن المراد بالناس أهل اليمن قال أبو هريرة لما نزلت هذه السورة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الإيمان يمان
والفقه يمان والحكمة يمانية وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن المسألة الثالثة قال جمهور الفقهاء وكثير من المتكلمين
أن إيمان المقلد صحيح • واحتجوا بهذه الآية قالوا إنه تعالى حكم بصحة إيمان أولئك الأفواج وجعله من أعظم المنن
على محمد ولو لم يكن إيمانهم صحيحا لما ذكره في هذا المعرض ثم إنا نعلم قطعا أنهم ما كانوا يعرفون حدوث الأجسام بالدليل
ولا إثبات كونه تعالى منزها عن الجسمية والمكان والحيز ولا إثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها
ولا إثبات قيام المعجز التام على يد محمد صلى الله عليه وسلم ولا إثبات أن قيام المعجز كيف يدل على الصدق والعلم بأن أولئك
الأعراب ما كانوا عالمين بهذه الدقائق ضروري فعلمنا أن إيمان المقلد صحيح لا يقال إنهم كانوا عالمين بأصول
دلائل هذه المسائل لأن أصول هذه الدلائل ظاهرة بل كانوا جاهلين بالتفاصيل إلا أنه ليس من شرط كون الإنسان
مستدلا كونه عالما بهذه التفاصيل لأنا نقول إن الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان • فإن الدليل إذا كان مثلا
مركبا من عشر مقدمات فمن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلدا كان في النتيجة مقلدا لا محالة لأن فرع

ان المقصود من الانسانية والعقل انما هو الدين والطاعة

التقليد أولى أن يكون تقليدا فإن كان مجموعا بمجموع تلك المقدمات العشرة استحال كون غيره أعرف منه بذلك الدليل لأن تلك الزيادة إن كانت جزءا معتبرا في دلالة هذا الدليل لم تكن المقدمات العشرة الأولى تمام الدليل فإنه لا بد معها من هذه المقدمة الزائدة وقد كنا فرضنا تلك العشرة كافية وإن لم تكن تلك الزيادة معتبرة في دلالة ذلك الدليل كان ذلك أمرا منفصلا عن ذلك الدليل غير معتبر في كونه دليلا على ذلك المدلول فثبت أن العلم بكون الدليل دليلا لا يقبل الزيادة والنقصان ۰ فإما أن يقال إن أولئك الأعراب كانوا عالمين بجميع مقدمات دلائل هذه المسائل بحيث ما شذ عنهم من تلك المقدمات واحدة وذلك مكابرة أو ما كانوا كذلك فحينئذ ثبت أنهم كانوا مقلدين ۰ ومما يؤكد ما ذكرنا ما روي عن الحسن أنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا إذا ظفر بأهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من أرادهم بسوء ۰ ثم أخذوا يدخلون في الإسلام أفواجا من غير قتال ۰ هذا ما رواه الحسن ۰ ومعلوم أن الاستدلال بأنه لما ظفر بأهل مكة وجب أن يكون على الحق ليس بحيد فعلمنا أنهم ما كانوا مستدلين بل مقلدين **المسئلة الرابعة** دين الله هو الإسلام لقوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام ولقوله ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ۰ وللدين أسماء أخرى منها الإيمان قال الله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ۰ ومنها الصراط لقوله تعالى صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ۰ ومنها كلمة الله ۰ ومنها النور ليطفئوا نور الله ۰ ومنها هدى لقوله يهدي به من يشاء ۰ ومنها العروة فقد استمسك بالعروة الوثقى ۰ ومنها الحبل واعتصموا بحبل الله ۰ ومنها صبغة الله وفطرة الله ۰ وإنما قال في دين الله ولم يقل في دين الرسول ولا سائر الأسماء لوجهين ۰ الأول أن هذا الاسم أعظم الأسماء الدالة على الذات والصفات فكأنه يقول هذا الدين إن لم تكن له خصلة سوى أنه دين الله فإنه يكون واجب القبول ۰ والثاني لو قال دين الرب لكان يشعر ذلك بأن هذا الدين إنما يجب قبوله لأنه ربك وأحسن إليك وحينئذ يكون طاعتك له معللة بطلب النفع فلا يكون الإخلاص حاصلا فكأنه يقول أخلص الخدمة بمجرد أنه إله لا لنفع يعود إليك **المسئلة الخامسة** الفوج الجماعة الكثيرة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين ۰ وعن جابر بن عبد الله أنه بكى ذات يوم فقيل له ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا **قوله تعالى** فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ۰ فيه مسائل **المسئلة الأولى** أنه تعالى أمر بالتسبيح ثم بالحمد ثم بالاستغفار ۰ ولهذا الترتيب فوائد **الفائدة الأولى** اعلم أن تأخير النصر سنين مع أن محمدا كان على الحق مما يثقل على القلب ويقع في القلب أني إذا كنت على الحق فلم لا تنصرني ولم سلطت هؤلاء الكفرة علي فلأجل الاعتذار عن هذا الخاطر أمر بالتسبيح ۰ أما على قولنا فالمراد من هذا التنزيه أنك منزه عن أن يستحق عليك أحد شيئا بل كل ما تفعله فإنما تفعله بحكم المشيئة الإلهية فلك أن تفعل ما تشاء كما تشاء ۰ ففائدة التسبيح تنزيه الله تعالى عن أن يستحق عليه أحد شيئا ۰ وأما على قول المعتزلة ففائدة التنزيه هو أن تعلم العبد أن ذلك التأخير كان بسبب الحكمة والمصلحة لا بسبب البخل وترجيح الباطل على الحق ثم إذا فرغ العبد عن تنزيه الله عما لا ينبغي فحينئذ يشتغل بالاستغفار لذنوب نفسه ۰ الوجه الثاني أن للسائرين طريقين ۰ فمنهم من قال ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله بعده ۰ ومنهم من قال ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله ولا شك أن هذا الطريق أكمل أما بحسب المعالم الحكمية فإن النزول من المؤثر إلى الأثر أجل مرتبة من الصعود من الأثر إلى المؤثر ۰ وأما بحسب أفكار أرباب الرياضات ۰ فلأن ينبوع النور هو واجب الوجود ۰ وينبوع الظلمة هو ممكن الوجود ۰ فالاستغراق في الأول يكون أشرف ۰ ولأن الاستدلال بالأصل على التبع يكون أقوى من الاستدلال بالتبع على الأصل وإذا ثبت هذا فنقول الآية دالة على هذه الطريقة التي هي أشرف الطريقين وذلك لأنه قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالنفس ۰ فذكر والأمر الخالق أمرين ۰ أحدهما التسبيح ۰ والثاني التحميد ۰ ثم ذكر المرتبة الثالثة الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات إلى الخالق وإلى الخلق ۰ واعلم أن صفات الخالق محصورة في السلب والإيجاب ۰ والنفي والإثبات والسلوب مقدمة على الإيجابات ۰ والتسبيح إشارة إلى التعرض للصفات السلبية التي لواجب الوجود وهي صفات الجلال والتحميد إشارة إلى الصفات الثبوتية له وهي صفات الإكرام ۰ ولذلك فإن القرآن يدل على تقدم الجلال على الإكرام ۰ ولما أشار إلى هذين النوعين من الاشتغال بمعرفة واجب الوجوب نزل منه إلى الاستغفار لأن الاستغفار فيه رؤية قصور النفس وفيه رؤية وجود الحق وفيه طلب لما هو الأصلح والأكمل للنفس ۰ ومن المعلوم أن بقدر اشتغال العبد بمطالعة غير الله يبقى محروما عن مطالعة حضرة جلال الله فلهذه الدقيقة أخر ذكر الاستغفار عن التسبيح والتحميد ۰ الوجه الثالث أنه إرشاد للبشر إلى التشبيه بالملائكة وذلك لأن أعلى كل نوع أسفل متصل بأسفل النوع الأعلى ۰ ولهذا قيل آخر المراتب الإنسانية أول المراتب الملكية ۰ ثم الملائكة ذكروا في أنفسهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ۰ وقوله ههنا استغفره إشارة إلى قوله ونقدس لك لأنهم فسروا قوله ونقدس لك أي أنا نجعل أنفسنا مقدسة لأجل رضاك ۰ والاستغفار يرجع معناه أيضا إلى تقديس

الحق

النفس



النفس ويحتمل أن يكون المراد أنهم دعوا لأنفسهم أنهم يسبحون بحمدي ورأوا ذلك من أنفسهم ۰ وأما أنت فسبح بحمدي واستغفر من أن ترى تلك الطاعة من نفسك بل يجب أن تراها من توفيقي وإحساني ۰ ويحتمل أن يقال الملائكة كما قالوا في حق أنفسهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال الله في حقهم ويستغفرون للذين آمنوا فأنت يا محمد استغفر للذين جاءوا أفواجا كالملائكة يستغفرون للذين آمنوا ويقولون ربنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ۰ الوجه الرابع التسبيح هو التطهير فيحتمل أن يكون طهر الكعبة من الأصنام وكسرها ثم قال بحمد ربك أي ينبغي أن يكون إقدامك على ذلك التطهير بواسطة الاستعانة بحمد ربك وإعانته وتقويته ثم إذا فعلت ذلك فلا ينبغي أن ترى نفسك آتيا بالطاعة اللائقة به بل يجب أن ترى نفسك في هذه الحالة مقصرة فاطلب الاستغفار عن تقصيرك في طاعته ۰ والوجه الخامس كأنه تعالى يقول يا محمد إما أن تكون معصوما أو لم تكن معصوما ۰ فإن كنت معصوما فاشتغل بالتسبيح والحمد وإن لم تكن معصوما فاشتغل بالاستغفار فتكون الآية كالتنبيه على أنه لا فراغ عن التكليف في العبودية كما قال واعبد ربك حتى يأتيك اليقين **المسئلة الثانية** في المراد من التسبيح وجهان ۰ الأول أنه ذكر الله بالتنزيه ۰ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال إبعاد الله من كل سوء وأصله من سبح فإن السابح يرتسب في الماء كالطير في الهواء ويضبط نفسه من أن يرسب فيه فيهلك أو يتلوث من مقر الماء ومجراه والتشديد للتبعيد لأنك تسبحه أي تبعده عما لا يجوز عليه ۰ وإنما حسن استعماله في تنزيه الله عما لا يجوز عليه في صفات الذات والفعل نفيا وإثباتا لأن السمكة كما أنها لا يقبل النجاسة فكذا الحق سبحانه لا يقبل ما لا ينبغي البتة فاللفظ يفيد التنزيه في الذات والصفات والأفعال ۰ والقول الثاني أن المراد بالتسبيح الصلاة لأن هذا اللفظ وارد في القرآن بمعنى الصلاة قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ۰ والذي يؤكده أن هذه السورة من آخر ما نزل ۰ وكان عليه الصلاة والسلام في آخر مرضه يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم جعل يلجلجها في صدره وما يقبض بها لسانه ۰ ثم قال بعضهم عنى به صلاة الشكر صلاها يوم الفتح ثمان ركعات وقال آخرون وهو صلاة الضحى وقال آخرون صلى ثمان ركعات أربعة للشكر وأربعة للضحى ۰ وتسمية الصلاة بالتسبيح لما أنها لا ينفك عنها وفيه تنبيه أنه يجب تنزيه صلاتك عن أنواع النقائص في الأقوال والأفعال ۰ واحتج أصحاب القول الأول بالأخبار الكثيرة الواردة في ذلك روت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي ۰ وعنها أيضا كان نبي الله في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال سبحان الله وبحمده فقلت يا رسول الله إنك تكثر من قول سبحان الله وبحمده قال إني أمرت بها وقرأ إذا جاء نصر الله ۰ وعن ابن مسعود لما نزلت هذه السورة كان عليه الصلاة والسلام يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الغفور ۰ وروي أنه قال عليه الصلاة والسلام إني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة **المسئلة الثالثة** الآية تدل على فضل التسبيح والتحميد حيث جعل كافيا في أداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح ولم لا يكون كذلك ۰ وقوله الصوم لي من أعظم الفضائل للصوم فإنه أضافه إلى ذاته ۰ ثم إنه جعل صدق الصلاة مساويا للصوم في هذا التشريف ۰ وأن المساجد لله فهذا يدل على أن الصلاة أفضل من الصوم بكثير ۰ ثم الصلاة صدق للأذكار ولذلك قال ولذكر الله أكبر وكيف لا يكون كذلك [illegible]

[illegible] **المسئلة الرابعة** [illegible] أحدها صاحب الكشاف [illegible]

[illegible]

لما نزلت هذه السورة كان عليه السلام يكثر

هي التي في قولك فعلت هذا بفضل الله اي سبحه بحمد الله وارشاده وانعامه لا بحمد غيره • ونظيره في حديث الافك قول
عائشة بحمد الله لا بحمدك • والمعنى فسبحه بحمده فانه الذي هداك دون غيره ولذلك روي انه عليه الصلاة والسلام كان
يقول الحمد لله على الحمد لله • وسادسها روى السدي بحمد ربك اي بامر ربك • وسابعها ان تكون الباء صلة زائدة ويكون
التقدير سبح حمد ربك ثم فيه احتمالات • احدها اختر له اطهر المحامد وازكاها • والثاني طهر محامد ربك عن الرياء والسمعة
والتوسل بذكرها الى الاغراض الدنيوية الفاسدة • والثالث طهر محامد ربك ان تقول حمدتها كما يليق به واليه
الاشارة بقوله وما قدروا الله حق قدره • وثامنها اي ائت بالتسبيح بدلا عن الحمد الواجب عليك وذلك لان الحمد انما يجب
في مقابلة النعم ونعم الله غير متناهية فحمدها لا يكون في وسع البشر فكانه تعالى يقول انت عاجز عن الحمد فائت بالتسبيح
والتنزيه بدلا عن الحمد • وتاسعها فيه اشارة الى ان التسبيح والحمد امران لا يجوز تاخير احدهما عن الاخر ولا يتصور ايضا
ان يؤتى بهما معا فنظيره من ثبت له حق الشفعة وحق الرد بالعيب وجب ان يقول اخترت الشفعة برد ذلك المبيع كذا قال
فسبح بحمد ربك ليقعا معا فيصير حامدا مسبحا في وقت واحد معا • وعاشرها ان يكون المراد سبح قلبك اي طهر قلبك
بواسطة مطالعة حمد ربك فانك اذا رايت ان الكل من الله فقد طهرت قلبك عن الالتفات الى نفسك وسعيك وجهدك
فقوله فسبح اشارة الى نفي ما سوى الله تعالى وقوله بحمد ربك اشارة الى رؤية كل الاشياء من الله تعالى **المسئلة الخامسة**
في قوله واستغفره وجوه • احدها لعله عليه الصلاة والسلام كان يتمنى ان ينتقم ممن آذاه • ويسال الله ان ينصره فلما سمع
اذا جاء نصر الله استبشر لكن لو قرن هذه البشارة شرط ان لا ينتقم لتنغصت عليه تلك البشارة فذكر لفظ الناس وانهم يدخلون
في دين الله وامره بان يستغفر للداخلين لكن من المعلوم ان الاستغفار لمن لا ذنب له لا يحسن فعلم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا
الطريق انه تعالى يريد الى العفو وترك الانتقام لانه لما امره بان يطلب لهم المغفرة فكيف يحسن منه ان يشتغل بالانتقام عنهم ثم
ختم بلفظ التواب كانه يقول ان قبول التوبة حرفته فكل من طلب منه التوبة اعطاه كما ان البياع حرفته بيع الامتعة التي عنده
فكل من طلب منه شيئا من تلك الامتعة باعه منه سواء كان المشتري عدوا او وليا فكذا الرب سبحانه يقبل التوبة سواء كان التائب
مكيا او مدنيا • ثم انه عليه الصلاة والسلام امتثل امر الرب تعالى فحين قالوا اخ كريم وابن اخ كريم قال لهم لا تثريب عليكم اليوم
يغفر الله لكم اي امرني ان استغفر لكم فلا يجوز ان يردني • وثانيها ان قوله واستغفره اما ان يكون المراد واستغفر الله
لنفسك او لامتك • فان كان المراد هو الاول فهو يتفرع على انه هل صدرت عنه معصية ام لا • فمن قال صدرت
عنه المعصية ذكر في فائدة الاستغفار وجوها • احدها انه لا يمتنع ان يكون كثرة الاستغفار منه تؤثر في جعل
ذنبه صغيرا • وثانيها لزمه الاستغفار ليخرج عن ذنب الاصرار • وثالثها لزمه الاستغفار ليصير الاستغفار
جابرا للذنب الصغير ولا ينقص من ثوابه شيء اصلا • واما من قال ما صدرت المعصية عنه فذكر في هذا الاستغفار
وجوها • احدها ان استغفار النبي جار مجرى التسبيح وذلك لانه وصف الله بانه غفار • وثانيها تعبده الله بذلك
ليقتدي به غيره اذ لا يامن كل مكلف عن تقصير يقع منه في عبادته • وفيه تنبيه انه مع شدة اجتهاده وعصمته ما كان
يستغني عن الاستغفار فكيف من دونه • وثالثها ان الاستغفار كان عن ترك الافضل • ورابعها ان الاستغفار كان
بسبب ان كل طاعة اتى بها العبد • فاذا قابلها باحسان الرب وجدها قاصرة عن الوفاء باداء شكر تلك النعمة فليستغفر
الله لاجل ذلك • وخامسها الاستغفار بسبب التقصير الواقع في السلوك ~~في السلوك~~ لان السائر الى الله اذا وصل
الى مقام في العبودية ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله عنه • ولما كانت مراتب السير
الى الله غير متناهية لا جرم كانت مراتب هذا الاستغفار غير متناهية ~~لا جرم كانت مراتب هذا الاستغفار~~ غير متناهية
اما الاحتمال الثاني وهو ان يكون استغفر لذنب امتك فهو ايضا ظاهر لانه تعالى امره بالاستغفار لذنب امته في قوله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فهاهنا لما كثرت الامة صار ذلك الاستغفار اوجب واهم • وهكذا اذا قلنا
المراد هاهنا ان يستغفر لنفسه ولامته **المسئلة السادسة** في الاية اشكال وهو ان التوبة مقدمة على جميع
الطاعات ثم الحمد مقدم على التسبيح لان الحمد يكون بسبب الانعام والانعام كما يصدر عن المرء فقد يصدر عن غيره فكان
ينبغي ان يقع الابتداء بالاستغفار ثم بعده يذكر الحمد ثم بعده يذكر التسبيح فما السبب في ان صار مذكورا على العكس من هذا
الترتيب • وجوابه من وجوه • اولها لعله ابتدا بالاشرف فالاشرف نازلا الى الاخس فالاخس تنبيها على ان النزول
من الخالق الى الخلق اشرف من الصعود من الخلق الى الخالق • وثانيها فيه تنبيه على ان التسبيح والحمد الصادر عن العبد
اذا صار مقابلا بجلال الله وعزته صار عين الذنب فوجب الاستغفار منه • وثالثها التسبيح والحمد اشارة الى التعظيم
لامر الله • والاستغفار اشارة الى الشفقة على خلق الله • والاول كالصلاة • والثاني كالزكاة • وكما ان الصلاة
مقدمة على الزكاة • فكذا هاهنا **المسئلة السابعة** الاية تدل على انه عليه الصلاة والسلام كان يجب عليه الاعلان

أنّ

بالتسبيح



بالتسبيح والاستغفار وذلك من وجوه • احدها انه عليه الصلاة والسلام كان مامورا بابلاغ السورة الى كل الامة حتى
يبقى نقل القرآن متواترا وحتى يعلم انه حسن القيام بتبليغ الوحي فوجب عليه الاتيان بالتسبيح والاستغفار على وجه الاظهار
ليحصل هذا الغرض • وثانيها ان من جملة المقاصد ان يصير الرسول قدوة للامة حتى يفعلوا عند النعمة والمحنة ما فعله الرسول
صلى الله عليه وسلم من تجديد الشكر والحمد عند تجديد النعمة • وثالثها ان الاغلب في الشاهد ان يؤتى بالحمد في ابتداء الامر
فامر الله رسوله بالحمد والاستغفار دائما وفي كل حين واوان ليقع الفرق بينه وبين غيره • ثم قال واستغفره حين بعث نفسه
اليه ليفعل الامة عند اقتراب اجالهم مثل ذلك **المسئلة الثامنة** في الاية سؤالات • احدها وهو انه قال انه
كان توابا على الماضي حاجيا الى قبوله في المستقبل • وثانيها هلا قال غفارا كما قال في سورة نوح • وثالثها انه قال
نصر الله وقال في دين الله فلم لم يقل بحمد الله بل قال بحمد ربك • والجواب عن الاول من وجوه • احدها ان هذا
ابلغ كانه يقول الست عليكم بانكم خير امة اخرجت للناس ثم من كان قبلكم كنت اقبل توبته كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات
العظيمة وفلق البحر ونتق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم واتوا بالقبائح فلما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت قابلا
للتوبة من دونكم افلا اقبلها منكم • وثانيها منذ كثر كنت شرعت في قبول توبة العصاة • والشروع ملزم على قول النعمان
فكيف في كرم الرحمن • وثالثها كنت توابا قبل ان امركم بالاستغفار افلا اقبل وقد امرتكم بالاستغفار • ورابعها كانه اشارة
الى تخفيف جنايتهم اي لستم باول من جنى وتاب بل هو حرفتي والجناية مصيبة للجاني • والمصيبة اذا عمت خفت • وخامسها
كانه نظير ما يقال • لقد احسن الله فيما مضى • كذلك يحسن فيما بقي • والجواب عن السؤال الثاني من وجوه • احدها
لعله خص هذه الامة بزيادة شرف لانه لا يقال في صفات العبد غفار • ويقال تواب اذا كان اتيا بالتوبة فيقول
تعالى كنت لي سميا من اول الامر انت مؤمن وانا مؤمن وان كان المعنى مختلفا فتب حتى تصير سميا لي في اخر الامر فانت تواب وانا تواب
ثم التواب في حق الله هو انه تعالى يقبل التوبة كثيرا فنبه انه يجب على العبد ان يكون اتيا بالتوبة كثيرا • وثانيها انما
قيل توابا لان القائل قد يقول استغفر الله وليس بتائب • ومنه قوله المستغفر بلسانه المصر بقلبه كالمستهزئ فان قيل فقد
يقول اتوب وليس بتائب • قلنا فاذن يكون كاذبا لان التوبة اسم للرجوع او الندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا
فيه فصار تقدير الكلام واستغفره بالتوبة والاستغفار • وكذا خواتيم الاعمال • وروي انه لم يجلس مجلسا الا ختمه
بالاستغفار والجواب عن السؤال الثالث انه تعالى راعى العدل فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين • احدهما
الرب والثاني التواب • ولما كانت التربية تحصل اولا والتوبة اخرا لا جرم ذكر اسم الرب اولا واسم التواب اخرا ○
**المسئلة التاسعة** الصحابة اتفقوا على ان هذه السورة دلت على انه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم • روي ان ابن عباس
عرف ذلك وبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال نعيت اليك نفسك فقال الامر كما تقول • وقيل ان ابن
عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا • روي ان عمر كان يعظم ابن عباس
ويقربه ويأذن له مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتاذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو مثله فقال لانه ممن قد علمتم
قال ابن عباس فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن قوله تعالى اذا جاء نصر الله وكانه ما سالهم الا من اجلي فقال
بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب عليه • فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما اعلم
منها الا كما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون • وروي انه لما نزلت السورة خطب وقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا
وبين لقائه والاخرة • فاختار لقاء الله فقال السائل وكيف دلت هذه السورة على هذا المعنى الجواب من وجوه • احدها
قال بعضهم انما عرفوا ذلك لما روينا ان الرسول خطب عقيب السورة وذكر التخيير • وثانيها انه لما ذكر حصول النصر
والفتح ودخول الناس في الدين افواجا دل ذلك على حصول الكمال والتمام وذلك يستعقب الزوال كما قيل شعر • اذا تم شيء دنا نقصه
توقع زوالا اذا قيل تم • وثالثها انه امره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقا واشتغاله به يمنعه من الاشتغال بامر
الامة فكان هذا كالتنبيه على ان امر التبليغ قد تم وكمل وذلك يوجب الموت لانه لو بقي بعد ذلك لكان كالمعزول عن الرسالة
وانه غير جائز • ورابعها قوله واستغفره تنبيه على قرب الاجل كانه يقول قرب الوقت ودنا الرحيل فتاهب للامر ونبهه
به على ان سبيل العاقل اذا قرب اجله ان يستكثر من التوبة • وخامسها كانه قيل له كان منتهى مطلوبك في الدنيا هذا الذي
وجدته وهو النصر والفتح والاستيلاء • والله تعالى وعدك بقوله وللآخرة خير لك من الاولى فلما وجدت اقصى مرادك في الدنيا
فانتقل الى الاخرة لتفوز بتلك السعادات العالية **المسئلة العاشرة** ذكرنا ان الاصح هو ان السورة نزلت قبل فتح مكة
واما الذين قالوا انها نزلت بعد فتح مكة فذكر الماوردي انه عليه الصلاة والسلام لم يلبث بعد نزول هذه السورة الا ستين
يوما مستديما للتسبيح والاستغفار وقال مقاتل عاش بعد السورة حولا ونزل اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعده
ثمانين يوما • ثم نزل اية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما • ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسة

فقال عليه السلام لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا

وثلاثين يوما ۰ ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ۰ فعاش بعدها احدى عشر يوما ۰ وفي رواية اخرى عاش بعدها سبعة ايام ۰ والله اعلم كيف كان ذلك ۰ والحمد لله ۰ وصلواته على سيد المرسلين وسلامه

## سورة تبت خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم بين في سورة قل يا ايها الكافرون ان محمدا عليه الصلاة والسلام اطاع ربه وصرح بنفي عبادة الشركاء والاضداد والانداد فكانه قيل الهنا ما ثواب المطيع وما عقاب العاصي فقال ثواب المطيع حصول النصر والفتح والاستعلاء في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى كما دل عليه سورة اذا جاء نصر الله ۰ واما عقاب العاصي فهو الخسار في الدنيا والعقاب العظيم في العقبى كما دلت عليه سورة تبت ۰ ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ۰ فكانه قيل الهنا انت الجواد المنزه عن البخل والقادر المنزه عن العجز فما السبب في هذا التفاوت فقال ليبلوكم فيما آتاكم فكانه قيل الهنا فان كان مذنبا عاصيا فكيف حاله فقال في الجواب ان ربك سريع العقاب ۰ وان كان مطيعا منقادا كان جزاؤه ان الرب تعالى يكون غفورا لسيئاته في الدنيا رحيما كريما في الآخرة ۰ وذكروا في سبب نزول السورة وجوها ۰ احدها قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتم امره في اول المبعث ويصلي في شعاب مكة ثلاث سنين الى ان نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فصعد الصفا ونادى يا آل غالب فخرجت اليه غالب من المسجد فقال ابو لهب هذه غالب قد اتتك فما عندك ثم نادى يا آل لؤي فرجع من لم يكن من لؤي فقال ابو لهب هذه لؤي قد اتتك فما عندك ثم قال يا آل مرة فرجع من لم يكن من مرة فقال ابو لهب هذه مرة قد اتتك فما عندك ثم قال يا آل كلاب ۰ ثم قال بعده يا آل قصي فقال ابو لهب هذه قصي قد اتتك فما عندك فقال ان الله امرني ان انذر عشيرتك الاقربين وانتم الاقربون اني لا املك لكم من الدنيا حظا ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد بها لكم عند ربكم فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت السورة ۰ وثانيها روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الصفا ذات يوم وقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك قال أرأيتم ان اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال عند ذلك ابو لهب ما قال فنزلت السورة ۰ وثالثها جمع اعمامه وقدم اليهم طعاما في صحفة فاستحقروه وقالوا ان احدنا يأكل كل الشاة فقال كلوا فاكلوا حتى شبعوا ولم ينتقص من الطعام الا اليسير ثم قالوا فما عندك فدعاهم الى الاسلام فقال ابو لهب ما قال ۰ وروي انه قال ابو لهب فما لي ان اسلمت فقال ما للمسلمين فقال افلا افضل عليهم قال النبي عليه الصلاة والسلام وبماذا تفضل فقال تبا لهذا الدين يستوي فيه انا وغيري ورابعها كان اذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد سألوا عمه عنه وقالوا انت اعلم به فيقول لهم انه ساحر فيرجعون عنه ولا يلقونه ۰ فاتاه وفد ففعل لهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى نراه فقال انا لم نزل نعالجه من الجنون فتبا له وتعسا ۰ فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فحزن ونزلت السورة **قوله تعالى** تبت يدا ابي لهب **اعلم** ان قوله تبت فيه اقاويل ۰ احدها التباب الهلاك ۰ ومنه قولهم شابة ام تابة اي هالكة ۰ ونظيره قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في هلاك ۰ والذي يقرر ذلك ان الاعرابي لما واقع اهله في نهار رمضان قال اهلكت واهلكت ثم النبي عليه الصلاة والسلام ما انكر ذلك فدل على انه كان صادقا في ذلك ولا شك ان العمل اما ان لا يكون داخلا في الايمان او ان كان داخلا لكنه اضعف اجزائه ۰ فاذا كان بترك العمل حصل الهلاك ففي حق ابي لهب حصل ترك الاعتقاد والقول والعمل وحصل وجود الاعتقاد الباطل والقول الباطل والعمل الباطل فكيف يعقل ان لا يحصل الهلاك ۰ فلهذا قال تبت وثانيها تبت خسرت ۰ والتباب هو الخسران المفضي الى الهلاك ومنه قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اي تخسير بدليل انه قال في موضع آخر غير تخسير ۰ وثالثها تبت خابت قال ابن عباس لانه كان يدفع القوم عنه بقوله انه ساحر فينصرفون عنه قبل لقائه لانه كان شيخ القبيلة وكان له كالاب فكان لا يتهم ۰ فلما نزلت السورة وسمع بها غضب فاظهر العداوة الشديدة فصار متهما فلم يقبل قوله في الرسول بعد ذلك فكانه خاب سعيه وبطل غرضه ۰ ولعله انما ذكر اليد لانه كان يضرب بيده على كتف الوافد عليه فيقول انصرف راشدا فانه مجنون ۰ فان المعتاد ان من يصرف انسانا عن موضع وضع يده على كتفه ودفعه عن ذلك الموضع ۰ ورابعها عن عطا تبت اي غلبت لانه كان يعتقد ان يده العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ويغلب عليه ۰ وخامسها عن ابن وثاب صفرت يداه عن كل خير ۰ ان قيل ما فائدة ذكر اليدين

قلنا

قلنا فيه وجوه ۰ احدها ما يروى انه اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طارق المحاربي انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق يقول ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل خلفه يرميه بالحجارة وقد ادمى عقبه وقال لا تطيعوه فانه كذاب ۰ فقلت من هذا فقالوا محمد وعمه ابو لهب ۰ وثانيها المراد من اليدين الجملة كقوله تعالى ذلك بما قدمت يداك ۰ وقولهم يداك اوكتا ۰ وقوله تعالى مما عملت ايدينا ۰ وهذا التأويل متأكد بقوله وتب ۰ وثالثها تبت يداه ۰ اي دينه ودنياه اولاه ۰ وعقباه ۰ او لان احدى اليدين تجر المنفعة ۰ وبالاخرى تدفع المضرة ۰ او لان اليمين سلاح والاخرى جنة ۰ ورابعها روي انه عليه الصلاة والسلام لما دعاه نهارا فابى فلما جن الليل ذهب الى داره مستنا بسنة نوح ليدعوه ليلا كما دعاه نهارا ۰ فلما دخل عليه قال له جئتني معتذرا فجلس النبي عليه الصلاة والسلام امامه كالمحتاج وجعل يدعوه الى الاسلام وقال ان كان يمنعك العار فاجبني في هذا الوقت واسكت فقال لا اؤمن بك او يؤمن هذا الجدي فقال عليه الصلاة والسلام للجدي من انا فقال رسول الله واطلق لسانه يثني عليه فاستولى الحسد على ابي لهب فاخذ يدي الجدي ومزقه وقال تبا لك اثر فيك السحر فقال الجدي بل تبا لك فنزلت السورة على وفق ذلك تبت يدا ابي لهب لتمزيقه يدي الجدي ۰ وخامسها قال محمد بن اسحق يروى ان ابا لهب كان يقول يعدني محمد اشياء لا ارى انها كائنة يزعم انها بعد الموت فلم يضع في يدي من ذلك شيئا ۰ ثم ينفخ في يديه ويقول تبا لكما ما ارى فيكما شيئا فنزلت السورة **اما قوله تعالى** وتب ففيه وجوه ۰ احدها انه اخرج الاول مخرج الدعاء عليه كقوله قتل الانسان ما اكفره ۰ والثاني مخرج الخبر اي كان ذلك وحصل ويؤيده قراءة ابن مسعود ۰ وقد تب ۰ وثانيها كل واحد منهما اخبار ولكن اراد بالاول هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه ۰ ووجهه ان المرء انما يسعى لمصلحة نفسه وعمله فاخبر الله تعالى انه محروم عن الامرين ۰ وثالثها تبت يدا ابي لهب يعني ماله ومنه يقال ذات اليد ۰ وتب هو بنفسه كما يقال خسروا انفسهم واهليهم وهو قول ابي مسلم ۰ ورابعها تبت يدا ابي لهب يعني نفسه ۰ وتب يعني نفسه ۰ وتب يعني ولده عتبة على ما روي ان عتبة بن ابي لهب خرج الى الشام مع ناس من قريش فلما هموا ان يرجعوا قال لهم عتبة بلغوا محمدا اني كفرت بالنجم اذا هوى ۰ وروي انه قال ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفل في وجهه وكان مبالغا في عداوته فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فوقع الرعب في قلب عتبة وكان يحترز دائما ليلة من الليالي ۰ فلما كان قريبا من الصبح فقال له اصحابه هلكت الركاب فما زال الوابه حتى نزل وهو مرعوب واناخ الابل حوله كالسرادق فسلط الله الاسد والقى السكينة على الابل فجعل الاسد يتخلل حتى افترسه ۰ فان قيل نزول هذه السورة كان قبل هذه الواقعة ۰ وقوله وتب اخبار عن الماضي فكيف يحمل عليه ۰ قلنا لانه كان في معلومه تعالى انه يحصل ذلك ۰ وخامسها تبت يدا ابي لهب حيث لم يعرف حق ربه ۰ وتب حين لم يعرف رسوله ۰ وفي الآية سؤالات **الاول** لماذا كناه مع انه كالكذب اذ لم يكن له ولد اسمه لهب وايضا فالكنية من باب التعظيم والجواب عن الاول ان الكنية قد تكون اسما ۰ ويؤيده قراءة من قرأ تبت يدا ابو لهب كما يقال علي بن ابو طالب ۰ ومعاوية بن ابو سفيان فان هؤلاء اسماؤهم كما هو ۰ واما معنى التعظيم فاجيب عنه من وجوه ۰ احدها انه لما كان اسما خرج عن افادة التعظيم ۰ والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية ۰ والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها ۰ ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير ۰ الرابع كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكما به **السؤال الثاني** ان محمدا عليه الصلاة والسلام كان نبي الرحمة والخلق العظيم فكيف يليق به ان يشافه عمه بهذا التغليظ الشديد وكان نوح مع انه في نهاية التغليظ على الكفار قال في ابنه لكنعان انه ابني من اهلي وان وعدك الحق وكان ابراهيم عليه السلام يخاطب اباه بالشفقة في قوله يا ابت وابوه كان يخاطبه بالتغليظ الشديد ۰ ولما قال لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي ۰ واما موسى عليه السلام فلما بعثه الى فرعون قال له وهارون فقولا له قولا لينا مع ان جرم فرعون كان اغلظ من جرم ابي لهب كيف ومن شرع محمد عليه الصلاة والسلام ان الاب لا يقتل بابنه قصاصا ولا يقيم الرجم عليه وان خاصمه ابوه وهو كافر في الحرب فلا يقتله بل يدفعه عن نفسه حتى يقتله غيره والجواب من وجوه ۰ احدها انه كان يصرف الناس عن محمد عليه السلام فيقول انه مجنون والناس ما كانوا يتهمونه لانه كان كالاب له فصار ذلك كالمانع من اداء الرسالة الى الخلق فشافهه الرسول بذلك حتى عظم غضبه واظهر العداوة الشديدة فصار بسبب تلك العداوة متهما في القدح في محمد عليه الصلاة والسلام فلم يقبل قوله فيه بعد ذلك ۰ وثانيها ان الحكمة في ذلك ان محمدا لو كان يداهن احدا في الدين ويسامحه لكان تلك المداهنة والمسامحة مع عمه الذي هو قائم مقام ابيه ۰ فلما لم يحصل هذه المداهنة معه انقطعت الاطماع وعلم كل احد انه لا يسامح احدا في شيء يتعلق بالدين اصلا ۰ وثالثها ان الوجه الذي كونه كالمعارض فان كونه عما يوجب ان يكون له الشفقة العظيمة له فلما انقلب الامر وحصلت العداوة العظيمة لا جرم استحق التغليظ العظيم **السؤال الثالث**

قوله اخبار عن الماضي فكيف يحمل عليه

ما السبب في انه لم يقل قل تبت يدا ابي لهب كما قال في سورة الكافرين قل يا ايها الكافرون الجواب من وجوه الاول
لانه كان عمه ومن حق العم ان لا يشافهه ابن اخيه بالسب فلهذا السبب لم يقل له قل تبت يدا ابي لهب بخلاف السورة
الاخرى فان اولئك الكفار ما كانوا اعمامه الثاني ان الكفار في تلك السورة طعنوا في الله تعالى فقال الله تعالى يا محمد
اجب عنهم قل يا ايها الكافرون وفي هذه السورة طعنوا في محمد فقال الله تعالى اسكت فاني اشتمهم تبت
يدا ابي لهب الثالث لما شتموك فاسكت حتى تندرج تحت هذه الاية واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما واذا
سكت انت فانا اكون المجيب عنك يروى ان ابا بكر كان يؤذيه واحد فسكت ابو بكر فكان الرسول جالسا فلما شرع ابو بكر في الجواب قام الرسول فقال ابو بكر ... فقال كان الملك يجيب عنك فلما شرعت في الجواب ذهب الملك وجاء الشيطان
قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب فيه مسائل المسألة الاولى ما في قوله ما اغنى يحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار ويحتمل ان يكون نفيا وعلى التقدير الاول يكون المعنى اي تأثير كان لماله وكسبه في دفع البلاء عنه
المسألة الثانية ما كسب ... ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه وقال ابن عباس ما كسب ولده والدليل عليه قوله عليه الصلاة والسلام ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وروي ان بنيه تخاصموا عنده فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث
المسألة الثالثة ... قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب فيه مسائل المسألة الاولى ...
المسألة الثانية هذه الايات تضمنت الاخبار عن الغيب من ثلاثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب والخسار وقد كان كذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان كذلك ... وثالثها الاخبار بانه من اهل النار وقد كان كذلك لانه مات على الكفر ...
المسألة الرابعة احتج اهل السنة

على وقوع تكليف ما لا يطاق بأن الله تعالى كلف ابا لهب بالايمان ومن جملة الايمان تصديق الله في كل ما اخبر عنه ومما اخبر عنه انه لا يؤمن
وانه من اهل النار فقد صار مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال واجاب الكعبي وابو الحسين
البصري بانه لو آمن ابو لهب لكان هذا الخبر خبرا بانه آمن لا بانه ما آمن واجاب القاضي عنه فقال متى قيل لو فعل الله
ما اخبر انه لا يفعله فكيف كان يكون فجوابنا انه لا يصح الجواب عن ذلك بلا او نعم واعلم ان هذين الجوابين في غاية السقوط
اما الاول فلان هذه الاية دالة على ان خبر الله عن عدم ايمانه واقع والخبر الصدق عن عدم الايمان ينافيه وجود الايمان منافاة ذاتية
ممتنعة الزوال فاذا كلفه ان ياتي بالايمان مع وجود هذا الخبر فقد كلفه بالجمع بين المتنافيين واما الجواب الثاني فارك
من الاول لانا لسنا في طلب ان نذكر بلساننا لا او نعم بل صريح العقل شاهد بان يكون الخبر عن عدم الايمان صدقا وبين وجود
الايمان منافاة ذاتية كان التكليف بتحصيل احد المتضادين حال حصول الآخر تكليفا بالجمع بين الضدين وهذا الاشكال قائم
سوا ذكر الخصم بلسانه شيئا او بقي ساكتا اما قوله تعالى وامرأته حمالة الحطب ففيه مسائل المسألة الاولى قرئ ومريئته
بالتصغير وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم قال صاحب الكشاف وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله بجميل
من احب شتم ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية وكانت في غاية العداوة لرسول الله وذكروا في تفسير
كونها حمالة الحطب وجوها احدها انها كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى
الله عليه وسلم فان قيل انها كانت من بيت العز فكيف يقال انها حمالة الحطب قلنا لعلها كانت مع كثرة مالها خسيسة او
كانت لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب لاجل ان تلقيه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانيها انها
كانت تمشي بالنميمة يقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويقال للمكثار هو حاطب
الليل وثالثها قول قتادة انها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر فعيرت بانها كانت تحتطب والرابع قول
ابي مسلم وسعيد بن جبير ان المراد ما حملت من الآثام في عداوة الرسول لانه كالحطب في مصيرها الى النار ونظيره انه تعالى
شبه فاعل الاثم بمن يمشي وعلى ظهره حمل قال تعالى فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقال تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم
وقال تعالى وحملها الانسان المسألة الثانية امرأته ان رفعت ففيه وجهان احدهما العطف على الضمير في سيصلى
هو وامرأته وفي جيدها في موضع الحال والثاني الرفع على الابتداء وفي جيدها الخبر المسألة الثالثة عن اسماء
لما نزلت تبت جاءت ام جميل ولها ولولة وبيدها حجر فدخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه
ابو بكر رضي الله تعالى عنه وهي تقول مذمما قلينا ودينه ابينا وحكمه عصينا فقال ابو بكر يا رسول الله
قد اقبلت اليك فانا اخاف ان تراك فقال عليه الصلاة والسلام انها لا تراني وقرأ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين
الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وقالت لابي بكر قد ذكر لي ان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب هذا البيت ما هجاك
فولت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها وفي هذه الحكاية ابحاث الاول كيف جاز في ام جميل ان لا ترى الرسول وترى
ابا بكر والمكان واحد الجواب اما على قول اصحابنا فالسؤال زائل لان عند حصول الشرائط يكون الادراك جائزا لا واجبا
فان خلق الله الادراك رأى والا فلا اما المعتزلة فذكروا فيه وجوها احدها لعله عليه الصلاة والسلام اعرض وجهه عنها
وولاها ظهره ثم انها كانت لغاية غضبها لم تفتش او لان الله تعالى القى في قلبها خوفا فصار ذلك صارفا لها عن النظر وثانيها
لعل الله تعالى القى شبه انسان آخر على الرسول كما فعل ذلك بعيسى وثالثها لعل الله تعالى حول شعاع بصرها عن ذلك السمت حتى
انها ما رأته واعلم ان الاشكال على الوجوه الثلاثة لازم لان بهذه الوجوه عرفنا انه يمكن ان يكون الشيء حاضرا ولا نراه واذا
جوزنا ذلك فلم لا يجوز ان يكون عندنا فيلات وبوقات فلا نراها ولا نسمعها البحث الثاني ان ابا بكر حلف انه ما هجاك وهذا من باب
المعاريض لان القرآن لا يسمى هجوا ولانه كلام الله لا كلام الرسول فدلت هذه الآية على جواز المعاريض بقي من مباحث هذه الآية
سؤالان الاول لم لم يكتف بقوله وامرأته بل وصفها بقوله وامرأته حمالة الحطب الجواب قيل كان له امرأتان سواها
فاراد الله تعالى ان لا يظن ظان انه اراد كل من كانت امرأة له بل ليس المراد الا هذه الواحدة السؤال الثاني ان ذكر النساء لا يليق باهل
الكرم والمروءة فكيف يليق ذكرها بكلام الله ولا سيما امرأة العم الجواب لما لم يستبعد ذلك في امرأة نوح ولوط بسبب كفر تينك
المرأتين فلان لا يستبعد في امرأة كافرة زوجها رجل كافر اولى قوله تعالى في جيدها حبل من مسد قال الواحدي المسد
في كلام العرب الفتل يقال مسد الحبل يمسده مسدا اذا اجاد فتله ورجل ممسود اذا كان مجدول الخلق والمسد ما مسد اي
فتل من اي شيء كان فيقال لما فتل من جلود الابل ومن الليف والخوص مسد ولما فتل من الحديد ايضا مسد اذا عرفت هذا
فنقول ذكر المفسرون وجوها احدها في جيدها حبل مما مسد من الحبال لانها كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها
في جيدها كما يفعل الحطابون والمقصود بيان خساستها تشبيها لها بالحطابات ايذاء لها ولزوجها وثانيها ان يكون
المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل الحزمة من الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار

واعلم ان الاشكال على الوجوه الثلاثة

هذه الايات تتضمن الاخبار عن الغيب

من شجر الزقوم • وفي جيدها حبل من سلاسل النار • فان قيل الحبل المتخذ من المسد كيف يبقى ابدا في النار • قلنا كما يبقى الجلد
واللحم والعظم ابدا في النار • ومنهم من قال ذلك المسد يكون من الحديد • وظن من ظن ان المسد لا يكون من الحديد خطأ
لان المسد هو المفتول سوا كان من الحديد او من غيره • والله اعلم • والحمد لله رب العالمين • وصلى الله على محمد

## سورة الإخلاص أربع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى قل هو الله احد • قبل الخوض في التفسير لا بد من تقديم
فصول **الفصل الأول** روى ابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قل هو الله احد فكانما قرأ ثلث القرآن
واعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اشرك بالله وامن بالله وقال عليه الصلاة والسلام من قرأ قل هو الله احد مرة واحدة اعطي
من الاجر كمن امن بالله وملائكته وكتبه ورسله واعطي من الاجر مثل مائة شهيد وروى انه كان جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ
اقبل ابو ذر الغفاري فقال جبريل هذا ابو ذر قد اقبل فقال عليه الصلاة والسلام او تعرفونه قال هو اشهر عندنا منه عندكم
فقال عليه الصلاة والسلام بما نال هذه الفضيلة قال لصغره في نفسه وكثرة قراءته قل هو الله احد وروى انس قال كنا في تبوك
فطلعت الشمس ما لها شعاع وضيا ما رأيناها على تلك الحالة قط قبل ذلك فتعجب كلنا فنزل جبريل فقال ان الله امر ان تنزل من الملائكة
سبعون الف ملك فيصلوا على معاوية بن معوية فهل لك ان تصلي عليه ثم ضرب بجناحه الارض فازال الجبال وصار الرسول عليه السلام
كانه مشرف عليه فصلى هو واصحابه عليه ثم قال بم بلغ ما بلغ فقال جبريل عليه السلام كان يحب سورة الاخلاص وروى انه دخل المسجد
فسمع رجلا يدعو ويقول اسألك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال غفر لك غفر لك غفر لك ثلاث مرات
وعن سهل بن سعد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم
على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه • وعن انس ان رجلا كان يقرأ
في جميع صلاته قل هو الله احد فسأله الرسول عن ذلك فقال يا رسول الله اني احبها فقال حبك اياها يدخلك الجنة • وقيل
من قرأها في المنام اعطي التوحيد وقلة العيال وكثرة الذكر لله • وكان مستجاب الدعوة **الفصل الثاني** في سبب نزولها
وفيه وجوه • الاول انها نزلت بسبب سؤال المشركين قال الضحاك ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقالوا شققت عصانا وسببت الهتنا وخالفت دين ابائك فان كنت فقيرا اغنيناك • وان كنت مجنونا داويناك • وان هويت
امرأة زوجناكها فقال عليه الصلاة والسلام لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة انا رسول الله ادعوكم من عبادة
الاصنام الى عبادته فارسلوه ثانية وقالوا قل له بين جنس معبودك امن ذهب او فضة فانزل الله هذه السورة فقالوا
له ثلثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات الى قوله ان الهكم لواحد
فارسلوه اخرى وقالوا بين لنا افعاله فنزل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض • الثاني انها نزلت بسبب سؤال اليهود روى
عكرمة عن ابن عباس ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد هذا الله
خلق الخلق فمن خلق الله فغضب نبي الله فنزل جبريل فسكنه وقال اخفض جناحك يا محمد فنزل قل هو الله احد فلما
تلا عليهم قالوا صف لنا ربك كيف عضده وكيف ذراعه فغضب اشد من غضبه الاول • فاتاه جبريل بقوله وما قدروا
الله حق قدره • الثالث انها نزلت بسبب سؤال النصارى روى عطا عن ابن عباس قال قدم وفد نجران فقالوا صف
لنا ربك امن زبرجد او ياقوت او ذهب او فضة فقال ان ربي ليس من شيء لانه خالق الاشياء فنزلت قل هو الله احد
قالوا هو واحد وانت واحد فقال ليس كمثله شيء قالوا زدنا من الصفة فقال الله الصمد فقالوا وما الصمد
فقال الذي يصمد اليه الخلق في الحوائج فقالوا زدنا فنزل لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى ولم يكن له كفوا
احد يريد نظيرا من خلقه **الفصل الثالث** في اسمائها اعلم ان كثرة الالقاب تدل على مزيد الفضيلة والعرف
يشهد لما ذكرناه • فاحدها سورة التفريد وثانيها سورة التجريد • وثالثها سورة التوحيد • ورابعها سورة الاخلاص
لانه لم يذكر في هذه السورة سوى صفاته السلبية التي هي صفات الجلال ولان من اعتقده كان مخلصا في دين الله ولان
من مات عليه كان خلاصه من النار ولان ما قبله خلص في ذم ابي لهب فكان جزاء من قرأه ان لا يجمع بينه وبين ابي لهب • وخامسها
سورة النجاة لانه ينجيك عن التشبيه والكفر في الدنيا • وعن النار في الاخرة • وسادسها سورة الولاية لان من قرأها
صار من اولياء الله • ولان من عرف الله على هذا الوجه فقد والاه فبعد محنته رحمه كما بعد منحه نعمه • وسابعها
سورة النسبة لما روينا انه ورد جوابا لسؤال من قال انسب لنا ربك ولانه عليه الصلاة والسلام قال
لرجل من بني سليم يا اخا بني سليم استوص بنسبة الله خيرا وهو من لطيف المعاني لانه لما قالوا انسب لنا ربك فقال

نسبة الله

نسبة الله هذا والمحافظة على الانساب من شان العرب وكانوا يتشددون على من يزيد في بعض الانساب او ينقص فنسبة
الله في هذه السورة اولى بالمحافظة عليها • وثامنها سورة المعرفة لان معرفة الله لا تتم الا بمعرفة هذه السورة روى جابر ان رجلا
صلى فقرأ قل هو الله احد فقال النبي عليه الصلاة والسلام ان هذا عبد عرف ربه فسميت سورة المعرفة لذلك • وتاسعها
سورة الجمال قال عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال • فسألوه عن ذلك فقال احد صمد لم يلد ولم يولد لانه
اذا لم يكن واحدا عديم النظير جاز ان ينوب ذلك المثل منابه • وعاشرها سورة المقشقشة يقال تقشقش المريض
مما به • فمن عرف هذا حصل له البرء من الشرك والنفاق لان النفاق مرض كما قال في قلوبهم مرض • الحادي عشر المعوذة
روى انه عليه الصلاة والسلام دخل على عثمان بن مظعون يعوده فعوذه بها وباللتين بعدها ثم قال تعوذ بهن فما تعوذت بخير منها
والثاني عشر سورة الصمد لانه يختص بذكره • والثالث عشر سورة الاساس قال عليه الصلاة والسلام اسست السموات
والارضون السبع على قل هو الله احد • ومما يدل عليه ان القول بالثلاثة سبب لخراب السموات والارض بدليل قوله
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فوجب ان يكون التوحيد سببا لعمارة هذه الاشياء • وقيل
السبب فيه معنى قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا • الرابع عشر سورة المانعة • روى ابن عباس انه
انه تعالى قال لنبيه حين عرج به اعطيتك سورة الاخلاص وهي من ذخائر كنوز عرشي وهي المانعة تمنع فتان القبر
ونفحات النيران • الخامس عشر سورة المحضر لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت • السادس عشر المنفرة لان الشيطان
ينفر عند قراءتها • السابع عشر البراءة لانه روى انه عليه الصلاة والسلام رأى رجلا يقرأ هذه السورة فقال اما هذا
فقد برئ من الشرك وقال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة قل هو الله احد مائة مرة في صلاة او غيرها كتبت له
له براءة من النار • الثامن عشر سورة المذكرة لانها تذكر العبد خالص التوحيد • فقراءة السورة كالرقية تذكرك ما تتغافل
عنه مما انت محتاج اليه • التاسع عشر سورة النور قال الله تعالى الله نور السموات والارض فهو المنور للسموات
والارض والسورة تنور قلبك • وقال عليه الصلاة والسلام ان لكل شيء نورا ونور القرآن قل هو الله احد • ونظيره
ان نور الانسان في اصغر اعضائه وهو الحدقة • فصارت السورة للقرآن كالحدقة للانسان • العشرون سورة الامان
قال عليه الصلاة والسلام اذا قال العبد لا اله الا الله دخل حصني ومن دخل حصني امن من عذابي **الفصل الرابع** في
فضائل هذه السورة وهي من وجوه • الاول اشتهر في الحديث ان قراءة هذه السورة تعدل قراءة ثلث القرآن ولعل
الغرض منه ان المقصود الاشرف من جميع العبادات والشرائع معرفة ذات الله ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله
وهذه السورة مشتملة على معرفة الذات • فكانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن • واما سورة قل يا ايها الكافرون فهي
معادلة لربع القرآن لان المقصود من القرآن اما الفعل او الترك وكل واحد منهما فهو اما في افعال القلوب او في افعال
الجوارح • فالاقسام اربعة وسورة قل يا ايها الكافرون لبيان ما ينبغي تركه من افعال القلوب فكانت في الحقيقة مشتملة
على ربع القرآن • ومن هذا السبب اشتركت السورتان اعني قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في بعض الاسامي فهما
المقشقشتان والبراءتان من حيث ان كل واحدة منهما تفيد براءة القلب عما سوى الله وملازمة الاشتغال بالله وقل هو
الله احد يفيد بلفظه الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عن غير الله ومن حيث ان قل يا ايها الكافرون تفيد براءة القلب عن سائر
المعبودين وقل هو الله احد تفيد براءة المعبود عن كل ما لا يليق به • الوجه الثاني وهو ان ليلة القدر لكونها صدفا للقرآن
كانت خيرا من الف شهر فالقرآن كله صدف والدر قل هو الله احد فلا جرم حصلت لها هذه الفضيلة • الوجه الثالث وهو
ان الدليل العقلي على ان اعظم درجات العبد ان يكون قلبه مستنيرا بنور جلال الله وكبريائه وذلك لا يحصل الا من هذه السورة
فكانت هذه السورة اعظم السور • فان قيل فصفات الله ايضا مذكورة في سائر السور • قلنا لكن هذه السورة لها خاصية
وهي انها لصغرها في الصورة تبقى محفوظة في القلوب معلومة للعقول فيكون ذكر جلال الله حاضرا ابدا بهذا السبب فلا جرم
امتازت عن سائر السور بهذه الفضائل ولنرجع الان الى التفسير قوله تعالى قل هو الله احد فيه مسائل **المسألة الاولى**
اعلم ان معرفة الله تعالى جنة حاضرة اذ الجنة ان تنال ما يوافق عقلك وشهوتك • ولذلك لم تكن الجنة جنة لادم لما نازع عقله
هواه وكان القبر سجنا على المؤمن لانه حصل له هناك ما يلايم عقله وهواه • ثم ان معرفة الله تعالى مما يريدها الهوى والعقل
فصارت جنة مطلقة • وبيان ما قلناه ان العقل يريد امينا يودع عنده الحسنات • والشهوة تريد غنيا يطلب غير
المستلذات بل العقل كالانسان الذي له همة عالية فلا ينقاد الا لمولاه • والهوى كالمتبجح الذي اذا سمع حصول غنى فانه ينبسط
للابتهاج منه بل العقل يطلب معرفة المولى ليشكره النعم الماضية • والهوى يطلبها ليطمع منه النعم المرتقبة فلما عرفناه كارادة
عالما وغنيا تعلقنا بذيله فقال العقل لا اشكر احدا سواك • وقالت الشهوة لا اسأل احدا الا اياك • ثم جاءت الشبهة فقالت
يا عقل كيف افردته بالشكر ولعل له مثلا • ويا شهوة كيف قصرت الطلب عليه ولعل ههنا بابا اخر فبقي العقل متحيرا وتنغصت عليه

بخبر قل هكذا هو الله احد • وقرا النبي صلى الله عليه وسلم بدون قل هو هكذا الله احد الله الصمد • فمن اثبت قل قال السبب
فيه بيان ان النظم ليس في مقدوره بل يحكي كل ما يقال له ومن حذفه قال لئلا يتوهم ان ذلك ما كان معلوما
للنبي صلى الله عليه وسلم **المسئلة الثالثة** اعلم ان في اعراب هذه الاية وجوها • احدها ان هو كناية عن اسم
الله فيكون قوله الله مرتفعا بانه خبر مبتدا • ويجوز في قولك احد ما يجوز في قولك زيد اخوك قائم • والثاني
ان هو كناية عن الشان • وعلى هذا التقدير يكون الله مرتفعا بالابتداء • واحد خبره • والجملة تكون خبرا عن هو والتقدير
الشان والحديث هو ان الله احد • ونظيره قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الا ان هي جاءت على التانيث
لان في التفسير اسما مؤنثا وعلى هذا جاء فانها لا تعمى الابصار اما اذا لم يكن في التفسير مؤنث لم يؤنث ضمير القصة
كقوله انه من يات ربه مجرما • والثالث قال الزجاج تقدير هذه الاية ان هذا الذي سالتم عنه هو الله احد **المسئلة الرابعة**
في احد وجهان • احدهما انه بمعنى واحد قال الخليل يجوز ان يقال احد اثنان • واصل احد وحد الا انه قلبت
الواو همزة للتخفيف • واكثر ما يفعلون هذا في الواو المضمومة والمكسورة • كقولهم وجوه واجوه • ووسادة
واسادة • والقول الثاني ان الواحد والاحد ليسا اسمين مترادفين قال الازهري لا يوصف شيء بالاحدية
غير الله تعالى لا يقال رجل احد ولا درهم احد كما يقال رجل واحد اي فرد • بل احد صفة من صفات الله تعالى
استاثر بها فلا يشركه فيها شيء • ثم ذكروا في الفرق بين الواحد والاحد وجوها • احدها ان الواحد يدخل في
الاحد • والاحد لا يدخل فيه • وثانيها انك اذا قلت فلان لا يقاومه واحد جاز ان يقال لكنه يقاومه اثنان
بخلاف الاحد فانك اذا قلت فلان لا يقاومه احد لا يجوز ان يقال لكنه يقاومه اثنان • وثالثها ان الواحد يستعمل
في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رايت رجلا واحدا • وتقول في النفي ما رايت احدا فتفيد العموم
**المسئلة الخامسة** اختلف القراء في قوله احد الله الصمد فقراءة العامة التنوين وتحريكه بالكسر هكذا احدن
الله وهو القياس الذي لا اشكال فيه • وذلك لان التنوين من احد ساكن • ولام المعرفة من الله ساكن • ولما التقى ساكنان
حرك الاول منهما بالكسر • وعن ابي عمرو احد الله بغير تنوين وذلك ان التنوين شابه حروف اللين في انها تزاد كما
يزدن • فلما شابهها اجريت مجراها في ان حذفت ساكنة لالتقاء الساكنين كما حذفت الالف والواو والياء لذلك نحو
رمى القوم ويغزو القوم ويرمي القوم • ولهذا حذفت النون الساكنة في الفعل نحو لم يك ولا تك في مرية فكذا
هاهنا حذفت في احد الله لالتقاء الساكنين كما حذفت هذه الحروف وقد ذكرنا هذا مستقصى عند قوله عزير ابن الله
وروي ايضا عن ابي عمرو احد الله • وقال ادركت القراء يقرؤنها كذلك وصلا على السكون قال ابو علي قد تجري
الفواصل في الادراج مجراها في الوقف وعلى هذا قال من قال فاضلونا السبيلا ربنا وما ادراك ماهيه نار حامية
وكذلك احد الله لما كان اكثر القراء فيما حكاه ابو عمرو على الوقف اجراه في الوصل مجراه في الوقف لاستمرار الوقف
عليه وكثرته في السنتهم • وقرا الاعمش قل هو الله احد • فان قيل لماذا قال احد على النكرة قال الماوردي فيه
وجهان • احدهما حذف لام التعريف على نية اضمارها • والتقدير قل هو الله الاحد • والثاني ان المراد هو
التنكير على سبيل التعظيم **المسئلة السادسة** اعلم ان قوله هو الله احد الفاظ ثلاثة وكل واحد منها اشارة
الى مقام من مقامات الطالبين • فالمقام الاول مقام المقربين وهو اعلى مقامات السائرين الى الله • وهؤلاء هم الذين
نظروا الى ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هي هي فلا جرم ما راوا موجودا سوى الله لان الحق هو الذي لذاته
يجب وجوده • واما ما عداه فممكن لذاته والممكن لذاته اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا
سوى الحق سبحانه • وقوله هو اشارة مطلقة والاشارة وان كانت مطلقة الا ان المشار اليه لما كان متعينا انصرف
ذلك المطلق الى ذلك المعين فلا جرم كان قولنا هو اشارة من هؤلاء المقربين الى الحق سبحانه ولم يفتقروا في تلك الاشارة

الى مميز لان الافتقار الى المميز انما يحصل حين يحصل هناك موجودان فقد بينا ان هؤلاء ما شاهدوا بعيون عقولهم الا الواحد
فقط • فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء • **المقام الثاني** وهو مقام اصحاب اليمين وهو دون
المقام الاول وذلك لان هؤلاء شاهدوا الحق موجودا • وشاهدوا الخلق ايضا موجودا فحصلت كثرة في الموجودات فلا جرم لم يكن هو
كافيا في الاشارة الى الحق بل لا بد هناك من مميز به يتميز عن الخلق فهؤلاء احتاجوا الى ان يقرنوا لفظة الله بلفظة هو فقيل لاجلهم
هو الله لان الله هو الموجود الذي يفتقر اليه ما عداه ويستغني عن كل ما عداه • **والمقام الثالث** وهو مقام اصحاب الشمال
وهو اخس المقامات وادونها وهم الذين يجوزون ان يكون واجب الوجود اكثر من واحد فقرن لفظ الاحد بما تقدم ردا على
هؤلاء وابطالا لمقالهم فقيل قل هو الله احد • وهاهنا بحث اخر اشرف واعلى مما ذكرناه وهو ان صفات الله تعالى اما ان
تكون اضافية • واما ان تكون سلبية • اما الاضافية فكقولنا عالم قادر مريد خلاق • واما السلبية فكقولنا ليس بجسم ولا بجوهر
ولا بعرض • والمخلوقات تدل اولا على النوع الاول من الصفات • وثانيا على النوع الثاني منها • وقولنا الله يدل على مجامع الصفات
الاضافية • وقولنا احد يدل على مجامع الصفات السلبية • فكان قولنا الله احد تاما في افادة العرفان الذي يليق بالعقول
البشرية • وانما قلنا ان لفظ الله يدل على مجامع الصفات الاضافية وذلك لان الله هو الذي يستحق العبادة واستحقاق العبادة
ليس الا لمن يكون مستبدا بالايجاد والابداع والاستبداد بالايجاد لا يحصل الا لمن كان موصوفا بالقدرة التامة والارادة
النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات • وهذه مجامع الصفات الاضافية • واما مجامع الصفات
السلبية فهي الاحدية وذلك لان المراد من الاحدية كون تلك الحقيقة في نفسها مفردة منزهة عن انحاء التراكيب وذلك لان كل
ماهية مركبة فهي مفتقرة الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره وكل مركب فهو مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره
فهو ممكن لذاته وكل مركب فهو ممكن لذاته فالاله الذي هو مبدا لجميع الكائنات يمتنع ان يكون ممكنا فهو في نفسه فرد احد • واذا ثبتت

لان كونه سيدا يقتضي ذلك ● الخامس قال السدي الصمد هو المقصود في الرغائب المستغاث به عند المصائب
السادس قال الحسين بن فضل البجلي الصمد هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه
السابع انه السيد المعظم ● الثامن انه الفرد الماجد لا يقضى في امر دونه ● واما النوع الثاني وهو الاشارة
الى الصفات السلبية فذكروا وجوها ● الاول الصمد هو الغني على ما قال وهو الغني الحميد ● الثاني الصمد الذي ليس
فوقه احد وهو القاهر فوق عباده ولا يخاف من فوقه ولا يرجو من دونه يرفع الحوائج اليه ● الثالث قال قتادة
لا ياكل ولا يشرب وهو يطعم ولا يطعم ● الرابع قال قتادة الباقي بعد فناء خلقه كل من عليها فان ● الخامس قال
الحسن البصري الذي لم يزل ولا يزال ● ولا يجوز عليه الزوال ● كان ولا مكان ولا اين ولا اوان ● ولا عرش ولا كرسي
ولا جني ولا انسي ● وهو الآن كما كان ● السادس قال ابي بن كعب الذي لا يموت ولا يورث وله ميراث السموات
والارض ● السابع قال يمان وابو مالك الذي لا ينام ولا يسهو ● الثامن قال ابن كيسان هو الذي لا يوصف
بصفة احد ● التاسع قال مقاتل وحيان هو الذي لا عيب فيه ● العاشر قال الربيع بن انس هو الذي لا يعتريه
الآفات ● الحادي عشر قال سعيد بن جبير انه الكامل في جميع صفاته وفي جميع افعاله ● الثاني عشر قال جعفر
الصادق انه الذي يغلب ولا يغلب ● الثالث عشر قال ابو هريرة انه المستغني عن كل احد ● الرابع عشر قال
ابو بكر الوراق انه الذي ايس الخلائق من الاطلاع على كيفيته ● الخامس عشر قال هو الذي لا تدركه الابصار
السادس عشر قال ابو العالية ومحمد القرظي هو الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شي يلد الا سيورث ولا شي يولد
الا وسيموت ● السابع عشر قال ابن عباس انه الكبير الذي ليس فوقه احد ● الثامن عشر انه المنزه عن قبول النقصانات
والزيادات ● وعن ان يكون موردا للتغيرات والتبدلات ● وعن احاطة الازمنة والامكنة والآنات والجهات ● واما
الوجه الثالث وهو ان يحمل لفظ الصمد على الكل وهو ايضا محتمل لانه بحسب دلالته على الوجوب الذاتي يدل على جميع السلوب
وبحسب دلالته على كونه مبدا للكل يدل على جميع نعوت الالهية **المسألة الثانية** قوله الله الصمد يقتضي
ان لا يكون في الوجود صمد سوى الله ● واذا كان الصمد مفسرا بالمصمود اليه في الحوائج او بما لا يقبل التغير في ذاته
لزم ان لا يكون في الوجود موجود هكذا سوى الله تعالى ● فهذه الاية تدل على انه لا اله سوى الواحد ● فقوله تعالى
الله احد اشارة الى كونه واحدا بمعنى انه ليس في ذاته تركيب ولا تاليف بوجه من الوجوه ● وقوله الله الصمد اشارة
الى كونه واحدا بمعنى نفي الشركاء والانداد والاضداد ● وبقي في الاية سؤالان الاول لم جاء احد منكرا ● وجاء الصمد
معرفا والجواب الغالب على اوهام اكثر الخلق ان كل موجود محسوس وثبت ان كل محسوس فهو منقسم فاذن ما لا يكون
منقسما لا يكون خاطرا ببال اكثر الخلق واما الصمد فهو الذي يكون مصمودا اليه في الحوائج وهذا كان معلوما للعرب
بل لاكثر الخلق على ما قال ● ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ● واذا كانت الاحدية مجهولة مستنكرة عند اكثر الخلق
وكانت الصمدية معلومة الثبوت عند جمهور الخلق لا جرم جاء لفظ احد على سبيل التنكير ولفظ الصمد على سبيل التعريف
السؤال الثاني ما الفائدة في تكرير لفظة الله في قوله الله احد الله الصمد الجواب لو لم يكرر هذه اللفظة لوجب
في لفظ احد وصمد ان يردا اما نكرتين او معرفتين ● وقد بينا ان ذلك غير جائز فلا جرم كررت هذه اللفظة حتى يذكر لفظ
احد منكرا ولفظ الصمد معرفا **قوله تعالى لم يلد ولم يولد** فيه سؤالات **الاول** لم قدم قوله لم يلد على قوله ولم
يولد مع ان في الشاهد يكون اولا مولودا ثم يكون والدا الجواب انما وقعت البداية بانه لم يلد لانهم ادعوا ان
له ولدا وذلك لان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله ● وقالت اليهود عزير ابن الله ● وقالت النصارى المسيح ابن الله
ولم يدع احد ان له والدا فلهذا السبب بدا بالاهم فقال لم يلد ثم اشار الى الحجة فقال ولم يولد كانه قيل الدليل
على امتناع الولد اتفاقنا على انه ما كان ولدا لغيره **السؤال الثاني** لماذا اقتصر على ذكر الماضي فقال لم يلد ولم
يقل لم يلد ولن يلد الجواب انما اقتصر على ذلك لانه ورد جوابا عن قولهم ولد الله والدليل عليه قوله تعالى
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله ● فلما كان المقصود من هذه الاية تكذيب قولهم وهم انما قالوا ذلك في الماضي
لا جرم وردت الاية على وفق قولهم **السؤال الثالث** لم قال هاهنا لم يلد وقال في سورة بني اسرائيل لم يتخذ
ولدا الجواب ان الولد يكون على وجهين احدهما ان يتولد منه مثله وهذا هو الولد الحقيقي ● والثاني ان لا يكون
متولدا منه ولكنه يتخذه ولدا ويسميه هذا الاسم وان لم يكن ولدا له في الحقيقة ● والنصارى فريقان منهم
من قال عيسى ولد الله حقيقة ● ومنهم من قال ان الله اتخذه ولدا تشريفا كما اتخذ ابراهيم خليلا تشريفا
له ● فقوله لم يلد اشارة الى نفي الولد في الحقيقة ● وقوله لم يتخذ ولدا اشارة الى نفي القسم الثاني ● ولهذا قال
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك لان الانسان قد يتخذ ولدا ليكون ناصرا ومعينا له على الامر المطلوب

الغني

ثم قدم قوله لم يلد على قوله لم يولد

مولودا

وكذلك قال

وكذلك قال في سورة اخرى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه هو الغني وهو اشارة لما ذكرنا ان اتخاذ الولد انما يكون عند الحاجة
**السؤال الرابع** نفي كونه تعالى والدا ومولودا هل يمكن ان يعلم بالسمع ام لا يمكن فان لم يمكن فما الفائدة في ذكرها هنا الجواب
نفي كونه تعالى والدا مستفاد من العلم بانه تعالى ليس بجسم ولا متبعض ولا منقسم ● ونفي كونه تعالى مولودا مستفاد
من العلم بانه تعالى قديم ● والعلم بكل واحد من هذين الاصلين متقدم على العلم بصحة النبوة والقرآن فلا يمكن
ان يكونا مستفادين من الدلائل السمعية بقي ان يقال فلما لم يمكن استفادتهما من السمع فما الفائدة في ذكرهما في هذه السورة
قلنا قد بينا ان المراد من كونه احدا كونه سبحانه في ذاته وماهيته منزها عن جميع انحاء التراكيب وكونه تعالى
صمدا معناه كونه واجب الذات ممتنع التغير في ذاته وجميع صفاته واذا كان كذلك فالاحدية والصمدية يوجبان نفي
الوالدية والمولودية ● فلما ذكر السبب الموجب لانتفاء الوالدية والمولودية لا جرم ذكر هذين الحكمين المقصود
من ذكرهما تنبيه الله تعالى على الدلالة العقلية القاطعة على انتفائهما **السؤال الخامس** هل في قوله تعالى لم يلد
ولم يولد فائدة ازيد من نفي الوالدية ونفي المولودية ● قلنا فيه فوائد كثيرة وذلك لان قوله احد اشارة الى كونه
تعالى في ذاته وماهيته منزها عن التركيب ● وقوله الله الصمد اشارة الى نفي الاضداد ● والانداد والشركاء
والامثال وهذان المقامان الشريفان مما حصل الاتفاق فيهما بين ارباب الملل والاديان وبين الفلاسفة الا ان من بعد
هذا الموضع حصل الاختلاف بين ارباب الملل والفلاسفة فان الفلاسفة قالوا انه يتولد عن واجب الوجود عقل
وعن العقل عقل آخر ونفس وفلك ● وهكذا على هذا الترتيب حتى ينتهي الى العقل الذي هو مدبر ما تحت كرة القمر فعلى
هذا القول يكون واجب الوجود قد ولد العقل الاول الذي هو تحته ويكون العقل الذي هو مدبر لعالمنا هذا كالمولود
من العقول التي فوقه ● فالحق سبحانه وتعالى نفي الوالدية اولا فانه قيل انه لم يلد العقول والنفوس ثم قال والشي الذي
هو مدبر اجسادكم وارواحكم وعالمكم هذا ليس مولودا من شي فلا والد ولا مولود ولا مؤثر الا الواحد الذي هو الحق سبحانه
**قوله سبحانه وتعالى ولم يكن له كفوا احد** فيه سؤالات **الاول** الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر
ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله ورد مقدما في افصح الكلام والجواب هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة
عن ذات الله ● واللفظ الدال على هذا المعنى هو هذا الظرف ● وتقديم الاهم اولى فلهذا السبب كان هذا الظرف
مستحقا للتقديم **السؤال الثاني** كيف القراءة في هذه الاية الجواب قرئ كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها
مع سكون الفاء ● والاصل هو الضم ثم يخفف مثل طنب وطنب وعنق وعنق وقال ابو عبيدة يقال كفو وكفي وكفا كله بمعنى
واحد وهو المثل وللمفسرين فيه اقاويل ● احدها قال كعب وعطاء لم يكن له مثل ولا عديل ومنه المكافاة في الجزاء لانه يعطيه
ما يساوي ما اعطاه ● وثانيها قال مجاهد لم يكن له صاحبة كانه سبحانه وتعالى قال لم يكن احد كفوا له فيصاهره ردا على
من حكى الله عنه قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا فتصير هذه الاية كالتاكيد لقوله تعالى لم يلد ● وثالثها وهو
التحقيق انه تعالى لما بين انه هو المصمود اليه في قضاء الحوائج ونفي الوسائط من البين بقوله تعالى لم يلد ولم يولد على ما
بيناه حينئذ ختم السورة بان شيئا من الموجودات يمتنع ان يكون مساويا له في شي من صفات الجلال والعظمة ● اما العلم فلا
مساواة فيه لان علمه ليس بضروري ولا باستدلالي ولا مستفاد من الحس ولا من الروية ولا يكون في معرض الغلط والزلل
وعلوم المحدثات كذلك ● واما القدرة فلا مساواة ● وكذا الرحمة والجود والعدل والفضل والاحسان ● واعلم ان هذه
السورة اربع آيات ● وفي ترتيبها انواع من الفوائد ● الفائدة الاولى ان اول السورة يدل على انه سبحانه واحد ● والصمد
على انه كريم رحيم لانه لا يصمد اليه حتى يكون محسنا ● ولم يلد ولم يولد على انه غني على الاطلاق منزه عن التغيرات
فلا يبخل بشي اصلا ● ولا يكون جوده لاجل جر نفع او دفع ضر بل لمحض الاحسان ● وقوله ولم يكن له كفوا احد اشارة الى نفي
ما لا يجوز عليه من الصفات ● الفائدة الثانية نفى الله تعالى عن ذاته انواع الكثرة بقوله احد ● ونفي النقص والمغلوبية
بلفظ الصمد ● ونفي المعلولية والعلية بلم يلد ولم يولد ● ونفي الاضداد والانداد بقوله ولم يكن له كفوا احد ● الفائدة
الثالثة قوله احد يبطل مذهب الثنوية ● القائلين بالنور والظلمة والنصارى في التثليث والصابئين في الافلاك
والنجوم ● والاية الثانية تبطل مذهب من اثبت خالقا سوى الله لانه لو وجد خالق آخر لما كان الحق مصمودا اليه
في طلب جميع الحاجات ● والثالثة تبطل مذهب اليهود في عزير والنصارى في المسيح والمشركين حين جعلوا الاصنام
اكفاء له وشركاء ● الفائدة الرابعة ان هذه السورة في حق الله مثل سورة الكوثر في حق الرسول صلى الله عليه وسلم
لكن الطعن في حق الرسول كان بسبب انهم قالوا انه ابتر لا ولد له ● وهاهنا الطعن بسبب انهم اثبتوا لله ولدا
وذلك لان عدم الولد في حق الانسان ليس عيبا لان وجود الولد عيب في حق الله تعالى ● فلهذا السبب قال هاهنا
قل حتى تكون ذابا عني ● وفي سورة انا اعطيناك انا اقول ذلك الكلام حتى اكون انا ذابا عنك ● والله اعلم واحكم

اعلم ان هذه السورة اربع آيات

# سورة الفلق خمس آيات مكية

قبل الخوض في التفسير لا بد من تقديم فصلين. **الفصل الأول** سمعت بعض العارفين فسرها بين السورتين على وجه عجيب فقال إنه سبحانه لما شرح أمر الإلهية في سورة الإخلاص ذكر هذه السورة عقيبها في شرح مراتب مخلوقات الله فقال أولاً قل أعوذ برب الفلق. وذلك لأن ظلمات العدم غير متناهية. والحق سبحانه هو الذي فلق تلك الظلمات بنور التكوين والإيجاد والإبداع. فلهذا قال تعالى قل أعوذ برب الفلق. ثم قال من شر ما خلق. والوجه فيه أن عالم الممكنات على قسمين عالم الأمر وعالم الخلق على ما قال ألا له الخلق والأمر. وعالم الأمر كله خيرات محضة بريئة عن الشرور والآفات. أما عالم الخلق وهو عالم الأجسام والجسمانيات. فالشر لا يحصل إلا فيه. وإنما سمي عالم الأجسام والجسمانيات بعالم الخلق لأن الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم فلما كان الأمر كذلك لا جرم قال أعوذ بالرب الذي فلق ظلمات بحر العدم بنور الإيجاد والإبداع من الشرور الواقعة في عالم الخلق وهو عالم الأجسام والجسمانيات. ثم من الظاهر أن الأجسام إما أثيرية أو عنصرية. والأجسام الأثيرية خيرات لأنها بريئة عن الاختلال والفطور على ما قال تعالى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. وأما العنصريات فهي إما جماد أو نبات أو حيوان أما الجماد فهي خالية عن جميع القوى النفسانية فالظلمة فيها خالصة والأنوار عنها بالكلية زائلة وهي المراد من قوله ومن شر غاسق إذا وقب. وأما النبات فالقوة الغاذية النباتية هي التي تزيد في الطول والعرض والعمق. فهذه القوة النباتية كأنها تنفث في العقد الثلاثة. وأما الحيوان فالقوى الحيوانية هي الحواس الظاهرة والحواس الباطنة والشهوة والغضب. وكلها تمنع الروح الإنسانية عن الانصباب إلى عالم الغيب. والاشتغال بقدس جلال الله وهو المراد من قوله ومن شر حاسد إذا حسد. ثم إنه لم يبق من السفليات بعد هذه المرتبة سوى النفس الإنسانية وهي المستعيذة فلا تكون مستعاذاً منها فلا جرم قطع هذه السورة وذكر بعدها في سورة الناس مراتب درجات النفس الإنسانية في الترقي وذلك لأنها بأصل فطرتها مستعدة لأن تنتقش بمعرفة الله تعالى ومحبته إلا أنها تكون في أول الأمر خالية عن هذه المعارف بالكلية. ثم إنه في المرتبة الثانية تحصل فيها علوم أولية بديهية يمكن التوصل بها إلى استعلام المجهولات الفكرية ثم في آخر الأمر تستخرج تلك المجهولات الفكرية من القوة إلى الفعل. فقوله تعالى قل أعوذ برب الناس إشارة إلى المرتبة الأولى من مراتب النفس الإنسانية وهي حال كونها خالية عن جميع العلوم البديهية والكسبية وذلك لأن النفس في تلك المرتبة تحتاج إلى من يربيها ويزينها بتلك المعارف البديهية. ثم في المرتبة الثانية وهي عند حصول هذه العلوم البديهية يحصل لها ملكة الانتقال منها إلى استعلام العلوم الفكرية وهو المراد من قوله ملك الناس. ثم في المرتبة الثالثة وهي عند خروج تلك العلوم الفكرية من القوة إلى الفعل يحصل الكمال التام للنفس وهو المراد من قوله إله الناس. فكأن الحق سبحانه يسمي نفسه بحسب كل مرتبة من مراتب النفس الإنسانية بما يليق بتلك المرتبة. ثم قال من شر الوسواس الخناس والمراد منه القوة الوهمية والسبب في إطلاق اسم الخناس على الوهم أن العقل والوهم قد يتساعدان على تسليم بعض المقدمات ثم إذا آل الأمر إلى النتيجة فالعقل يساعد على النتيجة والوهم يخنس ويرجع ويمتنع عن تسليم النتيجة. فلهذا السبب يسمى الوهم بالخناس ثم بين سبحانه أن ضرر هذا الخناس عظيم على العقل وأنه قل ما ينفك أحد منه. فكأنه سبحانه بين في هذه السورة مراتب الأرواح البشرية ونبه على ما به يقع الامتياز بين العقل وبين الوهم وهناك آخر درجات مراتب النفس الإنسانية فلا جرم وقع ختم الكتاب الكريم والقرآن العظيم عليه.

**الفصل الثاني** ذكروا في سبب نزول هذه السورة وجوهاً. أحدها روي أن جبريل عليه السلام أتاه وقال إن عفريتاً من الجن يكيدك فقال بماذا أدفع كيده فقال إذا أويت إلى فراشك قل أعوذ برب السورتين. وثانيها أن الله تعالى أنزلهما عليه ليكونا رقية من العين. وعن سعيد بن المسيب أن قريشاً قالوا تعالوا نتجوع فنعين محمداً ففعلوا ثم أتوه وقالوا ما أشد عضدك وأقوى ظهرك وأنضر وجهك. فأنزل الله تعالى المعوذتين. وثالثها وهو قول جمهور المفسرين أن لبيد بن أعصم اليهودي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة عقدة في وتر ودسه في بئر يقال لها ذروان. فمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان لذلك وأخبره جبريل بموضع السحر فأرسل علياً رضي الله عنه فطلبه وجاء به وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حل عقدة واقرأ آية ففعل وكان كلما قرأ آية انحلت عقدة فكان يجد بعض الخفة والراحة. واعلم أن المعتزلة أنكروا ذلك بأسرهم قال القاضي هذه الرواية باطلة. وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس

وقال ولا يفلح الساحر حيث أتى ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى الضرر لجميع الأنبياء والصالحين ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم وكل ذلك باطل ولأن الكفار كانوا يعيرونه بأنه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ولحصل فيه عليه الصلاة والسلام ذلك العيب ومعلوم أن ذلك غير جائز. قال الأصحاب هذه القصة قد صحت عند جمهور أهل النقل والوجوه المذكورة قد سبق الكلام عليها في سورة البقرة. أما قوله الكفار كانوا يعيبون الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه مسحور فلو وقع ذلك لكان الكفار صادقين في ذلك القول فجوابه أن الكفار كانوا يريدون بكونه مسحوراً أنه مجنون أزيل عقله بواسطة السحر فلذلك ترك دينهم. فأما أن يكون مسحوراً بألم يجده في بدنه فذلك لا ينكره أحد. وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا إنساناً ولا شيطاناً ولا جنياً يؤذيه في دينه وشرعه ونبوته فأما في الإضرار ببدنه فلا يبعد. وتمام الكلام في هذه المسألة قد تقدم في سورة البقرة. ولنرجع إلى التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

**قوله تعالى** قل أعوذ برب الفلق وفيه مسائل **المسألة الأولى** في قوله قل فوائد. أحدها أنه سبحانه لما أمر بقراءة سورة الإخلاص تنزيهاً له عما لا يليق به في ذاته وصفاته. وكان ذلك من أعظم الطاعات. فكأن العبد قال إلهنا هذه الطاعة عظيمة جداً لا أثق بنفسي في الوفاء بها فأجابه بأن قال قل أعوذ برب الفلق أي استعذ بالله والتجئ إليه حتى يوفقك لهذه الطاعة على أكمل الوجوه. وثانيها أن الكفار لما سألوا الرسول عن نسب الله وصفته فكأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال كيف أخو من هؤلاء الجهال الذين تجاسروا وقالوا فيك ما لا يليق بك. فقال الله تعالى قل أعوذ برب الفلق أي استعذ بي حتى أصونك عن شرهم. وثالثها كأنه تعالى يقول إني نزهتك وجعلت بيتك مأمناً فعلت ومن دخله كان آمناً فالتجئ أنت أيضاً إلي حتى أجعلك آمناً فقل أعوذ برب الفلق.

**المسألة الثانية** اختلفوا في أنه هل يجوز الاستعانة بالرقى والعوذ أم لا. منهم من قال إنه يجوز واحتجوا بوجوه. أحدها ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فرقاه جبريل عليه السلام فقال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك والله يشفيك. وثانيها قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا من الأوجاع كلها هذا الدعاء بسم الله الكريم أعوذ بالله العظيم من كل عرق نعار ومن حر النار. وثالثها قال عليه الصلاة والسلام من دخل على مريض لم يحضر أجله فقال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات شفي. ورابعها عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض قال أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت. وخامسها عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان أبي إبراهيم يعوذ ابنيه إسمعيل وإسحق. وسادسها قال عثمان بن أبي العاص الثقفي قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبي وجع قد كاد يبطلني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل يدك اليمنى عليه وقل بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع مرات ففعلت ذلك فشفاني الله. وسابعها روي أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سافر فنزل منزلاً يقول

[illegible]

لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون تماما **المسألة الثالثة** انه تعالى قال في مفتاح القراءة فاستعذ بالله وقال
هاهنا اعوذ برب الفلق وفي موضع آخر وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وجاء في الاحاديث اعوذ بكلمات الله التامات
فلا شك ان افضل اسماء الله هو الله واما الرب فانه قد يطلق على غيره قال الله تعالى ارباب متفرقون فما السبب انه تعالى
عند الامر بالتعوذ لم يقل اعوذ بالله بل قال برب الفلق واجابوا عنه من وجوه احدها انه في قوله تعالى
واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله انما امر بالاستعاذة هناك لاجل قراءة القرآن وانما امر بالاستعاذة هاهنا
في هذه السورة لاجل حفظ النفس والبدن عن السحر والمهم الاول اعظم فلا جرم ذكر الاسم الاعظم هنالك
دون هاهنا وثانيها ان اسم الرب يشير الى التربية فكأنه جعل تربية الله له فيما تقدم وسيلة الى تربيته له في
الزمان الآتي او كان العبد يقول التربية والاحسان حرفتك فلا تهملني ولا تخيب رجائي ورابعها ان بالتربية
صار شارعا في الاحسان والشروع ملزم وخامسها ان هذه السورة آخر سور القرآن فذكر لفظ الرب تنبيها
على انه سبحانه لا يقطع عنك تربيته واحسانه فان قيل انه ختم القرآن على اسم الاله حيث قال ملك الناس اله الناس
قلنا فيه لطيفة وهي كأنه تعالى قال قل اعوذ بمن هو ربي ولكنه اله قاهر لوسوسة الخناس فهو كالاب المشفق الذي
يقول ارجع عند مهماتك الى ابيك المشفق عليك الذي هو كالسيف القاطع والنار المحرقة لاعدائك فيكون هذا من اعظم
انواع الوعد بالاحسان والتربية وسادسها كان الحق قال لمحمد عليه الصلاة والسلام قلبك لي فلا يدخل فيه حب غيري
ولسانك لي فلا تذكر به احدا غيري وبدنك لي فلا تشغله بخدمة غيري ولسانك لي فلا تطلب من احد غيري وان اردت
شيئا فلا تطلبه الا مني فان اردت العلم فقل رب زدني علما وان اردت الدنيا فاسألوا الله من فضله وان خفت
ضررا فقل اعوذ برب الفلق فاني انا الذي وصفت نفسي بأني فالق الاصباح وبأني فالق الحب والنوى وما فعلت هذه الا
لاجلك فاذا كنت افعل كل هذه الامور لاجلك فكيف لا اصونك عن الآفات والمخافات **المسألة الرابعة** ذكروا
في الفلق وجوها احدها انه الصبح وهو قول الاكثرين قال الزجاج لان الليل ينفلق عند الصبح ويفرق فعل بمعنى
مفعول يقال هو ابين من فلق الصبح ومن فرق الصبح وتخصيصه في التعوذ لوجوه الاول ان القادر على ازالة هذه الظلمات
الشديدة عن كل هذا العالم يقدر ايضا ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه الثاني ان طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج
فكما ان الانسان في الليل يكون منتظرا لطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقبا لطلوع النجاح الثالث ان الصبح كالمبشر
فان الانسان في الظلام يكون كلهم على وهم فاذا ظهر الصبح فكأنه صاح بالامان وبشر بالفرج فلهذا السبب يجد كل مريض
ومهموم خفة في وقت السحر فالحق سبحانه يقول قل اعوذ برب يعطي انعام فلق الصبح قبل السؤال فكيف بعد السؤال
الرابع قال بعضهم ان يوسف عليه السلام لما القي في الجب وجعت ركبتيه وجعا شديدا فبات ليلة ساهرا فلما قرب طلوع
الشمس نزل جبريل عليه السلام باذن الله يسليه ويأمره بأن يدعو ربه فقال يا جبريل ادع انت واؤمن فدعا جبريل وأمن يوسف
فكشف الله ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال يا جبريل وانا ادعو ايضا وتؤمن انت فسأل يوسف ربه
ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة في آخر الليل وروي ان دعاءه
في الجب يا عدتي في شدتي ويا مؤنسي في وحشتي ويا راحم غربتي ويا كاشف كربتي ويا مجيب دعوتي ويا الهي واله
آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب ارحم صغر سني وضعف ركني وقلة حيلتي يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام الخامس
لعل تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكأنه يقول قل اعوذ برب
الوقت الذي يفرج فيه عن كل مهموم ومغموم السادس يحتمل انه خص الصبح بالذكر لانه انموذج من يوم القيمة
لان الخلق كالاموات والدور كالقبور ثم منهم من يخرج عن داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه ومنهم من كان مديونا فيجر الى
الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فتقدم اليه المراكب ويقوم الناس بين يديه كذا في يوم القيمة بعضهم مفلس عن الثواب
عار عن لباس التقوى يجر الى الملك الجبار ومن عبد كان مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا مطلقا في العقبى يقدم اليه البراق
السابع يحتمل ان يكون انه تعالى خص الصبح بالذكر لانه وقت الصلاة الجامعة لاحوال القيمة فالقيام في الصلاة يذكر القيام
يوم القيمة كما قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين والقراءة في الصلاة تذكر قراءة الكتب والركوع في الصلاة يذكر
في القيمة قوله ناكسوا رؤسهم والسجود في الصلاة يذكر قوله ويدعون الى السجود فلا يستطيعون والقعود يذكر
قوله وترى كل امة جاثية فكأن العبد يقول الهي كما خلصتني من ظلمة الليل فخلصني من هذه الاهوال وانما خص وقت صلاة
الصبح لان لها مزيد شرف على ما قال ان قرآن الفجر كان مشهودا اي يحضرها ملائكة الليل والنهار الثامن انه وقت الاستغفار
والتضرع على ما قال والمستغفرين بالاسحار القول الثاني في الفلق انه عبارة عن كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات
ان الله فالق الحب والنوى والجبال عن العيون وان منها لما يتفجر منه الانهار والسحاب عن الامطار والارحام عن الاولاد

والبيض عن الفرخ والقلوب عن المعارف واذا تاملت الخلق تبين لك ان اكثره عن انفلاق بل العدم كانه ظلمة والنور كانه وجود وثبت
انه كان الله في الازل ولم يكن معه شيء البتة فكأنه سبحانه هو الذي فلق ظلمات العدم بانوار الايجاد والتكوين والابداع فهذا هو المراد
من الفلق وهذا التأويل اقرب من وجوه احدها وهو ان الموجود اما الخالق واما الخلق فاذا فسرنا الفلق بهذا التفسير
صار كأنه قال قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون كل المحدثات والمبدعات فيكون التعظيم فيه اعظم ويكون الصبح احد الامور
الداخلة في هذا المعنى وثانيها ان كل موجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته والممكن لذاته يكون موجودا بغيره معدوما في حد
ذاته فاذن كل ممكن فلا بد له من مؤثر يؤثر فيه حال حدوثه ويبقيه حال بقائه فان الممكن حال بقائه يفتقر الى المؤثر والتربية اشارة
الى حال الحدوث بل الى حال البقاء فكأنه يقول انك لست محتاجا الى حال الحدوث فقط بل في حال الحدوث وحال البقاء معا في الذات
وفي جميع الصفات فقوله برب الفلق يدل على احتياج كل ما عداه اليه حالتي الحدوث والبقاء في الماهية والوجود بحسب الذوات
والصفات وسر التوحيد لا يصفوا عن شوائب الشرك الا عند مشاهدة هذه المعاني وثالثها ان التصوير والتكوين في الظلمة اصعب
منه في النور فكأنه يقول انا الذي افعل ما افعله قبل طلوع الانوار وظهور الاضواء ومثل ذلك لا يتأتى الا بالعلم التام والحكمة البالغة
واليه الاشارة بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم القول الثالث انه واد في جهنم او جب فيها
من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وما هم فيه من خفض
العيش فقال لا ابالي اليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من شدة حره وانما
خصه بالذكر هاهنا لانه هو القادر على مثل هذا التعذيب العظيم الخارج عن حد اوهام الخلق ثم قد ثبت ان رحمته اعظم واكمل واتم من
عذابه فكأنه يقول يا صاحب العذاب الشديد اعوذ برحمتك التي هي اعظم واكمل واتم واسبق من عذابك **قوله تعالى** من شر ما خلق
وفيه مسائل **المسألة الاولى** في تفسير هذه الآية وجوه احدها قال عطاء عن ابن عباس يريد ابليس خاصة لان الله تعالى
لم يخلق خلقا هو شر منه ولان السورة انما نزلت في الاستعاذة من السحر وذلك انما يتم بابليس وباعوانه وجنوده وثانيها يريد
جهنم كأنه يقول قل اعوذ برب جهنم ومن شر ما خلق فيها وثالثها من شر ما خلق يريد من شر اصناف الحيوانات المؤذيات كالسباع
والهوام ويجوز ان يدخل فيه من يؤذي من الجن والانس ايضا ووصف افعالها بانها شر وانما جاز ادخال الجن والانس تحت لفظة
ما لان الغلبة لما حصلت في جانب غير العقلاء حسن استعمال لفظة ما فيه لان العبرة بالاغلب وايضا يدخل فيه شرور الاطعمة
الممرضة وشرور الماء والنار فان قيل الآلام الحاصلة عقيب الماء والنار ولدغ الحية والعقرب حاصلة بخلق الله تعالى ابتداء
على ما هو قول اكثر المتكلمين او متولدة من قوى خلقها الله تعالى في هذه الاجسام على ما هو قول جمهور الحكماء وبعض المتكلمين وعلى
التقديرين فيصير حاصل الآية انه تعالى امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان يستعيذ بالله من الله فما معناه قلنا واي بأس
بذلك ولقد صرح عليه الصلاة والسلام بذلك فقال واعوذ بك منك ورابعها اراد به ما خلق من الامراض والاسقام
والقحط وانواع المحن والآفات وزعم الجبائي والقاضي ان هذا التفسير باطل لان فعل الله تعالى لا يجوز ان يوصف بانه
شر قالوا ويدل عليه وجوه الاول انه يلزم على هذا التفسير ان الذي امر بالتعوذ منه هو الذي يتعوذ به وذلك متناقض
والثاني ان افعال الله كلها حكمة وصواب وذلك لا يجوز ان يقال انها شر والثالث ان فعل الله لو كان شرا لوصف فاعله
بانه شرير تعالى الله عن ذلك والجواب عن الاول انا بينا انه لا امتناع في قوله اعوذ بك منك وعن الثاني ان الانسان لما
تألم به فانه يعد شرا فورد اللفظ على وفق قوله كما في قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن الثالث ان اسماء الله توقيفية لا اصطلاحية ثم الذي يدل على جواز تسمية الامراض وغيرها
بانها شرور قوله تعالى اذا مسه الشر جزوعا وقوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وكان عليه الصلاة والسلام
يقول واعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار **المسألة الثانية** طعن بعض الملحدة في قوله قل اعوذ برب الفلق
من شر ما خلق من وجوه احدها ان المستعاذ منه اهو واقع بقضاء الله وقدره او لا بقضاء الله ولا بقدره فان كان
الاول فكيف امر بان يستعيذ بالله منه وذلك لان ما قضى الله به وقدره فهو واقع فكأنه تعالى يقول للشيء الذي قضيت
بوقوعه وهو لا بد واقع فاستعذ بي منه حتى لا اوقعه وان لم يكن بقضائه وقدره فذلك يقدح في ملك الله وملكوته
وثانيها ان المستعاذ منه ان كان معلوم الوقوع فلا دافع له فلا فائدة في الاستعاذة وان كان معلوم اللاوقوع فلا حاجة
الى الاستعاذة وثالثها ان المستعاذ منه ان كان مصلحة فكيف رغب المكلف في دفعه ومنعه وان كان مفسدة فكيف
خلقه وقدره واعلم ان الجواب عن امثال هذه الشبهات انه لا يسئل عما يفعل وقد تكرر هذا الكلام في هذا الكتاب
**قوله تعالى** ومن شر غاسق اذا وقب ذكروا في الغاسق وجوها احدها ان الغاسق هو الليل اذا عظم ظلامه من قولهم
اغسق الليل ومنه غسقت العين اذا امتلأت دمعا وغسقت الجراحة اذا امتلأت دما وهذا قول الفراء وابي عبيدة
وانشد لابن الرقيات **شعر** ان هذا الليل قد غسقا فاشتكيت الهم والارقا

اراد به ما خلق من الامراض والاسقام

وقال الزجاج الغاسق في اللغة هو البارد وسمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار ومنه قوله تعالى الا حميما وغساقا فالغساق الشي البارد واما الوقوب فهو الدخول في شي آخر بحيث يغيب عن العين لانصباب ظلامه على الارض والوقبة النقرة لانه يدخل فيها ... ثم في الآية اقوال احدها ان الغاسق هو الليل اذا وقب اي دخل وانما امر ان يتعوذ من شر الليل لان في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من مكانها ويهجم السارق والمكابر ويقع الحريق ويقل فيه الغوث ولذلك لو شهر معتد سلاحا على انسان ليلا فقتله المشهور عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه يوجد فيه الغوث وقال قوم ان في الليل تنتشر الارواح المؤذية المسماة بالجن والشياطين وذلك لان قوة شعاع الشمس كأنها تقهرهم اما في الليل فيحصل لهم نوع استيلاء وثانيها ان الغاسق اذا وقب هو القمر ... وثالثها ان الغاسق الثريا اذا سقطت ... ورابعها قال صاحب الكشاف يجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب والنقب واحد ...

قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد فيه مسائل المسألة الاولى النفث النفخ مع ريق هكذا قاله صاحب الكشاف ... والعقد جمع عقدة والسبب فيه ان الساحرات ... اخذت خيطا ولا تزال تعقد عليه عقدا بعد عقد وتنفث في تلك العقد ... وانما انث النفاثات لوجوه احدها ان هذه الصناعة انما تعرف بالنساء لانهن يعقدن وينفثن ... وثانيها انها بنات لبيد بن اعصم اليهودي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم وثالثها ان المراد من النفاثات النفوس ... المسألة الثالثة ... قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد ... السؤال الثاني لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه والجواب

عرف النفاثة لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسقا لانه ليس كل غاسق شريرا وايضا ليس كل حاسد شريرا بل رب حسد يكون محمودا وهو الحسد في الخيرات والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد و

# سورة الناس ست آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اعوذ برب الناس فيه مسائل المسألة الاولى قرئ قل عوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونظيره فخذ اربعة من الطير وايضا اجمع القراء على ترك الامالة في الناس وروي عن الكسائي الامالة في الناس اذا كان في موضع الخفض المسألة الثانية انه تعالى رب جميع المحدثات ولكنه هاهنا ذكر انه رب الناس على التخصيص وذلك لوجوه احدها ان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم وثانيها ان اشرف المخلوقات في هذا العالم هم الناس وثالثها ان المأمور بالاستعاذة هو الانسان فاذا قرأ الانسان هذه السورة صار كأنه يقول يا رب يا ملكي يا الهي المسألة الثالثة قوله تعالى ملك الناس اله الناس هما عطف بيان كقوله سيرة ابي حفص عمر الفاروق فوصفا اولا بانه رب الناس ثم الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون كما يقال رب الدار ورب المتاع قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فلا جرم بينه بقوله ملك الناس ثم الملك قد يكون الها وقد لا يكون فلا جرم بينه بقوله اله الناس لان الاله خاص به وهو سبحانه لا يشركه فيه غيره وايضا بدأ بذكر الرب وهو اسم لمن قام بتدبيره واصلاحه وهو من اوائل نعمه الى ان رباه واعطاه العقل فحينئذ عرف بالدليل انه عبد مملوك وهو ملكه فثنى بذكر الملك ثم لما علم ان العبادة لازمة له واجبة عليه وعرف ان معبوده مستحق لتلك العبادة عرف انه اله فلهذا ختم به وايضا اول ما يعرف العبد من ربه كونه معطيا لما عنده من النعم الظاهرة والباطنة وهذا هو الرب ثم لا يزال ينتقل من معرفة هذه الصفات الى معرفة جلالته واستغنائه عن الخلق فحينئذ يحصل العلم بكونه ملكا لان الملك هو الذي يفتقر اليه غيره ويكون هو غنيا عن غيره ثم اذا عرفه العبد كذلك عرف انه في الجلالة والكبرياء فوق وصف الواصفين وانه هو الذي ولهت العقول في عزته وعظمته فحينئذ يعرفه الها المسألة الرابعة السبب في تكرير لفظ الناس انه انما تكررت هذه الصفات لان عطف البيان يحتاج الى مزيد الاظهار ولان هذا التكرير يقتضي مزيد شرف الناس لانه سبحانه كأنه عرف ذاته بكونه ربا للناس ملكا للناس الها للناس ولولا ان الناس اشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه ربا وملكا والها لهم المسألة الخامسة لا يجوز هاهنا مالك الناس ويجوز مالك يوم الدين في سورة الفاتحة والفرق ان قوله رب الناس افاد كونه مالكا لهم فلا بد وان يكون المذكور عقيبه هو الملك ليفيد انه مالك ومع كونه مالكا فهو ملك فان قيل اليس قال في سورة الفاتحة رب العالمين ثم قال مالك يوم الدين فيلزم وقوع التكرار هناك قلنا اللفظ دل على انه رب العالمين وهي الاشياء الموجودة في الحال وعلى انه مالك ليوم الدين اي قادر عليه فهناك الرب مضاف الى شي والمالك مضاف الى شي آخر فلم يلزم التكرير واما هاهنا لو ذكر المالك لكان الرب والمالك مضافين الى شي واحد فيلزم منه التكرير فظهر الفرق وايضا فجواز القراءات يتبع النزول لا القياس وقد قرئ ايضا مالك لكن في الشواذ

قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عليه عاكف نظيره قوله عمل غير صالح والمراد ذو الوسواس وتحقيق الكلام في الوسوسة قد تقدم في قوله فوسوس لهما الشيطان واما الخناس فهو الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس اعلم ان قوله الذي يوسوس يجوز في محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على احد هذين الوجهين اما قوله من الجنة والناس ففيه وجوه احدها انه يقول الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وقد يكون من الناس كما قال شياطين الجن والانس وكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فشيطان الانس يكون كذلك وذلك لانه يرى نفسه كالناصح المشفق فان زجره السامع يخنس وترك الوسوسة وان قبل السامع كلامه بالغ فيه وثانيها قال قوم من الجنة والناس قسمان مندرجان تحت قوله في صدور الناس كأن القدر المشترك بين الانس والجن يسمى انسانا والانسان ايضا يسمى انسانا فيكون لفظ الانسان واقعا على الجنس والنوع بالاشتراك والدليل على ان لفظ يندرج فيه الجن والانس ما روي انه جاء

الوسواس اسم بمعنى الوسوسة

ان النفث النفخ مع ريق

عرف النفاثة

نفر من الجن فقيل لهم من انتم فقالوا اناس من الجن وايضا قد سماهم الله رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فجاز ايضا ان يسميهم هاهنا ناسا • فمعنى الاية على هذا التقدير ان هذا الوسواس الخناس شديد الخبث
لا يقتصر على اضلال الانس بل يضل جنسه • وهم الجن فجدير ان يحذر العاقل شره • وهذا القول ضعيف لان جعل الانسان
اسما للجنس الذي يندرج فيه الجن والانس بعيد من اللغة لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والانسان انسانا لظهوره من
الايناس وهو الابصار وقال صاحب الكشاف من اراد تقرير هذا الوجه • فالاولى ان يقول المراد من قوله يوسوس
في صدور الناس اي في صدور الناسي كقوله يوم يدع الداع • واذا كان المراد من الناس هو الناسي حينئذ يمكن تقسيمه
الى الجن والانس لانهما هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله تعالى • وثالثها ان يكون المراد اعوذ برب الناس
من الوسواس الخناس • ومن الجنة والناس كانه استعاذ بربه من ذلك الشيطان الواحد • ثم استعاذ بربه من جميع الجنة
والناس واعلم ان في هذه السورة لطيفة اخرى وهو ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهي
انه رب الفلق • والمستعاذ منه ثلاثة انواع • من الافات وهي الغاسق • والنفاثات • والحاسد • واما في
هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاثة • وهي الرب والملك والاله • والمستعاذ منه افة واحدة وهي
الوسوسة • والفرق بين الموضعين ان الثنا يجب ان يتقدر بقدر المطلوب • فالمطلوب في السورة الاولى سلامة النفس
والبدن • والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين • وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت اعظم من مضار الدنيا وان
عظمت • والله اعلم • والحمد لله رب العالمين • وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا

## عدد سور القران واياته وكلماته وحروفه

سورة الفاتحة سبع ايات • وعشرون كلمة • ومائة وعشرون حرفا سورة البقرة مائتان وثمانون وست ايات • وستة الاف
ومائة وعشرون كلمة • وخمسة وعشرون الف حرف سورة ال عمران مائتا اية • وثلاثة الاف واربعمائة وثمانون كلمة • واربعة عشر الفا وخمسمائة
وخمسة وعشرون حرفا سورة النساء مائة وست وسبعون اية • وثلاثة الاف وسبعمائة وخمسة واربعون كلمة • وستة عشر الفا وثلثون حرفا
سورة المائدة مائة وعشرون اية • والفان وثمانمائة كلمة • واحدى عشر الفا وسبعمائة وثلاثة وثلثون حرفا سورة الانعام
مائة وخمس وستون اية • وثلاثة الاف واثنان وخمسون كلمة • واثنا عشر الفا واربعمائة واثنان وعشرون حرفا سورة الاعراف
مائتان وست ايات • وثلاثة الاف وثلثمائة وخمس وعشرون كلمة • واربعة عشر الفا وثلثمائة وعشر احرف سورة الانفال خمس وسبعون اية
والف ومائتان واحدى وثلثون كلمة • وخمسة الاف ومائتان واربعة وتسعون حرفا سورة التوبة مائة وعشرون وتسع ايات
والفان واربعة وسبعون وتسعون كلمة • وعشرة الاف وثمانمائة وسبعة وثمانون حرفا سورة يونس مائة وتسع ايات • والف وثمانمائة واثنان
وثلثون كلمة • وسبعة الاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا سورة هود مائة وثلث وعشرون اية • والف وستمائة وخمس
عشرة كلمة • وسبعة الاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا سورة يوسف مائة واحدى عشرة اية • والف وسبعمائة وستة وسبعون كلمة
وسبعة الاف وثمانمائة وستون حرفا • سورة الرعد ثلث واربعون اية • وثمانمائة وخمس وخمسون كلمة • وثلاثة الاف واربعمائة
واربعة وثلثون حرفا سورة ابرهيم خمسون واثنتان • وثمانمائة واحدى وثلثون كلمة • وثلاثة الاف واربعة وثلثون حرفا
سورة الحجر تسع وتسعون اية • وستمائة واربع وخمسون كلمة • والفان وستمائة واحدى وسبعون حرفا سورة النحل
مائة وثمان وعشرون اية • والف وثمانمائة واحدى واربعون كلمة • وسبعة الاف وسبعمائة وسبعة احرف سورة الاسرا مائة واحدى
عشرة اية • والف وخمسمائة وثلاثة وثمانون كلمة • وستة الاف واربعمائة وستون حرفا سورة الكهف مائة وعشر ايات •
والف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة • وستة الاف وثلثمائة وستون حرفا • سورة مريم ثمان وتسعون اية • وتسعمائة
واثنان وستون كلمة • وثلاثة الاف وثمانمائة وحرفان سورة طه مائة وثلثون وخمس ايات • فالف وثلثمائة
واحدى واربعون كلمة • وخمسة الاف ومائتان واربعون وحرفان سورة الانبيا مائة واثنا عشر اية • والف ومائة وثمانون
كلمة • واربعة الاف وثمانمائة وتسعون حرفا سورة الحج ثمان وسبعون اية • والف ومائتان واحدى وتسعون كلمة • وخمسة
الاف ومائة وخمس وسبعون حرفا سورة المؤمنين مائة وتسع عشرة اية • والف وثمانمائة واربعون كلمة • واربعة الاف وثمانمائة
وحرفان • سورة النور اربع وستون اية • والف وثلثمائة وست عشر كلمة • وخمسة الاف وستمائة وستون حرفا
سورة الفرقان سبع وسبعون اية • وثمانمائة وخمس وثلثون كلمة • والف وثلثمائة وثلاثة عشر حرفا • سورة الشعرا
مائتان وعشرون وست ايات • والف ومائتان وتسع وتسعون كلمة • وخمسة الاف وخمسمائة واثنان واربعون حرفا سورة النمل خمس وتسعون
والف ومائة وتسع واربعون كلمة • واربعة الاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا سورة القصص ثمان وثمانون اية

سورة الرعد ثلث واربعون اية

والف واربعمائة

والف واربعمائة واحدى واربعون كلمة • وخمسة الاف وثمانمائة حرف سورة العنكبوت تسع وستون اية • وتسعمائة وثمانون
كلمة • واربعة الاف ومائة وخمس وتسعون حرفا سورة الروم ثمانون اية • والف واربعمائة واحدى واربعون كلمة •
سورة لقمان ست وثلثون اية • وخمسمائة وثمانية واربعون كلمة • والف ومائة وعشرة احرف
سورة السجدة ثلثون اية • وثلثمائة وثمانون كلمة • والف وخمسمائة وسبعة عشر حرفا سورة الاحزاب ثلث وسبعون اية
والف ومائتان وثلثون كلمة • وخمسة الاف وسبعمائة وستة وتسعون حرفا سورة سبا اربع وخمسون اية • وثمانمائة وثلث
وثمانون كلمة • والف وخمسمائة واثنا عشر حرفا • سورة فاطر خمس واربعون اية • وسبعمائة وسبع وتسعون كلمة
وثلاثة الاف ومائة وثلثون حرفا سورة يس ثمانون واثنان • وسبعمائة وسبع وعشرون كلمة • وثلاثة الاف حرف سورة الصافات
مائة وثمانون واثنان • وثمانمائة وستون كلمة • وثلاثة الاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا سورة ص ستة وثمانون اية
وسبعمائة واثنان وثلثون كلمة • وثلاثة الاف وسبعة وستون حرفا • سورة الزمر سبعون واثنان • والف ومائة واثنان وسبعون
كلمة • واربعة الاف وسبعمائة وثلاثة احرف سورة المؤمن اربع وثمانون اية • والف ومائة وتسع وتسعون كلمة • واربعة الاف
وسبعمائة وستون حرفا سورة حم السجدة ثلاث وخمسون اية • وسبعمائة وست وتسعون كلمة • وثلثة الاف وثلثمائة وخمسون حرفا
سورة حم عسق خمسون اية • وثمانمائة وست وستون كلمة • وثلثة الاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا سورة الزخرف
تسع وثمانون اية • وثمانمائة وثلث وثلثون كلمة • وثلاثة الاف واربعمائة حرف سورة الدخان ست وخمسون اية
وثلثمائة وست واربعون كلمة • والف واربعمائة واحد وثلثون حرفا سورة الجاثية اربع وثلثون اية • وستمائة واربع واربعون كلمة
والفان وثلثمائة حرف سورة الاحقاف خمس وثلثون اية • واربعمائة وثمانية وثمانون كلمة • والف ومائة واحد وتسعون حرفا
سورة محمد عليه الصلاة والسلام تسعة وثلثون اية • وخمسمائة وثلثون كلمة • والفان وثلثمائة وتسعة واربعون حرفا سورة الفتح
تسعة وعشرون اية • وخمسمائة وستون كلمة • واربعمائة وثمانية وثلثون حرفا سورة الحجرات ثماني عشرة اية • وثلثمائة وثلث
واربعون كلمة • والف واربعمائة وستة وسبعون حرفا سورة ق خمس واربعون اية • وثلثمائة وخمس وسبعون كلمة • والف واربعمائة
وخمسة وسبعون حرفا سورة الذاريات ستون اية • وثلثمائة وستون كلمة • والف ومائتان وسبعة وثمانون حرفا
سورة والطور تسع واربعون اية • وثلثمائة واثنتا عشرة كلمة • وخمسمائة حرف سورة والنجم ستون واثنان • وثلثمائة وستون كلمة
والف واربعمائة وخمسة احرف سورة القمر خمس وخمسون اية • وثلثمائة واثنان واربعون كلمة • والف واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا
سورة الرحمن جل وعلا ثمان وسبعون اية • وثلثمائة واحدى وخمسون كلمة • والف وستمائة وستة وثلثون حرفا سورة الواقعة
ستة وتسعون اية • وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة • والف وسبعمائة وثلاثة احرف سورة الحديد تسع وعشرون اية
وخمسمائة واربع واربعون كلمة • والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا سورة المجادلة عشرون واثنان • واربعمائة
وثلثة وسبعون كلمة • والف وتسعمائة واثنان وسبعون حرفا سورة الحشر اربع وعشرون اية • واربعمائة وخمس واربعون كلمة
والف وتسعمائة وثلثة عشر حرفا سورة الممتحنة ثلث عشرة اية • وثمان وثلثمائة واربعون كلمة • والف وخمسمائة وعشرة
احرف سورة الصف اربع عشرة اية • ومائتان واحدى وعشرون كلمة • وتسعمائة وستة وعشرون حرفا سورة الجمعة
احدى عشرة اية • ومائة وثمانون كلمة • وسبعمائة وثمانية واربعون حرفا سورة المنافقين احدى عشرة اية • ومائة وثمانون كلمة
وسبعمائة وستة وسبعون حرفا سورة التغابن ثمان عشرة اية • ومائتان واحدى واربعون كلمة • والف وسبعون حرفا
سورة الطلاق اثنا عشرة اية • ومائتان وتسع وثمان كلمة • والف ومائة وستون حرفا سورة التحريم اثنا عشرة اية
ومائتان وسبع واربعون كلمة • والف ومائة وثلثة وستون حرفا سورة الملك ثلثون اية • وثلثمائة وخمس وثلثون كلمة
والف وثلثمائة وثلثة عشر حرفا سورة ن اثنان وخمسون اية • وثلثمائة كلمة • والف ومائتان وستة وخمسون حرفا سورة
الحاقة اثنان وخمسون اية • ومائتان وستة وخمسون كلمة • والف واربعمائة وثمانون حرفا سورة المعارج اربع واربعون
اية • ومائتان وستة عشر كلمة • وثمانمائة واحد وستون حرفا سورة نوح ثمان وعشرون اية • ومائتان واربع وعشرون
كلمة • وتسعمائة وتسعة وخمسون حرفا سورة الجن ثمان وعشرون اية • ومائتان وخمس وثمانون كلمة • وتسعمائة وتسعة
وخمسون حرفا سورة المزمل عشرون اية • ومائة وخمس وثمانون كلمة • وثمانمائة وثلثون حرفا سورة المدثر ست وخمسون اية
ومائتان وخمس وخمسون كلمة • والف وعشرة احرف سورة القيمة اربعون اية • ومائة وتسع وتسعون كلمة • وستمائة
واثنان وخمسون حرفا سورة الانسان احدى وثلثون اية • ومائتان واثنان واربعون كلمة • والف واربع وخمسون حرفا
سورة المرسلات خمسون اية • ومائة واحدى وثلثون كلمة • وثمانمائة وستة عشر حرفا سورة النبا اربعون اية • ومائة
وثلث وسبعون كلمة • وسبعمائة وسبعون حرفا سورة النازعات ست واربعون اية • ومائة وتسع وسبعون كلمة
وسبعمائة وثلاثة وخمسون حرفا سورة عبس اثنان واربعون اية • ومائة وثلثون كلمة • وخمسمائة وثلاثة وثلثون حرفا

سورة الملك ثلثون اية

سورة كورت تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات وخمسمائة وثلثة وثلثون حرفا سورة الانفطار تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلثمائة وتسعة وعشرون حرفا سورة المطففين ست وثلثون اية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلثون حرفا سورة الانشقاق خمس وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وثلثون حرفا سورة البروج عشرون اية واثنان ومائة وتسع كلمات واربعمائة وثمانية وخمسون حرفا سورة الطارق سبع عشرة اية واحدى وستون كلمة ومائتان وتسعة وثلثون حرفا سورة الاعلى تسع عشرة اية واثنان وسبعون كلمة ومائتان واحدى وتسعون حرفا سورة الغاشية ست وعشرون اية واثنان وتسعون كلمة وثلثمائة واحدى وثلثون حرفا سورة الفجر ثلثون اية ومائة وتسع وثلثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا سورة البلد عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلثمائة واحدى وثلثون حرفا سورة الشمس خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومائتان وسبع واربعون حرفا سورة والليل احدى وعشرون اية واحدى وسبعون كلمة وثلثمائة وعشرة احرف سورة والضحى احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا سورة الم نشرح ثماني ايات وسبع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة احرف سورة والتين ثماني ايات مكية واربع وثلثون كلمة ومائة وخمسون حرفا سورة القلم تسع عشرة اية واثنان وسبعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا سورة القدر خمس ايات وثلثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا سورة لم يكن ثماني ايات واربع وتسعون كلمة وثلثمائة وستة وتسعون حرفا سورة الزلزال ثماني ايات وخمس وثلثون كلمة وتسعة واربعون حرفا سورة العاديات احدى عشرة اية واربعون كلمة ومائة وتسع واربعون حرفا سورة القارعة احدى عشرة اية وست وثلثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا سورة التكاثر ثماني ايات وثمان وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا سورة والعصر ثلاث ايات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا سورة الهمزة تسع ايات وثلث وثلثون كلمة ومائة وثلاثة وثلثون حرفا سورة الفيل خمس ايات وثلث وعشرون كلمة وثلاثة وسبعون حرفا سورة قريش اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا سورة ارايت سبع ايات وخمس وعشرون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا سورة الكوثر ثلث ايات وعشرون كلمة واثنان واربعون حرفا سورة الكافرون ست ايات وست وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا سورة النصر ثلاث ايات وتسع عشر كلمة وسبعة وسبعون حرفا سورة تبت خمس ايات وثلث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا سورة الاخلاص اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا سورة الفلق خمس ايات وثلث وعشرون كلمة وثلاثة وسبعون حرفا سورة الناس ست ايات وعشرون كلمة وثمانون حرفا والحمد لله اولا واخرا باطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد

وقد تم الكتاب المسمى بمفاتح الغيب تفسير القران المجيد

للامام العالم العلامة فخر العلما والدين محمد بن عمر الرازي خطيب الري رحمه الله تعالى وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين امين والامر باستكتاب هذه النسخة الشريفة لنفسه العبد الفقير الى الله تعالى المحفوف بعناية الملك الرؤف اللطيف هو مولانا وسيدنا الجناب العالي المنيف نور الدين القاضي علي العفيف نجل الصدر الاجل الكبير المرحوم المخدومي القاضي شمس الدين محمد ذو العز والشرف والتهاني الشهير نسبه بالنعماني على يد العبد الفقير الى الله تعالى الممتثل سليمان بن العبد الفقير الى الله تعالى المرحوم يونس بن المرحوم خطاب بن شحاذه بن محمد الصد في بلدا المالكي مذهبا الازهري منشا وقد تم بمدينة القاهرة المحروسة بمدرسة مغلطاي الجمالي رحمه الله تعالى وهي المسماة بالجمالية الخشقدمية الكائنة في شهر رمضان المبارك من شهور سنة ١٠٢١ غفر الله لمالكه ولكاتبه ولقاريه ولسامعه والحمد لله رب العالمين

بنور المسلمين

تاريخ لكاتبه

فازنا الفخر من حظي بكتاب
في التفاسير فخره مستديما
ومنيشا له به اذ اتاه
بتمام من ربه تكريما
تم في ابرك الشهور عليه
فيتاريخه كان عظيما
بتم ١٠٢١

سورة الاخلاص اربع ايات